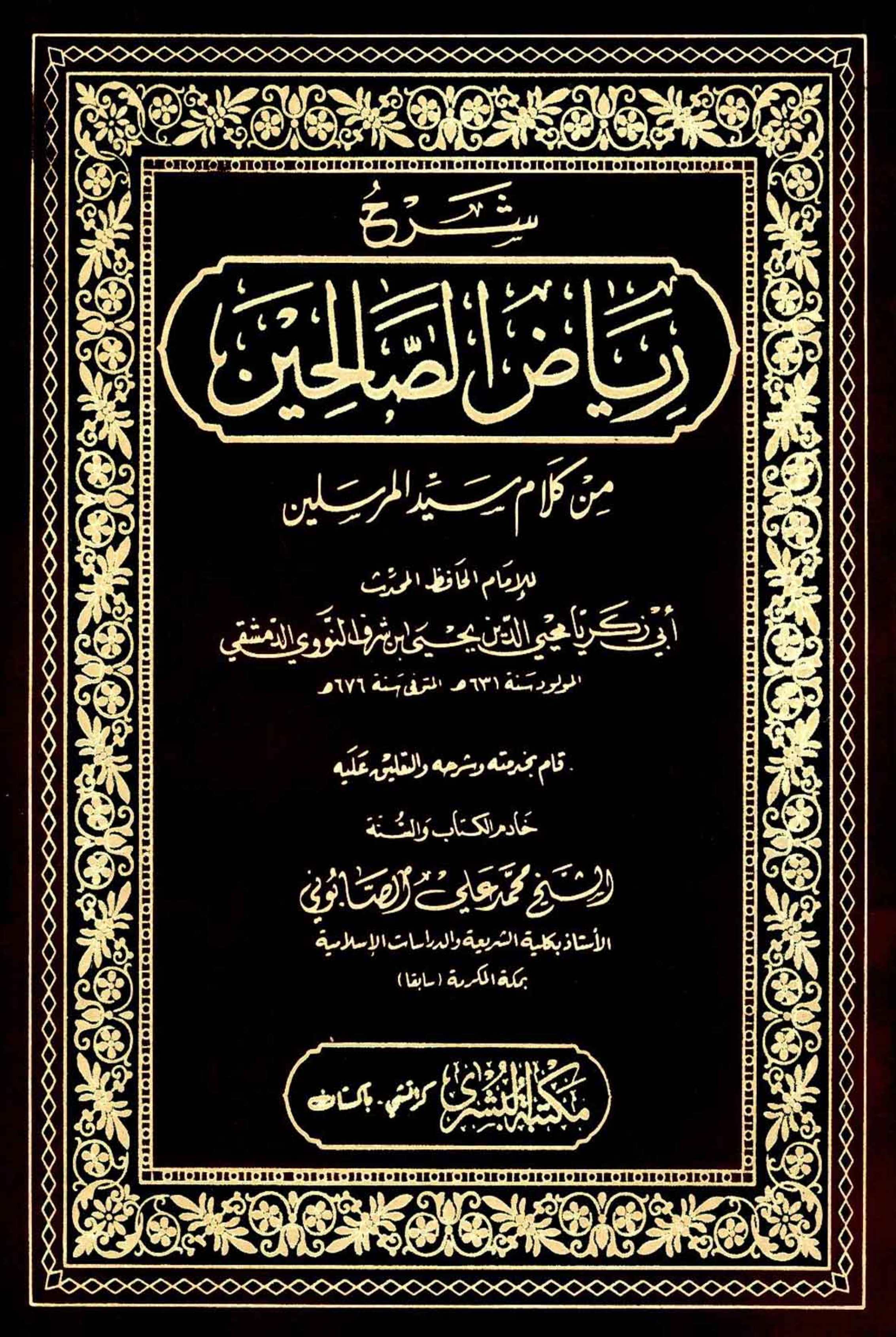
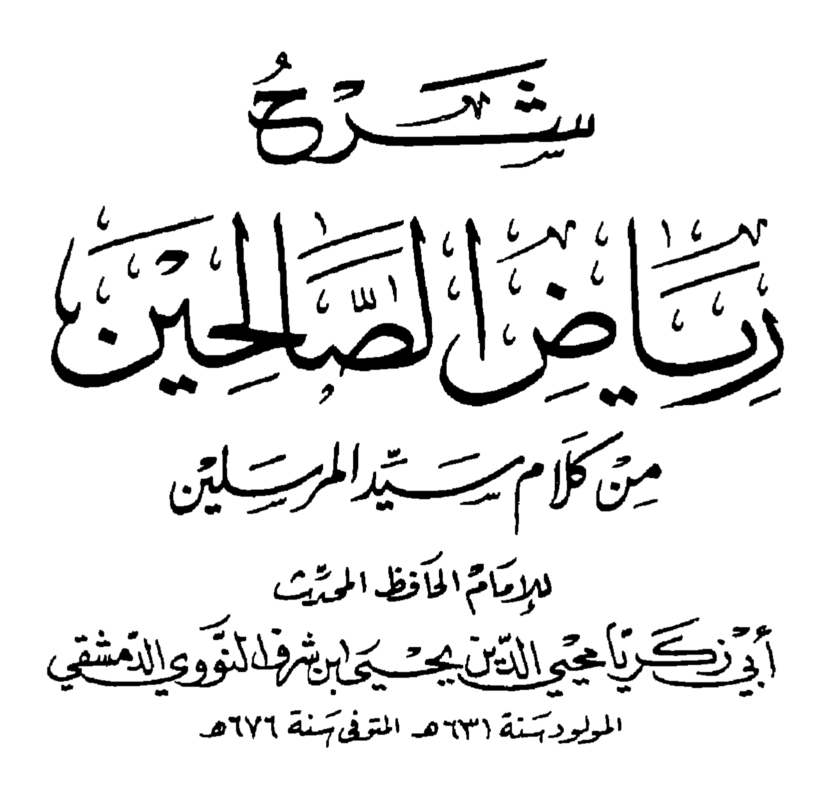

شرح
رياض الصالحين
من كلام سيد المرسلين
للإمام الحافظ المحدث
أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي الدمشقي
المولود سنة ٦٣١ هـ المتوفى سنة ٦٧٦ هـ
قام بخدمته وشرحه والتعليق عليه
خادم الكتاب والسنة
الشيخ محمد علي الصابوني
الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بمكة المكرمة (سابقا)
مكتبة البشرى كراتشي - باكستان



توضيح وبيان لدقائق المعاني، وبدائع الأحكام في الأحاديث النبوية الشريفة

قام بخدمته وشرحه والتعليق عليه

خادم الكتاب والسنة

الشيخ محمد علي الصابوني

الأستاذ بجامعة أم القرى (سابقاً) بمكة المكرمة



اسم الكتاب	رياض الصالحين
تأليف	أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي الدمشقي رحمه الله
عدد الصفحات	٧٠٦
السعر	=/٢٥٠ روبية
الطبعة	١٤٣٢هـ/ ٢٠١١ء
اسم الناشر	مكتبة البشرى
	جمعية شودهري محمد علي الخيرية (مسجّلة)
	Z-3، اوورسيز بنكلوز، جلستان جوهر، كراتشي. باكستان
الهاتف	+92-21-34541739, +92-21-37740738
الفاكس	+92-21-34023113
الموقع على الإنترنت	www.maktaba-tul-bushra.com.pk
	www.ibnabbasaisha.edu.pk
البريد الإلكتروني	al-bushra@cyber.net.pk
يطلب من	**مكتبة البشرىٰ**، كراتشي. باكستان 2196170-321-92+
	مكتبة الحرمين، اردو بازار، لاهور. 4399313-321-92+
	المصباح، ١٦- اردو بازار، لاهور. 7124656,7223210-42-92+
	بك لينڈ، سٹي پلازه كالج روڈ، راولپنڈی. 5773341, 5557926-51-92+
	دار الإخلاص، نزد قصه خوانى بازار، پشاور. 2567539-91-92+
	مكتبة رشيدية، سركي روڈ، كوئٹه. 7825484-333-92+

وأيضًا يوجد عند جميع المكتبات المشهورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة الشارح

الحمد للّه المتفرّد بالعزة والجلال، بعث رسوله الكريم ﷺ هادياً وبشيراً، وداعياً إلى اللّه بإذنه وسراجاً منيراً، فهدىٰ الأمة، وكشف الغُمَّة، وأنار للناس طريق الخير والسعادة، فجزاه اللّه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء صلّى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الواجب على كل مسلم، أن يقتبس من (مشكاة النبوة) ما ينير له الطريق، ويأخذ بيده إلى مدارج (أهل العلم) والفضل، الذين تحلَّوْا بأكمل الأوصاف، باقتفائهم هَدْيَ سيِّد الأنبياء ﷺ، فالنبيُّ الكريمُ عليه أفضل الصلاة والتسليم، يقول في هديه الشريف: «من سَلَكَ طريقاً يبتغي به علماً، سهَّل اللّه له طريقاً إلى الجنَّةِ، وإن العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورَّثُوا العلم، فمن أخَذَه أخذ بحظٍّ وافر». [رواه الترمذي]

ويقول صلوات اللّه وسلامه عليه: «لقد تركتكم على البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلّا هالك».

هذا وإن كتاب (رياض الصالحين) من كلام سيد المرسلين، لمؤلفه الإمام المحدِّث العلاَّمة الشهير (يحيى بن شرف النووي) رحمه اللّه، الذي أجمعت الأمة على علمه وفضله، ونيله قَصَبَ السَّبْق في الفقه، والحديث، من خير الكتب والمراجع في السنة النبوية المطهرة، ولا تكاد تخلو منه مكتبةٌ، أو مدرسةٌ، أو بيتُ مسلم، لِمَا حَوَاه بين دفَّتَيْه من كنوز ثمينة، من هَدْيِ سيِّد المرسلين، في شتَّى العلُوم والفنونِ، لإصلاحِ الفرد والمجتمع، في الأخلاق، والعبادات، والمعامَلات، والإخلاص، والصدق، والمراقبة، واليقين، وقضاءِ حوائجِ المسلمينِ، وسائرِ ما يحتاج إليه المسلمُ في حياته المنزليَّةِ والاجتماعية.

وقد ترجَمَ المؤلف رحمه اللّه لكل هذه الأبواب، بتراجم تشير إلى عناوين الأبحاث التي تناولتها الأحاديث النبوية الشريفة، التي اختارها وانتقاها من كتب الصحاح الستة، بحيث يسهل على كل قارئٍ معرفةُ الأحاديث النبوية، التي ترجمت

لها عناوينُ الأبواب، ليرى مجموعةً من هَدْي سيِّد المرسلين ﷺ وقد اجتمعت في باقةٍ عطرةٍ زاهية، في الموضوع الذي يتوخاه! كما وضَّح المؤلف رحمه اللّه بعض الألفاظ الغريبة، التي وردت في تلك الأحاديث، ولكنه لم يذكر شرح هذه الأحاديث كما فعل في (صحيح مسلم) الذي قام بشرحه وتوضيحه، فأجاد في ذلك وأفاد.

وقد رأيت أن أضع شرحاً موجزاً مبسَّطاً، وافياً للغرض لهذه الأحاديث، ليستنير بها القارئ، ويفهم معاني تلك الأحاديث الجليلة، ويقف على ملامح النور والهداية التي زخرت بها السُنَّةُ النبويَّةُ العَطِرة، ولا يفوتني هنا أن أذكر أنني قد شرحتُ بعض الألفاظ الغريبة، التي غفل عنها المؤلف رحمه اللّه، كما ذكرتُ بعض الفوائد الهامة، التي وردت في هذه الأحاديث هذا وقد اعتمدتُ في المراجع لهذا الشرح على الكتب التالية:

الأول: كتاب (فتح الباري) على صحيح البخاري، للإمام المحدِّث ابن حجر العسقلاني رحمه اللّه.

الثاني: كتاب (عمدة القاري) بشرح صحيح البخاري للعلاَّمة الإمام العيني رحمه اللّه.

الثالث: كتاب (شرح صحيح مسلم) للإمام المحدِّث يحيى بن شرف النووي صاحب كتاب رياض الصالحين رحمه اللّه.

الرابع: كتاب (دليل الفالحين شرح رياض الصالحين) للعلاَّمة الشيخ ابن علاَّن رحمه اللّه تعالى.

وهنا لا بدَّ من التنويه إلى أن كتاب (رياض الصالحين) قد لاقى قبولاً حسناً، في شتى أقطار المسلمين وديارهم، ببركة إخلاص مؤلفه، وانتشر انتشاراً باهراً بين المسلمين، فهو يُقرأ صباحَ مساءَ في المساجد، كما يُذاع في الإذاعة، وفي بعض القنوات الفضائية بعد كل أذان، ويحتاج إليه الخطباءُ، والعلماءُ، والوُعَّاظ في دروسهم ومواعظهم، لتنوع أبحاثه ومواضيعه، لهذا كانت الحاجةُ ماسةً إلى شرح موجزٍ ميسَّرٍ، يفهمه الخاصة والعامة، ليستفيد منه كل مسلم ومسلمة، ويقبس من مشكاة النبوة ما يضيء له طريق الخير والسعادة، وقد شرَّفنيَ اللّه عزَّ وجلَّ بتفسير كتابه العزيز، فأخرجت في كتب التفسير مؤلفات كثيرة، كما أكرمني بخدمة سنة نبيه ﷺ، فأخرجت بضعة كتب منها هذا الشرح المفيد لكتاب رياض الصالحين، لأكون من زمرة من خدم الكتاب والسنة بجهده المتواضع، واللّه أسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب الدعاء، وصلّى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

خادم الكتاب والسُّنَّة

الشيخ محمد علي الصابوني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله خالقِ الليلِ والنَّهار، تبصرةً وذكرى لأُولى الأبصار، والصلاة والسلام على النبي المختار، سيد الذاكرين وأفضل الشاكرين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه الأبرار الأطهار، ومن تبع سنَّتهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن شيخ الإسلام «الإمام النووي» رحمه الله طودٌ شامخ، وجبلٌ راسخ، في العلم، والتقى، والصلاح، قلَّ أن يجود الزمان بمثله، بارك الله له في حياته وعمره، فألَّف وصنَّف ودرَّس، وكان مع العلم تقياً، ورعاً، زاهداً، لم تشغله الدنيا عن عبادة ربه، ولم تُلْهه المناصبُ الرفيعة عن قول الحق، أمام أكابر الأمراء والسلاطين، بل كان يقول الحق لا يخشى في الله لومة لائم، طلَّق الدنيا وأقبل على الآخرة، وكان يتمثَّل بقول القائل:

إنَّ لـلَّـه عِـبَـاداً فُـطَـنَـا   طَـلَّـقُوا الـدُّنْـيَا وخَافُوا الفِتَنَا
نَـظَرُوا فـيـهـا فـلَـمَّا عَـلِـمُـوا   أنَّـهـا لَـيْـسَـتْ لِـحَـيٍّ سَـكَـنَـا
جَـعَـلُـوهـا لُـجَّـةً واتَّـخَـذُوا   صَـالِـحَ الأَعْـمَـالِ فِـيـهَـا سُـفُـنَـا

حاز الإمام النووي رحمه الله قَصَب السبق في «العلم والدراسة» حتى فاق الأقران، ثم أخذ في التصنيف والتأليف لما بلغ الثلاثين من العمر، وجمع بين العلم والعمل، ووفَّق بين العبادة والدراسة، فكان علماً بارزاً وطوداً شامخاً، وإماماً بارعاً، وحجةً ثقةً في علمه، ودينه، وإخلاصه.

ثناء العلماء عليه

يقول الإمام الحافظ بن كثير رحمه الله في ترجمته ما يلي: «وقد كان الإمام النووي من الزهادة، والعبادة، والورع، والتحري، والبعد عن الناس، على جانب كبير لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره، وكان يصوم معظم الأيام، ولا يجمع بين

إدامين، وكان غالب قوته مما يحمله إليه أبوه من نوى، وقد باشر تدريس الإقبالية نيابة عن ابن خلكان، وكذلك ناب في الفلكية والركفية، ووُلِّيَ مشيخة دار الحديث الأشرفية، وكان لا يُضيع شيئاً من أوقاته، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم[١] . . » إلى آخره، وقال عنه الإمام السبكي رحمه اللّٰه:

«الإمام النووي شيخ الإسلام، أستاذ المتأخرين، وحجةُ اللّٰه على اللاحقين، والداعي إلى سبيل السالفين. كان رحمه اللّٰه سيداً وحصوراً، وليثاً على النفوس هصوراً، وزاهداً لم يُبال بخراب الدنيا إذا صيَّر دينه ربعاً معموراً، له الزهدُ والقناعة، ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة، والمصابرة على أنواع الخير لا يصرف ساعة في غير طاعة، هذا مع التفنن في أصناف العلوم، فقهاً، ومتونَ أحاديثٍ، وأسماء رجال، ولغةً وصرفاً وغير ذلك. . وإذا أردت أن أُجْمِل تفاصيل فضله وأدلَّ الخلق على مبلغ مقداره، بمختصر القول وفصله، لم أزدْ على بيتين أنشدنيهما الشيخ الإمام الوالد رحمه اللّٰه، لما سكن في قاعة الحديث الأشرفية سنة اثنين وأربعين وسبعمائة، كان يخرج في الليل إلى إيوانها، ليتهجد على البساط الذي كان يجلس عليه الشيخ النووي وقت الدرس، فأنشدني الوالد:

وفي «دَارِ الحَديثِ» لَطِيفُ مَعْنى ... على بُسُطٍ لها أَصْبُو وَآوِي
عَسَى أَنْ أَمَسَّ بِحُرِّ وَجْهِي ... مَكَاناً مسَّهُ قَدَمُ النَّواوِي

ولد النووي ببلدة «نوى» وهي قرية قريبة من دمشق، وفيها نشأ وترعرع، ولما كان ابن تسع عشرة سنة، قدم به والده إلى دمشق، فسكن بالمدرسة الرواحية، وحفظ التنبيه في نحو أربعة أشهر، وحفظ ربع المهذب، ولازم الشيخ كمال الدين إسحاق المغربي، ثم حج مع والده ثم عاد، وكان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ، شرحاً وتصحيحاً، فقهاً وحديثاً، أصولاً ونحواً ولغة، إلى أن برع وبارك اللّٰه له في العمر اليسير ووهبه العلم الكثير[٢]

عُمرٌ مبارك

وإذا قسنا عمرهُ بآثاره التي تركها، نرى أن العمر يقصر عن تلك المؤلفات، ولكنَّ اللّٰه تعالى بارك له في وقته فمع قصر حياته ـ حيث عاش ـ ٤٦

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢٧٨.

(٢) شذرات الذهب ٥/ ٣٥٤.

ـ ستاً وأربعين سنة فقد ألف مجلداتٍ ضخمة، وكتباً عديدة، في كل فنّ من فنون العلوم، حتى غدا علمه قد شرّق وغرّب، واستفاد المسلمون من علومه ونتاجه، منذ عصره الغابر إلى يومنا هذا، وكلُّ ذلك ببركة صلاحه وإخلاصه، يقول الإمام النووي عن نفسه كما حكاه عنه ابن عماد الحنبلي في كتابه شذرات الذهب: (بارك الله لي في وقتي، وخطر لي الاشتغال بعلم الطب، فاشتريت كتاب «القانون» وعزمتُ على الاشتغال فيه، فأظلم عليّ قلبي، وبقيتُ أياماً منقبض النفس، لا أقدر على الاشتغال بشيء، ففكرّتُ في أمري، ومن أين دخل عليَّ هذا الشيء، فألهمني الله أن سببه اشتغالي بالطب، فبعتُ كتاب الطب في الحال، ورجعتُ إلى علوم الشريعة، فاستنار قلبي)[١] وهكذا هيَّأه الله لخدمة شرعه ودينه، لينتقل من طب الأجسام إلى طب الأرواح، رحمه الله تعالى

نشأته وولادته

اسمه محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي نسبة إلى «نوى» من سوريا بمنطقة الجولان قريباً من حوران، ولد في شهر المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة هجرية، وفي تلك القرية نشأ وترعرع، ولما بلغ من العمر سبع سنين رأى ليلة القدر، فقد كان نائماً بجوار والده، فانتبه فجأة نحو نصف الليل، وقال يا أبتِ ما هذا الضوء الساطع الذي ملأ الدار؟ ـ وكانت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ـ فاستيقظ أبوه وأهله جميعاً فلم يروا شيئاً، قال والده: فعرفت أنها كانت ليلة القدر.

وذكر أحد شيوخه الصلحاء وهو الشيخ الإمام ياسين الزركشي عن الإمام النووي قال: رأيت الشيخ محيي الدين وهو ابن عشر سنين بنوى، والصبيان يُكْرِهونه على اللعب معهم، وهو يهرب منهم ويبكي، ويقرأ القرآن في تلك الحال، قال فوقع في قلبي حبه، وجعله أبوه في دكان له ليبيع ويشتري، فجعل لا يشتغل بالبيع والشراء عن تلاوة القرآن، قال: فأتيت الذي يقرئه القرآن فوصيته به وقلت: هذا الصبي يُرجى أن يكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم، وينتفع الناس به، فقال لي: منجّم أنت؟ قلت: لا، وإنما أنطقني الله بذلك، فذكر الشيخ المقرئ ذلك لوالده، فحرص عليه إلى أن ختم القرآن وقد ناهز الاحتلام.

---

(١) انظر شذرات الذهب ٥/ ٣٥٤ لابن عماد الحنبلي.

مصنفاته ومؤلفاته

ألف الإمام رحمه اللّه كتباً كثيرة، وصنّف مجلداتٍ ضخمة، تزيد على الثلاثين مصنفاً نذكر منها الكتب الآتية: «شرح صحيح مسلم» و«شرح المهذب» و«الروضة» و«المنهاج» و«الإرشاد في علم الحديث» و«التقريب والتيسير» و«والتبيان في آداب حملة القرآن» و«تحرير ألفاظ التنبيه» و«بستان العارفين» و«مختصر أسد الغابة» و«المبهمات» و«الإيجاز» و«الإيضاح في المناسك» و«طبقات الفقهاء» و«تهذيب الأسماء واللغات» و«مناقب الإمام الشافعي» وكتاب «الأذكار من كلام سيد الأبرار» وكتاب «رياض الصالحين» وهو هذا الكتاب الذي نقدّمه للسادة القراء، بعد أن قمنا بشرحه، وغير ذلك من الكتب الكثيرة التي نفع اللّه بها المسلمين، ببركة الشيخ الإمام وصدقه وإخلاصه[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر ترجمة المؤلف في المراجع الآتية:
تذكرة الحفاظ ٤/ ٢٥٠ وطبقات الشافعية ٨/ ٣٩٥ والنجوم الزاهرة ٧/ ٦٧٦ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٧٨ ومرآة الجنان ٢/ ١٨٢ وشذرات الذهب ٥/ ٣٥٤ ومفتاح السعادة ١/ ٣٩٨ وكشف الظنون ١/ ١١٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، مُكَوِّرِ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ[(١)]، تَذْكِرَةً لأُولِي الْقُلُوبِ وَالأَبْصَارِ، وَتَبْصِرَةً لِذَوِي الأَلْبَابِ[(٢)] وَالاعْتِبَارِ، الَّذِي أَيْقَظَ مِنْ خَلْقِهِ مَنِ اصْطَفَاهُ[(٣)] فَزَهَّدَهُمْ فِي هذِهِ الدَّارِ، وَشَغَلَهُمْ بِمُرَاقَبَتِهِ وَإِدَامَةِ الأَفْكَارِ، وَمُلَازَمَةِ الاتِّعَاظِ وَالادِّكَارِ[(٤)]، وَوَفَّقَهُمْ لِلدُّؤُوبِ[(٥)] فِي طَاعَتِهِ، وَالتَّأَهُّبِ لِدَارِ الْقَرَارِ، وَالْحَذَرِ مِمَّا يُسْخِطُهُ وَيُوجِبُ دَارَ الْبَوَارِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى ذَلِكَ مَعَ تَغَايُرِ الأَحْوَالِ وَالأَطْوَارِ[(٦)].

أَحْمَدُهُ أَبْلَغَ حَمْدٍ وَأَزْكَاهُ، وَأَشْمَلَه وَأَنْمَاه[(٧)] وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ الْبَرُّ[(٨)] الْكَرِيمُ، الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، الْهَادِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَالدَّاعِي إِلَى دِينٍ قَوِيمٍ. صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ، وَآلِ كُلٍّ، وَسَائِرِ الصَّالِحِينَ.

أَما بعدُ: فقد قال اللّه تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧] وَهٰذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّهُمْ خُلِقُوا لِلْعِبَادَةِ، فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الاعْتِنَاءُ بِمَا خُلِقُوا لَهُ وَالإِعْرَاضُ عَنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا[(٩)]

---

(١) أي يدخل هذا على هذا.
(٢) جمع لب: أي العقول.
(٣) أي اختاره.
(٤) أصله الاذتكار بمعنى التذكُّر والاعتبار.
(٥) أي المداومة والاجتهاد.
(٦) أي الاختلاف في الخَلق والخُلق.
(٧) أكمله وأتمّه.
(٨) العطوف على عباده برحمته ولطفه.
(٩) أي الترفهات المعتادة الزائدة.

بالزَّهَادَةِ، فَإِنَّهَا دَارُ نَفَادٍ لا مَحَلُّ إِخْلَادٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لا مَنْزِلُ حُبُورٍ[١]، وَمَشْرعُ انْفِصَامٍ لا مَوْطِنُ دَوَامٍ. فَلِهذَا كَانَ الأَيقَاظُ[٢] مِنْ أَهْلِهَا هُمُ الْعُبَّادَ، وَأَعْقَلُ النَّاسِ فِيهَا هُم الزُّهَّادَ. قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] والآيات في هذا المعنى كَثِيرةٌ. ولقد أَحْسَنَ القَائِلُ:

إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً فُطَناً[٣] طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الفِتَنَا[٤]
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً[٥] واتَّخَذُوا صَالِحَ الأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا

فإذا كان حالُها ما وصفْتُهُ، وحالُنَا وَمَا خُلِقْنَا لَهُ مَا قَدَّمْتُهُ فَحَقٌّ على المُكَلَّفِ أَنْ يَذْهَبَ بِنَفْسِهِ مَذْهَبَ الأَخْيَارِ، وَيَسْلُكَ مَسْلَكَ أُولِي النُّهَى والأَبْصَارِ، وَيَتَأَهَّبَ لمَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ، وَيَهْتَمَّ بِمَا نَبَّهْتُ عَلَيْهِ، وَأَصْوَبُ طريقٍ له في ذلِكَ، وَأَرْشَدُ مَا يَسْلُكُهُ مِنَ المَسَالِكِ: التَّأَدُّبُ بِمَا صَحَّ عَنْ نَبِيِّنَا سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَأَكْرَمِ السَّابِقِينَ وَاللَّاحقينَ. صَلَواتُ اللّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] وَقَدْ صَحَّ عَنْ رسول اللّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «واللّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» وَأَنَّهُ قَالَ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» وَأَنَّهُ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً» وَأَنَّهُ قَالَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللّه عَنْهُ: «فَوَاللّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».

---

(١) أي إنها مركب يتوصل به إلى الآخرة وليست منزل فرح وسرور.
(٢) جمع يقظ أي متيقّظ متنبه.
(٣) جمع فطن: وهو مَنْ له عقل.
(٤) جمع فتنة: وهي الامتحان والاختبار.
(٥) المراد أنهم جعلوها بمثابة البحر الذي يتوصل بالعبور فيه إلى المقصد.

فَرَأَيْتُ أَنْ أَجْمَعَ مُخْتَصَراً مِنَ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، مشتَمِلاً عَلَى مَا يَكُونُ طَرِيقاً لِصَاحِبِهِ إِلَى الآخِرَةِ، وَمُحَصِّلاً لآدَابِهِ البَاطِنَةِ والظَّاهِرَةِ، جَامِعاً لِلتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، وَسَائِرِ أَنْواعِ آدَابِ السَّالِكِينَ، مِنْ أَحَادِيثِ الزُّهْدِ، وَرِيَاضَاتِ النُّفُوسِ، وَتَهْذِيبِ الأَخْلَاقِ، وَطَهَارَاتِ القُلُوبِ وَعِلاجِهَا، وَصِيَانَةِ الجَوَارِحِ وَإِزَالَةِ اعْوِجَاجِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَقَاصِدِ العَارِفِينَ.

وَأَلْتَزِمُ فِيهِ أَنْ لا أَذْكُرَ إِلَّا حَدِيثاً صَحِيحاً[1] مِنَ الوَاضِحَاتِ، مُضَافاً إِلَى الكُتُبِ الصَّحِيحَةِ المَشْهُورَاتِ[2]، وَأُصَدِّرَ الأَبْوَابَ مِنَ القُرْآنِ الْعَزِيزِ، بآيَاتٍ كَرِيمَاتٍ، وَأُوَشِّحَ[3] مَا يَحْتَاجُ إِلَى ضَبْطٍ، أَوْ شَرْحِ مَعْنَىً خَفِيٍّ، بِنَفَائِسَ[4] مِنَ التَّنْبِيهَاتِ. وَإِذَا قُلْتُ فِي آخِرِ حَدِيثٍ: «مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ»، فَمَعْنَاهُ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ ومسلم.

وَأَرْجُو إِنْ تَمَّ هَذَا الكِتَابُ، أَنْ يَكُونَ سَائِقاً لِلْمُعْتَنِي[5] بِهِ إِلَى الخَيْرَاتِ، حَاجِزاً لَهُ عَنْ أَنْوَاعِ القَبَائِحِ[6] وَالْمُهْلِكَاتِ[7]. وَأَنَا سَائِلٌ أَخاً انْتَفَعَ بِشَيْءٍ مِنْهُ، أَنْ يَدْعُوَ لِي، وَلِوَالِدَيَّ، وَمَشَايِخِي، وَسَائِرِ أَحْبَابِنَا، وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ اعْتِمَادِي. وَإِلَيْهِ تَفْوِيضِي وَاسْتِنَادِي، وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بَاللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) أي مقبولاً فشمل الحسن ولو لغيره.

(٢) وهي الصحيحان وأكثر ما هنا منهما والسنن لأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وكذا مستدرك الحاكم.

(٣) بيان ما قد يشتبه من الحركات.

(٤) جمع نفيسة وهو ما يرغب فيه من علم أو مال أو نحو ذلك.

(٥) أي لصاحب العناية.

(٦) الرذائل.

(٧) الموقعة لصاحبها في الهلاك والعذاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

باب في الإخلاص وإحضار النيّة في جميع الأعمال، والأقوال، والأحوال، البارزة والخفية

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[١] [البينة: ٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[٢] [الحج: ٣٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٢٩].

١ ـ وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ[٣] عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ[٤]، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّه وَرَسُوله، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» مُتَّفَقٌ عَلَى صِحتِهِ.

٢ ـ وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ «عَائِشَةَ» رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ[٥] مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ،

---

(١) ﴿مخلصين له الدين حُنفاء..﴾ الآية.
الإخلاصُ. أن ينوي بقوله وعمله وجهَ اللّه تعالى، لاثناء الناس، (حنفاء) أي مائلين عن جميع الأديان إلى الدين الحقّ (دين الإسلام).

(٢) ﴿لن ينال اللّه لحومُها..﴾ الآية.
أي لن يصل إلى اللّه تعالى شيء من لحومها ولا دمائها، ولكن يصل إليه التقوى منكم، بامتثالكم أوامره، وطلبكم رضوانه.

(٣) كنّاه رسول اللّه ﷺ بذلك، قال عمر: وإنه لأول يوم كنّاني فيه رسول اللّه ﷺ (أبا حفص). أسلم بعد أربعين رجلاً، وكان إسلامه عزاً للمسلمين بدعوة النبي ﷺ.

(٤) قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» أي كمالُ الأعمال، وصحةُ الأعمال بما ينويه الإنسان، فاللّه سبحانه لا يجازي على العمل فحسب، بل يعامل على قصد الإنسان ونيّته، من خير أو شر، فمن قصد بهجرته نصرة الدين أثابه اللّه، ومن قصد النكاح أو تجارة الدنيا حُرم أجر المهاجرين.

(٥) «ببيداء» أي فلاة أو صحراء.

وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ[١] وَمَنْ لَيسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وهَذَا لَفْظُ البُخَارِيِّ.

٣ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ[٢]، وَلٰكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»[٣] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَمَعْنَاهُ: لَا هِجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ لأَنَّهَا صَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ.

٤ ـ وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَقَال: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِياً، إِلَّا كَانُوا مَعَكُم، حَبَسَهُمُ[٤] المَرَضُ..».

وَفِي رِوايَةٍ: «إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الأَجْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وروَاهُ البُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَقْوَاماً خَلْفَنَا بالْمَدِينَةِ، مَا سَلَكْنَا شِعْباً[٥] وَلَا وَادِياً إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمُ العُذْرُ».

٥ ـ وَعَنْ أَبِي يَزِيدَ مَعْنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الأَخْنَسِ رضي اللَّهُ عَنْهُمْ ـ وَهُوَ وَأَبُوهُ وَجَدُّهُ صَحَابِيُّونَ ـ قَالَ: كَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي المَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ!! فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ ﷺ: «لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ ما أَخَذْتَ يَا مَعْنُ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

---

(١) «أسواقهم»: يعني العامة من الناس الرَّعاع، الذين لا يعرفون لماذا خرجوا؟ وفي الحديث التحذير من مصاحبة أهل الظلم والعصيان، فالعقاب إذا نزل عمَّ الصالح والطالح.

(٢) «لا هجرةَ بعد الفتح» يعني «فتح مكة» لأن بفتح مكة عزَّ الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، والهجرةُ إنما وجبت لأن المسلمين بمكة كانوا مستضعفين، لا يستطيعون إقامة شعائر دينهم، وبعد فتح مكة كثر المسلمون، وأصبحوا قوة يهابهم الأعداء، فلم يبق داعٍ للهجرة من مكة، وبقي جهاد الأعداء واجباً، وفيه الطاعة باقية.

(٣) «وإذا استنفرتم فانفروا» أي إذا طُلب منكم الخروج للجهاد وقتال الأعداء، فاخرجوا ولا تخلدوا إلى الراحة.

(٤) «حَبَسَهم المرضُ» أي منعهم المرضُ من الخروج، أو عدم وجود المراكب، وفي الحديث دلالة واضحة على أن نيّة المرء مثلُ عمله، فضلاً من الله تعالى وكرماً.

(٥) الشعب: الطريق بين الجبلين.

٦ ـ وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أبي وَقَّاصٍ أَحَدِ الْعَشَرَةِ المشهود لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمْ، قَالَ: «جَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، مِنْ وَجعٍ اشْتَدَّ بِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الوَجَعِ مَا تَرَى!! وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَالشَّطْرُ[١] يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: لَا، قُلْتُ: فَالثُّلُثُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ، كَثِيرٌ ـ أَوْ كَبِيرٌ ـ إِنكَ أَنْ تَذَرَ[٢] وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً[٣] يَتَكَفَّفُونَ النَّاس، وإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ[٤]. قَال: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي[٥]؟ قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ[٦] فَتَعْمَلَ عَمَلاً تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ، وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ. اللَّهُمَّ أَمْضِ[٧] لأَصْحَابِي هِجْرَتَهُم، وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ لَكِنِ البَائِسُ «سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ!» رثى[٨] لَهُ رسول اللَّه ﷺ، أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيه.

٧ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[٩] «عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ صخْرٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ

---

(١) «قلت فالشطرُ» أي أفتصدَّق بنصف مالي؟ قال: لا «والثلث كثير» أي ثلث المال كثير أيضاً، وفي الحديث «إن اللّه تعالى تصدَّق عليكم في آخر أعماركم بثلث أموالكم، تضعونه حيث شئتم» وفيه دلالة على أن الوصية لا تصحُّ بأكثر من الثلث.

(٢) «أن تَذَر»: أي تترك الورثة أغنياء.

(٣) «تذرهم عالة» أي فقراء «يتكففون الناس» يستجدون الناسَ ويسألونهم العطاء لحاجتهم وفقرهم.

(٤) «في في امرأتك» أي في فم امرأتك، فالثانية بمعنى الفم.

(٥) «أُخلَّف بعد أصحابي» معناه: هل سأبقى بمكة بعد انصراف أصحابي؟ قاله إشفاقاً من موته بمكة، لأنه هاجر منها وتركها للّه تعالى، فخشي أن يقدح ذلك في هجرته.

(٦) «لن تُخلَّف» المراد بالتخلف هنا: طول العمر.

(٧) «أمضي» أتمم لهم هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم بترك الهجرة.

(٨) «رثى له رسول اللّه» هذا من كلام الراوي، وليس من كلام النبي ﷺ، يتوجَّع له رسول اللّه لكونه مات بمكة.

(٩) «أبو هريرة» هذه كنيته، واسمه «عبد الرحمن بن صخر الدَّوْسي» كانت له هرة يتسلَّى بها ويضعها في كُمِّه في النهار أحياناً، ولذلك كنيَ بأبي هريرة.

رَسُولُ اللّه ﷺ: «إِنَّ اللّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ[١]، وَلٰكِنْ يَنْظُرُ إِلى قُلُوبِكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٨ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى «عَبْدِ اللّهِ بْنِ قَيْسٍ الأَشْعَرِيِّ» رضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: «سُئِلَ رسول اللّه ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقاتِلُ شَجَاعَةً[٢]، ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً[٣]، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً[٤]، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللّهِ؟ فَقَالَ رسول اللّهِ ﷺ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللّهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

٩ ـ وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ «نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ الثَّقَفِيِّ» رَضِيَ اللّهُ عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقتُولُ فِي النَّارِ[٥]، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصاً عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَال: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ[٦]، تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ فِي بيته، وصلاتِهِ فِي سُوقِهِ بِضْعاً وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وَذلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ، لا يَنْهَزُهُ[٧] إِلَّا الصَّلاَةُ، لاَ يُرِيدُ إِلَّا الصَّلاَة، لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ،

---

(١) «لا ينظر إلى صوركم» يعني لا يثيبكم ويجازيكم على أشكالكم وصوركم، من بياض أو سواد، أو طول أو قصر، وإنما يجازيكم على ما في قلوبكم من الخير أو الشر.

(٢) «يقاتل شجاعة» أي يقاتل ليرى أنه شجاع مقدام لا يخاف من الأعداء.

(٣) «حمية» أي يقاتل دفاعاً عن عشيرته وعصبيّة لها، سواء كان القتال بحقّ أو باطل، كما قال القائل:

ومـا أنـا إلّا مـن غُـزَيَّـة إن غَـوَتْ غـويـتُ وإن تـرشـد غُـزيـةُ أرشـد

(٤) «رياء» يقاتل طلباً للشهرة، لا لوجه اللّه.

(٥) «كلمةُ اللّه» أي لإعلاء دين الإسلام، لا لشيء ممّا تقدم، فهذا هو المجاهد في سبيل اللّه، الذي ينال أجر الجهاد. وقوله ﷺ: «القاتل والمقتول في النار» أمّا القاتلُ فلكونه أقدم على القتل وباشره، وأما المقتول فلعزمه على قتل صاحبه، لو تمكّن منه وسبق إليه، فالقاتل دخل النار بالعمل، والمقتول بالنية والعزم.

(٦) «في جماعة» أي صلاته مع الجماعة في المسجد، يتضاعف ثوابها إلى سبع وعشرين درجة كما جاء في رواية مسلم، والبضعُ: هو العددُ من الثلاثة إلى العشرة.

(٧) «لا يَنْهزُهُ» أي لا يُخرجه من بيته ويُنهضه إلا الصلاة لا شيءٌ آخر.

وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ[١]، حَتَّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ، كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتِ الصَّلاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ[٢]، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ[٣] عَلَى أَحَدِكُمْ، مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ[٤]، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ» مُتَّفَقٌ عليه، وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِم.

١١ ـ وَعَنْ أبي الْعَبَّاس «عَبْدِ اللَّهِ بْن عَبَّاس» رَضِيَ اللَّه عنهما، عَنْ رسول اللَّه ﷺ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وجَلَّ[٥] قالَ: «إِنَّ اللَّه كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ[٦] فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً. وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ، إلى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا[٧]، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» مُتَّفَقٌ عَليه.

١٢ ـ وعن أَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ «عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ» رضي اللَّهُ عَنهما قال: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،

---

(١) «حُطَّ عنه بها خطيئة» أي مُحيت عنه خطيئة بكل خُطوةٍ خطاها إلى المسجد.

(٢) «تحبسه» أي ما دامت الصلاة تمنعه من الخروج من المسجد لأنه يريد أداءها.

(٣) «يُصلّون على أحدكم» أي يدعون له بالرحمة والمغفرة ما دام جالساً في المسجد.

(٤) «ما لم يؤذ» فسّره ﷺ بالحدث، وهو خروج الريح أو الصوت.
أقول: ما أعظم فضل اللَّه على عباده المصلّين!! لهم بكل خطوة يخطونها إلى المسجد حسنة، وتمحى عنهم بها سيئة، ثم دعاء الملائكة لهم بالمغفرة والرحمة، ما داموا في المسجد، ودعاء الملائكة مستجاب عند اللَّه تعالى.!

(٥) «فيما يروي عن ربه» أي في الحديث القدسي وهو أعلى مرتبةً من الحديث الشريف، ودون القرآن الكريم، اللفظ يكون فيه من عند الرسول ﷺ، والمعنى من عند اللَّه.

(٦) «همّ بحسنة» أي عزم على فعل شيء من الخير، أعطاه اللَّه الأجر على نيّته ولو لم يفعل ذلك، فإن فعله كان أجره مضاعفاً إلى عشرة أضعاف إلى سبعمائة.

(٧) «همّ بسيئة فلم يعملها» تركها خوفاً من اللَّه، فإن اللَّه يكتبها له حسنة، فإن فعل السيئة كُتبت عليه واحدة، وانظر أخي المسلم إلى فضل اللَّه، وسعة رحمته وكرمه، السيئة إذا لم يعملها كتبت له بها حسنة، وإذا عملها كُتبت عليه سيئة واحدة.. والحسنةُ إذا لم يعملها وقد عزم عليها، تكتب له بها حسنة بالنيّة الطيبة، وإذا عملها كُتبت له عشراً، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة لا يعلمها إلا اللَّه، وهذا كقوله تعالى: **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾** وويل لمن غلبت سيئاته على حسناته!!

حَتَّى آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فانحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمالِكُمْ!! قال رجلٌ مِنهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ[1] قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلَا مَالاً. فَنَأَى بي طَلَبُ الشَّجَرِ[2] يَوْماً فَلَمْ أُرِحْ[3] عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْت لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ فَكَرِهت أَنْ أُوقظَهُمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ ـ وَالقَدَحُ عَلَى يَدِي ـ أَنْتَظِرُ اسْتِيقاظَهُمَا، حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ[4] عِنْدَ قَدَمِي ـ فاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ!! فَانْفَرَجَتْ[5] شَيْئاً لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهُ. قَال الآخر: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، وكُنتُ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفسها[6] فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ[7] مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمَائَةَ دِينَارٍ، عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجلَيْهَا، قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلا تَفُضَّ الْخَاتَمَ[8] إِلَّا بِحَقِّهِ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوج مِنْهَا. وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ[9] حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ،

---

(١) «لا أَغبِق قبلهما» الغَبُوق: هو الشراب بالمساء من الحليب أو اللبن، أي لا أقدِّم في الشرب على والديَّ أحداً، لا من زوجة وولد، ولا من رقيق وخادم.

(٢) «فنأى بي طلب الشجر» أي ابتعد بي طلب المرعى للغنم.

(٣) «فلم أُرِح عليهما» أي فلم أرجع إلى والديَّ حتى ناما وكرهت إيقاظهما.

(٤) «والصبيةُ يتضاغون» أي يبكون ويصيحون من الجوع.

(٥) «فانفرجت» أي تزحزحت الصخرة شيئاً قليلاً، لا يستطيعون الخروج معه.

(٦) «فأردتها على نفسها» أي فراودتها عن نفسها للزنى بها، فأصرت وامتنعت.

(٧) «ألمت بها سنة» أي نزلت بها ضائقة وشدة في سنة مجدبة.

(٨) «لا تفضَّ الخاتم» كناية عن البكارة، أي لا تقربني ولا تزل بكارتي، إلا بالزواج الذي شرعه الله.

(٩) «فثمَّرْتُ أجره» أي كثَّرت له أجرته ونميّتها له بالتجارة، حتى فاضت أمواله وكثرت، =

فَجَاءَنِي بَعْدَ حِين، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي!! فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ: مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ. فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي! فَقُلْتُ: لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتَاقَهُ فَلَمْ يترك مِنْهُ شَيْئاً، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

۞ ۞ ۞

بَابٌ في التّوبة

قال العلماء: التَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَإِنْ كَانَتِ المَعْصِيَةُ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، ولا تَتَعَلَّقُ بِحَقِّ آدَمِيٍّ؛ فَلَهَا ثَلاثَةُ شُرُوطٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يُقْلِعَ عَنِ المَعْصِيَةِ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا.

وَالثَّالِثُ: أَنْ يَعْزِمَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهَا أَبَداً.

فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوْبَتُهُ.

وَإِنْ كَانَتِ المَعْصِيَةُ تَتَعَلَّقُ بآدَمِيٍّ فَشُرُوطُهَا أَرْبَعَةٌ: هٰذِهِ الثَّلَاثَةُ، وَأَنْ يَبْرَأَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِها؛ فَإِنْ كَانَتْ مَالاً أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَتْ حَدَّ قَذْفٍ وَنَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَو طَلَبَ عَفْوَهُ، وَإِنْ كَانَتْ غِيبَةً اسْتَحَلَّهُ مِنْهَا، وَيجِبُ أَنْ يَتُوبَ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ، فَإِنْ تَابَ مِنْ بَعْضِهَا صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ، مِنْ ذلِكَ الذَّنْبِ، وبَقِيَ عَلَيْهِ البَاقِي، وقَدْ تَظَاهَرَتْ دَلائِلُ الكتَابِ، والسُّنَّةِ، وإجْماعُ الأُمَّةِ عَلَى وجُوبِ التَّوْبَةِ.

قَالَ اللَّه تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣].

= فأصبح له وادٍ من الإبل، ووادٍ من البقر، ووادٍ من الغنم.

وفي الحديث: دلالة على التوسل بالعمل الصالح، وفضل بر الوالدين وإيثارهما على الزوجة والولد، وفضل العفاف وترك الزنى خوفاً من الله، وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة، وفيه إثبات كرامة الأولياء، لأن خروجهم من الغار كان كرامة لهم من الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[١] [التحريم: ٨].

١٣ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «واللهِ إنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وأَتُوبُ إِلَيْهِ في اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

١٤ ـ وعَن الأَغَرِّ بْنِ يَسار المُزَنِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إلى اللهِ واسْتَغْفِرُوهُ فإنِّي أَتُوبُ فِي اليَوْمِ مَائَةَ مَرَّةٍ» رَوَاهُ مسلم.

١٥ ـ وَعَنْ أَبِي حَمْزَةَ «أَنَسِ بن مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ» خَادِمِ رسول الله ﷺ، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ[٣]، وَقد أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلاةٍ» مُتَّفَقٌ عليه. وفي رواية لمُسْلم: «للهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، كان على رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا[٤] فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، وقد أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذلِكَ، إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا[٥]، ثُمَّ قَالَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبدِي وَأَنا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ».

١٦ ـ وَعَن أَبِي مُوسى عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيسٍ الأَشْعَرِيِّ رضِي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قَال: «إِن الله تعالى يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ[٦] لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ

---

(١) ﴿تَوبَةً نَصُوحاً﴾ أي توبة صادقة خالصة، بالغة في النصح الغاية القصوى، وسُئل عمر رضي الله عنه عن «التوبة النصوح» فقال: هي أن يتوب ثم لا يعودَ إلى الذنب، كما لا يعودُ اللَّبنُ إلى الضَّرْع.

(٢) «أتوب في اليوم سبعين مرة» توبتُه ﷺ سبعين مرة، أو مائة مرة كما في الرواية الثانية، ليست من الذنوب والمعاصي، إنما هي إرشاد للأمة، إلى الإقبال على الله بالاستغفار والتوبة، لأن كل ابن آدم خطاء، وخير الخطّائين التوّابون.

(٣) «سقط على بعيره» أي صادفه من غير قصد ورآه ماثلاً أمامه.

(٤) «أيس منها» أي يئس من رجوع دابته إليه.

(٥) «فأخذ بخطامها» أي أمسك بالحبل الذي يوضع في عنقها.

وهذا الحديث محمول على التمثيل، أي كيف تكون فرحة من أضاع دابته وأيقن بالموت، ثم وجدها وعليها طعامه وشرابه؟ ألا تكون شديدة وعظيمة؟ ففرحة الله بتوبة عبده المؤمن أشدّ وأعظم، ومن شدة دهشته وفرحه، أخطأ في شكر ربه فقال: اللَّهمَ أنت عبدي وأنا ربك!

(٦) «يبسط يده بالليل» كناية عن سعة رحمة الله، وتوبته على عباده، أي يفتح أبواب الرحمة =

بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبها» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٧ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّه عَلَيْهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨ ـ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَن عَبْدِ اللَّهِ بن عُمَرَ بن الخَطَّابِ رضي اللَّه عنهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»[١] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٩ ـ وَعَنْ زِرِّ بْن حُبَيْشٍ قَالَ: «أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ رضِي اللَّه عَنْهُ أَسْأَلُهُ عَنِ المَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا زِرُّ؟ فَقُلْتُ: ابْتِغَاءَ العِلْمِ!! فَقَالَ: «إِنَّ المَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضىً بِمَا يَطْلُبُ»، فَقُلْتُ: إِنَّه قَدْ حَكَّ فِي صَدْرِي[٢] المَسْحُ عَلَى الخُفَّيْنِ، بَعْدَ الغَائِطِ وَالبَوْلِ؟ وكُنْتَ امْرءاً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَجِئْتُ أَسْأَلُكَ: هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي ذلِكَ شَيْئاً؟ قَالَ: نَعَمْ، كَانَ يَأْمُرنَا إِذَا كُنَّا سَفراً[٣] ـ أَوْ مُسَافِرِينَ ـ أَنْ لَا نَنْزعَ خِفَافَنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهِنَّ، إِلَّا مِنْ جَنابَةٍ، لَكِنْ مِنْ غَائِطٍ[٤] وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ. فَقُلْتُ: هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُر فِي الْهَوَى شَيْئاً[٥]؟ قَالَ: نَعَمْ كُنَّا مَعَ رَسول اللَّهِ ﷺ في سَفَرٍ، فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ نَادَاهُ أَعْرَابيٌّ بصَوْتٍ لَهُ جَهْوَرِيٍّ[٦]: يَا مُحَمَّدُ، فَأَجَابَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَحْواً مِنْ صَوْتِهِ:

= بالليل، ليتوب من أذنب بالنهار، وكذلك يفتح أبواب الرحمة بالنهار، ليتوب من أساء بالليل، حتى تظهر علامة الساعة الكبرى، وهي طلوع الشمس من مغربها فيغلق باب التوبة.

(١) «ما لم يُغرغر» أي ما لم تصل الروح إلى الحلقوم، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾ وإنما لم تقبل التوبةُ لرؤيته ملائكة العذاب.

(٢) «حكَّ في صدري» أي وقع في نفسي الشكُّ في أمر المسح على الخفين، بعد التبوُّل أو التغوط، هل يجوز المسح أم لا؟

(٣) «سَفراً» أي مسافرين.

(٤) «لكنْ من غائط» أي نمسح على الخفِّ من الغائط، أو البول، أو النوم، ولا نمسح من الجنابة، بل يجب غسل جميع البدن، لأن المسح على الخفين يكون من الحَدَث الأصغر.

(٥) «في الهوى» أي في محبة الإنسان شخصاً أو صديقاً.

(٦) «صوت جهوري» أي صوت مرتفع عالي شديد يسمعه الناسُ، ومعنى (هاؤم) أي ها أنا ذا أمامك.

«هَاؤُمْ» فَقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ(١) فَإِنَّكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ نُهِيتَ عَنْ هَذَا! فقال: وَاللَّهِ لا أَغْضُضُ. قَالَ الأَعْرَابِيُّ: الْمَرْءُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَمَا زَالَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى ذَكَر بَاباً مِنَ الْمَغْرِبِ مَسِيرَةُ عَرْضِهِ أَوْ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي عَرْضِهِ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَاماً. قَالَ سُفْيَانُ أَحَدُ الرُّوَاةِ: «قِبَلَ الشَّامِ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مَفْتُوحاً لِلتَّوْبَةِ، لا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وغيرُهُ وقَالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٢٠ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ «سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ» الْخُدْرِيِّ رضي اللَّهُ عنه أَنَّ نَبِيَّ اللَّه ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَم أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ(٢)، فَأَتَاهُ فَقَال: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفساً، فهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقالَ: لا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَم أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فقالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ(٣) بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاساً يَعْبُدُونَ اللَّه تعالى فَاعْبُدِ اللَّه مَعَهُمْ، وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ، فانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ(٤) أَتَاهُ الْمَوْتُ، فاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَملائكَةُ الْعَذَابِ. فَقَالَتْ مَلائكةُ الرَّحْمَةِ(٥): جَاءَ تَائِباً مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ تعالى. وقالَتْ مَلائكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ ـ أَيْ حَكَماً ـ فَقالَ: قِيسُوا ما بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهما كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائكَةُ الرَّحْمَة» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «اغضُضْ من صوتك» أي اخفض صوتك ولا ترفعه عالياً في حضرة الرسول ﷺ.

(٢) «دُلَّ على رجل راهب» أي عابد من عُبَّاد بني إسرائيل لا يعرف الأمور الدينية، فأفتاه بعدم قبول توبته، فقتله لأنه سدّ عليه أبواب التوبة والرحمة، فصار عدد الذين قتلهم مائة شخص.

(٣) «ومن يحول» أي من يستطيع أن يمنع بينك وبين التوبة؟

(٤) «نَصَفَ الطريق» أي وصل إلى منتصف الطريق قُبضت روحه.

(٥) في هذا الحديث بيان فضل التوبة مهما كثرت الذنوب، وفضل العلم على العبادة مع الجهل. وفضلُ مصاحبة الصالحين، فقد دلَّه العالم على مصاحبة الصالحين في القرية الأخرى، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

وفي روايةٍ في الصحيح: «فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وإِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوَجَدُوهُ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ».

٢١ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ـ وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ ـ قَالَ: سَمِعْتُ «كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ» رَضِيَ اللَّه عَنْهُ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِهِ حِينَ تَخَلَّفَ عن رسول اللَّه ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: «لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رسول اللَّه ﷺ، في غَزْوَةٍ قَطُّ، إلَّا في غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ في غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهُ، إِنَّمَا خَرَجَ رسول اللَّه ﷺ والمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عيرَ قُرَيْشٍ[1]، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسولِ اللَّهِ لَيْلَةَ العَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلَامِ[2]، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا. وَكَانَ مِنْ خَبَرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رسولِ اللَّه ﷺ، في غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوى وَلا أَيْسَرَ مِنِّي، حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رسول اللَّه ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا[3]. حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ، فَغَزَاهَا رسول اللَّه ﷺ في حَرٍّ شَدِيد، وَاسْتَقْبَلَ سَفَراً بَعِيداً وَمَفَازاً[4]، واسْتَقْبَلَ عَدَداً كَثِيراً، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ»[5]، فَأَخْبَرَهُمْ الَّذِي يُرِيدُ، وَالمُسْلِمُونَ مَعَ رَسولِ اللَّهِ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ «يُرِيدُ بِذَلِكَ الدِّيوَانَ» قَالَ كَعْبٌ: فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ، إِلَّا ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَخْفَى بِهِ مَا لَمْ يَنْزِل فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّه، وَغَزَا رسول اللَّه ﷺ تِلْكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ[6]، فَتَجَهَّزَ رسول اللَّه ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَطَفِقْتُ أَغْدُو[7] لِكَيْ أَتَجَهَّزَ

---

(١) «يريدون عير قريش» أي الإبل التي كانت عليها تجارة قريش.

(٢) «حين تواثقنا على الإسلام» أي تبايعنا وتعاهدنا عليه، وهذه البيعة هي المشهورة بـ«بيعة العقبة».

(٣) «ورَّى بغيرها» أي أوهم أنه يريد غيرها، لأن الحرب خدعة.

(٤) «ومفازاً» أي بريَّة وصحراء قليلة الماء، فسيحة الأرجاء.

(٥) «أهبة غزوهم» أي كشف ﷺ للمسلمين عن هذه السفرة، ليتأهبوا ويستعدُّوا لها بكل ما لديهم من قدرة وطاقة.

(٦) «فأنا إليها أصْعَرُ» أي نفسي تميلُ وتشتهي الثمارَ، وظلالَ الأشجار.

(٧) «وطفقت أغدو» أي شرعت أريد الخروج مع رسول اللَّه ﷺ ولم يتيسر لي.

مَعَهُ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي، حَتَّى اسْتَمَرَّ بالنَّاسِ الجِدُّ، فَأَصْبَحَ رسول الله ﷺ غَادِياً وَالْمُسلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئاً، ثُمَّ غَدوتُ فَرَجَعْتُ ولَمْ أَقْضِ شَيْئاً، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى[(١)]، بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْو[(٢)]، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذَلِكَ لِي، فَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رسول الله ﷺ يَحْزُنُنِي أَنِّي لا أَرَى لِي أُسْوَةً، إِلَّا رَجُلاً مَغْمُوصاً عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ[(٣)]، أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِن الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرني رسول الله ﷺ حَتَّى بَلَغ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ في القَوْمِ بِتَبُوكَ: «ما فَعَلَ «كَعْبُ بْنُ مَالِكِ»؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يا رسول الله حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ[(٤)]. فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: بِئْسَ مَا قُلْتَ! وَاللَّهِ يَا رسول الله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْراً، فَسَكَتَ رسولُ اللَّه ﷺ. فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأى رَجُلاً مُبْيِضاً[(٥)] يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ»[(٦)]، فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ المُنَافِقُونَ[(٧)]، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رسول الله ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلاً[(٨)] مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَثِّي[(٩)]، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ: بِمَ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَداً وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رسول اللّه ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِماً زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ[(١٠)] حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَمْ أَنْجُ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَداً، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ[(١١)]، وَأَصْبَحَ رسول الله ﷺ قَادِماً، وَكَانَ إذا قدم من سفر بدأ

---

(١) «يتمادى بي» أي يتأخر بي طلب الخروج.
(٢) «وتفارط الغزو» أي تقدّم الغزاة وسبقوا وفاتوا.
(٣) «مغموصاً عليه في النفاق» أي متهماً بالنفاق ومطعوناً في دينه.
(٤) «والنظر في عطفيه» يعني جانبيه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه.
(٥) «رأى رجلاً مُبيضاً» أي يلبس الملابس البيضاء.
(٦) «كن أبا خيثمة» أي هذا الرجل أبو خيثمة، فكان هو كما قال ﷺ.
(٧) «لَمَزَهُ المنافقون» أي طعنوا فيه وعابوه، وقالوا: إنَّ اللّه غني عن صاع هذا.
(٨) «توجّه قافلاً» أي راجعاً من الغزو.
(٩) «حضرني بثي» حضرني أشدُّ الحزن.
(١٠) «زاح عني الباطل» ذهب وزال عن قلبي الباطل.
(١١) «فأجمعتُ صدقه» عزمت على قول الصدق عند الرسول ﷺ.

بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعاً وَثَمَانِينَ رَجُلاً فَقَبِلَ مِنْهُمْ عَلانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ: تَعَالَ، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: مَا خَلَّفَكَ[١]؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ! قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ اللَّه إِنِّي واللَّه لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِك مِنْ أَهْلِ الدُّنيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ منْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، لَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً[٢]، وَلَكِنَّنِي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ يُسْخِطُكَ عَلَيَّ، وَإِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّه مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، قَالَ: فَقَالَ رسول اللَّه ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ» وثَارَ رجالٌ مِنْ بَنِي سَلمةَ[٣] فاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْباً قَبْلَ هَذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لا تَكُونَ اعتَذَرْتَ إِلَى رسول اللَّه ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِليهِ المُخَلَّفُونَ فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رسول اللَّه ﷺ لَكَ. قَالَ: فواللَّه مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجعَ إِلَى رسول اللَّه ﷺ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ، قَالا مِثْلَ مَا قُلْتَ: وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ!! قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: «مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ العَمْرِيُّ»، وَ«هِلَالُ بن أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ» قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْراً فِيهِمَا أُسْوَةٌ. قالَ: فَمَضَيت حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي. وَنَهَى رسول اللَّه ﷺ عَنْ كَلامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ من تَخَلَّفَ عَنْهُ، قَالَ: فاجْتَنَبَنَا النَّاسُ ـ أَوْ قَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرَتْ[٤] لِي فِي نَفْسِي الأَرْضُ، فَمَا هِيَ بالأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا[٥] عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً. فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا[٦] وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ القَوْمِ

---

(١) «ما خلَّفك»؟ ما الذي جعلك تتخلف عن الخروج معنا؟ ألم تكن قد اشتريت راحلتك؟

(٢) «أُعطيت جدلاً» فصاحة في اللسان أستطيع دفع اللوم عني.

(٣) «وثار رجال من بني سلمة» أي نهض نحوي رجال من بين سَلَمة يلومونني أشدَّ اللوم.

(٤) «حتى تنكَّرت» أي تغيَّرت الدنيا في عيني.

(٥) «فلبثنا» أي أقمنا خمسين ليلة.

(٦) «أمَّا صَاحِبَايَ فاستكانا» أي خضعا لأمر الرسول ﷺ وقعدا في بيوتهما يبكيان.

وَأَجْلَدَهُمْ[1]، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ المُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رسول اللّه ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلام أَمْ لا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيباً مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ[2]، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَض عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ المُسْلِمِينَ[3] مَشَيْت حَتَّى تَسَوَّرْت جدَارَ حَائط[4] أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْن عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْت عَلَيْهِ فَوَاللّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلت لَه: يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللّهِ[5] هَلْ تَعْلَمُني أُحبُّ اللّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْت فَنَاشَدْته فَسَكَت، فَعُدْت فَنَاشَدْته فَقَال: اللّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ[6]، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ المَدِينَة إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّام[7] مِمَّنْ قَدِمَ بالطَّعَام يَبِيعُهُ بِالمَدِينَةِ يَقُولُ: مَن يَدُلُّ عَلَى كَعبِ بْن مَالكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ[8] يُشيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَاباً من مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتِباً، فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَن صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ[9]، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ[10]، فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذِهِ أَيْضاً مِنَ البَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهَا[11]، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ الوَحْيُ[12] إِذَا رسولُ رَسولِ اللّه ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رسول اللّه ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ

---

(١) «أشبُّ القوم وأجلَدهم» أي أصغرهم سناً وأقواهم.

(٢) «وأسارقُه النَّظرَ» أي أنظر إلى رسول اللّه ﷺ خُفية.

(٣) «جفوة المسلمين» إعراضهم عني وعن الكلام معي.

(٤) «تسوَّرتُ جدار حائط» علوت جدار بستان وهو أعلاه.

(٥) «أنشدك باللّه» أي أسألك باللّه وأحلفك.

(٦) «ففاضتْ عينايَ» أي كثرت دموع عيني وبكيتُ.

(٧) «نَبَطيٌّ من أهل الشام» أي فلّاح من فلّاحي العجم من بلاد الشام.

(٨) «فطفق الناس» أي أخذ الناسُ يشيرون له إليَّ.

(٩) «مضيعة» أي أرض يضيع فيه حقك.

(١٠) «نواسكَ» أي نقدّم لك المواساة والمساعدة.

(١١) «فَسَجرتها» فأحرقتها في النار.

(١٢) «واستلبث الوحي» أبطأ نزول الوحي على رسول اللّه ﷺ.

امْرَأَتَكَ(١). فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا، أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لا، بَل اعْتَزِلْهَا فَلا تَقْرَبَنَّهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ. فَقُلْتُ لامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الأَمْرِ، فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ رسولَ اللَّه ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: يَا رسولَ اللَّه إِنَّ هِلالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: لا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكِ. فَقَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّه مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ(٢) إِلَى شَيْءٍ، وَوَاللَّه مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا. فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رسولَ اللَّه ﷺ في امْرَأَتِكَ، فَقَدْ أَذِنَ لامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: لا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رسول اللَّه ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رسولُ اللَّه ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌ! فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى عَنْ كَلَامِنَا، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ تعالى مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ(٣)، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى على سَلْعٍ(٤) يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، فَخَرَرْتُ سَاجِداً(٥)، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، فآذَنَ رسول اللَّه(٦) ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، فَذَهَبَ قِبَلَ(٧) صاحِبَيَّ مُبَشِّرونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَساً(٨)، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ(٩) قِبَلِي، وَأَوْفَى(١٠) عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ، وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ(١١) رسول اللَّه ﷺ يَتَلَقَّانِي

---

(١) «أن تعتزل امرأتك» أي لا تقربها بجماع ونحوه.

(٢) «ما به من حركة» هذه كناية لطيفة أي عاجز عن معاشرة النساء.

(٣) «بما رَحُبت» أي ضاقت عليَّ الأرض على سعتها.

(٤) «أوفى على سَلْع» أي صعد على جبلِ سَلْع وهو جبل معروف في المدينة.

(٥) «فخررت ساجداً» أي سجدت للّه عزّ وجلّ سجدة الشكر.

(٦) «فآذن رسول اللّه» أي أعلم الناسَ بتوبة اللّه علينا نحن الثلاثة.

(٧) «فذهب قِبَلَ» أي جهة صاحبيّ.

(٨) «وركض رجل إِلَيَّ فرساً» أي ركض نحوي رجل يركب فرساً.

(٩) «مِنْ أَسْلَمَ» هو حمزة بن عمر الأسلمي.

(١٠) «أوفى الجبل» أي صعد الجبل.

(١١) «انطلقت أتأمم» أي أقصدُ رسول اللّه ﷺ.

النَّاسُ، فَوْجاً، فَوْجاً(١) يُهَنِّئُونني بالتَّوْبَةِ، وَيَقُولُونَ لِي: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّه عَلَيْكَ، حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَإِذَا رسول اللَّه ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ «طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْد اللَّه» رضي اللَّه عنه يُهَرْوِلُ(٢) حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي، وَاللَّه مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رسول اللَّه ﷺ، قال وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ(٣) مِنَ السُّرُور: أَبْشِرْ بخَيْر يَوْم مَرَّ عَلَيْكَ مُذْ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ، فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رسول اللَّه أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّه؟ قَالَ: لا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ رسول اللَّه ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رسولَ اللَّه إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ(٤) مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِه، فَقَالَ رسول اللَّه ﷺ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، فقلتُ: إِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بخَيْبَر. وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّ اللَّه تَعَالَى إِنَّمَا أَنْجَانِي بالصِّدْقِ، وإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقاً مَا بَقِيتُ، فَوَاللَّه مَا عَلِمْتُ أَحَداً مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّه تعالى في صِدْقِ الحَدِيثِ، مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلِكَ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّه تعالى، وَاللَّه مَا تَعَمَّدْتُ كِذْبَةً منذُ قلتُ ذَلِكَ لِرسولِ اللَّه ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّه تعالى فيمَا بَقِيَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّه تَعَالى: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ حتى بلغ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٩] قَالَ كَعْبٌ: واللَّهِ ما أَنْعَمَ اللَّه عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ للإسْلام، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رسولَ اللَّه ﷺ أَنْ لا أَكُونَ كَذَبْتُهُ(٥)، فَأَهْلِكَ كما هلكَ الَّذينَ كَذَبوا، إنَّ اللَّه تعالى قال لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الوَحي شَرَّ مَا قَالَ لأَحدٍ، فَقَالَ اللَّه تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا

---

(١) «فوجاً فوجاً» أي يتلقاني الناس جماعات جماعات يهنئونني بتوبة اللَّه عليَّ.

(٢) «يهرول» يسرع في مشيه ليُهنّئني.

(٣) «يبرق وجهه» أي يلمع وجهه من السرور.

(٤) «أن أنخلع» أي أخرج من مالي وأنفقه في سبيل اللَّه.

(٥) «أن لا أكون كذبته» لفظة «لا» زائدة، أي أن أكون كذبته، كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ أي أن تسجد.

ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦]. قَالَ كَعْبٌ: «كُنَّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاثَةُ، عَنْ أَمْرِ أُولئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ منهُمْ رسُول اللّه ﷺ، حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ واسْتَغْفَرَ لهم، وأَرْجأ رسولُ اللّهِ ﷺ أَمْرَنا حتَّى قَضَى اللّه تَعَالى فيهِ بِذَلِكَ، قال اللّه تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ مِمَّا خُلِّفْنَا تخلُّفَنا عنِ الغَزْوِ، وإِنَّما هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانا[1]، وإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنا، عَمَّنْ حَلَفَ له واعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ». مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ خَرَجَ في غَزْوَةِ تَبُوكَ يَوْمَ الخمِيسِ، وكانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الخمِيسِ، وكانَ لا يَقْدَمُ مِن سَفَرٍ إِلَّا نَهاراً في الضُّحَى، فإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بالمَسْجِدِ فصَلَّى فيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ»[2]!.

٢٢ ـ وَعَنْ أَبِي نُجَيْد «عِمْرَانَ بْنِ الحُصَيْنِ» الخُزَاعِيِّ رضِي اللّه عنهما «أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ رسول اللّه ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنى، فقالَتْ: يا رسول اللّه أَصَبْتُ حَدّاً فَأَقِمْهُ عَلَيَّ[3]، فَدَعا نَبِيُّ اللّه ﷺ وَلِيَّهَا فَقَالَ: «أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِني» فَفَعَلَ فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللّه ﷺ، فشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا[4]، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا

---

(١) «وإنما هو تخليفه إيانا» يريد أنَّ المراد من الآية ﴿وعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ أي تاب اللّه على الذين أُخِّرت توبتهم، ولا يُراد بها الذين تخلَّفوا عن الغزو.

(٢) في هذا الحديث الشريف، دلالة على أن الجهاد على المسلمين كان فرض عين، لأنهم بايعوا الرسول ﷺ وهم يحفرون الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً
على الجهاد ما بقينا أبدا

ولهذا اشتدَّ غضب الرسول ﷺ على من تخلَّف، ويؤيد هذا قول اللّه تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ المَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ قال الحسن البصري: «يا سبحان اللّه، هؤلاء الثلاثة ما أكلوا مالاً حراماً، ولا سفكوا دماً حراماً، ولا أفسدوا في الأرض، أصابهم ما سمعتم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر؟»

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة منها: مشروعية سجود الشكر، والتسابق للتبشير بالخير، وإعطاء المبشِّر أنفسَ ما عنده، وتهنئة الإنسان إذا حدثت له نعمة، والقيام له، والتزام طاعة اللّه وطاعة رسوله، واستحباب الصدقة عند التوبة، وأن يبدأ بالمسجد قبل دخول المنزل.

(٣) «أصبت حداً فأقمه عليّ» أي ارتكبت أمراً يوجب الحدَّ.

(٤) «شُدّت عليها ثيابُها» أي جمعت عليها ثيابها لئلا تنكشف عورتُها.

فَرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «تُصَلِّي عَلَيْهَا يا رسول اللَّه وَقَدْ زَنَتْ؟» قالَ: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً، لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ[١] عَزَّ وَجَلَّ؟!» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٣ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وأنس بن مالك رضِيَ اللَّه عَنهم، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ وَادِياً مِنْ ذَهَبٍ، أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ[٢]، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٤ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يَضْحَكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى رَجُلَيْنِ[٣] يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلانِ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّه فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ، فَيُسْلِم فَيُسْتَشْهَدُ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁ ❁ ❁

بابٌ في الصّبر

١ ـ قال اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾[٤] [آل عمران: ٢٠٠].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

---

(١) «جادت بنفسها للَّه» أي دفعت روحها وقدمتها للَّه عزّ وجلّ لتتطهر من ذنبها.. وفي الحديث دلالة على توبة اللَّه على أهل الكبائر.

(٢) «لا يملأ فاه إلا التراب» أي لا يشبع ابن آدم حتى يموت ويصبح تحت التراب، ونفسُ الإنسان مثل جهنم كلما ألقي فيها تقول: هل من مزيد؟! والحديث تصوير بديع لجشع الإنسان وحبه الشديد لجمع المال، حتى ولوكان عنده واديان من ذهب.

(٣) «يضحك اللَّه إلى رجلين» **قال الخطابي**: الضحكُ الذي يعتري البشر، غير جائز على اللَّه تعالى، ومعناه هنا: رضىَ اللَّه تعالى عنهما، وإكرامهما بالجنة مع اختلاف حاليهما، قال: وقد تأوّل البخاري الضحك في موضع آخر على معنى «الرحمة» وهو قريب، وتأويله على معنى الرضى أقرب!! **قال ابن حجر في الفتح**: ممّا يدلُّ على أن المراد بالضحك: الإقبال بالرضى تعديته بـ«إلى» تقول: ضحك فلانٌ إلى فلان، إذا توجّه إليه طَلْق الوجه، مظهراً للرضى عنه، واللفظ ورد بقوله: «يضحك اللَّه إلى رجلين» ولم يقل: من رجلين.

(٤) **﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾** أي اصبروا على مشاق الطاعات، وما يصيبكم من المكاره والشدائد «وصابروا» أي غالبوا أعداء اللَّه بالصبر على أهوال القتال وشدائد الحروب «ورابطوا» أي الزموا ثغوركم مرابطين فيها استعداداً للكفاح والغزو.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

٤ ـ وقالَ تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣].

٥ ـ وقال تعالى: ﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

والآياتُ في الأمْرِ بِالصَّبْرِ[١] وبَيَانِ فَضلِهِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفةٌ.

٢٥ ـ وَعَنْ أَبي مَالِكٍ «الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ» الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول اللّه ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ[٢]، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ ـ أَوْ تَمْلأُ ـ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاةُ نُورٌ[٣]، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ[٤]، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ[٥]، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو[٦]، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٦ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيد «سَعْد بْنِ مَالِك» الخُدْرِيّ رضي الله عنهما، أَنَّ نَاساً مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رسول اللّه ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِيَدِهِ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَن أَدَّخِرَهُ

---

(١) الصبر معناه: حبسُ النفس على ما تكره، وهو ثلاثة أقسام:
١ ـ الصبر على فعل الطاعات والأوامر.
٢ ـ الصبر على ترك المحرَّمات والشهوات.
٣ ـ الصبر على الشدائد والمصائب والبلايا.
وما أجمل ما قاله عمر رضي الله عنه: «ما أصابتني مصيبة إلا وجدتُ فيها ثلاث نعم»: **الأول**: أنها لم تكن في ديني. **الثاني**: أنها لم تكن أعظم مما كانت. **الثالث**: أن الله تعالى وعد عليها بالأجر والثواب العظيم ﴿**وبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**..﴾ الآية.

(٢) «الطُّهُورُ شطرُ الإيمان» أي النظافةُ والطهارةُ بالوضوء والاغتسال، والتَّنزُّهُ عن النجاسات، هو نصفُ الإيمان، لأن دين الإسلام دينُ النظافة والطهارة.

(٣) «والصلاةُ نورٌ» أي نور للمؤمنين يوم القيامة، ينير لهم طريق النجاة ﴿**يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**..﴾.

(٤) «والصدقة برهان» أي وإنفاقُ المال في سبيل الله، برهانُ إيمان الإنسان، لأن المال شقيقُ الروح.

(٥) «والقرآن حجة لك أو عليك» أي القرآن إمَّا أن يكون سبباً لسعادتك ونجاتك، إن عملت به، أو سبباً لشقائك إن لم تعمل به.

(٦) «كل الناس يغدو» أي كل إنسانٍ يسعى في هذه الحياة، ليعتق نفسه من عذاب الله، أو يهلكها إذا باع نفسه للهوى والشيطان.

عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ[١]، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٧ ـ وَعَنْ أَبي يَحْيَى «صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ» رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ[٣] إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً له» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٨ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضِي اللّه عنه قال: «لَمَّا ثَقُلَ النَّبيُّ ﷺ[٤]، جَعَلَ يَتَغَشَّاه الكَرْبُ[٥]، فَقَالَتْ فَاطِمَة رضِي اللّه عنها: وَاكَرْبَ أَبَتَاه[٦]!! فَقَالَ: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ[٧] بَعْدَ الْيَوْمِ» فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يا أَبَتَاه أَجابَ رَبّاً دَعَاه، يَا أَبَتَاه جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مَأْوَاه، يَا أَبَتَاه إلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاه[٨]، فَلَمَّا دفِنَ قَالَتْ فَاطِمَة رضي الله عنها: أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ[٩] أَنْ تَحْثُوا عَلَى رسول الله ﷺ التُّرَابَ؟!» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٢٩ ـ وَعَنْ «أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ» مَوْلَى رسول اللّه ﷺ وَحِبِّهِ، وَابْنِ حِبِّـهِ، رضِي اللّه عنهما، قال: أَرْسَلَتْ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ: إنَّ ابْنِي قَدْ

---

(١) «ومن يستعفف يعفه اللّه» أي من يمتنع عن سؤال الناس ـ الشحاذة ـ يجعل اللّه في قلبه العفّة والقناعة، ويُغنه من فضله من حيث لا يحتسب، والقناعة كنز لا يفنى.

(٢) «عطاء خيراً وأوسع من الصبر» أي ليس لمن يطلب القناعة خيراً من الصبر على قضاء اللّه، وإنما الغِنَى غِنَى النفس!!

(٣) «عجباً لأمر المؤمن» أي ما أعجب أمره!؟ وما أفضل شأنه كلُّ أموره إلى خير وسعادة، في السراء والضراء.

(٤) «لمّا ثقُل النبيّ» أي اشتدّ به المرضُ أي مرضُ الموت.

(٥) «جعل يتغشّاه الكربُ» أي اشتدت عليه سكرات الموت ونزلت به شدائده.

(٦) «واكربَ أبتاه» أي يا شدّة ما يلقاه أبي من هذا المرض!!

(٧) «ليس على أبيك كرب» أي ليس هناك شدةٌ على أبيك بعد هذا اليوم، فالدنيا دار التعب والعناء، والآخرةُ دار الراحة والهناء، ولا راحة للمؤمن إلّا بلقاء اللّه.

(٨) «إلى جبريل ننعاه» أي نرفع خبره إلى جبريل، حبيبُه وصاحب وحيه.

(٩) «أطابت أنفسكم» أي هل طاوعتكم أنفسكم أن تُلقوا التراب على رسول اللّه ﷺ حين دفنتموه؟ قال ابن حجر: تعاتبهم لما عرفته منهم من رقة قلوبهم عليه، لشدة محبتهم له، وسكت أنسٌ رعايةً لحالها، ولسانُ حاله يقول: لم تطب أنفسنا، ولكننا قهرناها امتثالاً لأمره، ويدل عليه ما جاء عن أنس «وما نفضنا أيدينا من دفنه، حتى أنكرنا قلوبنا».

احْتُضِرَ[(١)] فَاشْهَدْنَا!! فَأَرْسَلَ يُقْرِىء السَّلامَ وَيَقُول: «إنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَه مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَه بأَجَلٍ مُسَمَّىً، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ» فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا. فَقَامَ وَمَعَه «سَعْد بْن عُبَادَة» وَ«مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» وَ«أُبَيُّ بْن كَعْبٍ» وَ«زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ» وَرِجَالٌ رضِي اللَّه عنهم، فَرُفِعَ إِلَى رسول اللَّه ﷺ الصَّبيُّ، فَأَقْعَدَهُ في حِجْرِهِ، وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ[(٢)]، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يا رسول اللَّهِ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ، جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى في قُلُوبِ عِبَادِهِ».

وفي رواية: «في قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وَمَعْنَى «تَقَعْقَعُ»: تَتَحَرَّكُ وَتَضْطَرِبُ.

٣٠ ــ وَعَنْ صُهَيْبٍ رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كان قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِك: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلاماً أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلاماً يُعَلِّمُهُ، وَكَانَ في طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ[(٣)]، فَقَعَدَ إِلَيْهِ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، وَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ،، فَإِذَا أَتى السَّاحرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ[(٤)] قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ فَقَالَ: اليَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أفضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَراً فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِب، أَحَبَّ إليكَ مِنْ أَمرِ السَّاحِرِ، فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةِ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ!! فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أيْ بُنَيَّ أَنْتَ اليَوْمَ أَفْضَلُ منِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى!! وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابتُلِيتَ[(٥)] فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ؛ وَكَانَ الغُلَامُ يُبْرِئ

---

(١) «إن ابني قد احتُضِر» أي حضرته مقدمات الموت، وظهرت على وجهه.

(٢) «ونفسُه تَقَعْقع» أي روحُ الطفل تضطرب وتتحرك في صدره، من أثر النزع، فأقعده ﷺ في حضنه، وانسكبت الدموع من عينَيْه، رحمة عليه.

(٣) «في طريقه راهب» أي رجل عابد صالح على دين عيسى بن مريم عليه السلام.

(٤) «دابة عظيمة» خرجت من البحر تشبه الحوت الكبير.

(٥) «فإن ابتُليتَ» أي إن امتُحنت بسبب إيمانك وشفائك الناس.

الأَكْمَهَ[١] وَالأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جليسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بهَدَايَا كثيرةٍ فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إنْ أَنْتَ شَفَيْتَني!! فَقَالَ: إنِّي لا أَشْفِي أَحَداً، إنَّمَا يَشْفِي اللّٰهُ تَعَالَى، فَإنْ آمَنْتَ باللّٰه تَعَالَى دَعَوْتُ اللّٰه فَشَفَاكَ، فَآمَنَ باللّٰهِ تَعَالَى فَشَفَاهُ اللّٰهُ تَعَالَى، فَأَتَى المَلِكَ فَجَلَسَ إلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ المَلكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي!! قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟! قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللّٰهُ[٢]، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الغُلامِ، فَجيءَ بالغُلام فقالَ لَهُ المَلكُ: أيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فقالَ: إنِّي لا أَشْفِي أَحداً، إنَّمَا يَشْفِي اللّٰهُ تعالَى، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بالمِنْشَارِ فَوُضِعَ المِنْشَارُ في مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ[٣]، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ المَلِكِ فَقيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَوُضِعَ المِنْشَارُ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالغُلامِ فَقيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى[٤]، فَدَفَعَهُ إلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَإذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ[٥] فَإنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وإلَّا فاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعدُوا بِهِ الجَبَلَ فَقَالَ: «اللّٰهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ»، فَرَجَفَ بِهِمُ الجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إلَى المَلِكِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: ما فُعِلَ بأَصْحَابِكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللّٰه تعالى، فَدَفَعَهُ إلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابه فقالَ: اذْهَبُوا به فاحْمِلُوهُ في قُرْقُورٍ[٦] وَتَوَسَّطُوا به البَحْرَ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه.! فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ[٧] فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إلَى

---

(١) «يبرئ الأكمه» أي يشفي الأعمى الذي خُلق أعمى.

(٢) «ربي وربك اللّٰهُ» أي أنت عبدٌ مثلي مخلوق خلقك اللّٰه ولستَ بإله.

(٣) «حتى وقع شقاه» أي نشره بالمنشار حتى سقط نصفين ميتاً.

(٤) «ارجع عن دينك» أي اتركْ دينك وارجع إلى عبادة الملِك.

(٥) «فإذا بلغتم ذروته» أي إذا وصلتم إلى أعلى قمة الجبل.

(٦) «فاحملوه في قرقور» أي احملوه في سفينة صغيرة وتوسَّطوا به البحر، فإن رجع فاتركوه، وإلّا فألقوه.

(٧) «فانكفأت بهم السفينة» أي انقلبت بهم السفينة، فغرق جنود الملك كلهم، وجعل اللّٰه له طريقاً يابساً في البحر يمشي عليه.

المَلِكِ. فقالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فُعِلَ بأَصْحَابِكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللّٰه تعالى[١]!! فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي، حَتَّى تَفعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيد وَاحِدٍ[٢]، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ[٣]، ثُمَّ خُذْ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِي[٤]، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ القَوْسِ ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللّٰهِ رَبِّ الغُلامِ ثُمَّ ارْمِنِي، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني!! فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ القَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللّٰهِ رَبِّ الغُلامِ»، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ في صُدْغِهِ[٥]، فَوَضَعَ يَدهُ فِي صُدْغِهِ فَمَاتَ. فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ!! فَأُتِيَ المَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللّٰهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ[٦]، قَدْ آمَنَ النَّاسُ!! فَأَمَرَ بالأُخْدُودِ[٧] بِأَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ، وَأُضْرِمَ فِيهَا النِّيرَانُ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَقْحِمُوهُ فِيها[٨]، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ[٩] أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الغُلَامُ: يَا أُمَّاهُ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ»[١٠] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «كفانيهم اللّٰه تعالى» أي نجّاني منهم ربي بفضله وحفظه.. يقول ذلك إغاظةً للملك الذي يزعم الربوبية.

(٢) «تجمع الناس في صعيد واحد» أي في أرض واسعة بارزة يلتقي فيها جميع أهل البلدة.

(٣) «وتصلبني على جذع» أي تربطني على عود من أعواد النخيل مرتفع، بحيث يراني الناس.

(٤) «سهماً من كنانتي» أي نَبْلاً من السهام التي يُرمى بها، والكنانةُ: بيتُ السهام.

(٥) «وقع السَّهْمُ في صُدغه» أي جاء السهمُ في رأس الغلام ما بين عينه وأذنه، قال في الصحاح: والصُّدْغُ ما بين العينُ والأذن.

(٦) «نزل بك حذرك» أي نزل بك ما كنت تخافه وتخشاه.

(٧) «أمر بالأخدود» أمر بشقّ الطرق شقاً عظيماً وإضرامها ناراً.

(٨) «فأقحموه فيها» أي من لم يرجع عن دينه فألقوه في النار.

(٩) «فتقاعست أن تقع فيها» أي خافت على ولدها من النار، فتوقفت ولزمت موضعها.

(١٠) لقد كان الشاب المؤمن ذكياً، أراد أن يورّط الملِكَ، فقدّم نفسه كبشَ فداء، ليموت هو، ويؤمن الناسُ بربِّ العالمين، وكان الملك أحمق مغفلاً فلما رماه بالسهم وقال: «بسم اللّٰه رب الغلام» عرف الناس كذب الملك في دعواه الألوهية، فآمنوا باللّٰه الواحد الأحد، وكفروا بالملك، وقد أنطق اللّٰه الغلام الطفل الرضيع ـ وهو أحد الثلاثة الذين تكلّموا في المهد ـ ليكون ذلك تثبيتاً لأمه على الإيمان، فأُلقيت هي وولدها في النار، ولم ترجع عن دينها!! وهذه القصة أشارت إليها الآيات الكريمة في سورة البروج **﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ ـ**

٣١ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي اللَّه عنه قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بامْرَأَة تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ[١] فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّه وَاصْبِرِي» فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي[٢]، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي! وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ[٣]، فقالت: لَمْ أَعْرِفْكَ!! فقالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»[٤] مُتَّفَقٌ عليه، وفي رِوَايَةٍ لمُسْلِمٍ: «تَبْكِي عَلَى صَبيٍّ لَهَا».

٣٢ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه، أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «يَقُول اللَّهُ تعالى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِن عِنْدِي، جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ[٥] مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبهُ إِلَّا الجنَّة»[٦] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٣٣ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي اللَّه عنها: «أَنَّهَا سَأَلَتْ رسول اللَّه ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ[٧]، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ كَانَ عَذَاباً، يَبْعَثُهُ اللَّهُ تعالى عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ تعالى رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فِي الطَّاعُون، فَيَمْكُثُ في بَلَدِهِ صَابِراً مُحْتَسِباً، يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

= شُهُودٌ...﴾ والقصة نموذج رائع «للفدائية والبطولة» التي يقوم بها في زماننا شباب فلسطين، من تفجير أنفسهم لقتل اليهود اللعناء، ويسميها بعضُ الناس «انتحاراً» وما هي إلا بطولة وفداء!! نصرهم الله وأخزى أعداءهم.

(١) «تبكي عند قبر» أي تبكي على صبيٍّ لها عند قبر، كما في رواية مسلم.

(٢) «إليكَ عنِّي» أي اتركني وشأني فإنك لم تُصب بمصيبتي ـ ولم تعرف أنه الرسول ﷺ ـ وإلّا كانت امتثلت الأمر وكفَّتْ عن البكاء.

(٣) «فأتت باب النبي» أي جاءت لتعتذر للرسول ﷺ لما بَدَر منها، فلم تر على بابه بوّاباً يمنع أحداً، لتواضعه ﷺ.

(٤) «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» أي أجرُ الصبر الكامل، إنما يكون عند أول وقع المصيبة، لأن وقعها على النفس يكون شديداً وعظيماً.

(٥) «إذا قبضتُ صفيّه» أي حبيبه كالولد، والزوجة.

(٦) «ثم احتسبه» أي صبر على وفاته، طلباً للأجر من الله.

(٧) «الطاعون» أي الوباء الوخيم الفتّاك، **قال في لسان العرب**: هو الوباء الذي يفسد له الهواء، فتفسد به الأبدان، ويموت به الناس، **أقول**: وهو مرضٌ معدٍ، فلذلك لا ينبغي أن يدخل الإنسان بلداً انتشر فيه الطاعون، ولا أن يخرج منه لحديث: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه» رواه البخاري، وهذا ما يسمى في زماننا بـ«الحَجْر الوقائي» الذي اهتدتْ إليه منظَّماتُ الصحة العالمية.

٣٤ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي اللَّه عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عبدِي بحَبِيبتَيْهِ ـ يعني عَيْنَيْه ـ فَصَبَر عَوَّضْتُهُ مِنْهُما الجَنَّةَ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٣٥ ـ وَعَنْ عَطَاءِ بْن أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رضي اللَّه عنهما: «أَلا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّة؟ فَقُلْتُ: بَلَى!! قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النبيَّ ﷺ فقَالَتْ: إنِّي أُصْرَعُ[١]، وَإنِّي أَتَكَشَّفُ[٢]، فَادْعُ اللَّه تعالى لِي!! قَالَ: «إِنْ شئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّه تعالى أَنْ يُعَافِيَكِ؟» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَت: إنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لا أَتَكَشَّفَ!! فَدَعَا لَهَا». مُتَّفَقٌ عليه.

٣٦ ـ وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمنِ «عَبْدِ اللَّه بْنِ مَسْعُودٍ» رضي اللَّه عنه قال: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسول اللَّه ﷺ يَحْكِي نَبِيّاً[٣] منَ الأَنْبِيَاءِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ[٤]، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، ويَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٧ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وأَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ[٥]، وَلَا وَصَبٍ[٦]، وَلا هَمٍّ[٧]، وَلَا حَزِنٍ، ولا أَذىً، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[٨] مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «إني أُصْرَعُ» أي يصيبني مرضُ الصَّرَع، وهو علَّةٌ معروفة، يقع الإنسان فيها على الأرض مغمى عليه.

(٢) «وأَتكشَّفُ» أي ينكشف بعضُ بدني، بدون شعوري.

(٣) «يحكي نبياً» أي يقصُّ علينا قصة نبيٍّ كأنه يراه ويبصره.

(٤) «ضربه قومُه فأدْمَوْهُ» أي ضربوه ضرباً شديداً حتى خرجت منه الدماء.

(٥) «ما يصيبُ المسلمَ من نَصَب» أي تَعَب وعناء من أثر الجهد والعمل.

(٦) «ولا وَصَب» أي مرضٍ ووجع يصيب الجسدَ.

(٧) «ولا همّ» هو كلُّ ما يجلب الضُّرر والكَدَر، كهمِّ الإنسان بتعليم أولاده، وتربيتهم، وهمِّه بطريق الكسب الحلال، الخ، قال الشاعر:

والهَمُّ يخترمُ الجَسيمَ نَحافةً ويُشِيبُ ناصِيةَ الصبيِّ ويُهرم

(٨) أي محا عنه من ذنوبه، وهذا من فضل اللَّه ولطفه بعبده المؤمن، لا يصيبه بلاء، ولا تنزل =

٣٨ ـ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّه عنه قال: «دَخَلْتُ عَلَى النَّبي ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ[١] فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّه إِنَّكَ تُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً قال: أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ، قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَال: أَجَلْ ذَلِكَ كَذَلِكَ!! مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذىً؛ شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، وَحُطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

وَ «الْوَعْكُ»: مَغْثُ الحُمَّى، وَقِيلَ: الحُمَّى.

٣٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ»[٣] رَوَاهُ البخاري.

وَضَبَطُوا «يُصِب»: بِفَتْحِ الصَّادِ وَكَسْرِهَا.

٤٠ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ[٤] فاعلاً فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْراً لِي» مُتَّفَقٌ عليه.

٤١ ـ وَعَنْ أَبِي عبدِ اللَّهِ «خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ» رضي اللَّه عنه قال: «شَكَوْنَا إِلَى رسول اللَّه ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ[٥] فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا[٦]؟

= به شدة، ولا يعتريه غمٌّ وهمٌّ، أو أيُّ شيء من الأذى، إلا كان كفارة لذنوبه، حتى الشوكة تدخل يده أو جسده، لِتَتَخَفَّف عنه الذنوب، فلا يعذب بها في الآخرة.

(١) «وهو يوعك» أي يتقلّب على الفراش من ألم المرض، والوَعْكُ: ألمُ الحمّى، وقيل: هي الحُمّى نفسُها.

(٢) «كما تحطُّ الشجرةُ ورقَها» أي تتساقط ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر.

(٣) «يُصِبْ منه» بفتح الصاد وكسرها، أي يبتليه بماله، أو بدنه، أو أحدٍ من أحبابه، ليعظم له الأجرُ.

(٤) في هذا الحديث نهيٌ عن تمنّي الموت، لأنه يقطع عن المؤمن أجر العبادة والطاعة، إلّا إذا ضاقت عليه الدنيا، وضاقت عليه نفسه، فيقول كما أرشد إليه الرسول ﷺ «اللهمّ أحيني ما كانت الحياة خيراً لي..» الخ.

(٥) «متوسد بردةً له» البُرْدَة: العباءة ـ المشلح ـ أي جعلها كوسادة تحت رأسه وهو مضطجع في ظل الكعبة المشرفة يستظلُّ بظلّها.

(٦) «ألا تَسْتنصر لنا»؟ أي تدعو اللّه لنا أن ينصرنا على أعدائنا؟ وجاء في بعض الروايات «وقد لقينا من المشركين شدة» رواه البخاري.

أَلا تَدْعُو لَنا؟ فَقَالَ: قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نصفَيْن، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ[١] وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ[٢]، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وفي رواية: «وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً».

٤٢ ـ وعن ابن مَسْعُودٍ رضي اللَّه عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ[٣] آثَرَ رسول اللَّه ﷺ نَاساً في القِسْمَةِ، فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مَائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ مِثْل ذَلِكَ، وَأَعْطَى نَاساً مِنْ أَشْرَافِ العَرَبِ وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ. فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَما أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّه، فَقُلْتُ: وَاللَّه لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ[٤] ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟» ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ[٥] بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» فَقُلْتُ: لا جَرَمَ[٦] لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثاً» مُتَّفَقٌ عليه.

وَقَوْلُهُ «كَالصِّرْفِ» هُوَ بِكَسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ: وَهُوَ صِبْغٌ أَحْمَرُ.

---

(١) هذا الحديث يدلُّ على مبلغ الشدائد التي حدثت للمسلمين في بدء الدعوة وفيها بشارة من الرسول ﷺ بانتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وقد حقَّق اللَّه ذلك للمسلمين.

(٢) «والذئبَ على غنمه» أي لا يخاف أحداً من الخلق، على دينه وإيمانه، لوجود الأمن والاستقرار، إنما يخاف على غنمه من الذئب.

(٣) «لما كان يوم حنين» أي في غزوة حنين، انتصر المسلمون وغنموا الغنائم الكثيرة، وكانت الإبل التي غنمها المسلمون أربعة وعشرين ألفاً، والغنم أربعين ألف شاة، فقسمها ﷺ بين المؤلفة قلوبهم وبين بعض المهاجرين، وهذا من سياسته الحكيمة ﷺ في تأليف القلوب، ومَنَع منها الأنصارَ ثقة منه عليه السلام بقوة إيمانهم، كما أعطى ناساً من أشراف العرب، فطعن في قسمته بعض المنافقين، وهو «معتب بن قُشير».

(٤) «فتغيَّر وجهه كالصِّرفِ» أي صار كالدم، أو الصِّبغ الأحمر، الذي تُدبغ به الجلود.

(٥) «أو ذي موسى بأكثر من هذا فصبر» ثناء من الرسول ﷺ على سيدنا موسى عليه السلام، وهذا من تواضعه ﷺ أمام إخوانه المرسلين.

(٦) «لا جَرَم لا أرفع إليه بعدهَا حديثاً» أي حقاً ولا محالة، لا أخبرُ الرسول ﷺ بعد اليوم، بما يقوله أهل الضلال والنفاق، لئلا يتأثر صلوات اللَّه عليه بكلام الفُجّار.

٤٣ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضِي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْراً عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ[١] فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ[٢] بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ». وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ[٣]، وَإِنَّ اللَّهَ تعالى إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضى، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَديثٌ حَسَنٌ.

٤٤ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: «كَانَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ رضي اللَّه عنه يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ، فَقُبِضَ الصَّبِيُّ[٤]، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْم وَهِيَ أُمُّ الصَّبِيِّ: هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ[٥]، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ العَشَاءَ فَتَعَشَّى، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا[٦]، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ[٧]. فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رسولَ اللَّه ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَال: «أَعَرَّسْتُمُ اللَّيْلَةَ[٨]؟» قَال: نَعَمْ، قال: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا؛ فَوَلَدَتْ غُلاماً، فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النبي ﷺ، وَبَعَثَ مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ، فَقَالَ: أَمَعَهُ شَيءٌ؟ قَال: نَعَمْ، تَمَرَاتٌ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا فِي فِيِّ الصَّبِيِّ، ثُمَّ حَنَّكَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّه» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لِلْبُخَارِيِّ، قال ابنُ عُيَيْنَةَ: «فَقَالَ رَجُلٌ منَ الأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ

---

(١) «عجَّل له العقوبة» تعجيلُ العقوبة للمؤمن على الذنوب التي يرتكبها في الدنيا، هذا من رحمة اللَّه به، لأن عذاب الآخرة شديد لا يُطاق.

(٢) «حتى يوافي به» أي حتى يأتي بذنبه حاملاً له على كاهله يوم القيامة، فيُجازى عليه.

(٣) «إنَّ عظم الجزاء مع عِظَم البلاء» أي الثواب الذي يناله الإنسان، على قدر ضخامة المصيبة، كما يقال: «الأجر على قدر المشقة».

(٤) «فقُبض الصبيُّ» أي مات الصبيُّ وفارق الحياة.

(٥) «هو أسكنُ ما كان» أي أهدأ نفساً مما كان عليه من قبل، وهذه «تورية» هي تريد أنه ارتاح بالموت، وهو فهم أنه استراح من المرض.

(٦) «ثم أصاب» منها أي جامعها لأنها كانت متزيِّنة له بأجمل زينة.

(٧) «واروا الصبيَّ» أي خذوه فادفنوه.. ما أعجب أمر هذه المرأة المؤمنة؟ في قلبها جمرةٌ من نار تتَّقدُ حزناً على ولدها، ولكنها أرادت أن تعلِّم زوجها الصبر، ففعلت ذلك لتخفِّف عن زوجها الأحزان!!

(٨) «أعَرَّسْتُم الليلةَ»؟ كناية عن الجماع، أي هل عاشرتها؟

تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَؤُوا القُرْآنَ»[١]، «يَعْنِي مِنْ أَوْلَادِ عَبْدِ اللَّه المَوْلُودِ».

وفي روايةٍ لمسلِم: «مَاتَ ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ لأَهْلِهَا: لا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بابنِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ!! فَجاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْه عَشَاءً، فَأَكَلَ وَشَرِبَ، ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ[٢] أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَوقَعَ بِهَا[٣]، فَلَمَّا أَنْ رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْماً أَعارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ، فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَتْ: فَاحْتَسِبْ ابنكَ[٤]. قال: فغضِبَ، ثم قال: تركتِني حتى تَلَطَّخْتُ[٥] ثم أخبَرْتِني بِابْنِي؟! فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّه ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ، فَقَالَ رَسولُ اللَّه ﷺ: «بَارَكَ اللَّهُ فِي لَيْلَتِكُمَا» قَال: فَحَمَلَتْ، قَال: وَكَانَ رسولُ اللَّه ﷺ في سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ، وَكَانَ رسولُ اللَّه ﷺ إِذَا أَتَى الْمَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ، لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقاً[٦]، فَدَنَوْا مِنَ المَدِينَةِ، فَضَرَبَهَا الْمَخَاضُ[٧]، فَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ[٨]، وَانْطَلَقَ رسولُ اللَّه ﷺ. قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ أَنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رسول اللَّه ﷺ إِذَا خَرَجَ، وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدْ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى، تَقُولُ أُمُّ سُلَيْم: يَا أَبَا طَلْحَةَ مَا أَجِدُ الذي كُنْتُ أَجِدُ، انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنَا، وَضَرَبَهَا المَخَاضُ حِينَ قَدِما فَوَلَدَتْ غُلاماً، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يَا أَنَسُ لا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَغْدُوَ[٩] بِهِ عَلَى رَسُول اللَّه ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلى رسول اللَّه ﷺ» وَذَكَرَ تَمَامَ الحَدِيث.

---

(١) «تسعة أولاد قرءوا القرآن» أي حفظوه من أولاد «عبد اللّه» المولود لطلحة رضي اللّه عنه، وذلك بدعاء النبي ﷺ: «اللهمّ باركْ لهما في ليلتهما».

(٢) «ثم تصنّعت له» أي تزيّنت بأجمل ما عندها من زينة.

(٣) «فوقع بها» أي عاشرها معاشرة الرجل لزوجته أي جامعها.

(٤) «فاحتسبْ ابنك» أي اطلب الأجر من اللّه بمصيبتك بوفاة ولدك.

(٥) «حتى تلطّختُ» أي تدنّست نفسي بالجماع.

(٦) «لا يطرقها طُرُوقاً» أي لا يدخلها ليلاً لئلا يزعج أهله.

(٧) «فضربها المخاضُ» أي أخذها ألمُ الوضع للمولود.

(٨) «فاحتبس عليها أبو طلحة» أي اضطُرّ أن يبقى معها إلى أن تلد، ثم دعا ربه أن يُذهب عنها ما تجد من ألم المخاض حتى يدخل مع الرسول ﷺ المدينة المنوّرة.

(٩) «حتى تغدو» أي لا أرضعه حتى تذهب به إلى الرسول ﷺ فيباركه.

٤٥ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عنه، أَن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ[١]، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٦ ـ وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَد رضِي اللَّه عنه قال: «كُنْتُ جَالساً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلانِ يَسْتَبَّانِ، وَأَحدُهُمَا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ[٢]، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم»[٣] ذَهَبَ مِنْهُ مَا يَجِدُ». فَقَالُوا لَهُ: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَال: تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم» مُتَّفَق عليه.

٤٧ ـ وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رضِي اللَّه عنه، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً[٤]، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ[٥]، دَعَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى رُؤُوسِ الخَلائقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِن الْحُورِ الْعِينِ[٦] مَا شَاءَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَال: حديثٌ حسنٌ.

٤٨ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضِي اللَّه عنه: «أَنَّ رَجُلاً قَالَ للنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِني، قَالَ: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِرَاراً، قَالَ: لَا تَغْضَبْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٤٩ ـ وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضِي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا يَزَال البَلاءُ بالْمُؤْمِنِ فِي نَفْسِهِ، وَوَلَدِهِ، وَمَالِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّه تعالى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» رَوَاهُ التِّرمِذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صَحِيحٌ.

٥٠ ـ وَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضِي اللَّه عنهما قال: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فَنَزَلَ

---

(١) «ليس الشديدُ بالصُّرَعَة» أي ليس البطلُ الشجاعُ الذي يصرع الناس ويغلبهم بقوّته، قال في الصحاح: «والصُّرَعَة مثل هُمَزَة: الذي يصرع الناس كثيراً ..» ولكنَّ الشجاع الذي يملك نفسه عن الغضب!!

(٢) «انْتَفَخَتْ أوداجُه» أي انتفخت عروقُ عنقه من شدة الغضب.

(٣) «أعوذ باللَّه من الشيطان» أي أستجير وأعتصم باللَّه من شرّ الشيطان «الرجيم» أي المُبْعَد والمطرود من رحمة اللَّه.

(٤) «من كظم غيظاً» أي أخفى ما في نفسه من شدة الغضب.

(٥) «أن يُنفذه» أي وهو قادر على أن ينتقم من خصمه، ولكنْ تركه وصبر عليه طلباً لمرضاة اللَّه.

(٦) «الحور العين» النساء الفاتنات الجميلات، الواسعات العيون، نساءُ أهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ المكنون﴾.

عَلَى ابْنِ أَخِيهِ «الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ»، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ[١] عُمَرُ رضِيَ اللَّه عنه، وَكَانَ القُرَّاءُ[٢] أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عنه، وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّاناً، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ. فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هيهِ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ[٣] وَلَا تَحْكُمُ فِينَا بالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ رضي اللَّه عنه حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ به[٤]، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّه تعالى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ[٥] وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وَإِنَّ هَـٰذَا مِنَ الجَاهِلِينَ!! وَاللَّـهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا، وَكَانَ وَقَّافاً[٦] عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ تعالى». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥١ ـ وَعَن ابْنِ مَسْعُودٍ رضِي اللَّه عنه، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ[٧]، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا! قَالُوا: يَا رَسُولَ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٢ ـ وَعَن أَبِي يَحْيى «أُسَيْدِ بْن حُضَيْرٍ» رضي اللَّه عنه «أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: يا رسولَ اللَّه أَلا تَسْتَعْمِلُني كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلاناً فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٣ ـ وَعَنْ أَبي إِبْرَاهِيمَ «عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى» رَضي اللَّه عنهما: أَنَّ رسول اللَّه ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ ـ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ ـ انْتَظَرَ حَتَّى إِذا مَالَتِ

---

(١) «يدنيهم عمر» أي يقرّبهم منه لكرامتهم عنده.

(٢) «وكان القُرّاء» أي حفظةُ القرآن الكريم أصحاب مكانٍ عند عمر رضي اللَّه عنه.

(٣) «ما تعطينا الجَزْلَ» أي ما تعطينا من المال الشيء الكثير.

(٤) «همّ أن يوقع به» أي عزم عمر على معاقبته والانتقام منه.

(٥) ﴿خذِ العَفوَ﴾ هذه الآية أمرٌ له عليه السلام بمكارم الأخلاق، أي خذ بالسهل اليسير في معاملة الناس ومعاشرتهم، وفي الحديث «إن اللَّه يأمرك أن تعفو عمن ظَلَمك، وتُعطي من حرمك، وتصلَ من قَطَعك» رواه ابن جرير، **قال جعفر الصادق**: ليس في القرآن آيةٌ أجمعُ لمكارم الأخلاق منها.

(٦) «وكان عمر وقّافاً عند كتاب اللَّه» أي لا يجاوز حدود القرآن.

(٧) «ستكون بعدي أَثَرةٌ» أي استئثار، وهو من ينفرد بالشيء لنفسه عمّن له فيه حقٌ، والمرادُ: استئثار الحكام بأموال بيت المال، وفي الحديث: الحثُّ على الطاعة، وإن كان السلطانُ ظالماً جائراً، فالمسلم يعطي حقَّه من الطاعة، ولا يخرج عليه، بل يتضرّع إلى اللَّه، أن يدفع شرّه عن المسلمين.

الشَّمْسُ[١] قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّه العَافِيَةَ[٢]، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»[٣] ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ» مُتَّفَقٌ عليه وباللَّه التَّوْفِيقَ.

❁ ❁ ❁

بَابٌ في الصِّدْق

قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٤] [التوبة: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ:

٥٤ ـ فَالأَوَّلُ: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّه عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ[٥]، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقاً، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ[٦]، وَإِنَّ الفُجورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّاباً» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٥ ـ الثَّانِي: عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ «الْحَسَنِ بْن عَلِيٍّ» بْن أَبِي طَالِبٍ، رضي اللَّهُ عَنهما، قال: حَفِظْتُ مِنْ رسول اللَّه ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ[٧] إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ،

---

(١) «إذا مالت الشمس» أي مالت عن وسط السماء نحو المغرب، عند الظهيرة.

(٢) «واسألوا اللَّه العافية» أي السلامة من البلايا والمكروهات.

(٣) «الجنة تحت ظلال السيوف» هذا من الكلام النفيس البليغ، الذي جمع فنون البلاغة، بحيث يعجز عنه الفصحاء والبلغاء، فقد حثَّ على الجهاد، وأمر بالاستعداد، ودعا إلى الاقتراب من العدو، وأن يشهروا السيوف في وجوه الأعداء، حتى كأنها لكثرتها تظلّل المقاتلين بها، وهناك تكون الجنة للمجاهدين في سبيل اللَّه.

(٤) ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أي كونوا مع المؤمنين، أهل الصدق واليقين.

(٥) «يهدي إلى البرّ» أي يرشد ويوصل إلى طريق الإيمان والسعادة.

(٦) «يهدي إلى الفجور» أي يوصل إلى القبيح من الأقوال والأعمال.

(٧) «دع ما يريبك» أي اترك ما يوقعك في الريبة وهو «الشكُّ» أي ما تشكُّ في حِلّه، إلى ما لا تشكُّ فيه.

فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ[(١)]، وَالْكَذِبَ رِيبَةٌ »[(٢)] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقال: حديثٌ صحيحٌ.
قَوْلُهُ: «يَرِيبُكَ» هُوَ بِفتحِ الياءِ وَضمّها؛ وَمَعْنَاهُ: اتْرُكْ مَا تَشُكُّ فِي حِلِّه، واعْدِلْ إِلَى مَا لا تَشُكُّ فِيهِ.

٥٦ ـ الثَّالِثُ: عَنْ أَبِي سُفْيَانَ «صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ» رضي اللَّه عنه، في حديثه الطَّويلِ فِي قِصَّةِ هِرَقْلَ[(٣)]، قَالَ هِرَقْلُ: «فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ ـ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ ـ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قُلْتُ: يَقولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنا بالصَّلاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالصِّلَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٧ ـ الرَّابعُ: عَنْ أَبِي ثَابِتٍ «سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ» وَهُوَ بَدْرِيٌّ، رضي اللَّه عنه، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّه تعالى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلى فِراشِهِ»[(٤)] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٨ ـ الخَامِسُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لا يَتْبَعَنِّي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ[(٥)]، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ[(٦)] بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتاً

---

(١) «الصدق طمأنينة» أي راحة للنفس، ونجاة من عذاب اللَّه.
(٢) «والكذب ريبة» أي طريق للنفاق والوقوع في البلاء.
(٣) «في قصة هرقل» ملك الروم فقد أرسل له ﷺ كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، فقال هرقل: هل هنا أحد من قوم هذا الرجل، الذي يزعم أنه نبيٌّ؟ قالوا: نعم، وكان أبو سفيان في تجارة له في بلاد الشام ـ قبل إسلامه ـ قال: فدُعيتُ في نفر من قريش، فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم دعا بترجمانه فقال له: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌّ، فإن كذبني فكذّبوه، قال أبو سفيان: فواللَّه لولا مخافة أن يؤثر عليَّ الكذبُ، لكذبتُ على الرسول، قال هرقل: فماذا يأمركم..؟ الحديث وانظر القصة كاملة في فتح الباري ١/ ٣١.
(٤) «من سأل الشهادة بصدق» أي طلب من ربه أن يُنيله الشهادة في سبيل اللَّه، وكان صادقاً في نيّته، أعطاه اللَّه الشهادة، ولو مات على فراشه، فنيّةُ المرء مثل عمله.
(٥) «مَلَكَ بُضع امرأة» أي ملك فرجها بالنكاح الشرعي.
(٦) «وهو يريد أن يبني بها» أي عازم على الزفاف بها، والغرضُ منه أن يتفرّغ قلبُه للجهاد، ويُقبل عليه برغبة ونشاط، لأن الإنسان إذا لم يكن دخل بزوجته، يبقى متعلّق النفس بها، ومثله من حضر عنده الطعامُ ويريد الصلاة، يبدأ بالطعام.

لَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَماً أَوْ خَلِفَاتٍ[١] وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَوْلَادَهَا!! فَغَزَا فَدَنَا مِنَ القَرْيَةِ[٢] صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيباً مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ ـ يَعْنِي النَّارَ ـ لِتَأْكُلَهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا، فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولاً[٣]، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَت يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ فقالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ، فَلْتُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أو ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ. فَجَاؤُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعَهَا فَجَاءَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا، فَلَمْ تَحِلَّ الغَنَائِمُ لأَحَدٍ قَبْلَنَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ لَمَّا رَأَى ضَعْفَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا» مُتَّفَقٌ عليه.

«الْخَلِفَاتُ» بفتح الخاءِ المعجمةِ وكسرِ اللامِ: جَمْعُ خَلِفَةٍ، وَهِيَ النَّاقَةُ الحامِلُ.

٥٩ ـ السادِسُ: عن أَبي خالِدٍ «حكيم بن حزَام» رضي اللّه عنه، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «الْبَيِّعَان بالخِيَارِ[٤] ما لم يَتفَرَّقَا، فَإِن صَدَقا وَبيَّنا بُورِكَ لهما في بيعِهِمَا، وإن كَذَبا وَكَتَما مُحِقَتْ بركَةُ بَيْعِهِما»[٥] مُتَّفَقٌ عليه.

❁ ❁ ❁

بَابٌ في المراقبة

قال اللّه تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾[٦] [الشعراء: ٢١٨ ـ ٢١٩].

---

(١) «اشترى خَلِفَات» أي إبلاً حوامل، جمع خَلِفَة ككَلِمة وكلمات، وينتظر ولادتها يبقى مشغول الفكر بها.

(٢) «فدنا من القرية» أي دنا واقترب من البلدة التي يريد غزوها، وهذا النبي هو «يوشع بن نون» كما حكاه الحافظُ ابن حجر رحمه اللّه تعالى.

(٣) «فيكم غلول» أي خيانة، والغلول: أن يأخذ الإنسانُ من الغنيمة قبل قسمتها، قال تعالى: ﴿ومَنْ يَغْلُلْ يأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ القِيامَةِ﴾.

(٤) «البيِّعان بالخيار» أي البائع والمشتري كلٌّ منهما مخيَّرٌ بالفسخ، أو إمضاء العقد، ما لم يتفرَّقا بأجسامهما.

(٥) «مُحقت بركةُ بيعهما» أي إن أخفيا العيبَ، وكذبا في أمر البيع، لم يُبارك لهما في الربح.

(٦) ﴿وَتَقَلُّبَكَ في السَّاجِدِينَ﴾ **أي يراك وحدك، ويراك حين تصلي بالجماعة مع المصلِّين، في ركوعك، وسجودك، وقيامك.**

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

والآياتُ في البَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ.

وَأَمَّا الأحاديثُ:

٦٠ ـ **فالأَوَّلُ**: عَنْ عُمَرَ بن الخطابِ رضي اللَّه عنه، قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رسولِ اللَّه ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ[١]، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ[٢]، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسولُ اللَّه ﷺ: الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِن اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ[٣]! قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بَالقَدرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ[٤]، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: فأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بأَعْلم مِن السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا[٥]. قَالَ: أَنْ

---

(١) «لا يُرى عليه أثرُ السفر» أي لا تظهر عليه علامات أنه غريب مسافر.

(٢) «ووضع كفّيه على فخذيه» وضع الأعرابي كفيه على فخذي نفسه، وجلس على هيئة المتعلّم، المتأدّب في سؤاله.

(٣) «يسأله ويصدّقه» تعجّبوا من سؤاله للرسول ﷺ، وتصديقه له، وهذا على خلاف عادة السائل، فإنه لا يقول مثل هذا الكلام، إنما هو كلام ممتحن للرسول ﷺ، ولم يكن في ذلك الوقت من يعلم أمر السائل غير النبي ﷺ.

(٤) «كأنك تراه» اشتمل هذا على جميع العبادات، الظاهرة والباطنة، من الصدق، والإخلاص، والمراقبة التامة، وهي أن يراقب اللَّهَ تعالى في جميع أفعاله وأحواله.

(٥) «أخبرني عن أماراتها» أي علامات مجيء الساعة أي القيامة.

تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا[١]، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ[٢]، يَتَطَاوَلُونَ في البُنْيَانِ. ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيّاً، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قلتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!! قَالَ: فإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَمَعْنَى: «تَلِدُ الأَمَةُ رَبَّتَها» أَيْ: سَيِّدَتَهَا. وَمعناهُ: أَنْ تَكْثُرَ السَّرَارِي حَتَّى تَلدَ الأَمَةُ السُّرِّيَّةُ بِنتاً لِسَيِّدِهَا، وَبِنتُ السَّيِّدِ في مَعْنَى السَّيِّدِ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلك، وَ «الْعَالَةُ» الْفُقَرَاءُ. وقولُهُ: «مَلِيّاً» أَيْ: زَمَناً طويلاً.

٦١ ـ الثَّاني: عَنْ أَبِي ذَرٍّ «جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ» وَأَبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ «مُعَاذِ بْنِ جَبَل» رضي اللَّه عنهما، عَنْ رسول اللَّه ﷺ قال: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ[٣]، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا[٤]، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

٦٢ ـ الثَّالثُ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللَّه عنهما، قال: كُنْتُ خَلْفَ النَّبيِّ ﷺ يَوْماً فَقَال: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ[٥]: احْفَظِ اللَّه يَحْفَظْكَ[٦]، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ[٧]، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّه، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللَّهِ، وَاعْلَمْ: أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ،

---

(١) «تلد الأمةُ ربتها» أي تلد الأمةُ المملوكةُ سيِّدتها، وهذه كناية عن سيادة الأراذل للأفاضل، بحيث يكون سيد القوم أرذلهم، كما في حديث أخرجه الترمذي (**وأن يكون سيِّدُ القوم أرذَلَهم**).

(٢) «رعاء الشاء» أي رعاة الغنم يتطاولون في البنيان أي يبنون المباني الشاهقة «ناطحات السحاب» كما نراه في زماننا هذا، لا سيما ما نشهده في الخليج العربي، من ارتفاع المباني الشاهقة، وكأن الرسول ﷺ يعيش في زماننا، ويحدِّث عما يرى!!.

(٣) «**اتق اللّه حيثما كنتَ**» أي راقب اللّه في جميع أحوالك وأعمالك، سواء كنت خالياً أو مع الناس، في بلدك أو غريباً عن وطنك، في الليل أوفي النهار، وفي السِرّ أو الجهار.

(٤) «وأتبعْ السيئةَ الحسنة» أي إذا فعلت ذنباً أو معصية، فالحقها بطاعةٍ، وعمل خير، أو بصدقة لتمحو ذلك الذنب ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾.

(٥) «**إني أعلمك كلمات**» أي أنصحك ببعض نصائح تنتفع بها.

(٦) «احفظ اللّهَ يَحفظْك» أي احفظ أوامر اللّه في نفسك، وأهلك، وسائر أمورك، ينجِّك اللّهُ من البلايا وكثير من المخاطر.

(٧) «تجده تُجاهك» أي أمامك ومعك بالحفظ والتأييد، كما قال سبحانه ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾.

وإنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[١] رَوَاهُ التِّرْمذيُّ وَقَالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وفي روايةِ غيرِ التِّرْمذيِّ: «احْفظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إلى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً».

٦٣ ـ **الرَّابِعُ**: عَنْ أَنَسٍ رضي اللَّه عنه قالَ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلونَ أَعْمَالاً هيَ أَدَقُّ في أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ[٢]، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رسول اللَّه ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وقال: «المُوبِقَاتُ» المُهْلِكَاتُ.

٦٤ ـ **الْخَامِسُ**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّه تَعَالَى يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّه[٣] تعالى، أَنْ يَأْتِيَ المَرْءُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وَ «الْغَيْرَةُ»: بفتح الغين، وَأَصْلُهَا الأَنَفَةُ.

٦٥ ـ **السَّادِسُ**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضِي اللَّه عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ[٤] فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً، فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ!! فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْناً حَسَناً!! قَالَ: فَأَيُّ المَال أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإبلُ، أَوْ قَالَ البَقَرُ، (شَكَّ الرَّاوِي) فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّه لَكَ فِيهَا، فَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَال: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الذي قَذِرَنِي النَّاسُ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْراً حَسَناً. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟

---

(١) «رفعت الأقلام وجفت الصحف» كناية عن أن الأمور قد فُرغ منها بالقضاء والقدر، وهذا من أحسن الكنايات وأبلغها.

(٢) «هي أدقُّ من الشعر» أي هي صغيرة وحقيرة في نظركم، وكنا نحن أصحابَ النبي ﷺ نعدُّها من الكبائر المهلكة للإنسان.

(٣) «غَيْرةُ اللَّه» الغَيْرةُ: الحميَّةُ والأَنفةُ كما في لسان العرب، والمرادُ أن اللَّه يأنف لعبده، ولا يرضى له، أن ينتهك محارمه، وهي الأمور التي حرَّمها على العباد.

(٤) «أراد اللَّهُ أن يبتليَهم» أي يختبرهم ببعض النِّعَم.

قَالَ: الْبَقَرُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً، وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا. فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ النَّاسَ!! فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: الْغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِداً، فَأَنْتَجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ[1] فِي سَفَرِي، فَلَا بَلاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي[2]. فَقَالَ: الحُقُوق كَثِيرَةٌ. فَقَالَ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيراً فَأَعْطَاكَ اللَّهُ! فقالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ[3]، فقالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً في دَعْوَاك، فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ!! وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ!! وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي؟ فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ مَا أَجْهَدُكَ[4] الْيَوْمَ، بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. ! فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّه عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ» مُتَّفَقٌ عليه[5].

«وَالنَّاقَةُ العُشَرَاءُ» بِضم العينِ وَفَتحِ الشِّينَ هِيَ الحامِلُ، وقولُهُ: «لا أَجْهَدُكَ» معنَاهُ: لا أَشُقُّ عليْكَ في رَدِّ شَيْءٍ تَأْخُذُهُ أَوْ تَطْلُبُهُ مِنْ مَالِي.

---

(١) «انقطعت بي الحبال» أي انقطعت بي أسباب الرزق.

(٢) «أتبلَّغ به في سفري» أي يحفظني في سفري من الانقطاع.

(٣) «ورثته كابراً عن كابر» أي ورثتُ هذا المال عن آبائي وأجدادي.

(٤) «ما أَجْهَدُكَ» أي لا أشقُّ عليك في ردِّ شيء تطلبه من مالي.

(٥) هذه القصة فيها عظةٌ وعبرة، فقد أنعم الله على كلٍّ من «الأبرص، والأقرع، والأعمى» بما يشتهيه ويتمناه، وأُعطي من المال ما يحبُّ، فلمَّا أنعم عليهم بما يحبُّونه، جحدوا نعمة الله، وأنكروا فضل الله عليهم، ما عدا الأعمى، فإنه شكَرَ النعمة فأبقاها عليه، وسلبها من الأبرص، والأقرع.

٦٦ ـ **السَّابعُ**: عَنْ أَبِي يَعْلَى «شَدَّادِ بْن أَوْسٍ» رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «الْكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَهُ[١]، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا[٢]، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»[٣] رَوَاهُ التِّرْمِذيُّ وقال: حديثٌ حَسَنٌ.

قَالَ التِّرْمذيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَى «دَانَ نَفْسَه»: حَاسَبَهَا.

٦٧ ـ **الثَّامِنُ**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[٤] حديثٌ حسنٌ رَوَاهُ التِّرْمذيُّ وَغَيْرُهُ.

٦٨ ـ **التَّاسِعُ**: عَنْ عُمَرَ رضِي اللَّه عنه، عَنِ النَّبِي ﷺ قال: «لا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ»[٥] رَوَاهُ أبو داود وغيره.

⊛⊛⊛

بابٌ في التقوى

قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[٦] [آل عمران: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وهَذِهِ الآية مبيِّنة للمراد من الأولى، ومفسِّرة لها.

---

(١) «**الكيِّسُ من دان نفسَه**» أي الرجلُ العاقلُ من حاسب نفسه قبل أن تُحَاسب، وقدَّم عملاً صالحاً لآخرته.

(٢) «**من أتبع نفسه هواها**» والأحمقُ الجاهلُ المغفَّلُ من أعطى نفسه كلَّ ما تشتهيهِ من أنواع الشهوات المحرَّمة.

(٣) «**وتمنَّى على اللَّه الأماني**» أي تمنَّى المغفرة، والرحمة، والجنة وهيهات أن يحصل له ما يريد. **قال الحسن البصري**: ليس الإيمانُ بالتمنِّي، ولكنْ ما وَقَرَ في القلب، وصدَّقه العملُ، إن قوماً خرجوا من الدنيا، وليس لهم عملٌ صالح، وقالوا: نُحْسِنُ الظنَّ باللَّه، وكذبوا، لو أحسنوا الظنَّ باللَّه لأحسنوا العمل.

(٤) «**تركُه ما لا يعنيه**» أي ما لا يهمُّه ولا مصلحة له به.

(٥) «**فيم ضربَ امرأته**» أي لا يُسأل ما هو السبب والدافع إلى ضرب امرأته؟ فقد يكون لممانعتها له من الفراش، وقد يكون لتفريطها في الصلاة، أو لأسباب زوجية لا يجوز البوح بها، أو لأنها تتحدث بليونة مع الأجانب، أو غير ذلك، وفي هذا حفاظٌ على كرامة الأسرة.

(٦) ﴿**حَقَّ تُقَاتِهِۦ**﴾ أي تقوى صادقة حقيقية منبعثة من القلب، **قال ابن مسعود**: «أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر».

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا[1] وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[2] [الطلاق: ٢ ـ ٣].

وقال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

والآياتُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ.

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ:

٦٩ ـ فَالأَوَّلُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: «قِيلَ: يا رسولَ اللهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ[3]؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ». فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: يُوسُفُ نبيُّ اللهِ، ابنُ نَبيِّ اللهِ، ابنُ نبيِّ الله، ابْنُ خَلِيلِ اللهِ!؟، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَب تَسْأَلُونِي[4]؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا»[5] مُتَّفَقٌ عليه، أَيْ: عَلِمُوا أَحْكَامَ الشَّرْعِ.

٧٠ ـ الثَّانِي: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ[6]، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها، فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا[7]، وَاتَّقُوا النِّسَاء[8]، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ في النِّسَاء» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٧١ ـ الثَّالِثُ: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ:

---

(١) ﴿مَخرَجاً﴾ أي من شدائد وكرب الدنيا والآخرة.

(٢) ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي من جهةٍ لا تخطر بباله.

(٣) «من أكرمُ الناسِ»؟ أي من أرفعُهم منزلةً وأفضلُهم عند الله؟

(٤) «معادن العرب» أي خيارُ العرب الذين كانوا سادة وأفاضل في الجاهلية.

(٥) «إذَا فَقِهُوا» إذا علموا أحكام الشريعة الغراء، وتمسّكوا بها، فهؤلاء أفضل الناس.

(٦) «حلوة خضرة» أي الدنيا كالفاكهة الخضراء الحلوة المحبوبة لكل نفس.

(٧) «فاتقوا الدنيا» أي احذروا فتنة الدنيا وشهواتها.

(٨) «واتقوا النساء» أي احذروا الافتتان بالنساء خاصة، فإن أعظم البلاء الذي أصاب بني إسرائيل بسبب النساء، وفي الحديث «ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء» رواه البخاري.

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ، وَالْغِنَى » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٧٢ ـ **الرَّابعُ**: عَنْ أَبِي طَرِيفٍ «عَدِيِّ بْن حَاتم الطَّائِيِّ» رضي اللَّه عنه قال: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: « مَنْ حَلَفَ على يَمِينٍ، ثُمَّ رَأى أَتْقَى لِلَّهِ مِنْهَا فَلْيَأْتِ التَّقْوَى »[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٧٣ ـ **الخَامِسُ**: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ «صُدَيِّ بْنِ عَجْلَانَ البَاهِلِي» رضي اللَّه عنه قال: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يَخْطُبُ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ: « اتَّقُوا اللَّهَ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا أُمَرَاءَكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، في آخر كتَابِ الصَّلاةِ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

❁ ❁ ❁

بابٌ في اليقين وَالتوكل

قال اللَّه تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ[2] قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ[3] وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣ ـ ١٧٤].

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [إبراهيم: ١١].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣] أَيْ: كَافِيهِ.

وَقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

---

(١) «فليأت التقوى» ليكفر عن يمينه، ويفعل ما هو أتقى وأحب عند الله.

(٢) ﴿الأحزاب﴾ جموع المشركين الذين تحزّبوا لحرب المسلمين يوم غزوة الخندق.

(٣) ﴿فانقلبوا بنعمة من الله﴾ أي رجعوا بنعمة السلامة مع الأجر العظيم.

والآيَات فِي فَضلِ التَّوَكُّل كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ.

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ:

٧٤ ـ **فالأول**: عَنِ ابنِ عَبَّاس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبيَّ وَمَعَه الرُّهَيْط[1]، وَالنَّبيَّ وَمَعَهُ الرَّجُل وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ[2]، فَظَنَنْت أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُه، ولَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهض فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ[3] فِي أُولئِكَ الَّذِين يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ صَحِبُوا رسولَ اللَّه ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِين وُلِدُوا في الإِسْلامِ، فَلَمْ يُشْرِكُوا باللَّه شيئاً ـ وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ ـ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رسول اللَّه ﷺ فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ[4]، وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنَ مُحْصِنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ!! فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنهُمْ»، فَقال: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» مُتَّفَقٌ عليه.

«عُكَّاشَةُ» بِضَمِّ الْعَيْن وَتَشْدِيد الْكَافِ وَبِتَخْفِيفِها، وَالتَّشْدِيدُ أَفْصَحُ.

٧٥ ـ **الثَّاني**: عَن ابن عَبَّاسٍ رضِي اللَّه عَنهما أيضاً، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ[5]، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ[6]،

---

(١) «ومعه الرُّهَيْطُ» أي معه الجماعةُ القليلة من الناس، والرُّهيطُ: تصغير رَهْطٍ، وهي الجماعة دون العشرة.

(٢) «سواد عظيم» أي خلائق كثيرون لا يُحصون عدداً.

(٣) «فخاضَ الناسُ» أي تكلَّموا وتناظروا فيمن عناهمُ رسول اللَّه ﷺ.

(٤) «لا يَرْقون ولا يتطيرون» أي لا يطلبون الرُّقية ولا يتشاءمون، كما كان يفعل أهل الجاهلية من التشاؤم بالطير ونحوه.

(٥) «لك أسلمتُ» أي استسلمتُ لحكمك وأمرك.

(٦) «وإليكَ أنبتُ» أي رجعتُ بالتوبة والإنابة إليك، وأعرضتُ عمن سواك.

وَبِكَ خَاصَمْتُ[١]، اللَّهُمَّ إِنِي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ[٢]، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٧٦ ـ **الثَّالِثُ**: عَن ابْن عَبَّاسٍ رضي اللَّه عنهما أيضاً قال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ»[٣] قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَها مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وفي رواية له أيضاً قال: «كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ».

٧٧ ـ **الرَّابِعُ**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قِيلَ: مَعْنَاهُ مُتَوَكِّلُونَ، وَقِيلَ: قُلُوبُهُمْ رَقِيقَةٌ.

٧٨ ـ **الخَامِسُ**: عَنْ جَابِرٍ رضي اللَّه عنه «أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ[٥]، فَلَمَّا قَفَلَ[٦] رسول اللَّه ﷺ قَفَلَ مَعَهُمْ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ[٧] فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ[٨]، فَنَزَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رسولُ اللَّه ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ[٩]، فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَه، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رسولُ اللَّه ﷺ

---

(١) «وبك خاصمتُ» أي بك أقاتلُ وأدافع أعدائي وأحاجُهم.

(٢) «أنت الحيُّ» أي أنت الباقي الذي لا يموتُ، والخلائق كلُّهم يموتون.

(٣) «حَسْبُنَا اللَّهُ ونعم الوكيلُ» أي كافينا اللَّهُ تعالى أن يكون سنداً وعوناً لنا، ونعم العونُ ربُّ العزة والجلال! هذه الجملة قالها إبراهيم عليه السلام، حين أُلقي في النار، فنجّاه اللَّه منها، وقالها محمد عليه السلام، حين قال المرجفون لأصحاب النبي ﷺ: إن قريشاً قد جمعوا لكم جموعاً ضخمة، فخافوا على أنفسكم، فقال النبي ﷺ وأصحابه: حسبنا اللَّه ونعم الوكيلُ.

(٤) «مثلُ أفئدةِ الطير» أي في الرّقة والضعف، يخافون اللَّهَ ويعملون الصالحات، كما قال ﷺ عن أهل اليمن «أهلُ اليمن أرقُّ قلوباً، وأضعفُ أفئدة» والطيرُ أكثرُ الحيوان خوفاً وفزَعاً.

(٥) «غزا قِبَل نَجْد» أي غزا قوماً جهة بلاد نجد.

(٦) «فلمّا قَفَل» أي رجع من غزوته.

(٧) «فأدركتهم القائلة» أي النوم وقت الظهيرة للراحة.

(٨) «كثير العِضَاهِ» أي الشجر الذي له شوك، وهو أكثرُ شجر البوادي.

(٩) «تحت سَمُرة» شجرة طلحٍ كبيرة.

يَدْعُونا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي[١] وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتاً[٢]، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ ـ ثَلاثاً ـ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ[٣] وَجَلَسَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: قَالَ جابرٌ: «كُنَّا مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بذَاتِ الرِّقَاعِ[٤]، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ، تَرَكْنَاهَا لرسول اللَّه ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَسَيْفُ رسول اللَّه ﷺ مُعَلَّقٌ بالشَّجَرَةِ، فَاخْتَرَطَهُ فَقَالَ: تَخافُنِي؟ قَالَ: «لا» فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللَّهُ»! قال: فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ رسول اللَّه ﷺ السَّيْفَ، فَقَال: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» فَقَالَ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ، فَقَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّه؟» قال: لا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَأَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ».

٧٩ ـ السَّادِسُ: عَنْ عُمَرَ رضي اللَّه عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ[٥]، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً»[٦] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ.

٨٠ ـ السَّابعُ: عَنْ أبي عُمَارَةَ «البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ» رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يا فُلانُ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ[٧] فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسي إِلَيْكَ[٨]، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ[٩]،

---

(١) «اخترط سيفي» أي سلَّه في يده ليقتلني.
(٢) «صلتاً» أي هو مسلولٌ في يده.
(٣) «ولم يعاقبه» أي عفا عنه ولم يعاقبه على جريمته، وحينئذٍ قال الأعرابي للرسول ﷺ: كن خير آخذٍ.
(٤) «بذات الرِّقاع» أي غزوة ذات الرقاع، لأن أقدامهم نُقِبتْ فكانوا يلفُّونها بالخِرَق من طول المسافة.
(٥) «حقَّ توكُّله» أي توكُّلاً صادقاً عن إيمان ويقين.
(٦) «تغدو خماصاً» أي تذهب أول النهار ضامرة البطون من الجوع، وترجع آخر النهار ممتلئة البطون من الشِّبَع.
(٧) «أويتَ إلى فراشك» أي اضطجعتَ تريد النوم.
(٨) «أسلمتُ نفسي إليك» أي جعلتها منقادة لك، طائعة لحكمك.
(٩) «وألجأتُ ظهري إليك» أي اعتمدتُ عليك في جميع أموري.

رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ[١]، لَا مَلْجأَ ولَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ[٢]، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيْراً» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية في الصَّحيحين عَنه قال: قال لِي رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ وَقُلْ: . . .»: وَذَكَرَ نَحْوَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ»[٣].

٨١ ـ الثَّامِنُ: عَن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق ـ رضِي اللَّه عنه ـ عبدِ اللَّهِ بْنِ عثمان بن عامِرِ ابن عُمَرَ بْن كَعْبِ بْن سَعْدِ بْن تَيْمِ بْن مُرَّةَ بْن كَعْبِ بْن لُؤَيِّ بْن غَالِبٍ القُرَشِيِّ التَّيْمِيِّ رضِي اللَّه عنه ـ وَهُوَ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ صَحابَةٌ، رضِي اللَّه عنهم ـ قال: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدامِ المُشْرِكِينَ وَنَحْنُ في الغَارِ وَهُمْ عَلَى رُؤُوسِنا فقلتُ: يا رسول اللّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَر تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا! فَقَالَ ﷺ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ باثْنَيْنَ اللّه ثَالِثُهُمَا»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

٨٢ ـ التَّاسِعُ: عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ «أُمِّ سَلَمَةَ» رضي اللَّه عنها، أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ، أَنْ أَضِلَّ، أَوْ أُضَلَّ[٥]، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ[٦]، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»[٧] حديثٌ صَحيحٌ رَوَاهُ أبو داود، والتِّرْمذيُّ.

قالَ التِّرْمذي: حَديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وهذا لفظ أبي داود.

٨٣ ـ الْعَاشِرُ: عَنْ أَنس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ قَالَ ـ

---

(١) «رغبةً ورهبة إليكَ» أي طمعاً في ثوابك، وخوفاً من عقابك.

(٢) «متَّ على الفطرة» أي متَّ على التوحيد والإيمان.

(٣) «واجعلهنَّ آخر ما تقول» أي اختمْ أقوالك بهذا الدعاء.

(٤) «باثنين اللّهُ ثالثهما» أي ثالثُهما بالنصر، والحفظ، والمعونة، هل يصيبهما أذى أو مكروهٌ؟ يشير ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا. .﴾.

(٥) «أَضِلَّ أو أُضَلَّ» أي أضلَّ عن طريق الهدى، أو يُضلَّني غيري عن الإيمان، وطريق الرحمن!؟

(٦) «أوأَزِلَّ أو أُزَل» أي أن أنحرف عن الطريق المستقيم، أو يحرفني غيري، فأشقى!!

(٧) «أو أَجْهَل أو يُجْهل عليَّ» أي أن أكون سفيهاً جاهلاً أعتدي على الخَلْق، أو يسفَهَ أحدٌ عليَّ من الخلق.

يَعْنِي إذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ـ بِسْم اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ. يقالُ لَهُ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ[1]، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ» رَوَاهُ أبو داوُدَ، والتِّرمِذِيُّ، والنَّسائيُّ وغَيْرُهُمْ وقال التِّرمِذِيُّ: حديثٌ حسنٌ، زَادَ أَبُو داوُدَ: فيقول «يَعْنِي الشَّيْطَانَ» لِشَيْطَانٍ آخَرَ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ، وَكُفِيَ، وَوُقِيَ.

٨٤ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضي اللَّه عنه قال: «كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النبيَّ ﷺ، وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ[2]، فَشَكَا المُحْتَرِفُ أَخَاهُ للنبي ﷺ فقال: لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ»[3] رَوَاهُ التِّرمذي بإسنادٍ صحيح على شرطِ مسلمٍ.
«يَحْتَرِفُ»: يَكْتَسِبُ وَيَتَسَبَّبُ.

❁ ❁ ❁

بَابٌ في الاستِقامة

قال اللَّه تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟[4] تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ[5] أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[6] [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾[الأحقاف: ١٣ ـ ١٤].

---

(١) «هُديتَ ووُقيت، وكُفيت» أي حُفظت من شرّ كلّ عدوّ.

(٢) «والآخر يحترف» أي يعمل ويكتسب المالَ من حرفته.

(٣) «لعلك تُرزق به» أي لعلّ الرزق يأتيك بسببه، وهذا كما قال ﷺ: «هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم»؟

(٤) ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي لزموا المنهج القويم من طاعة اللَّه، وطلب رضوانه، وثَبتوا على ذلك، تلا عمر الآية على المنبر، ثم قال: «استقاموا واللَّهِ على الطريقة، طلباً لرضى الرحمن، ولم يَراوِغوا رَوَغَان الثعالب».

(٥) ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي عند الاحتضار، لتبشّرهم بالأمن والسلامة.

(٦) ﴿نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ أي ضيافةً وكرامة من ربٍّ غفّار رحيم.

٨٥ ـ عَنْ أَبي عَمْرَةَ «سُفْيَانَ بْنِ عبدِ اللَّه» رضي اللَّه عنه قال: «قُلْتُ: يَا رسول اللَّهِ، قُلْ لِي في الإِسْلَامِ قَوْلاً، لا أَسْأَل عَنْه أَحَداً غَيْرَكَ[١]. قال: قُلْ: آمَنْتُ باللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٨٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه: قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «قَارِبُوا وَسَدِّدوا، وَاعْلَمُوا أَنَّه لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ منكُمْ بِعَمَلِهِ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ قال: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّه بِرَحْمَةٍ[٣] منه وَفَضْلٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَ «المُقَارَبَةُ»: القَصْدُ الَّذِي لا غُلُوَّ فِيهِ وَلَا تَقْصِيرَ. وَ «السَّدَادُ»: الاسْتِقَامَةُ وَالإِصَابَةُ، ولُزوم طَاعَةِ اللَّه تَعَالَى، وَهِيَ مِنْ جَوَامِعِ الكَلِمِ.

❁ ❁ ❁

بَابٌ في التفكر في مخلوقات الله وفناء الدنيا وأهوال الآخرة، وسائر أمورهما وتقصير النفس وتهذيبها وحملها على الاستقامة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾[٤] [سبأ: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

---

(١) «لا أسأل عنه أحداً غَيْرَكَ» أي قولاً جامعاً لا أحتاج إلى سؤالِ أحدٍ غيرك.

(٢) «قل آمنتُ باللَّهِ ثم استقم» قال القاضي عياض: هذا من جوامع كَلِمِه ﷺ أي حقِّق الإيمان في قلبك، ثم استقم على توحيد اللَّه وطاعته، وامتثال أوامره، في سيرتك، وأقوالك، وأفعالك.

(٣) «إلا أن يتغمَّدني اللَّهُ» إلا إذا تغشّاني اللَّه برحمته وفضله، ولم يحاسبني الحساب الدقيق! قال العلماء: الجنة يدخلها المؤمنون بفضل اللَّه، وأمَّا الدرجاتُ في الجنة فتكون بالأعمال الصالحة.

(٤) ﴿مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ معنى الآية الكريمة: إنما أوصيكم وأنصحكم بخصلة واحدة وهي: أن تتحروا الحقَّ لوجه اللَّه، متفرِّقين، اثنين اثنين، وواحداً واحداً، لأن الاجتماع يشوِّش الفكر، لتتيَّقنوا أن محمداً ﷺ ليس به جنون.

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1] [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ[2] ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢١].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟﴾ [محمد: ١٠] الآية.

والآيات في الباب كثيرةٌ.

وَمِنَ الأَحَادِيث الحَدِيث السَّابق رقم (٦٦): «الكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَه».

❁ ❁ ❁

بابٌ في المبادرةَ إلى الخَيرات وحث من توجَّه لخيرٍ على الإقبال عليه بالجد من غير تردّد

قال اللّه تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[3] [البقرة: ١٤٨].

وقال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وَأَمَّا الأَحَادِيث:

٨٧ ـ فَالأَوَّل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللّه عنه، أن رسول اللّه ﷺ قال:

---

(١) حين نزلت هذه الآيات العشر من آخر سورة آل عمران، قال النبي ﷺ: «ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكّر فيها» انظر القصة في تفسير ابن كثير ١/٣٤٨.

(٢) ﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي كيف بُسطت ومُهّدت، حتى صارت شاسعة واسعةً، للبناء والزراعة مع كرويَّتها، والنظر هنا: نظر تفكُّر واعتبار، ولهذا ختمها بقوله: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾.

(٣) ﴿فاستَبِقُوا الخَيرَاتِ﴾ أي بادروا وسارعوا إلى فعل الخيرات، وعمل الصالحات.. والتعبيرُ بالمسابقة كأن المؤمنين في ميدان سباق، يتنافسون من يكون منهم أسبق؟ وينبغي أن نعلم أنَّ أمور الآخرة يأتي الأمرُ بالمسارعة والمسابقة، وفي أمور الدنيا يأتي الأمرُ بالسير، دون التعجل ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ فتنبَّهْ للفارق بينهما واللّه يرعاك.!

« بَادِرُوا بالأعْمَالِ[١]، فِتَناً كَقطَع اللَّيْلِ المُظْلِم، يُصْبح الرَّجل مُؤمناً[٢] وَيُمْسِي كَافراً، وَيُمْسِي مُؤمناً وَيُصْبح كافراً، يَبيع دِينَه بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٨٨ ـ الثَّاني: عَنْ أَبِي سَرْوَعَةَ «عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ» رضي اللَّه عنه قال: « صَلَّيْت وَرَاءَ النَّبيِّ ﷺ بالمَدِينَةِ العَصْرَ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعاً فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ، إلَى بَعْضِ حُجَر نسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاس منْ سُرْعَتهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ عَجبوا منْ سُرْعَته، قالَ: ذَكَرْت شَيْئاً منْ تِبْرٍ[٣] عنْدَنَا، فَكَرِهْت أَنْ يَحْبسَني، فَأَمَرْت بقسْمَته » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وفي رواية له: « كُنْتُ خَلَّفْتُ في الْبَيْتِ تِبْراً منَ الصَّدَقَةِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُبَيِّتَه ». «التِّبْرُ» قطَع ذَهَبٍ أَوْ فضَّةٍ.

٨٩ ـ الثَّالث: عَنْ جَابِرٍ رضي اللَّه عنه قال: « قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: أَرَأَيْتَ إنْ قُتلْت فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: في الجَنَّةِ، فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قتلَ »[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

٩٠ ـ الرَّابع: عن أَبي هُرَيرةَ رضي اللَّه عنه قال: جَاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: « يا رسول اللَّه، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْراً؟ قَالَ: أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحيحٌ، شَحِيحٌ، تَخْشَى الفَقْر، وَتَأْمَلُ الغنَى، وَلَا تُمْهلْ حَتَّى إذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ[٥] قُلْتَ: لفُلَانٍ كَذَا، ولفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لفُلان » مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) « بادروا بالأعمال» أي سارعوا إلى فعل الأعمال الصالحة، قبل تعذُّرها، والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن المتكاثرة.

(٢) « يصبح الرجل مؤمناً» أي يكون الرجل في الصباح مؤمناً، وفي المساء كافراً، ينقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الهدى إلى الضلال، ما بين عشيَّةٍ وضحاها، وسبب هذا الانقلاب هو ضعف الإيمان، بحيث يبيع الرجل دينه، بشيء تافهٍ حقير من متاع الدنيا.

(٣) « شيئاً من تِبْرٍ» أي شيئاً من الذهب فأراد الرسول ﷺ أن يقسمه بين المسلمين، خشية أن يبيت عنده.

(٤) « فألقى تمرات» هذا الرجل اسمه «عُمَيْر بن الحمَام» كان بيده تمرات يأكلهنّ، وسمع داعيَ الجهاد ينادي، فقال: لئن أنا عِشتُ حتى آكلِ هذه التمرات، إنها لحياة طويلة، فألقى التمراتِ من يده، ثم دخل المعركة فقاتَل حتى قُتل، وفي الحديث بيان حبِّ الصحابة للشهادة في سبيل اللَّه، ونصرة دينه، رضي اللَّه عنهم وأرضاهم.

(٥) « بلغت الحلقوم» أي بلغت الروح أن تفارق الجسد، والحلقومُ: مجرى النَّفس، والمريءُ: مجرى الطعام والشراب. **والغرضُ من الحديث**: أن يتصدَّق الإنسان في شبابه ووقت صحته، ولا يمهل حتى إذا شعر بدنوِّ أجله، سارع إلى الصدقة والإحسان.

٩١ ـ الخامس: عن أنس رضي الله عنه «أنَّ رسول اللَّه ﷺ أخَذَ سَيْفاً يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: مَنْ يَأْخُذُ مني هَذَا؟ فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُول: أَنَا أَنَا!! قَالَ: فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّه؟ فَأَحْجَمَ القَوْمُ[١]، فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ[٢] رضي الله عنه: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ، فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ المُشْرِكِينَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٩٢ ـ السَّادس: عن «الزُّبَيْرِ بْنِ عديٍّ» قال: «أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي اللّه عنه، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى منَ الحَجَّاجِ[٣]، فَقَالَ: اصْبروا فَإِنَّهُ لا يَأْتِي عَليكم زَمَانٌ، إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَه شَرٌّ منه، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُم،[٤] سَمِعْتُهُ من نَبِيِّكُمْ ﷺ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٩٣ ـ السَّابع: عن أبي هريرة رضي اللّه عنه، أن رسول اللّه ﷺ قال: «بادِرُوا بالأعْمَالِ سَبْعاً[٥]، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْراً مُنسياً، أَوْ غِنًى مُطغياً، أَوْ مَرَضاً مُفسداً، أَوْ هَرَماً مُفْنداً[٦] أَوْ مَوْتاً مُجهزاً، أَوِ الدَّجَّالَ[٧] فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَر، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ!» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

٩٤ ـ الثامن: عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَن رسولَ اللّه ﷺ قال يومَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَه، يَفْتَح اللّه عَلَى يَدَيْهِ!!» قَالَ عُمَر

---

(١) «فأحجم القومُ» أي توقفوا عن طلب السيف.
(٢) «أبو دُجانة»: اسمُه «سِمَاك بن خَرَشَةَ» من الشجعان الأبطال، أخذ السيف من النبي ﷺ بحقِّه، وهو قتال أعداء اللّه، فشقَّ به رؤوس المشركين.
(٣) «ما نلقى من الحجّاج» الحجّاجُ هو الأمير الظالم المشهور ببطشه «الحجّاج بن يوسف الثقفي».
(٤) «تلقَوا ربّكم» أي حتى تموتوا، وأما الشرُّ الذي أشار إليه الحديث فهو كما قال ابن مسعود: بقلة العلم وموت العلماء، فإذا ذهب العلماء فشا الجهلُ، وكثر الشرُّ، وهلك الناسُ، ويؤيده ما رواه البخاري «إن من أشراط الساعة أن يقلَّ العلمُ، ويثبتَ الجهلُ، ويكثر الهرج أي القتل».
(٥) «بادروا بالأعمال سبعاً» أي قبل أن تشغلكم أحوال سبعة، وهي: الفقر، والغنى، والمرض.. الخ.
(٦) «هرماً مفنداً» الفَنَدُ: الخَرَفُ والتخليطُ في الكلام.
(٧) «أو الدجّال» أي خروج المسيح الدجّال، الذي هو أعظم فتنةٍ للبشر، لأنه يزعم الألوهية ومعه بعضُ الخوارق، ولهذا قال ﷺ: «فشرُّ غائب يُنتظر».

رضي اللّه عنه: مَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ إِلّا يَوْمَئِذٍ، فَتَسَاوَرْتُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لَهَا، فَدَعَا رسول اللّه ﷺ «عليّ بن أبي طالب» رضي اللّه عنه، فأعطاه إيَّاهَا، وَقَالَ: « امْشِ وَلَا تَلْتَفِت حَتَّى يَفْتَحَ اللّه عَلَيْكَ» فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئاً، ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ، فَصَرَخَ: يَا رسول اللّه، على ماذَا أُقاتِل النَّاس؟ قالَ: « قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللّه، وأنَّ مُحَمَّداً رسول اللّه، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللّهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «فَتَسَاوَرْتُ» أي وَثَبْتُ مُتَطَلِّعاً.

۞ ۞ ۞

بابٌ في المجاهدَة

قال اللّه تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ[1] وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[2] [الحجر: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ [المزمل: ٨]. أيْ انقَطِعْ إِلَيْه.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ ﴾ [المزمل: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

والآيات في الباب كَثِيرةٌ معلومة.

وأما الأحاديث:

٩٥ ـ فالأول: عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: إِنَّ اللّه تعالى قال: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بالْحَرْب[3]، وَمَا تَقَرَّب إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْت عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى

---

(١) ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي جاهدوا النفس والهوى والشيطان، طلباً لمرضاتنا، لنهدينَّهم الطريق الموصلَ إلينا.

(٢) ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ﴾ أي اعبد ربك حتى يأتيك الموتُ الذي لا نجاة لأحدٍ منه.

(٣) «آذنته بالحرب» أي أعلنتُ الحرب عليه علناً. والوليُّ: كلُّ مؤمنٍ متّقٍ للّه، قال تعالى ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

أُحِبَّه، فَإِذَا أَحْبَبْتُه كُنْتُ سَمْعَهُ[١] الَّذِي يَسْمَعُ به، وَبَصَرهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِها، وإنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. «آذَنْتُهُ»: أَعْلَمْتُهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ لَهُ.

٩٦ ــ **الثاني**: عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قال: «إِذَا تَقَرَّبَ العَبْدُ إِلَيَّ شِبْراً، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[٢] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٩٧ ــ **الثالث**: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ[٣] فيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٩٨ ــ **الرابع**: عن عائشة رضي الله عنها «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ[٤]، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ[٥] وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْداً شَكُوراً؟» مُتَّفَقٌ عليه. وهذا لفظ البخاري.

٩٩ ــ **الخامس**: عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرِ»[٦]

---

(١) «فإذا أحببتُه كنتُ سمعه» أي لا يسمع العبدُ ولا يبصر، ولا يمشي إلا إلى ما يرضي اللّهَ عزَّ وجلَّ، ولا يصح حملُه على الظاهر، لأنه محال أن يحلَّ اللّه في العبد، فيصبح اللّه سمعه وبصره، ويده ورجله، وإنما هو محمول على سرعة طاعة العبد لربه.

(٢) «ولئن أتاني يمشي أتيتُه هرولة» هذا من باب التمثيل للتقريب إلى ذهن الإنسان، أي من أتى شيئاً من الطاعات، قابلتُه بأضعاف ذلك من الثواب والإكرام، **قال ابن حجر**: والهرولةُ كناية عن سرعة الرحمة إليه، ورضا اللّه عن العبد، وتضعيف الأجر له، وقربُ اللّه من العبد قربٌ روحاني لا بدني.

(٣) «نعمتان مغبون» الغَبْنُ: الشراءُ بأضعاف الثمن، كمن يشتري ما قيمتُه مائة بخمسمائة، فيقال: إنه غُبن في الشراء، أو يبيع ما قيمته عشرة آلاف بألف مثلاً، فيقال: غُبِن في البيع، والمراد في الحديث أن نعمة الصحة والفراغ لا يعرف الإنسان قدرهما فهو مغبون بهما.

(٤) «تتفطر قدماه» تتشقق من طول القيام في الصلاة.

(٥) «غفر ما تقدم من ذنبك» ليس للنبي ﷺ ذنوب مثل ذنوبنا، لأنه لا يفعل الذنب متعمداً، وإنما يجتهد في بعض الأمور، فيكون غيرها أصلح، ثم إن الأنبياء مهما بلغوا من الطاعة والعبادة، فهم لم يؤدُّوا مقام الربوبية حقه، فمن هذا الوجه يأتي الغفران للذنوب.

(٦) «وشدَّ المئزر» شدُّ المئزرِ كنايةٌ عن اعتزال النساء، والجدّ والاجتهاد في الطاعة والعبادة.

مُتَّفَقٌ عليه. والمراد: العَشْرُ الأَوَاخِرُ من شهر رمضانَ.

١٠٠ ـ **السادس**: عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المُؤمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وأَحَبُّ إِلى اللَّهِ مِنَ المُؤمِنِ الضَّعِيفِ وَفي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ. وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ «لَوْ» تَفتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠١ ـ **السابع**: عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ[١]، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية لمسلم: «حُفَّت» بَدلَ «حُجِبَتْ» وَهُوَ بِمَعْنَاهُ.

١٠٢ ـ **الثامن**: عن أَبي عبد الله «حُذَيْفَةَ بنِ اليمانِ» رضي الله عنهما، قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافتَتَحَ البَقَرَةَ[٢]، فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ المائَةِ، ثُمَّ مَضَى؛ فقُلْت يُصَلِّي بهَا في رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْت يَرْكَعُ بهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقرَأُ مُتَرَسِّلاً[٣]، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ» فَكَانَ رُكُوعُه نَحواً مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قال: «سَمِعَ اللَّه لِمَنْ حَمِدَه، رَبَّنَا لَكَ الحَمْد» ثُمَّ قامَ قِيَاماً طَويلاً قَرِيباً مِمَّا رَكَعَ، ثمَّ سَجَدَ فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى» فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيباً مِنْ قِيَامِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٣ ـ **التاسع**: عن ابن مسعود رضِي الله عنه قال: «صَلَّيْت مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَأَطَالَ القِيَامَ حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سُوءٍ[٤]!! قيل: وَمَا هَمَمْتَ بِهِ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَه» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «حُجبتْ النارُ بالشهوات» أي أُحيطت وحفَّت بما تشتهيه النفسُ.

(٢) «فافتتح البقرة» أي صلَّى في الركعة الأولى بسورة البقرة.

(٣) «يقرأ مترسِّلاً» أي بتُؤدةٍ وتأنٍ بتبيين الحروف مع الترتيل للآيات ﴿وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾.

(٤) «هممتُ بأمرِ سَوْء» أي عزمتُ أن أقطع الصلاة وأجلس من طول الصلاة.. وهذه الصلاة كانت بالليل تطوعاً، فلذلك قرأ ﷺ البقرة والنساء في ركعة واحدة، ولا ينبغي للإمام أن يطيل الصلاة في الفرائض، لئلا يثقل على المصلِّين، وفي الحديث الصحيح: «من أمَّ فليخفِّف».

١٠٤ ـ **العاشر**: عن أنس رضي اللّه عنه، عن رسول اللّه ﷺ قال: « يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٥ ـ **الحادي عشر**: عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال النبي ﷺ: « الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ[١]، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٠٦ ـ **الثاني عشر**: عن أبي فِراسٍ «رَبِيعَةَ بنِ كَعْبٍ الأَسْلَمِيِّ» خَادِمِ رسول اللّه ﷺ، وَمِنْ أَهْلِ الصُفَّةِ رضي اللّه عنه قال: « كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رسول اللّه ﷺ فآتِيهِ بِوَضوئِهِ، وَحَاجَتِهِ فَقَالَ: «سَلْنِي» فَقُلْت: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ!! فَقَالَ: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْت: هُوَ ذَاكَ. ![٢] قال: فَأَعِنِّي عَلى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٧ ـ **الثالث عشر**: عن أبي عبد اللّه، «ثَوْبَانَ» مَوْلى رسول اللّه ﷺ قال: سَمِعْتُ رسول اللّه ﷺ يقول: « عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللّه بهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٨ ـ **الرابع عشر**: عن أبي صَفْوَانَ «عبد اللّه بن بُسْرٍ الأَسْلَمِيِّ»، رضي اللّه عنه، قال: قال رسول اللّه ﷺ: « خَيْرُ النَّاسِ: مَنْ طَالَ عُمُره، وَحَسُنَ عَمَلُه» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٠٩ ـ **الخامس عشر**: عن أنس رضي اللّه عنه، قال: « غَابَ عَمِّي «أَنَسُ بْنُ النَّضرِ» رضي اللّه عنه، عن قِتَالِ بَدْرٍ، فقال: يا رسول اللّه غِبْتُ عَن أَوَّلِ قِتالٍ قَاتَلْتَ فيه المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ، لَيَرَيَنَّ اللّهُ مَا أَصْنَعُ[٤]؟. فَلَمَّا كَانَ

---

(١) « أقربُ من شِرَاك نعله» الشِّراكُ: هو السَّيْرُ أي الحبلُ الذي يربط به النعلُ، وهذا تشبيه بأن الجنة والنار، كلٌّ منهما قريبٌ من الإنسان، مثل قرب الشِّراك، فليخترْ لنفسه ما يقرِّبه من الجنة، أو النار.

(٢) « هو ذَاكَ» أي هذا مطلوبي، لا أريد غيره، أن أكون رفيقاً لك في الجنة.

(٣) « أعنِّي بكثرة السجود» أي أكثر من الصلاة النافلة، وإطالة السجود فيها، فإن أقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد.

(٤) « ليَرَيَنَّ اللّهُ ما أصنعُ» أي سيرى اللّه ما أفعل بالمشركين، يريد أنه سيُبْلي فيهم ما يقرُّ به عين الرسول ﷺ.

يَوْمُ أُحُدٍ، انْكَشَفَ المُسْلِمُونَ[١]، فَقَالَ: اللّهُمَّ أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلَاءِ (يَعْنِي أَصْحَابه) وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلَاءِ (يَعْنِي المُشْرِكِينَ) ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ «سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ»، فَقَالَ: يَا سَعْدُ. الجَنَّةُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ[٢]، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ، قَال سَعْدُ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا صَنَعَ! قال أنسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضعاً وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ، وَمَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ[٣]!! قَال أنس: كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] إلى آخرها» مُتَّفَقٌ عليه.

١١٠ ـ **السادس عشر**: عن أبي مسعود «عُقْبَةَ بنِ عمرٍو الأنصاريّ البدريّ» رضي اللّه عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ عَلَى ظُهُورِنَا[٤] فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُراءٍ[٥]، وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ[٦]، فقالُوا: إِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صاعِ هذَا! فَنَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ[٧] مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] الآية. مُتَّفَقٌ عليه.

١١١ ـ **السابعَ عشر**: عن أبي ذَرٍّ «جُنْدُبِ بنِ جُنَادَةَ»، رضي اللّه عنه، عن

---

(١) «انكشف المسلمون» أي هُزموا أمام أعدائهم، بعد أن كان النصر حليفهم، وذلك لمخالفتهم أمر الرسول ﷺ.

(٢) «الجنَّةُ وربِّ الكعبة» أي هذه الجنة بدتْ لي، أقسمُ لك بربِّ الكعبة، وأنا الآن مشتاق لها أجد ريحها.

(٣) «بِبَنانه» أي ما عرفته إلا أخته من رءوس أصابعه، لأن المشركين مثلوا به تمثيلاً شنيعاً، فلم يعرفه أحد إلا أخته، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا...﴾ الآية.

(٤) «كنَّا نُحَامِلُ على ظُهورنا» أي يحمل أحدنا على ظهره بالأجرة ويتصدّق بها.

(٥) «فقالوا: مُرَاءٍ» أي قال المنافقون: إنه مُرَاءٍ بعمله يحبُّ الشهرة، لكثرة ما جاء به.

(٦) «فتصدّق بصاع» أي تصدّق بصاعٍ من تمر، وهو ما يقارب أربعة أمداد أي (٣) ثلاثة كيلو غرامات، فعابه المنافقون وقالوا: اللّهُ لا يحتاج إلى صاع هذا!!

(٧) ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ أي يعيبونهم، إن تصدّقوا بالكثير، قالوا: إنهم مراءون، وبالقليل رموهم بالبخل، وسخروا من صدقتهم، وفيهم نزلت الآية: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ [التوبة: ٧٩].

النَّبيِّ ﷺ فيما يَرْوِي عَنِ اللَّه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عِبَادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْم عَلَى نَفْسِي[١] وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلا تَظَّالموا[٢]، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَال إلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ[٣]، يَا عِبَادِي كُلُّكُم جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُوني أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُم عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ[٤]، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّوني، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا على أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيد وَاحِدٍ[٥]، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عندي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البحر، يَا عِبَادِي إِنَّما هِي أَعْمَالُكُمْ أُحصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». قَال سعيدٌ: «كان أَبو إدريس الخَوْلَانِيُّ إذا حدَّث بهذا الحديثِ جَثَا على رُكبتيه». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وروينا عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه اللَّه قال: ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث.

❁ ❁ ❁

(١) «حرّمتُ الظلمَ على نفسي» أي الظلمُ محرّم على اللّه، وعلى الناس، قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.

(٢) «فلا تَظَالَموا» أي لا يظلم أحدٌ أحداً، فإن الظلم ظُلُماتٌ يوم القيامة، وعاقبتُه وخيمة، قال الشاعر:

لا تَظْلِمَنَّ إذا ما كنتَ مُقْتَدِراً ... فالظلمُ آخِرَهُ يدعو إلى النَّدَمِ
تَنَامُ عيناكَ والمظلومُ مُنتَبِهٌ ... يدعُو عليكَ وعَيْنُ اللّهِ لم تَنَمِ

(٣) «فاستهدوني أهدكم» أي اطلبوا الهداية منّي أهدكم.

(٤) «استكسوني أكسكم» أي اطلبوا الكسوة وما يستركم أعطيكم إيّاها، والسينُ والتاءُ للطلب.

(٥) «قاموا في صعيد واحد» أي اجتمعوا في أرضٍ ومكانٍ واحدٍ، وطلب كل واحدٍ ما يشتهيه.

بابٌ في الحثِّ على الازدياد من الخير في أواخِرِ العُمر

قال اللّه تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم[1] مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧].

قال ابن عباس: مَعْنَاهُ: أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ سِتِّينَ سَنَةً؟ وَيُؤَيِّدُهُ الحديثُ الذي سنذكرُهُ إن شاء اللّه تعالى.. وقيلَ: أربعين سَنَةً. ونقِلَ عن ابن عباس أيضاً. ونَقَلوا: أَنَّ أَهْلَ المدِينَةِ، كَانُوا إِذَا بَلَغَ أَحَدُهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً، تَفَرَّغَ للعِبَادَةِ. وقيل: هو البُلُوغُ، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ قال ابن عباس: هو «النبيُّ» ﷺ. وقيل: «الشَّيب». قاله عِكْرِمَة، وابن عُيَيْنَةَ، وغيرهما. واللّه أعلم.

وأمّا الأحاديثُ:

١١٢ ـ فالأوّل: عن أبي هريرة رضي اللّه عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «أَعْذَرَ اللّه إِلَى امْرِىءٍ أَجَلَه حتى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً» رَوَاهُ البُخَارِيُّ. قال العلماء: معناه: لَمْ يَترك لَه عُذْراً إِذْ أَمْهَلَهُ هذِهِ المُدَّةَ. يُقال: أَعْذَرَ الرَّجُل: إِذَا بَلَغَ الغَايَةَ فِي العُذْرِ.

١١٣ ـ الثاني: عن ابن عباس رضي اللّه عنهما، قال: «كانَ عمر رضي اللّه عنه يُدْخِلُني مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ[2]، فَقال: لِمَ يَدْخُلُ هذَا معنا، وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُه؟ فقال عمر: إِنَّه مَنْ حَيْث عَلِمْتُمْ! فَدَعانِي ذاتَ يَوْم فَأَدْخَلَنِي مَعَهُمْ، فما رَأَيت أَنَّه دعاني يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَال: مَا تَقولون في قولِ اللّه تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]. فقال بعضهم: أُمِرْنَا نَحْمَدُ اللّهَ وَنَسْتَغْفِره إِذَا نَصَرَنَا وَفَتَحَ عَلَيْنَا!! وَسَكَتَ بَعضُهُمْ فلم يَقُلْ شَيْئاً. فقال لي: أَكَذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هُو أَجَلُ رسولِ اللّه ﷺ، أَعْلَمَه له قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] وذلك علامة أَجَلِك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣] فقال عمر

---

(١) ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾ أي أو لم نترككم مدة طويلة، ونُمهلكم في الدنيا عمراً طويلاً، يتمكّن فيه من أراد التذكُر، وجاءكم محمد ﷺ خاتم الأنبياء، فماذا صنعتم في هذه المدة؟

(٢) «وَجَدَ في نفسه» أي تأثروا من فعل عمر، بإدخال غلام مع مشيخة قريش، وشعر عمر بذلك، فأحبَّ أن يُظهر لهم علم ابن عباس وفضله، فسألهم عن معنى سورة النصر.

رضي اللّه عنه: ما أَعْلَم منها إِلَّا ما تَقُول»[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١١٤ ـ **الثالث**: عن عائشة رضي اللّه عنها قالت: «ما صَلَّى رسول اللّه ﷺ صلاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] إِلَّا يقول فيها: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغفِرْ لي، يَتَأَوَّلُ القرآنَ» مُتَّفَق عليه.

«يَتَأَوَّل القُرْآنَ» أَيْ: يَعْمَل مَا أُمِرَ بِهِ فِي القُرْآن، في قولِهِ تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾.

وفي رواية لمسلم: «كان رسول اللّه ﷺ يُكْثِر أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». قالت عائشة: قلت: يا رسول اللّه ما هذِهِ الكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحْدَثْتَهَا تَقُولها؟ قال: «جُعِلَتْ لي علامةٌ في أُمَّتِي، إِذَا رَأَيْتُهَا قُلْتُها ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] إلى آخر السورة».

وفي رواية له: «كان رسول اللّه ﷺ يُكْثِر مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِر اللّهَ وَأَتُوب إِلَيْه»، قالت: قلت: يا رسولَ اللّه! أَرَاكَ تُكْثِر مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟ فقال: «أَخْبَرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً في أُمَّتي، فَإِذا رَأَيْتُها أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؛ فَقَدْ رَأَيْتُهَا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فَتْحُ مَكَّةَ، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾» [النصر: ٢ ـ ٣].

١١٥ ـ **الرابع**: عن أنس رضي اللّه عنه قال: «إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَابَعَ الوَحْيَ[2] عَلَى رسول اللّه ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ، حَتَّى تُوُفِّيَ أَكْثَرَ مَا كَانَ الوَحْيُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١١٦ ـ **الخامس**: عن جابر رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»[3] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «ما أعلم إلا ما تقول» أي لا أفهم سوى هذا المعنى الذي قلتَه، وهي أن السورة علامةٌ على قرب وفاة الرسول ﷺ، وهي نعيٌ له ﷺ، ولما نزلت هذه السورة، خطب ﷺ في أصحابه فقال: «إنَّ اللّهَ خيَّر عبداً بين الدنيا، وبين ما عندَه، فاختار ما عند اللّه.! فبكى أبو بكر وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول اللّه!!. قال الراوي: فعجبنا لأبي بكر يقول ذلك، فكان المُخَيَّرَ رسولُ اللّه ﷺ، وكان أبو بكر أعلَمنا».

(٢) «تَابَعَ الوحيَ» أي كثُر نزولُه قبل وفاته ﷺ.

(٣) «يُبعث على ما مات عليه» أي يُبعث يوم القيامة على الحالة التي مات عليها في الدنيا، =

بابٌ في بَيان كثرةِ طرق الخير

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [الجاثية: ١٥].

والآيات في الباب كثيرةٌ.

وأمّا الأحاديث فكثيرة جداً، وهي غير منحصرة، فنذكر طرفاً منها:

١١٧ ـ **الأوّل**: عن أبي ذرٍّ «جُنْدُبِ بن جُنَادَةَ» رضي اللَّه عنه قال: قلت: «يا رسول اللَّه، أيُّ الأعْمَالِ أفْضَلُ؟ قَال: «الإيمانُ باللَّهِ، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ». قُلْتُ: أيُّ الرِّقَابِ أفْضَلُ؟ قال: «أنْفَسُهَا عِنْدَ أهْلِهَا[١]، وَأكْثَرُهَا ثَمَناً». قُلْتُ: فَإنْ لَمْ أفْعَلْ؟ قال: «تُعينُ صَانِعاً[٢] أوْ تَصْنَعُ لأخْرَقَ»[٣] قُلْتُ: يا رَسول اللَّه أرَأيْتَ إنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ العَمَلِ؟ قال: تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فإنها صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ» مُتَّفَقٌ عليه.

١١٨ ـ **الثاني**: عن أَبي ذرٍّ أيضاً رضي اللَّهُ عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قال: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى[٤] مِنْ أحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأمْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِىءُ مِنْ ذلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٩ ـ **الثَّالِثُ**: عَنْهُ رَضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أعْمَالُ أُمَّتي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أعْمَالِهَا الأذَى يُمَاطُ عَنِ

= كشهادةٍ عليه، إن مات في الحج بُعِثَ ملبّياً، وإن مات في السُّكر أو في الزنى، بُعِثَ على ما فارق الدنيا عليه.

(١) «أنفَسُها عند أهلها» أي أجودُها وأغلاها ثمناً عند أصحابها.

(٢) «تعينُ صانعاً» أي تساعد عاملاً على عمله، ورُوي بالضاد (ضائعاً) أي تعين ضائعاً في الطريق، أو فقيراً ذا عيال، لا يجد ما يُنفق عليهم.

(٣) «أو تصنع لأخرق» الأخرقُ: الذي لا يُتقن ما يحاولُ فعله، لضعف تفكيره، وقلة فهمه.

(٤) «كل سُلَامَى» بضم السِّين وفتح الميم أي مفصل في الإنسان.

الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِىءِ أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ[١] تَكُونُ فِي المَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٢٠ ـ الرابع: عَنْهُ رَضيَ اللَّهُ عنهُ «أَنَّ ناساً قالوا: يا رسُول اللّه، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ[٢] بالأُجُورِ؟ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ؟ قَال: أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ؟ إنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدقة، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدقةً، وكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بالمَعْرُوفِ صدقةٌ، ونَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدقةٌ، وَفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صدقةٌ، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ: أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ، وَيَكُونُ لَهُ فيها أَجْرٌ؟! قال: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَام، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيها وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا في الحَلَالِ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ» رَواهُ مُسْلِمٌ.

الدُّثُورُ: الأموالُ، واحِدُها: دَثْرٌ، وهو الثراءُ والمال.

١٢١ ـ الخامس: عنه رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قال: قال لي النبيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٢٢ ـ السادس: عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رَسُولُ اللّه ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْم تَطْلُعُ فِيه الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ في دَابَّتِهِ، فَتَحمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعهُ صَدقةٌ، والكَلِمَة الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وتُميطُ الأَذى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

ورَوَاهُ مُسْلِمٌ أيضاً من رواية عائشة رضي اللّه عنها، قالت: قال رَسُول اللّه ﷺ: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ، عَلَى سِتِّينَ وثلاثمائةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللّهَ، وَحَمِدَ اللّهَ، وَهَلَّلَ اللّهَ، وَسَبَّحَ اللّهَ، واسْتَغْفَرَ اللّهَ، وَعَزَلَ حَجراً عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْماً عن طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نهى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ السِّتِّينَ وَالثَّلاثمائَةِ، فَإِنَّهُ يُمْسِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ».

---

(١) «النُّخاعة» أي البلغم الذي يخرج من الحلق، ومثله البُصاقُ.

(٢) «أهلُ الدثور» أي أهلُ الغنى والثراء.

١٢٣ ـ **السابع**: عنه رَضيَ اللَّهُ عنهُ ،عن النبي ﷺ قال: «مَنْ غَدَا إلى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ[١]، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ في الجَنَّةِ نُزُلاً[٢] كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ » مُتَّفَقٌ عليه .

١٢٤ ـ **الثامن**: عنه رَضيَ اللَّهُ عنهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَا نِسَاءَ المُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جارةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ »[٣] مُتَّفَق عليه.

١٢٥ ـ **التاسع**: عنه رَضيَ اللَّهُ عنهُ، عن النبي ﷺ قال: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ[٤]، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى[٥] عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ » مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٦ ـ **العاشر**: عنه رَضيَ اللَّهُ عنهُ، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئراً، فَنَزَلَ فيها فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ[٦] يَأْكُل الثَّرَى[٧] مِنَ العَطَش، فقال الرجُل: لَقَدْ بَلَغَ هذَا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ، مِثْلُ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي!! فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلأَ خُفَّه مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَه بِفِيهِ، حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَه فَغَفَرَ لَه، قَالُوا: يا رسول اللَّه إِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرَاً؟ فَقَالَ: في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ »[٨] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية للبخاري: «فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَر لَه، فَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ ».

وفي روايةٍ لَهُمَا: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيف بِرَكِيَّةٍ قَدْ كاد يَقْتُلُه العَطَشُ، إِذْ رَأَتْه بَغِيٌّ[٩] مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا[١٠] فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ ».

١٢٧ ـ **الحَادِي عَشَرَ**: عَنْهُ رَضيَ اللَّهُ عنهُ، عن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ

---

(١) «غدا إلى المسجد أو راح » أي ذهب إلى المسجد، أو عاد منه ورجع.
(٢) «أعدَّ اللَّه له نُزُلاً » أي ضيافةً وكرامةً، والنُزُلُ: هو أولُ ما يُقدَّم للضَّيفِ من الكرامة، قال تعالى: ﴿نُزُلاً مِن غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾، فاللَّهُ يكرمه في الذهاب والإياب.
(٣) «فِرْسِنَ شاةٍ » الفِرْسِنُ من البعيرِ: كالحافر من الدابة، وربما استُعير في الشاة، أو ولو كُواع شاة.
(٤) «بضع وسبعون » البِضْعُ: بالكسر من ثلاثة إلى تسعة.
(٥) «إماطة الأذىٰ » أي إزالة كل ما يؤذِي عن طريق المسلمين.
(٦) «كلب يلهث » أي اندلع لسانه من شدة العطش.
(٧) «يأكل الثرى » أي يلحسُ التراب من شدة عطشه.
(٨) «كبدٍ رطبةٍ أجر » أي في كل شيء حياةٌ، من إنسانٍ أو حيوانٍ، أجر وثواب.
(٩) «بغيٌّ » زانية تحترف الفجور والدعارة.
(١٠) «موقها » أي حذاءها وخُفَّها.

رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي رواية: «مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لأُنَحِّيَنَّ[(١)] هذا عَنِ المُسْلِمِينَ لا يُؤْذِيهِمْ، فَأُدْخِلَ الجَنَّةَ».

وفي رواية لَهُمَا: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ».

١٢٨ ـ **الثَّانِي عَشَرَ:** عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قَالَ: قَالَ: رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الحَصَا فَقَدْ لَغَا»[(٢)] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٢٩ ـ **الثَّالِثَ عَشَرَ:** عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ، أَن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ، أَوِ المُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِهِ، مَعَ المَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ، خَرَجَ مِنْ يَدَيْه كُلُّ خَطِيئةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاهُ مَعَ المَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيّاً مِنَ الذُّنُوبِ»[(٣)] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٠ ـ **الرَّابِعَ عَشَرَ:** عنه رَضِيَ اللَّهُ عنهُ، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ[(٤)] إذا اجْتُنِبَت الكَبَائِرُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣١ ـ **الخَامِسَ عَشَرَ:** عنه رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ!! قَال: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاة بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذلِكُمُ الرِّباطُ»[(٥)] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «لأُنَحِّيَنَّ» لأُبعدنَّ وأزيلنَّ عن طريق المسلمين هذا الغصن المؤذي.

(٢) «فقد لغا» من اللغو، وهو فعلُ ما ليس بممدوح، وهذا غاية في التحذير من العبث.

(٣) «نقياً من الذنوب» أي صافياً خالصاً من ذنوبه الصغائر، أما الكبائر فلا بدَّ لها من توبة.

(٤) «مكفِّرات لما بينهنَّ» أي الصلاة والصوم، وصلاة الجمعة، يمحو اللَّه بها الذنوب، بشرط اجتناب الكبائر من المحرَّماتِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

(٥) «فذلكم الرباط» أي هذا هو الرباطُ الحقيقي في سبيل اللَّه، والرِّباط: ملازمة الثَّغر لحفظ عورات المسلمين، والدفاع عن الأوطان.

١٣٢ ـ السَّادسَ عَشَرَ: عن أَبي موسى الأَشْعَرِيِّ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ» مُتَّفَقٌ عليه.

«البَرْدَانِ»: الصُّبْحُ وَالْعَصْرُ.

١٣٣ ـ السَّابعَ عَشَرَ: عنه رَضيَ اللَّهُ عنهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيماً صَحِيحاً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٣٤ ـ الثَّامنَ عَشَرَ: عَنْ جَابِرٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ[١] صَدَقَةٌ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، ورَوَاهُ مُسْلِمٌ مِن رواية حُذَيْفَة رضي اللَّه عنه.

١٣٥ ـ التَّاسعَ عَشَرَ: عَنْهُ رَضيَ اللَّهُ عنهُ قَال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْساً إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَه صَدَقَة، وَلا يَرْزَؤه[٢] أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي رواية له: «فَلا يَغْرِس المُسْلِم غَرْساً، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ، وَلَا دَابَّةٌ، وَلَا طَيْرٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

وفي رواية له: «لَا يَغْرِسُ مُسْلِم غَرْساً، وَلَا يَزْرَع زَرْعاً، فَيَأْكُلَ مِنه إِنْسَانٌ، وَلَا دَابَّةٌ، وَلَا شَيْءٌ إِلَّا كَانَتْ لَه صَدَقَةٌ».

١٣٦ ـ العِشْرُونَ: عَنْهُ رَضيَ اللَّهُ عنهُ قَالَ: «أَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رسولَ اللَّه ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟» فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رسول اللهِ، قَدْ أَرَدْنَا ذلكَ!! فَقَالَ: بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ، تُكْتَبْ آثارُكُمْ، دِيَارَكُمْ، تُكْتَبْ آثارُكُمْ»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي روايةٍ: «أَنَّ كُلَّ خَطْوَةٍ دَرَجَة» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ورَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أيضاً بِمَعْنَاهُ مِنْ رواية أَنَس رضي اللَّه عنه. وَ «بَنُو سَلِمَةَ» بكسر اللام: قبيلة معروفة من الأنصار رضي اللَّه عنهم، و «آثارُهُمْ» خُطَاهُمْ.

١٣٧ ـ الْحَادِي وَالعِشْرُونَ: عَنْ أَبِي الْمُنْذِر «أُبَيِّ بن كَعب» رضي اللَّه عنه

---

(١) «كلُّ معروف» أي كلُّ ما يفعله المؤمن من أعمال البِرّ والخير، وكل ما فيه طاعةٌ للّه.

(٢) «ولا يَرْزؤه» أي ولا يصيبُه وينقصه من زرعه.

(٣) «دياركم تكتب آثاركم» أي الزموا دياركم، تُكتب لكم خُطاكم إلى المسجد، فلكم بكل خطوة درجة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى ونَكْتُبُ مَا قدَّموا وآثارَهُم﴾ جاء في التفسير أنها الخُطى إلى المسجد.

قال: «كَانَ رَجُلٌ لا أَعْلَمُ رَجُلاً أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ صَلاةٌ، فَقِيلَ لَهُ، أَوْ فَقُلْتُ لَهُ: لَو اشْتَرَيْتَ حِمَاراً تَرْكَبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ، وَفي الرَّمْضَاءِ[١]؟ فَقَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إلى جَنْبِ الْمَسْجِدِ، إنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إلَى المَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إذَا رَجَعْتُ إلَى أَهْلِي!! فقَالَ رسول اللّه ﷺ: قَدْ جَمَعَ اللّهُ لَكَ ذلِكَ كُلَّهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وفي رواية: «إنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ»[٢].

١٣٨ ـ **الثَّاني وَالعشْرُونَ**: عَنْ أَبِي محمدٍ «عَبدِ اللّهِ بنِ عمرو بن العاص» رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاهَا مَنِيحَةُ العَنزِ[٣]، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَل بِخَصْلَةٍ مِنْهَا، رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إلَّا أَدْخَلَهُ اللّهُ بِهَا الجَنَّةَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٣٩ ـ **الثَّالثُ وَالعشْرُونَ**: عَنْ عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ رضِي اللّه عنه قال: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشقِّ تَمْرَةٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية لهما عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُر أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُر أَشْأَمَ[٤] مِنْهُ فَلَا يَرَى إلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُر بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ[٥]، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».

١٤٠ ـ **الرَّابع وَالعشْرُونَ**: عَنْ أَنَسٍ رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إنَّ اللّه لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدهُ عَلَيْهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤١ ـ **الْخَامسُ وَالعشْرُونَ**: عن أبي موسى رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: يَعْمَل بيدَيْهِ فَيَنْفَع

(١) «الرمضاء» وقت شدة الحرّ في الظهيرة.
(٢) «ما احتسبتَ» أي ما فعلته طلباً لرضوان اللّه راجياً ثوابَه.
(٣) «منيحة العنز» المنيحةُ: أن يعطيه لبَن الشاة أو الماعز ليشربه، ثم يردُّها إلى أصحابها.
(٤) «ينظر أيمنَ وأشأم» أي ينظر عن يمينه، وعن شماله.
(٥) «ولو بشقّ تمرة» أي اجتنبوا النار ولو بالتصدق بنصف تمرة، وهذا مثلٌ للتصدق ولو بالقليل من المال.

وَيَتَصَدَّق، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ[١]، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَالَ: يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁ ❁ ❁

بابٌ في الاقتصاد في الطاعة

قال اللَّه تعالى: ﴿طه[٢] ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١ ـ ٢].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

١٤٢ ـ وعن عائشةَ رضي اللَّه عنها «أن النبي ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قال: مَنْ هذِهِ؟ قالت: هذِهِ فُلَانَة تَذْكُرُ مِنْ صَلاتِها[٣]!! قَالَ: مَهْ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ[٤]، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا. وَكَان أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ، مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وَمَعْنَى «لَا يَملُّ اللَّهُ» أي: لا يَقْطَعُ ثَوَابَهُ عَنْكُمْ وَجَزَاءَ أَعْمَالِكُمْ، وَيُعَامِلُكُمْ مُعَامَلَةَ الْمَالِّ، حَتَّى تَمَلُّوا فَتَتْرُكُوا، فَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مَا تُطِيقُونَ الدَّوَامَ عَلَيْهِ، لِيَدُومَ ثَوَابُهُ لَكُمْ وَفَضْله عَلَيْكُمْ.

١٤٣ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه قال: «جَاءَ ثَلَاثَة رَهْطٍ[٥] إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النبيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقالّوهَا[٦] وَقَالُوا: أَيْنَ نَحْنُ مِنَ النبيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ!! قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا

---

(١) «ذا الحاجة الملهوف» أي يعين الضعيف الواقع في الضّيق.

(٢) ﴿طه﴾ قال الشوكاني: هي بمعنى يا رجل يريد به النبيَّ ﷺ، وقيل معناها: يا حبيبي، وقيل: إنها اسم للنبي ﷺ، وقد كان ﷺ يتحمل مشقة الصلاة حتى تورّمت قدماه، فقال له ربه: ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتتعب به، بل أنزلناه هداية ورحمة، وتذكرة وموعظةً للخلق، انظر فتح القدير للشوكاني.

(٣) «تذكر من صلاتها» أي تتحدث لي عن كثرة صلاتها وعبادتها.

(٤) «مه عليكم ما تطيقون» «مَهْ» كلمةُ نهيٍ وزجر، أي لتكفَّ عن فعل ما يُضعفها، وما لا تقوى عليه، وعليكم من الأعمال ما تستطيعونه، وما لا يشقُّ عليكم.

(٥) «ثلاثة رهط» أي ثلاثة رجال، وأصلُ الرَّهط: الجماعة، وقد يُطلق على الواحد كما هنا.

(٦) «كأنهم تقالّوها» أي رأوها قليلة، لا يكفي أن يقتصر عليها الإنسانُ.

فأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَداً، وَقَالَ الآخَرُ: وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِر، وَقَالَ الآخَرُ: وَأَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّج أَبَداً، فَجَاءَ رسول اللَّه ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟! أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ[1]، لكِنِّي أَصُومُ وَأُفطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي[2] فَلَيْسَ مِنِّي!» مُتَّفَقٌ عليه.

١٤٤ ـ وعن ابن مسعودٍ رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ[3] قالَهَا ثَلاثاً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٥ ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أحدٌ إِلَّا غَلَبَه[4]، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ، وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وفي رواية له: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، الْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا»[5].

قَوْلُه: «الدِّينَ» هُو مَرْفُوع عَلَى مَا لَم يُسَمَّ فاعِله. ورُوِيَ منْصُوباً «لَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ»، وقوله ﷺ: «إِلَّا غَلَبَهُ» أي غلبه الدِّينُ وعَجَزَ ذلك الْمُشَادُّ عن مقاومة الدِّين لِكثْرَة طُرُقه.

والْغَدْوَةُ: سَيْرُ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَالرَّوْحَةُ: آخِرُ النَّهَارِ. وَالدُّلْجَةُ: آخِرُ اللَّيْلِ. وَهذَا اسْتِعَارَةٌ وَتَمْثِيلٌ، وَمَعْنَاهُ: اسْتَعِينُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عز وجلَّ بالأَعْمَال، فِي وَقْتِ نَشَاطِكُمْ، وَفَرَاغِ قُلُوبِكُمْ بِحَيْثُ تَسْتَلِذُّونَ الْعِبَادَةَ وَلَا تَسْأَمُونَ، وَتَبْلُغُونَ مَقْصُودَكُمْ، كَمَا أَنَّ الْمُسَافِرَ الْحَاذِقَ يَسِيرُ فِي هذِهِ الأَوْقَاتِ، وَيَسْتَرِيحُ هُوَ وَدَابَّتُهُ فِي غَيْرِهَا، فَيَصِلُ الْمَقْصُودَ بِغَيْرِ تَعَبٍ، وَاللَّهُ أَعْلَم.

١٤٦ ـ وعن أَنس رضي اللَّه عنه قال: «دَخَلَ النبيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ

---

(١) «لأخشاكم وأتقاكم لله» أي أنا أشدُّكم خوفاً من اللَّه، وأشدُّكم تقوى له، لفرط معرفتي بعظمته وجلاله.

(٢) «فمن رغب عن سُنّتي» أي زهد في سنتي وأعرض عنها، فليس من المسلمين الكُمَّل، يُقال: (رغب فيه) إذا أحبَّه، ورغب عنه: إذا كرهه.

(٣) «هلك المتنطِّعون» أي المتعمِّقون المتشدِّدون في غير موضعه.

(٤) «إلّا غلبه» أي لن يُشدِّد أحد على نفسه، إلّا غلبه الدينُ بيسره.

(٥) «القَصْدَ القَصْدَ تبلُغُوا» أي الزموا التوسط تبلغوا مقصودكم.

بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فَقَالَ: مَا هذَا الْحَبْلُ؟ قَالُوا: هذا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذا فَتَرَتْ [١] تَعَلَّقَتْ بِهِ!! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: حُلُّوهُ [٢]، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٤٧ ـ وعن عائِشَةَ رضي اللّه عنها، أن رسول اللّه ﷺ قال: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي، فَلْيَرْقُدْ، حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكم إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ، فَيَسُبُّ نَفْسَهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٤٨ ـ وعن أَبي عبد اللّه «جابر بن سَمُرَةَ السُّوائي» رضي اللّه عنهما قال: «كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ النبيِّ ﷺ الصَّلَوَاتِ، فَكَانَتْ صَلاتُهُ قَصْداً، وخُطْبَتُهُ قَصْداً» [٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٩ ـ وعن أَبِي جُحَيْفَةَ «وَهْبِ بْنِ عَبد اللّه» رضي اللّه عنه قال: «آخَى [٤] النَّبيُّ ﷺ بَيْنَ «سَلْمَانَ الفارِسِيِّ» و«أَبي الدَّرْدَاءِ»، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً [٥]، فَقَالَ: مَا شأْنُكِ؟ قالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا!! فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَه طَعَاماً، فَقَالَ لَهُ: كُلْ فإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بآكل حَتَّى تَأْكُلَ، فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُوم، فقالَ لَه: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُوم، فقالَ لَه: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ من آخر اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُم الآنَ، فَصَلَّيَا جَمِيعاً، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لنَفْسكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلأَهْلكَ عَلَيْكَ حَقّاً [٦]، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّه!! فَأَتَى النبيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذلك لَه، فَقال النبيُّ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَان» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٥٠ ـ وعن أَبي محمدٍ «عبدِ اللّهِ بنِ عَمْرو بنِ العاصِ» رضي اللّه عنهما قال: «أُخْبِرَ النبيُّ ﷺ أَنِّي أَقُول: وَاللّهِ لأَصومَنَّ النَّهَارَ، وَلأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ، فَقَالَ رسُول اللّه ﷺ: أَنْتَ الَّذِي تَقُول ذلكَ؟ فَقُلْت لَه: قَدْ قُلْتُه بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رسول اللّه!! قَالَ: فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيع ذلكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أَيَّام، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذلِكَ مثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ!! قُلْت: إِنِّي أُطِيق أَفْضَلَ مِنْ

---

(١) «فإذا فَتَرتْ» أي إذا ضعفت هِمَّتُها وكسلت عن الصلاة تعلّقت به.

(٢) «حُلُّوه» أي فكّوا هذا الحبل، وإذا نَعس أحدُكم فَلْيَنَم.

(٣) «صلاته وخطبته قَصْداً» أي كانت صلاة النبيّ ﷺ وخطبتُه وسطاً بين الطول والقِصَر.

(٤) «آخى النبيُّ» أي جعلهما أخوين في الدِّين، وذلك عندما هاجر أصحاب النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، آخى بين المهاجرين والأنصار، وهذه الأخوّة أقوى من أخوّة النسب.

(٥) «متبذِّلة» أي تلبس ثياب المهنة، ولا تلبس ما يليق بالزوجات.

(٦) «ولأهلك عليك حق» أي لزوجتك عليك حقُّ حسن المعاشرة.

ذلك[١]! قَالَ: فَصمْ يَوْماً، وَأَفطر يَوْمَيْنِ، قُلْت: فَإِنِّي أُطِيق أَفْضَلَ منْ ذلك، قَالَ: «فَصمْ يَوْماً وَأَفطرْ يَوْماً، فَذلكَ صِيَام دَاودَ ﷺ، وَهُوَ أَعْدَل الصِّيَام».

وفي رواية: «هوَ أَفْضَلُ الصِّيَام» فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُطيقُ أَفْضَلَ منْ ذلك، فَقَالَ رسول اللّه ﷺ: «لَا أَفْضَلَ منْ ذلِكَ» وَلأَنْ أَكُونَ قَبلْتُ الثَّلَاثَةَ الأَيَّامِ الَّتِي قال رسول اللّه ﷺ أَحَبُّ إليّ منْ أَهْلي وَمَالِي.

وَفِي روايةٍ: «أَلَمْ أُخبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْل؟ قلت: بَلَى يَا رَسول اللّهِ، قَال: فَلا تَفْعَل: صُمْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ فإِنَّ لجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لعَيْنَيْكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لزَوْجكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لزَوْرِكَ[٢] عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ بحَسْبِكَ[٣] أَنْ تَصُومَ في كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّام، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشرَ أَمْثالهَا، فَإِنَّ ذلِكَ صِيَامُ الدَّهرِ، فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيّ، قُلْتُ: يَا رسول اللّه إنِّي أَجِدُ قُوّةً، قال: صُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللّهِ دَاوُدَ، وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ! قلت: وَمَا كَانَ صِيَامُ دَاودَ؟ قَال: نِصْفُ الدَّهْرِ، فَكَانَ عَبْدُ اللّهِ يَقُولُ بَعْدَمَا كَبِر: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصة رسول اللّهِ ﷺ».

وفي روايةٍ: «أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّك تَصُومُ الدَّهْرَ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟ فَقُلْتُ: بَلَى يَا رسولَ اللّهِ، وَلَمْ أُرِدْ بذلِكَ إلَّا الْخَيْرَ! قَالَ: فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللّهِ دَاوُدَ، فَإِنَّه كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، قُلْت: يَا نَبِيَّ اللّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذلِكَ؟ قَالَ: «فَاقْرَأه في كُلِّ عِشْرِينَ» قُلْت: يَا نبيَّ اللّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَل مِنْ ذلِكَ؟ قَالَ: «فَاقْرَأْهُ في كُلِّ عَشْرٍ» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: فَاقْرَأه فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيّ، وَقَالَ لِي النَّبيُّ ﷺ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمُرٌ» قَالَ: فَصِرْت إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْت أَنِّي كُنْت قَبِلْت رخصَةَ نَبِيِّ اللّهِ ﷺ.

وَفِي رِوَايَة: «وَإِنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً».

وَفِي رِوَايةٍ: «لَا صَامَ مَنْ صَامَ الأَبَدَ» ثَلاثاً.

وَفِي رِوَايةٍ: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللّه تَعَالَى صِيَامُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى

---

(١) «أطيقُ أكثرَ من ذلك» أي أستطيع ان افعل أكثر من ذلك.
(٢) «وإنَّ لزَوْرك» أي لضيفك عليك حقٌ أيضاً.
(٣) «وإن بحسبك» أي يكفيك في الشهر صيام ثلاثة أيام.

اللَّهِ تَعَالَى صَلاةُ دَاوُدَ: كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى».

وفي رِوَايةٍ قَالَ: «أَنْكَحَنِي[١] أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، وَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ: أَيِ امْرَأَةَ وَلَدِهِ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا[٢]، فَتَقُولُ لَهُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشاً[٣]، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفاً[٤]، مُنْذُ أَتَيْنَاهُ!! فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيه ذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ: «الْقَنِي بِهِ» فَلَقِيتُهُ بَعْد ذَلِكَ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَصُومُ؟» قُلْتُ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟ قلتُ: كُلَّ لَيْلَةٍ، وَذَكَرَ نَحْوَ مَا سَبَقَ[٥]، وَكَانَ يَقْرأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ الَّذِي يَقْرَؤُهُ، يَعْرِضُهُ مِنَ النَهَارِ لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَرَ أَيَّاماً وَأَحْصَى وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيْئاً فَارَقَ عَلَيْهِ النبيَّ ﷺ»، كُلُّ هذِهِ الرِّوايَاتِ صَحِيحَةٌ، مُعْظَمُهَا فِي الصحِيحَيْنِ، وَقَلِيلٌ مِنْهَا فِي أَحَدِهِمَا.

١٥١ ـ وعن أبي رِبْعِيٍّ «حَنْظَلَةَ بنِ الرَّبِيعِ» الأُسَيْدِيِّ، أَحَدِ كُتَّابِ رسول اللَّه ﷺ قال: «لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ رضي اللَّه عنه فقال: كَيْفَ أَنْتَ يا حَنْظَلَةُ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ[٦]! قَالَ: سُبْحَانَ اللَّه مَا تَقُول؟! قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رسول اللَّه ﷺ يُذَكِّرُنَا بالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِند رسول اللَّه ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ[٧]، وَالأَوْلَادَ، وَالضَّيْعَاتِ[٨]، نَسِينَا كَثِيراً!! قَالَ أَبُو بَكْر رضي اللَّه عنه: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دخَلْنَا عَلَى رسول اللَّه ﷺ، فقُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسول اللَّه! فقالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رسولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ[٩]، فَإِذَا

---

(١) «أنكحني أبي» أي زوَّجني امرأةً ذات جاهٍ ونسبٍ شريف.

(٢) «يسألها عن بعلها» أي يسألها عن زوجها كيف معاملتُه لها؟

(٣) «لم يطأ لنا فراشاً» أي لم ينم معها على فراشٍ واحد.

(٤) «ولم يفتش لنا كَنَفاً» كناية لطيفة عن الجماع، أي لم يعاشرها معاشرة الأزواج، فهي تشكو زوجها بأسلوب ظاهره المدحُ، وحقيقتُه العتابُ.

(٥) «وذكر نحو ما سبق» أي أوصاه الرسول ﷺ بحسن المعاشرة، والقصد في العبادة.

(٦) «نَافَق حنظلة» أي صار منافقاً لعدم بقائه على حالته الأولى.

(٧) «عافسنا الزوجات» أي اشتغلنا وتلهَّينا بملاعبة النساء، والتلذّذ بهنَّ.

(٨) «والضيعات» جمع ضَيْعة وهي القرية التي يملكها الإنسان، والمراد بها هنا: أمور المعايش، وشؤون الدنيا.

(٩) «كأنا رأيُ عين» أي كأننا نرى الجنة والنار أمامنا رأي عين.

خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيراً، فَقَال رسولُ اللَّه ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الملائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً»[1] ثَلاثَ مَرَّاتٍ، رَوَاهُ مسلم.

وَقَوْلُهُ: «عَافَسْنَا» أَيْ: عَالَجْنَا وَلَاعَبْنَا، «وَالضَّيْعَاتُ»: المعايشُ.

١٥٢ ـ وعن ابن عباسٍ رضي اللَّه عنهما قال: «بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالُوا: «أَبُو إِسْرَائِيلَ»[2] نَذَرَ أَنْ يَقُومَ فِي الشَّمْسِ وَلَا يَقْعُدَ، وَلَا يَسْتَظِلَّ، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مُرُوهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁ ❁ ❁

باب في المحافظة على الأعمال الصالحة، وترك التهاون بها والتساهل فيها

قال اللَّه تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ[3] لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا[4] مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

---

(١) «ساعةً وساعةً» أي ساعةً لربك، وساعةً لنفسك، ومراده ﷺ أن التنعُّم بالدنيا، ونيل بعض ما أحلّه الله، لا ينافي العبادة ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ التي أَخْرَجَ لِعِبادِه والطَّيِّبَتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾؟ الآية.

(٢) «أبو إسرائيل» أحدُ العُبّاد الصالحين، واسمه (يُسَيْر) مصغَّر يسر ضد العسر.

(٣) ﴿أَلَمْ يَأْنِ؟﴾ معنى الآية الكريمة: أما حانَ للمؤمنين أن ترقَّ قلوبهم، وتلين لمواعظ اللَّه؟ وأن لا يكونوا مثلَ أهل الكتاب، الذين طال عليهم الزمن، فأصبحت قلوبهم قاسية مثل الحجارة، لا تلين لموعظة ولا لذكر؟ قال ابن مسعود: (ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا اللَّهُ بهذه الآية، إلّا أربع سنين) رواه مسلم.

(٤) ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ الرهبانيةُ: رفضُ النساء، وشهوات الدنيا، واتخاذ الصوامع، وهذه اخترعوها وأحدثوها من تلقاء أنفسهم، ومع أنهم أحدثوها لكنهم لم يحافظوا عليها كما ينبغي، والاستثناء في الآية منقطع أي لم نأمرهم نحن بها، ولا فرضناها عليهم، إنما اخترعوها طلباً لرضوان اللَّه.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾[1][النحل: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[2] [الحجر: ٩٩].

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ، فَمِنْهَا:

١٥٣ ـ حَدِيثُ عَائِشَةَ: «وَكَان أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ»

وَقَدْ سَبَقَ فِي الْبَابِ قَبْلَهُ... (أنظر حديث رقم ١٤٢)

١٥٤ ـ وَعن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبه[3] مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَه مَا بَيْنَ صَلاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْل» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٥٥ ـ وعن عبدِ اللَّهِ بن عمرو بن العاصِ رضي اللَّه عنهما قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٥٦ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «كان رسول اللَّه ﷺ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ مِنَ اللَّيْلِ، مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشَرَةَ رَكْعَةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في الأمْر بالمحافظة على السُّنة وآدابهَا

قَالَ اللَّه تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۞﴾[4] [النجم: ٣ ـ ٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) ﴿أنكاثاً﴾ جمع نِكْث أي غزلت غزلها، وفتلته فتلاً محكماً، ثم نقضته وحلَّته أجزاءً أجزاءً، وهذا تمثيلٌ لنقض العهد بديعٌ، مثَّل له بصورة امرأة حمقاء، تغزل غزلها ثم تنقضه، ولا ينالها إلّا العناءُ والتعب.

(٢) ﴿اليقينُ﴾ الموتُ لأنه أمر متيقَّن منه.

(٣) «نام عن حزبه» أي نام عن صلاة الليل، أو تلاوة الليل.

(٤) ﴿إنْ هُوَ إلّا وَحْيٌ﴾ أي ما ينطق إلّا بوحي من اللَّه، وقد دلَّت الآية على أن الوحي قسمان: وحيٌ متلوٌّ وهو القرآن، ووحيٌ مبلَّغ وهو السُّنة النبويَّة المطهَّرة.

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ[(١)] لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ[(٢)] بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩]، قال العُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ إِلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ[(٣)] أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

والآيَاتُ فِي البَابِ كَثِيرَةٌ.

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ:

١٥٧ ـ **فالأَوَّلُ**: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ، واخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٥٨ ـ **الثَّانِي**: عَنْ أَبِي نَجِيح «العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ» رضي اللّه عنه قال: «وَعَظَنَا رسولُ اللّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ[(٤)] وَذَرَفَتْ مِنْهَا

---

(١) ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي قدوةٌ صالحة بنبيكم محمد ﷺ.

(٢) ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي فيما تنازعوا واختلفوا فيه من الأمور الدينيّة والدنيويّة، ثم ينقادوا ويستسلموا لحكمك يا محمد، ولا يجدوا ضيقاً مما حكمتَ به.

(٣) ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أي فليخشَ من عصى أمر الرسول ﷺ، وخالفَ أمرَه وسنّته، أن تنزل به محنة عظيمة، والآية نصٌّ قاطعٌ، على وجوب العمل بالسنة النبوية.

(٤) «وجلت منها القلوب» أي خافت منها القلوب، وسالت منها الدموعُ.

العُيُون، فَقُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا!! قَال: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً!! فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ[١]، وَإِيَّاكُمْ وَمُحدثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ[٢] ضَلالَةٌ» رَوَاهُ أَبو داود، والترمِذِي وقال: حديث حسن صحيح.

«النَّواجِذُ» بالذالِ المعجمةِ: الأَنْيَابُ.

١٥٩ ـ **الثَّالِثُ**: عَنْ أَبي هريرة رضي اللَّه عنه ،أن رسول اللَّه ﷺ قالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى، قِيلَ: وَمَنْ يَأْبَى يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٦٠ ـ **الرَّابعُ**: عن أَبي مسلم «سَلَمَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الأَكْوَعِ» رضي اللَّه عنه، أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عندَ رسول اللَّه ﷺ بِشِمَالِهِ فقالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ، قالَ: لَا أَسْتَطِيعُ. ! قَالَ: لا اسْتَطَعْتَ، ما مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبرُ، فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٦١ ـ **الخَامِسُ**: عَنْ أَبي عبدِ اللَّهِ «النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ» رضي اللَّه عنهما، قال: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يقولُ: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لمسلم: «كانَ رسولُ اللَّه ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا، حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ[٤]، حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يوماً، فَقَامَ حَتَّى كَادَ أَنْ يُكَبِّرَ، فَرَأَى رَجُلاً بَادِياً صَدْرُهُ[٥] فَقَالَ: عِبَادَ اللَّهِ لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ».

١٦٢ ـ **السَّادِسُ**: عن أَبي موسى رضي اللَّه عنه قال: «احْتَرَقَ بَيْتٌ بِالْمَدِينَةِ

---

(١) «عضوا عليها بالنواجذ» أي بالأنياب، وهي كناية لطيفة لشدة التمسك بسنة الرسول ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين.

(٢) «كل بدعة ضلالة» البدعة: كلُّ ما أُحدث مخالفاً أمر الشرع، ممَّ لا يتفق مع مقاصده السامية.

(٣) «ليخالفن اللَّه بين وجوهكم» أي يوقع بينكم العداوة والبغضاء، واختلاف القلوب.

(٤) «يسوي القداح» أي يسويّ الصفوف كما يسوّي النبال.

(٥) «بادياً صدره» أي خارجاً صدره عن الصف، وجواب «إذا عقلنا عنه» تقديره: تَرَكنا.

عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا حُدِّثَ رسول الله ﷺ بِشَأْنِهِمْ قَال: إِنَّ هذِهِ النَّار عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٣ ـ **السَّابعُ**: عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَثَل مَا بَعَثَنِي اللَّه بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالعلْم، كَمَثَلِ غَيْثٍ[1] أَصَابَ أَرْضاً، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ[2] أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ[3]، لا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً، فَذلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّه تعالى[4]، وَنَفَعَهُ بِما بَعَثَنِي اللَّه بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأْساً، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

«فَقُهَ» بِضم الْقَافِ عَلَى الْمَشْهُورِ، أَيْ: صَارَ فَقِيهاً.

١٦٤ ـ **الثَّامِنُ**: عن جابرٍ رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ[5] عَنْهَا، وَأَنَا آخذٌ بحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ[6]، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدَيَّ» رَوَاهُ مسلِم.

«الْجَنَادبُ»: نَحْوُ الجَرَاد وَالْفَرَاشِ، هذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي يَقَعُ فِي النَّار.

«وَالحُجَزُ»: جَمْعُ حُجْزَةٍ، وَهِيَ: مَعْقِدُ الإزَارِ وَالسَّرَاوِيل.

١٦٥ ـ **التَّاسِعُ**: عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رسول اللّه ﷺ أَمَرَ بِلَعْقِ الأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ، وَقَالَ: إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّهَا الْبَرَكَةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي رواية لَهُ: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ، فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى[7]

---

(١) «كمثل غيث» أي كمثل المطر النافع ينزل على الزرع فيُحْييه ويُنْعِشه.

(٢) «أجادب» أي أراضٍ صحراوية لا تُنبت شيئاً، ولكنها تحتفظ بالماء.

(٣) «قيعان» أي أراضٍ سَبْخة، لا تصلح للزراعة ولا تمسك الماء، وإنما هي مستنقعٌ للبعوض والديدان.

(٤) «فَقُه في دين اللّه» هذا مثلٌ بديع لمن تفقّه في دين اللّه، فاستفاد وأفاد، ومثلٌ لمن لم ينتفع بهدي النبوة، وبقي يتخبّط في ظلمات الجهل.

(٥) «وهو يَذُبهنّ» يعني يطردهن ويمنعهنّ عن الوقوع.

(٦) «آخذٌ بحجزكم» أي ممسك بكم من مقعد الإزار، وهذا تشبيهٌ بديع لاقتحام الناس النارَ بالمعاصي، والرسولُ يمسكهم لئلا يقعوا فيها، وهم يَتَفلَّتون من يده ﷺ.

(٧) «فليمط الأذى» أي يُنحّ ويُذهب الأذى عنها ولْيأكلها.

وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالمنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةَ».

وفي رواية له: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى، فَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ».

١٦٦ ـ الْعَاشِرُ: عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللَّه عنهما، قال: «قَامَ فينَا رسولُ اللَّه ﷺ بِمَوْعِظَةٍ فقال يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ[1] تَعالى، حُفَاةً، عُرَاةً غُرْلاً[2] ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أَلا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسى يَوْمَ الْقِيَامَةِ «إِبْرَاهِيمُ» عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَلا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ[3]، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي[4]، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ!؟ فَأَقُول كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ[5]: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٧ ـ الْحَادِي عَشَرَ: عَن أَبِي سعيدٍ «عبدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ» رضِي اللَّه عَنْه، قال: «نَهَى رسولُ اللَّه ﷺ عَنِ الْخَذْفِ[6] وقالَ: إِنَّهُ لَا يَقْتُلُ الصَّيْدَ، وَلَا يَنْكَأُ الْعَدُوَّ[7]، وَإِنَّهُ يَفْقَأُ الْعَيْنَ، وَيَكْسِرِ السِّنَّ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية: أَنَّ قَرِيباً لابْنِ مُغَفَّلٍ خَذَفَ، فَنَهَاهُ وقال: إن رسول اللَّه ﷺ نَهَى عن الخَذْفِ وَقَالَ: «إِنَّهَا لا تَصِيدُ صَيْداً» ثُمَّ عَادَ فقالَ: أُحَدِّثُكَ أَن رسول اللَّه ﷺ نَهَى عَنْهُ، ثُمَّ عُدْتَ تَخْذِفُ!؟ لا أُكَلِّمُكَ أَبَداً.

١٦٨ ـ وعن عابِس بْنِ ربيعةَ قال: «رَأَيْتُ عُمَرَ بن الخطابِ رضي اللَّه عنه

---

(١) «محشورون إلى اللّه» أي مجموعون عنده للحساب والجزاء.

(٢) «غُرْلاً» أي غير مختونين.

(٣) «ذات الشمال» أي يُؤمر بهم إلى النار.

(٤) «فأقول: يَارَبِّ أصحابي» أي هؤلاء من أمتي.

(٥) «كما قال العبد الصالح» يريد به «عيسى بن مريم» عليه السلام.

(٦) «نهي عن الخَذْف» أي رمي الحصى بالسبَّابة.

(٧) «لا ينكأ العدوَّ» أي لا يقتله ولكنه يؤذي، ويفقأ العينَ.

يُقَبِّلُ الحَجَرَ ـ يَعْنِي الأَسْوَدَ ـ وَيَقُولُ: إني أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رسول اللَّه ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في وُجُوب الانقياد لحكم الله تعالى وما يقوله من دُعي إلى ذلك وأُمِرَ بمعروف أو نُهيَ عن منكر

قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وَفِيهِ مِنَ الأَحَادِيثِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ الْمَذْكُورُ فِي أَوَّلِ الْبَابِ قَبْلَهُ، وَغَيْرُهُ مِنَ الأَحَادِيثِ فِيه.

١٦٩ ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رسول اللَّه ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾[1] [البقرة: ٢٨٤]. الآيَةَ، اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رسول اللَّه ﷺ، فَأَتَوْا رسول اللَّه ﷺ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رسولَ اللَّهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلَاةَ، وَالْجِهَادَ، وَالصِّيَامَ، وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هذِهِ الآيَةَ وَلَا نُطِيقُهَا!! قَال رسولُ اللَّه ﷺ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ[2] مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانك رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» قالوا: «سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا

---

(١) ﴿وَإِنْ تُبدوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ ظاهر الآية أن اللَّه يحاسب العباد، على ما أسرُّوه في أنفسهم، ولهذا شقَّ ذلك على أصحاب رسول اللَّه ﷺ لأن الإنسان ربَّما حدَّثته نفسه بالمعصية، فإذا حوسب عليها هلك، ولهذا نُسخت بقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ وفي الحديث: «إن اللَّه غفر لهذه الأمة ما حدَّثت به أنفسها» رواه البخاري، وهذا النسخ جاء بعد أن استجاب المسلمون لأمر الرسول ﷺ فقالوا: «سمعنا وأطعنا».

(٢) «كما قال أهلُ الكتابين» يعني اليهود، والنصارى.

القَوْمُ، وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا[١] كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قَالَ: نَعَمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النّهي عَن البِدَع وَمُحدثات الأمور

قال اللّه تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾ [يونس: ١٠].

وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍۚ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] أي: الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَالآيَاتُ فِي البَاب كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ.

وَأَمَّا الأَحَادِيثُ فَكَثِيرَةٌ جِداً، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ، فَنَقْتَصِرُ عَلَى طَرَفٍ مِنْهَا:

١٧٠ ـ عن عائشةَ، رضي اللّه عنها، قالت: قَالَ رسولُ اللّه ﷺ «مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا[٢] هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «إصراً» أي حملاً ثقيلاً، والمراد به هنا: التكاليف الشاقة التي يعجز عنها الإنسانُ.

(٢) «من أحدث في أمرنا» أي أحدث أمراً مبتدعاً يخالف الشريعة، ويناقضُ أصولها، فهو مردودٌ عليه، ولم يقل ﷺ: من فعل شيئاً لم نفعله، فإن مدار البدعة على فعل شيء يتعارض مع أصول الإسلام، ولا يتفق مع مقاصده السامية.

وفي رواية لمسلم «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

١٧١ ـ وعن جابرٍ رضي اللَّه عنه، قال: «كان رسول اللَّه ﷺ، إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ[١]، يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وَيَقْرِنُ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ، السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَيَقُولُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا[٢]، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ» ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ[٣] مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً[٤] فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٧٢ ـ وعن العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، رضي اللَّهُ عنه، حَدِيثُهُ السَّابِقُ فِي بَابِ المُحَافَظَةِ عَلَى السُّنَّةِ[٥]

❁ ❁ ❁

بابُ فِيمَنْ سَنَّ سُنّة حَسَنةً أَوْ سَيّئَةً

قال اللَّه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣].

١٧٣ ـ عَنْ أَبِي عَمْرٍو «جَرِيرِ بنِ عبدِ اللَّه» رضي اللَّه عنه، قال: كُنَّا في

---

(١) «كأنه منذر جيش» أي كأنه يُنذر الناس من هجوم الأعداء عليهم، يقول لهم: تيقَّظوا يصلكم العدوُّ في الصباح أو المساء، فخذوا حذركم، واستعدُّوا لمقاومته.

(٢) «وشر الأمور محدثاتها» أي الأمور المحدثة المبتدعة، التي لا تتفق مع الشريعة الغراء، وليس كل أمرٍ مستحدث بدعة، فإن وجود المدارس، والجامعات، ودوائر القضاء، وافتتاح المحاضرات بالقرآن الكريم، وصندوق الزواج لمساعدة العُزَّاب من الشباب، كلُّ ذلك لم يكن في عهد النبي ﷺ بل هو مستحدث، ولا يقول عاقل: إنه بدعة، ويؤيده قولُ النبي ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنة» الحديث، فتنبَّه لهذا واللَّه يرعاك.

(٣) «أنا أولى بكلِّ مُؤمنٍ» أي أحقُّ بالمؤمن من نفسه.

(٤) «ترك ديناً أو ضياعاً» أي مات وترك ديوناً للناس فأنا أحقُّ بوفائها، أو ترك أطفالاً صغاراً ضائعين ليس لهم من يرعاهم، فأنا وليُّهم، فالرسول ﷺ كالوالد لأمته يتعهدهم ويرعاهم.

(٥) أنظر حديث رقم (١٥٨).

صَدْرِ النَّهَارِ[١] عِنْدَ رسول اللَّه ﷺ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ عُرَاةٌ، مُجْتَابِي النِّمَارِ[٢]، أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رسول اللَّه ﷺ، لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الفَاقَةِ[٣]، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلالاً فَأَذَّنَ، وَأَقَامَ فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، وَالآيَةُ الأُخْرَى التِي فِي آخِرِ الحَشْرِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ[٤]، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، من صَاعِ تَمْرِهِ، حَتَّى قَالَ: «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ[٥]، كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ[٦]، فَقَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[٧] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَوْلُهُ «مُجْتَابِي النِّمَارِ» هُوَ بِالجِيمِ. و«النِّمَارُ»: جَمْعُ نَمِرَةٍ، وَهِيَ: كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ مُخَطَّطٌ، وَمَعْنَى «مُجْتَابِيهَا» أي: لابِسِيهَا قَدْ خَرَقُوهَا فِي رُؤُوسِهِمْ. «وَالْجَوْبُ»: الْقَطْعُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ أَيْ: نَحَتُوهُ وَقَطَعُوهُ. وَقَوْلُهُ «تَمَعَّرَ» هو بالعين المهملة، أَيْ: تَغَيَّرَ، وَقَوْلُهُ: «رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ»

---

(١) «في صدر النهار» أي أول النهار.

(٢) «مجتابي النِّمار» أي يلبسون أكسيةً وأثواباً من الصوف، لا تكاد تستر أجسادهم، ولهذا قال عنهم: (قوم عراة).

(٣) «من الفاقة» أي من الفقر والحاجة والمسكنة.

(٤) «تصدَّق رجل من ديناره» خبرٌ يراد به الأمرُ، أي ليتصدَّقْ الإنسانُ بما يستطيع، ولو بجزءٍ من الدرهم أو الدينار، أو من صاع البروالتمر، حتى ولو كان بنصف تمرة.

(٥) «بصرَّة» أي بصُرَّة من الدراهم كبيرة.

(٦) «يتهلَّلُ كأنه مُذْهَبة» أي يتلألأ وجهه من السرور والفرح، ويلمع كأنه الذهبُ الوهَّاج، لأنهم استجابوا لدعوته، وجمعوا لإخوانهم ما يدفع عنهم الحاجة.

(٧) هذا الحديث نصٌّ قاطع، على أنه يوجد في المستحدث من الأمور، ما هو سُنّةٌ حسنة، وسنة مبتدعة، لقوله ﷺ: «من سنَّ» ولم يقل: من عمل بسنتنا كما فسَّره البعضُ، فإن من الأمور ما يتفق مع الإسلام ولا يتعارض معه فهو سنة حسنة، والله أعلم.

بفتحِ الكافِ وضمِّها، أَيْ: صُبْرَتَيْنِ. وَقَوْلُهُ: «كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ» هو بالذالِ المعجمةِ، وَالمُرَادُ بِهِ: الصَّفَاءُ وَالاسْتِنَارَة.

١٧٤ ـ وعن ابن مسعودٍ رضي اللَّه عنه، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «ليس مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْماً، إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدم الأَوَّلِ، كِفْلٌ[١] مِنْ دمِهَا، لأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ القَتْلَ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁ ❁ ❁

بـابٌ فـي الـدّلالـة
على الخير والدعاء إلى هدى أو ضلالة

قال تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الحج: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

وعن أَبي مسعودٍ «عُقْبَةَ بْن عَمْرو الأَنصَارِيِّ البَدْرِيِّ» رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٧٥ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدَىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ، مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ، مِثْلُ آثامِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٧٦ ـ وعن أَبي العباسِ «سَهْل بن سعدِ السَّاعِدِيِّ» رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِينَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ[٢] أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا[٣] عَلَى رسول اللَّه ﷺ: كُلُّهُمْ يَرْجُوا أَنْ

---

(١) «كِفلٌ» أي نصيب من الذنب، والمراد بابن آدم الأوّل قابيل قاتل أخيه هابيل.

(٢) «يَدُوكون ليلتَهم» أي يخوضون في ليلتهم ويتحدّثون لمن سيعطي الرايةَ رسول اللَّه ﷺ؟

(٣) «غَدَوْا على رسول اللَّه» أي ذهبوا إلى الرسول ﷺ مسرعين، أيُّهم يُعطى الراية.

يُعْطَاهَا، فقال: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنِ أَبِي طالبٍ؟» فَقِيلَ: يا رسول اللَّه هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْه!! قال: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ» فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رسولُ اللَّه ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. فقال علي رضي اللَّه عنه: يا رسول اللَّه أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ[1] حَتَّى تَنزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

١٧٧ ـ وَعَن أَنس رضي اللَّه عنه «أَنَّ فَتًى مِنْ أَسْلَمَ قال: يا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيد الْغَزْوَ، وَلَيْس مَعِي مَا أتجهَّزُ بِهِ؟[3] قَالَ: ائتِ فُلاناً فَإِنه قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِض، فَأَتَاهُ فَقَال: إِنَّ رسول اللَّه ﷺ يُقْرِئكَ السَّلامَ وَيَقُولُ: أَعْطِنِي الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ، فَقَال: يَا فُلانَةُ أَعْطِيهِ الَّذِي تجهزْتُ بِهِ، وَلا تحْبِسِي مِنْه شَيْئاً، فَواللَّهِ لا تحْبِسِين مِنْه شَيْئاً فَيُبَارَكَ لَكِ فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في التعاون على البرّ والتقوى

قال اللّه تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائدة: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ③﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

قال الإمَام الشَّافِعِي رَحِمَه اللَّه: إِنَّ النَّاسَ فِي غَفْلَةٍ عَنْ تَدَبُّرِ هَذِهِ السُّورَةِ، ولو لم يُنزل اللَّهُ غير هذه السورة لكفَت الناسَ.

١٧٨ ـ عن أبي عبدِ الرحمنِ «زيدِ بنِ خالدِ الْجُهَنِيِّ» رَضِيَ اللَّه عنه قالَ: قالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِياً[4] فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ[5] غَازِياً فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «انفُذْ على رِسْلِكَ» أي امضِ على مَهْلك ولا تتعجَّل.
(٢) «خيرٌ لك من حُمُرِ النَّعَم» أي خير لك من الإبل الجياد الحُمْر، التي هي أنفسُ أموال العرب.
(٣) «ما أتجهز به» أي ليسَ عندي المركب والسلاح الذي أقاتل به.
(٤) «من جهَّز غازياً» أي هَيَّأ له المركب والسلاح الذي يقاتل به.
(٥) «ومن خَلَف غازياً» أي قام بعده بحوائج أهله، ينال ثواب الغازي.

١٧٩ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللَّهُ عنهُ «أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، بَعَثَ بَعْثاً[١] إلى بَنِي لِحيانَ مِنْ هُذَيْلٍ، فقالَ: لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ[٢] أَحَدُهُمَا، وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٠ ـ وعن ابنِ عباسٍ رضي اللَّه عنهما، أَنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ لَقِيَ رَكْباً بالرَّوْحَاءِ[٣] فقال: «مَنِ الْقَوْمُ؟» قَالُوا: المُسْلِمُونَ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قال: «رسول اللَّه» فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيّاً فَقَالَتْ: أَلِهذَا حَجٌّ؟ قال: «نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨١ ـ وَعَنْ أَبِي موسى الأَشْعَرِيِّ رضي اللَّه عنه، عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «الخَازِنُ المُسْلِمُ الأَمِينُ، الَّذِي يُنَفِّذُ ما أُمِرَ بِهِ، فَيُعْطِيهِ كامِلاً مُوَفَّراً، طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ فَيَدْفَعُهُ إلى الَّذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ، أَحَدُ المُتَصَدِّقَيْنِ»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية: «الَّذِي يُعْطِي مَا أُمِرَ بِهِ». وضبطوا «المُتَصَدِّقَيْنِ» بفتح الكاف مع كسر النون على التثنية، وعكسُه على الجمع، وكلاهما صحيح.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النَّصيحَة

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال تعالى إخباراً عن نوح ﷺ: ﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ [الأعراف: ٦٢].

وعَنْ هُودٍ ﷺ: ﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٨].

وَأَمَّا الأحادِيثُ:

١٨٢ ـ فَالأَوَّلُ: عن أبي رُقَيَّةَ «تَمِيم بنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ» رضي اللَّه عنه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»[٥] قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ،

---

(١) «بَعَثَ بعثاً» أي أراد أن يرسل سريّةً للجهاد في سبيل اللَّه.

(٢) «من كل رجلين أحدهما» أي ليخرج من كل قبيلةٍ نصف العدد، والأجرُ بين المجاهدين والقاعدين، لإعانتهم لهم على طاعة اللَّه، حيث يخلفونهم في أهليهم بخير.

(٣) «لقي ركباً بالرَّوْحاء» أي لقي جماعة معتمرين في مكان قريبٍ من المدينة المنورة.

(٤) «أحدُ المتصَدِّقينِ» بالتثنية أي أحد الشخصين الذي تصدَّق بماله، وضَبَطه بعضهم بالجمع (المتصدِّقينَ) وكلاهما صحيح.

(٥) «الدِّينُ النَّصيحةُ» أي النصح لكل مسلم هو الدينُ، وهو علامة صدق المؤمن، والنصيحةُ: كلمةٌ جامعةٌ لكل خير، وهي أجمعُ كلمةٍ لخيْري الدارين.

وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٣ ـ **الثاني**: عَنْ «جَرِير بْنِ عبد اللّه» رضي اللّه عنه قال: « **بَايَعْتُ رسولَ اللّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٤ ـ **الثَّالِثُ**: عَن أَنَس رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال: « **لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[٢] مُتَّفَق عليه.

❁ ❁ ❁

بابٌ في الأمْرِ بالمعروف والنّهي عَنْ المنكر

قال اللّه تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٣] [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٧٩ ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩].

---

(١) «ولأئمة المسلمين» أي أمرائهم وحُكّامهم «وعامتهم» أي سائر المسلمين.

(٢) «لا يؤمن أحدكم» أي لا يكمل إيمانُ أحدكم، حتى يحبَّ لأخيه في الإسلام ما يحبُّه لنفسه.

(٣) هذه الآية توحي بأن هذه الأمة أمة إنقاذ، ادّخرها اللّه لإنقاذ البشرية من ظلمات الكفر والجهل والضلال، وهيَّأها لهذه المهمة، أخرج البخاري عن أبي هريرة في الآية قال: (خيرَ الناسِ للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام) ومعناه: أنهم يأسرون الكفار، فإذا عرفوا الإسلام وفهموه على حقيقته، دخلوا في الإسلام، فيكون ذلك سبباً لدخولهم الجنة.

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[١] [الكهف: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٢] [الحجر: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ[٣] بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وَالآياتُ في الباب كَثِيرَةٌ مَعلومَةٌ.

وَأَمَا الأَحادِيثُ:

١٨٥ ـ **فالأوَّلُ**: عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضيَ اللَّه عنه قالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٦ ـ **الثاني**: عن ابن مسْعُودٍ رضي اللَّه عنه، أَنَّ رسول اللَّهِ ﷺ قال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّه في أُمَّةٍ قَبْلي، إِلَّا كان لَه مِنْ أُمَّتِهِ حَوارِيُّون[٤] وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُون بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُون بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنها تخلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ[٥]، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُون، فَمَنْ جَاهَدَهُم بِيَدِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، وليس وراء ذَلِكَ مِن الإِيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٧ ـ **الثالثُ**: عن أبي الوليدِ «عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ» رضي اللَّه عنه قال: «بَايَعْنَا رسولَ اللَّه ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ، وَالمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ[٦]،

---

(١) هذه الآية واردة على وجه التهديد والوعيد، وليست للتخيير بين الإيمان والكفر.
(٢) ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤمَرُ﴾ أي اجهرْ بالحقّ ولا تُبالِ بأحدٍ من الخلق، فاللّهُ عونك وناصرك.
(٣) ﴿بعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أي بعذاب مؤلم شديد اشتدّ بؤسُه ووجعُه.
(٤) «حواريون» أي أصحاب أصفياء أتقياء يكونون عوناً للأنبياء صلوات اللّه عليهم.
(٥) «تخلف من بعدهم خلوف» أي يأتي من بعد أولئك الأتقياء، أناسٌ أشقياء، يخلفونهم بالشرّ والسُّوء، جمع خَلْفٍ بسكون اللام وهو من يخلف غيره بشرّ، وأمّا (خَلَفٌ) فهو من يخلف غيره بخير، يقال في الدعاء: جعله اللّه خيرَ خَلَفٍ لخيرِ سَلَف.
(٦) «والمَنْشَط والمَكْره» أي في السهل والصعب، وفي حالة اليسر والعُسر، والحبّ والكراهية.

وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا[١]، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً[٢]، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ بُرْهَانٌ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ » مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٨ ـ **الرَّابع**: عن النعْمانِ بْنِ بَشيرٍ رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ قال: « مَثَل القَائم في حُدودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلى سَفِينَةٍ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ، مَرُّوا عَلى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا، فِي نَصِيبِنَا خَرْقاً وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا! فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً، وإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ، نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعاً »[٣] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

« القَائمُ في حُدُودِ اللَّهِ تَعالى » مَعْنَاهُ: المُنْكِرُ لها، القَائمُ فِي دفْعِهَا وَإِزالَتِهَا، والمُرادُ بِالحُدُودِ: مَا نهى اللَّهُ عَنْهُ: « اسْتَهَمُوا »: اقْتَرعُوا.

١٨٩ ـ **الخامِسُ**: عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِين أمِّ سَلَمَةَ «هِنْدٍ بنتِ أَبِي أُمَيَّةَ» رضي اللَّه عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: « إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ[٤]، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِىءَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ[٥]! قَالوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَلا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

مَعْنَاهُ: مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ إِنْكَاراً بِيَدٍ وَلَا لِسَانٍ، فَقَدْ بَرِىءَ مِنَ الإِثْمِ، وَأَدَّى وَظِيفَتَهُ، وَمَنْ أَنْكَرَ بحَسَبِ طَاقَتِهِ، فَقَدْ سَلِمَ مِنْ هَذِهِ المَعْصِيَةِ، وَمَنْ رَضِيَ بِفِعْلِهِمْ وَتَابَعَهُمْ، فَهُوَ العَاصِي للَّه.

١٩٠ ـ **السَّادِسُ**: عَن أُمِّ المُؤْمِنِين أُمِّ الحَكَمِ «زَيْنَب بنْتِ جَحْش» رضي اللَّه

---

(١) «وعلى أَثَرَةٍ علينا» أي وعلى اختصاص بعض الناس بما لنا فيه حقٌّ، من المناصب والمال.

(٢) «كفراً بَوَاحاً» أي كفراً صريحاً ظاهراً لا يحتمل التأويل.

(٣) شبَّههم بقوم ركبوا في سفية، وأراد بعضهم أن يخرق السفينة، ليستخرج الماء من البحر، بدون تعب ولا إزعاج للآخرين، فإن تركوهم غرقوا جميعاً، وإن منعوهم نَجَوْا جميعاً، ويا له من مثلٍ رائع، جميل صريح، يفهمه الخاصَّةُ والعَامَّة!!

(٤) «فتعرفون وتنكرون» أي تعرفون منهم أموراً حسنة، وتنكرون عليهم أموراً سيئة.

(٥) «ولكنْ من رضي وتابع» أي رضي بما هم عليه من الفسوق والفجور، وسايرهم على أهوائهم وفجورهم، فهو الهالك.

عنها، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْها فَزِعاً[١]، يَقُولُ: «لا إله إلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ[٢] مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بأَصْبُعَيْهِ[٣] الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا». فَقُلْتُ: يَا رسول اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قال: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

١٩١ ـ السَّابِعُ: عَنِ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ رضي اللَّه عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ»[٥] فَقَالُوا: يَا رَسولَ اللَّه مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ[٦]؛ نَتَحَدَّثُ فِيهَا! فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رسولَ اللَّه؟ قال: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٩٢ ـ الثَّامِنُ: عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما «أَن رسول اللَّه ﷺ رَأى خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ في يَدِ رَجُلٍ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ[٧] مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ!» فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رسول اللَّه ﷺ: خُذْ خَاتَمَكَ، انْتَفِعْ بِهِ[٨]. قَالَ: لَا وَاللَّهِ لا آخُذُهُ أَبَداً وَقَدْ طَرَحَهُ رسول اللَّه ﷺ»[٩] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٩٣ ـ التَّاسِعُ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ «الْحَسَنِ البَصْرِيِّ» أَنَّ عَائِذَ بن عَمْرٍو رضِي اللَّه عنه دَخَلَ عَلَى عُبَيْد اللَّهِ بن زِيَادٍ فَقَالَ: «أَيْ بُنَيَّ! إِنِّي سَمِعتُ رسول اللَّه

---

(١) «دخل عليها فَزِعاً» أي خائفاً مضطرباً لما يحدث لأمته من بعده.

(٢) «ردم يأجوج» أي السدّ الذي بناه ذو القرنين.

(٣) «وحلّق بأصبعيه» أي جعل السَّبابة معقودة مع الإبهام، وضمّهما حتى صارا كالحلقة الصغيرة التي فيها شيء من الفراغ.

(٤) «إذا كثر الخبث» أي فشا الفسوق والفجور، وكثرت المعاصي والمنكرات.

(٥) «إياكم والجلوس في الطرقات» أي احذروا الجلوس في طرقات الناس.

(٦) «ما لنا منها بُدٌّ» أي لا يمكننا الاستغناء عن الجلوس فيها.

(٧) «يعمد أحدكم إلى جمرة» يريد أن لبس خاتم الذهب للرجل حرام، وهو سببٌ لوضع جمرة من نار في يده يوم القيامة.

(٨) «انتفع به» أي خذ الخاتم فبعه وانتفع بثمنه ولا تلبسه بعد اليوم!!

(٩) «لا آخذه وقد طرحه رسولُ اللَّه» أي خذوه أنتم فبيعوه، أمّا أنا فواللَّهِ لا أنتفع به، بعد أن طرحه الرسول ﷺ في الأرض.. للَّهِ ما أسمى هذه النفوس الطاهرة، التي تستجيب سريعاً لدعوة اللَّه!!

ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ»[١]، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنهُمْ. فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ[٢] أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ: وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ؟![٣] إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ وَفِي غَيْرِهِمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٩٤ ـ **العَاشِرُ**: عَنْ حُذَيْفَةَ رضيَ اللَّهُ عنه، عن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ[٤]، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّه أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسن.

١٩٥ ـ **الحَادي عَشَرَ**: عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «أَفْضَلُ الجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ[٥] عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٩٦ ـ **الثَّاني عَشَرَ**: عَنْ أَبِي عبدِ اللَّه «طَارِقِ بن شِهَابِ الْبَجَلِيِّ الأَحْمَسِيِّ» رضي اللَّه عنه «أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَه فِي الغَرْزِ[٦]: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَل؟ قَالَ: كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ» رَوَاهُ النسائيُّ بإسنادٍ صحيحٍ. «الغَرْز» رِكَابُ كَوْرِ الْجَمَلِ، إِذَا كَانَ منْ جِلْدٍ أَوْ خَشَبٍ.

١٩٧ ـ **الثَّالِثَ عَشَرَ**: عن ابن مَسْعُودٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ[٧] عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنَّه كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ، وَدعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِن الْغَدِ وهُو

---

(١) «شَرُّ الرِّعاءِ الحُطَمة» أي شرُّ الأمراء الذين استرعاهم اللَّه على الأمة، الذي يكون قاسياً عنيفاً في رعيته، غليظ القلب، كأنه بتعامله معهم يحطمهم ويكسرهم.

(٢) «من نخالة» أي اسكتْ فأنتَ لستَ من أكابر أصحاب النبي ﷺ الذين اختارهم اللَّه لصحبة نبيه ﷺ وإنما أنت من النخالة أي رَعَاع الناس.

(٣) «وهل كانت لهم نُخالة» أي جميع أصحاب النبي ﷺ سادة أشراف، ليس فيهم شخص وضيع، وإنما النخالة فيمن جاء بعدهم.

(٤) «لتأمرنَّ، ولتنهونَّ» اللام للتوكيد أي يجب عليكم وجوباً مؤكَّداً أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر.

(٥) «كلمةُ عَدْل» أي كلمةُ حقٍّ عند سلطان ظالم فاجر، لا ينفِّذ أحكام اللَّه.

(٦) «في الغَرْز» أي وضع رجله في ركاب الدابة، يريد أن يركبها.

(٧) «دخلَ النَّقصُ» أي أول الأمور التي كانت سبباً لهلاك بني إسرائيل، مخالطتهم وهم على المعاصي والفجور.

عَلَى حَالِهِ، فَلا يمْنَعُهُ ذلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ، وَشَرِيبَهُ، وقَعِيدَهُ[1] فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ، ضَرَبَ اللَّه قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ» ثُمَّ قَالَ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ إلى قولِهِ: ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٨١] ثُمَّ قَالَ: «كَلَّا، وَاللَّهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْراً، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْراً[2]، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن. هذا لَفظ أَبي داود.

وَلفظ التِّرمِذِيُّ: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ في الْمَعَاصِي، نَهَتْهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا، فَجَالَسُوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ وَوَاكَلُوهُمْ، وَشَارَبُوهُمْ، فَضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، فَجَلَسَ رسول اللَّه ﷺ، وَكَانَ مُتَّكِئاً فَقَالَ: لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى تَأْطِرُوهُمْ[3] عَلَى الحَقِّ أَطْراً».

١٩٨ ـ **الرَّابعَ عَشَرَ**: عن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي اللَّه عنه، قال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتَقْرَؤُونَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾[4] [المائدة: ١٠٥] وإني سَمِعت رسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللَّه بِعِقَابٍ مِنْهُ» رَوَاهُ أَبو داود، والتِّرمِذِيُّ، والنسائي بأسانيد صحيحةٍ.

❁ ❁ ❁

---

(١) «أكيلَه وشَرِيبَهُ وقَعِيدَه» أي أن يأكل معه، ويشرب معه، ويُجالسه.

(٢) «ولَتَقْصُرُنَّه على الحقّ قصْراً» أي تجبرونه على قبول الحق إجباراً.

(٣) «تأطِروهم» أي تحملونهم على ترك المنكرات والفواحش، أو يلعنكم اللَّه كما لعن بني إسرائيل، وتلا ﷺ الآية.

(٤) «تقرءون هذه الآية» أي تفهمونها فهماً خاطئاً، أنه لا يضركم ضلال من ضلّ من الناس إذا كنتم مهتدين! فتتركونهم دون نصح وتحذير، وإن من جملة الاهتداء أن ينكر المؤمن المنكر، ويأمر بالمعروف.

بابٌ في تغليظ عقوبة من أَمَر بمعروف أو نهى عن منكر وَخَالَفَ قوله فِعْلَه

قال اللَّه تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[١] [البقرة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا[٢] عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣].

وقال تعالى إخباراً عَنْ شُعَيْبٍ ﷺ: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ ﴾ [هود: ٨٨].

١٩٩ ـ وعن أبي زيدٍ «أُسَامَةَ بنِ زيدِ بنِ حَارِثَةَ» رضي اللَّه عنهما، قال: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَى بالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ[٣]، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ فِي الرَّحا، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُن تَأْمُرُ بالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، كُنْتُ آمُرُ بالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيه، وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

قولُهُ: «تَنْدَلِقُ» هُوَ بالدَّالِ المهملةِ، وَمَعْنَاهُ تَخْرُجُ. وَ «الأَقْتَابُ»: الأَمْعَاءُ، وَاحِدُهَا قِتْبٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في الأمر بأداء الأمانة

قال اللَّه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ[٤] عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا

---

(١) ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبِرّ﴾ الآية نزلت في اليهود، وهي تحذير للمؤمنين، أن يفعلوا مثل فعل اليهود، فيستحقوا العقوبة.

(٢) ﴿كَبُرَ مَقْتاً﴾ أي عَظُم إثماً عند اللّه وبغضاً أن يقول الإنسانُ قولاً، ولا يفعله، فيكون كالشمعة تُحرق نفسها لتضيء للناس.

(٣) «فتندلق أقتابُ بطنه» أي تخرج أمعاؤه من بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار برحى الطاعون، وهو الحجر الذي يُطحن به الحبُّ.

(٤) «عرضنا الأمانة» المراد بالأمانة التكاليف الشرعية، والفرائض الإلهية، التي فرضها اللّه على عباده.

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

٢٠٠ ـ عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ، قال: «آيَةُ المُنَافِقِ[١] ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» مُتَّفَقٌ عليه. وفي رواية: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ».

٢٠١ ـ وعن حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رضي الله عنه، قال: «حدثنا رسول الله ﷺ حَدِيثَيْنِ، قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ، حَدَّثَنَا أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ[٢]، ثُمَّ نَزَلَ القُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ فَقَالَ: «يَنَامُ الرَّجلِ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الوَكْتِ[٣]، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ المَجْلِ[٤]، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ، فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِراً وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ (ثُم أَخَذَ حَصَاةً فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ) فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلانٍ رَجُلاً أَمِيناً، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ! مَا أَظْرَفَهُ[٥]! مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ. وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ؟ لَئِنْ كَانَ مُسْلِماً لَيَرُدَّنَّهُ عليَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِياً أَوْ يَهُودِياً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ[٦]، وَأَمَّا اليَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ مِنْكُمْ إِلَّا فُلاناً وَفُلاناً» مُتَّفَقٌ عليه.

قوله: «جَذْرُ» بِفتح الجيم وَهُوَ: أَصْلُ الشَّيْءِ. و «الوَكْتُ»: الأَثَرُ اليَسِيرُ. «وَالمَجْلُ»: وَهُوَ تَنَفُّطٌ في اليَدِ وَنَحْوِهَا مِنْ أَثَرِ عَمَلٍ وَغَيْرِهِ. «مُنْتَبِراً»: مُرْتَفِعاً. «سَاعِيهِ»: الوَالي عَلَيْهِ.

---

(١) «آية المنافق» أي علامة المنافق.

(٢) «في جَذْر قلوب الرجال» أي في أصول قلوب أهل الإيمان، من أصحاب رسول الله ﷺ.

(٣) «مثلَ الوَكْتِ» الوكْتُ: الأثرُ القليل اليسير الذي يظهر على الثوب أو الجلد.

(٤) «مثلَ أَثَرِ المَجْلِ» المَجْلُ: انتفاخُ اليد من أثر حرقٍ من الحروق تصيب الإنسان، فتصبح اليد منتبرة، وهذا تمثيلٌ لضعف الأمانةِ، وذهابها عند الناس، بحيث لا يبقى منهم إلا القليل، القليل من أصحاب الدين والأمانة.

(٥) «ما أجلده؟ وما أظرفه؟» أي ما أشدَّ قوته على تحمُّل الشدائد؟ وما أجمله من إنسانٍ؟ وليس في قلبه ذرة من إيمان.

(٦) «ليردنَّه عليَّ ساعيه» أي يردُّه عليَّ من أتى به من الذي يتولَّى شأنه، فلا أبايعه لكونه كاذباً في دعوى الإيمان.

٢٠٢ ـ وعن حُذَيْفَةَ، وَأَبي هريرة رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ المُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الجَنَّةُ(١)، فَيَأْتُونَ آدَمَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ(٢)!! فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ؟! لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، قال: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ(٣)، اعْمَدُوا إِلَى مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّه تَكْلِيماً، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ، فَيَقُولُ عِيسَى: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلكَ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنْبَتَي الصِّرَاطِ يَمِيناً وَشِمَالاً، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كالبَرْقِ قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ البَرْقِ؟ قال: أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ في طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وأَشَدِّ الرِّجالِ تجري بِهِمْ أَعْمَالُهُم، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ العِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ لا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفاً، وَفِي حَافَّتَي الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ(٤) مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمُكَرْدَسٌ(٥) فِي النَّارِ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّم لَسَبْعُونَ خَرِيفاً»(٦) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله: «وَرَاءَ وَرَاءَ» مَعْنَاهُ: لَسْتُ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تُذْكَرُ عَلَى سَبِيلِ التَّوَاضُعِ.

٢٠٣ ـ وعن أبي خُبَيْبٍ «عبدِ اللَّهِ بنِ الزبَيْرِ» رضيَ اللَّه عنهما، قال: «لَمَّا وَقَفَ الزبيْرُ يَوْمَ الجَمَلِ، دَعَانِي فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا بُنَيِّ إِنَّهُ لَا يُقْتَلُ اليَوْمَ، إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وَإِنِّي لا أُرَانِي إِلَّا سأُقْتَلُ اليَوْمَ مَظْلُوماً، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ

---

(١) «تُزلفُ لهم الجَنَّةُ» أي تُقرَّب لهم حتى يروها.

(٢) «استفتح لنا الجنَّةَ» أي اطلب لنا فتح أبواب الجنة.

(٣) «من وراءَ وراءَ» أي ليس لي هذه المنزلة الرفيعة، قالها سيدنا إبراهيم عليه السلام تواضعاً منه، اذهبوا إلى غيري ممن له عند الله جاه ومكانة.

(٤) «كلاليبُ معلَّقة» هي تعاليق من حديد يُعلَّق عليها اللحمُ بعد الذبح.

(٥) «مكردسٌ» أي مكدَّسٌ بعضهم فوق بعض في النار.

(٦) «سبعون خريفاً» أي سبعون سنة يهوي فيها الكافر.

هَمِّي لَدَيْنِي، أَفَتَرَى دَيْنَنَا يُبْقِي مِنْ مَالِنَا شَيْئاً؟ ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ بِعْ مَا لَنَا، واقْضِ دَيْنِي، وَأَوْصَى بالثُّلُثِ وَثُلُثِهِ لِبَنِيهِ ـ يَعْنِي لِبَنِي عَبْدِ اللَّه بن الزبير ثُلُثُ الثُّلُث ـ قَالَ: فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَيْءٌ، فَثُلُثُهُ لِبَنِيكَ، قال هشامٌ: وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ وَازَى[1] بَعْضَ بَنِي الزبَيْرِ: خُبيبٌ، وَعَبَّادٌ، وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ وَتِسْعُ بَنَاتٍ. قَالَ عَبْدُ اللَّه: فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ وَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِمَوْلَايَ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: اللَّه. قال: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ، إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيَهُ، قَالَ: فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ وَلَمْ يَدَعْ دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً، إِلَّا أَرَضِينَ، مِنْهَا الغَابَةُ وإِحْدَى عَشْرَةَ دَاراً بالمَدِينَةِ، وَدَارَيْنِ بِالبَصْرَةِ، وَدَاراً بالكُوفَةِ وَدَاراً بِمِصْرَ. قال: وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِ بالمالِ، فَيَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: لَا وَلَكِنْ هُوَ سَلَفٌ[2] إِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ، وَمَا وَلِيَ إِمَارَةً قَطُّ، وَلَا جِبَايَةً وَلا خَرَاجاً وَلَا شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوٍ مَعَ رسول اللَّه ﷺ، أَوْ مَعَ أَبِي بَكْر وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رضي اللَّه عنهم، قَالَ عَبْدُ اللَّه: فَحَسَبْتُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ، فَوَجَدْتُهُ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ! فَلَقِيَ حَكِيمُ بن حزام عَبْدَ اللَّهِ بْن الزُّبَيْرِ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي كَمْ عَلَيه مِنَ الدَّيْنِ؟ فَكَتَمْتُهُ وَقُلْتُ: مائَةُ أَلْفٍ. فَقَالَ حَكِيمٌ: وَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْوَالَكُمْ تَسعُ هَذِهِ! فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَتْ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ؟ قَالَ: مَا أُرَاكُمْ تُطِيقُونَ هَذَا، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بي! قَالَ: وَكَانَ الزُّبَيْرُ قَدِ اشْتَرَى الغَابَةَ بِسَبْعِينَ وَمائَة أَلْفٍ، فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّه بِأَلْفِ أَلْفٍ وستِّمائَةِ أَلْف[3]، ثُمَّ قَامَ فقال: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ شَيْءٌ فَلْيُوَافِنَا بِالغَابَةِ، فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعَمَائة أَلْفٍ، فَقَالَ لعبدِ اللَّه: إِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكُمْ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّه: لا، قَال: فَإِنْ شِئْتُم جَعَلْتُمُوهَا فِيمَا تُؤَخِّرُونَ إِنْ أَخَّرْتُمْ، فقال عَبْدُ اللَّه: لا، قال: فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً، قال عَبْدُ اللَّه: لَكَ مِنْ هَهُنَا إِلَى هَهُنَا. فَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ

---

(١) «قد وازى» أي قاربَ وساوى.

(٢) «ولكنْ هُوَ سَلَف» أي تُقرضني هذا المال حتى يكون ديناً في عنقي أردُه عند الطلب.

(٣) «باعها بألف ألفِ وستمائة ألف» أي بمليون وستمائة ألف درهم، فكان الربح فيها كبيراً.

مِنهَا، فَقضى عَنهُ دَيْنَه وَأَوْفَاهُ، وَبَقِيَ مِنهَا أَرْبَعَةُ أَسْهُم وَنِصْفٌ، فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعِندَهُ عَمْرُو بنُ عُثْمَانَ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ زَمْعَةَ فقال لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قُوِّمَتِ الغَابَةُ؟ قال: كُلُّ سَهم بِمَائَةِ أَلْفٍ قال: كَمْ بَقِي مِنْهَا؟ قَالَ: أَرْبَعَةُ أَسْهُم وَنِصفٌ، فقال المُنذِرُ بنُ الزُّبَيْرِ: قَدْ أَخَذْتُ مِنهَا سَهماً بِمَائَةِ أَلْفٍ، قالَ عَمْرُو بنُ عُثْمَان: قَدْ أَخَذْتُ مِنهَا سَهماً بِمَائَةِ أَلْفٍ. وقال ابْن زمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهماً بِمِائَة أَلْفٍ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَمْ بَقِيَ مِنهَا؟ قَال: سَهْمٌ ونصفُ سَهم، قَال: قَدْ أَخَذْتُهُ بِخَمْسِينَ وَمَائَةِ أَلْفٍ. قَالَ: وَبَاعَ عَبْدُ اللَّه بْنُ جَعْفَرٍ نَصِيبَهُ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِسِتِّمِائَةِ أَلْفٍ. فَلَمَّا فَرغَ ابْنُ الزُّبَيرِ مِنْ قَضَاءِ دَيْنِهِ، قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ: اقْسِمْ بَيْنَنَا مِيرَاثَنَا، قَالَ: وَاللَّهِ لا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أُنَادِيَ بالْمَوْسِمِ أَرْبَع سِنِين: أَلا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ، فَجَعَلَ كُلَّ سَنَةٍ يُنَادِي فِي المَوْسِم، فَلَمَّا مَضى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسم بَيْنَهُمْ وَدَفَعَ الثُّلث. وَكَان للزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوةٍ، فَأَصَابَ كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ وَمائَتَا أَلْفٍ، فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْف أَلْفٍ وَمائَتَا أَلْف» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في تحريم الظلم، والأمر بردّ المظالم

قال اللّه تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[1] [غافر: ١٨].

وقال اللّه تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [الحج: ٧١].

وأمّا الأحاديثُ فَمِنهَا حَديثُ أَبِي ذرٍّ رضي اللّه عنه المُتَقَدِّمُ فِي آخِرِ باب المُجَاهَدَةِ. (انظر حديث رقم ١١١)

٢٠٤ ـ وعن جابرٍ رضي اللّه عنه، أن رسول اللّه ﷺ: قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ[2]، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْم القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»[3] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) ﴿ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيم﴾ أي ليس لهم صديق ينفعهم، ولا شافعٌ يشفع لهم، فتُقبل شفاعتُه فيهم.

(٢) «اتقوا الظلم» أي اجتنبوا الظلم، واجتنبوا الشُّحَّ وهو «شدَّةُ البخل»، فإنه قد أهلك من قبلكم من الأمم.

(٣) «استحلُّوا محارمهم» استحلُّوا ما حرَّم اللّه عليهم من الفواحش، والمحرَّمات من النساء.

٢٠٥ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، أن رسول اللّه ﷺ قال: « لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ للشَّاةِ الجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٠٦ ـ وعن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: « كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَنْ حَجَّةِ الوَدَاعِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَلَا نَدْرِي مَاحَجَّةُ الوَدَاعِ؟ حَتَّى حَمِدَ اللّهَ رَسُولُ اللّه ﷺ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ المَسِيحَ الدَّجَّالَ فَأَطْنَبَ[٢] فِي ذِكْرِهِ، وَقَالَ: «مَا بَعَثَ اللّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ أُمَّتَهُ: أَنْذَرَهُ نُوح وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ إِنْ يَخْرُجْ فِيكُمْ فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ، فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ[٣]. أَلا إِنَّ اللّه حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قال: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ ـ ثَلاثاً ـ وَيْلَكُمْ، أَوْ وَيْحَكُمْ، انْظُرُوا! لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وروى مسلم بعضه.

٢٠٧ ـ وعن عائشة رضي اللّه عنها، أَن رسول اللّه ﷺ قال: « مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ[٤] مِنَ الأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٠٨ ـ وعن أبي موسى رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « إِنَّ اللّه لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ[٥] فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»[٦] ثُمَّ قَرأَ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٠٩ ـ وعن مُعَاذٍ رضي اللّه عنه قال: بَعَثَنِي رسول اللّه ﷺ فقال: « إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللّه، وَأَنِّي رسول

---

(١) « الشاة الجلحاء من القرناء» أي يُقتصّ من الشاة التي لها قرون، للشاة المنزوعة القرون، إذا نطحتها في الدنيا.

(٢) « فأطنب في ذكره» أي توسّع وأسهب في بيان خطر الدجال.

(٣) « عِنَبةٌ طافية» أي بارزة ومارقة إلى الأمام كحبة العنب.

(٤) « قِيد شِبْرٍ» أي اغتصب مقدار شبرٍ من الأرض.

(٥) « يملي للظالم» أي يمهله ويؤخّره ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

(٦) « لم يُفلته» أي لم يتركه، والمراد بالأخذ العذابُ.

اللَّه، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّه قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ[١]، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ[٢] فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢١٠ ـ وعن أبي حُمَيْدٍ عَبْد الرَّحْمن بن سعدٍ السَّاعِدِيِّ رضي اللَّه عنه قال: «اسْتَعْمَلَ النبيُّ ﷺ رَجُلاً مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ: (ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ) عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ، فَقَامَ رسول اللَّه ﷺ عَلَى المِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّه وَأَثْنَى عَلَيْه، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى العَمَلِ، مِمَّا وَلَّانِي اللَّه، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ إِلَيَّ، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ، حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقاً؟! وَاللَّهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً بِغَيْرِ حَقِّهِ، إِلَّا لَقِيَ اللَّه تَعَالَى، يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلَا أَعْرِفَنَّ أَحَداً مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّه يَحْمِلُ بَعِيراً لَهُ رُغَاءٌ[٣]، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَار، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رُؤِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ فقال: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغت؟ ثلاثاً» مُتَّفَقٌ عليه.

٢١١ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ، مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْه مِنه اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، أُخِذَ مِنْهُ بِقَدرِ مَظْلِمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٢١٢ ـ وعن عبد اللَّه بن عَمْرو بن العَاص رضي اللَّه عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «المُسْلِمُ: مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢١٣ ـ وعنه رضي اللَّه عنه قال: «كَانَ عَلَى ثَقَلِ[٤] النَّبيِّ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ

---

(١) «إيَّاكَ وكرائمَ أموالهم» أي احذر أن تأخذ منهم نفائس أموالهم في الزكاة.

(٢) «واتَّقِ دعوةَ المظلوم» أي اخشَ دعوة المظلوم فإنها مستجابة.

(٣) «بعيراً له رُغَاء» صوتُ البعير أي الجمل، والخُوارُ: صوتُ البقر، وقوله: (تَيْعَرُ) صوتُ الشاة.

(٤) «على ثَقَل» أي عيال وأحمال النبي ﷺ التي غنمها في بعض غزواته.

كِرْكِرَةُ، فَمَاتَ، فَقَالَ رسول اللَّه ﷺ: هُوَ فِي النَّارِ، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا»[١] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٢١٤ ـ وعن أبي بَكْرَة «نُفَيْعِ بنِ الحارثِ» رضيَ اللَّه عنهُ، عنِ النبيّ ﷺ قال: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ[٢] يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُم، ثَلاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدة، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّم وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!! فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قال: أَلَيْسَ ذَا الحِجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى. قال: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قال: أَلَيْسَ البَلْدَةَ؟ قُلْنَا: بَلَى. قال: فَأَيُّ يَوْم هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَم، فَسَكَتَ حَتى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى. قال: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، في بلدكم هذا، فِي شَهْرِكم هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُم فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلا فَلا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى[٣] لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَه، ثُمَّ قال: أَلا هَلْ بَلَّغت؟ أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢١٥ ـ وعن أَبِي أُمَامَةَ «إِيَاسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الحَارِثِيِّ» رضيَ اللَّه عنه، أَن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِىءٍ مُسْلِم بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّه لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ» فَقال رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً يا رسولَ اللَّهِ؟ فقال: «وَإِنْ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢١٦ ـ وعن عَدِي بن عُمَيْرَةَ رضي اللَّه عنه قال: سَمِعْت رسول اللَّه ﷺ يَقُول: «مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطاً فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولاً يَأْتِي بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ الأَنْصَارِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ،

---

(١) «قد غلّها» أخذها من الغنيمة قبل القسمة، والغُلول: الخيانةُ في الغنيمة.

(٢) «قد استدار كهيئته» أي رجع إلى وضعه الصحيح، بعد أن تلاعب فيه المشركون بالنسيء.

(٣) «أوعى له» أي أفهم للحديث من المبلّغ.

(٤) «قضيباً من أراكٍ» هو السّواكُ الذي يُستاك به.

فَقال: يا رسول اللَّه اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ[١]!! قال: وَمَا لَكَ؟ قال: سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذا، قال: وَأَنَا أَقُولهُ الآنَ، مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ، فَلْيجِىء بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢١٧ ـ وعن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ فَقَالُوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، وَفُلانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فقالوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، فقال النَّبيُّ ﷺ: كَلَّا إنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ، فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢١٨ ـ وعن أبي قَتَادَةَ «الْحَارث بن رِبْعِيٍّ» رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ «أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ، فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الجِهَادَ فِي سَبيلِ اللَّه، وَالإِيمَانَ باللَّهِ، أَفْضَلُ الأَعمالِ، فَقَامَ رَجُلٌ فقال يا رسول اللَّه: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّه، أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَال لَهُ رسول اللَّه ﷺ: نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّه وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ[٢]، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، ثُمَّ قَالَ رسول اللَّه ﷺ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قال: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّه، أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقال رسول اللَّه ﷺ: نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدَّيْنَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ قال لِي ذَلِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢١٩ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَنِ المُفْلِسُ؟ قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ!! فَقال: إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٢٠ ـ وعن أُم سَلَمَة رضي اللَّه عنها، أَن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَن بِحُجَّتِهِ[٣] مِن بَعْض،

---

(١) أي اعفني من هذا العمل فإنه خطير.

(٢) «محتسب» أي تطلب أجرك من اللَّه تعالى وتعمل العملَ خالصاً لوجهه الكريم.

(٣) «ألحن بحجته» أي أقوىٰ وأوضح في بيان حجته من غيره.

فَأَقْضِيَ لَهُ بِنَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٢١ ـ وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَماً حَرَاماً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٢٢٢ ـ وعن خَوْلَةَ بِنْتِ عَامِرٍ الأَنْصَارِيَّةِ «وَهِيَ امْرَأَةُ حَمْزَةَ رضي اللَّه عنه وعنها» قالت: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ[1] فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تعظيم حُرمات المُسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[2] [المائدة: ٣٢].

٢٢٣ ـ وعن أبي موسى رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «المُؤْمِن لِلْمُؤْمِنِ كالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»[3] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٢٤ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ

---

(١) «يتخوَّضون» أي يقعون في المال الذي حرَّمه اللَّه دون مبالاة.

(٢) ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ الآية تهويلٌ لأمر القتل، وتعظيم أمره، فإن إهدار دم إنسان عدوانٌ على البشرية، فكأنه قتل جميع الناس، من حيثُ إنه هَتَك حرمة الدماء، وسنَّ القتل، وجرّأ الناسَ عليه.

(٣) «كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً» تشبيه رائع بديع، شبَّه المسلمين في تآخيهم وتعاطفهم، وتناصرهم، بالبنيان المرصوص، كلُّ حجرٍ قد شُدَّ إلى الآخر، حتى صار كأنه قطعة واحدة، وكذلك في الحديث الثاني شبَّهه بالجسد الواحد، إذا تألَّم عضوٌ منه، تألَّم له جميع الجسد، والتشبيه بهما بالغ الروعة.

مِنْ مَسَاجِدِنَا، أَوْ أَسْوَاقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ، أَوْ لِيَقبضْ عَلَى نِصَالِهَا بِكَفِّهِ، أَنْ يُصِيبَ أَحَداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٢٥ ـ وعن النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالسَهَرِ وَالحُمَّى» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٢٦ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضِي اللّه عنه قال: «قَبَّلَ النَّبيُّ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّه عنهما، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بنُ حَابِسٍ، فَقَال الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ، مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَداً!! فَنَظَرَ إِلَيْهِ رسولُ اللّه ﷺ فقال: مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٢٧ ـ وعن عائشةَ رضي اللّه عنها قالت: «قَدِم نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ[1] عَلَى رسول اللّه ﷺ، فقالوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبيَانَكُمْ؟ فقال: نَعَمْ، قالوا: لَكِنَّا واللّه مَا نُقَبِّلُ، فقال رسول اللّه ﷺ: أَوَ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللّهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُمُ الرَّحْمَةَ؟» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٢٨ ـ وعن جرير بن عبد اللّه رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ لا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللّهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٢٩ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللّه عنه، أَنَّ رسول اللّه ﷺ قال: «إِذَا صَلى أَحَدُكُمْ للنَّاسِ، فَلْيُخَفِّفْ!! فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ، فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاء» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٣٠ ـ وعن عَائِشَةَ رضي اللّه عنها قَالَتْ: «إِنْ كَانَ رسول اللّه ﷺ لَيَدَعُ العَمَلَ[2]، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٣١ ـ وَعَنْهَا رضي اللّه عنها قَالَتْ: «نَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الوِصَالِ[3]

---

(١) «من الأعراب» هم سُكان البوادي، البعيدون عن المدنية والحضارة.

(٢) «ليدَعُ العمل» أي يترك فعل الشيء خشية أن يُفرض على الأمة.

(٣) «الوصال» هو أن يصوم يوماً ولا يفطر في المساء، ويصله بصيام يوم آخر.

رَحْمَةً لَهُمْ، فقالوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ؟ قَال: إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي» مُتَّفَقٌ عليه. مَعْنَاهُ: يَجْعَلُ فِيَّ قُوَّةَ مَنْ أَكَلَ وَشَرِبَ.

٢٣٢ ـ وَعن أَبِي قَتَادَةَ الحَارِث بن رِبْعِيٍّ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنِّي لأَقُومُ إِلَى الصَّلاةِ، وَأُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي[١]، كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٢٣٣ ـ وعن جُنْدُبِ بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّه[٢] فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللَّه مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ[٣]، فَإِنَّهُ منْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلَى وَجْهِهِ في نَارِ جَهَنَّم» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٣٤ ـ وعن ابنِ عمر رضي اللَّه عنهما، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ[٤]، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ[٥] عَنْ مُسْلِم كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٣٥ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَخُونُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِم حَرَامٌ عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، التَّقْوَى هَهُنَا[٦]، بِحَسْبِ آمْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ، أَنْ يَحْقِرَ[٧] أَخَاهُ المسلم» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

٢٣٦ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تَحَاسَدُوا، وَلَا

---

(١) «فأتجوّز في صلاتي» أي أخفّف في الصلاة رحمةً بأمّه.

(٢) «في ذمة اللّه» أي من صلّى الفجر في جماعة فهو في أمانة اللّه وعهده..

(٣) «فلا يَطْلُبَنَّكُمُ اللّه» أي لا تؤذوا هذا المؤمن، فتتعرضوا لنقض عهد اللّه، وتستحقوا عقابه بنار الجحيم.

(٤) «لا يُسلمه» لا يتركه للأعداء بدون نصرة.

(٥) «من فَرَّج كربة» أي أزال عن مسلمٍ شدَّةً من شدائد الدنيا، أزال اللّه عنه أهوال وشدائد يوم القيامة.

(٦) «التقوىٰ ههنا» أي في القلب مصدر الخير أو الشر.

(٧) «أن يحقر أخاه» أي يكفي الإنسانَ من مقارفة الشرّ، أن يحتقر أخاه المسلم.

تَنَاجَشُوا[١] وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا[٢] وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ[٣]، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً[٤] الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ. التَّقْوَى هَهُنَا (وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ، أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضه» رَوَاهُ مسلِم.

٢٣٧ ـ وعن أَنسٍ رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[٥] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٣٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسول اللّه أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُوماً، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِماً كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قال: تَحْجُزُهُ ـ أَوْ تَمْنَعُهُ ـ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٢٣٩ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، أنَّ رسول اللّه ﷺ قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدعْوَةِ[٦]، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية لمسلم: «حَقُّ الْمُسْلِمِ على المسلم سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ[٧] وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٤٠ ـ وَعن أَبِي عُمَارَةَ «الْبَرَاءِ بن عازبٍ» رَضِي اللّه عنهما قال: «أَمَرَنَا رسول اللّه ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ،

---

(١) «ولا تناجشوا» النَّجْشُ: أن يزيد في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها، ليغرَّ غيره.

(٢) «ولا تدابروا» أي لا يهجر أخاه ويعرض عنه، ويجعله كالشيء الذي هو وراء الظهر.

(٣) «ولا يبع بعضكم» أي لا يقدم على شراء سلعة، ويدفع فيها ثمناً أكثر، إذا كان غيره يريد شراءها، لأن هذا يورث العداوة.

(٤) «وكونوا إخواناً» أي متحابين، متعاطفين، متآخين، تحقيقاً لقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾**.

(٥) «لا يؤمن أحدكم» أي لا يكمل إيمانه حتى يحب لأخيه المسلم ما يحبُّه لنفسه.

(٦) «وإجابةُ الدعوة» أي دعوة العرس لتناول الطعام كما قال ﷺ لبعض أصحابه: «أولِمْ ولو بِشاة» وهي سُنَّة في جميع الولائم.

(٧) «وإذا عطس فشمِّته» أي قل له: يرحمكم اللّه.

وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِبْرَارِ المُقْسِمِ[١]، وَنَصْرِ المَظْلُوم، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلام، وَنَهَانَا عَنْ تَخَتُّمٍ بِالذَّهَبِ، وَعَنْ شُرْبٍ بِالفِضَّةِ، وَعَنِ المَيَاثِرِ الحُمْرِ[٢]، وَعَنِ القَسِّيِّ[٣]، وَعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ، وَالإِسْتَبْرَقِ وَالدِّيبَاجِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رِوايةٍ: «وَإِنْشَادِ الضَّالَّةِ فِي السَّبْعِ الأَوَّلِ».

۞ ۞ ۞

بابٌ في ستر عورات المُسلمينَ والنّهي عن إشاعتها لغير ضرورة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[٤] [النور: ١٩].

٢٤١ ـ وعن أَبي هريرة رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٤٢ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمِعت رسول اللهِ ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا المُجَاهِرِينَ[٥]، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُل بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا فُلانُ عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عنه» مُتَّفَق عليه.

٢٤٣ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا زَنَتِ الأَمَةُ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا[٦] فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ، وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا[٧]، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّانِيَةَ فَلْيَجْلِدْهَا

---

(١) «إبرار المقسم» أي إذا حلف عليك بالله، فلا تدعه يحنث ويُكَفِّرْ عن يمينه، بل أجبه لطلبه حتى يكون باراً بيمينه.

(٢) «المياثر الحمر» هو ما يُتّخذ من الحرير، ويُحشى بالقُطن ويجعل على ظهر البعير للركوب.

(٣) «القسّي» هي ثياب الحرير والكتان المختلطين.

(٤) ﴿أَن تَشِيعَ الفَاحِشَةُ﴾ أي يحبون أن تفشو وتنتشر الرذائل والقبائح بين المؤمنين، ويسعون إلى إشاعتها كالزنى، والتكشف، وسائر المنكرات، لهم عذاب شديد مؤلم.

(٥) «إلّا المجاهرين» المجاهرُ: الذي يُظهر المعصية ويُحدّث بها كالمفتخر، لترغيب الناس في القبيح.

(٦) «فتبيّن زناها» أي انكشف أمرها بمقارفة جريمة الزنى.

(٧) «ولا يُثرّب» أي يقيم عليها الحدّ، ولا يبالغ في التوبيخ والعقاب.

الحَدُّ، وَلَا يُثَرِّبَ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّالِثَةَ فَلْيَبِعْهَا وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعَرٍ» مُتَّفَق عليه. «التَّثْرِيبُ»: التَّوْبِيخُ.

٢٤٤ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ خَمْراً، قَالَ: اضْرِبُوهُ، قال أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أَخْزَاكَ اللَّه[1]، قال: لا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في قضاء حوائج المسلمين

قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

٢٤٥ ـ وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَظْلِمه وَلَا يُسْلِمُهُ[2]، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّه عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» مُتَّفَق عليه.

٢٤٦ ـ وعن أبي هُرَيرَة رضيَ اللَّه عَنهُ، عن النبي ﷺ قالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّه عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّه عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّه فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللَّه لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ[3]، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ[4]، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ[5]، وَذَكَرَهُمُ

---

(١) «أخزاه اللَّه» أي أهانه اللَّه وأبعده من رحمته.

(٢) «ولا يُسْلِمُه» أي لا يترك نصرته ويتركه للأعداء.

(٣) «نزلت عليهم السكينة» أي راحةُ النفس وطمأنينة القلب.

(٤) «وغشيتهم الرحمةُ» أي عمّتهم رحمة اللَّه.

(٥) «وحفَّتهم الملائكةُ» أي أحاطت بهم بأجنحتها من كل جانب.

اللّه فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ[١] لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في الشفاعة

قال اللّه تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

٢٤٧ ـ وعن أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه قال: كان النبي ﷺ إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ فَقال: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللّه عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحبَّ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه. وفي رواية: «مَا شَاءَ»!!

٢٤٨ ـ وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما في قِصَّةِ بَرِيرَةَ وَزَوْجِها، قال: قَال لَهَا النَّبيُّ ﷺ: «لَوْ رَاجَعْتِهِ؟ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَال: إِنَّمَا أَشْفَعُ، قَالَتْ: لا حَاجَةَ لِي فِيهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في الإصلاَح بَيْنَ النَّاسِ

قال اللّه تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[٣] [النساء: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

٢٤٩ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى[٤] مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، تَعْدِلُ بَيْنَ

---

(١) «بطَّأ به عمله» أي أخّره عمله الصالح، لم ينفعه النسب.
(٢) «اشفعوا تُؤجروا» أي من قَصَدكم بشفاعة فاشفعوا له، لتنالوا الأجر، ولا يتمُّ إلا ما قدّره اللّهُ.
(٣) معنى الآية: لا خير في كثير مما يتحدث به الناس في السرّ والخفاء، إلا إذا كان فيه مصلحة ومنفعة للخلق.
(٤) «كل سُلامي» أي كلُّ مفصل في الإنسان عليه صدقة.

الاثْنَيْنِ[١] صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الأَذَى[٢] عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٥٠ ـ وعن أُمِّ كُلْثُوم «بنتِ عُقْبَةَ بن أبي مُعَيط» رضي اللّه عنها قالت: سمِعْتُ رسول اللّه ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنمِي خَيْراً[٣]، أَوْ يَقُولُ خَيْراً» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية مسلم زيادة، قالت: «وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِما يَقُولُهُ النَّاسُ إِلَّا في ثَلَاثٍ؛ تَعْنِي: الحَرْبَ، وَالإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ[٤]، وَحَدِيثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا».

٢٥١ ـ وعن عائشة رضي اللّه عنها قالت: «سمِع رسول اللّه ﷺ صَوْتَ خُصُوم بِالبَابِ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ[٥] الآخَرَ، وَيَسْتَرْفِقُهُ[٦] فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللّهِ لا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رسولُ اللّهِ ﷺ فقال: أَيْنَ المُتَأَلِّي عَلَى اللّهِ[٧]، لَا يَفْعَلُ المَعْرُوفَ؟! فقال: أَنَا يَا رَسولَ اللّهِ، فَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٥٢ ـ وعن أبي العباس سهل بن سعدٍ السَّاعِدِيِّ رضي اللّه عنه «أن رسول اللّه ﷺ بَلَغَهُ أَنَّ بَنِي عَمْرو بن عَوْفٍ، كَانَ بَيْنَهُمْ شَرٌّ، فَخَرَجَ رسولُ اللّه ﷺ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ، فِي أُنَاسٍ مَعَه، فَحُبِسَ[٨] رسول اللّهِ ﷺ، وَحَانَتِ الصَّلاةُ، فَجَاءَ بِلالٌ إِلَى أَبِي بكْرٍ رضي اللّه عنهما فقال: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ رسول اللّه ﷺ قَدْ

---

(١) «تعدل بين الاثنين» أي تصلح بينهما بالعدل.
(٢) «وتميط الأذى» أي تُبعد الأذى وتنحيه عن طريق المسلمين.
(٣) «فينمي خيراً» أي ينقل كلاماً فيه خير للتوفيق والإصلاح بين الخصوم.
(٤) «وحديث الرجل امرأته» مثلُ أن يقول لها: إنّي أحبُّكِ، وهو يكرهها، أو أنتِ أغلى الناس عندي، وهو غير صادق فيه، وذلك من أجل استدامة الحياة الزوجية بينهما، فمثل هذا الكلام غير الصادق لا إثم فيه.
(٥) «يستوضعه» أي يطلب منه أن يضع عنه بعض دَيْنه.
(٦) «يسترفقه» يسأله الرِّفق في بعض الأمور.
(٧) «المتألّي» أي الحالف باللّه ألّا يفعل الخَير، فكأنه يتعالى على ربه.
(٨) «فَحُبِسَ رسولُ اللّه» أي تأخّر عند القوم وأمسكوه ليضيّفوه.

حُبِسَ، وَحَانَتِ الصَّلَاةُ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَؤُمَّ النَّاس؟ قال: نَعَمْ إنْ شِئْتَ، فَأَقَامَ بِلالٌ الصَّلاةَ، وَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فكبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ، وَجَاءَ رسول اللَّه ﷺ يَمْشِي فِي الصُّفُوفِ، حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ، فَأَخَذَ النَّاسُ فِي التَّصْفِيقِ، وَكَانَ أَبُو بَكْر رَضي اللَّه عنه لا يَلْتَفِتُ في صَلَاتِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّصْفِيقَ، الْتَفَتَ، فَإِذَا رسول اللَّه ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رسول اللَّه ﷺ[(١)]، فَرَفَعَ أَبُو بَكْر رضي اللَّه عنه يَدَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَرَجَعَ القَهْقَرَى[(٢)] وَرَاءَهُ، حَتَّى قَامَ في الصَّفِّ، فَتَقَدَّمَ رسول اللَّه ﷺ فَصَلَّى للنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فقال: أَيُّهَا النَّاسُ مَا لَكُمْ حِينَ نَابَكُمْ[(٣)] شَيْءٌ في الصَّلاةِ أَخَذْتُمْ فِي التَّصْفِيقِ؟! إِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ، مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ اللَّه، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ حِينَ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّه، إِلَّا الْتَفَتَ، يَا أَبَا بَكْر: مَا مَنَعَكَ أَن تُصَلِّي بِالنَّاسِ حِينَ أَشَرْتُ إِلَيْكَ؟ فقال أَبُو بَكْر: مَا كَانَ يَنْبَغِي لابْنِ أَبِي قُحَافَةَ[(٤)] أَنْ يُصَلِّي بِالنَّاس بَيْنَ يَدَيْ رسول اللَّه ﷺ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁ ❁ ❁

بابٌ في فضل ضَعَفَةِ المُسلمين والفقراء والخاملين

قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].

٢٥٣ ـ عن حَارِثَة بْنِ وَهْبٍ رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقولُ: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ[(٥)]، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّار؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ[(٦)] مُسْتَكْبِرٍ**» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «فأشار إليه رسولُ اللَّه» أي أشار إليه أن يبقى في مكانه يؤمُّ الناسَ.
(٢) «رجع القهقَرى» أي رجع يمشي إلى خلفه، ليتقدم رسول اللَّه ﷺ.
(٣) «حين نابكم» أي حين أصابكم شيء وأنتم في الصلاة.
(٤) «لابن أبي قحافة» أبو قُحافة: والد أبي بكر الصدِّيق، أي ما يحقُّ لي أن أكون إماماً بين يدي رسول اللَّه ﷺ؟ قاله تواضعاً وهضماً لنفسه، وتفخيماً لأمر الرسول ﷺ.
(٥) «ضعيفٍ متضعَّف» أي كل مؤمن ضعيف، يقهره الناسُ ويستضعفونه، ولا يبالون به، لو أقسم على اللَّه لاستجاب قَسَمه.
(٦) «كل عُتُلّ جوَّاظ» أي كلُّ غليظ القلب، مختالٍ في مشيته متكبّر.

«العُتُلُّ»: الغَلِيظُ الجَافِي. «وَالجَوَّاظُ» الجَمُوعُ المَنُوعُ، وَقيلَ: الضَّخْمُ المُخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ.

٢٥٤ ـ وعن أبي العباس «سهل بن سعدٍ الساعِدِيِّ» رضي اللَّه عنه قال: «مَرَّ رَجُلٌ على النبيِّ ﷺ، فقال لرَجُلٍ[١] عِنْدَهُ جَالِسٍ: مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟ فقال: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ[٢] إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ. فَسَكَتَ رسولُ اللَّه ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟ فقال: يا رسول اللَّه هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أن لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ. فقال رسول اللَّه ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٥٥ ـ وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «احْتَجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ[٣]، فَقَالَتِ النَّارُ: فِيَّ الجَبَّارُونَ[٤] وَالمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ[٥]، فَقَضَى اللَّهُ بَيْنَهُمَ: إِنَّكِ الجَنَّةُ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكِلَيْكُما عَلَيَّ مِلْؤُهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٥٦ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ السَّمِينُ العَظِيمُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»[٦] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٥٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ المَسْجِدَ[٧]، أَوْ

---

(١) «فقال لرجل» هو أبو ذر الغفاري.
(٢) «حريٌّ به» أي جديرٌ به وحقيقٌ أن يزوِّجه الناسُ، ويقبلون شفاعته إذا شَفَع لأحد، لشرفه ومكانته، ومراد الحديث أن الناس، ينظرون إلى الظاهر، ولا يعرفون حقائق النفوس، ولهذا قال ﷺ عن الرجل الضعيف: هذا خيرٌ من ملء الأرض من مثل هذا!! لأنَّ اللَّهَ لا ينظر إلى الصور والأجسام، ولكنْ ينظر إلى القلوب والأعمال.
(٣) «احتجَّتْ الجنة والنار» أي تخاصمت وتجادلت، والمقصودُ حكاية ما يقع بينهما من التخاصم، الذي فيه معنى الشكاية حيث يفصل اللَّه بينهما.
(٤) «فيَّ الجبَّارون» أي الظلمة المتكبرون أصحاب الفخامة والعظمة.
(٥) «فيَّ ضعفاءُ الناس» أي الفقراء الضعفاء الذين لا يُؤبه لهم، وفي هذا الحديث إشارة إلى أن أكثرَ أهلِ الجنة: الفقراءُ الضعفاء، وأكثر أهل النار: الأغنياءُ المترفون المتكبرون.
(٦) «لا يزنُ عند اللَّه جَنَاحَ بعوضة» أي حقير لا قدر له عند اللَّه، وفي بعض روايات الحديث قال ﷺ واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً﴾.
(٧) «تقمُّ المسجدَ» أي تكنسه وتنظِّفه، والقُمامةُ: الكُناسة.

شَابًّا، فَفَقَدَهَا أَوْ فَقَدَهُ رسول اللَّه ﷺ «فَسَأَلَ عَنْهَا أَوْ عَنْهُ، فقالوا: مَاتَ. قال: أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي[1] به؟ فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا، أَوْ أَمْرَهُ، فقال: دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ، فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قال: إِنَّ هَذِهِ القُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٥٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ[3] أَغْبَرَ مَدْفُوعٍ بالأَبْوَابِ[4] لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ»[5] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٥٩ ـ وعن أُسَامَةَ رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا عَامَّةُ[6] مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ[7]، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٦٠ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَمْ يَتَكَلَّمْ في المَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: «عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ»، وَ«صَاحِبُ جُرَيْجٍ»، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِداً، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فقال: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي[8]!! فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ فَانْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فقال: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي!! فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فقال: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي!! فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لا تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ الَى وُجُوهِ المُومِسَاتِ[9]! . فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيجاً وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ

---

(١) «أفلا كنتم آذنتموني»؟ أي أعلمتموني بموتها.
(٢) «بصلاتي عليهم» أي بدعائي لهم ينوِّر اللَّه قبورهم.
(٣) «ربَّ أشعث» أي مليَّد الشعر، غير مدهون ولا مُرَجَّل.
(٤) «مدفوع بالأبواب» أي يدفعه الناس عن أبوابهم، احتقاراً له.
(٥) «لو أقسم على اللَّه لأبرَّه» أي لو حلف على وقوع شيء، أوقعه اللَّه إكراماً له، لعظم منزلته عند اللَّه، وإن كان حقيراً عند الناس.
(٦) «عامَّةُ من دخلها» أي معظم من دخلها المساكين والفقراء.
(٧) «وأصحاب الجَدِّ» أي الحظُ والغنى (محبوسون) للحساب لم يُؤذن لهم بعدُ في الدخول.
(٨) «أمِّي وصلاتي» أي اجتمع عليَّ إجابةَ أمي، وإتمامُ صلاتي، فآثر البقاء في الصلاة.
(٩) «المومسات» أي الزواني من النساء.

بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لأَفْتِنَنَّهُ، فَتعرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِياً كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِنْ «جُرَيْج»، فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ، وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فقال: مَا شَأْنُكُمْ؟ قالوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ البَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ!؟ قال: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاؤُوا بِهِ فقال: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ: يَا غُلامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلانٌ الرَّاعِي[١]، فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قال: لا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا. وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَارِهَةٍ[٢]، وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فقالت أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ، وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فقال: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ (فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رسول الله ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتَضَاعَهُ بِأُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فِيهِ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا)، قال: وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ. فقالت أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا فقال: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا! فَهُنَالِكَ تَرَاجَعَا الحَدِيثَ، فقالت: مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا؟! قال: إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّاراً فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَنَيْتِ، وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ، وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

---

(١) «فلان الراعي» أي تكلّم الطفل وأخبر أن أباه الراعي، وهذا هو الثاني، من الذين تكلموا في المهد، وهو صاحب جريج.

(٢) «دابة فارهة» أي حسنة جميلة، وصاحبها له هيئةٌ وجمال، وهذا الصبي هو الثالث الذي تكلم في المهد. . وفي هذا الحديث بيانُ عظم حق الوالدين، وإجابة دعائهما حتى ولو كان الإنسان في الصلاة.

بابٌ في مُلاطفة اليتيم والبنات، وسائر الضَّعَفَة والمساكين والمنكسرين والإحسان إليهم والشفقة عليهم، والتواضع معهم وخفض الجناح لهم

قال اللّه تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]

وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾[الضحى: ٩ ـ ١٠].

وقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [الماعون: ١ ـ ٣].

٢٦١ ـ وعن سعد بن أبي وَقَّاص رضي اللّه عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فقال المُشْرِكُونَ للنَّبيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ[١] عَلَيْنَا، وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ، وَبِلَالٌ، وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا!! فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رسول اللّه ﷺ مَا شَاءَ اللّه أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ[٢]، فَأَنْزَلَ اللّهُ تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٦٢ ـ وعن أبي هُبَيْرَةَ «عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو المُزَنِيِّ» وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ رضي اللّه عنه «أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلالٍ فِي نَفَرٍ فَقالوا: مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللّهِ مِنْ عَدُوِّ اللّهِ مَأْخَذَهَا[٣]، فقال أَبُو بَكْرٍ رضي اللّه عنه: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فقال: يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ

---

(١) «لا يجترئون علينا» أي لئلا يتجرؤوا على مخالطتنا وهم دوننا في الشرف!.

(٢) «فحدَّث نفسه» أي حدَّث ﷺ نفسه أن يبعدهم عنه، لما يعلم من كمال يقين أصحابه، ومخالطة الإيمان قلوبهم، طمعاً في إسلام رؤساء قريش، فنزلت الآية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم...﴾ الآية.

(٣) «ما أخذت السيوف مأخذها» أي لم تستوف حقَّها من عدوِّ اللّه (أبي سفيان) حين كان مشركاً!!

أَغْضَبْتَهُمْ؟ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ، فَأَتَاهُمْ فَقال: يَا إِخْوَتَاهُ آغْضَبْتُكُمْ؟ قالوا: لا، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أُخَيَّ»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٦٣ ـ وعن سهل بن سعدٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ[٢] فِي الجَنَّةِ هَكَذَا ـ وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى ـ وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٢٦٤ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «كَافِلُ اليَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ» وَأَشَارَ الرَّاوِي وَهُوَ مَالِكُ بْن أَنَسٍ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وقوله ﷺ: «اليَتِيمُ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ» مَعْنَاهُ: قَرِيبُهُ، أَوِ الأَجْنَبِيُّ مِنْهُ، فَالقَرِيبُ مِثْلُ أَنْ تَكْفُلَهُ أُمُّهُ، أَوْ جَدُّهُ أَوْ أَخُوهُ، أَوْ غَيْرُهُمْ مِنْ قَرَابَتِهِ، وَاللَّه أَعْلَمُ.

٢٦٥ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا المِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ»[٣] مُتَّفق عليه.

وفي رواية في الصحيحين: «لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ المِسْكِينَ الَّذِي لا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ».

٢٦٦ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ـ وَأَحْسَبُهُ قال: ـ وَكَالقَائِمِ الَّذِي لا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ الَّذِي لَا يُفْطِرُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٦٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَة، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «يا أخي» أي يا أخانا في اللَّه ورُوي (ياأُخَيَّ) بضم الهمزة تصغير أخي.. وفي الحديث دلالة على مكانة هؤلاء الفقراء الضعفاء عند اللَّه، إذ حذَّر الرسول ﷺ من إغضابهم.

(٢) «كافل اليتيم» الذي يقوم بشؤون تربيته، وتفقُّد أحواله.

(٣) «المسكين الذي يتعفف» أي يترك سؤال الناس مع فقره وحاجته.

وفي رواية في «الصحيحين» عن أبي هريرة من قوله: «بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهَا الأَغْنِيَاءُ، وَيُتْرَكُ الفُقَرَاءُ».

٢٦٨ ـ وعن أنس رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ[١] حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ، وَضَمَّ أَصَابِعَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٦٩ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ[٢]، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئاً غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فقال: مَنِ ابْتُلِيَ[٣] مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٧٠ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «جَاءتني مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لها، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لرسول اللَّه ﷺ فقال: إِنَّ اللَّه قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٧١ ـ وعن أبي شُرَيْح «خُوَيْلِدِ بْن عَمْرٍو الخُزَاعِيّ» رضي اللَّه عنه قال: قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضعيفَيْنِ: اليَتِيمِ، وَالمَرْأَةِ»[٥] حديث حسن رَوَاهُ النسائي بإسنادٍ جيدٍ.

ومعنى: «أُحَرِّجُ»: أي أُلحِقُ الحَرَجَ، وَهُو الإِثْمُ، بِمَنْ ضَيَّعَ حَقَّهُمَا، وَأُحَذِّرُ منْ ذَلِكَ تَحْذِيراً بَلِيغاً، وَأَزْجُرُ عَنْهُ زَجْراً أَكِيداً.

---

(١) «من عال جاريتين» أي بنتين فقام عليهما بالتربية والنفقة.

(٢) «ومعها ابنتان تسأل» أي تسأل العون والإحسان.

(٣) «من ابْتُلِي من هذه البنات» أي امتحن واختُبر بالبنات، ورُزق بهنّ.

(٤) «سِتْراً من النار» أي حجاباً من نار جهنم.

(٥) هذه هي عناية الإسلام بالنساء والأيتام، ووصيته بهم، فقد جعل الإثم والعقاب على من أساء إلى امرأةٍ أو يتيم، لأن المرأة ضعيفة، واليتيم يحتاج إلى من يواسيه ويحميه، فما أحسن إليهن إلا كريم، ولا أساء معاملتهن إلا لئيم.

٢٧٢ ـ وعن مُصْعَبِ بْنِ سعد بن أبي وقَّاص رضي اللَّه عنهما قال: «رَأَى سَعْدٌ أَنَّ لَهُ فَضْلاً[(١)] عَلَى مَنْ دُونَهُ، فقال النبيُّ ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ هَكَذَا مُرسلاً، فَإِنَّ مُصْعَبَ بن سعدٍ تَابِعِيٌّ، ورَوَاهُ الحافِظُ «أبو بكر البَرْقَانِي» في صحيحِه مُتَّصِلاً عن مُصْعَب عن أبيه رضي اللَّه عنه.

٢٧٣ ـ وعن أبي الدَّرْدَاءِ عُوَيْمِرٍ رضي اللَّه عنه قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «ابْغُونِي[(٢)] الضُّعَفَاءَ، فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ، وَتُرْزَقُونَ بِضعَفَائِكُمْ» رَوَاهُ أبو داود بإسناد جيد.

❁ ❁ ❁

بابٌ في الوصيّة بالنساء

قال اللَّه تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[(٣)] [النساء: ١٢٩].

٢٧٤ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ[(٤)] خَيْراً، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ مَا في

---

(١) «رأى أن له فضلاً» أي ظَنَّ أنَّ له فَضلاً على غيره، لقوته وشجاعته، فنبهه ﷺ على أن اللَّه ينصر الأمة بالضعفاء بدعائهم وصلاحهم.

(٢) «أبغوني» أي اطلبوا لي، وقرِّبوا مني الضعفاء، فإنَّما يُنصر المؤمنون ويُرزقون بالضعفاء والفقراء والمساكين، وفي هذا الحديث بيان لفضل ضعفاء المسلمين، لأنهم أشدُّ إخلاصاً في الدعاء، وأكثر خشوعاً في العبادة، لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخارف الدنيا؟!

(٣) هذه الآية نزلت كما قال ابن عباس، في ميل القلب والحبِّ والاستمتاع، ومعناها: لن تستطيعوا تحقيق العدل التام الكامل بين النساء، وتسوُّوا بينهن في المحبة والأنس، والاستمتاع، ولو بذلتم أقصى وُسْعكم، لأن المحبة، وميل القلب، ليس بمقدور الإنسان، فلا تميلوا ميلاً كاملاً عن إحدى الزوجات، فتجعلوها كالمعلَّقة التي ليست بذات زوج ولا مطلَّقة، تشبيهاً لها بالمعلَّق بين السماء والأرض، وهذا من أبدع التمثيل والتشبيه، ولقد كان ﷺ يعدل بين نسائه في القسمة ويقول: «اللهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» رواه الترمذي.

(٤) «استوصوا بالنساء» السينُ والتاء للطلب، أي أطلب منكم أن تستوصوا خيراً بالنساء، فإنهن =

الضِّلَعِ أَعْلاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ، لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية في الصحيحين: «الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ إنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا، اسْتَمْتَعْتَ وَفِيهَا عَوَجٌ».

وفي رواية لمسلم: «إنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا، وَفِيهَا عَوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسْرُهَا طَلاقُهَا». قولُهُ: «عَوَجٌ» هو بفتحِ العينِ والواوِ.

٢٧٥ ـ وعن عبد اللّهِ بن زَمْعَةَ رضي اللّه عنه «أنه سَمِعَ النبيَّ ﷺ يَخْطُبُ ـ وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَهَا ـ فقال رسول اللّه ﷺ: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ، عَارِمٌ[1] منيع في رَهْطِهِ[2] ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ، فَوَعَظَ فِيهِنَّ، فَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا[3] مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ» ثُمَّ وَعَظَهُمْ في ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ وقال: لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟» متَّفقٌ عليه. «وَالْعَارِمُ» الشِّرِّيرُ الْمُفْسِد، وقولُهُ: «انْبَعَثَ»، أَيْ: قَامَ بِسُرْعَةٍ.

٢٧٦ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إنْ كَرِهَ مِنها خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»[4] أَوْ قَالَ: غَيْرَهُ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وقولُهُ: «يَفْرَكْ» معناه: يُبْغِضُ، يقالُ: فَرِكَتِ المَرْأَةُ زَوْجَهَا، وَفَرِكَهَا زَوْجُهَا، بكسر الراءِ يَفْرَكُهَا بفتحِهَا: أَيْ: أَبْغَضَهَا، واللّه أعلم.

٢٧٧ ـ وعن عَمْرِو بن الأَحْوَصِ الجُشَمِيِّ رضي اللّه عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ

= ضعيفات عاجزات عن الانتصار لأنفسهن، وقد شبههن ﷺ بالضلع المنحني إذا أراد أحد تسويته انكسر، ويدل على أن الحديث على التشبيه الرواية الأخرى «المرأة كالضلع . . .» الحديث.

(١) «عزيز عارم» أي رجل قوي، شرِّير مفسد، أشقى القوم، الذي عقرَ الناقةَ.

(٢) «منيعٌ في رهطه» أي ذو قوةٍ ومَنَعَة في عشيرته وقومه.

(٣) «لعله يضاجعها» أي يجلدها في النهار، ثم يجامعها في الليل؟ كيف يليق به أن يصنع ذلك!؟ وفيه تقبيح وزجر للرجل الذي يضرب زوجته، ثم ينام معها في فراش واحد يستمتع بها في الليل.

(٤) معنى الحديث: لا يبغضْ المؤمن زوجته المؤمنة، فإن كان فيها خُلُقٌ سيئٌ، ففيها أخلاق أخرى حسنة، والحسنةُ تستر وتمحو السيئة.

في حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَقُولُ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّه تعالى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَّرَ وَوَعَظَ، ثُمَّ قال: « أَلا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً فَإِنَّما هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ[١]، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ[٢] مُبَيِّنَةٍ، فإِن فَعَلْن فَاهْجُرُوهُنَّ في الْمَضَاجِعِ، وَاضرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ[٣]، فإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سبيلاً[٤]، ألا إن لكم عَلَى نِسائِكُمْ حقاً، ولِنِسَائِكُم عليكم حقاً، فحقكم عليهن أَنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلا يَأْذَنَّ في بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٢٧٨ ــ وعن مُعَاوِيَةَ بن حَيْدَةَ رضي اللَّه عنه قال: « قلت يا رسولَ اللَّه ما حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنا عَلَيْهِ؟ قال: أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إِلَّا في الْبَيْتِ» حديثٌ حسنٌ رَوَاهُ أبو داود، وقال: معنى « لا تُقَبِّحْ» أي: لا تَقُلْ قَبَّحَكِ اللَّهِ.

٢٧٩ ــ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٢٨٠ ــ وعن إياس بن عبد اللَّه بن أبي ذُبابٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ[٥] فَجَاءَ عُمَرُ رضي اللَّه عنه إلى رسول اللَّه ﷺ، فَقَالَ: ذَئِرْنَ النِّسَاءُ[٦] عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَرَخَّصَ في ضَرْبِهِنَّ[٧]،

---

(١) « عوانٍ عندكم» شبَّههنَّ ﷺ بالأسيرات، لدخولهن تحت حكم الأزواج، والأسير ينبغي الإحسان إليه، والعطف عليه.

(٢) « بفاحشة مبينة» أي ذنب كبير كالنشوز والعصيان، وسوء العشرة.

(٣) « ضرباً غير مبرِّح» أي غير شديد ولا شاق، بسواكٍ ونحوه، لإخراج الشيطان من رأسها، لا لكسرها وتحطيمها.

(٤) « عليهن سبيلاً» أي لا تطلبوا طريقاً تحتجُّون به على إيذائهن وضربهن، فاللَّه أكبر منكم وأقدر.

(٥) « لا تضربوا إماء اللَّه» المراد بالإماء: النساءُ.

(٦) « ذئرن النساءُ» أي تطاولن واجترأن على أزواجهن.

(٧) « فرخَّص في ضربهن» هذا الترخيص علاج في بعض الحالات، التي يستعصي فيها على الرجل إصلاح المرأة، بالنصح والإرشاد، ثم بالهجر في المضاجع، وضربُها أهون من =

فَأَطَافَ[١] بِآلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، فقال رسول اللَّه ﷺ: لَقَدْ أَطَافَ بِآلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِير، يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ، لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيح.

قوله: «ذَئِرنَ» أَيْ: اجْتَرَأْنَ، قوله: «أَطَافَ» أَيْ: أَحَاطَ.

٢٨١ ـ وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما، أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا المَرْأَة الصَّالِحَةُ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في حقّ الزوج على المرأة

قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ﴾[٣] [النساء: ٣٤].

وأَمَّا الأَحَادِيثُ فَمِنْهَا حَدِيثُ عَمْرو بن الأَحْوَصِ السَّابق في الْبَاب قَبْلَهُ.

٢٨٢ ـ وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ[٤]، فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا[٥]، لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية لهما «إذا بَاتَتِ المَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ».

وفي رواية قال رسول اللَّه ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى

= إيقاع الطلاق عليها، إذا ما تمردت وعصت، وجعلت الحياة الزوجية، جحيماً لا يطاق، وكما قيل: (عند ذكر العمى يُستحسن العَوَرُ)!!

(١) «فأطاف» أي أحاط ببيوت أزواج النبي نساء كثيرات.

(٢) «الدنيا متاع» أي منفعة وشهوة يتسلّى بها الإنسان، وخير تسليةٍ ومنفعة في هذه الدنيا: المرأة الفاضلة الصالحة، التي تعرف حق اللّه وحقّ زوجها فتسعِدُه وتسعد معه.

(٣) ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ الآية أي يقومون عليهن قيام الوُلاة على الرعية، بالتربية والتعهد والإنفاق، وقد فضّل اللّه الرجال على النساء بالعقل الكامل، وحسن التدبير، ومزيد القوة للقيام بشؤون الحياة، وليست القوامة قوامة استعباد، إنما هي قوامة مسؤولية وإرشاد.

(٤) «دعاها إلى فراشه» كناية لطيفة عن الجماع، أي دعاها للمعاشرة الزوجية.

(٥) «فبات غضبان عليها» أي بات ساخطاً عليها.

فِرَاشِهِ فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلَّا كانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ[١] سَاخِطاً عَلَيْهَا، حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا».

٢٨٣ ـ وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه أيضاً، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ أَنْ تَصُومَ[٢] وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بإذنِهِ» مُتَّفَقٌ عليه. وهذَا لفظ البخاري.

٢٨٤ ـ وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ[٣]، ومَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ ومسؤولٌ عن رعَيَّتِه، وَالرَّجُلُ رَاعٍ في أَهْلِهِ وهو مسؤول عَنْ رعِيَّتِه، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رعِيَّتِها، وَالخَادِمُ راعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ ومَسْؤُولٌ عَنْ رعيَّتِه، فكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٨٥ ـ وعن أَبِي عَلي طلق بن علي رضي اللَّه عنه، أَن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ[٤] لحاجته فَلْتَأْتِهِ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُور» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ والنسائي وقال الترمِذِي: حديث حسن صحيح.

٢٨٦ ـ وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَوْ كُنْتُ آمِراً أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ، لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٢٨٧ ـ وعن أُمِّ سَلَمَة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ، وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الجَنَّة» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال حديث حسن.

٢٨٨ ـ وعن معاذ بن جبلٍ رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ

---

(١) «كان الذي في السماء ساخطاً عليها» أي كان اللَّه تعالى ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها، لأنها أساءت عِشرة الزوج، وهو طريقٌ إلى حصول العداوة والبغضاء بينها وبينه، وربما كان سبباً لدمارِ الأسرة، بالطلاق والفراق.

(٢) «أن تصوم» أي تطوعاً ونفلاً إلا بإذن زوجها، لأنه قد يتشوّق إلى مضاجعتها، وأما الفرض فلا يحتاج إلى إذن.

(٣) «كلكم راع» الراعي: هو الحافظ المؤتمن، المكلّف بإصلاح ما هو قائم عليه، من الحفظ والرعاية لشؤون الغير، وفي الحديث دلالة على أن كل إنسان من الحاكم إلى الخادم، مطالبٌ بالعدل، والقيام بمصالح الغير، في دينه، ودنياه، وكل أحواله.

(٤) «إذا دعا الرجل زوجته» أي إذا دعاها إلى الفراش فلتأته، ولو كانت تخبز الخبز في التنور، لقضاء حاجته، فقد تكون شهوتُه الجنسية، قد غلبت عليه برؤية امرأة، وخاف على نفسه.

زَوْجَهَا في الدُّنْيَا، إلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ العِينِ لا تُؤْذِيهِ[١]، قَاتَلَكِ اللَّه! فَإنَّما هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إلَيْنَا» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال حديث حسن.

٢٨٩ ـ وعن أسامَة بن زيد رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً[٢]، هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁ ❁ ❁

بابٌ في النّفقة على العِيَال

قال اللَّه تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩].

٢٩٠ ـ وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ[٣]، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ[٤]، أَعْظَمُهَا أَجراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٩١ ـ وعن أَبي عبد اللَّه ـ وَيُقَالُ له: أبو عبدِ الرَّحمنِ «ثَوْبَانُ بْنُ بُجْدَدَ» مَوْلَى رسول اللَّه ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى دَابَّتِهِ[٥] في سَبيلِ اللَّه، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابه في سَبِيلِ اللَّهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «لا تؤذيه قاتلك اللَّه» أي لا تؤذي زوجك فلنا به حقٌّ، وإنما هو ضيف ونزيل عندك، وعمَّا قريب يفارقك إلينا.

(٢) «ما تركت فتنة» أي ليس هناك محنة وبلاء، على الرجال، أعظم من فتنة النساء، وهذا تحذير للرجال من الوقوع في شباك النساء، فالفتنة بهن أعظم الفتن، ولهذا بدأ اللَّه بهن في قوله ﴿زُيِّنَ للنَّاس حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّسَاءِ...﴾ الآية.

(٣) «في رقبة» أي دينار أنفقته لعتق رقبة لتخليصه من الرِّق.

(٤) «على أهلك» المراد من يجب عليه نفقته كالزوجة والأولاد، قال أبو قلابة: وأيُّ رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيال صغار يعفُّهم؟

(٥) «على دابته» أي التي أعدّها للجهاد في سبيل اللَّه.

٢٩٢ ـ وعن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالَتْ: «قلتُ يا رسولَ الله، هَلْ لي أَجْرٌ في بَني أبي سَلَمَةَ، أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْهِمْ؟ وَلَسْتُ بِتَارِكَتِهِمْ هكَذَا وَهَكَذَا[١]، إِنَّمَا هُمْ بَنِيَّ؟ فقال: نَعَمْ لَكِ أَجْرُ ما أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٩٣ ـ وعن سعدِ بن أبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه في حديثِهِ الطَّوِيلِ، الذي قَدَّمْنَاهُ في أَوَّلِ الْكِتَابِ، في بَابِ النِّيَّةِ أَنَّ رسول الله ﷺ قال له: «وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً، تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ في فِيِّ امْرَأَتِكَ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٩٤ ـ وعن أبي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا[٣]، فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

٢٩٥ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»[٤] حديثٌ صحيحٌ رَوَاهُ أبو داود وغيره.

ورَوَاهُ مُسْلِمٌ في صحيحه بِمَعْنَاهُ قال: «كَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أن يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ».

٢٩٦ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً[٥]، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»[٦] مُتَّفَقٌ عليه.

٢٩٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «الْيَدُ الْعُلْيَا[٧] خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى[٨]، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ، يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ، يُغْنِهِ اللَّهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «بتاركهم هكذا وهكذا» أي يتفرقون في طلب القوت يميناً وشمالاً.
(٢) «في في امرأتك» أي اللقمة تضعها في فمها.
(٣) «يحتسبها» أي يقصد بها وجه الله تعالى وثوابه.
(٤) «من يقوت» أي من يجب أن يطعمه وينفق عليه.
(٥) «منفقاً خَلَفاً» أي اخلف على من أنفق، وهذا في الطاعات والقربات، وعلى العيال والضيوف.
(٦) «ممسكاً تَلَفاً» أي أتلِفْ مال البخيل الذي لا ينفق ولا يتصدّق!!
(٧) «اليد العليا»: هي المعطية، والسُّفلى: هي السائلة.
(٨) «عن ظهر غنى» أي أفضل الصدقة أن يخرج من ماله ويبقي له ما يكفيه.

بابٌ في الإنفاق مما يحبّ ومن الجيد

قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟[1] ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٢٩٨ ـ عن أنسٍ رضي اللَّه عنه قال: «كَانَ أَبُو طَلْحَة رضي اللَّه عنه أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَاء، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رسول اللَّه ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ[2] قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قامَ أَبُو طَلْحَة إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه إنَّ اللَّه تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ مَالي إِلَيَّ بَيْرَحَاءُ، وَإِنَّها صَدَقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّه تعالى، فَضَعْها يا رسول اللَّه حَيْثُ أَرَاكَ اللَّه، فقال رسول اللَّه ﷺ: بخ[3]! ذلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأقرَبِينَ!! فقال أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يا رسول اللَّه، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَة في أَقَارِبِهِ، وَبَني عَمِّهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

قولُهُ ﷺ: «مَالٌ رَابحٌ» رُوِيَ في الصحيحينِ «رَابحٌ» و «رَايحٌ» بالباءِ الموحدةِ وبالياءِ المثناةِ، أَيْ: رَايحٌ عَلَيْكَ نَفعُهُ، و «بَيْرَحَاءُ» حَدِيقَةُ نَخْلٍ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في وجُوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة اللّه تعالى ونهيهم عن المخالفة، وتأديبهم، ومنعهم من ارتكاب مَنْهِيٍّ عنه

قال اللَّه تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

---

(١) ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ﴾ أي لا تقصدوا الرديء تنفقون منه.

(٢) «من ماء طيب» أي عذب حلو.

(٣) «بَخٍ» كلمةٌ لتفخيم الأمر والإعجاب به، أي ما أحسنَ هذا؟

٢٩٩ ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: «أخذ الحسن بن علي رضي اللَّه عنهُمَا، تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا في فِيهِ فقال رسولُ اللَّه ﷺ: كُخْ كُخْ[١]! ارْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ!؟» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ «أَنَّا لا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ».

٣٠٠ ـ وعن أبي حَفْصٍ «عُمَرَ بن أبي سَلَمَةَ» رَبيبِ رسولِ اللَّه ﷺ قال: «كُنْتُ غُلاماً في حِجْرِ[٢] رسول اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ[٣]، فقال لي رسول اللَّه ﷺ: يَا غُلامُ سَمِّ اللَّه تعالى، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ!! فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي[٤] بَعْدُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٠١ ـ وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإمامُ رَاعٍ، وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أَهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ في بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٠٢ ـ وعن عمرو بن شُعَيْب، عن أبيه، عن جَدِّهِ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلاةِ، وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في المَضَاجِعِ»[٥] حديثٌ حسنٌ، رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ حسنٍ.

٣٠٣ ـ وعن أبي ثُرَيَّةَ «سَبْرَةَ بن مَعْبَدٍ الجُهَنِيِّ» رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلاةَ لِسَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ» حديث حسنٌ رَوَاهُ أبو داود، والترمذِي وقال: حديث حسن، وَلَفْظُ أبي دَاوُدَ: «مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ».

---

(١) «كُخ، كُخ» كلمةُ زجرٍ لترك المستقذرات، وكان الحسن صغيراً.
(٢) «في حجر» أي في حمايته وكَنَفه، وأصلُ الحجر: الحِضْنُ.
(٣) «تَطيشُ» أي تدور في جوانب القصعة أي الإناء.
(٤) «طِعْمَتي» أي صفةُ أكلي، وفي الحديث تعليمُ الصبيان آداب الأكل.
(٥) «فرّقوا بينهم في المضاجع» أي لا تتركوا الذكور ينامون بجانب الإناث، إذا بلغوا سنَّ العاشرة «بداية المراهقة».

باب في حَقّ الجار والوصيّة به

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ[١] وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء: ٣٦].

٣٠٤ ـ وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسولُ الله ﷺ: « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ »[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

٣٠٥ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « يَا أبَا ذرٍّ إذا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي رواية له عن أبي ذرٍّ قال: « إن خليلي ﷺ أَوْصَانِي: إذا طَبَخْتَ مَرَقاً فَأَكْثِرْ مَاءَهُ، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ ».

٣٠٦ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: « والله لا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ! وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ!! قِيلَ: مَنْ يا رسول الله؟ قال: الَّذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ! »[٣] مُتَّفَق عليه.

وفي رواية لمسلم: « لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوائِقَهُ ».

٣٠٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « يَا نِسَاءَ المُسْلِماتِ، لا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِها، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ »[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

٣٠٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: « لا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغرِزَ خَشَبَةً في جِدَارِهِ، ثُمَّ يَقُولُ أبو هريرة: مَالي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ[٥]! واللَّهِ لأَرْمِيَنَّ بِها بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ »[٦] مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) ﴿ وَالجَارِ ذِي القُرْبَى﴾ أي الذي بينك وبينه قرابة ﴿ والجَارِ الجُنُبِ﴾ أي البعيد ﴿ والصَّاحِبِ بِالجَنْبِ﴾ الرفيق في السفر أو طلب العلم ونحوه.

(٢) « سيورِّثه » أي حتى قلتُ: سيرثُ الجارُ جارَه، من كثرة ما أوصاني به جبريل عليه السلام.

(٣) « من لا يأمن جارُه بوائقه » البوائقُ: الشرورُ والغوائل، أي لا يؤمن من لا يخلص جارُه من شروره ومكايده.

(٤) « فِرْسِنَ شَاة » أي ولو قَدَمَ شاة، ومعنى الحديث: لا تمتنع جارةٌ من الصَّدَقَة والهدية، ولو كان شيئاً قليلاً كقدم الشاة.

(٥) « مالي أراكم معرضين »؟ يعني عن هذه السُّنَّة النبوية!!

(٦) « بين أكتافكم » أي سأصرِّح بها بينكم، وأوجعكم بالتقريع بها.

٣٠٩ ـ وعنه رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أن رسول اللّه ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللّهِ والْيَوْم الآخِرِ، فلا يُؤذ جاره، وَمَن كَانَ يُؤمِنُ باللّهِ وَالْيَوْم الآخِرِ، فَلْيُكرِمُ ضَيْفَهُ، وَمَن كَانَ يُؤمِنُ بِاللّهِ وَالْيومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أوْ لِيَسْكُتْ»[١] مُتّفق عليه.

٣١٠ ـ وعن أَبي شُرَيْح الخُزاعِيِّ رضي اللّه عنه، أنّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللّهِ والْيَومِ الآخِرِ، فَلْيُحْسِنْ إلى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللّهِ والْيَوْم الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللّهِ والْيومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرَاً أَوْ لِيَسْكُتْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ بهذا اللفظ، وروى البخاري بعضه.

٣١١ ـ وعن عائشة رضي اللّه عنها قالت: «قلت: يا رسول اللّه: إنَّ لي جَارَيْنِ، فَإلى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قال: إلى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَاباً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٣١٢ ـ وعن عبدِ اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: «خَيْرُ الأصْحَابِ[٢] عِنْدَ اللّه تعالى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللّه تعالى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ» رَوَاهُ التّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

❁ ❁ ❁

بابٌ في برّ الوالدين وَصلة الأرحام

قال اللّه تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[٣] [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾[٤] الآية [الرعد: ٢١].

---

(١) «خيراً أو ليسكت» قال الشافعي رحمه اللّه: ينبغي أن يتفكّر فيما يقول، فإذا ظهر له أنه خير، وليس فيه مفسدة، أتى به، وإلّا سكت.

(٢) «خير الأصحاب» أي الأصدقاء.

(٣) ﴿تَساءَلونَ بِهِ والأرْحَامَ﴾ أي اتقوا ربكم الذي يناشد بعضُكم بعضاً به، فيقول: أسألك باللّه، وأنشدك باللّه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

(٤) ﴿أنْ يُوصَلَ﴾ المراد بها صلةُ الرحم، التي أمر اللّه بوصلها.

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت: ٨].

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ[١] رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ[٢] مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا[٣] عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤].

٣١٣ ـ عن أبي عبد الرحمن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: «سَأَلْتُ النبي ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أحَبُّ إلى اللّهِ تَعَالَى؟ قال: الصَّلاةُ عَلى وَقْتِهَا، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ[٤]، قلتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: الجِهَادُ في سَبِيلِ اللّهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣١٤ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِداً[٥]، إلّا أن يَجِدَهُ مَمْلُوكاً، فَيَشْتَرِيَه، فَيُعْتِقَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣١٥ ـ وعنه رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أيضاً، أن رسولَ اللّه ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللّهِ وَالْيَوم الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللّهِ وَالْيَوْم الآخِرِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوم الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣١٦ ـ وعنه رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إنَّ اللّه تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إذا فَرَغَ مِنْهُمْ، قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هذا

---

(١) ﴿وَقَضَى ربُّكَ﴾ أي أَمَرَ وفَرَض ألا تعبدوا غيره.

(٢) ﴿جَنَاحَ الذُّلّ﴾ استعارة لطيفة بديعة، حيث شبّه الذلّ بطائرٍ، له جناح يكسره ويضمُّه إليه عند الوقوف عن الطيران، ومعنى الآية: ألِنْ جانبك لوالديك، وتواضع لهما بتذلُّل وخضوع، من فرط الرحمة والشفقة، قال سعيد بن جبير: اخضعْ لوالديك كما يخضع العبدُ للسيِّد الفظِّ الغليظ «تفسير الشوكاني».

(٣) ﴿وَهْناً عَلَى وَهْنٍ﴾ أي ضعفاً على ضعف، من حين الحمل إلى حين الولادة ﴿وفِصَالُه﴾ أي فطامه في تمام عامين.

(٤) «بِرُّ الوالدين» أي الإحسانُ إلى الوالدين بجميع وجوه الإحسان، قَدَّم برَّ الوالدين على الجهاد في سبيل اللّه، لعظيم حقِّهما، بعد حقِّ اللّه عزَّ وجل في الصلاة.

(٥) «لا يجزي ولدٌ والداً» أي لا يقوم ولد بأداء حقِّ والده عليه، ولا يكافئه بإحسانه، إلا أن يصادفه مملوكاً فيشتريه فيعتقه.

مُقَامُ الْعَائِذِ[١] بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ!! قال: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ[٢]، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قالت: بَلَى، قال: فَذَلِكَ لَكِ، ثم قال رسول اللَّه ﷺ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ[٣] إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣]. مُتَّفَقٌ عليه».

وفي رواية للبخاري: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ وَصَلَكِ، وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ، قَطَعْتُهُ».

٣١٧ ـ وعنه رضي اللَّه عنه قال: «جَاءَ رَجُلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: يا رسول اللَّه مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال: أُمُّكَ، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أُمُّكَ قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أُمُّكَ، قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أَبُوكَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية: «يا رسول اللَّه مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قال: أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ».

٣١٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَاهِمَا، فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣١٩ ـ وعنه رضي اللَّه عنه، أن رجلاً قال: «يا رسول اللَّه إنّ لي قَرابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ!! فقال: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

و«تُسِفُّهُمْ» بضم التاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء. و«الْمَلُّ» بفتح الميم، وتشديد اللام، وهو: الرَّمَادُ الحارُّ، أي: كأنما تُطْعِمُهُمْ الرّمادَ الحارَّ، وهو تشبيهٌ لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الإثم بِمَا يُلْحَقُ آكِلَ الرّمادَ الحَارَّ مِنَ الأَلَمِ، وَلَا شَيْءَ عَلَى هَذَا الْمُحْسِنِ إِلَيهِمْ، لَكِنْ يَنَالُهُمْ إِثْمٌ عَظِيمٌ بِتَقْصِيرِهِمْ فِي حَقِّه وَإِدْخَالِهِمْ الأَذَى عَلَيْهِ، واللَّهُ أَعْلَم.

---

(١) «هذا مقام العائذ» أي مقام الملتجئ إليك يا رب من قطيعة الرحم!

(٢) «أصِلَ من وَصَلَكِ» أي أُكرم وأرحم من وصلك، وأُبعِد وأعذِّب من قطعك!!

(٣) ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ..﴾ الآية والمعنى: لعلكم إن أعرضتم عن الإسلام، أن ترجعوا إلى الإفساد في الأرض بالمعاصي، وقطع الأرحام؟ وهؤلاء هم المطرودون من رحمة اللّه، الذين لا يسمعون ولا يفهمون!! (صفوة التفاسير).

٣٢٠ ـ وعن أَنسٍ رضي اللَّه عنه، أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ[١]، وَيُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ[٢]، فَلْيَصِلْ رحِمَهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٢١ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بالمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وكَانَ أحَبُّ أَمْوَالِهِ إلَيْهِ بَيْرَحَاءَ، وكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وكَانَ رسولُ اللَّه ﷺ يَدْخُلُهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ ماءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قَامَ أبو طَلْحَةَ إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّه إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإنَّ أَحَبَّ مَالي إلَيَّ بَيْرَحَاءُ، وإنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ تعالى، أرْجُو بِرَّها وذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّه تعالى، فَضَعْهَا يا رسول اللَّه حَيْثُ أَرَاكَ اللَّه!! فقال رسول اللَّه ﷺ: بَخٍ! ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ! ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ! وَقَدْ سَمِعْتُ ما قُلْتَ، وَإنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا في الأقْرَبِينَ!! فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يا رسول اللَّه، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ في أَقَارِبِهِ وبَنِي عَمِّهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٢٢ ـ وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما قال: «أَقْبَلَ رَجُلٌ إلى نَبيِّ اللَّه ﷺ، فقال: أُبَايِعُكَ عَلى الهِجْرَةِ وَالجِهَادِ، أَبْتَغِي الأَجْرَ[٣] مِنَ اللَّه تعالى!! قال: فَهَلْ لَكَ مِنْ وَالِدَيْكِ أَحَدٌ حَيٌّ؟ قال: نَعَمْ، بَلْ كِلاَهُمَا، قال: فَتَبْتَغِي الأجْرَ مِنَ اللَّه تعالى؟ قال: نَعَمْ، قال: فَارْجعْ إلى وَالِدَيْكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا» مُتَّفَقٌ عليه. وهذا لَفْظُ مسلِم.

وفي روايةٍ لَهُمَا: «جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَأْذَنَهُ في الجِهَادِ فقال: أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟ قال: نَعَمْ، قال: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»[٤]

٣٢٣ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالمُكافىءِ[٥] وَلكِنَّ الوَاصِلَ الَّذي إذا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَها» رَوَاهُ الْبُخارِيُّ.

---

(١) «يُبسط له في رزقه» أي يُوسّع عليه في الرزق.

(٢) «ويُنسأ له في أثره» أي يؤخّر له في عمره وأجله.

(٣) «أبتغي الأجر» أي اطلب الثواب من اللَّه.

(٤) «ففيهما فجاهدْ» أي جاهد في والديك، بالطاعة لهما، والإحسان إليهما، والتلطف معهما، وفي الحديث دلالة عظيمة واضحة على فضيلة برّ الوالدين، وأنه آكد من الجهاد.

(٥) «ليس الواصل بالمكافىء» أي ليس الواصلُ الذي يعطي مكافأةً لغيره، مقابل ما أعطاه ذلك الغير، ولكنَّ الواصل أن تصل من قَطَعك، والناس ثلاث درجات: واصل، ومكافىء، وقاطع.

٣٢٤ ـ وعن عائشة قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي، وَصَلَهُ اللَّه، وَمَنْ قَطَعَنِي، قَطَعَهُ اللَّه» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٢٥ ـ وعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ «مَيْمُونَةَ بِنْت الحَارِثِ» رضي اللَّه عَنْهَا، أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبيَّ ﷺ، فَلَمَّا كَان يَومُهَا الَّذي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قالت: «أَشَعَرْتَ يا رسولَ اللَّه أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيدَتي[١]؟ قال: أَوَ فَعَلْتِ؟» قالت: نَعَمْ. قال: أما إِنَّكِ لو أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كان أَعْظَمَ لأَجْرِكِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٢٦ ـ وعن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبي بَكْرِ الصِّدِّيقِ رضي اللَّه عنهما قالت: «قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشرِكَةٌ، في عَهْدِ رسول اللَّه ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رسول اللَّه ﷺ قلتُ: قَدمَتْ عَلَيَّ أُمّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ[٢]، أَفَأَصِلُ أُمّي؟ قال: نَعَمْ صِلي أُمَّكِ»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

٣٢٧ ـ وعن زينبَ الثَّقَفِيَّةِ «امْرَأةِ عبدِ اللَّهِ بن مسعودٍ» رضي اللَّه عنه وعنها قالت: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ، قالت: فَرَجَعتُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ فقلتُ له: إنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ اليَدِ[٤] وَإِنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قد أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ فَأْتِهِ، فاسأَلْهُ، فإِن كَانَ ذلِكَ يُجزِىءُ عَنِّي، وَإِلَّا صَرَفتُهَا إلى غَيرِكُمْ!! فقال عبدُ اللَّهِ: بَلِ ائتِيهِ أَنتِ، فانطَلَقْتُ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِبَابِ رسول اللَّه ﷺ حَاجَتي حَاجَتُهَا، وَكَانَ رسولُ اللَّه ﷺ قد أُلقِيَتْ عَلَيْهِ المَهابَةُ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلالٌ، فَقُلْنَا لَهُ: ائتِ رسولَ اللَّه ﷺ، فَأَخْبِرْهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالبَابِ تَسأَلانِكَ: أَتُجزِىءُ الصَّدَقَةُ عَنهُمَا على أَزْوَاجِهِمَا وَعَلى أَيْتَامٍ في حُجُورِهِمَا؟[٥] وَلا تُخْبِرْهُ مَنْ نحنُ، فَدَخَلَ بِلالٌ عَلى رسول اللَّه ﷺ، فَسَأَلَهُ، فقال لهُ رسولُ اللَّه ﷺ «منْ هُمَا؟» قَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «أَيُّ الزَّيَانِبِ هِيَ؟» قال: امْرَأَةُ عبدِ اللَّهِ، فقال رسول اللَّه ﷺ: «لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ القَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «أعتقتُ وليدتي» أي أعتقتُ جاريتي وأَمَتي.

(٢) «وهي راغبة» أي طامعة فيما عندي تسألني العون.

(٣) «صِلِي أمّك» أي أكرميها وصليها بالعطاء، ولو كانت غير مسلمة، فإن واجب الإحسان واجب لكل قريب.

(٤) «خفيفُ اليد» أي قليلُ المال ومحتاج للمساعدة.

(٥) «أيتام في حجورهما» أي في ولايتهما وتربيتهما.

٣٢٨ ـ وعن أبي سُفيَانَ «صَخر بْنِ حَرْبٍ» رضي اللّه عنه في حَدِيثِهِ الطَّويل في قِصَّةِ هِرَقْلَ، أنَّ هِرَقْلَ قال لأبي سُفْيَان: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ؟ يَعْنِي النَّبيَّ ﷺ قال: قلت: يقولُ: «اعْبُدُوا اللَّه وَحْدَهُ، وَلَا تُشرِكُوا بِهِ شَيْئاً، واتْرُكُوا ما يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، ويَأْمُرُنَا بالصَّلاةِ، والصِّدْقِ، والعَفافِ، والصِّلَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٢٩ ـ وعن أبي ذرّ رضي اللّه عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «إنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضاً يُذْكَرُ فِيهَا القِيرَاطُ».

وفي روايةٍ: «سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا القِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرَاً، فَإنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً»[1].

وفي روايةٍ: «فإذا افْتَتَحْتُمُوهَا، فَأَحْسِنُوا إلى أَهْلِهَا، فَإنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً، أَو قال: ذِمَّةً وصِهراً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قال العُلَماءُ: الرَّحِمُ الَّتي لَهُمْ كَوْنُ هَاجَرَ أُمِّ إسْمَاعِيلَ ﷺ مِنهُمْ، «والصِّهْرُ»: كَوْنُ مَارِيَةَ أُمِّ إبْرَاهِيمَ ابنِ رسول اللّه ﷺ مِنهُمْ.

٣٣٠ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: «لَمَا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دَعَا رَسُولُ اللّه ﷺ قُرَيْشاً، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ، وخَصَّ[2]، وقال: يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، يَا بَنِي كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّار، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هاشِم أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإنِي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئاً، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِماً، سَأَبُلُّهَا بِبِلالِهَا»[3] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله ﷺ: «بِبِلالِهَا» «البِلالُ»: المَاءُ، ومعنى الحديث: سَأَصِلُهَا، شَبَّهَ قَطِيعَتَهَا بالحَرَارَةِ تُطْفَأُ بالمَاءِ، وَهذِهِ تُبَرَّدُ بالصِّلَةِ.

---

(١) «ذمة ورحماً» أي لهم حرمةٌ وحقٌ، ولهم رحم لأن السيدة (هاجر) أم إسماعيل من أهل مصر.

(٢) «فعمّ وخصّ» أي عمّم النداء لقريش والقبائل، وخصّ النداء لبني عبد المطلب، وبني هاشم.

(٣) «سأبلُّها ببلالها» أي لكم رحم وقرابة، سأصلها ولا أقطعها، تشبيهاً لها بالحرارة تُطفأ بالماء البارد، وهذا الحديث واضح الدلالة، على أن النسب لا ينفع يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ وأمّا في الدنيا فيحسن الرسول ﷺ إلى أقاربه ويصلهم ببعض وجوه الخير والإحسان.

٣٣١ ـ وعن أبي عبد اللَّه «عمرو بن العاص» رضي اللَّه عنهما قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ جِهَاراً غَيْرَ سِرٍّ يَقولُ: «إنَّ آلَ بَني فُلانٍ، لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي[١]، إنَّما وَلِيِّيَ اللَّهُ وصَالِحُ المُؤمِنِينَ، وَلكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبِلالِهَا» مُتَّفق عليه، واللَّفظُ للبخاري.

٣٣٢ ـ وعن أبي أيُّوبَ «خالدِ بن زيدٍ الأنصاري» رضي اللَّه عنه: «أن رجلاً قال: يا رسولَ اللَّه أَخْبِرني بِعَمَلٍ يُدْخِلُني الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُني مِنَ النَّارِ. فقال النبيُّ ﷺ: تَعبُدُ اللَّه، وَلا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ» مُتَّفقٌ عليه.

٣٣٣ ـ وعن سَلْمَانَ بْنِ عامرٍ رضي اللَّه عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إذا أَفطَرَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُفْطِرْ عَلى تَمْرٍ، فَإنَّهُ بَرَكَةٌ، فَإنْ لَمْ يَجِدْ تَمْراً، فَالمَاءُ، فَإنَّهُ طَهُورٌ، وقال: الصَّدَقَةُ عَلى المِسْكِين صَدَقَةٌ، وَعَلى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ» حديثٌ حسنٌ رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

٣٣٤ ـ وعن ابن عمرَ رضي اللَّه عنهما: «كَانَتْ تَحْتي امْرَأَةٌ، وَكُنْتُ أُحِبُّها، وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُهَا، فقال لي: طَلِّقْهَا، فَأَبَيْتُ، فَأَتى عُمَرُ رضي اللَّه عنه النبيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذلِكَ لَهُ، فقال النبيُّ ﷺ: طَلِّقْهَا»[٢] رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٣٣٥ ـ وعن أبي الدَّرْدَاءِ رضي اللَّه عنه «أن رَجُلاً أَتَاهُ، فقال: إنَّ لي امْرَأَةً، وَإنَّ أُمِّي تَأْمُرُني بِطَلاقِها!؟ فقال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: الْوَالِدُ أَوْسَطُ[٣] أَبْوابِ الجَنَّةِ، فَإنْ شِئْتَ، فَأَضِعْ ذلِكَ الْبَابَ، أَوِ احْفَظْهُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

٣٣٦ ـ وعن البَرَاءِ بن عازِبٍ رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ قال: «الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسن صحيح.

---

(١) «ليسوا بأوليائي» أي ليس بيني وبينهم وِدٌّ ومحبة لعدم إسلامهم.

(٢) «فقال النبي طلّقها» إنما أمره الرسول ﷺ بطلاقها، لأنه يعلم أن عمر لا يكره زوجة ابنه، إلّا لأمر ديني، فهو يريد لولده زوجةً أتقى للّه وأفضل، وقد جعل اللّه الحقَّ على لسان عمر وقلبه، وليس كلُّ أبٍ يأمر ولده بطلاق زوجته تجب طاعته.

(٣) «أوسط أبواب الجنة» هذا على التمثيل أي الوالد أحدُ أبواب الجنة، بل هو أفضل الأبواب، فإمّا أن تدخل بسببه الجنة، أو تحرم منها بسبب العصيان.

وفي البابِ أَحاديث كثِيرة في الصحيح مشهورة، منها حديث أَصحابِ الغارِ، وحديث جُرَيْجٍ وَقَدْ سَبَقا، وأَحاديث مشهورة في الصحيح حَذَفْتُهَا اخْتِصَاراً، وَمِنْ أَهَمِّهَا حديثُ «عَمْرِو بن عَبَسَةَ» رضي اللَّه عنه الطَّوِيلُ المُشْتَمِلُ عَلى جُمَلٍ كثيرة مِنْ قَواعِدِ الإسْلامِ وآدابِهِ، وَسَأَذْكُرُهُ بِتَمَامِهِ إن شاءَ اللَّه تعالى في بابِ الرَّجَاءِ، قال فيه: «دَخَلتُ على النبيِّ ﷺ بِمَكَّة - يَعْنِي في أَوَّلِ النُّبُوَّةِ - فقلتُ له: مَا أَنْتَ؟ قال: «نَبِيٌّ»، فقلتُ: وَمَا نَبيٌّ؟ قال: «أَرْسَلَنِي اللَّهُ تعالى» فقلتُ: بأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قال: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَام، وكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّه لا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ» وَذَكَرَ تَمَامَ الحديث، رواه مسلم. واللَّه أعلمُ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم العقوق وقطيعة الرّحم

قال اللَّه تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

٣٣٧ ـ وعن أَبي بكْرَةَ نُفَيْع بن الحارثِ رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟[1] ـ ثَلاثاً ـ قُلْنَا: بَلَى يا رسول اللَّه!؟ قال: الإشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ، فقال: أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

٣٣٨ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما، عَن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

---

(١) «بأكبر الكبائر» أي ألا أخبركم بأعظم الذنوب الكبيرة عند اللَّه؟ وعدَّ منها عقوق الوالدين، والعقوق المحرَّمُ: كلُّ ما يتأذى به الوالد أو الوالدة من أقوال أو أفعال.

(٢) «ليته سكت» أي شفقةً عليه ﷺ، من كثرة ما ردَّد كلمة «وشهادة الزور، وشهادة الزور».

«اليَمِينُ الغَمُوسُ»[١] الَّتِي يَحْلِفُهَا كَاذِباً عَامِداً، سُمِّيَتْ غَمُوساً، لأَنَّهَا تَغْمِسُ الحَالِفَ فِي الإِثْم.

٣٣٩ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مِنَ الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ! قَالُوا يَا رسول اللَّه: وَهَلْ يَشْتِمِ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قال نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «إِنَّ منْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ[٢]! قِيلَ: يَا رسول اللَّهِ كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَال يَسُبُّ أَبَا الرَجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ».

٣٤٠ ـ وعن أَبي محمد «جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِم»، رضي اللَّه عنه، أَن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ» قال سفيانُ في روايتِهِ يَعْنِي: «قَاطِع رَحِم» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٤١ ـ وعن أَبي عِيسى «المُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ» رضي اللَّه عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهاتِ، وَمَنْعاً وَهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَكَرِهِ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ» مُتَّفَقٌ عليه.

قولُهُ: «مَنْعاً» مَعْنَاهُ: مَنْعُ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ، وَ «هَاتِ»: طَلَبُ مَا لَيْسَ لَهُ. وَ «وَأْدَ البَنَاتِ» مَعْنَاهُ: دَفْنُهُنَّ فِي الحَيَاةِ. وَ «قِيلَ وَقَالَ» مَعْنَاهُ: الحَدِيثُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُهُ، فَيَقُولُ: قِيلَ كَذَا، وَقَالَ فُلانٌ كَذَا مِمَّا لَا يَعْلَمُ صِحَّتَهُ، وَلَا يَظُنُّهَا، وَكَفَى بِالمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ. وَ «إِضَاعَةُ المَالِ»: تَبْذِيرُهُ وَصَرْفُهُ فِي غَيْرِ الوُجُوهِ المَأْذُونِ فِيهَا مِنْ مَقَاصِدِ الآخِرَةِ وَالدُّنْيَا، وَتَرْكُ حِفْظِهِ مَعَ إِمْكَانِ الحِفْظِ. وَ «كَثْرَةُ السُّؤَالِ»: الإِلحَاحُ فِيمَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ.

وفي البابِ أَحَادِيثُ سَبَقَتْ فِي البَابِ قبله كَحَدِيثِ «وَأَقْطَعُ مَنْ قَطَعَكِ» وحديث «مَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّه».

---

(١) «اليمين الغموس» هي الحلف باللّه كاذباً، وهي ذنب عظيم ليس له كفارة، لأن جريمته أعظم من أن تكفرها صدقةٌ، لأنها استهانة بعظمة اللّه وجلاله، ولذلك قُرنت بالشرك، وسميت «غموساً» لأنها تغمس صاحبها في نار جهنم.

(٢) «يلعن والديه» أي يسبِّب لهما اللعنة، حيث يسبُّ الناسَ فيلعنون أباه وأمه، فكأنه لعن أبويه بنفسه.

بابٌ في فضل برّ أصدقاء الأب والأمّ والأقاربِ، والزوجة وسائر من يُنْدَبُ إكرامه

٣٤٢ ـ عن ابنِ عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «إن أَبَرَّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ»(١)

وعن عبدِ الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ «عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ»، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ، قال ابنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّه، إِنَّهُمُ الأَعْرَابُ، وَهُمْ يَرْضَوْنَ بِاليَسِيرِ، فقال عبدُ اللَّهِ بنُ عمر: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدّاً لِعُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه، وإِنِّي سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ».

وفي روايةٍ عن ابن دينارٍ، عن ابن عُمَرَ: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ(٢) إِذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ، وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بها رَأْسَهُ(٣)، فَبَيْنَا هُو يَوْماً عَلَى ذَلِكَ الحِمَارِ إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ، فقال: أَلَسْتَ ابنَ فُلانِ بنِ فُلانٍ؟ قال: بَلَى، فَأَعْطَاهُ الحِمَارَ، فقال: ارْكَبْ هَذَا، وَأَعْطَاهُ العِمَامَةَ، وقال: أُشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ!؟ فقال لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: غَفَرَ اللَّه لَكَ أَعْطَيْتَ هَذَا الأَعْرَابِيَّ حِمَاراً، كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ، وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ!؟ فقال: إِنِّي سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ أَبَرِّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ، بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ(٤) وإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقاً لِعُمَرَ رضي الله عنه» روى هَذِهِ الرِّوَايَاتِ كُلَّهَا مسلم.

٣٤٣ ـ وعن أبي أُسَيْدٍ «مالِك بن رَبِيعَةَ» السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قال:

---

(١) «وُدّ أبيه» أي من يحبُّهم أبوه من الأصدقاء.

(٢) «يتروّح عليه» أي يستريح عليه إذا سئم ركوب البعير أي الجمل.

(٣) «وعمامة يشدُّ بها رأسه» أي عمامة يتعمّم بها فيلفُّها على رأسه، وفي الحديث دليل على أن لبس العمائم من شعائر أهل الإسلام، فهي سنة مؤكدة، فقد كان ﷺ إذا اعتمَّ سدل طرفها بين كتفيه، وكانت عمامته بيضاء، وأحياناً يلبس السوداء في الغزوات والحروب كما في صحيح مسلم «دَخَلَ مَكَّة فَاتِحاً وَعَلَيهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ قَدْ أَرْخَى طَرَفَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ».

(٤) «بعد أن يولي» أي بعد أن يموت.

« بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إذ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ يَا رَسولَ اللَّهِ: هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ[١] شَيْءٌ، أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ فقال: نَعَمْ، الصَّلاةُ عَلَيْهِمَا[٢]، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا[٣] مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لا تُوصَلُ إلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صدِيقهما»[٤] رَوَاهُ أبو داود.

٣٤٤ ـ وعن عائشةَ رضي اللَّه عنها قالت: « مَا غِرْتُ[٥] عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النبي ﷺ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ رضي اللَّه عنها، وَمَا رَأَيْتُهَا قطُّ، وَلَكِنْ كَانَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيا امرأةٌ إلَّا «خَدِيجَةُ»! فَيَقُولُ: إنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ « وإنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاة، فَيُهْدِي فِي خَلَائِلِهَا[٦]، مَا يَسَعُهُنَّ منْها».

وفي روايةٍ: « كَانَ إذَا ذَبَحَ الشَّاةَ يَقُولُ: أَرْسِلُوا بِهَا إلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ».

وفي روايةٍ قالت: « اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ «أُخْتُ خَدِيجَةَ» عَلَى رسول اللَّه ﷺ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ، فَارْتَاحَ لِذَلِكَ[٧] فقالَ: اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ».

قولُها: «فَارْتَاحَ» هو بِالحاءِ، وَفِي الجَمْعِ بين الصحيحين لِلْحُمَيْدِي: «فَارْتَاعَ» بِالعينِ، ومعناه: اهْتَمَّ بِهِ.

٣٤٥ ـ وعن أَنس بن مالكٍ رضي اللَّه عنه قال: « خَرَجْتُ مَعَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه الْبَجَلِيِّ رضي اللَّه عنه فِي سَفَرٍ، فَكَانَ يَخْدُمُنِي[٨] فَقُلْتُ لَهُ: لا تَفْعَلْ،

---

(١) « هل بقي من برّ أبويّ»؟ أي هل هناك خيرٌ أعمله ينفع والديَّ بعد موتهما؟ ويصل إليهما ثوابه؟

(٢) « الصلاة عليهما» أي الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة، كما قال سبحانه: **﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾**.

(٣) « وإنفاذُ عهدهما» أي تنفيذ ما أوصيا به في حياتهما.

(٤) « وإكرام صديقهما» أي إكرام أصدقاء الوالدين بهدية، أو شيء من المعروف والإحسان.

(٥) « ما غرتُ على أحد» أي ما دخلتْ إليَّ الغيرةُ من واحدة من النساء، كما دخلت عليَّ من خديجة، مع أنني لم أرها، لكثرة ذكر النبي ﷺ لها، وإكرامه لصديقاتها.

(٦) « في خلائلها» جمع خليلة وهي الصديقة.

(٧) « فارتاح لذلك» أي هَشَّ وسُرَّ لمجيئها، لتذكُّره خديجة وأيامها، لأن صوتها يشبه صوت خديجة، وهذا من وفائه ﷺ لمن شاركته أحزانه وآلامه، وسقته كأس الحبِّ والوفاء.

(٨) « فكان يخدمني» أي وهو أكبر مني سناً، وقوله شيئاً أي عظيماً.

فقال: إنِّي قَدْ رَأَيْتُ الأَنْصَارَ تَصْنَعُ بِرَسُول اللَّه ﷺ شَيْئاً، آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي[١] أَنْ لَا أَصْحَبَ أَحَداً مِنهُمْ إِلَّا خَدَمْتُهُ» مُتَّفقٌ عليه.

❁ ❁ ❁

بابٌ في إكْرَام أَهْلِ بيت رسول الله ﷺ، وبيان فضلهم

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ[٢] أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

٣٤٦ ـ وعن يزيد بن حَيَّانَ قال: «انطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ، وَعَمْرُو بن مُسْلِمٍ إلى «زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ» رضي اللَّهِ عنه، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَال له حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْراً كَثِيراً!! رَأَيْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْراً كَثِيراً!! حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ!. قال: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي[٣] مِنْ رسولِ اللَّه ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ، فَاقْبَلُوا، وَمَا لَا، فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ، ثُمَّ قال: قَامَ رسولُ اللَّه ﷺ يَوْماً فِينَا خَطِيباً، بِمَاءٍ يُدْعَى «خُمّاً»[٤] بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّه، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ، وَذَكَّرَ، ثُمَّ قال: «أَمَّا بَعْدُ: أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رسولُ ربي فَأُجِيبَ[٥]، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ[٦]: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ الهُدَى وَالنورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّه، وَاسْتَمْسِكُوا به». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّه، وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ

---

(١) «آليت على نفسي» أي حلفتُ على نفسي، ألَّا أصحب أحداً منهم إلا خدمته.

(٢) ﴿الرِّجْسَ﴾ دنس المعاصي والآثام وكل قبيح.

(٣) «كنتُ أعي» أي نسيت ما كنت أحفظه من رسول اللّه ﷺ.

(٤) «يُدعى خُمّاً» بضم الخاء وتشديد الميم مكان بين مكة والمدينة.

(٥) «يوشك أن أجيب» أي يقرب أن يأتيني مَلَك الموت فأجيب.

(٦) «تارك فيكم ثقلين» أي شيئين عظيمين كبيرين هما: «كتابُ اللّه، وأهلُ بيتي» سُمِّيا ثقلين لعظيم شأنهما.

«وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّه في أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّه[1] في أَهْلِ بَيْتِي» فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يا زَيْدُ، أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَر، وَآلُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي روايةٍ[2]: «أَلا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّه وَهُوَ حَبْلُ اللَّه، مِنِ اتَّبَعَه كَانَ عَلَى الهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ».

٣٤٧ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رضي اللَّه عنهما، عن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي اللَّه عنه مَوْقُوفاً عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: «ارْقُبُوا مُحَمَّداً ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، مَعْنى «ارْقُبُوا»: رَاعُوهُ وَاحْتَرِمُوهُ وَأَكْرِمُوهُ، واللَّه أعلم.

❁ ❁ ❁

بابٌ في توقير العُلماء
والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم
ورفع مجالسهم، وإظهار مرتبتهم

قال اللَّه تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

٣٤٨ ـ وعن أبي مسعودٍ «عُقبةَ بْنِ عمروٍ البدريِ الأنصاري» رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ[3] لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا في

---

(١) «أذكِّركم اللَّه» أي أسألكم باللَّه أن تزعوا أهل بيتي، بالإحسان إليهم، وحب الخير، وعدم الإساءة لهم.

(٢) «وفي رواية» أي في صحيح مسلم وهي زيادة قوله «كتاب اللَّه، هو حبلُ اللَّه، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة... وفيه فقلنا: من أهلُ بيته؟ نساؤه؟ قال: لا، إن المرأة تكون مع الرجل العصرَ من الدهر، ثم يطلِّقها فترجع إلى أبيها وقومها!! أهلُ بيته: أصلُه وعصبتُه الذين حرموا الصدقة بعده» انظر صحيح مسلم ٤/ ١٨٧٤.

(٣) «يؤمُّ القومَ أقرؤُهم» أي أحسنهم قراءةً، وأجملُهم صوتاً، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد، وقال مالكٌ والشافعيُّ: الأفقه مقدَّم على الأقرأ، لأن المطلوب مراعاة الصواب، ولا يقدر عليه إلا كاملُ الفقه، ولهذا قدّم النبي ﷺ أبا بكر في الصلاة حين مرضه، مع أن غيره كان أقرأ منه!

الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً، فأَقْدَمُهُم سِنّاً، وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ[١]، وَلا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ[٢] إلَّا بإذْنِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي روايةٍ لَهُ: «فَأَقْدَمُهُمْ سِلْماً» بَدَلَ «سِنّاً» أَوْ «إِسْلاماً».

وفي روايةٍ: «يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّه، وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً، فَيَؤُمُّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً، فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنّاً».

وَالمُرادُ «بِسُلْطَانِهِ» مَحَلُّ ولايَتِهِ، أَو المَوْضِعُ الَّذِي يَخْتَصُّ به «وَتَكْرِمَتُهُ» بفتحِ التاءِ وكسر الراءِ: وَهِيَ مَا يَنْفَرِدُ بِهِ مِنْ فِرَاشٍ وَسَرِيرٍ وَنَحْوِهِمَا.

٣٤٩ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسولُ اللَّه ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا في الصَّلاةِ، وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا وَلا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلَامِ وَالنُّهَى[٣]، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثم الذين يلونهم» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وقوله ﷺ «لِيَلِنِي» هو بتخفيفِ النُّونِ وَلَيْسَ قَبْلَها ياءٌ، «وَالنُّهَى» الْعُقُولُ، «وَأُولُو الأحْلام» هُمُ البَالِغُونَ، وَقيلَ: أَهْلُ الحِلْمِ وَالْفَضْلِ.

٣٥٠ ـ وعن عبد اللَّه بن مسعودٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأحْلَام وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ، ثَلاثاً، وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاقِ»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣٥١ ـ وعن أبي يَحْيَى «سَهْلِ بن أبي حَثْمَةَ» الأنصاري رضي اللَّه عنه قال: «انْطَلَقَ عَبْدُ اللَّه بن سَهْلٍ، وَمُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، إلى خَيْبَرَ ـ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ

(١) «ولا يؤمنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ في سلطانه» أي صاحب المنزل والمجلس، وإمامُ المسجد، أحقُّ من غيره، وإن كان ذلك الغيرُ أفقه وأقرأ.

(٢) «ولا يقعد على تكرمته» أي لا يقعد على فراش صاحب المنزل، وفي المكان المخصّص لجلوسه إلّا بإذنه.

(٣) «أولو الأحلام والنهي» أي البالغون العقلاء، وأهل العلم والفضل.

(٤) «وإياكم وهيشات الأسواق» أي ارتفاع الأصوات، وما يحدث في الأسواق، من الجَلَبة والفتن والتنازع، **وقال المناوي**: أي لا يختلط الذكور بالإناث، ولا الصبيان بالبالغين.

صُلْحٌ ـ فَتَفرَّقَا[١]، فأتَى مُحَيِّصَةُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ سهلٍ وهو يَتَشَحَّطُ[٢] في دَمِهِ قَتِيلاً، فَدَفَنَهُ، ثُمَّ قَدِمَ المَدِينَةَ فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ[٣]، وَمُحَيِّصَةُ، وَحُوَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إلى النَّبِي ﷺ، فَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ فقال: «كَبِّرْ كَبِّرْ»[٤] وَهُوَ أَحْدَثُ القَوْمِ[٥]، فَسَكَتَ، فَتَكَلَّمَا، فقال: أَتَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ[٦]؟ وَذَكَرَ تَمَامَ الحَدِيث» مُتَّفَقٌ عليه.

وقوله ﷺ: «كَبِّرْ كَبِّرْ» مَعْنَاهُ: يَتَكَلَّمُ الأَكْبَرُ.

٣٥٢ ـ وعن جابرٍ رضي اللَّه عنه «أنَّ النبي ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ يَعْنِي في القَبْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذاً لِلْقُرآنِ[٧]؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إلى أَحَدِهِمَا، قَدَّمَهُ في اللَّحْد»[٨] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٣٥٣ ـ وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما، أَنَّ النبي ﷺ قال: «أَرَاني في المَنَام أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَاءَني رَجُلَانِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إلى الأَكْبَرِ مِنْهُمَا»[٩] رَوَاهُ مُسْلِمٌ مُسْنَداً، وَرَوَاهُ البخاري تعليقاً.

---

(١) «فتفرّقا» أي تفرّق كلُّ واحد في طريق لحاجتهما، وجاء في صحيح مسلم (وهي يومئذٍ صلحٌ وأهلُها يهود).

(٢) «وهو يتشحَّطُ» أي يتخبَّطُ ويضطرب في دمائه قتيلاً.

(٣) «فانطلق عبد الرحمن بن سهل» أي أخو القتيل ليتكلم.

(٤) «كبِّرْ، كبِّرْ» أي ليتكلم الأكبر منكم سناً.

(٥) «وهو أحدثُ القوم» أي أصغرهم سناً.

(٦) «أتحلفون وتستحقون قاتلكم»؟ جاء توضيح الرواية في صحيح مسلم «فمشى عبد الرحمن أخو المقتول، مع محيِّصة وحُوَيِّصة إلى رسول اللَّه ﷺ فذكروا له شأن المقتول، وحيثُ قُتل، فقال لهم ﷺ: تحلفون خمسين يميناً وتستحقون قاتلكم؟ قالوا يا رسول اللَّه: ما شهدنا ولا حضرنا!! فقال لهم: فيبرّئكم يهود بخمسين يميناً، قالوا: كيف نقبل أيمان قوم كفار؟ فَوَداه ـ أي دفع ديته ـ رسولُ اللَّه ﷺ من عنده، بعث إليهم مائة ناقة حتى أُدخلت عليهم الدار» والشاهد أن النبي ﷺ أمر بأن يتكلم الأكبر من القوم.

(٧) «أخذاً للقرآن» أي حفظاً له في صدره.

(٨) «في اللحد» أي في جانب القبر، وفي هذا الحديث فضيلة ظاهرة لقارئ القرآن، والَّذي يحفظ القرآن، وتتمةُ الحديث كما في البخاري «قدَّمه في اللحد، وقال: أنا شهيدٌ على هؤلاء، وأمَرَ بدفنهم بدمائهم، ولم يُصلِّ عليهم، ولم يُغَسِّلْهم» فتح الباري ٣/ ٢١٢.

(٩) هذه الرؤيا وإن كانت منامية، لكنها رؤيا حق، وهي جزء من الوحي، فالنبي ﷺ رأى كأنه =

٣٥٤ ـ وعن أبي موسى رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ مِنْ إجْلالِ اللَّهِ تعالَى[١]، إكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِم[٢]، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ[٣]، غَيْرِ الْغَالي[٤] فِيهِ، وَالجَافي عَنْهُ[٥]، وإكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِطِ»[٦] حديثٌ حسنٌ رَوَاهُ أبو داود.

٣٥٥ ـ وعن عَمْرِو بن شُعَيْبٍ، عن أبيهِ، عن جده رضي اللَّه عنهم قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا[٧] مِنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا»[٨] حديثٌ صحيحٌ رَوَاهُ أبو داود والتِّرمِذِيُّ، وقال التِّرمِذِيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وفي رواية أبي داود «حَقَّ كَبِيرِنَا».

٣٥٦ ـ وعن مَيْمُونَ بن أَبي شَبِيبٍ «أن عَائِشَةَ رضي اللَّه عنها مَرَّ بِهَا سَائِلٌ، فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً، وَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيابٌ وَهَيْئَةٌ، فَأَقْعَدَتْهُ، فَأَكَلَ فَقِيلَ لَهَا في ذلِكَ؟ فقالت: قال رسول اللَّه ﷺ: أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»[٩] رَوَاهُ أبو داود، لكِنْ قال: مَيْمُون لَمْ يُدْرِك عَائِشَةَ، وقَدْ ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ في أَوَّلِ صَحِيحِهِ تَعْلِيقاً، فقال: وَذُكِرَ عَنْ عَائِشَةَ رضي اللَّه عنها قالت: «أَمرنا رسولُ اللَّه ﷺ أَنْ نُنْزِلَ النَّاس مَنَازِلَهُمْ» وَذَكَرَهُ الحَاكِمُ أَبُو عبدِ اللَّهِ في كِتَابِهِ «مَعْرِفَةُ عُلُومِ الحَدِيث» وقال: هو حديثٌ صحيح.

= يستاك، فجذبه رجلان: صغيرٌ، وكبير، فأعطى السِّواك للصغير، فقيل له: كبِّرْ أي أعطه للكبير، وهذا أدبٌ إسلامي رفيع، ينبغي أن يتنبّه له المسلمون، وهو أن الكبير يُقدَّم على الصغير في جميع الأمور.

(١) «إن من إجلال اللَّه» أي من تعظيم اللَّه عزّ وجلّ لمكانة المؤمن، ورفعه لقدر أهل الفضل.

(٢) «إكرام ذي الشيبة المسلم» أي إكرام كل من شاب في الإسلام، وقضى زهرة عمره في دين اللَّه الخالد.

(٣) «وحامل القرآن» أي قارئ القرآن وحافظه.

(٤) «غير الغالي فيه» أي غير المتنطّع والمتشدّد فيه.

(٥) «والجافي عنه» أي التارك للقرآن البعيد عن تلاوته.

(٦) «ذي السلطان المقسط» أي العادل في الحكم بين الرعية.

(٧) «ليس منا» أي ليس من أهل سُنّتنا وهدينا وطريقتنا.

(٨) «شرف كبيرنا» أي فضله بما يستحقه من التعظيم والتبجيل.

(٩) «أنزلوا الناسَ منازلهم» أي ضعوهم في المكان اللائق بهم، واعرفوا لكل إنسان مكانته ومنزلته، والحديث حضٌّ على مراعاة مقادير الناسِ ومناصبهم!

٣٥٧ ـ وعن ابن عباسٍ رضي اللّه عنهما قال: «قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، فَنَزَلَ عَلى ابْنِ أَخِيهِ «الحُرِّ بْن قَيْسٍ»، وَكَانَ مِنَ النَّفرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ رضي اللّه عنه، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمَشَاوَرَتِهِ، كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّاناً، فقال عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِن لِي عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ لَهُ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ رضي اللّه عنه، فلما دَخَل قال: هِي يَا ابْنَ الخَطَّابِ: فَوَاللّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْل، وَلَا تَحْكُمُ فِينَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ رضي اللّه عنه حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فقال لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ إنَّ اللّه تعالى قال لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا مِنَ الجَاهِلينَ. واللّهِ مَا جَاوَزَهَا عمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ اللّه تعالى»[١] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٣٥٨ ـ وعن أبي سعيدٍ «سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ» رضي اللّه عنه قال: «لَقَدْ كُنْتُ عَلى عَهْدِ رسول اللّه ﷺ غُلاماً، فكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ[٢]، فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ القَوْلِ إلَّا أَنَّ ههُنَا رِجَالاً، هُمْ أَسَنُّ مِنِّي» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٥٩ ـ وعن أنس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَا أَكْرَمَ شَابٌ شَيْخاً لِسِنِّهِ إلَّا قَيَّضَ[٣] اللّه لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّه» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث غريب.

۞ ۞ ۞

بابٌ في زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة

قال اللّه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ[٤] حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ

---

(١) تقدَّم شرح الحديث في كتاب الصبر ورقمُه (٥٠) وكلمةُ (هي) بكسر الهاء وعيدٌ وتهديد.

(٢) «كنتُ أحفظُ عنه» أي كنت أحفظ ما أسمعه من رسول اللّه ﷺ، ولكنْ يمنعني من الحديث عنه، أن بين أصحابه من هو أكبر سناً مني..! وفيه إشارة إلى توقير الكبير.

(٣) «قيَّض له» أي قدَّر له من يكرمه عند شيخوخته، فمن كرَّم الشيخ الكبير، هيأ اللّه من يكرمه عند بلوغه ذلك السنّ، جزاءً وفاقاً.

(٤) ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾ لا أزال أسير حتى أصل إلى مجمع البحرين، ولو استغرق ذلك مني زماناً طويلاً.

أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦٠ ـ ٦٦].

وقال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الكهف: ٢٨].

٣٦٠ ـ وعن أنس رضي اللَّه عنه قال: «قال أبو بكر لِعمر رضي اللَّه عنهما، بَعْدَ وَفَاةِ رسول اللَّه ﷺ: انْطَلِقْ بِنَا إلى «أُمِّ أَيْمَنَ»[1] رضي اللَّه عنها نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رسول اللَّه ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيَا إلَيْها بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّه، خَيْرٌ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ؟ فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعْلَمُ[2]، أنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ تعالى خَيْرٌ لرسول اللَّه ﷺ، وَلكِنْ أَبْكِي أَنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلى البُكَاءِ[3]، فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣٦١ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ «أنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّه تعالى عَلى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً[4]، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قال: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قال: أُرِيدُ أَخاً لي في هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قال: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا عَلَيْهِ[5]؟ قال: لا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ في اللَّه، قال: فَإِنِّي رسول اللَّه إلَيْكَ بأَنَّ اللَّه قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

يقال: «أَرْصَدَه» لِكَذا: إذَا وَكَّلَهُ بِحِفْظِهِ، وَ «المَدْرَجَةُ» بفتحِ المِيمِ والراءِ: الطَّرِيقُ، ومعنى «تَرُبُّهَا» تَقُومُ بِهَا، وَتَسْعَى في صَلاحِهَا.

٣٦٢ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً أَوْ

---

(١) «أم أيمن» هي حاضنةُ الرسول ﷺ، ومربِّيتُه في طفولته، كان ﷺ يكرمها ويبرُّها ويقول: «أمُّ أيمن أمي».

(٢) وأخرجه ابن ماجه بلفظ «أني لأعلمُ أنَّ ما عند اللَّه خير لرسوله، ولكني أبكي لأن الوحي انقطع من السماء».

(٣) «فهيَّجتها على البكاء» أي حركتهما وأثارتهما على البكاء فصارا يبكيان معها.

(٤) «فأرصد على مدرجته» أي وكَّلَ وأجلس على طريقه مَلَكاً ينتظره ـ جاءه بصورة رجل ـ فأخبره بأن اللَّه يحبُّه، لحبِّه لأخيه المسلم في اللَّه.

(٥) «نعمة تربُّها عليه» أي هل لك نعمة عليه تقوم بإصلاحها؟ وتنهض إليها بسبب ذلك؟ وفي هذا الحديث: فضلُ المحبة في اللَّه، وأنها سببٌ لحبِّ اللَّه للعبد، وفيه فضيلةُ زيارة الصالحين والأصحاب الأفاضل.

زَارَ أَخاً لَهُ في اللَّه، نَادَاه مُنَادٍ: بِأَنْ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ[١]، وَتَبوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلاً»[٢] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ، وفي بعض النسخ غريبٌ.

٣٦٣ ـ وعن أَبي موسى الأَشْعَرِيِّ رضيَ اللَّهُ عنه، أَنَّ النَّبي ﷺ قال: «إنَّما مَثَلُ الجَلِيس الصَّالِحِ، وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ[٣]، وَنَافِخِ الْكِير، فَحَامِلُ المِسْكِ، إمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ[٤]، وَإمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ[٥]، إمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً مُنْتِنَةً» مُتَّفَقٌ عليه. «يُحْذِيكَ»: يُعْطِيكَ.

٣٦٤ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، ولِحَسَبِهَا[٦]، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ[٧] تَرِبَتْ يَدَاكَ»[٨] مُتَّفَقٌ عليه، ومعناه: أَنَّ النَّاسَ يَقْصِدُونَ في الْعَادَةِ مِنَ المَرْأَةِ هذِهِ الخِصَالَ الأَرْبَعَ، فَاحْرِصْ أَنْتَ عَلى ذَاتِ الدِّينِ، وَاظْفَرْ بِهَا، وَاحْرِصْ عَلى صُحْبَتِهَا.

٣٦٥ ـ وعن ابن عباسٍ رضي اللَّه عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ لِجِبْرِيلَ: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَر مِمَّا تَزُورَنَا؟[٩]» فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [مريم: ٦٤] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «طِبْتَ وطابَ ممشاك» أي أنت رجل طيِّب مبارك، وأجرك عظيم عند اللَّه.
(٢) «وتبوَّأْت من الجنة منزلاً» أي هيَّأ اللَّه لك في الجنة، داراً تنزلها وتسكنها، لزيارتك لأخيك في اللَّه.
(٣) «حامل المسك» أي بائع المسك والطِّيب.
(٤) «تبتاع منه» أي تشتري منه.
(٥) «نافخ الكير» أي الذي ينفخ في الموقد الذي فيه الجمرُ لإلانة الحديد، وهذا تمثيل رائع لجليس السوء، وفيه التحذير عن مجالسة أهل الشر، وأهل البدع، لأن الإنسان لا يلقى منهم إلا كل ضرر وقبيح.
(٦) «لحسَبِها» أي لشرفها ونسبها بسبب الغنى أو الجاه.
(٧) «فاظفر بذات الدين» أي عليك بالحرص على المرأة الصالحة، ذات الأخلاق الحميدة، والدين المتين، والمراد من الحديث الشريف: أن يُخبر الرسول ﷺ بما يفعله الناسُ في العادة، فإنهم يقصدون بالزواج، هذه الخصال الأربع، وآخرها عندهم «ذاتُ الدِّين» وهي التي فيها الخير والسعادة، فاظفر بها أيها المسترشد، لتفوز بالمحبوب والمطلوب، كما قيل: «إن الطيور على أشكالها تقع» والطيِّباتُ للطيِّبين!
(٨) «تربت يداك» أي إن لم تظفر بذات الخُلق والدين، افتقرتَ وذللتَ، وهذه الكلمة لا يراد منها الدعاءُ، وإنما الحَثُّ والتحريض على فعل الخير، والحرص الشديد عليه.
(٩) «أكثر مما تزورنا» أي ما الذي يمنعك من كثرة زيارتنا؟ فأجابه جبريل بأنه عبد مأمور، ولا يتنزَّل إلا بأمر وإذنٍ من اللَّه جل وعلا.

٣٦٦ ـ وعنْ أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا تُصَاحِبْ إلَّا مُؤْمِناً[١]، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلَّا تَقِيٌّ»[٢] رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ بإِسْنَادٍ لا بأس بِهِ.

٣٦٧ ـ وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه، أَن النبي ﷺ قال: «الرَّجُلُ عَلى دِينِ خَلِيلِهِ[٣]، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»[٤] رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذيُّ بإسنادٍ صحيح، وقال التِّرمِذِيُّ: حديثٌ حسنٌ.

٣٦٨ ـ وعن أبي موسى الأشْعَرِيِّ رضي اللَّه عنه، أن النبي ﷺ قال: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[٥] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية قال: قِيلَ لِلنَّبيِّ ﷺ: الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قال: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ».

٣٦٩ ـ وعن أنس رضي اللَّه عنه، أن أعرابياً قال لرسول اللَّه ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قال رسولُ اللَّه ﷺ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قال: حُبُّ اللَّهِ ورسولِهِ، قال: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ مسلمٍ.

وفي روايةٍ لهما: «مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَوْمٍ، وَلا صَلَاةٍ، وَلَا صَدَقَةٍ، وَلكِنِّي أُحِبُّ اللَّه وَرَسُولَهُ».

٣٧٠ ـ وعن ابنِ مسعودٍ رضي اللَّه عنه قال: «جاءَ رَجُلٌ إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه كَيْفَ تَقُولُ في رَجُلٍ، أَحَبَّ قَوْمَاً وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فقال رسولُ اللَّه ﷺ: المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «لا تصاحب إلا مؤمناً» أي لا تجعل لك صديقاً وصاحباً، إلا إذا كان مؤمناً صادق الإيمان، فصحبته تنفع.

(٢) «إلَّا تقيٌّ» أي لا تدعُ إلى طعامك إلَّا الرجل التقيّ، فإن الفاسق إذا أكل الطعام، تقوّى به على المعصية.

(٣) «على دين خليله» أي على طريقة صديقه ومشربه.

(٤) «من يُخالل» أي من يصادقه من الأصحاب، فالصاحب ساحب.

(٥) «المرء مع من أحبَّ» أي يحشر كلُّ إنسان مع من يحبّه.

وفي رواية في الصحيح: «قال أنس: فأنا أحبُّ اللَّه ورسولَه وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعملْ بأعمالهم» رواه مسلم.

٣٧١ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللَّه عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «النَّاسُ مَعَادِنٌ[١] كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، خِيَارُهُمْ في الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإِسْلَامِ، إِذَا فَقُهُوا. وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ[٢]، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا، ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا، اخْتَلَفَ»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وروى البخاري قوله: «الأَرْوَاحُ» الخ من رواية عائشة رضي اللَّه عنها.

٣٧٢ ـ وعن «أُسَيرِ بن عَمْرٍو»، وَيُقَالُ: ابنُ جابرٍ قال: «كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي اللَّه عنه إذا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ «أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ»[٤]؟ حَتَّى أتى عَلى أُوَيْسٍ فقال: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قال: نَعَمْ، قال: مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، قال: نَعَمْ، قال: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ، فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضعَ دِرْهَمٍ؟ قال: نَعَمْ، قال: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قال: نَعَمْ، قال: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يقولُ: يَأْتِي عَلَيْكُمْ «أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ» مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ اليَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرأَ مِنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَم، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّه لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ! فَاسْتَغْفِرْ لي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فقال له عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قال: الْكُوفَةَ، قال: أَلا أَكْتُبُ لَكَ إِلى عَامِلِهَا؟ قال: أَكُونُ في غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَام المُقْبِلِ، حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَى عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، فقال: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ[٥]، قَلِيلَ المَتَاعِ، قال: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: يَأْتي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ

---

(١) «النّاسُ معادن» أي الناس يختلفون في الصفات والأخلاق، كاختلاف المعادن في الجودة والرداءة، وأكرمُهم وأفضلهم عند اللَّه، من كان في الجاهلية شريفاً، فأسلم وحسن إسلامه، وتفقَّه في الدين.

(٢) «الأرواح جنود» أي نفوس البشر، جموع مجتمعة، وأنواع مختلفة، فالصالح يميل إلى الصالحين، والشرِّير يميل إلى أهل الشرّ، والجنسُ يألفه الجنسُ.

(٣) «ائتلف. . واختلف» أي إذا كانت النفس صافية، أحبَّت أهل الفضل والصلاح، وإذا كانت خبيثة، كرهت أهل الصلاح، وأحبت أهل الفسوق والفجور، وهذا تمثيل لتقارب الصفات.

(٤) «أُويسُ بن عامر» هذا من أفضل التابعين، من أهل اليمن، آمن بالنبي ﷺ وصدَّقه ولم يلقه، فلا يُعَدُّ من الصحابة، وإنما هو من أفاضل التابعين، وقد أرشد الرسول ﷺ عمر إلى فضل هذا التابعي البارّ بأمه، وأنه لو أقسم على اللَّه لأبرّه ـ أي لاستجاب دعاءه جزاء برّه بوالدته ـ وأمره إذا لقيه أن يطلب منه الاستغفار له، فلذلك حرص عمر على لقياه!.

(٥) «رثَّ البيت» أي رثَّ متاع البيت، ليس عنده منه شيء جيد.

أَمْدَادِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرأَ مِنْهُ، إلَّا مَوْضِعَ دِرْهَم، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلى اللَّه لأَبَرَّهُ، فَإنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافعَلْ، فَأَتَى أُوَيساً، فقال: اسْتَغْفِرْ لي، قال: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْداً بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لي!! قال: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قال: نَعَمْ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ[١]، فَانطَلَقَ على وَجْهِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي روايةٍ لمسلم أيضاً: عن أُسَيْر بن جابر «أنَّ أهلَ الكُوفَةِ وَفَدُوا عَلَى عُمَرَ رضيَ اللَّهُ عنهُ، وَفِيهِم رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فقال عُمَرُ: هَلْ ها هُنَا أَحَدٌ مَنَ القَرَنِيِّينَ؟ فَجاءَ ذلِكَ الرَّجُلُ، فقالَ عُمَرُ: إنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قد قال: إن رَجُلاً يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَنِ، يُقالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، لا يَدَعُ بِاليَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللَّهَ تعالى، فَأَذْهَبَهُ، إلَّا مَوضِعَ الدِّينارِ أَوِ الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

وفي روايةٍ له عَن عمر رضي اللَّه عنه قال: إنِّي سَمِعْت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَال لَهُ: «أُوَيس»، ولَهُ وَالِدَةٌ، وكانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُروه، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ».

قوله «غَبْرَاءِ النَّاسِ» فُقَرَاؤهُمْ وَصَعَالِيكُهُمْ وَمَنْ لا يُعْرَف عَيْنُه مِنْ أَخلاطِهِمْ «وَالأَمْداد» جَمْعَ مَدَدٍ وَهُمُ الأَعْوَان وَالنَّاصِرُونَ الَّذِينَ كَانُوا يُمِدُّونَ المُسْلِمينَ في الجِهَادِ.

٣٧٣ ـ وعن عمر بن الخطَّاب رضي اللَّه عنه قال: «اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ في العُمْرَةِ، فَأَذِنَ لي، وقال: «لا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ»[٢] فقال كَلِمَةً مَا يَسُرُّني أَنَّ لي بِها الدُّنْيَا».

وفي روايةٍ قال: «أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ في دُعَائِكَ» حديثٌ صحيحٌ رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) «ففطن له الناسُ» أي عرف الناس فضله فأقبلوا نحوه، فانطلق على وجهه أي ابتعد عن الناس لئلا يشغلوه عن عبادة ربه.

(٢) «لا تنسنا يا أخيّ من دعائك» أخيّ تصغير أخ، وهي ملاطفة من الرسول ﷺ لعمر رضي اللَّه عنه، بأبدع أسلوب، وألطف لفظ. ولهذا فرح عمر بها فرحاً شديداً، وقال: إن هذه الكلمة أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها. وهكذا سيرته ﷺ مع أصحابه.

٣٧٤ ـ وعن ابن عُمَرَ رضي اللَّه عنهما قال: «كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَزُورُ قُبَاءَ[(١)] رَاكِباً وَمَاشِياً[(٢)]، فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «كان النَّبيُّ ﷺ يأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءَ كُلَّ سَبْتٍ رَاكِباً وَمَاشِياً وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُهُ».

❁ ❁ ❁

بابٌ في فضل الحبّ في الله، والحثُّ عليه وإعلام الرجل أنه يحبه، وماذا يقول له إذا أعلمهُ

قال اللَّه تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخرِ السورة.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ[(٣)] مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الحشر: ٩].

٣٧٥ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ[(٤)] وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ[(٥)]: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا[(٦)]، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا لِلَّهِ[(٧)]، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ في

---

(١) «يزور قباء» أي يزور مسجد قباء ويقصده للصلاة فيه، لأنه أول مسجدٍ بُني في المدينة قبل المسجد النبوي، وفيه نزلت الآية: ﴿لَمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾.

(٢) «راكباً وماشياً» أي أحياناً يأتيه راكباً، وأحياناً ماشياً، **قال النووي**: وفي الحديث بيان فضل المسجد والصلاة فيه، وفضيلة زيارته، وهكذا جميع المواضع الفاضلة، تجوز زيارتها راكباً وماشياً، ويستحب أن تكون صلاة النفل بالنهار، ركعتين كصلاة الليل، وفيه جواز تخصيص بعض الأيام بالزيارة اهـ شرح مسلم للنووي.

(٣) «تبوءوا الدار والإيمان» هم الأنصار رضي الله عنهم، سكنوا المدينة المنورة، فاتخذوها سكناً لهم ودار إقامة، وأخلصوا الإيمان لله، حتى تمكن ورسخ في قلوبهم رسوخ الجبال، **قال الشوكاني**: أي تمكنوا من الإيمان تمكناً شديداً، من قبل هجرة المهاجرين إليهم.

(٤) «ثلاث من كنّ فيه» أي ثلاث خصال، وثلاث صفات من كانت فيه، كان صادق الإيمان.

(٥) «وجد حلاوة الإيمان» معنى حلاوة الإيمان: هو استلذاذ الطاعة، وتحمل المشقة في رضى الله عزّ وجلّ، فالإيمان له حلاوة في القلب، كحلاوة الطعام اللذيذ، بعد شدة الجوع.

(٦) «أحب إليه مما سواهما» أي يكون حبُّ الله وحبُّ رسوله، أعظم عنده من كل شيء في الدنيا، من المال، والولد، والمتاع.

(٧) «لا يحبه إلّا لله» أي لا يحبُّ الرجل إلّا لله، ومن أجل الله.

الْكُفرِ[١]، بَعْدَ أنْ أنقَذَهُ اللَّه مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٧٦ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم اللَّه في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ[٢]، وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ[٣] وَرَجُلانِ تَحَابَّا في اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ[٤]، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ[٥]، فقال: إنِّي أخافُ اللَّه، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ[٦] مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّه خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[٧] مُتَّفَقٌ عليه.

٣٧٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه تعالى يقولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي[٨]؟ الْيَومَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي[٩] يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلِّي» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣٧٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي

---

(١) «أن يعود في الكفر» أي يكره أن يصير إلى الكفر، كما يخاف أن يُقذف في النار اللاهبة المستعرة.

هذا الحديثُ أصلٌ من أصول العقيدة، وركنٌ من أركان الإيمان، فلا يجد أحدٌ حلاوة الإيمان، إلا إذا تحققت فيه هذه الشروط الثلاثة:

١ ـ أن يكون حبُّ اللَّهِ ورسوله أغلى من كل شيء في الدنيا.

٢ ـ أن تكون المحبة بين الرجل وصاحبه خالصة لوجه اللَّه.

٣ ـ خوفه من الكفر كما يخاف من نار جهنم المستعرة.

(٢) «إمام عادل» السلطان العادل، وكلُّ من له ولاية على المسلمين، كالحاكم والقاضي إذا تحقَّق منهم العدل.

(٣) «معلق بالمساجد» كناية عن حبه للمساجد، ومواظبته عليها.

(٤) «اجتمعا عليه وتفرقا عليه» أي إذا اجتمعوا اجتمعوا للَّه، وإذا تفرّقوا تفرّقوا للَّهِ، لا يلتقون لمصالح دنيوية، وإنما للَّه وفي اللَّه.

(٥) «ذات منصب وجمال» أي ذات أصلٍ وشرف، وذات جمالٍ ساحر.

(٦) «حتى لا تعلم شماله» هذه كناية عن المبالغة في إخفاء الصدقة عن أعين الناس كما قال سبحانه: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

(٧) «ففاضت عيناه» يعني بالدموع أي بكى بكاء حاراً خوفاً من اللَّه تعالى.

(٨) «المتحابون بجلالي» أي تحابُّوا لجلال اللَّه وعظمته لا لغرضٍ دنيوي.

(٩) «أظلهم في ظلّي» أي في ظلِّ عرشي من الحرِّ والشمس، الذي يأخذ بأنفاس الخلق، فلا يكون في القيامة إلّا ظلُّ عرش الرحمن، وإضافته إلى اللَّه تعالى للتشريف.

بِيَدِهِ لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا[١]، أَوَ لا أَدُلُّكُمْ عَلى شَيْءٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلام بينكم »[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣٧٩ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ في قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّه لَهُ عَلى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً» وذكر الحديث إلى قوله: «إنَّ اللَّه قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وقد سبق بالباب قبله[٣]

٣٨٠ ـ وعن البَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال في الأَنْصَار[٤]: «لا يُحِبُّهُمْ إلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّه، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّه» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٨١ ـ وعَنْ مُعَاذٍ رضي اللَّه عنه قال: سمِعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «قَالَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: المُتَحَابُّونَ في جَلالي، لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمْ[٥] النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٣٨٢ ـ وعن أبي إدريس الخَوْلانِي رَحِمَهُ اللَّه قال: «دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإِذَا فَتًى بَرَّاقُ الثَّنَايَا[٦] وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، فَإِذَا اخْتَلَفُوا في شَيْءٍ، أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ[٧]، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هذَا «مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» رضي اللَّه عنه، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، هَجَّرْتُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ[٨]، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَانتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلاَتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ

---

(١) «ولا تؤمنوا حتى تحابوا» أي لا يكمل إيمانكم، ولا يصلح حالكم في دعوى الإيمان، حتى يحبَّ بعضُكم بعضاً.

(٢) «أفشوا السلام بينكم» أي أشيعوا السلام بينكم، وسلّموا على إخوانكم المسلمين، من عرفتم ومن لم تعرفوا، وهذا أبسط طريق إلى حصول المحبة بين الناس.

(٣) في باب زيارة أهل الخير والصلاح، ورقمُه (٣٦١).

(٤) الأنصارُ: هم سُكان المدينة المنورة، الذين ناصروا الرسول ﷺ وآووه، وبذلوا أرواحهم ومهجهم نصرةً لدين اللَّه، وأصلُهم من قبيلة «الأوس» و«الخزرج» كانت بينهم حروب طاحنة في الجاهلية، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه سموا أنصاراً، وصار حبُّهم من الإيمان، وبغضُهم من النفاق.

(٥) «يغبطهم» الغبطةُ الفرحُ، وهو تمني مثل ما للغير من الخير.

(٦) «برّاق الثنايا» أي أبيضُ الأسنان، كثير التبسُّم.

(٧) «صدروا عن رأيه» أي أخذوا بقوله وتمسكوا به.

(٨) «سبقني في التهجير» أي سبقني في التبكير فجاء قبلي.

قُلْتُ: وَاللَّهِ إنّي لأُحِبُّكَ للَّه، فَقَالَ: آللَّهِ[١]؟ فَقُلْتُ: اللَّهِ[٢]، فقال: آللَّهِ؟ فَقُلْتُ: اللَّهِ، فَأَخَذَنِي بِحَبْوَةِ رِدَائي[٣]، فَجَذَبَنِي[٤] إلَيْهِ، فَقَالَ: أَبْشِرْ، فإنّي سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: قال اللَّه تعالى وَجَبَتْ مَحَبَّتي لِلْمُتَحَابِّينَ فيَّ، والمُتَجالِسِينَ فيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فيَّ، وَالمُتَبَاذلِينَ فيَّ» حديث صحيح رَوَاهُ مالِك في «الموَطَّإ» بإسنادِهِ الصَّحيحِ.

قَوْلُهُ «هَجَّرْتُ»: أَيْ بَكَّرْتُ، وَهُوَ بتشديد الجيم. قوله: «آللَّهِ فَقُلْتُ: أَللَّهِ» الأوَّلُ بهمزةٍ ممدودةٍ للاستفهامِ، والثاني بِلا مدٍّ.

٣٨٣ ـ عن أَبي كَرِيمَةَ «المِقْدَادِ بْنِ مَعْدِ يَكرِبَ» رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا أَحَبَّ الرَّجُلُ أخاهُ، فَلْيُخْبِرْه أَنَّهُ يُحِبُّهُ»[٥] رَوَاهُ أبو داود. والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

٣٨٤ ـ وعن مُعَاذٍ رضي اللَّه عنه، أنَّ رسول اللَّه ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وقال: «يَا مُعَاذُ، واللَّهِ إنّي لأُحِبُّكَ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ: لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ[٦] كُلِّ صَلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» حديث صحيحٌ، رَوَاهُ أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.

٣٨٥ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه، أنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ، فَمَرَّ رَجُلٌ بِهِ، فَقَال: يا رسول اللَّهِ إنِّي لأُحِبُّ هذَا، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «أَأَعْلَمْتَهُ؟» قَالَ: لا: قَالَ: «أَعْلِمْهُ»[٧] فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إنّي أُحِبُّكَ في اللَّه، فقالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيح.

---

(١) «آللَّهِ» استفهام يراد به القَسَم أي أتحلف باللَّه أنك تحبني؟
(٢) «قلتُ أللَّهِ» أي واللَّهِ إني أحبك للَّه.
(٣) «بحبوة ردائي» أي أخذ بفتحة ثوبي عند الرأس.
(٤) «فَجَذبني» أي جذبني وقرّبني إليه، يقال: جَبَذه، وجذبه بمعنى واحد.
(٥) «فليخبره أنه يحبه» لأن ذلك يزيد في المحبة بين المسلمين، ويقوّي أواصر الألفة والصداقة.
(٦) «دبر كل صلاة» أي عقب كل صلاة تصليها أن تدعو بهذا الدعاء.
(٧) هذا التوجيه النبوي الكريم، هو الذي يوطّد دعائم الأخوة والمحبة بين المسلمين، فالإنسان الذي يحبُّ أخاً له في اللَّه، يخبره بما في قلبه نحوه فيقول له: «إني أحبك في اللَّه» وينبغي على السامع أن يبادله المودة والمحبة، فيقول له في دعائه: «أحبّك اللَّه الذي أحببتني من أجله»!

بابٌ في عَلاَمات حبّ الله تعالى للعَبْد والحثّ على التخلق بها، والسعي في تحصيلها

قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

٣٨٦ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّه تعالى قال: مَنْ عَادَى لي وَلِيّاً[1]، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ[2]، وَمَا تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ، أَحَبَّ إلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوافِلِ، حَتَّى أُحِبُّهُ، فَإذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذي يُبْصرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا[3]، وَرِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بِهَا، وإنْ سَأَلَني، أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَني[4]، لأعِيذَنَّهُ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

معنى «آذَنْتُهُ»: أَعْلَمْتُهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ له. وقوله: «اسْتَعَاذَنِي» روي بالباءِ وروي بالنون.

٣٨٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إذا أَحَبَّ اللَّه تعالى العَبْدَ، نَادَى جِبْرِيلَ: إنَّ اللَّهَ تعالى يُحِبُّ فُلاناً، فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادي

---

(١) «من عادى لي ولياً» الوليُّ: هو المؤمن القريب من اللَّه، المتقي للَّه سبحانه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

(٢) «آذنته بالحرب» أي أعلمته بأني محارب له إعلاماً صريحاً.

(٣) «كنت سمعه، وبصره، ويده، ورجله» هذا كلُّه على الاستعارة التمثيلية، أي إذا أحببتُه وفَّقته للأعمال الصالحة التي يباشرها بأعضائه، وذلك بأن يحفظ جوارحه عليه، ويعصمه من الشرور والآثام، فلا يسمع ولا يبصر، ولا يفعل إلا ما يرضي اللَّه.. **قال الطوفي**: هذا مجاز عن نصرة العبد، وإعانته وتأييده، حتى كأنه سبحانه يُنزِّل نفسه من عبده، منزلة الأعضاء التي يستعين بها، «الأذن، والعين، واليد، والرجل» ولهذا جاء في بعض الروايات «فبي يسمع، وبي يُبصر، وبي يمشي، وبي يبطش».

(٤) «استعاذني» أي التجأ إليَّ واحتمى بي.

في أَهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاناً، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ[(١)]، ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأَرْضِ»[(٢)] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية لمسلم: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّهَ تعالى إذا أَحَبَّ عَبْدَاً دَعَا جِبْرِيلَ، فقال: إنِّي أُحِبُّ فُلاناً فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي في السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إنَّ اللَّه يُحِبُّ فُلاناً، فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ في الأَرْضِ، وإذا أَبْغَضَ عَبْدَاً دَعا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إنِّي أُبْغِضُ فُلاناً، فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي في أَهْلِ السَّماءِ، إنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلاناً، فَأَبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُهُ أهْلُ السَّماءِ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ في الأَرْضِ».

٣٨٨ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها «أن رسول اللَّه ﷺ بَعَثَ رَجُلاً عَلَى سَرِيَّةٍ[(٣)]، فَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ في صَلَاتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[(٤)] فَلَمَّا رَجَعُوا، ذَكَرُوا ذلِكَ لرسول اللَّه ﷺ، فقال: سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذلِكَ؟ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لأنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمٰنِ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فقال رسول اللَّه ﷺ: أَخْبِرُوهُ أنَّ اللَّه تعالى يُحِبُّهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁ ❁ ❁

بابٌ في التحذير
من إيذاء الصّالحِين والضَّعَفَة والمساكين

قال اللَّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى: ٩ ـ ١٠].

---

(١) «فيحبُّه أهل السماء» أي الملائكة الأطهار.

(٢) ومصداق هذا الحديث قولُ اللَّه سبحانه ﴿إنَّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾.

(٣) «بعث رجلاً على سرِيّة» السَّرية: القطعةُ من الجيش.

(٤) فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هذا الأمر لم يفعله رسول اللَّه ﷺ، وإنما استحسنه هذا الصحابي، حيث كان يقرأ بعد الفاتحة شيئاً من القرآن، ثم يختم بسورة الإخلاص، ومثلُ هذا لا يسمى (بدعة) لأنه تلاوة للقرآن ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ﴾ ولهذا اقرّه ﷺ.

وأما الأحاديث، فكثيرة منها: حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه في الباب قبل هذا: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ».

ومنها حديث سعد بن أبي وقاص، رضي اللّه عنه، السابق في باب ملاطفة اليَتِيمِ وقوله ﷺ: «يَا أبَا بَكْرٍ لئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ».

٣٨٩ ـ وعن جُنْدُبِ بْنِ عبد اللّه رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ، فَهُوَ في ذِمَّةِ اللّه[١]، فَلا يَطْلُبَنَّكُمُ اللّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبَّهُ على وَجْهِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في إجراء أحكام النَّاسِ على الظاهِر، وسرائرهم إلى الله تعالى

قال اللّه تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

٣٩٠ ـ وعن ابن عمر رضي اللّه عنهما، أن رسولَ اللّه ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إلهَ إلَّا اللّه، وَأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذلِكَ عَصَمُوا[٣] مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ[٤]، وَحِسَابُهُمْ عَلى اللّه تعالى»[٥] مُتَّفَقٌ عليه.

٣٩١ ـ وعن أَبي عبدِ اللّه «طارقِ بن أُشَيْمٍ» رضي اللّه عنه، قال: سمعتُ

---

(١) «في ذمة اللّه» أي في أمان اللّه وضمانه، والمراد بقوله: «صلّى الصبح» أي صلّاها في المسجد مع الجماعة.

(٢) «ثم يكبه على وجهه» أي يُلقيه على وجهه في نار جهنم.

(٣) «عَصَمُوا دماءهم» أي منعوا دماءهم من القتل.

(٤) «إلّا بحقّ الإسلام» أي إلّا إذا ارتكب حداً من الحدود، كالقتل أو الزنى وهو محصن، فيقتل قصاصاً.

(٥) «وحسابهم على اللّه» أي تفويضُ أمر ما في قلوبهم من الإيمان أو النفاق، موكولٌ إلى اللّه تعالى، لأننا نحكم بالظاهر، واللّه تعالى يتولّى السرائر، وفي الحديث ترك تكفير أهل البدع، المقرّين بالتوحيد.

رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: « مَنْ قَال لا إلهَ إلّا اللَّهُ[١]، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّه تعالى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣٩٢ ـ وعن أبي مَعْبَدٍ «المِقْدَادِ بن الأَسْوَدِ» رضي اللَّه عنه، قال: « قلت لِرسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ إنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الكُفَّارِ، فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ، فَقَطَعَها، ثُمَّ لاذَ[٢] مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فقال: أَسْلَمْتُ لِلَّهِ، أَأَقْتُلُهُ يا رسولَ اللَّه بَعْدَ أَنْ قَالها؟ فقَالَ: «لَا تَقْتُلْهُ» فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ قَطَعَ إحْدَى يَدَيَّ، ثُمَّ قال ذلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا؟! فقال: لا تَقْتُلْهُ، فَإنْ قَتَلْتَهُ، فَإنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتي قال» مُتَّفَقٌ عليه.

ومعنى « أَنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ» أَيْ: مَعْصُومُ الدَّمِ مَحْكُومٌ بِإسْلَامِهِ، ومعنى « أَنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ» أَيْ: مُبَاحُ الدَّمِ بِالقِصَاصِ لِوَرَثَتِهِ، لا أَنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ في الكُفْرِ، واللَّه أعلم.

٣٩٣ ـ وعن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي اللَّه عنهما، قال: بَعَثَنَا رسولُ اللَّه ﷺ إلى الحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَصَبَّحْنَا القَوْمَ عَلى مِياهِهِمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِيناهُ[٣] قال: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ، وَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ، بَلَغَ ذلِكَ النَّبيَّ ﷺ فقال لي: «يا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ ما قَالَ: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ؟» قلتُ: يا رسولَ اللَّه إنَّمَا كَانَ مُتَعوِّذاً[٤]، فَقَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إله إلَّا اللَّهُ؟!» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذلِكَ اليَوْمِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: فَقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: « أَقَالَ: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟!» قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّمَا قَالَها خَوْفاً مِنَ السِّلاحِ، قال: « أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ[٥] حَتَّى

---

(١) « من قال لا إله إلا اللّه» أي مقرونة بشقيقتها (محمد رسول اللّه) ولا يكفي أن يقول الجزء الأول منها ليدخل في الإسلام، ويعصم نفسه وماله من القتل.

(٢) « ثم لاذ بشجرة» أي اعتصم مني بشجرة ثم نطق بكلمة التوحيد، هل أقتله؟ قال: لا تقتله، ويؤخذ من هذا الحديث أن من قال: « لا إله إلا اللّه» فهو معصوم الدم محكوم بإسلامه، حتى ولو ارتكب أكبر الكبائر والموبقات!

(٣) « فلما غشيناه» أي دنونا منه وصرنا عند رأسه.

(٤) « إنما كان متعوذاً» أي معتصماً يريد بقولها أن ينجو من القتل لا معتقداً لها.

(٥) « أفلا شققت عن قلبه» أي هل شققت عن قلبه؟ حتى تعلم أنه قالها اعتقاداً، أو خوفاً من =

تَعلَم أقالَها أمْ لا؟! » فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ.

«الحُرَقَةُ » بَطْنٌ مِنْ جُهَيْنَةَ الْقَبِيلَةِ المَعْرُوفَةِ، وقوله: «مُتعَوِّذاً » أَيْ: مُعْتَصِماً بِهَا مِنَ الْقَتْلِ لا مُعْتَقِداً لَها.

٣٩٤ ـ وعن جُنْدُبِ بْنِ عبدِ اللّه، رضي اللّه عنه «أنَّ رسولَ اللّه ﷺ، بَعَثَ بَعْثاً مِنَ المُسْلِمِينَ[١] إلى قَوْمٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، وَأَنَّهُمُ الْتَقَوْا، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ، إذا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إلى رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وأَنَّ رَجُلاً مِنَ المُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ ـ وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ «أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ» ـ فَلَمَّا رَفَعَ السَّيْفَ، قال: «لا إلهَ إلَّا اللَّهُ»، فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إلى رسول اللّه ﷺ، فَسَأَلَهُ، وَأَخْبَرَهُ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ، كَيْفَ صَنَعَ؟ فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ، فقال: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَقَالَ: يا رسولَ اللّهِ أَوْجَعَ في المُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلاناً وفُلاناً ـ وسَمَّى له نَفراً ـ وَإنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأى السَّيْفَ قال: لا إلهَ إلَّا اللَّهُ. قال رسول اللّه ﷺ: أَقَتَلْتَهُ؟ قالَ: نَعَمْ، قال: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بلا إلهَ إلَّا اللَّهُ، إذا جاءَتْ يَوْمَ القِيامَةِ؟ قالَ: يا رسولَ اللّهِ اسْتَغْفِرْ لِي!! قال: وَكَيْفَ تَصْنَعُ «بِلا إلهَ إلَّا اللَّهُ»[٢] إذا جَاءَتْ يَوْمَ القِيامَةِ؟ فَجَعَلَ لا يَزِيدُ عَلى أنْ يَقُولَ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِلا إلهَ إلَّا اللَّهُ إذا جَاءَتْ يَوْمَ القِيامَةِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣٩٥ ـ وعن عبدِ اللّه بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مسعودٍ رضي اللّهُ عَنْهُ قال: «سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي اللّه عنه، يقولُ: إنَّ نَاساً كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ[٣] فِي عَهْدِ رسول اللّه ﷺ، وإنَّ الوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وإنَّما نَأْخُذُكُمْ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْراً، أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ[٤]، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللّه

= القتل؟ والمراد أننا مكلّفون بالعمل بالظاهر، وبما ينطق به اللسان، أمّا القلب فليس لنا طريق إليه، إنما أمره إلى علّام الغيوب.

(١) «بعثاً من المسلمين » أي جيشاً من المسلمين.

(٢) «كيف تصنع بلا إله إلا اللّه »؟ كيف تدفع العذاب عن نفسك؟ وأنت قد قتلت رجلاً قال: لا إله إلا اللّه؟ وفيه التحذير من قتل مسلم يقول: لا إله إلا اللّه.

(٣) «يؤخذون بالوحي » أي ينكشف أمرهم بما ينزل به الوحيُ في شأنهم، وقد انتهى هذا الوحيُ بموته ﷺ.

(٤) «أمِنّاه وقرّبناه » أي صار عندنا أميناً ومقرّباً لدينا.

يُحاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءاً[١]، لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ وإنْ قالَ: إنَّ سَرِيرَته حَسَنَةٌ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في الخوف

قال الله تعالى: ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [البروج: ١٢].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [هود: ١٠٢ ـ ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج: ١ ـ ٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ الآيات [الرحمن: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الطور: ٢٥ ـ ٢٨].

والآيات في الباب كثيرة جداً معلوماتٌ، والغرضُ الإشارةُ إلى بعضها وقد حَصَلَ.

---

(١) «ومن أظهر لنا سوءً» أي فعل الشرّ وكشف لنا عن سريرته، لم نأمنه ولم نصدّقه، وإن زعم أن سريرته طيّبة.

وأما الأحاديثُ فكثيرةٌ جدّاً، فنذْكرُ مِنهَا طَرَفاً وباللّه التَّوْفِيقُ.

٣٩٦ ـ عن ابنِ مسعودٍ رضي اللّه عنه، قال: حدثنا رسولُ اللّه ﷺ وهو الصَّادِقُ المصدوقُ[١]: «إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونَ عَلَقَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ، فَيَنْفُخُ فيهِ الرُّوحَ[٢]، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ «رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقيٌّ أَوْ سَعِيدٌ» فَوَالَّذِي لا إلهَ غَيْرُهُ، إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَها إلّا ذِراعٌ[٣]، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّة، فَيَدْخُلُهَا» مُتَّفَقٌ عليه.

٣٩٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ[٤]، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣٩٨ ـ وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي اللّه عنهما، قال: سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول: «إنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَرَجُلٌ يُوضَعُ في أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ[٥] يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَداً أَشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً، وَإنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «وهو الصادق المصدوق» أي هو ﷺ الصادق في قوله، المصدَّق عندنا، لأنه لا يقول إلا ما هو حقٌّ وصدقٌ.

(٢) «ينفخ فيه الروح» تُنْفَخ في الجنين الروحُ لتمام أربعة أشهر.

(٣) «حتى ما يكون بينه وبينها إلّا ذراع» هنا يرد إشكال وهو: كيف تضيع حسناتُ الرجل المؤمن، الذي لم يبق بينه وبين الجنة إلا القليل؟ واللّه تعالى عادل لا يظلم أحداً؟ والجواب: أن هذا في المنافق، الذي يتظاهر بالإيمان وهو يُخفي الكفر، بدليل ما ورد في صحيح مسلم من قوله ﷺ «فيما يبدو للناس» فالحديث ليس في المؤمن الصادق، وإنما هو في المنافق الذي يُخدع به الناسُ. واللّه أعلم.

(٤) «زمام» الزمامُ: ما يُجعل في أنف البعير من حبل، ليشدَّ به عند سَوْقة، وجهنم لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، وهذا تمثيلٌ لضخامة جهنم، وفظاعة عذابها ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَزِيدٍ﴾؟

(٥) «في أخمص قدميه» أي يوضع في باطن قدمَيْه جمرتان، يغلي منها دماغُه، كغليان القدر بالماء الحار، وهذا «أبو طالب» كما جاء التصريح باسمه في رواية عند مسلم «أهونُ أهل النارِ أبو طالب وهو منتعلٌ بنعلين، يغلي منهما دماغه» صحيح مسلم ١/١٩٦.

٣٩٩ ـ وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه، أن نبيَّ الله ﷺ قال: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إلى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إلى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إلى حُجْزَتِهِ[١]، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إلى تَرْقُوَتِهِ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«الحُجْزَةُ»: مَعْقِدُ الإزَارِ تحتَ السُّرَّةِ، و «التَّرْقُوَةُ» هِيَ: العَظْمُ الَّذِي عِنْدَ ثُغْرَةِ النَّحْرِ، وللإنْسَانِ تَرْقُوَتَانِ في جَانِبَي النَّحْرِ.

٤٠٠ ـ وعن ابنِ عمر رضي الله عنهما، أن رسولَ الله ﷺ قال: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ، حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ في رَشْحِهِ إلى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»[٣] مُتَّفَقٌ عليه. و «الرَّشْحُ» العَرَقُ.

٤٠١ ـ وعن أنس رضي الله عنه، قال: «خَطَبَنَا رَسول الله ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، فقال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيْلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً» فَغَطَّى أَصْحَابُ رسول الله ﷺ وُجُوهَهُمْ، وَلَهُمْ خَنِينٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية: بَلَغَ رسولَ الله ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ، فقال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ في الخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً فَمَا أَتَى عَلى أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ، غَطَّوْا رُؤُوسَهُم وَلَهُمْ خَنِينٌ».

«الخَنِينُ» بِالخاءِ المعجمة: هُوَ البُكَاءُ مَعَ غُنَّةٍ، وَانْتِشَاقِ الصَّوْتِ مِنَ الأَنْفِ.

٤٠٢ ـ وعن المِقْدَادِ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ الرَّاوِي عَنِ المِقْدَادِ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي ما يَعْنِي بِالمِيلِ، أَمَسَافَةَ الأَرْضِ أَمِ المِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ العَيْنُ؟ فَيَكُونُ النَّاسُ عَلى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ في العَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إلى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إلى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) «منهم من تأخذه إلى حُجزته» أي تأخذه النار إلى سُرّته.
(٢) «إلى ترقوته» أي تأخذه النار إلى عنقه عند البلعوم.
(٣) «في رشحه إلى أنصاف أذنيه» أي هو غارق في العَرَق من فَرْقه إلى قدمه، حتى يصل العَرَق إلى أذنيه من شدة الحر، أجارنا الله من حرّ يوم الحساب.

يَكُونُ إلى حِقْوَيْهِ[١]، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلجاماً»[٢] وَأَشَارَ رَسولُ اللَّه ﷺ بِيدِهِ إلى فِيهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٠٣ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ في الأَرْضِ[٣]، سَبْعِينَ ذِرَاعاً، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ» مُتَّفَقٌ عليه. ومعنى «يَذْهَبُ في الأَرْضِ» ينزل ويغوص.

٤٠٤ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا مع رسول اللَّه ﷺ إذ سَمِعَ وَجْبَةً[٤] فقال: هَلْ تَدْرُونَ ما هذَا؟ قُلْنَا: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: هذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ في النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً[٥] فَهُوَ يَهْوِي في النَّارِ، الآنَ حَتَّى انْتَهَى إلى قَعْرِهَا، فَسَمِعْتُمْ وَجْبَتَهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٠٥ ـ وعن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي اللَّه عنه، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «مَا مِنْكُمْ منْ أَحَدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ[٦]، فَلا يَرَى إلَّا ما قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ[٧]، فَلا يَرَى إلَّا ما قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلا يَرَى إلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ[٨]، فاتَّقُوا النَّارَ[٩] وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[١٠] مُتَّفَقٌ عليه.

٤٠٦ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي اللَّه عنه، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنِّي أَرَى

---

(١) «إلى حِقْويه» أي إلى وسطه مكان معقد الزنَّار.

(٢) «يُلْجِمه العرقُ إلجاماً» أي يصل إلى أعلى الرأس، حتى كأنه يسبح في عَرَقه.

(٣) «يَذهبُ عرقُهم» أي يغوصُ في الأرض سبعين ذراعاً.

(٤) «سمِعَ وَجْبَةً» أي سمع صوتاً شديداً من أعلى سقط على الأرض.

(٥) «سبعين خريفاً» أي أُلقي منذ سبعين سنة، والآن وصل إلى قعر جهنم، حين سمعتم صوت سقوطه.

(٦) «أيمن منه» أي ينظر عن يمينه فلا يرى إلَّا عمله.

(٧) «أشأم منه» أي وينظر عن شماله فلا يرى إلَّا عملَه.

(٨) «النار تلقاء وجهه» أي لا يرى إلَّا نار جهنم أمامه.

(٩) «فاتقوا النار» أي خلّصوا أنفسكم من نار جهنم.

(١٠) «ولو بشق تمرة» أي ولو بالتصدق بنصف تمرة، وهذا تمثيل لتقليل العمل، حتى ولو كان بالشيء الحقير، الذي تزهد فيه النفس، كنصف التمرة، أو حبة العنب كما فعلت السيدة عائشة رضي اللَّه عنها.

مَا لا تَرَوْنَ[1] ، وأَسْمَعُ ما لا تسمعون، أَطَّتِ السَّماءُ[2] وَحُقَّ لَهَا أنْ تَئِطَّ[3] ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ، إلَّا وَمَلَكٌ واضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً للَّهِ تَعَالى، واللَّه لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بالنِّسَاءِ عَلى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إلى الصُّعُداتِ تَجْأَرُونَ[4] إلى اللَّهِ تَعَالى» رَوَاهُ التِّرمِذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

وَ «أَطَّتْ» الأَطِيطُ: صَوْتُ الرَّحْلِ وَالْقَتَبِ وَشِبْهِهِمَا، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ كَثْرَةَ مَنْ في السَّمَاءِ، مَنَ المَلائِكَةِ العَابِدِينَ، قَدْ أَثْقَلَتْهَا حَتَّى أَطَّتْ. وَ «الصُّعُدَات» الطُّرُقَاتُ، ومعنى «تَجْأَرُونَ»: تَسْتَغِيثُونَ.

٤٠٧ ـ وعن أَبي بَرْزَةَ «نَضلَةَ بنِ عُبَيْدٍ الأَسْلَمِيِّ» رضي اللَّه عنه، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ[5] يَوْمَ القيامَة، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٤٠٨ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: «قرأ رسولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] ثم قال: أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟[6] قالوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: فَإنَّ أَخْبَارَها أنْ تَشْهَدَ عَلى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ، بِمَا عَمِلَ عَلى ظَهْرِهَا،

---

(١) «أرى ما لا ترون» أي أرى أشياء غابت عنكم، مثل: «الملائكة، والجنة، والنار» وأسمع عذاب القبر، فلذلك أخبركم بالخبر القاطع، الذي أطلعني اللَّه عليه.

(٢) «أطَّت السماء» أي صار لها صوت، كصوت الحمل الثقيل على ظهر البعير.

(٣) «وحُقَّ لها أن تئطَّ» أي ويحِقُّ أن يُسْمع لها هذا الصوتُ الشديد، وهذا كناية لطيفة عن كثرة الملائكة العابدين الساجدين، لتقرير عظمة اللَّه تعالى.

(٤) «إلى الصُّعُدات تجأرون» أي خرجتم إلى الطرقات تستغيثون ربكم، وترفعون أصواتكم بالدعاء له ليرحمكم، ويُنجيكم من عذابه الشديد.

(٥) «لا تزول قدما عبد» أي لا ينصرف العبدُ من موقف الحساب، إلى الجنة أو النار، حتى يُسأل عن هذه الأمور الأربعة: «العمر، والمال، والعلم، والجسد» فيما استعملها؟

(٦) «أتدرون ما أخبارها»؟ أي هل تعرفون ما أخبارُ الأرض؟ هي أن تشهد على كل إنسانٍ رجلٍ أو امرأةٍ بما صنع على ظهرها! تقول مثلاً، فلان صلَّى على ظهري، وفلانٌ شرب الخمر يوم كذا، فهي تنطق بما فعل الناس على ظهرها من خير أو شر، وفي الحديث الآخر: «تحفَّظوا من الأرض فإنها أُمُّكم، وإنه ليس من أحدٍ عاملٍ عليها خيراً أو شراً، إلا وهي مخبرةٌ به» رواه الطبراني.

تَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا، في يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فَهذِهِ أَخْبَارُهَا» رَوَاهُ التِّرمِذِي وقال: حديثٌ حسنٌ.

٤٠٩ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللَّه عنه، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ[1] وَصَاحِبُ الْقَرْنِ[2] قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ» فَكَأَنَّ ذلِكَ ثَقُلَ[3] عَلى أَصْحَابِ رسول اللَّه ﷺ، فقال لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ[4] وَنِعْمَ الوَكِيلُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال حديثٌ حسنٌ.

«الْقَرْنُ»: هُوَ الصُّورُ الَّذي قال اللَّه تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ كَذَا فَسَّرَهُ رسول اللَّه ﷺ.

٤١٠ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ[5]، بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلا إنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلا إنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

«أَدْلَجَ» معناه: سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَالمُرادُ: التَّشْمِيرُ في الطَّاعَة. واللَّه أعلم.

٤١١ ـ وعن عائشةَ رضي اللَّه عنها، قالت: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حُفَاةً، عُراةً غُرْلاً، قُلْتُ: يا رسولُ اللَّه الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَميعاً؟ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ!؟ قال: يا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ[6] من أَنْ يُهِمَّهُمْ ذلِكَ».

---

(١) «كيف أنعم» أي كيف أفرح وأُسرُّ، وقد قَرُب أمر الساعة؟

(٢) «وصاحب القرن» أي إسرافيل عليه السلام قد أمسك بالصور «البوق» وهو ينتظر أمر اللَّه، لينفخ فيه لموت الخلائق.

(٣) «ثقُل على أصحاب رسول اللَّه» أي اشتدَّ ذلك الأمر عليهم وخافوا وفزعوا.

(٤) «حسبنا اللَّه» أي يكفينا اللَّه حافظاً، ومنجياً لنا من هول ذلك اليوم الشديد.

(٥) «من خاف أدلج» أي من خاف من ظلمة الليل، سار من أوله، ومن سار من أوله، بلغ المنزل الذي يريده، والغرض المسارعة في طاعة اللَّه جل وعلا.

(٦) «الأمرُ أشدُّ» أي الأمر أعظم وأهولُ من أن ينظر بعضهم إلى بعض، لأنهم في كرب وشدة، يجعلهم يذهلون عمَّا يرون!! نأخذ مثلاً من حياتنا: إنسانٌ حُكم عليه بالإعدام شنقاً، وهو الآن أمام حبل المشنقة، لو مرَّت عليه ملكة جمال الدنيا، لا ينظر إليها ولا يفكِّر في حسنها وجمالها الباهر، لأنه قد جاءه ما يشغله، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «الأمر أشدُّ من أن ينظر بعضهم إلى بعض».

وفي روايةٍ: «الأَمْرُ أَهَمُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ» مُتَّفَقٌ عليه.
«غُرلاً» بضَمِّ الغَيْنِ المُعْجَمةِ، أَي: غَيْرَ مختُونِينَ.

بابٌ في الرّجاء

قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٤١٢ ـ وعن عُبادةَ بْنِ الصامِتِ رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلهَ إِلّا اللّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسى عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَم وَرُوحٌ مِنْهُ[1]، والجَنّة حقٌّ والنّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللّهُ الجَنّة على ما كَانَ منَ العَمَلِ»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية لمسلم: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلهَ إِلّا اللّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ، حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ النّارَ»[3].

٤١٣ ـ وعن أبي ذرٍّ رضيَ اللّهُ عنه، قال: قال النبيُّ ﷺ: «يقولُ اللّهُ عزَّ وجلَّ: مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ، فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ، وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ!! وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ باعاً، وَمَنْ أَتَاني يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً[4]، وَمَن لَقِيَنِي بِقُرَابِ

---

(١) «وروح منه» أي روح مبتدأة من خلقه ومن عنده، أضيفت إلى اللّه على وجه التشريف.
(٢) «على ما كان من العمل» أي إن من مات على الإيمان، لا تخرجه الذنوب الكبائر عن إيمانه، ولا بدّ أن يدخل الجنة بمغفرة اللّه، أو بعد التطهير «أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان» كما ورد به الحديث الصحيح.
(٣) «حرّم اللّه عليه النار» أي إذا عمل بمقتضى كلمة الإيمان والتوحيد.
(٤) «أتيتُه هرولة» أي من جاء مقبلاً على ربه يمشي، كنتُ أسرعَ منه في الاستجابة لدعائه، وتنزّل الرحمة عليه، وليس العبد إذا أراد التوبة أو الطاعة يمشي نحو اللّه، ولا اللّه عزّ وجلّ يهرول نحوه، وإنما هذا كلّه على التمثيل، في سرعة قبول اللّه عزّ وجلّ لطاعته.

الأرضِ خَطِيئَةً لَا يُشرِكُ بي شَيْئاً، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ومعنى الحديث: مَنْ تَقَرَّبَ إليَّ بِطاعَتِي «تَقَرَّبْتُ» إِلَيْهِ بِرَحْمَتِي، وَإِنْ زَادَ زِدْتُ، «فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي» وَأَسْرَعَ في طَاعَتِي «أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» أَيْ: صَبَبْتُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ، وَسَبَقْتُهُ بِهَا، وَلَمْ أُحْوِجْهُ إلى المَشْيِ الْكَثِيرِ في الوُصُولِ إلى المَقْصُودِ، «وَقُرَابُ الأرْضِ» بضمِّ القافِ، ومعناه: ما يُقارِبُ مِلأَها، واللَّه أعلم.

٤١٤ ـ وعن جابر رضيَ اللَّهُ عنه، قالَ: «جاءَ أعْرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، ما المُوجِبتَانِ[1]؟ فَقَالَ: مَنْ مَاتَ لَا يُشرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشرِكُ بِهِ شَيْئاً، دَخَلَ النَّارَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤١٥ ـ وعَن أَنَسٍ رضي اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ـ وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ على الرَّحْلِ ـ قال: «يا مُعاذُ قال: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قالَ: يا مُعَاذُ قالَ: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قالَ: يا «مُعاذُ» قالَ: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثلاثاً، قالَ: ما مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إله إلَّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صِدْقاً مِنْ قَلْبِهِ، إلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلى النارِ، قالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا أُخْبِرُ بِها النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قال: إذاً يَتَّكِلُوا، فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّماً»[2] مُتَّفَقٌ عليه. وقوله: «تَأَثُّماً» أيْ: خَوْفاً مِنَ الإِثْمِ، في كَتْمِ هذَا العِلْمِ.

٤١٦ ـ وَعَنْ أَبي هريرةَ ـ أَوْ أَبي سعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضيَ اللَّهُ عَنهما ـ شَكَّ الرَّاوِي، وَلا يَضُرُّ الشَّكُّ في عَيْنِ الصَّحابِيِّ لأنَّهُمْ كُلَّهُمْ عُدُولٌ ـ قال: «لما كانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ، أصاب النَّاسَ مَجَاعَةٌ، فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا[3]، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: افْعَلُوا، فَجاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ، فقالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ إنْ فَعَلْتَ، قَلَّ الظَّهْرُ[4]، وَلكِنِ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ[5]، ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ في ذلِكَ البَرَكَةَ!

---

(١) «ما الموجبتان» كلمةُ التوحيد توجب الجنة، وكلمةُ الشرك توجب النار، وهذا هو المراد بالموجبتين.

(٢) «أخبر بها تأثُّماً» أي أخبر بها عن النبي ﷺ قبل موته، خوفاً من دخوله في الإثم، بكتم العلم.

(٣) «نحرنا نواضحنا» أي الإبل التي تحمل الماء والمتاع.

(٤) «قلَّ الظهر» أي قلَّ المركب، وقلَّت الدوابُّ والإبلُ.

(٥) «بفضل أزوادهم» أي بالزائد الباقي من طعامهم.

فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ فَدَعَا بِنِطْعٍ فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يجيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، ويجيءُ الآخَرُ بِكَفِّ تَمرٍ، ويجيءُ الآخَرُ بِكِسرَةٍ، حتى اجْتَمَعَ عَلى النِّطْعِ مِنْ ذلِكَ شَيءٌ يَسِيرٌ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بالبَرَكَةِ، ثُمَّ قالَ: خُذُوا في أَوعِيَتِكُمْ، فَأَخَذُوا في أَوْعِيَتِهِمْ، حتى ما تَرَكُوا في العَسْكَرِ، وِعاءً إلَّا مَلَؤوهُ، وَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَ فَضْلَةٌ[1]، فقالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إله إلَّا اللَّهُ، وأَنّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهَ بهما عَبْدٌ غَيْرُ شاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤١٧ ـ وَعَنْ عِتْبَانَ بْنِ مالكٍ رضي اللَّه عنه ـ وهو ممَّنْ شَهِدَ بَدْراً ـ قالَ: «كُنتُ أُصَلِّي لِقَوْمِي بَني سالمٍ، وَكَان يَحُولُ[2] بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وادٍ، إذا جاءَتِ الأَمْطَارُ، فَيَشِقُّ عَليَّ اجْتِيَازُهُ قِبَلَ مَسْجِدِهِمْ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ له: إنِّي أَنْكَرْتُ بَصَرِي[3]، وَإِنَّ الوَادِيَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِي يَسِيلُ إذا جَاءَتِ الأَمْطَارُ، فَيَشُقُّ عَليَّ اجْتِيَازُهُ[4]، فَوَدِدْتُ أَنَّكَ تَأْتِي، فَتُصَلِّي في بَيْتِي، مَكاناً أَتَّخِذُهُ مُصَلّىً، فقال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَأَفْعَلُ، فَغَدا عليَّ رَسُولُ اللَّهِ، وأَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنه، بَعْدَما اشْتَدَّ النَّهارُ[5]، وَاستَأْذَنَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حتَّى قالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِن بَيْتِكَ؟» فَأَشَرْتُ لَهُ إلى المَكَانِ الَّذِي أُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ فيهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَبَّرَ، وَصَفَفْنَا وَراءَهُ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمْنَا حِينَ سَلَّمَ، فَحَبَسْتُهُ عَلى خَزيرَةٍ[6] تُصْنَعُ لَهُ، فَسَمِعَ أَهْلُ الدَّارِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ في بَيْتي، فَثَابَ[7] رِجالٌ منهمْ، حَتَّى كَثُرَ الرِّجَالُ في البَيْتِ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا فَعَلَ مَالِكٌ لا أَرَاهُ! فَقَالَ رَجُلٌ: ذلِكَ مُنَافِقٌ، لَا يُحِبُّ اللَّهَ ورَسُولَهُ، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا

---

(١) «وفَضَلَ فضلَةٌ» أي بقي من الطعام شيء لا بأس به، بعد أن ملؤوا جميع ما عندهم من أوعية، ببركة دعاء النبي ﷺ.

(٢) «وكان يحول» أي يحجز ويمنع بيننا الوادي.

(٣) «أنكرتُ بصري» أي ضعف بصري حتى كدتُ أفقده.

(٤) «يشقُّ عليَّ اجتيازه» أي المرور في الوادي وقطعه.

(٥) «اشتدَّ النهار» أي علا وارتفعت شمسُه.

(٦) «خزيرة» قال ابن قتيبة: الخزيرةُ: لحمٌ يُقطع صغاراً، ثم يُطبخ فإذا نَضِجَ ذُرَّ عليه الدقيقُ.

(٧) «فثاب رجال» أي اجتمع رجال من أهل الحيّ.

تَقُلْ ذلِكَ، أَلَا تَرَاهُ[1] قالَ: «لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ» يَبْتَغِي بِذلِكَ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالى؟!. فَقَالَ: اللَّهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ!! أَمَّا نَحْنُ فَوَاللَّه مَا نَرَى وُدَّهُ، وَلَا حَدِيثَهُ إِلَّا إِلى المُنَافِقِينَ! فقالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: فَإِنَّ اللَّه قَدْ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قَال: «لا إله إلا اللَّه» يَبْتَغِي بِذلِكَ وَجْهَ اللَّهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

«الخَزِيرَةُ» بالخاءِ المُعْجَمَةِ، وَالزَّاي: هي دَقِيقٌ يُطْبَخُ بِشَحْمٍ، وقوله: «ثَابَ رِجَالٌ»، أَيْ: جَاؤُوا واجْتَمَعُوا.

٤١٨ ـ وعن عمرَ بْنِ الخطَّابِ رضيَ اللَّهُ عنه، قال: «قَدِمَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْيٍ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ[2] تَسْعَى، إِذْ وَجدتْ صَبِيّاً في السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ، فَأَلْزَقَتْهُ بِبَطْنِهَا، فَأَرْضَعَتْهُ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: أَتُرَوْنَ هذِهِ[3] المَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا في النَّارِ؟ قُلْنَا: لا واللَّهِ. فَقَالَ: اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هذِه بِوَلَدِهَا» متَّفقٌ عليه.

٤١٩ ـ وعن أَبي هريرة رضيَ اللَّهُ عنه، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ في كِتَابٍ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي».

وفي روايةٍ «غَلَبَتْ غَضَبي» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٢٠ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ في الأَرْضِ جُزْءاً واحِداً، فَمِنْ ذلِكَ الجُزْءِ يَتراحَمُ الخَلائِقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَها[4] عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ».

وفي روايةٍ: «إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ والإِنْسِ، وَالبَهَائِمِ وَالهَوامِّ، فَبِهَا يَتَعاطَفُونَ، وبِهَا يَتَراحَمُونَ، وبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تعالى تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بها عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالى خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ،

---

(١) «أَلا تَرَاه» أي ألا تعلم أنه رجل مؤمن يقول: «لا إله إلا اللّه»؟

(٢) «السَّبْيُ» الأسرُ، أي رأت رضيعاً في الأسرى.

(٣) «أتُرَوْن هذه»؟ أي أتظنون هذه المرأة ترمي بولدها في النار؟ والغرضُ من الحديث بيانُ أن رحمة اللّه بعبادِه، أعظم من رحمة هذه الأم بولدها الرضيع، ومهما اشتدت رحمة الأم، فرحمة اللّه أوسع وأعظم.

(٤) «ترفع حافرها» أي ترفع رجلها وقدمها عن ولدها، خشية إيذائه وهو يرضع.

كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إلى الأرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا في الأرْضِ رَحْمَةً، فَبِهَا تَعْطِفُ الوَالِدَةُ عَلى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُها عَلى بَعْضٍ، فَإذَا كانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، أكْمَلَهَا بِهذِهِ الرَّحْمَةِ».

٤٢١ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، عن النبي ﷺ، فِيمَ يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قال: «أذْنَبَ عَبْدٌ ذَنباً، فقالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنبي، فقالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتعالى: أَذْنَبَ عبدي ذَنْباً، فَعَلِمَ أنَّ لَهُ رَبّاً يَغفِرُ الذَّنبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنبِ، ثُمَّ عَادَ فَأذْنَبَ، فقال: أيْ رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فقال تبارك وتعالى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً، فَعَلِمَ أنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنبِ، ثُمَّ عَادَ فَأذْنَبَ، فقال: أي رَبِّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي، فقال: تَبَارَكَ وَتَعَالى: أذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً، فَعَلِمَ أنَّ لَهُ ربّاً يَغْفِرُ الذَّنبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنبِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ»[1] مُتَّفَقٌ عليه.

وقوله تعالى: «فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ» أَي: مَا دَامَ يَفْعَلُ هكَذَا، يُذْنِبُ وَيَتُوبُ أَغْفِرُ لَهُ، فَإنَّ التَّوبَةَ تَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا.

٤٢٢ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّه تعالى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٢٣ ـ وعن أبي أيُّوبَ «خَالِدِ بْنِ زيد» رضي اللَّه عنه، قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «لَوْلَا أنَّكُمْ تُذْنِبُونَ، لَخَلَقَ اللَّهُ خلقاً يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «فَلْيفعل ما شاء» قال العلماء: ليس هذا تحريضاً للناس على الذنوب، بل هو لبيان سعة مغفرة اللّه لجميع الذنوب، فلو كانت ذنوب الإنسان تملأ الأرض، لا ينبغي أن يقنط من رحمة اللّه. ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ قال ابن مالك: هذا الحديث كان لتسلية أصحاب النبي ﷺ، وإزالة شدة الخوف عن صدورهم، لأن الخوف كان غالباً عليهم، حتى فرّ بعضهم إلى رؤوس الجبال للعبادة، وبعضهم اعتزل النساء، وبعضهم هجر النوم، ويؤيده ما جاء في الحديث الآخر «لو لم تُذنبوا لخلق اللّه خلقاً يُذنبون فيستغفرون فيغفر لهم» ومعناه: لو أنكم كنتم كالملائكة لا تذنبون، لجاء بقوم تميلُ نفوسهم إلى الشهوات، يذنبون وتقع منهم المعاصي، فيستغفرون اللّه فيغفر لهم، لأن من أسمائه تعالى «الغفّار» وهذا يستدعي مغفوراً له، أي من يخطئ ويذنب ويتوب فيغفر اللّه له.

٤٢٤ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، قال: «كُنَّا قُعُوداً مَعَ رسول اللّه ﷺ ـ مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، رضي اللّه عنهما في نَفَرٍ ـ فَقَامَ رسول اللّه ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا[١]، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا[٢]، فَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا[٣]، فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رسول اللّه ﷺ، حَتَّى أَتَيتُ حَائِطاً[٤] لِلأَنْصَارِ ـ وذَكَرَ الحَدِيثَ[٥] بطُولِهِ ـ إلى قوله: فقال رسول اللّه ﷺ، اذْهَبْ فَمَنْ لَقِيتَ وَرَاءَ هذا الحَائِطِ، يَشْهَدُ أَنْ لا إله إلّا اللّه، مُسْتَيْقِناً بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٢٥ ـ وعن عبد اللّه بْنِ عَمْرِو بن العاص، رضى اللّه عنهما «أن النبي ﷺ تَلا قَوْلَ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ في إبراهيم[٦] ﷺ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ الآية [إبراهيم: ٣٦]، وقَوْلَ عيسى ﷺ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وقال: اللّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي!! وَبَكَى، فقال اللّه عَزَّ وَجَلَّ: يَا جبريلُ اذْهَبْ إلى مُحَمَّدٍ ـ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ ـ فَسَلْهُ ما يُبْكِيهِ؟

---

(١) «قام من بين أظهرنا» أي قام من بيننا وذهب لحاجة.
(٢) «فأبطأ علينا» أي تأخر عن الرجوع إلينا.
(٣) «ففزعنا» أي خفنا عليه من اليهود، وأن يصاب بمكروه.
(٤) «حائطاً للأنصار» أي بستاناً لرجل من أهل المدينة.
(٥) «وذَكَر الحديث» أي ذكر أبو هريرة تتمة الحديث، وفيه: «فدخلتُ على رسول اللّه ﷺ فقال: ما شأنُكَ؟ قلتُ يا رسول اللّه خشينا عليك ففزعنا، وهؤلاء الناس ورائي، فأعطاني نعليه وقال: اذهبْ بهما فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط، يشهد «أن لا إله إلا اللّه» مستيقناً بها قلبُه، فبشّره بالجنة، فكان أول من لقيتُ عمر، فقال لي ما وراءك؟ فأخبرتُه بما أمرني به رسول اللّه ﷺ، فضرب بين ثدييَّ حتى سقطتُ على استي ـ أي مقعدي ـ وقال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول اللّه ﷺ وأنا أجهش بالبكاء، ولحقني عمر، فقال له ﷺ: ما حملك على ما فعلت يا عمر؟ فقلت يا رسول اللّه: إني أخشى أن يتّكل الناسُ عليها، فخلِّهم يعملون! قال رسول اللّه ﷺ: فخلِّهم» صحيح مسلم ١/ ٦١.
(٦) «تلا قول اللّه في إبراهيم» أي قرأ رسول اللّه ﷺ قول إبراهيم في الأصنام هذه الآية: ﴿ربِّ إنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ﴾ أي إن هذه الأصنام، قد أضلّت كثيراً من الخلق عن الهداية والإيمان، وتلا قول عيسى ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ أي مستحقون للعذاب، ومرادُه: عذابُكَ لهم عدل، ومغفرتك لهم فضل، وبعد تلاوته ﷺ للآيتين بكى شفقة منه على أمته، فأرسل اللّه إليه جبريل، يبشّره بأنه سيرضيه في أمته، ولا يُخزيه، وفي هذا الحديث بيانٌ لكرامة هذه الأمة عند اللّه، وبيان لرفعة شأن هذا النبيِّ الكريم، حيث أعطاه ربه لأمته ما يشتهيه ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ كما أعطاه الشفاعة العظمى، فما أرفعه من قدر؟ وما أكرمه من عطاء وفضل!؟

فَأَتَاهُ جبرِيلُ، فَأَخْبَرَهُ رسولُ اللَّه ﷺ بِمَا قال: وَهُوَ أعْلَمُ، فقال اللَّهُ تعالى: يا جِبريلُ اذهَب إلى مُحَمَّد فَقُل: إنَّا سَنُرضِيكَ في أُمَّتِكَ وَلا نَسُوؤكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٢٦ ـ وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَل رضي اللَّه عنه، قال: «كُنْتُ رِدْفَ النبيِّ ﷺ على حِمار، فقال: يَا مُعَاذ هَل تَدري مَا حَقُّ اللَّه عَلى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلى اللَّه؟ قلت: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!! قال: فإنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلى العِبَاد أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَحَقَّ العِبَادِ عَلى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيئاً، فقلتُ: يا رسولَ اللَّه أَفَلا أُبَشِّرُ[1] النَّاسَ؟ قال: لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٢٧ ـ وعنِ البَرَاءِ بْنِ عازِبٍ رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ قال: «المُسْلِمُ إذَا سُئِلَ في القَبْرِ، يَشْهَدُ أَن لا إله إلَّا اللَّه، وَأَنَّ مَحَمَّداً رسولُ اللَّه، فَذلِكَ قولُه تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[2] [إبراهيم: ٢٧]» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٢٨ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إنَّ الكَافِرَ إذَا عَمِلَ حَسَنَةً، أُطعِمَ بِهَا طُعمَةً مِنَ الدُّنْيَا[3]، وَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَإنَّ اللَّه تعالى يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِه في الآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقَاً في الدُّنْيَا عَلى طَاعَتِهِ».

وفي روايةٍ: «إنَّ اللَّه لا يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا في الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا في الآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ، فَيُطْعِمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ للَّهِ تعالى في الدُّنْيَا، حَتَّى إذَا

---

(١) «أفلا أبشّر» أي ألا أبشّرهم بهذه البشارة السارة؟ قال: لا تبشّرهم لئلا يتركوا العمل، ويتمسّكوا بالأمل.

(٢) هذا الحديث الشريف نصٌّ صريح قاطع، على سؤال الإنسان في القبر، فإنه يمتحن في قبره، ويُسأل عن دينه، ومعتقده، وإيمانه بالرسول ﷺ، كما جاء في صحيح البخاري: «ما كنتَ تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم»؟ يعني به محمداً ﷺ، فالمؤمن يثبّته اللَّه في الحياة الدنيا على كلمة التوحيد «لا إله إلا اللَّه» وفي الآخرة عند سؤال المَلَكَيْن له، فيقول: ربي اللَّه، ويقول: ديني الإسلام، ونبيّ محمد عليه الصلاة والسلام، وقد تأكّد هذا بالآية الكريمة أيضاً.

(٣) «أُطعم بها طُعمةً من الدنيا» أي أُعطي الكافر مقابل عمله الصالح، كعتق رقبة، أو إحسانٍ إلى مسكين، جزاءه في الدنيا، فيكون ذلك حظّه من عمله، حتى لا يبقى له في الآخرة شيء، وأما المؤمن فإن اللَّه يعطيه رزقاً في الدنيا، على عمله الصالح، ويدّخر له ثوابها في الآخرة، ومعنى «يُعقبه» أي يعطيه.

أَفضَى[١] إلى الآخِرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٢٩ ـ وعن جابرٍ رضي اللّه عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهرٍ جَارٍ غَمْرٍ[٢] عَلى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الْغَمْرُ» الْكَثِيرُ.

٤٣٠ ـ وعنِ ابنِ عباسٍ، رضي اللّه عنهما، قال: سمعتُ رسولَ اللّه ﷺ، يقول: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلى جِنَازَتِهِ[٣] أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لا يُشْرِكُونَ باللّهِ شَيْئاً، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللّه فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٣١ ـ وعن ابنِ مسعودٍ رضيَ اللّهُ عنه، قال: «كُنَّا مَعَ رسولِ اللّهِ ﷺ في قُبَّةٍ نَحواً مِنْ أَرْبَعينَ، فقال: أَتَرضَونَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْنَا: نَعَم! قال: أَتَرضَوْنَ أَنْ تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجنةِ؟ قلنا: نَعَمْ، قال: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لأرجو[٤] أن تَكُونُوا نصف أَهْلِ الجَنَّةِ، وَذلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ[٥]، وَمَا أَنْتُم في أَهْلِ الشِّرْكِ، إِلَّا كَالشَّعرةِ البَيْضَاءِ في جلدِ الثَّورِ الأسودِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّودَاءِ في جلدِ الثَّورِ الأَحْمَرِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٣٢ ـ وعن أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه، قال: قال رسولُ اللّه

---

(١) «حتى إذا أفضى» أي إذا صار الكافر إلى الآخرة، لم يكن له حسنة عند اللّه يجزى عليها.

(٢) مثلٌ رائع بديع يصوِّره لنا الرسول ﷺ للصلوات الخمس التي يصلِّيها المؤمن، فقد شبّهها في تطهيرها الإنسان من دَنَس المعاصي والآثام، بشخص يمرُّ من أمام داره نهر عذبٌ كثيرُ الماء، يغتسل منه كل يوم خمس مرات، فهل يبقى على جَسَده شيء من الدَّرن والوسخ؟ كذلك الصلوات الخمس، يمحو اللّهُ بها الذنوبَ والآثام، وقوله: «على باب أحدكم» إشارة إلى سهولة الماء، وقرب تناوله دون عناء.

(٣) «يقوم على جنازته» أي يصلِّي عليه أربعون مسلماً لا يشركون باللّه، إلّا غفر اللّه له بشفاعتهم، ومن شروط هؤلاء الشفعاء، ألا يكون فيهم منافق أو فاجر فاسق.

(٤) «إني لأرجو» كلُّ رجاء جاء في القرآن أو السُّنَّة، فهو على التحقيق، كقوله سبحانه: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ أي سيبعثك اللّه، وإنما يُؤتى به بصيغة الرجاء على عادة الملوك يقولون: عسى تُعطى، وهم جازمون، وجاء في حديث آخر «أهلُ الجنة مائة وعشرون صفاً، أمتي منها ثمانون صفاً» رواه الترمذي وأحمد، فتكون أمة محمد ثلثا أهل الجنة، والثلث الباقي من سائر الأمم.

(٥) «لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمة» هذا نصٌّ قاطع على أن من مات على الكفر لا يدخل الجنة أصلاً، ويؤيده قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ ومَأْواهُ النَّارُ﴾.

ﷺ: «إذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، دَفَعَ اللَّهُ إلى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً فَيقُولُ: هذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ»[1].

وفي روايةٍ عنهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الـمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الجِبَالِ يَغْفِرُهَا اللَّه لَهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله: «هذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ» مَعْنَاهُ مَا جَاءَ في حديث أبي هريرة، رضي اللَّه عنهُ: «لِكُلِّ أَحَدٍ مَنزِلٌ في الجَنَّةِ، وَمَنزِلٌ في النَّارِ» فالمُؤْمِنُ إذَا دَخَلَ الجَنَّةَ خَلَفَهُ الكَافِرُ في النَّارِ، لأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِذَلِك بِكُفْرِهِ.

وَمَعنى «فِكَاكُكَ»: أَنَّكَ كُنْتَ مُعَرَّضاً لِدُخُولِ النَّارِ، وَهذَا فِكَاكُكَ، لأَنَّ اللَّه تعالى قَدَّر لِلنَّارِ عَدداً يَمْلَؤُهَا، فَإِذَا دَخَلَهَا الكُفَّارُ بِذُنُوبِهِمْ وكُفْرِهِمْ، صَارُوا في مَعْنى الفِكَاكِ لِلْمُسْلِمِينَ، واللَّه أعلم.

٤٣٣ ـ وعن ابن عمرَ رضيَ اللَّه عنهما قال: سمِعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «يُدْنَى المُؤْمِنُ يَومَ القِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ، حتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ[2] عَلَيْهِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ[3]، فيقولُ: أَتعرفُ ذَنبَ كَذَا؟ أَتعرفُ ذَنبَ كَذَا؟ فيقول: رَبِّ أَعْرِفُ، قال: فَإِنِّي قَد سَتَرتُهَا عَلَيكَ في الدُّنيا، وَأَنَا أَغْفِرُها لَكَ اليَومَ، فيُعطَى صحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ» مُتَّفَقٌ عليه. «كَنَفُهُ»: سَتْرُهُ وَرَحْمَتُهُ.

٤٣٤ ـ وعن ابنِ مسعودٍ رضي اللَّه عنه، «أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِن امْرَأَةٍ قُبْلَةً[4]، فَأَتَى النَّبيَّ ﷺ، فأخبره، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هود: ١١٤]. فقال الرجل: أَلِي هذا يا رسول اللَّه؟ قال: لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «هذا فَكَاكُ من النار» أي خلاصُك وفداؤك.

(٢) «يضع عليه كَنَفَه» أي يُقرِّب المؤمن يوم القيامة من ربه، حتى يضع تعالى عليه ستره ورحمتَه.

(٣) «يقرِّره بذنوبه» أي يعرِّفه بذنوبه فيعترف بها، فيقول له سبحانه: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، وهذا هو الحساب اليسير، الذي أشارت إليه الآية ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾ ويُسَمَّى «العَرْض» أما من نُوقش الحساب عُذِّب.

(٤) «أصاب قُبلة» أي قبَّل امرأة ثم ندم فجاء إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: «أصبتُ حداً فأقمه عليَّ» أي فطهِّرني منه، ومراده بالحدِّ هنا: الذنبُ الذي يوجب التعزير، وقد توضَّح أنه تقبيل المرأة الأجنبية، وفيه نزلت الآية ﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ وليس هو الزنى، أو القذف، أو شرب الخمر، فافهم ذلك واللَّه يرعاك.

٤٣٥ ـ وعن أَنَسٍ رضي اللّه عنه، قال: «جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللّهِ أَصَبْتُ حدّاً، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، وَحَضَرَتِ الصَّلاةُ، فَصَلَّى مَعَ رسول اللّه ﷺ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاةَ قال: يا رسول اللّهِ إنّي أَصَبْتُ حدّاً، فأَقِمْ فيَّ كِتَابَ اللّهِ!! قال: هَلْ حَضَرْتَ مَعَنَا الصَّلاةَ؟ قال: نَعم، قال: قد غُفِرَ لَكَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وقوله: «أَصَبْتُ حَدّاً» معناه: مَعْصِيَةٌ تُوجِبُ التَّعْزِير، وَليسَ المُرَادُ الحَدَّ الشَّرْعِيَّ الحَقيقِيَّ، كَحَدِّ الزِّنَا والخمر وَغَيْرِهمَا، فإنَّ هذِهِ الحُدودَ لا تَسْقُطُ بالصلاةِ، ولا يجوزُ لِلإِمَامِ تَرْكُهَا.

٤٣٦ ـ وعنه رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إنَّ اللّه لَيَرْضَى عن الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأكلَةَ، فَيَحْمَدَهُ عليها، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيها» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الأَكْلَةُ» المرةُ الواحدةُ مِنَ الأَكْلِ، كَالْغَدْوَةِ والْعَشْوَةِ، واللّه أعلم.

٤٣٧ ـ وعن أبي موسى رضي اللّه عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ اللّه تعالى يَبْسُطُ يَدَهُ باللّيلِ[1]، لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهارِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حتى تطْلُعَ الشمسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٣٨ ـ وعن أبي نَجيح «عَمرو بن عَبَسَةَ» السَّلَمِيِّ رضيَ اللّهُ عنه، قال: «كنتُ وَأَنَا في الجَاهِلِيَّةِ، أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلى ضَلَالَةٍ[2]، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا على شيءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَاراً، فَقَعَدْتُ عَلى راحِلَتي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فإذا رسول اللّه ﷺ مُسْتَخْفِياً، جُرَآءُ عليهِ قَوْمُهُ[3]، فَتَلَطَّفْتُ[4] حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّة، فقلتُ له: ما أَنْتَ؟ قال: أَنَا نَبِيٌّ، قلتُ:

---

(١) «يبسط يده بالليل» بسطُ اليد: كنايةٌ عن قبول التوبة، وإنما ورد لفظ بسط اليد، لأن العرب إذا رضيَ أحدهم الشيء، بسطَ يده لقبوله، وإذا كرهه قبضها عنه، فخوطبوا بما يفهمونه، ومعنى الحديث أنه تعالى يقبل توبة العبد ليلاً ونهاراً، حتى تطلع الشمس من مغربها، فلا تُقبل التوبةُ.

(٢) «أظن الناس على ضلالة» أي أعتقد أنهم على ضلالة، لأنهم يعبدون حجارة لا تسمع ولا تنفع، ولهذا قال «وهم يعبدون الأوثان».

(٣) «جُرَءاءُ عليه قومه» أي قومُه سفهاء متسلِّطون عليه، يهزءون منه ويسخرون، ويؤذونه بأنواع الأذى.

(٤) «فتلطفت» أي ترفَّقتُ في الأمر حتى أدخل عليه.

وما نبيٌّ؟ قال: أَرسَلَني اللَّهُ، قلت: وبأَيِّ شَيْءٍ أَرسَلَكَ؟ قال: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ، قلت لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلى هذَا؟ قال: حُرٌّ، وَعَبْدٌ، قال: ومَعَهُ يَوْمَئِذٍ أبو بكرٍ، وبِلالٌ رضيَ اللَّه عنهما، مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فقُلْتُ: إنِّي مُتَّبِعُكَ، قال: إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ ذلِكَ يَوْمَكَ هذَا، أَلا تَرَى حَالي وحالَ النَّاسِ؟ وَلكِن ارْجِعْ إلى أَهْلِكَ فَإذَا سَمِعْتَ بي قد ظَهَرْتُ فَأْتِنِي، قال: فَذَهَبْتُ إلى أهلي، وَقَدِمَ رسول اللَّه ﷺ المَدِينَةَ، وكنتُ في أَهْلِي، فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الأَخْبَارَ[١]، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حينَ قَدِمَ المدينَةَ حتَّى قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلي المدينَةَ، فقلتُ: مَا فَعَلَ هذَا الرَّجُلُ الذي قَدِمَ المدينَةَ؟ فقالوا: النَّاسُ إليهِ سِرَاعٌ[٢]، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذلِكَ، فَقَدِمْتُ المَدِينَةَ، فَدَخَلتُ عليهِ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّه أَتَعْرِفُني؟ قال: نَعم أنتَ الذي لَقِيتَني بِمكَّة، قال: فقلتُ: يا رسولَ اللَّه أَخْبِرْني عمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ، أخبِرْني عَنِ الصَّلاةِ؟ قال: صَلِّ صَلاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ قَيْدَ رُمْحٍ، فَإنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَي شَيْطَان[٣]، وَحِينَئِذٍ يَسْجُد لَهَا الكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ، فَإنَّ الصَّلاةَ مشهودةٌ مَحْضورَةٌ حتى يستَقِلَّ الظِّلُّ بالرُّمحِ، ثُمَّ اقْصُر عن الصَّلاةِ[٤]، فإنه حينئذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ[٥]، فإذا أقبلَ الفَيءُ فصَلِّ، فإنَّ الصَّلاةَ مَشهودةٌ مَحضورة[٦]، حتى تُصَلِّيَ العَصْرَ، ثم اقصُر عن الصلاةِ حتى تَغْرُبَ الشمسُ فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، قال: فقُلْتُ: يا نَبِيَّ اللَّه، فالوضوءُ حدّثني عنه؟ فقال: ما مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ، فَيَتَمَضْمَضُ، وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ، إلَّا خَرَّتْ خطايَا وجههِ، وفيهِ[٧]،

---

(١) «أتخبَّر الأخبار» أي أتكلَّف السؤالَ عن أخبار محمد ﷺ وأسأل كلَّ قادم من أرض الحجاز.

(٢) «الناسُ إليه سِرَاع» أي مسرعون للدخول في دينه.

(٣) «بين قرنَي شيطان» أي تكون الشمس بين ناحيتَي رأسه يظهر معها عند ظهورها، فالساجدون لها من الكفار، كالساجدين له في الصورة، فلذلك كُرهت الصلاة.

(٤) «ثم اقصر عن الصلاة» أي كفَّ عن الصلاة فلا تصلِّ.

(٥) «تُسجر جهنم» أي تُسعَّر وتلتهب بالوقود.

(٦) «فإن الصلاة مشهودة محضورة» أي تحضرها الملائكةُ، فهي أقرب إلى القبول، وتشهدها وتكتبها لمن صلَّاها.

(٧) «خطايا وجهه وفيه وخياشيمه» أي ذنوب وجهه، وفمه، وأنفه.

وخَياشيمِهِ، ثم إذا غَسَلَ وجهَهُ كما أَمَرَهُ اللَّهُ، إلَّا خَرَّت خطايا وجهِهِ، مِنْ أطرافِ لِحْيَتِهِ مع الماءِ، ثم يغسِلِ يَدَيْهِ إلى المِرْفَقَين، إلَّا خرَّت خطايا يديه من أنامِلِهِ مع الماءِ، ثم يَمسحُ رَأسَهُ، إلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأسِهِ من أطرافِ شَعْرِهِ مع الماء، ثم يَغسِلِ قَدَمَيْهِ إلى الكَعْبَيْنِ، إلَّا خَرَّتْ خطايا رِجْلَيهِ من أنامِلِهِ مع الماء، فإن هو قامَ فصلَّى، فحمِدَ اللَّه تعالى، وأثْنَى عليهِ ومَجَّدَهُ، بالذي هو له أَهلٌ، وفرَّغَ قلبه للَّهِ تعالى، إلَّا انصَرَفَ من خطيئتِهِ كَهَيْئَتِهِ يومَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

فحدّثَ «عَمْرُو بن عَبَسَةَ» بهذَا الحديثِ أبَا أمامَة صاحِبَ رسولِ اللَّه، فقال له أبو أُمَامَة: يا عَمْرُو بن عَبَسَةَ، انظُر ما تقولُ؟ في مقامٍ واحِدٍ يعطى هذَا الرَّجُلُ[1]؟ فقال عَمْروٌ: يا أبا أمامَةَ لَقَدْ كبرَتْ سِني، ورَقَّ عظْمِي، واقْتَرَبَ أَجَلِي، وما بيَ حَاجَةٌ أنْ أَكذِبَ على اللَّه تعالى، ولا على رسول اللَّه ﷺ، لو لم أَسْمَعْهُ مِن رسول اللَّه ﷺ، إلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أو ثلاثاً، حتَّى عَدَّ سبعَ مَرَّاتٍ، ما حَدَّثْتُ أبداً بِهِ، ولكنّي سَمِعْتُهُ أَكثر من ذلك. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله: «جُرَآءُ عليهِ قومُهُ» على وزنِ عُلماءَ، أَي: جاسِرُونَ مُستطِيلونَ، غيرُ هائِبينَ، «بين قَرْنَيْ شيطان» أي: ناحيَتَيْ رأسه، وهذا على التمثيل.

٤٣٩ ــ وعن أبي موسى الأشعَري رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا أَرادَ اللَّهُ تعالى رحمةَ أُمَّةٍ، قَبضَ نَبيَّهَا قبلَها، فجعَلَهُ لها فَرَطاً وسَلَفاً[2] بين يَدَيها، وإذا أراد هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عذَّبها ونبيُّهَا حَيٌّ، فَأَهْلَكَهَا وهوَ حَيٌّ ينظُرُ، فَأَقَرَّ عينَهُ[3] بِهلاكِهَا، حين كذَّبوهُ وَعصَوا أَمْرَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «في مقام واحد يُعطى هذا»؟ أي تثبَّتْ من هذا القول على رسول اللَّه ﷺ؟ هل يُنالُ كلُّ هذا الأجر على أمر يسير كالوضوء، وتُغفر له جميع ذنوبه؟ ويرجع كيوم ولدته أمه؟

(٢) «فَرَطاً وسَلَفاً» الفارط: الذي يتقدَّم المسافرين ليدلهم على الماء، أي يكون النبيُّ متقدماً على أمته ليدلهم على طريق الجنة، ويكون لهم قدوة يقتدون به، وفي الدعاء المشهور «جعَلَكَ اللَّه خير خَلَفٍ لخير سَلَفٍ».

(٣) «فأقرَّ عينه بهلاكها» أي جعله مسروراً مرتاح القلب، لهلاك قومه، لتكذيبهم له وسخريتهم منه.

بابٌ في فضل الرّجاء

قال اللّه تعالى إخباراً عن العبدِ الصَّالحِ[١]: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ [غافر: ٤٤ ـ ٤٥].

٤٤٠ ـ وعن أبي هريرة رضيَ اللّه عنه، عن رسولِ اللّهِ ﷺ أنَّهُ قال: «قال اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُني ـ واللّهِ للّهُ أفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجدُ ضَالَّتَهُ بالْفَلاةِ[٢] ـ وَمَنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ شِبْرَاً، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذراعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعاً، تَقَرَّبْتُ إليه بَاعاً، وإذا أقبَلَ إلَيَّ يَمْشِي، أَقْبَلْتُ إلَيهِ أُهَرْوِلُ» مُتَّفَقٌ عليه.

وهذا لفظ إحدى روايات مسلم، وتقدَّم شرحُهُ في الباب قبله.

وروي في الصحيحين: «وأنا معه حينَ يَذْكُرُني» بالنون، وفي الرواية السابقة «حَيْثُ» بالثاء، وكلاهما صحيح.

٤٤١ ـ وعن جابرِ بْنِ عبدِ اللّهِ رضيَ اللّهُ عنهما، أنَّهُ سمعَ النَّبيَّ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بثلاثةِ أيَّام يقولُ: «لَا يموتَنَّ أحدُكُم إلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ باللّهِ عزَّ وجَلَّ»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٤٢ ـ وعن أنسٍ رضي اللّه عنه قال: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «قال اللّه تعالى: يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلى مَا كَانَ مِنكَ وَلا أُبَالي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السماءِ، ثم

---

(١) «إخباراً عن العبد الصالح» هو مؤمن آل فرعون، الذي ذكره تعالى بقوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمانَهُ﴾ نصح قومَه وذكَّرهم وخوَّفهم من عذاب اللّه، فلمَّا لم يستجيبوا له قال لهم: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وأُفَوِّضُ أَمْري إلَى اللّه﴾ أي ستذكرون نصيحتي إذا نزل بكم العذابُ، وأسلّم أمري إلى اللّه وأتوكل عليه، فوقاه اللّه من شرّهم.

(٢) «ضالته بالفلاة» أي دابته الضائعة التي عليها طعامه وشرابه.

(٣) «وهو يحسنُ الظن باللّه» هذا حث على الرجاء، وتحذير من اليأسِ من رحمة اللّه، أي لا يمتْ أحدكم إلا وهو واثقٌ من رحمة اللّه وعفوه، وهذا إذا دَنَتْ أماراتُ الموت، يغلّبُ الرجاءَ على الخوف، وممَّا يُروى عن الإمام الشافعي رحمه اللّه أنه قال:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبي، وضاقَتْ مَذاهِبي ... جَعَلْتُ الرجَا مِنّي لِعَفوك سُلَّما
تَعَاظَمَني ذَنْبي، فلمَّا قرنْتُه ... بعفوكَ ربّي كانَ عَفوُكَ أعْظَما

اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرتُ لَكَ ولا أُبالي، يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خطايا[1]، ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بي شَيْئاً، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[2]، وقال حديث حسن.

«عَنَانُ السَّماءِ» بفتح العين، مَا عَنَّ لَك منها، أَي: ظَهَرَ إذَا رَفَعْتَ رَأسَكَ، وقيلَ: هو السَّحَابُ. و «قُرَابُ الأرض» بضم القاف، هو: ما يُقارِبُ مِلأَهَا، والله أعلم.

٭ ٭ ٭

بابٌ في الجمع بَيْنَ الخوف والرّجاء

اعْلَمْ أَنَّ المُخْتَارَ لِلعَبْدِ في حَالِ صِحَّتِهِ أَنْ يَكُونَ خَائِفَاً راجياً، وَيكونَ خوفُهُ ورجاؤه سواءً، وفي حالِ المَرَضِ يَتَمَحَّضُ[3] الرَّجَاءَ، وقواعِدُ الشَّرْعِ مِنْ نُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَغَيْرِ ذلِكَ مُتَظَاهِرَةٌ على ذلك.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[4] [الأعراف: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[5] [يوسف: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ (١٤)﴾ [الانفطار: ١٣ ـ ١٤].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ (٦) فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ (٨) فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ (٩)﴾[6] [القارعة: ٦ ـ ٩].

---

(١) «بقُرَابِ الأرض خطايا» أي ما يقارب ملأ الأرض من الخطايا.

(٢) ورد في حديث عن النبي ﷺ أنه قال: «أمر اللهُ بعبد إلى النار، فلما وقف على شفيرها ـ أي طرفها ـ التفت، وقال: أمَا واللهِ يا ربِّ إن كان ظنّي بك لحسنٌ!! فقال الله: ردُوه، أنا عند ظنِّ عبدي بي» رواه البيهقي، والسيوطي في البدور السافرة.

(٣) «يتمحّض الرجاء» أي يُخلص الرجاء، ويُحسن الظنَّ بالله.

(٤) ﴿مَكْرَ اللَّهِ﴾ مكرُ الله: استعارة لاستدراج العبد، وأخذه من حيث لا يشعر كما قال سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(٥) ﴿لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ أي لا يقنط من رحمته وعفوه إلا الكافر.

(٦) ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ أي فمسكنُه ومستقرُه في نار جهنم، والهاوية من أسماء النار، سمَّاها أماً لأنه يأوي إليها كما يأوي إلى أمه، ويهوي فيها إلى أسفل سافلين، فهي هاوية.

والآيات في هذا المعنى كثيرة. فَيَجْتَمِعُ الخوف والرجاء في آيتين مقترنتين أو آيات أو آية.

٤٤٣ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّهُ عنه، أنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ قال: «لَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ ما عِنْدَ اللَّهِ مِنَ العُقُوبَةِ، ما طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٤٤ ـ وعن أبي سَعيدٍ الخدريِّ رضي اللَّهُ عنه، أنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ قال: «إذا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ واحْتَمَلَهَا النَّاسُ أو الرجالُ عَلى أَعْنَاقِهِمْ، فإنْ كانَتْ صالِحَةً قالَتْ: قَدِّمُوني، قَدِّمُوني[١]، وَإنْ كانَتْ غَيْرَ صالِحَةٍ، قالَتْ: يا وَيْلَها! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إلَّا الإنْسانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ»[٢] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٤٤٥ ـ وعن ابنِ مسعودٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذلِكَ»[٣] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في فضل البكاء من خشية اللّه تعالى وشوقاً إليه

قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦٠].

٤٤٦ ـ وعَن ابن مَسعودٍ رضيَ اللَّهُ عنه، قالَ: قال لي النبيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عليَّ القُرْآنَ» قلتُ: يا رسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قالَ: «إني أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْري» فقرَأْتُ عليه سورَةَ النِّسَاءِ، حتى جِئْتُ إلى هذِهِ الآيَةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[٤] [النساء: ٤١].

---

(١) «قدِّموني قدِّموني» تقول ذلك شوقاً إلى ما أعدَّه اللَّه لها من نعيم القبر ونضارته، فالقبر إمَّا روضة، وإمَّا جحيم.

(٢) «ولو سمعه صعق» أي مات لشدة الصوت، وشدَّة الهول والعذاب الذي يراه.

(٣) معنى الحديث: أن تحصيل الجنة يكون بالشيء اليسير، وهو الإيمان والطاعة، والنار كذلك بموافقة الهوى، وفعل المعصية.

(٤) دخل ابن مسعود على رسول اللَّه ﷺ فجلس بين يديه، فقال له الرسول ﷺ: اقرأ عليَّ القرآن!! تعجَّب ابن مسعود فقال: كيف أقرأ أمامك، وعليك أُنزل هذا القرآن؟ فلمَّا أكَّد =

قال: حَسْبُكَ الآنَ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٤٧ ـ وعن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنه، قالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً ما سَمِعْتُ مِثْلَها قَطُّ، فقالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كثيراً، قال: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجُوهَهُمْ ولهُمْ خَنِينٌ» مُتَّفَقٌ عليه، وَسَبَقَ بَيَانُهُ في بابِ الخَوْفِ.

٤٤٨ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّهُ عنه، قالَ: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ[١]، وَلا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَدُخَانُ جَهَنَّمَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٤٤٩ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إمامٌ عادِلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّهِ تَعالى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا في اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينه، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّه خالِياً فَفاضَتْ عَيْنَاهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٥٠ ـ وعَن عبدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رضيَ اللَّهُ عنه، قال: «أَتَيْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، ولجَوْفِهِ أَزيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ[٢] مِنَ البُكاءِ» حديث صحيح رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمذي في «الشَّمائِلِ» بإسنادٍ صحيحٍ.

٤٥١ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّهُ عنه، قالَ: قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ لأُبَيِّ بن

= عليه الرسول ﷺ القراءة، قرأ عليه سورة النساء من أولها، حتى وصل إلى هذه الآية: ﴿**وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ أي الأشخاص المعادين لك من كفار قريش، قال له: يكفيك الآن، فإذا بالدموع تنهمر من عينَيْ رسول اللّه ﷺ من شفقته على الناس.

(١) «حتى يعود اللبن في الضرع» أي لا يدخل المؤمن الصادق الذي يبكي من خشية اللّه نار جهنم، إلا إذا عاد الحليب إلى ضرع الشاة، وذلك مستحيل في العادة، ففيه نوع من التمثيل لاستحالة عودته، كما أن الكافر لا يدخل الجنة ﴿**وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**﴾. أي يدخل في ثقب الإبرة، وهذا مستحيل أيضاً.

(٢) «أزيز كأزيز المرجل» أي يُسمع لصدره صوتُ البكاء كصوت القدر حين يغلي ويفور لكمال خشيته وخوفه ﷺ من ربه.

كَعْبٍ، رضي اللَّهُ عنهُ: «إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَمَرَني أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة: ١] قالَ: وَسَمَّاني؟ قالَ: نَعَمْ فَبَكى أُبَيٌّ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي».

٤٥٢ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «قالَ أبو بَكْرٍ لعمرَ، رضيَ اللَّهُ عنهما ـ بعدَ وفاةِ رسُولِ اللَّهِ ﷺ ـ انْطَلِقْ بِنَا إلى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا، كما كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالا لها: ما يُبْكِيكِ؟ أَمَا تَعْلمينَ أَنَّ ما عِنْدَ اللَّهِ تَعالى خَيْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ! قالَتْ: ما أبكي أن لا أكون أَعْلَمُ أَنَّ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ولكِنِّي أَبْكِي أَنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّماءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلى البُكاءِ، فَجَعَلا يَبْكِيانِ مَعَها» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وقد سبق في باب زيارَةِ أهل الخير.

٤٥٣ ـ وعن ابنِ عمَر رضيَ اللَّهُ عنهما قال: «لمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعُهُ، قيلَ لَهُ في الصَّلاةِ، فقال: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ، فقالتْ عائشةُ، رضيَ اللَّهُ عنها: إنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقيقٌ[(١)]، إذا قَرَأَ القُرآنَ غَلَبَهُ البُكاءُ، فقالَ: مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ».

وفي روايةٍ: عن عائشَةَ رضيَ اللَّهُ عنها، قالَتْ: «قلتُ: إنَّ أَبَا بَكْرٍ إذا قامَ مَقَامَكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٥٤ ـ وعن إبراهيمَ بْنِ عبدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عوْفٍ أَنَّ «عبدَ الرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ» رَضِيَ اللَّهُ عنهُ «أُتِيَ بِطَعام وكانَ صَائِمَاً، فقالَ: قُتِلَ «مُصْعَبُ بنُ عُمَيرٍ» رضيَ اللَّهُ عنه، وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ ما يُكَفَّنُ فيهِ إلَّا بُرْدَةٌ[(٢)] إنْ غُطِّيَ بها رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاهُ، وإنْ غُطِّيَ بها رِجْلاهُ، بَدَا رأسُهُ، ثُم بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيا ما بُسِطَ ـ أَوْ قالَ: أُعْطِينا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا ـ قَدْ خَشِينَا أنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنا[(٣)]، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكي حتَّى تَرَكَ الطَّعامَ» رَواهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «رجل رقيق» أي رقيق القلب، كثير البكاء، وفي هذا الحديث إشارة إلى أفضليّة أبي بكر في الخلافة، حيث أمر الرسول ﷺ أن يكون أبو بكر الإمام لهم في الصلاة، ولهذا لمّا اختلف الصحابة فيمن يكون خليفة بعد رسول اللَّه ﷺ، قال النُّبهاء منهم «رَضِيَهُ لدينا أفلا نرضاه لدنيانا»؟

(٢) «لم يوجد له إلّا بردةٌ» كساءٌ أسود مربع تلبسه الأعراب.

(٣) «حسناتُنا عُجِّلتْ لنا» أي عُجِّل لنا جزاء أعمالنا الصالحة في الدنيا فلا نقدم على جزاءٍ مدَّخر، وجعل يبكي حتى ترك الطعام وكان صائماً، خوفاً من أن يكون صفر اليدين في الآخرة.

٤٥٥ ـ وعن أبي أُمامة «صُدَيّ بْنِ عجلانَ الباهليّ» رضيَ اللّه عنه، عن النبيّ ﷺ قال: «لَيْسَ شيءٌ أَحَبَّ إلى اللّهِ تعالى من قَطْرَتَينِ[1] وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةُ دُمُوعٍ من خَشْيَةِ اللّهِ، وَقَطرَةُ دَمٍ تُهرَاقُ في سَبيلِ اللّه، وَأَمَّا الأثرَانِ: فَأَثَرٌ في سَبِيلِ اللّهِ تعالى، وأَثَرٌ في فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللّهِ تعالى» رَوَاهُ التّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

وفي الباب أحاديثُ كثيرةٌ، منها حديث «العِرْباضِ بْنِ ساريةَ» رضي اللّه عنه، قال: «وَعَظَنَا رسولُ اللّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنها القُلُوبُ، وَذَرِفت مِنْهَا العُيُونُ» وقد سبق في باب النهي عن البدع.

❁ ❁ ❁

بابٌ في فضلِ الزّهد في الدّنيا والحث على التقلّل منها، وفضل الفقر

قال اللّهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ[2] وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٥ ـ ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ

(١) «أحب إليه من قطرتين» يريد بهما قطرة دموع يبكيها الإنسان من خشية اللّه، وقطرة دم تسيل في جهاد الكفار أعداء اللّه، وأما الأثران: فأثر المشي في سبيل اللّه، وأثر الوضوء والصوم والصلاة للّه عزّ وجلّ، بحيث يظهر على جسده النحول والضعف.

(٢) ﴿زُخرُفَها وازَّيَّنَتْ﴾ الزخرفُ: الذهبُ، شبّه الدنيا بعروسٍ تزيّنتْ بأبهى أنواع الزينة، من التحلّي بالذهب والحرير، ولبس الثياب الزاهية المتلونة ألواناً، وهكذا مثل الدنيا تملأ الأعين برونقها، وتسبي الأنظار ببهجتها، ثم يزول هذا الرونق، ويذهب ذلك الجمال، فتعود كالأرض الجرداء المحصودة، بعد أن كانت خضراء زاهية فاتنة.

وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥]. وقال تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ ﴾ [التكاثر: ١ ـ ٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ[(١)] لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

والآيات في الباب كثيرة مشهورة.

وأمَّا الأحاديثُ فأكثرُ مِنْ أنْ تُحْصَرَ فننبِّهُ بِطَرَفٍ مِنْهَا على ما سواهُ.

٤٥٦ ـ عن عمرِو بْنِ عوفٍ الأنصاريِّ رضيَ اللَّهُ عنه «أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ «أبا عُبيدةَ بنَ الجرَّاحِ» رضيَ اللَّه عنه، إلى البَحْرَينِ يأْتِي بِجِزْيَتِهَا[(٢)]، فَقَدِمَ بِمَالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ[(٣)]، فَسَمِعَتِ الأنصارُ بِقُدوم أبي عُبَيْدَةَ، فَوافَوْا صَلَاةَ الفَجْرِ[(٤)] مَعَ رسول اللَّه ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رسول اللَّه، انصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رسول

---

(١) «لهي الحيوان» تمثيلٌ لحقارة الدنيا وأنها كلعب الأطفال، يغترُّ بها الغافل الجاهل، وأن الدار الحقيقية «دار السعادة والأمان» هي دار الآخرة، فهي دار الحبور والسرور، وهي الجديرة بأن تسمى دار الحياة التي لا ينغِّصها ألم ولا كدر، و«الحيوان» مصدر بمعنى الحياة، أي الحياة الكريمة الهنيئة، والغرضُ من الآيات، بيانُ حقارة الدنيا وفنائها وزوالها حتى لا يغترَّ الإنسان، وما أبدع قول الشاعر:

لا تَنْظُرَنَّ إلى قُصُورٍ عَامِرة ... وانظُرْ عظامَكَ حين تصبحُ نَاخرة

وإذا ذَكَرْتَ زخارفَ الدنيا فقل ... لَبَّيْكَ إن العَيْشَ عيشُ الآخرة

(٢) «يأتي بجزيتها» أي جزية أهلها، وكان غالب أهلها مجوساً.

(٣) «فقدم بمالٍ» كان قدرُ المال مائة ألف درهم، وهو أول خراج حُمل للنبي ﷺ، وقدم به أبو عبيدة إلى المدينة المنورة.

(٤) «فوافوا صلاة الفجر» أي التقوا برسول اللَّه ﷺ في صلاة الفجر.

اللَّه ﷺ حينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قال: أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟ فقالوا: أَجَل يا رسول اللَّه، فقال: أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا ما يَسُرُّكُمْ[١]، فواللَّه ما الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، ولكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا[٢] كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٥٧ ـ وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضيَ اللَّهُ عنه، قالَ: جَلَسَ رسول اللَّه ﷺ عَلى المِنبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فقال: «إنَّ ممّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وزِينَتِهَا»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

٤٥٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإنَّ اللَّهَ تَعالى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٥٩ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٦٠ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاثَةٌ: أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَعَمَلُهُ: فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «أبشروا وأمّلوا» أي اطمئنوا فستنالون مرادكم، هذا المال ليس لي وسأقسمه بينكم، فواللَّه إني لا أخاف عليكم من الفقر، وإنما أخاف عليكم من الغنى المطغي، الذي أهلك الأمم قبلكم، فالفقر يصنع الرجال، والثراء يطغي النفوس ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾.

(٢) «فتنافسوها» التنافسُ: التسابق، وهو أول درجات الحسد.

(٣) «زهرة الدنيا» زينتها وبهجتها، وما يكون فيها من فتنة وإغراء، وإنما خشي النبي ﷺ على أمته من زهرة الدنيا، لأنها تشغلهم عن الواجب الأساسي وهو «الدعوة إلى اللَّه» والخروج لنشر الإسلام، فقد كان أصحاب النبي ﷺ فقراء وفتحوا الدنيا، والمسلمون اليوم أغنياء وأضاعوا فلسطين، وما تركت أمة الجهاد في سبيل اللَّه إلّا ذلت.

(٤) «ويبقى عمله» لا يبقى مع الإنسان في القبر إلا عملُه، أمّا الأهل والأولاد، فإنهم يرجعون بعد دفنه، والمال كذلك، والذي يؤنس الإنسان ويكون رفيقاً له هو عمله ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ اللهم وفقنا لطاعتك ومرضاتك.

٤٦١ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً[١]، ثُمَّ يُقَالُ: يا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعيمٌ قَطُّ[٢]؟ فَيَقُولُ: لا واللَّهِ يا رَبِّ؟! ويُؤْتَى بأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْساً قطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيقولُ: لا وَاللَّهِ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٦٢ ـ وعن الْمُسْتَوْرِد بن شَدَّادٍ رَضِيَ اللَّه عنه، قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ، إلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجعُ؟»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٦٣ ـ وعن جابرٍ رضِيَ اللَّهُ عنهُ «أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ[٤]، فَتَنَاوَلَهُ، فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قال: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ هَذَا لَهُ بِدِرْهمٍ؟» فقالو: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ ثم قال: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيّاً كانَ عَيْباً أَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وهو مَيِّتٌ؟ فقال: فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلى اللَّهِ مِنْ هذا عَلَيْكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله «كَنَفَتَيْهِ» أَيْ: عن جانبيه. و «الأَسَكّ» الصغير الأُذُن.

٤٦٤ ـ وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّه عنه، قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبيِّ ﷺ في

---

(١) «فيُصبَغُ في النار صبْغَةً» أي يُغمس غمسة صغيرة في النار، ثم يُخرج منها.

(٢) «هل رأيت خيراً أو نعيماً»؟ أي يُقال للكافر على سبيل الإهانة والإذلال: هلْ رأيتَ شيئاً من الخير؟ وهل مرَّ بك شيء من النعيم؟ فيقول: لا واللَّه يا رب!! ينسى بهذه الغمسة القصيرة، كلَّ نعيم عاشه في الدنيا، مع أنه كان في الدنيا أنعم البشر، وعلى عكسه الرجل من أهل الجنة، الذي كان أشدَّ الناس بلاءً وفقراً، يغمس في الجنة غمسة، فينسى كل شقاء وبلاء.

(٣) هذا الحديث ضربه الرسول ﷺ مثلاً لمدة الدنيا بالنسبة للآخرة، فالدنيا قصيرة وحقيرة، بالنسبة للحياة الآخرة، كمن أدخل أصبعه في البحر، ماذا حصل له من البحر؟

(٤) «مَرَّ بجدْيٍ أسَكَّ مَيّت» مثلٌ آخر يضربه الرسول ﷺ لحقارة الدنيا، حتى لا يُفتن بزينتها الناسُ، عرض ﷺ على أصحابه جَدْياً ميّتاً صغير الأذن، والميتةُ لا يؤكل لحمها، بل تُلقى في المزابل والنفايات، فقال لأصحابه: من يشتري هذا الجَدْيَ الميت بدرهم؟ فقالوا: لو كان حياً لما قبلناه بدرهم، فكيف وهو ميّت؟ فقال عليه الصلاة والسلام: الدنيا أحقرُ عند اللَّه من هذا عليكم! وإنه لدرسٌ تربوي واقعي بديع.

حَرَّةٍ[١] بالمدينةِ، فَاستَقْبَلَنَا أُحُدٌ فقال: يا أبَا ذَرٍّ[٢]!!. قلت: لَبَّيْكَ يا رسول اللَّه. فقال: مَا يَسُرُّني أنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هذا ذَهباً، تَمْضِي عَلَيَّ ثَلاثَةُ أيَّام وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ[٣] لِدَيْنٍ، إلَّا أنْ أَقُولَ بِهِ في عِبَادِ اللَّه هكَذا، وَهكَذا وَهكَذا ـ عن يَمِينهِ وعن شماله ومن خلفه ـ ثم سار فقال: إنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ[٤] يَومَ القِيامَة إلَّا مَنْ قَالَ بالمَالِ هكَذا وهكَذا وهكَذا، عن يمينهِ، وعن شمالِهِ، ومِنْ خَلْفِهِ، وَقَليلٌ مَا هُم، ثم قال لي: مَكَانَكَ لا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيكَ، ثم انْطَلَقَ في سَوَادِ اللَّيْل حتى تَوَارَى، فَسَمِعْتُ صَوْتاً قَدِ ارْتَفعَ، فَتَخَوَّفْتُ أنْ يَكُونَ أَحَدٌ عَرَض للنَّبيِّ ﷺ، فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ فَذَكَرْتُ قوله: «لا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ» فلم أَبْرَحْ حَتَّى أَتَانِي، فَقُلْتُ: لقد سَمِعْتُ صَوْتاً تَخَوَّفْتُ منه، فَذَكَرْتُ له، فقال: وَهَلْ سَمِعْتَهُ؟ قلت: نَعَم، قال: ذَاكَ جبريلُ، أتاني فقال: مَن ماتَ مِنْ أُمَّتِكَ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شَيئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، قلتُ: وَإنْ زَنَى وَإنْ سَرَقَ؟ قال: وَإنْ زَنَى وَإنْ سَرَقَ» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظُ البخاري.

٤٦٥ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «لو كان لي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَباً، لَسَرَّني أَنْ لا تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاثُ لَيَالٍ، وَعِنْدِي منه شَيْءٌ، إلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَينٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٦٦ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «انْظُرُوا إلى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنكُمْ، وَلا تَنظُروا إلى مَنْ هُوَ فَوقَكُمْ، فَهُو أَجْدَرُ أن لا تَزْدَرُوا نعمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»[٥] مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ مسلم.

---

(١) «في حَرَّة» أي في أرض ذات حجارة سود.

(٢) «يا أبا ذرٍّ» هذه كنيتُه واسمه «جُندب بن جُنَادة» وقد ناداه الرسول ﷺ بكنيته تأنيساً وتكريماً، وهذا من كمال فضله، وحُسْن خُلُقه ﷺ.

(٣) «أرصده لدَيْن» أي أعدُّه وأحفظه لقضاء دين عليّ.

(٤) «الأكثرون هم الأقلون» أي الأكثرون مالاً هم الأقلون منزلة يوم القيامة، إلَّا من جمع المال وأنفق منه في وجوه الخير الكثيرة.

(٥) «انظروا إلى من هو أسفل منكم» درسٌ نبوي بليغ، يُضفي على النفس راحة البال، والأمنَ والطمأنينة، وهو أن ينظر في أمور الدنيا إلى من هو أقل منه، ولا ينظر إلى من هو أعلى منه، لئلا يحتقر نعمة اللَّه عليه، وليزداد شكراً للَّه، ورضاً بما هو عليه، وأمَّا في أمور الدين والآخرة، فينظر إلى من هو أعلى منه، ليقتدي به وينافسه. =

وفي رواية البخاري: «إذا نَظَر أَحَدُكُمْ إلى مَنْ فُضّلَ عليهِ في المالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إلى مَنْ هو أَسْفَلَ مِنْهُ».

٤٦٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «تَعِس عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ[١] وَالقَطِيفَةِ وَالخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٤٦٨ ـ وعنه رضي اللَّه عنه، قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عليه رداءٌ، إمَّا إزَارٌ، وَإمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا في أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٤٦٩ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الكَافِرِ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٧٠ ـ وعن ابن عمر رضِي اللَّه عنهما، قال: «أخذ رسول اللَّه ﷺ بِمَنْكِبَيَّ[٣]،

= قال بعض العلماء: في هذا الحديث دواء لكل داء، لأن الشخص إذا نظر إلى من هو فوقه، يتحسر ويتألم، ولا يأمن أن يدخل إلى قلبه الحسدُ، ودواؤه أن ينظر إلى من هو أسفل منه، ليشكر ربه على ما أنعم به عليه.

(١) الناسُ قسمان: عبدٌ للَّه، وعبدٌ للدرهم والدينار، أي عبدٌ للمال، وقد ذمَّ النبيُّ ﷺ عبدَ الدرهم والدينار، لأن حبَّ المال قد أعمى قلبه، فهو يسعى لجمعه من حلالٍ وحرام، ولهذا أصبح أسيراً له بمنزلة العبد، ومعنى «تَعِسَ» أي ما أشقاه وأخسره!! قال الشاعر:

أنتَ عبدُ المالِ إن جمَّعته ... فإذا أنفقته فالمالُ لك

(٢) «الدنيا سجن المؤمن» هذا الحديث من التشبيه البليغ، أي الدنيا كالسجن للمؤمن، بالنسبة إلى ما أعدَّ اللَّه له من النعيم في الآخرة، والدنيا كالجنة للكافر بالنسبة لما أعدَّه له من العذاب، فمهما نُعِّم المؤمن في الدنيا فهو في سجن، ومهما عُذِّب الكافر في الدنيا فهو في جنة بالنسبة للمآل، ولا راحة للمؤمن إلَّا بلقاء اللَّه.

لطيفة: حكى القرطبي عن أبي سهل الخراساني ـ وكان قد جمع رياسة الدين والدنيا ـ أنه كان في بعض مواكبه ذات يوم، إذ خرج عليه يهودي يعمل بتطهير وتنظيف الحمامات ـ المراحيض ـ بثيابٍ دنسة، وصفةٍ نجسة، فأوقف الشيخ وقال له: تزعمون أن نبيكم قال: «الدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافر» ففي أيِّ سجنٍ أنت؟ وفي أيِّ جنة أنا؟ فقال له الشيخ: إذا صرتُ أنا إلى النعيم ورضوان اللَّه فهذه الدنيا سجني، وإذا صرتَ أنت غداً إلى الجحيم وعذاب اللَّه، فهذه الدنيا جنتك!! فعجب الناسُ من ذكائه وسرعة جوابه.

(٣) «أخذ بمنكبيَّ» المنكب: العظم الذي عند الكتف، وأخْذُه ﷺ بمنكبي ابن عمر، ليُقبل بقلبه على وصية الرسول ﷺ ويستيقظ إن كان في غفلة، مع ما في هذا العمل من الملاطفة والمؤانسة.

فقال: كُنْ في الدُّنْيَا كأنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابنُ عمرَ، رضي اللَّه عنهما، يقول: «إذَا أَمْسَيْتَ، فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإذَا أَصْبَحْتَ، فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ[١]، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

قالوا في شرح هذا الحديث، معناه: لا تَرْكَن إلى الدُّنيَا وَلا تَتَّخِذْهَا وَطَناً، وَلا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُولِ البَقَاءِ فِيهَا، وَلا بالاعْتِنَاءِ بِهَا، وَلا تَتَعَلَّقْ مِنْهَا إلَّا بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْغَرِيبُ في غَيْرِ وَطَنِهِ، وَلا تَشْتَغِلْ فِيهَا بِمَا لا يَشْتَغِلُ بِهِ الْغَرِيبُ الَّذي يُرِيدُ الذَّهَابَ إلى أَهْلِهِ. وَباللَّهِ التَّوْفِيقُ.

٤٧١ ـ وعن أبي الْعَبَّاسِ «سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيّ» رضي اللَّهُ عنهُ، قال: «جاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقالَ: يا رسولَ اللَّه دُلَّنِي عَلى عَمَلٍ، إذا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ!! فقال ﷺ ازْهَدْ[٢] في الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ» حديثٌ حسنٌ رَوَاهُ ابن مَاجَه وغيره بأسانيد حسنةٍ.

٤٧٢ ـ وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضيَ اللَّهُ عنهما، قالَ: «ذَكَرَ عُمَرُ بْن الخَطَّاب، رضي اللَّه عنه، مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا، فقال: لَقَدْ رَأَيْتُ

---

(١) «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء» هذا ليس من كلام الرسول ﷺ، وإنما هو من توجيه «عبد اللَّه بن عمر» المجاهد، وهو من آثار وصية الرسول ﷺ له، وكان يوصي من يلقاه بهذه الوصايا الثمينة، إذا دخل عليه الصباح، فلا يُحدِّث نفسه بالبقاء إلى المساء، وكأن الإنسان يجعل الموت نُصْبَ عينيه، فإن من طالَ أملُه، ساء عملُه، وما أجمل قول القائل:

تـوَدَّعْ مـن الـدنـيـا فـإنـك لا تَـدْري ... إذا جَنَّ ليـلٌ هـل تَبيـتُ إلى الفَجْرِ؟
فكـم من فَتـى أمْسَى وأصبـح لاهياً ... وقـد نُسِـجَتْ أكـفـانُه وهـو لا يَـدْري

(٢) «ازهد في الدنيا» الزُّهدُ: هو البُعد عن شهوات الدنيا، وحطامها الزائل، بحيث لا يتكالب على جمعها، والمؤمن يجعل همَّه الآخرة، وتكون الدنيا وسيلة له لا غاية، كما قال سبحانه: ﴿وابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾.
والزهدُ فيما في أيدي الناس، أن لا يطمع بما في أيديهم، ولا ينازعهم في محبوبهم، فمن نازعهم فيها أبغضوه، لأن الناسَ يتهافتون على الدنيا تهافت الذباب على النَّتْن، والكلاب على الجيف، ومن هنا شبَّه الشافعي الدنيا بهذا التشبيه البديع حين قال:

ومـا هـي إلا جـيـفـةٌ مـسـتـحـيـلـةٌ ... عـلـيـهـا كـلابٌ هَـمُّـهُـنَّ اجـتـذابُـهـا
فـإن تـجـتـنـبـهـا كـنـتَ سِـلْـماً لأهـلـهـا ... وإن تـجـتـذبـهـا نـازعـتـك كـلابُـهـا

رسولَ اللَّهِ ﷺ، يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي[١]، مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الدَّقَلُ» بفتح الدال المهملة والقاف: رَدِيءُ التَّمْرِ.

٤٧٣ ـ وعن عائشةَ رضيَ اللَّه عنها، قالت: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّه ﷺ، وَمَا في بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ[٢] إلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ في رَفٍّ لي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وقولها: «شَطْرُ شَعِيرٍ» أَيْ: شَيْءٌ مِنْ شَعيرٍ، كَذا فَسَّرَهُ التِّرْمذيُّ.

٤٧٤ ـ وعن عمرِو بْنِ الحارثِ، أخِي «جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الحَارِثِ» أُمِّ المُؤْمِنِينَ، رضي اللَّه عنهما، قال: «مَا تَرَكَ رسولُ اللَّه ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِينَاراً، وَلَا دِرْهَماً، وَلا عَبْداً، وَلا أَمَةً، وَلا شَيْئاً إلَّا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ الَّتي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلاحَهُ، وَأَرْضاً جَعَلَهَا لابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٤٧٥ ـ وعن خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي اللَّه عنه، قال: «هَاجَرْنَا مَعَ رسول اللَّه ﷺ، نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللَّهِ تعالى[٣]، فَوَقَعَ أَجْرُنَا على اللَّهِ[٤]، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئاً[٥]، مِنْهُمْ «مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ»[٦]، رضي اللَّه عنه، قُتِلَ يَوْمَ

---

(١) «يظلُّ يلتوي» أي يبقى معظم الوقت، يتقلَّب من الجوع، ما يجد من رديء التمر، ما يملأ به بطنه ﷺ.

(٢) «توفي رسول اللَّه وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد» هذا نصٌّ صريح واضح، أن الرسول ﷺ عاش حياته فقيراً، وفارق الدنيا وهو فقير، حتى لم يوجد في بيت السيدة عائشة شيء من الطعام يأكله إنسان، إلّا شيء قليل من الشعير، ويؤكِّد ما قلناه ما رُوي في الصحيح من قول عائشة: «إنَّا آلَ محمدٍ ما شبعنا من طعام البُرِّ قطُّ، ولربما مرَّ علينا الشهرُ والشهران فلا يوقد لنا في البيت نار ـ أي لا يوجد طبيخ ـ قيل: فماذا كنتم تأكلون؟ قالت: واللَّه إنما هما الأسودان: التمرُ، والماء» هكذا كانت معيشةُ أفضل خلق اللَّه، لم يعش حالة الملوك المترفين، وللَّه درُّ القائل:

فلو كانت الدنيا جَزَاءً لمحسنٍ ... إذاً لم يكنْ فيها معاشٌ لظالمِ
لقد جَاعَ فيها الأنبياءُ كرامةً ... وقد شَبِعتْ فيها بطونُ البَهائمِ

(٣) «نلتمس وجه اللَّه» أي نطلب بهجرتنا مرضاة اللَّه، وليس لنا غرض دنيوي سوى الأجر من اللَّه.

(٤) «فوقع أجرنا على اللَّه» أي ثبت لنا الأجر والثواب على هذه الهجرة.

(٥) «مات ولم يأكل من أجره شيئاً» يريد به الغنائم التي غنمها المسلمون في فتوحاتهم، أي لم يحصل على شيء من مغانم الدنيا.

(٦) «منهم مصعب بن عُمَيْر» أي من هؤلاء المهاجرين الأبرار «مصعب» الذي كان من السابقين إلى الإسلام والذي استشهد في معركة أُحد.

أُحُدٍ، وَتَرَكَ نَمِرَةً[١]، فَكُنَّا إذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ، بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإذَا غَطَّيْنَا بِهَا رِجْلَيْهِ، بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ، أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ، وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئاً مِنَ الإذْخِرِ[٢]، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا »[٣] مُتَّفَقٌ عليه. «النَّمِرَةُ» كسَاءٌ مُلَوَّنٌ مِنْ صُوفٍ. وقوله: «أَيْنَعَت» أيْ: نَضِجَتْ وَأَدْرَكَتْ. وقوله: «يَهْدِبُهَا» هو بفتح الياءِ وضم الدال وكسرها، لُغَتَان؛ أَيْ: يَقْطِفُهَا وَيَجْتَنِيهَا، وَهذِهِ اسْتِعَارَةٌ لِمَا فَتَحَ اللَّه تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنَ الدُّنْيَا وَتَمَكَّنُوا فيهَا.

٤٧٦ ـ وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعدِلُ عِنْدَ اللَّه جَنَاحَ بَعُوضَةٍ[٤]، مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٤٧٧ ـ وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه، قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «أَلَا إنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ[٥]، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إلَّا ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعالماً وَمُتَعَلِّماً»[٦] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

---

(١) «ترك نَمِرة» أي مات وترك كساءً ملوَّناً من صوف، لا يكفي لتكفينه، إن غطينا به رأسه بدت رجلاه.

(٢) «شيئاً من الإذخر» هو نبتٌ طيِّب الرائحة، أمرنا الرسول ﷺ أن نضعه على رجليه، ونغطِّي بالكساء وجهه.

(٣) «أينعت ثمرته فهو يهدبها» هذه استعارة تمثيلية، شبَّه حال المسلمين بعد تمكنهم من الدنيا، وحصولهم على الغنائم الوفيرة، بقوم رأوا شجرة كبيرة مثمرة، أخذوا يقطفون ثمارها، ومعنى «يهدبها» أي يجتنيها ويقطفها.

(٤) «تعدل جناح بعوضة» أي لو كانت الدنيا تساوي عند اللَّه جناح البعوضة ـ وهو مَثَلٌ في الحقارة ـ ما سقى منها كافراً جرعة ماء، ومن حقارة الدنيا عند اللَّه، أن منعها الأنبياء، وأعطاها للكفرة الأشقياء، ولولا فتنة الناس لخصَّها بالكفار الفجار، كما قال سبحانه: ﴿**وَلَوْلاَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِن فِضَّةٍ**﴾ الآية. أي لولا فتنة الناس، لخصصنا الدنيا بالكفار، فجعلنا بيوتهم من ذهب وفضة، بدل الحجارة والطين.

(٥) «الدنيا ملعونة» أي مبغوضة مكروهة عند اللَّه تعالى.

(٦) «وعالماً ومتعلماً» أي إلا ذكرَ اللَّه وما قاربه من العبادة والطاعة، والعالم والمتعلِّم الذي يرشد الناس إلى طريق الإيمان، ولا يُفهم من هذا الحديث تقبيحُ الدنيا مطلقاً ولعنها، بل الملعون منها ما يُبعد عن اللَّه تعالى، ويشغل عن طاعته وعبادته، كما قال سبحانه: ﴿**لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ**﴾ فتنبَّه لهذا المعنى، واللَّه يرعاك!!

٤٧٨ ـ وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعودٍ رضيَ اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « لا تَتَّخِذُوا الضَّيعَةَ[١] فَتَرْغَبُوا في الدُّنْيَا» رَوَاهُ التِرمِذيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ.

٤٧٩ ـ وعن عبدِ اللَّهِ بْنِ عمروِ بْنِ العَاصِ رضيَ اللَّهُ عنهما، قال: « مَرَّ عَلَيْنَا رسولُ اللَّه ﷺ، وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصًّاً لَنَا[٢]، فقال: ما هذا؟ فَقُلْنَا: قَدْ وَهَى[٣]، فَنَحْنُ نُصْلِحُهُ، فقال: ما أَرَى الأَمْرَ إلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذلِكَ»[٤] رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ، بإسناد البخاري ومسلم، وقال التِّرمِذِيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٤٨٠ ـ وعن كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ رضي اللَّه عنه، قالَ: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: « إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَة، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٤٨١ ـ وعن أبي عَمْرٍو «عُثْمَان بن عَفَّانَ» رضي اللَّه عنه، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: « لَيْسَ لابْنِ آدَمَ حقٌّ في سِوى هذِهِ الخِصَالِ: بَيْتٌ يَسْكُنُهُ، وَثَوْبٌ يُوارِي عَوْرَتَهُ، وَجِلْفُ الخُبْزِ، وَالمَاءِ»[٥] رَوَاهُ الترمذِي وقال: حديث صحيح، قال التِّرمِذِيُّ: الجِلْفُ: الخُبزُ لَيْسَ مَعَهُ إدَام. وَقَالَ غَيرُهُ: هُوَ غَلِيظُ الخُبزِ. وقَالَ

---

(١) « لا تتخذوا الضيعة» الضَّيْعةُ: العقار، أي لا تشتغلوا بالبناء والعقار، وضروب التجارة، فترغبوا في الدنيا، وتزهدوا في الآخرة، وهذا الحديث محمول على الاستكثار في الدنيا، المفضي إلى نسيان العمل للآخرة، وأمَّا من اتخذها لنفع المسلمين، فقد ورد « نعم المال الصالح للرجل الصالح» ونعمت الدنيا مطية المؤمن، عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر.

(٢) « نُعَالج خُصًّاً» أي نصلح بيتاً لنا من خشب وقَصَب.

(٣) « قد وَهَى» أي ضعف وتهاوى، وهمَّ بالسقوط.

(٤) « الأمر أعجل من ذلك» أي أجلُ الإنسان أسرعُ من هذا الشيء الذي تصلحونه، وغرضُ الحديث التنبيه على أن الاشتغال بالبناء، يُنسي الإنسانَ الموت، ويجعله كأنه مخلَّد في الدنيا، مع أن توقع الأجل ساعةً فساعة، ولحظةً فلحظة وكما قيل:

الموتُ يأتي بغتةً والقبرُ صندوقُ العمل

(٥) « جِلْفُ الخبز» أي الخبز الغليظ الذي ليس معه إدام، كما في سنن الترمذي، فحقُّ الإنسانِ في هذه الأمور الثلاثة:

١ ـ بيت للسكن.

٢ ـ وثوبٌ يستر البدن.

٣ ـ والخبز والماء الذي هو غذاء الجسم.

الهَرَوِيُّ: المُرَادُ بِهِ هُنَا وِعَاءُ الخُبْزِ، كالجَوَالِقِ وَالخُرْجِ، واللَّه أعلم.

٤٨٢ ـ وعنْ عبدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رضيَ اللَّهُ عنه، أَنَّهُ قالَ: «أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ، وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١﴾[١] قال: يَقُولُ ابنُ آدَم: مَالي، مَالي، وَهَل لَكَ يَا ابنَ آدَمَ مِنْ مالِكَ إلَّا ما أَكَلتَ فَأَفْنَيْتَ، أوْ لبسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيتَ؟!»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٤٨٣ ـ وعن عبدِ اللَّه بن مُغَفَّلٍ رضيَ اللَّه عنه، قال: «قال رَجُلٌ للنَّبيِّ ﷺ: يا رسولَ اللَّهِ، واللَّهِ إنِّي لأُحِبُّكِ!!، فقال: انظُرْ ماذا تَقُولُ؟ قال: وَاللَّهِ إنِّي لأُحِبُّكَ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فقال ﷺ: إنْ كُنتَ تُحِبُّني فَأَعِدَّ لِلفقرِ تِجفافاً[٣]، فإنَّ الفَقرَ أَسْرَعُ إلى من يُحِبُّني مِنَ السَّيلِ إلى مُنْتَهاهُ» رَوَاهُ الترمذِي وقال حديث حسن.

«التِّجْفافُ» بكسرِ التاءِ: شَيْءٌ يُلْبَسُهُ الفَرَسُ، لِيُتَّقى بِهِ الأَذَى، وَقَدْ يَلْبَسُهُ الإنْسَانُ.

٤٨٤ ـ وعن كَعبِ بْنِ مالكٍ، رضيَ اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ[٤] بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلى المَالِ وَالشَّرَفِ، لِدِينِهِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقَال: حديث حسن صحيح.

٤٨٥ ـ وعن عبد اللَّه بن مَسْعُودٍ رضي اللَّه عنه، قال: «نَامَ رسولُ اللَّه ﷺ على حَصيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ في جَنْبِهِ. قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّه لوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً[٥]!!

---

(١) ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ أي شغلكم كثرة الأموال والأولاد والتفاخر بها، عن طاعة اللَّه والعمل للآخرة، حتى متُّم وصرتم من أهل القبور.

(٢) «تصدَّقتَ فأمضيتَ» أي قدَّمته ذخراً لآخرتك فبقي لك عند اللَّه وديعة، وما سوى ذلك فأنت ذاهب وتاركه للناس.. وفي الآية دليل على أن الاشتغال بالدنيا والمكاثرة بها، والمفاخرة فيها، من الخصال المذمومة.

(٣) «فأعدَّ للفقر تِجْفافاً» بكسر التاء، أي: فهيِّئ لباساً للفقر، فإن الفقر أسرعُ إلى من يحبني، من السيل النازل من أعلى الجبل إلى أسفل الوادي، والمحبُّ ينبغي أن يكون متصفاً بصفات المحبوب، فإذا كان النبي ﷺ أزهد الناس في الدنيا، فمن يحبه يجب أن يكون زاهداً فيها.

(٤) «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم» معنى الحديث الشريف: لو أرسلنا ذئبين جائعين، على غنم من الأغنام، كم يكون إفسادهما لهذه الأغنام؟ ألا يعملان فيها تخريباً وتدميراً، فكذلك يُفسد الحرصُ على الدنيا وحبُّ الجاه، دينَ الإنسان.

(٥) «لو اتخذنا لك وطاءً» أي فراشاً وثيراً تنام عليه!؟

فقال: مَا لي ولِلدُّنْيَا!! مَا أنَا في الدُّنْيَا إلَّا كَرَاكِبٍ[١]، اسْتَظَلَّ تَحتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديث حسن صحيح.

٤٨٦ ـ وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَدْخُلُ الفُقَرَاءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأغْنِيَاءِ بِخَمْسِمَائَةِ عَامٍ»[٢] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث صحيح.

٤٨٧ ـ وعن ابن عَبَّاسٍ، وعِمْرَانَ بْنِ الحُصَيْنِ، رضيَ اللَّه عنهم، عن النبي ﷺ قال: «اطَّلَعْتُ في الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أهْلِهَا الفُقَراء[٣]، وَاطَّلَعْتُ في النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أهْلِهَا النِّسَاء»[٤] مُتَّفَقٌ عليه من رواية ابن عباسٍ.

ورَوَاهُ البُخَارِيُّ أَيضاً من روايةِ عِمْرَانَ بن الحُصَيْنِ.

---

(١) «كراكب استظل تحت شجرة» أي كمسافر استظلّ بظلّ شجرة، ثم تركها ورحل عنها، شبّه الرسول ﷺ المؤمن في الدنيا بمسافر، نزل تحت شجرة، يستظلّ بها من حرّ الشمس، ثم غادرها بعد فترة الاستراحة، ذلك لأن الدنيا ليست دار قرار، ولا منزل استقرار، إنما هي دار عبور، يقطعها المسافر إلى دار الآخرة، فلذلك لم يرغب الرسول ﷺ أن يتخذوا له الفراش الوطيء الممهّد، وهو الذي عُرضت عليه أن تكون له جبال مكة ذهباً، فقال: لا يا رب ولكنْ أجوعُ يوماً، وأشبع يوماً، فإذا جعتُ تضرَّعتُ إليك وذكرتُك، وإذا شبعتُ حمدتُك وشكَرتُك، كما رواه الترمذي.

(٢) «قبل الأغنياء بخمسمائةِ عام» إنما حُبس الأغنياءُ تلك المدة في الموقف، حتى يُحاسبوا على أموالهم، من أين اكتسبوها؟ وفيمَ أنفقوها؟ وهذه المدة الطويلة «٥٠٠» سنة هي نصف يوم كما ورد في حديث «يدخل فقراء المسلمين الجنّة قبل الأغنياء، بنصف يوم وهو خمسمائة عام» رواه الترمذي، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي من سنوات الدنيا، هذا إذا صبر الفقراء على قضاء اللّه، ولم يحسدوا الأغنياء.

(٣) «الجنةُ أكثر أهلها الفقراء» هذا حين عُرج بالنبي ﷺ فرأى الجنة، ورأى النار، رأى الفقراء أكثر أهل الجنة، قال العلماء: ولا يوجب هذا الحديث فضل الفقير على الغني، وإنما معناه أن الفقراء في الجنة أكثر من الأغنياء، وليس الفقر هو الذي أدخلهم الجنة، إنما دخلوا بصلاحهم وتقواهم، مع صبرهم على الفقر، وفي الحديث التحريضُ على ترك التوسع في الدنيا.

(٤) «النار أكثر أهلها النساء» لقلة الطاعة عندهن للّه، وكثرة الغيبة والنميمة، والجري وراء «الموضة» للتفنن بإغراء الرجال، وعدم التزام بعضهن بالحجاب الذي فرضه اللّه عليهن، كما في حديث «صنفان من أهل النار لم أرهما..» وذكر قوله: «ونساء كاسيات عاريات، مميلاتٌ مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت، لا يدخلن الجنة، ولا يجدْنَ ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام» رواه مسلم.

٤٨٨ ـ وعن أُسامةَ بْنِ زيدٍ رضيَ اللَّه عنهما، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «قُمْتُ عَلى بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ محبُوسُونَ[1]، غَيرَ أَنَّ أصحَابَ النَّار قَد أُمِرَ بِهِمْ إلى النَّارِ» مُتَّفقٌ عليه.

«الجَدُّ» الحَظُّ وَالغِنَى، وقد سبق بيان هذا الحديث في باب فضلِ الضَّعَفَة.

٤٨٩ ـ وعن أَبي هريرة، رضي اللَّه عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَها شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبيدٍ:

أَلا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا اللَّه بَاطِلُ» مُتَّفقٌ عليه.

۞۞۞

بابُ في فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات

قال اللَّه تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا[2] ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ۝٦٠﴾ [مريم: ٥٩ ـ ٦٠].

---

(١) «وأَصْحَاب الجَدِّ محبوسون» أي أهل الغنى واليسار محبوسون في موقف الحساب، ليحاسبوا على أموالهم، أما الفقراء فإنهم سالمون من ذلك.
تنبيه هام: الآيات والأحاديث التي وردت في ذمّ الدنيا كقوله سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ وقوله ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها» وأمثال ذلك، ينبغي أن تُفهم على وجهها الصحيح، فهي لا تتحدث عن جميع الناس من الأغنياء، وأصحاب الثروات، إنما تتحدث عمن عَمِل للدنيا ونسي الآخرة، واشتغل بجمع الحُطام من حلال وحرام، ولم يتّق اللَّه فيما أكرمه به من المال، ويدلُّ على هذا أحاديث كثيرة، منها حديث «نعم المالُ الصالحُ للرجل الصالح» وحديث «ذهب أهل الدثور ـ أي الغنى ـ بالأجور» وحديث «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه اللَّه القرآن، فقام به آناء الليل، وآناء النهار.. ورجل أعطاه اللَّه مالاً، فهو يُنفقه آناء الليل وآناء النهار» وحديث: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبدٌ رزقه اللَّه مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربه، ويصل رحمه، ويعلم للَّه فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل..» وحديث «إن اللَّه يحب الغنيَّ التقيَّ الخفي» وهذه كلها في الصحيح والسنن، فافهم هذا واللَّه يرعاك.

(٢) ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ معنى الآية الكريمة: أي جاء من بعد هؤلاء الأقوام، الصالحين =

وقال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [القصص: ٧٩ ـ ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ [التكاثر: ٨].

وَقَالَ تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الإسراء: ١٨].

والآياتُ في الباب كثيرةٌ مَعْلُومَةٌ.

٤٩٠ ـ وعن عائشةَ رضي اللَّه عنها، قالت: «مَا شَبعَ آلُ مُحمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية: «مَا شَبعَ آلُ مُحَمَّد ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ البُرِّ[1] ثلاثَ لَيَالٍ تِبَاعاً حَتَّى قُبِضَ».

٤٩١ ـ وعن عُرْوَةَ عَنْ عَائشة رضي اللَّه عنها، أَنَّها كَانَتْ تَقُولُ: «وَاللَّهِ يَا ابن أُخْتِي، إنْ كُنَّا لَنَنْظُر إلى الهِلَالِ، ثم الهلال، ثُمَّ الهِلَالِ: ثَلَاثَة أَهِلَّةٍ في شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ في أَبْيَات رسولِ اللَّه ﷺ نَارٌ قَطُّ[2]!! قُلْتُ: يَا خالةُ فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قالت: الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ، وَالمَاءُ[3]، إلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لرسول اللَّه ﷺ جِيرانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، وَكَانت لَهُمْ مَنَائِحُ[4]، وكانُوا يُرْسِلُونَ إلى رسول اللَّه مِنْ أَلْبَانها فَيَسْقِينَا» مُتَّفَقٌ عليه.

= الأتقياء، قوم سفهاء أشقياء، أضاعوا الصلوات وسلكوا طريق الشهوات، فسوف يلقون كلَّ خسار ودمار.

(١) «من طعام البُرِّ» أي ما شبعنا من خبز القمح ثلاثة أيام متتابعة، وذكرت البُرّ، لأن معظم طعامهم كان من الشعير، أما البُر فقليل، وسبق حديث «ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين» رواه البخاري.

(٢) «ما أوقد لنا نار» أي كنا نقضي شهرين كاملين، وليس عندنا ما نطبخه من الطعام، وذكرُ النار كنايةٌ عن طبخ الطعام، لأن النار إنما تُشعل وتوقد من أجل الطبيخ.

(٣) «يُعيشكم، قالت: الأسودان» تعني التمر، والماء، السوادُ هو التمرُ، وأُطلق على الماء من باب التغليب، كالقمرين للشمس والقمر.

(٤) «كانت لهم منائح» جمع منيحة وهي الشاةُ أو الناقةُ، سميت منيحة لأن صاحبها يمنحها صديقاً يشرب لبنها ثم يردُّها إليه، ومرادها أنهم كانوا ينتفعون بحليب ما يُهدي إلى بيت النبوة.

٤٩٢ ـ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه، «أنه مَرَّ بِقَومٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شاةٌ مَصْلِيَّةٌ[١]، فَدَعَوْهُ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ، وقال: خَرج رسول اللَّه ﷺ مِنَ الدُّنيَا، وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. «مَصْلِيَّةٌ»: بفتح الميم: أَيْ: مَشْوِيَّةٌ.

٤٩٣ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه، قال: «لَمْ يَأْكُلِ النَّبيُّ ﷺ عَلى خِوَانٍ[٢] حَتَّى مَات، وَما أَكَلَ خُبْزاً مرقَّقاً[٣] حَتَّى مَاتَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وفي روايةٍ له: «وَلا رَأَى شَاةً سَمِيطاً بِعَيْنِهِ قطُّ».

٤٩٤ ـ وعن النُّعمانِ بن بشير رضي اللَّه عنهما قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ، وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ ما يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الدَّقَلُ»: تَمْرٌ رَدِيْءٌ.

٤٩٥ ـ وعن سهلِ بْنِ سعدٍ رضي اللَّهُ عنه، قال: «ما رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّقِيَّ، مِنْ حِينِ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تعالى، حتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ تعالى!! فَقيلَ لَهُ: هَلْ كانَ لَكُمْ في عَهْدِ رسول اللَّهِ ﷺ مَناخِلُ؟ قالَ: ما رَأى رسولُ اللَّهِ ﷺ مُنْخُلاً مِنْ حِين ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تعالى، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ كُنتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ؟ قالَ: كُنَّا نَطْحَنُهُ وَنَنْفُخُهُ، فَيَطِيرُ ما طارَ، وما بَقِيَ ثَرَّيْناهُ»[٤] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

قوله: «النَّقِيّ»: بفتح النون وتشديد الياء، وهُوَ الخُبْزُ الحُوَّارَى، قوله: «ثَرَّيْنَاهُ» أيْ: بَلَلْنَاهُ وَعَجَنَّاهُ.

٤٩٦ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللَّهُ عنه قال: «خَرَجَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ ذاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بأبي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضيَ اللَّهُ عنهما، فقال: ما أَخْرَجَكُمَا مِنْ

---

(١) «شاة مصليّة» أي شاة مشويّةٌ على النار، وإنما أبى أبو هريرة أن يأكل منها، لأنه تذكَّر الرسول ﷺ وما كان عليه من البؤس وخشونة العيش، فلهذا امتنع، لأن من شأن المحبِّ أن يتبع آثار محبوبه، ويقتدي به، وقد وضَّح لهم سبب امتناعه بقوله: توفي الرسول ﷺ ولم يشبع من خبز الشعير.

(٢) «لم يأكل على خِوان» بكسر الخاء أي لم يأكل على مائدة، كحال المترفين، وهو وإن كان جائزاً لكنه ينافي الورع والزهد.

(٣) «ولا مرقَّقاً ولا سَمِيطاً» المرقَّقُ: الخبزُ الرقيق الواسع، والسميطُ: هو الشاة التي أُزيل عنها شعرها، وشُويت بجلدها، يقول: هذه ما رآها، فضلاً عن أن يكون قد أكل منها.

(٤) «وما بقي ثَرَّيناه» أي كانوا ينفخون على الشعير المطحون فيطير منه ما يطير من القشر، وما يبقى منه اختلط بالعجين.

بُيُوتِكُمَا هذِهِ السَّاعَةَ؟ قالا: الجُوعُ يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: وَأَنا، والَّذِي نَفْسِي بَيِدِهِ، لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا!! قُوما، فَقاما مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلاً مِنَ الأَنصارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ في بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ المَرْأَةُ قالَتْ: مَرْحَباً وَأَهْلاً، فقال لها رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلانٌ؟» قالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنا الماءَ[1]، إِذْ جاءَ الأَنْصارِيُّ، فَنَظَرَ إلى رَسُولِ اللَّه ﷺ وصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، ما أَحَدٌ اليَوْمَ أَكْرَمَ أَضيافاً مِنّي!! فانطَلَقَ فَجاءَهُمْ بِعِذْقٍ[2] فِيهِ بُسْرٌ، وَتَمْرٌ، ورُطَبٌ، فقالَ: كُلُوا، وَأَخَذَ المُدْيَةَ، فَقالَ لَهُ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِيَّاكَ وَالحَلُوبَ، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذلِكَ العِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لأبي بكْرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنهما: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتى أَصَابَكُمْ هذَا النَّعِيمُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«يَسْتَعْذِبُ» أَيْ: يَطْلُبُ الماءَ العَذْبَ، وَهُوَ الطَيِّبُ. و «العِذْقُ» بكسر العين وَهُوَ الكِبَاسَةُ، وهِيَ الغُصْنُ. و «المُدْيَةُ» السِّكِّينُ. و «الحَلُوبُ» ذاتُ اللَبنِ. وَالسؤالُ عَنْ هذا النعِيمِ، سُؤالُ تَعْدِيدِ النِّعَمِ، لا سُؤالُ تَوْبِيخٍ وَتَعْذِيبٍ، واللَّهُ أَعْلَمُ، وهذا الأنصارِيُّ الَّذِي أَتَوْهُ هُوَ «أَبُو الهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهانِ». كَذا جاءَ مُبَيَّناً في رواية التِّرمِذِيِّ وغيره.

٤٩٧ ـ وعن خالدِ بن عُمَرَ العَدَوِيِّ قال: «خَطَبَنا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، وكانَ أَمِيراً عَلى البَصْرَةِ ـ فَحَمِدَ اللَّهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ، ووَلَتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإناءِ، يَتَصَابُّهَا صاحِبُها، وإِنكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْها إِلَى دارٍ لا زَوَالَ لَهَا، فانْتَقِلُوا بِخَيْرِ ما يَحْضُرُ بِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شفير جَهَنَّمَ، فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عاماً، لا يُدْرِكُ لهَا قَعْراً، واللَّهِ لَتُمْلأَنَّ... أَفَعَجِبْتُمْ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنا أَنَّ ما بَيْنَ مِصْراعَيْنِ مِنْ مَصارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ عاماً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ما لَنا طَعامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ حتى قَرِحَتْ أَشْداقُنا[3]، فالْتَقَطْتُ بُرْدَةً

---

(١) «يستعذب لنا الماء» أي يأتي لنا بماء حلوٍ للشرب.

(٢) «بعذق» أي غصن من النخيل فيه الرطب الطريُّ، وفيه التمر اليابس.

(٣) «قَرِحتْ أشداقنا» أي صار في جوانب الفم شقوق، بمعنى تشقّقت شفاههم من أكل ورق الشجر.

فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بن مالك، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِها، واتّزر سعدٌ بِنِصفِها، فَما أَصْبَحَ اليَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إلَّا أَصْبَحَ أَمِيراً عَلى مِصْرٍ مِنَ الأَمْصَارِ[1]، وَإني أَعُوذُ باللَّهِ أَنْ أَكُونَ في نَفْسي عَظِيماً، وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيراً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله: «آذَنَتْ» أيْ: أَعْلَمَتْ. «بِصُرْمٍ»: أي: بانْقِطاعِها وفَنائِهَا، «ووَلَّتْ حَذَّاءَ»، أيْ: سَرِيعَةً. وَ «الصُّبابَةُ» بضم الصاد: وهي البَقِيَّةُ اليَسِيرَةُ. وقولُهُ: «يَتَصابُّهَا» أيْ: يجْمَعُها، و «الكَظِيظُ»: الكَثيرُ المُمْتَلىءُ، وقوله: «قَرِحَتْ» أي: صارَتْ فِيها قُرُوحٌ.

٤٩٨ ـ وعن أَبي موسى الأَشْعَرِيِّ رضي اللَّهُ عنه قال: «أَخْرَجَتْ لَنا عائِشَةُ رضيَ اللَّهُ عنها، كِساءً وَإزاراً غَلِيظاً، قالَتْ: قُبِضَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ في هذَيْنِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٤٩٩ ـ وعنْ سَعد بْنِ أبي وَقَّاص رضيَ اللَّهُ عنه، قال: «إنِّي لأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ما لَنا طَعامٌ إلَّا وَرَقُ الحُبْلَةِ[2]، وَهذا السَّمُرُ، حَتى إنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ كما تَضَعُ الشَاةُ ما لَهُ خِلْطٌ»[3] مُتَّفَقٌ عليه.

«الحُبْلَةِ» بضم الحاء المهملة وهيَ والسَّمُرُ، نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ مِنْ شَجَرِ البَادِيَةِ.

٥٠٠ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي اللَّه عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحمدٍ قُوتاً»[4] مُتَّفَقٌ عليه.

قال أَهْلُ اللُّغَة وَالْغَرِيبِ: مَعْنَى «قُوتاً» أَيْ: مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ.

٥٠١ ـ وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه قال: «وَاللَّهِ الذي لا إلهَ إلَّا هُوَ، إنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ[5]، وَإنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الحَجَرَ عَلى

---

(١) «أميراً على مصر من الأمصار» أي على بلدٍ من البلاد، وفيه الإشارة إلى كثرة الفتوح على المسلمين، كما وعدهم بها سيد المرسلين.

(٢) «ورَقُ الحُبْلَة» رواية البخاري «إلا الحُبْلَةُ وورقُ السَّمُرِ» أي ليس لنا طعام نأكله، إلّا ورقُ شجر السَّمُر، مع ثمر العَضَاه وهو الحُبْلة.

(٣) «يَضَع كما تضع الشاة ليس له خِلْط» كناية عن الغائط، يريد أنه يخرج كالبعر، لا يختلط بعضُه ببعض، من شدة جفافه ويُبْسه، وكان ذلك وقت الضيق أول الإسلام.

(٤) «رزقهم قوتاً» أي كفافاً، وهو دعاء للسلامة من آفات الغنى والفقر.

(٥) «أعتمد بكبدي على الأرض» أي أُلصِقُ بطني على الأرض من الجوع.

بَطْنِي مِنَ الجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمَاً عَلى طَرِيقِهِمْ، الذي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ بي النبيُّ ﷺ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا في وَجْهِي وَمَا في نَفْسِي، ثُمَّ قال: «أبا هِرّ» قلت: لَبَّيكَ يا رسولَ اللَّه، قال: الحَقْ، وَمَضَى فَاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لي فَدَخَلْتُ، فَوَجَدَ لَبَناً في قَدَحٍ فقال: مِنْ أَيْنَ هذَا اللَّبَنُ؟ قالوا: أَهْداهُ لَكَ فُلانٌ ـ أَوْ فُلانَةُ ـ قال: أبا هِرّ، قلتُ: لَبَّيْكَ يا رسول اللَّهِ، قال: الحَقْ إلى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لي، قال: وَأَهْلُ الصَّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلامِ، لَا يَأْوُونَ عَلى أَهْلٍ، وَلا مالٍ، وَلَا عَلى أَحَدٍ، وَكَانَ إذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئاً، وَإذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنهَا، وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذلِكَ، فَقَلْتُ: وَمَا هذَا اللَّبَنُ في أَهْلِ الصُّفَّةِ؟ كُنْتُ أَحَقَّ أنْ أُصِيبَ مِنْ هَذا اللَّبَنِ، شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإذَا جَاؤوا وَأَمَرَنِي فَكُنتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هذا اللَّبَنِ؟ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رسوله ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا وَاسْتَأْذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ البَيْتِ، قال: يا أبا هِرّ، قُلتُ: لَبَّيْكَ يا رسولَ اللَّهِ، قال: خُذْ فَأَعْطِهِمْ، قال: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثم يردُّ عليَّ القَدَحَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إلى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلى يَدِهِ، فَنَظَرَ إليَّ فَتَبَسَّمَ، فقال: أبا هِرٍّ، قلتُ: لَبَّيْكَ يا رسول اللَّه، قال: بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ!! قلتُ: صَدَقْتَ يا رسول اللَّهِ، قال: اقْعُدْ فَاشْرَبْ، فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فقال: اشْرَبْ فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: اشْرَبْ حَتَّى قُلْتُ: لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ ما أَجِدُ لَهُ مَسْلَكاً[1]! قال: فَأَرِنِي فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّه تعالى، وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٥٠٢ ـ وعن مُحَمَّدِ بن سِيرين عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإنِّي لأخِرُّ[2] ـ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رسول اللَّه ﷺ، إلى حُجْرَةِ عَائِشَةَ رضي

---

(١) «لا أجد له مسلكاً» أي لا أجد له مكاناً يسلك فيه، وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة لرسول اللَّه ﷺ، حيث ببركة دعائه كفى هذا القدح من الحليب أهلَ الصفة جميعاً فشربوا منه حتى ارتووا، كما حصل في غزة الخندق، من إطعام الجيش من القدر الذي صنعه جابر للرسول ﷺ، وكان يكفي العشرة فكفى الجيش كله.

(٢) «لأخرُّ مغشياً عليّ» أي أسقط على الأرض، ما بين ساحات المنبر إلى حُجرة عائشة، مغمّى عليّ من شدة الجوع.

اللَّه عنها ـ مَغْشِيّاً عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الجَائي[١]، فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلى عُنُقي، وَيَرَى أَنِّي مَجْنُونٌ وَمَا بي مِنْ جُنُونٍ، مَا بي إِلَّا الجُوعُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٠٣ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها، قَالَتْ: «تُوُفِّي رسول اللَّه ﷺ وَدِرعُهُ مَرْهُونَةٌ[٢] عِنْدَ يَهُودِيّ، في ثَلاثِينَ صَاعاً مِنْ شَعِير»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

٥٠٤ ـ وعن أَنَسٍ رضي اللَّه عنه، قال: «رَهَنَ النَّبيُّ ﷺ دِرْعَهُ بِشَعِيرٍ، وَمَشَيْتُ إلى النَّبيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ، وَإهَالَةٍ سَنِخَةٍ[٤]، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا أَصْبَحَ لآلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ وَلَا أَمْسَى[٥] وَإنَّهُمْ لِتسْعَةُ أَبْيَاتٍ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٠٥ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه، قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، ما مِنْهُم رَجُلٌ عَلَيْهِ رِداءٌ، إمَّا إزَارٌ، وإمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا في أَعْنَاقِهِم، مِنهَا ما يَبْلُغُ نِصف السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا ما يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجمَعُهُ بِيَدِهِ، كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٠٦ ـ وعن عائشةَ رضي اللَّه عنها قالت: «كَانَ فِرَاشُ رسول اللَّه ﷺ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ»[٦] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «فيجيء الجائي» أي يمرُّ بي الرجلُ، وأنا ملقى على الأرض، فيضع رجله على عُنقي ـ وتلك عادتهم بالمجنون حتى يفيق ـ يظن أنني مجنون، وليس سبب إغمائي إلا الجوع.

(٢) «ودرعه مرهونة» إنما رهن ﷺ درعه عند يهودي، ولم يرهنه عند أحدٍ من أصحابه لحكمة، وهي أنَّ اليهودي لا يترك حقَّه للرسول ﷺ بل سيطالب به، بينما أصحابه لا يرضون أن يأخذوا ثمناً أو عِوَضاً لهذا الطعام، وسيتركونه للرسول عليه السلام، فآثر ﷺ أن يستقرض من عند اليهودي، ولبيان جواز التعامل مع أهل الكتاب.

(٣) «ثلاثين صاعاً من شعير» إنما أخذ الشعير طعاماً لأهله، لشدة حاجتهم إلى الطعام، ولم يكن من البُرّ إنما كان من الشعير، وهذا دليل شدة الفاقة، فقد توفي ﷺ والدرع مرهونة عند يهودي، حتى افتكَّها أبو بكر رضي اللَّه عنه وأرضاه، فأين هي التركة الضخمة التي خلَّفها رسول اللَّه ﷺ، حتى تأخذ فاطمة الزهراء ميراثها منه؟ كما زعم الرافضة أن أبا بكر حرمها نصيبها من الإرث؟

(٤) «بخبز شعير وإهالة سَنِخَة» أي جئتُه بخبز من الشعيرَ وإدام من الشحم، متغيِّر الرائحة من طول المكث.

(٥) «ما أصبح لآلِ محمد صاعٌ» أي ما أصبح ولا أمسى لأهل بيت النبوة، صاع بُرّ ولا صاعُ شعير يأكلونه، وهم تسعة بيوت، فما أحقَّر هذه الدنيا عند اللَّه، حيث حُرمها سيِّدُ الخلقِ ﷺ!؟

(٦) «من أَدَم حشْوُه ليفٌ» أي كان فراشه ﷺ من جلدِ مدبوغ، محشوٌ باللِّيف، من شجر النخيل، وهذا من زهده ﷺ في الفراش الناعم.

٥٠٧ ــ وعن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: «كُنَّا جُلُوساً مَعَ رسول اللّه ﷺ، إذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْبر الأَنْصَارِيُّ، فقال رسول اللّه ﷺ: يَا أَخَا الأَنْصَارِ، كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ؟ فقال: صَالِحٌ[1]، فقال رسول اللّه ﷺ: مَنْ يَعُودُهُ مِنكُمْ؟ فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ، ما عَلَيْنَا نِعَالٌ، وَلا خِفَافٌ، وَلا قَلانِسُ، وَلا قُمُصٌ، نَمْشِي في تلكَ السِّبَاخِ[2]، حَتَّى جِئْنَاهُ، فاسْتَأْخَرَ قَوْمُه[3] مِنْ حَوله، حتَّى دَنَا رسول اللّه ﷺ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٠٨ ــ وعن عِمْرَان بْنِ الحُصَينِ رضي اللّه عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «خَيْرُكُمْ قَرني[4] ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثم الذين يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَكُونُ بَعدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ»[5] مُتَّفَقٌ عليه.

٥٠٩ ــ وعن أبي أُمامة رضي اللّه عنه قالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الفَضلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَن تُمسِكهُ شَرٌّ لَكَ، وَلا تُلامُ عَلى كَفَافٍ[6]، وَابدَأْ بِمَنْ تَعُولُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٥١٠ ــ وعن عُبَيد اللّه بْنِ مِحْصَنٍ الأَنْصَارِيِّ الخَطميِّ رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُم آمِنَاً في سِرْبِهِ[7]، مُعَافىً في جَسَدِهِ،

(١) «فقال صالح» هذا من باب التفاؤل، أي سيصحُّ إن شاء اللّه، وهو كناية عن المرض، فلذلك توجَّه ﷺ مع أصحابه لعيادته.
(٢) «نمشي في السِّباخ» أي نمشي حفاة في الأرض التي تعلوها الملوحة.
(٣) «فاستأخر قومُه» أي الأنصار إكراماً للرسول ﷺ وأصحابه الوافدين معه، وهذا من أدبهم، وإنزالهم للناس منازلهم.
(٤) «خيركم قرني» أي خير الناس أصحابي الذين هم في زماني، ثم قرنُ التابعين، ثم قرنُ تابعِ التابعين، فهذه هي القرون الثلاثة المفضَّلة، والقرنُ مائة سنة، ويراد به أهل العصر.
(٥) «ويظهر فيهم السِّمَنُ» أي كثرة اللحم، وذلك علامة على توسعهم في المآكل والمشارب، على غير الوجه المعتاد.
(٦) «ولا تُلَام على كَفَاف» أي لا يلحقك إثم ولا عتب، على إنفاقك قدر الحاجة، من مأكلٍ، ومشربٍ، وملبس.
(٧) «آمناً في سِرْبه» أي آمناً في جماعته على نفسه، وأهله، وماله.

عِنْدَهُ قُوتُ يَومِهِ، فَكأَنَّمَا حِيزتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا»[(١)] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ. «سِرْبِهِ» بكسر السين، أي: نَفْسِهِ، وَقِيْلَ: قَوْمِهِ.

٥١١ ـ وعن عبدِ اللَّهِ بن عمرو بْنِ العاصِ رضي اللَّه عنهما، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسلَمَ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً، وَقَنَّعَهُ اللَّه بِمَا آتاهُ»[(٢)] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥١٢ ـ وعن أبي مُحَمَّدٍ «فَضَالَةَ بن عُبَيْدٍ» الأَنْصَارِيّ رضي اللَّه عنه، أنَّهُ سَمِعَ رَسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «طُوبَى[(٣)] لِمَنْ هُدِيَ إلى الإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافاً، وَقَنِعَ»[(٤)] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٥١٣ ـ وعن ابن عباسٍ رضِيَ اللَّه عنهما قال: «كانَ رسولُ اللَّه ﷺ يَبيتُ اللَّيَالِي المُتَتَابِعَةَ طَاوِياً[(٥)]، وَأَهْلُهُ لا يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

٥١٤ ـ وعن فَضالَةَ بن عُبَيْدٍ رضي اللَّه عنه «أن رسول اللَّه ﷺ كَانَ إذَا صَلَّى بِالنَّاسِ، يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ في الصَّلاةِ مِنَ الخَصَاصَةِ[(٦)] وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ حتَّى يَقُولَ الأَعْرَابُ: هؤُلاءِ مَجَانِينُ، فَإذَا صلى رسول اللَّه ﷺ انْصَرَفَ إلَيْهِمْ، فقال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ تعالى[(٧)]، لأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديثٌ صحيحٌ. «الخَصَاصَةُ»: الْفَاقَةُ وَالجُوعُ الشَّدِيدُ.

---

(١) «حيزت له الدنيا بحذافيرها» أي كأنما جُمعت له الدنيا بأكملها.

(٢) «وقنّعه اللّه بما آتاه» أي صيَّره راضياً بما أعطاه من الكَفَاف، قال الشاعر:

إذا ما كنتَ ذا قَلْبٍ قَنُوعٍ فأنتَ ومالكُ الدنيا سَوَاءُ

وفي الحديث الشريف «وارضَ بما قَسَم اللّهُ لك تكن أغنى الناس».

(٣) «طوبى» أي يا سعادة من هداه اللّه للإسلام، ما أطيب عيشه!؟

(٤) «وقَنِع» أي رضي بما قسمه اللّه له.

(٥) «يبيت الليالي طاوياً» أي خالي البطن، وطاوياً على الجوع، وكان أهله كذلك لا يجدون طعام العشاء، فيبيتون على الجوع، مع أن خبز الشعير هو طعامهم.

(٦) «من الخصاصة» أي يسقطون في الصلاة على الأرض من الجوع الشديد، حتى يظن بعض الأعراب فيهم الجنون.

(٧) «لو تعلمون ما لكم عند اللّه» أي منزلتكم الرفيعة عند اللّه، وهذه تسلية لهم لإيمانهم، وصبرهم على الفقر والبأساء.

٥١٥ ـ وعن أبي كَرِيمَةَ «المِقْدَام بن مَعْدِي كَرِبَ» رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ[١] يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ[٢]، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن. «أُكُلاتٌ» أَيْ: لُقَمٌ.

٥١٦ ـ وعن أَبي أُمامةَ «إِيَاسِ بن ثَعْلَبَةَ الأَنْصَارِيِّ الحَارِثي» رضي الله عنه قال: «ذَكَرَ أَصْحَابُ رسول الله ﷺ يَوْمَاً عِنْدَهُ الدُّنْيَا، فقال رسول الله ﷺ: أَلا تَسْمَعُونَ؟ أَلا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ، إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الإِيْمَانِ[٣] يَعْنِي: التَّقَحُّلَ»[٤] رَوَاهُ أبو داود.

«الْبَذَاذَةُ» رَثَاثَةُ الهَيْئَةِ، وَتَرْكُ فَاخِرِ اللِّبَاسِ، وَأَمَّا «التَّقَحُّل» فهُوَ الرَّجُلُ الْيَابِسُ الجلدِ، مِنْ خُشُونَةِ الْعَيْشِ، وَتَرْكِ التَّرَفُّهِ.

٥١٧ ـ وعن أبي عبد الله «جابر بن عبد الله» رضي الله عنهما قال: «بَعَثَنَا رسول الله ﷺ، وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ رضي الله عنه، نَتَلَقَّى عِيراً لِقُرَيْشٍ، وَزَوَّدَنَا جِرَاباً مِنْ تَمرٍ[٥]، لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، فَقِيلَ كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قال: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ

---

(١) «بحسب ابن آدم» أي يكفي الإنسانَ من الدنيا لُقيمات يعيش عليهن.

(٢) «فإن كان لا محالة» أي إن كان لا بدَّ له من التنعم بالمآكل، وملء البطن، فثُلثٌ للمعدة، وثلثٌ للشراب، وثلث للتنفس. يُحكى أن كسرى سأل طبيباً: ما الداءُ الذي لا دواء له؟ فقال له: إدخالُ الطعام على الطعام، فذلك الذي أفنى البريَّة، وقَتَل سباع الأرض في البرّية، فسأله عن الحمية؟ قال: الاقتصادُ في المعيشة «كلوا واشربُوا ولا تُسرفوا».

(٣) «إن البذاذَة من الإيمان» لمَّا كان الناس يتفاخرون بالثياب والملابس، نبَّه ﷺ على أن ترك فاخر الثياب من الإيمان، وأكَّد ذلك بتكرار اللفظ، ليتواضع العبد المؤمن، وليس معناه ترك الزينة، وإظهار رثاثة الهيئة، وإنما التحذير من الخيلاء، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾؟ كان الإمام الشاذلي يلبس أجمل الثياب، فأنكر عليه رجلٌ يدَّعي الزهد، ويلبس رثَّ الثياب، فقال له الشاذلي: يا هذا هيئتي هذه تقول: «الحمد لله» وهيئتكم تقول: «أعطوني من دنياكم»!! فالمراد من الحديث إذاً: التواضع في اللباس، وترك التبجُّح به، وليس تحريم جميل الثياب.

(٤) «التقحُّل» هو خشونة العيش، وترك الترفُّه.

(٥) «جراباً من تمر» أي كيساً مملوءاً بالتمر من جلد.

المَاءِ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إلى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الخَبَطَ[١]، ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالمَاءِ فَنَأْكُلُهُ، قال: وَانطَلَقْنَا عَلى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَرُفِعَ لَنَا عَلى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ، فَأَتَيْنَاهُ فإذا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى (الْعَنْبَرَ)، فقال أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قال: لا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وفي سبيل اللَّهِ، وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا، فَأَقَمنَا عَلَيْهِ شَهْراً، وَنَحْنُ ثَلاثُمَائَةٍ، حَتَّى سَمِنَّا، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِنْ وَقْبِ عَيْنِهِ، بِالْقِلَالِ الدُّهْنَ وَنَقْطَعُ مِنْهُ الْفِدَرَ كالثَّوْرِ، أَوْ كَقَدْرِ الثَّوْرِ، وَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَأَقْعَدَهُمْ في وَقْبِ عَيْنِهِ وَأَخَذَ ضِلعاً مِنْ أَضْلَاعِهِ، فَأَقَامَهَا ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَائِقَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ أَتَيْنَا رسول اللَّه ﷺ فَذَكَرْنَا ذلِكَ له، فقال ﷺ: «هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ!! فَهَلْ مَعَكُمْ منْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتطعِمُونَا[٢]!؟ فَأَرْسَلْنَا إلى رسول اللَّه ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«وَالقِلالُ» الجِرَارُ. «وَالفِدَرُ» بكسرِ الفاءِ وفتحِ الدالِ: القِطَعُ. «رَحَلَ الْبَعِير» بتخفيفِ الحاءِ: أَيْ جَعَلَ عَلَيْهِ الرَّحْلَ. «الوَشَائِقُ» بالشينِ المعجمةِ وَالقَاف: اللَّحْمُ الَّذي قُطِعَ لِيُقَدَّدَ، واللَّه أعلم.

٥١٨ ـ وعن أَسْمَاءَ بِنْتَ يَزِيدَ رضي اللَّه عنها قالت: «كانَ كُمُّ قَمِيصِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى الرُّصْغِ»، رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ، وقال: حديثٌ حسن.

«الرُّصْغُ» بالصادِ، وَ«الرُّسْغُ» بالسينِ أيضاً، هوَ: المَفْصِلُ بَيْنَ الكَفِّ والسَّاعِدِ.

٥١٩ ـ وعن جابر رضي اللَّه عنه قال: «إنَّا كُنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ[٣] شَدِيدَةٌ، فَجَاؤُوا إلى النبيِ ﷺ فقالوا: هذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ في

---

(١) «الخَبَطَ» ورق الشجر، وهو من عَلَف البعير.
تنبيه: هذا الحديث عجيب، فهؤلاء أصحاب رسول اللَّه، خرجوا مجاهدين دُعاة إلى اللَّه، لم يجد لهم الرسول ﷺ ما يزوّدهم به إلّا كيساً من تمر، لم يكن عنده غيره، فكان أميرهم أبو عُبيدة يُعطيَهم كلَّ يوم تمرة، يمصُّونها كما يمصُّ الصبيُ ثدي أمه، ويأكلون بدل الخبز ورق الشجر، وفتحوا الدنيا وملكوا العالم، ونحن اليوم شبعت بطوننا، وكثرت أموالنا، وأضعنا فلسطين، لأننا تركنا الجهاد، والدعوة إلى اللَّه، فكتب اللَّه علينا الذل والهوان!! ولا بدَّ من عودة إلى سنام الإسلام، ألا وهو الجهاد في سبيل اللَّه!

(٢) «هل معكم من لحمه فتطعمونا» أي هل تحملون شيئاً من لحم ذلك الحوت؟ فأرسلوا إليه منه، فأكله تطييباً لخاطرهم، ولبيان حلِّ ميتة البحر.

(٣) «عرضت لنا كُدية» أي صخرة عظيمة عجزنا عن تكسيرها.

الخَنْدَقِ. فقال: أَنَا نَازِلٌ، ثُمَّ قَامَ، وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ[١]، وَلَبِثْنَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ لا نَذُوقُ ذَوَاقاً فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ، فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيباً[٢] أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّه ائذَنْ لي إلى البيتِ، فقلتُ لامْرَأَتِي: رأيتُ بالنبيِّ ﷺ شَيْئاً، ما في ذلِكَ صبْرٌ، فَعِندَكِ شَيْءٌ؟ فقالت: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ!! فَذَبَحْتُ العَنَاقَ وَطَحَنَتُ الشَّعِيرَ حَتَّى جعَلْنَا اللحمَ في البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النبيَّ ﷺ، وَالعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ، والبُرمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ قَد كَادَت تَنْضِجُ، فقلتُ: طُعَيِّمٌ لي، فَقُمْ أَنْتَ يا رسولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَان!! قال: «كَمْ هُوَ؟» فَذَكَرْتُ له فقال: كثيرٌ طَيِّبٌ، قُل لَهَا لا تَنْزِعِ البُرْمَةَ، ولا الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ، حَتَّى آتي، فقال: «قُومُوا» فقام المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ، فَدَخَلْتُ عليها فقلت: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبي ﷺ وَالمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ وَمَن مَعَهُم! قالت: هل سَأَلَكَ؟ قلتُ: نعم، قال: ادْخُلُوا وَلا تَضَاغَطُوا، فَجَعَل يَكْسِر الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللحمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ والتَّنُّورَ إذا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إلى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَل يَكْسِرُ وَيَغْرِفُ، حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ مِنْهُ، فقال: كُلِي هذَا وَأَهدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية: قال جابر: «لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصاً، فَانكَفَأْتُ إلى امْرَأَتي، فقلتُ: هل عِنْدَكِ شَيْءٌ؛ فإنِّي رَأَيْتُ بِرسولِ اللَّهِ ﷺ خَمَصاً شَدِيداً؟ فَأَخرَجَتْ إليَّ جِراباً فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ داجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إلى فَرَاغِي، وَقَطَّعْتُهَا في بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيتُ إلى رسول اللَّه ﷺ، فَقَالَتْ: لا تَفْضَحْنِي بِرسول اللَّه ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يا رسول اللَّه: ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَتْ صَاعاً مِنَ شَعِيرٍ، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ رسول اللَّه ﷺ فقال: «يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ: إنَّ جابراً قَدْ صَنَعَ سُؤْراً، فَحَيَّهَلاً[٣] بِكُمْ» فقال النبيُّ ﷺ: لا تُنزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلا تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ، فَجِئْتُ، وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ، حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتي

---

(١) «وبطنُه معصوبٌ بحجر» أي مربوط بحجر قد وضعه على بطنه الشريف، من شدة الجوع، وتكسيرُه للصخرة التي عجز عنها الصحابة جميعهم، كان معجزة له ﷺ، ولم يكن بقوة مودعةٍ في الإنسان، لغلبة الضعف عليه ﷺ في ذلك الحين.

(٢) «فَعَادَ كثيباً» أي أصبحت تراباً ناعماً بضربة الرسول ﷺ.

(٣) «حيهلاً بكم» أي أهلاً ومرحباً بكم تفضّلوا للطعام.

فقالَتْ: بِكَ وَبِكَ[١]! فقلتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ!! فَأَخْرَجَتْ عَجِيناً، فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إلى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قال: ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلا تُنْزِلُوهَا وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لأكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانحرَفُوا، وإنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ»[٢]

قَوْلُهُ: «عَرَضَتْ كُدْيَةٌ»: قِطْعَةٌ غَلِيظَةٌ صُلْبَةٌ مِنَ الأَرْضِ، لا يَعْمَلُ فِيهَا الْفَأْسُ، «الكَثِيبُ» أَصْلُهُ تَلُّ الرَّمْلِ، وَالْمُرَادُ هُنَا: صَارَتْ تُرَاباً نَاعِمَاً، وَهُوَ مَعْنَى «أَهْيَلَ»، و «الأَثَافِيُّ»: الأَحْجَارُ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا القِدْرُ، و «تَضَاغَطُوا»: تَزَاحَمُوا، و «الخَمَصُ»: الجُوعُ، و «انْكَفَأْتُ»: انْقَلَبْتُ وَرَجَعْتُ، و «الدَّاجِنُ»: هِيَ الَّتِي أَلِفَتِ الْبَيْتَ، و «السُّؤْر»: الطَّعَام الَّذي يُدْعَى النَّاسُ إِلَيْهِ، و «حَيَّهَلا» أي: تَعَالَوا، «بِكَ وبِكَ»: أي خاصمته وسبَّته، لأنها اعتقدتْ أن الذي عندها لا يكفيهم، فَاسْتَحْيَتْ وَخَفِي عَلَيْهَا مَا أَكْرَمَ اللَّه سُبْحَانَهُ وتعالى بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ، مِنْ هذِهِ الْمُعْجِزَةِ الظَّاهِرَةِ والآيَةِ الْبَاهِرَةِ، و «اقْدَحِي» أي: اغرِفي، وَالمِقْدَحَةُ: المِغْرَفَةُ، و «تَغِطُّ» أي: لِغَلَيَانِهَا صَوْتٌ، واللَّه أعلم.

٥٢٠ ـ وعن أنس رضي اللَّه عنه قال: «قال أبو طَلْحَة لأُمِّ سُلَيْم: قَد سَمعت صَوتَ رسول اللَّه ﷺ ضَعِيفاً، أعرِف فِيه الجوع، فهل عِندَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فقالت: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصاً مِن شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخَذَتْ خِمَاراً لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبزَ بَبَعضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحتَ ثَوبي وَرَدَّتْني بِبَعضِهِ، ثُمَّ أَرسَلَتْنِي إلى رسول اللَّه ﷺ، فَذَهَبتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رسُول اللَّه ﷺ جَالِسَاً في المَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فقال لي رسولَ اللَّه ﷺ: «أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟» فقلت: نَعَمْ، فقال: أَلِطَعَام؟ فقلت: نَعَمْ، فقال رسول اللَّه ﷺ: قُومُوا، فَانطَلَقُوا وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حَتَّى جِئتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرتُهُ، فقال أبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيم: قَد جَاءَ رسول اللَّه ﷺ بالنَّاس، وَلَيْسَ عِنْدَنَا ما نُطْعِمُهُمْ!! فقالتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

---

(١) «فقالت: بك وبك» أي خاصمته وقالت له: فَعَلَ اللَّه بك ما فعل! من أين آتيهم بطعام يكفي هذا الجيش؟ وخفي عليها ما أكرم اللَّه به نبيَّه ﷺ، من هذه المعجزة الظاهرة؟

(٢) هذه القصة من معالم النبوّة، ومعجزات سيد المرسلين، فقد أكل الجيش وشبع، من هذا الطعام القليل، الذي يكفي في العادة خمسة أنفس، حتى كفى ألفاً وزيادة، ببركة دعائه ﷺ، وبقي الطعام كما هو بل أزيد، والخبز كذلك يُخبز كأنه لم ينقص منه شيء.

فانطَلَقَ أبو طَلْحَة حَتَّى لَقِيَ رسولَ اللَّه ﷺ، فَأَقبَلَ رسولُ اللَّه ﷺ مَعَهُ حَتَّى دَخَلا، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: هَلُمِّي ما عِندَكِ يَا أُمَّ سُلَيم، فَأَتَتْ بِذلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رسولُ اللَّه ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ عَلَيهِ أُمُّ سُلَيم عُكَّةً[1] فَآدَمَتْهُ، ثُمَّ قال فيهِ رسول اللَّه ﷺ ما شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ[2]، ثُمَّ قال: ائذَنْ لِعَشَرَةٍ فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثم قال: ائذَنْ لِعَشَرَةٍ، فَأَذِنَ لَهم، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثمَّ خَرَجُوا، ثمَّ قال: ائذَنْ لِعَشَرَةٍ، فَأَذِنَ لَهُمْ حتى أَكل القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلاً أَوْ ثَمانُونَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ عن أنسٍ قال: «جِئْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَوْماً، فَوَجَدتُهُ جَالِساً مَعَ أَصحابِهِ، وَقَد عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ، فقلتُ لِبَعضِ أَصحَابِهِ: لِمَ عَصَبَ رسولُ اللَّه ﷺ بَطْنَهُ؟ فقالوا: مِنَ الجُوعِ، فَذَهَبْتُ إلى أبي طَلْحَةَ ـ وَهُوَ زَوْجُ أُمِّ سُلَيم بنتِ مِلحَانَ ـ فقلتُ: يَا أَبَتَاه، قد رَأَيتُ رسولَ اللَّه ﷺ عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ، فَسَأَلْتُ بَعضَ أَصْحَابِهِ، فقالوا: مِنَ الجُوعِ، فَدَخَلَ أَبُو طَلحَةَ على أُمِّي، فقال: هَل مِن شَيْءٍ؟ قالت: نعم عِنْدِي كِسَرٌ مِن خُبزٍ وَتَمَرَاتٌ، فإنْ جاءَنَا رسول اللَّه ﷺ وَحدهُ أَشْبَعْنَاهُ، وَإن جَاءَ آخَرُ معه قَلَّ عَنهمْ»... وَذَكَرَ تَمَامَ الحَدِيث.

۞ ۞ ۞

بابٌ في القناعة والعَفافِ، والاقتصاد في المعيشة والإنفاق، وذم السؤال من غير ضرورة

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[3] [هود: ٦].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[4] [البقرة: ٢٧٣].

---

(١) «عُكَّةً فآدَمَتْه» أي أخرجت وعاءً من الجلد فيه السمنُ، فصيَّرت الخارجَ منه إداماً، أي طعاماً مع الخبز.

(٢) «قال فيه رسول اللّه ما يقول» أي دعا على الطعام ما دعا ليبارك اللّه فيه.

(٣) ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ..﴾ الآية أي ليس شيء يدبُّ على وجه الأرض، من إنسان أو حيوان، إلّا تكفَّل اللّه برزقه، تفضلاً منه وكرماً، فكما أنه سبحانه الخالق، كان هو الرازق.

(٤) ﴿تَعرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ الآية أي تعرفهم بعلامتهم وهي التعفف، لا يسألون الناسَ إطلاقاً، لا بالإلحاح ولا بغير إلحاح.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[١] [الفرقان: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٧].

وأما الأحاديثُ، فَتَقَدَّمَ مُعْظَمُهَا في البَابَينِ السَّابِقَينِ، وَمِمَّا لم يَتَقَدَّم:

٥٢١ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

«العَرَضُ» بفتح العين والراءِ: هُوَ المَالُ.

٥٢٢ ـ وعن عبد اللّه بن عمرو رضي اللّه عنهما، أن رسول اللّه ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمْ، وَرُزِقَ كَفافاً[٣]، وَقَنَّعَهُ اللّه بما آتاهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٢٣ ـ وعن حَكيم بن حِزَام رضي اللّه عنه قال: «سَأَلْتُ رسول اللّه ﷺ فَأَعْطَانِي، ثمَّ سَأَلْتُهُ فأَعْطَانِي، ثم سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثم قال: يا حَكيمُ، إنَّ هذَا المَالَ خَضِرٌ حُلوٌ، فَمَن أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ[٤]، بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ[٥]، لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلا يَشْبَعُ[٦]، واليَدُ العُليَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفلَى[٧]،

---

(١) ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً﴾ الآية، أي كان إنفاقهم وسطاً، لا يبذِّرون المال، ولا يقصِّرون في الإنفاق.

(٢) أي ليس الغنى بكثرة المال والمتاع، ولكنه بقناعة القلب، والرضى بما قسم اللّه، قال الشاعر:

إذا ما كنتَ ذا قلبٍ قنوع ... فأنتَ ومالكُ الدنيا سَوَاءُ

وقال آخر:

رضينا قسمة الجبّار فينا ... لنا علمٌ وللجهّال مال

فإن المال يَفْنَىٰ عن قريب ... وإن العلم كنز لا يزال

(٣) «ورُزِق كفافاً» أي رزقه اللّه ما يكفيه ويسدُّ حاجته، فلا يكون في حال الفقر المُدْقع، ولا الغِنَى المُطْغى.

(٤) «فمن أخذه بسخاوة نفس» أي بغير سؤال، ولا شَرَه ولا إلحاح.

(٥) «ومن أخذه بإشراف نفس» أي بتطلُّع إليه، وحرصٍ على جمعه وتحصيله.

(٦) «كان كالذي يأكل ولا يشبع» هذا من أبدع التشبيه، أي كان مثل المريض السقيم، كلما أكل ازداد سُقماً ومرضاً ولم يشبع.

(٧) «اليد العليا خير من السفلى» اليدُ العليا: هي المعطية المنفقة، واليد السفلى: هي الآخذة السائلة، وفي الحديث ترغيب في البذل والعطاء، وترهيب من سؤال الناس، والحث على الزهد.

قال حَكِيم فقلتُ: يا رسول اللَّه، والَّذي بَعَثَكَ بالحَقِّ، لا أَرزَأُ أَحَدَاً[١] بعدَكَ شَيئاً، حَتَّى أُفارِقَ الدُّنْيَا. فَكَانَ أَبُو بكرٍ رضي اللَّه عنه، يَدْعُو حَكيماً لِيُعطِيَهُ العَطَاءَ، فَيَأْبَى أنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئَاً. ثُمَّ إنّ عُمَرَ رضي اللَّه عنه، دَعَاهُ لِيُعطيَهُ، فَأَبى أَن يَقْبَلَ. فقال: يا مَعْشَرَ المُسْلِمينَ، أُشْهِدُكُمْ عَلى حَكِيم، أني أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ، الَّذي قَسَمَهُ اللَّهُ لهُ في هذَا الفيءِ، فيأْبى أَنْ يأْخُذَهُ! فَلَمْ يرزأْ حَكيمٌ أَحَداً مِنَ النَّاسِ، بَعْدَ النَّبي ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ» مُتَّفَقٌ عليه.

«يَرْزَأُ» أَي: لَم يَأْخُذْ مِن أَحَدٍ شَيْئَاً، وَأَصلُ الرُّزْءِ: النُّقصَانُ، أَي: لَمْ يَنْقُصْ أَحَدَاً شَيئاً بالأخذِ مِنهُ، و «إشْرَافُ النَّفسِ»: تَطَلُّعُهَا وطَمَعُهَا بالشَّيءِ، و «سَخَاوَةُ النَّفْسِ»: هيَ عَدَمُ الإشرَاف إلى الشَّيءِ، والطَّمع فيه، والمُبَالاةِ بِهِ والشَّرَهِ.

٥٢٤ ـ وعن أبي بُردَةَ عن «أبي موسى الأشعَرِيِّ» رضي اللَّهُ عنه قال: «خَرَجْنَا مَعَ رسُولِ اللَّهِ ﷺ في غَزَاةٍ، ونحْن سِتَّةُ نَفَرٍ، بَيْنَنا بَعيرٌ نَعْتَقِبُهُ[٢]، فَنَقِبَتْ أَقْدامُنا[٣] وَنَقِبتْ قَدَمِي، وَسَقَطَتْ أَظْفاري، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلى أَرْجُلِنَا الخِرَقَ، فَسُمِّيَتْ «غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقاع» لما كُنَّا نَعْصبُ على أَرجُلِنَا من الخِرَقِ **قالَ أبو بُرْدَةَ**: فَحَدَّثَ أبو مُوسَى بِهذا الحَدِيثِ، ثُمَّ كَرِهَ ذلِكَ، وقَالَ: ما كنتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أذكُرَهُ[٤]! قال: كأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكونَ شيئاً مِنَ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٢٥ ـ وعن «عمرو بن تَغْلِبَ» رضيَ اللَّهُ عنه «أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِمَالٍ أَوْ سَبيٍ[٥]، فَقَسَّمَهُ، فَأَعْطَى رجالاً، وَتَرَكَ رِجالاً، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا[٦]، فَحَمِدَ

---

(١) «لا أرزأ أحداً» أي لا أطلب من أحدٍ شيئاً بعد هذا اليوم، وسبب سؤال حكيم للعطاء، أن النبي ﷺ أعطاه أقلَّ مما أعطى الناسَ، فقال يا رسول اللَّه: ما كنتُ أظن أن تعطيني أقلَّ مما أعطيتَ إخواني، فزاده ثم استزاده فأعطاه، ثم قال له ﷺ: «إن هذا المال حلو خَضِر..» الحديث.

(٢) «بعير نعتقبه» أي معنا جَمَل نتعاقبه في الركوب، واحداً بعد واحد، يركب البعض ثم ينزل، فيركبه غيره.

(٣) «نَقِبَتْ أقدامُنا» أي رقَّتْ وصار فيها بعض الجروح، فكنَّا نلفُّ عليها بعض الخِرَق، لذلك سميت «غزوة الرقاع».

(٤) «ما كنتُ أصنع بأن أذكره» أي لماذا أذكر هذا؟ وما الذي يحملني على ذكره للناس؟ خشيَ أبو موسى أن يكون ذلك سبباً للرياء وحبِّ الشهرة، فحدَّث به أولاً، ثم كره بعد ذلك الحديث عنه.

(٥) «أو سَبْي» هو ما يُؤخذ في الأسر من العبيد والإماء.

(٦) «فبلغه أن بعضهم عتبوا» أي وجدوا في أنفسهم شيئاً من العتب، فقالوا: لماذا لم يعطنا؟ =

اللَّهَ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قالَ: أَمَّا بَعْد: فَوَاللَّهِ إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، والَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلكِنِّي إِنَّما أُعْطِي أَقْواماً، لِما أَرَى في قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ والهَلَعِ، وأَكِلُ[١] أَقْوامَاً إِلى ما جَعَلَ اللَّهُ في قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى والخَيْرِ، مِنْهُمْ «عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ» قال عَمرُو بنُ تَغْلِبَ: فَواللَّهِ ما أُحِبُّ أَنَّ لي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّه ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ»[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ، «الهَلَعُ»: هُوَ أَشَدُّ الجَزَعِ، وقِيلَ: الضَّجَرُ.

٥٢٦ ـ وعنْ حَكِيم بْنِ حِزام رضيَ اللَّهُ عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ[٣]، وخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ[٤]، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ»[٥] مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم أخصر.

٥٢٧ ـ وعن أَبي عَبْدِ الرَّحْمَنِ «مُعاوِيَةَ بْنِ أَبي سُفْيَان» صَخْر بن حَرْبٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تُلْحِفُوا في المَسْأَلَةِ[٦]، فواللَّهِ لا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً، فَتُخرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئاً، وَأَنَا لَهُ كارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فيما أَعْطَيْتُهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

= ولا يُراد هنا السَّخط من فعل النبي ﷺ، لأن ذلك ينافي الإيمان، المشهود لهم به في الحديث، بقوله: «والذي أدع أحبُّ إليَّ من الذي أعطي».

(١) «وأَكِلُ أقواماً» أي وأترك أقواماً فلا أعطيهم، لما أعرفُ من نفوسهم من القناعة والزهد.

(٢) «حُمْرَ النَّعم» أي ما أحبُّ بهذه الكلمة التي قالها لي الرسول ﷺ كرائم الإبل ونفائسها.

(٣) «وابدأ بمن تعول» أي ابدأ بالإنفاق على الأهل والأولاد، الذين يجب عليك إعالتهم، فالأقربون أولى بالمعروف.

(٤) «ومن يستعفف» أي من يعفّ نفسه عن سؤال الناس، يرزقه اللَّه العفّة، ويُغنه عنهم فلا يحتاج لأحد.

(٥) «ومن يستغن» أي يُظهر الغنى من نفسه، يصيِّره اللَّه غنياً، لأن الغنى الحقيقي ليس عن كثرة المال، إنما الغنى غنى النفس، وفي هذا الحديث بيانٌ لعزة المسلم، التي ينبغي أن يتحلّى بها، وهي علامة صدق الإيمان، وطهارة النفس من الطَّمَع والجَشَع.

(٦) «لا تُلحفوا في المسألة» أي لا تُلحُّوا بالسؤال منّي لعطائكم شيئاً، فمن أعطيتُه لإلحاحه، وأنا كارهٌ لدفعه، لا يبارك اللَّه له فيه، لأنه أخذه عن غير طيب نفس، وهذا الحديث توجيهٌ نبويٌّ كريم، إلى الكفِّ عن الإلحاح في المسألة، فإنها خدوشٌ في وجهه يوم القيامة، كما في الحديث التالي: «لا تزال المسألة بأحدهم، حتى يلقى اللَّهَ وليس في وجهه مُزْعةُ لحم» أي قطعة لحم.

٥٢٨ ـ وعن أبي عبدِ الرحمنِ «عَوف بن مالك الأشْجَعِيّ» رضيَ اللَّهُ عنه قالَ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثمانِيةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ ـ وَكُنَّا حَدِيثي عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ ـ فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يا رسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قال: أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟ فَبَسَطْنَا أَيْدِينا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قال: على أنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، والصَّلَواتِ الخَمْس، وَتُطِيعُوا ـ وَأَسَرَّ كلمَةً خَفِيَّةً ـ وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئاً فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولئِكَ النَّفَرِ، يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَداً يُنَاوِلُهُ إيّاهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٢٩ ـ وعن ابنِ عمر رضيَ اللَّهُ عنهما، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَا تَزَالُ المَسأَلَةُ بِأحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقى اللَّهَ تعالى، ولَيْسَ في وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ» مُتَّفَقٌ عليه، «المُزْعَةُ» القِطْعَة.

٥٣٠ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسُول اللَّهِ ﷺ قال وهو على المِنْبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ والتَّعفُّفَ عَنِ المَسْأَلَةِ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلى، واليَدُ العُلْيَا هِيَ المُنْفِقة، وَالسُّفْلى هِيَ السَّائِلَة» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٣١ ـ وعن أبي هُريرة رضيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسُول اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تكَثُّراً[١] فإنَّما يَسْأَل جَمْراً[٢]، فَلْيَسْتَقِلَّ أوْ لِيَسْتَكْثِرْ»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٣٢ ـ وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدب رضي اللَّه عنه قال: قال رسُول اللَّهِ ﷺ: «إنَّ المَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بها الرَّجُلُ وَجْهَهُ[٤]، إلَّا أنْ يَسأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَاناً[٥]، أوْ في أَمْرٍ لا

(١) «سأل الناس تكثراً» أي سأل عن غير حاجة، إنما ليكثر ماله، ممَّا يجتمع عنده بسبب السؤال.

(٢) «فإنما يسأل جمراً» أي يصير هذا الذي أخذه جمراً يوم القيامة، يُكوى به في النار ويُحرق.

(٣) «فليستقلَّ أو ليستكثر» أي فليختر لنفسه بين الاستكثار من السؤال، والاستقلال منه، حتى يكثر عذابه أو يقلّ.

(٤) «إن المسألة كَدٌّ» أي سؤال الناس من دنياهم، خَدْشٌ يخدش به السائل وجهه، ويُريق به ماء وجهه، وهذا شيء لا يليق بالمسلم العاقل، قال الشاعر:

إذا أَظْمَأَتْكَ أَكُفُّ اللِّئَام ... كَفَتْكَ القَنَاعَةُ شِبْعاً ورِيّاً
فإنَّ إرَاقَةَ مَاءِ الحَيَاةِ ... دون إراقةِ ماءِ المُحَيَّا

(٥) «إلا أن يسأل سلطاناً» أي إلا أن يطلب من السلطان ما أوجبه اللَّه له، من الزكاة، أو المغنم، أو بيت المال.

بُدَّ مِنْهُ»(١) رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح. «الكَدُّ»: الخَدشُ وَنحْوهُ.

٥٣٣ ـ وعن ابنِ مسعودٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَها بِالنَّاسِ(٢)، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَها باللَّهِ، فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزقٍ عاجِلٍ أَوْ آجِلٍ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن، «يُوشكُ» أي يُسرِعُ.

٥٣٤ ـ وَعَنْ ثَوْبَانَ رضيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَكَفَّلَ لي أنْ لا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً، وأَتَكَفَّلُ له بالجَنَّةِ؟ فقلتُ: أنا، فَكانَ لا يَسْأَلُ أَحَداً شَيْئاً» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

٥٣٥ ـ وعن أبي بِشْرٍ «قَبيصَةَ بْنِ المُخَارِقِ» رضيَ اللَّهُ عنه قال: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً(٣) فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فيها، فقال: «أَقِمْ حَتى تَأْتِيَنا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بها، ثُمَّ قَالَ يا قَبِيصَةُ: إنَّ المَسأَلَةَ(٤) لَا تَحِلُّ إلَّا لأَحَدِ ثَلاثَة: رَجُلٌ تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ، حَتَّى يُصيبَها، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصيبَ قَواماً مِنْ عَيْشٍ ـ أَوْ قال: سِداداً مِنْ عَيْشٍ ـ وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فاقَةٌ، حَتى يَقُولَ ثَلاثَةٌ مِنْ ذَوي الحِجَى مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصابَتْ

---

(١) «أو في أمرٍ لا بدَّ منه» أي في أمرٍ ضروري لا غنى له عنه، كما إذا لم يجد شيئاً يأكله، ولا يستطيع العمل، فيسأل لدفع الحاجة.

(٢) «فاقة فأنزلها بالناس» أي أصابته حاجة فطلب رفعها من الناس، ونسيَ ربَّ العزة والجلال قاضي الحاجات، لم تُقض حاجتُه، لأنه اعتمد على العبد العاجز، ونسي القويَّ القادر، ومن طلبها من الله، فالله عونه وسنده.

قال وهب بن منبِّه: لرجل يأتي الملوك: ويحك تأتي من يُغلق عنك بابه، ويُخفي عنك غناه، وتَدَع من يفتح لك بابه في النهار والليل، ويُظهر لك غناه؟! قال تعالى: **﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾**!!

(٣) «تحمَّلْتُ حَمَالة» أي لزمتني ديون للإصلاح بين جماعة متخاصمين، تعهدت لهم بها فأتيت النبي أستعينه.

(٤) «إن المسألة» أي إن السؤال من الصدقة أعني الزكاة، التي ذكر الله مصارفها، لا تحلُّ إلَّا لأحدِ ثلاثة أصناف من المضطرين حقيقة للعون والمساعدة:

١ ـ رجل تحمَّل مالاً ليس عنده سداده.

٢ ـ ورجل أصابته كارثة ذهبت بزرعه وثمره.

٣ ـ ورجل أصابه فقر شديد مدقع فيسأل الزكاة، وما سوى ذلك فهو سحت، أي مال حرام يأخذه.

فُلاناً فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حتَّى يُصيبَ قِواماً مِنْ عَيْشٍ، أَوْ قالَ: سِداداً مِنْ عَيْشٍ، فَمَا سِواهُنَّ مِنَ المَسألَةِ يا قَبِيصَةُ سُحْتٌ، يأكُلُهَا صاحِبُها سُحْتاً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، «الحَمَالَةُ» أَنْ يَقَعَ قِتَالٌ بَينَ فَرِيقَين، فَيُصلِحُ إنسانٌ بَيْنَهُمْ عَلى مالٍ، يَتَحَمَّلُهُ ويلتزمه عَلى نفسهِ، و «الجائِحَةُ»: الآفةُ تُصِيبُ مالَ الإنسانِ، و «القِوَامُ» بكسر القافِ وفتحها: هُوَ ما يقومُ بِهِ أَمْرُ الإنسانِ مِنْ مَالٍ ونحوهِ، و «السِّدادُ» بكسر السين: مَا يَسُدُّ حاجَةَ المُعْوِزِ وَيَكْفِيهِ، و «الفَاقَةُ» الفَقْرُ، و «الحِجَى»: العقلُ.

٥٣٦ ـ وعن أبي هريرة رضيَ اللَّهُ عنه، أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَيْسَ المِسْكِينُ[(١)] الَّذِي يَطُوفُ عَلى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتان، وَالتَّمْرَةُ والتَّمْرَتان، وَلكِنَّ المِسْكِينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ، فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في جَواز الأخذ من غيرِ مَسألة ولا تطلُّع إليه

٥٣٧ ـ عَنْ سالمِ بْنِ «عبدِ اللَّهِ بن عُمَرَ» عَنْ أَبيهِ عبدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمرَ رضي اللَّهُ عنهم قال: «كان رسول اللَّه ﷺ يُعْطِينِي العَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إليهِ مِنِّي، فقال: خُذْهُ، إذَا جاءَكَ مِنْ هذَا المَالِ شَيْءٌ، وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلا سَائِلٍ[(٢)]، فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ، فَإنْ شِئْتَ كُلْهُ، وإن شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ، وَمَا لا، فَلا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ[(٣)]، قال سَالمٌ: فَكَانَ عَبدُ اللَّه لا يَسأَلُ

---

(١) «ليس المسكين» أي ليس المسكين المحتاج إلى العون والعطاء، هو الطوّاف على الناس، الذي يردُّه القليل من العطاء، كالتمرة واللقمة، إنما حقيقةُ المسكين هو العفيفُ، المحتاج حاجة ماسة إلى المال، لكنه لا يسأل الناس، ولا يعرف أحد أنه محتاج لمواساته، كقوله سبحانه: ﴿يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ وفي هذا الحديث إشادة بالمؤمن العفيف، الذي لا يسأل أحداً، وهو عظيم الحاجة، فقير اليد، محتاج أشدَّ الحاجة للعون.

(٢) «غير مشرف ولا سائل» أي إذا جاءك العطاء من أحد، وأنت غير متطلِّع إليه، ولا طالب له من أحد فخذه واجعله مالَك، فإمّا أن تنفقه في حاجتك، أو تتصدق به.

(٣) «وما لا فلا تتبعه نفسك» أي وأيُّ مالٍ جاءك عن غير هذا الطريق، فلا تُشغل نفسك به، ولا تكن حريصاً عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ..﴾ [طه: ١٣١].

أَحَداً شَيئاً، وَلا يَرُدُّ شَيئاً أُعْطِيَهُ» مُتَّفَقٌ عليه. «مشرفٌ» أَيْ: مُتَطَلِّع إِلَيْهِ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في الحثِّ على الأكل من عمل يَده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء

قال اللّه تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[1] [الجمعة: ١٠].

٥٣٨ ـ عن أبي عَبْدِ اللَّهِ «الزُّبَيْر بْنِ العَوَّام» رَضِيَ اللَّه عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لأنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحبُلَهُ[2] ثُمَّ يَأْتِيَ الجَبَلَ، فَيأْتِيَ بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّه بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أن يَسأَلَ النَّاسَ، أَعطَوْهُ أوْ مَنَعُوهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٣٩ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللّه عنه قالَ: قَالَ رسولُ اللّه ﷺ: «لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُم حُزْمَةً عَلى ظَهرِهِ، خَيْرٌ لَهُ من أَنْ يَسأَلَ أَحَداً، فَيُعطِيَهُ أَو يَمْنَعَهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٤٠ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «كَانَ دَاوُدُ عليهِ السَّلامُ لا يَأْكُل إلَّا مِن عَمَلِ يَدِهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٤١ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ اللّه ﷺ قال: «كانَ زَكَرِيَّا عليه السلامُ نجَّاراً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٤٢ ـ وعنِ «المِقْدَام بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ» رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال:

---

(١) ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ﴾ الآية أي تفرّقوا في الأرض، للكسب والتجارة، واطلبوا الرزق من اللّه، فإنه المنعم المتفضل.

(٢) «يأخذ أَحْبُلَه» جمع حبل، أي يأخذ الحبال ليحتطب بها، ثم يحمل الحطب على ظهره فيبيعه، خير له من أن يُعرّض نفسه للمهانة، **وفي الحديث**: حثٌّ على العمل، ولو امتهن نفسه بارتكاب المشاقّ، كحمل الحطب أو الحجارة، وتحذير من الاستجداء بسؤال الناس، سواءٌ أعطوه أم منعوه.

«مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَن يَأْكُلَ مِنَ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّه دَاوُدَ ﷺ كان يَأكُل مِن عَمَلِ يَدِهِ»[١] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في الكرم والجود والإنفاق في وجُوه الخير، ثقةً بالله تعالى

قال اللّه تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[٢] [سبأ: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

٥٤٣ ـ وعَنِ ابنِ مسعودٍ رضي اللّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَين[٣]: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّه مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ[٤]، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً[٥]، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «وإن نبي اللّه داود كان يأكل من عمل يده» أي من كسب يده، وفي الحديث إشارة إلى أن أفضل الكسب ما كان بعمل الإنسان، وأن العمل مهما كان، لا يعتبر قبيحاً أو مهيناً، فداود عليه السلام كان حدّاداً يصنع الدروع، وآلات الحرب والسلاح، وزكريا عليه السلام كان نجاراً، وموسى عليه السلام رعى الغنم، فالعمل شرف للإنسان، وأفضل ما يأكله الإنسان من عمل يده.

(٢) ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ الآية أي يعطيكم عوضاً عنه، ويعوّضه عليكم، إما في الدنيا أو في الآخرة، لأن بيده سبحانه خزائن الرزق.

(٣) «لا حسد إلا في اثنتين» هذا ليس من الحسد المذموم، وإنما معناه الاغتباط، أي لا يغبط إنسان غيره إلّا في خصلتين حميدتين، سمي حسداً من باب المشاكلة أي الموافقة في اللفظ، مع الاختلاف في المعنى.

(٤) «فسلّطه على هلكته في الحق» أي أنفقه في وجوه الخير والإحسان، وفيما يُرضِي الرحمن، كالإنفاق على نفسه وأولاده، وعلى الأرامل والأيتام، وغيرها من وجوه البرِّ والخير.

(٥) «ورجل آتاه اللّه حكمة» أي رزقه علماً وفقهاً في الدين، فهو يعمل به، ويعلّمه الناس، ففي هذا إشادة بفضل العلم والتعليم، قال الشاعر:

فـفـز بـعـلـمٍ تـعـش حـيـاً بـه أبـداً ... الـنـاس مـوتـى وأهـل الـعـلـم أحـيـاء.

معناه: يَنْبَغِي أَن لا يُغْبَطَ أَحَدٌ إِلّا على إحْدَى هَاتَين الخَصْلَتَينْ.

٥٤٤ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالُ[١] وَارِثِهِ أَحَبُّ إليه مِنْ مَالِهِ؟ قالُوا: يا رَسولَ اللَّه: مَا مِنَّا أَحَدٌ إلَّا مَالُه أَحَبُّ إليهِ، قال: فَإن مَالَهُ ما قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ ما أَخَّرَ»[٢] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٤٥ ـ وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حاتم رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

٥٤٦ ـ وعن جابر رضي اللَّه عنه قال: «ما سُئِلَ رسولُ اللَّه ﷺ شَيئاً قَطُّ فقالَ: لا»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

٥٤٧ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْم يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ إلَّا مَلَكَانِ يَنزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعطِ مُنْفِقاً خَلَفًا[٥]، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعطِ مُمْسِكاً تَلَفاً» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٤٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «قالَ اللَّهُ تعالى: أَنفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٤٩ ـ وعنْ عبد اللَّهِ بن عَمْرو بْنِ العَاصِ رضي اللَّه عنهُمَا «أَنَّ رَجُلاً

---

(١) «أيكم مال وارثه أحبُّ»؟ هذا سؤال يُقصد به التنبيه والإرشاد إلى أمر عظيم خطير، فالإنسان يجمع المال ويظن أنه له، وما يدري أنه يجمعه للوارث، فإنه إذا مات انتقل فوراً إلى وارثه، إلى ابنه، أو أخيه، أو ابن عمّه، أمَّا مالُه الحقيقي فهو ما قدّمه في حياته، بأن تصدّق، أو أكل، أو لبس، كما جاء في الحديث الآخر: «لَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِكَ، إلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ» رواه مسلم.

(٢) «ومالُ وارثه ما أخّر» أي ومال الوارث ما تركه له صاحب المال، فإن عمل به الوارث في طاعة اللَّه، انتفع بثوابه الميت، وإن عمل فيه بمعصيةِ اللَّه، كان أبعد من الانتفاع به الميت، إن سلم من تبعته.

(٣) «اتقوا النار ولو بشقّ تمرة» أي أنقذوا أنفسكم من النار، ولو بالتصدق بنصف تمرة، فاللَّه لا يضيع مثقال الذرة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ﴾.

(٤) «ما سُئل شيئاً فقال: لا» أي ما سُئل ﷺ شيئاً من المال فمنعه أحداً، إن كان عنده أعطاه، وإلّا وعده ولم يخلف العطاء.

(٥) تقدم شرح الحديث ورقمه (٢٩٦) باب النفقة على العيال.

سَأَلَ رسول اللَّه ﷺ: أَيُّ الإِسلام خَيرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ، عَلى مَنْ عَرَفْتَ وَمَن لم تَعْرِفْ»(١) مُتَّفَقٌ عليه.

٥٥٠ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «أَرْبَعون خَصلَةً أَعلاهَا مَنيحَةُ العَنْزِ، ما مِن عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصلَةٍ منها، رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ تعالى بِهَا الجَنَّةَ»(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وقدْ سبقَ بَيانُ هذَا الحديث في باب بَيَان كَثْرةِ طُرق الخَيْرِ.

٥٥١ ـ وعن أبي أُمَامَةَ «صُدَيِّ بْنِ عَجْلانَ» رضي اللَّه عنه قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَن تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، أو أن تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلا تُلامُ عَلى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، واليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى»(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٥٢ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه قال: «ما سُئِلَ رسولُ اللَّه ﷺ عَلى الإِسْلَام شَيْئَاً إِلَّا أَعْطَاهُ، وَلَقَد جاءَه رجُلٌ، فَأَعْطَاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إلى قَومِهِ فَقَالَ: يَا قَوْم أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدَاً يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الفَقْرَ(٤)، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ(٥)، مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنيا، فَمَا يَلْبَثُ إِلَّا يَسِيراً، حَتَّى يَكُونَ الإِسْلامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مَن الدُّنيَا وَمَا عَلَيْهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «على من عرفت ومن لم تعرف» أي تسلِّم على من عرفته، ومن لم تعرفه من المسلمين، فإن السلام شعار أهلِ الإسلامُ.

(٢) تقدم الحديث مع شرحه رقم (١٣٨) باب كثرة طرق الخير.

(٣) تقدم الحديث مع شرحه (٥٠٩) باب فضل الجوع.

(٤) «يعطي عطاء من لا يخشى الفقر» أي عظيم الكرم، يعطي عطاءً عجيباً، عطاء من لا يخاف الفقر، فقد أعطى رجلاً غنماً بين جبلين، وأعطى «صفوان بن أمية» مائة من الإبل، ثم مائة، ثم مائة، حتى قال صفوان: (واللَّهِ لقد أعطاني رسولُ اللَّه ما أعطاني، وإنه لأبغضُ الناسِ إليَّ، فما برح يعطيني، حتى إنه لأحبُّ الناسِ إليَّ) رواه مسلم، هكذا كان ﷺ يتألف قلوبَ الناس، فقد كان سخياً كريماً، لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه، وإن لم يكن عنده شيء استدان ﷺ، حتى يعطي الطالب ما يريده، ويقضي حاجته، كما قال بلال: (كان ﷺ إذا أتاه أحد مسلماً، فرآه عارياً، يأمرني فأنطلق فأستقرض، فأشتري له البردة فأكسوه وأطعمه).

(٥) «إن كان الرجل ليسلم» أي كان الواحدُ يَدْخُل في الإسلام، طمعاً في المال، ورغبةً في العطاء، لما يرى من مزيد بذله ﷺ، فلا يمكث إلا القليل من الزمن، حتى تشرق في قلبه أنوار الرسالة المحمدية، ويخالط الإيمان بشاشة قلبه، فيصبح الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما فيها، فصلوات اللَّه وسلامه على بحر الجود والكرم.

٥٥٣ ـ وعن عُمَرَ رضيَ اللَّه عنه قال: «قَسَم رسولُ اللَّهِ ﷺ قَسْماً، فَقُلْتُ: يا رسولَ اللَّه لَغَيْرُ هؤلاءِ، كَانُوا أَحَقَّ بِهِ مِنهُم؟ قال: إنَّهُمْ خَيَّرُوني أن يَسأَلُوني بالفُحشِ، أَوْ يُبَخِّلُوني، وَلَستُ بِبَاخِلٍ»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٥٤ ـ وعن جُبَيْرِ بْنِ مُطعِم رضيَ اللَّه عنه أنه قال: «بَيْنَمَا هُوَ يَسيرُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ، مَقْفَلَهُ مِن حُنَيْنٍ[٢]، فَعَلِقَهُ الأَعْرَابُ يَسْأَلونَهُ، حَتَّى اضطَرُّوهُ إلى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوقَفَ النَّبيُّ ﷺ فقال: أَعْطُوني رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ لي عدَدُ هذِهِ العِضَاةِ نَعَماً، لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثم لا تَجِدُوني بَخِيلاً وَلا كَذَّاباً وَلا جَبَاناً»[٣] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

«مَقْفَلَهُ» أَيْ: حَالَ رُجُوعِهِ. وَ «السَّمُرَةُ»: شَجَرَةٌ. وَ «العِضَاةُ»: شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ.

٥٥٥ ـ وعن أبي هُريرة رضيَ اللَّهُ عنه، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدَاً بِعَفْوٍ إلَّا عِزّاً، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للَّه، إلَّا رَفَعَهُ اللَّه عزَّ وَجَلَّ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «خيَّروني أن يسألوني بالفُحش أو يُبخِّلوني» هذا الحديث الشريفُ يحتاج إلى شرح مفصَّل، لأنه دقيق المعنى: فقد قسم ﷺ في بعض غزواته الغنائم، فأعطى أناساً وترك آخرين، فقال له عمر رضي اللَّه عنه: إن هناك من هو أحقُّ بالغنائم، من هؤلاء الذين أعطيتهم!؟ فوضَّح له ﷺ سبب إعطاء هؤلاء، مع علمه بأن غيرهم أحقُّ بالعطاء، وهو أن هؤلاء الأعراب، ألحُّوا عليه في المسألة، لضعف إيمانهم، وألجئوه إلى أن يعطيهم، أو يتَّهموه بالبخل، فاختار أن يعطيهم، إذ ليس البُخْلُ من خلقه عليه السلام، مداراةً لهم وتألفاً على الإسلام. كما قال ﷺ: «إن شرَّ الناس من اتقاه الناسُ مخافةَ شرِّه» ففي الحديث مداراة أهل الجهالة والغلظة، وتألُّفهم بالمال إذا كان فيه مصلحة، وفيه دلالة على عظيم خُلُقه ﷺ وصبره وحلمه على الجاهلين.

(٢) «مقفله من حنين» أي مرجعه من غزوة حنين، فتعلَّق به الأعراب يسألونه العطاء، حتى ألجئوه إلى شجرة كبيرة، كثيرة الشوك، فانتزع الشوكُ رداءه، فقال لهم ﷺ ردُّوا عليَّ الرداء، فلو كان عندي من الأنعام عدد هذه الأشجار لقسمته بينكم.

(٣) «لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً» أي ليس بي شيء من هذه الصفات (البخل والكذب والجبن) وإنما قال ذلك، لأنه ﷺ طلب منهم أن يفسحوا له الطريق، ووعدهم بالعطاء وأنه لو كان عندهُ من الإبل والأنعام، بعدد شجر البوادي لقسمه بينهم، فليس هو ببخيل، ولا يُخلف وعده معهم لأنه لا يكذب، ثم هو لا يخاف منهم لأنه شجاع.

قال ابن حجر: وفي الحديث ذمُّ الخصال المنفية، وأن إمام المسلمين لا ينبغي أن يكون فيه خصلة منها، وفيه ما كان عليه ﷺ من الحلم، وحُسْن الخُلُق، وسعة الود، والصبر على جفاة الأعراب.

٥٥٦ ـ وعن أبي كَبْشَةَ «عُمرَ بْنِ سعد الأنمَارِيّ» رضي اللّه عنه، أنه سمعَ رسولَ اللّه ﷺ يقولُ: «ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ[١]، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ:

١ ـ مَا نَقَصَ مَالُ عَبدٍ مِن صَدَقَةٍ[٢]

٢ ـ وَلا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلمَةً صَبَرَ[٣] عَلَيْهَا إلَّا زَادَهُ اللّه عِزّاً.

٣ ـ وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسأَلَةٍ[٤] إلَّا فَتَحَ اللّه عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا.

وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ.

● قال: إنَّما الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ[٥]: عَبْدٍ رَزَقَه اللّه مَالاً وَعِلْماً، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للَّهِ فِيهِ حَقّاً، فَهذَا بأَفضلِ المَنَازِلِ.

● وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللّه عِلْماً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَو أَنَّ لِي مَالاً، لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ.

---

(١) «ثلاثة أقسم عليهن» أي ثلاثة صفات أو خصال أقسم لكم عليهن، والنبي ﷺ غنيٌ عن الحلف، ولكنه للتأكيد على القَسَم.

(٢) «ما نقص مالٌ من صدقة» أي يبارك اللّه له في المال، ويثيبه عليه في الآخرة، أو يعوّضه عليه في الدنيا، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾.

(٣) «ظُلم مظلمة فصبر عليها» أي حبس نفسه على ألمها، ولم ينتقم من الظالم مع قدرته على الانتقام، إلا رفع اللّه قدره، وزاده بها عزاً.

(٤) «فتح باب مسألة» أي سأل الناسَ أن يعطوه، لينال بذلك الغنى، تكثراً من أموال الناس، إلّا أفقره اللّه، وعامله بنقيض قصده، فتبقى نفسه فقيرة، مهما جمع من المال.

(٥) «إنما الدنيا لأربعة نفر» أي لأربعة أنواع من البشر:

١ ـ رجل رزقه اللّه العلم والمال، فهو يقوم بحقّ هذه النعمة، يشكر ربه، ويؤدي الزكاة، وينفق ويتصدَّق، فهذا بأعلى المنازل والمراتب في الآخرة.

٢ ـ ورجل رزقه اللّه العلم، ولكنه فقير لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، فهو لعلمه النافع، عازم على أن يحسن ويتصدق، ويعمل الخير، لو أن اللّه رزقه كما رزق الغني، فأجرهما سواء، وثوابهما واحد، الأول بالإنفاق، والثاني بالنية الصالحة.

٣ ـ الثالث إنسان رزقه اللّه المال، ولكنه أحمق جاهل، يُبذِّر ماله، فينفقه في الشهوات والمحرمات، ولا يؤدّي فيه حقّ الفقير والمسكين، فهذا بشرّ المنازل يوم القيامة.

٤ ـ والرابع إنسان ليس عنده علم ولا مال، ولكنه لسفهه وحماقته يقول: لو رزقني اللّه كما رزق فلاناً الجاهل، لعملت مثل عمله، فوِزْرُهما سواء عند اللّه، هذا بعمله القبيح، والآخر بنيته السيئة.

● وَعَبدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً، فَهُوَ يَخْبِطُ في مَالِهِ، بِغَيرِ عِلمٍ، لا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلا يَعلَمُ للَّهِ فِيهِ حَقّاً، فَهذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ.

● وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّه مَالاً وَلا عِلْماً، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ نِيَّتُهُ، فوِزْرُهُما سَوَاءٌ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٥٥٧ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها «أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً[1]، فقالَ النبيُّ ﷺ: مَا بَقِي مِنهَا؟ قالت: ما بقي مِنها إلَّا كَتِفُهَا، قال: بَقِيَ كُلُّهَا غير كَتِفِهَا» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث صحيح. ومعناه: تَصَدَّقُوا بها إلَّا كَتِفَهَا فقال: بَقِيَتْ لَنَا في الآخِرَةِ إلَّا كَتِفَهَا.

٥٥٨ ـ وعن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ الصديق رضي اللَّه عنهما قالت: «قال لي رسولُ اللَّه ﷺ: لا تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْكِ»[2]

وفي روايةٍ «أَنفِقِي أَو انفَحِي، وَلا تُحْصِي، فَيُحْصِي اللَّه عَلَيْكِ، وَلا تُوعِي فَيُوعِي اللَّه عَلَيْكِ» مُتَّفَقٌ عليه. وَ «انْفَحِي» بالحاءِ المهملة: وهو بمعنى «أَنْفِقِي».

٥٥٩ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أنه سمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَثَلُ البَخِيلِ والمُنْفِقِ[3]، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِن حَدِيدٍ، مِن ثُدِيِّهِمَا إلى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا المُنْفِقُ، فَلا يُنْفِقُ إلَّا سَبَغَتْ، أَوْ وَفَرَتْ على جِلدِهِ حتى تُخْفِي بَنَانَهُ، وَتَعْفُو أَثَرَهُ، وَأَمَّا البَخِيلُ، فَلا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيئاً إلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا فَلا تَتَّسِعُ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «ذبحوا شاة» أي ذبحوا شاة فتصدقوا بها ما عدا الكتف، فحين سأل النبي ﷺ ماذا فعلوا بالشاة؟ فأخبروه أنهم أنفقوها وتصدقوا بها غير الكتف، فقال لهم: لقد بقي كلُّها إلا الكتف، وهذا تحريض على الصدقة والإنفاق في سبيل اللَّه.

(٢) «لا توكي فيوكي اللَّهُ عليك» أي لا تدّخري ما عندك، وتمنعي ما في يدك، وتبخلي بالإنفاق، فيمنع اللَّه عنك فضلَه وعطاءه، ويمنع عنك الرزق، جزاءً وفاقاً.

(٣) «مثلُ البخيل والمنفق» هذا الحديث الشريف، مَثَلٌ رائع بديع، لمن عرف فحواه، وأدرك معناه، فقد شبَّه ﷺ البخيل والكريم برجلين، كل واحدٍ منهما لبس درعاً، يستتر به من سلاح عدوه، لبس أحدهما درعه سابغة كاملة حتى سترت جميع بدنه، من العنق إلى القدمين، فهو يتحرك ويصول ويجول آمناً من عدوه، ولبس الآخر الدرع، فلم يصل إلا إلى ثدييه، وبقي جسمه مكشوفاً لعدوه، وصار كمن غُلَّت يداه إلى عنقه، فلا يستطيع الحركة، فالكريم المنفق إذا همَّ بالصدقة انفسح لها صدره، وطابت نفسه، والبخيل إذا حدَّث نفسه بالصدقة، شحَّت وانقبضت يداه.

« الجُنَّةُ » الدِّرعُ؛ وَمَعْنَاهُ: أَن المُنفِقَ كُلَّمَا أَنفَقَ سَبَغَتْ، وَطَالَتْ، حتى تُجرَّ وَرَاءَهُ، وَتُخْفِي رِجْلَيهِ وأَثَرَ مَشيهِ وخُطُوَاتِهِ.

٥٦٠ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ[١] مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ، ولا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ[٢]، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُها بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِها كما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ[٣] حتَّى تكونَ مثلَ الجبلِ» مُتَّفَقٌ عليه. «الفَلُوُّ» بفتحِ الفاء وضَم اللام وهُوَ: المُهْرُ.

٥٦١ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنِ النَّبي ﷺ قال: « بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلاةٍ[٤] مِن الأرضِ، فَسَمِعَ صَوتاً في سَحَابَةٍ: اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ[٥]، فَتَنَحَّى ذلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ في حَرَّةٍ، فإذا شَرْجَةٌ[٦] مِن تِلكَ الشِّراجِ قَدِ اسْتَوعَبَتْ ذلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فإذا رَجُلٌ قَائمٌ في حَدِيقَتِهِ، يُحَوِّلُ الماءَ بِمِسْحَاتِهِ[٧]، فقال له: يَا عَبْدَ اللَّهِ ما اسْمُكَ؟ قال: فُلانٌ للاسْمِ الَّذي سَمِعَ في السَّحَابَةِ، فقال له: يا عَبْدَ اللَّهِ: لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فقَالَ: إنِّي سَمِعْتُ صَوْتاً في السَّحابِ، الذي هذَا مَاؤُهُ، يَقُولُ: اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ لاسمِكَ، فما تَصْنَعُ فِيهَا؟ فقال: أَما إِذْ قُلْتَ هذَا، فإِنِّي أَنْظُرُ إلى ما يخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بثُلُثِهِ، وآكُلُ أَنا وعِيالي ثُلُثاً، وأَرُدُّ فِيها ثُلُثَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الحَرَّةُ» الأَرْضُ المُلْبَسَةُ حِجَارَةً سَودَاءَ، «والشَّرجَةُ»: مَسِيلُ الماءِ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «بعَدْلِ تمرة» أي تصدَّق بقيمة تمرة، ولو كانت الصدقة قليلة، لكن بشرط أن تكون من كسب حلال.

(٢) «ولا يقبل اللَّه إلا الطيب» أي الحلال، لأن اللَّه طيب لا يقبل إلا طيباً، قال تعالى: ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أي من الرزق الحلال.

(٣) «كما يربى أحدكم فلوَّه» أي فرسه، والمراد أن اللَّه عزَّ وجل يقبل هذه الصدقة القليلة، وينمِّيها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل يوم القيامة، ويجد ثوابها عظيماً وجزيلاً. قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

(٤) «يمشي بفلاة» أي بأرضٍ قاحلة جرداء ليس فيها ماء.

(٥) «اسق حديقة فلان» أي اسق بستانه بماء هذا المطر.

(٦) «فإذا شرجةٌ» أي مسيلٌ من تلك المسايل يجري فيها الماء.

(٧) «يحوِّل الماء بمسحاته» أي بالمجرفة لسياقة الزرع، وإنما أكرم اللَّه هذا الرجل، بنزول المطر في بستانه، لأنه كان يحسن للفقراء والمساكين، فيأخذ الثلث، ويتصدق بالثلث، ويرد الباقي إلى بستانه لمصالحه ونفقة أهله وماله.

بابٌ في النَّهي عن البخل والشح

قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [الليل: ٨ ـ ١١].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

وأما الأحاديث فتقدمت جملة منها في الباب السابق.

٥٦٢ ـ وعن جابر رضي اللَّه عنه، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإنَّ الظُّلْمَ، ظُلُماتٌ يَوْمَ القيامَةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ، فَإنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ على أن سَفَكُوا دِمَاءَهم، واستَحَلُّوا مَحَارِمَهُم»[(١)] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في الإيثار والمواسَاة

قال اللَّه تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

٥٦٣ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللَّه عنه قال: «جَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: إنِّي مَجْهُودٌ[(٢)]، فَأَرسَلَ إلى بَعضِ نِسائِهِ، فَقَالَت: والَّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ ما عِنْدِي إلَّا مَاءٌ، ثم أَرْسَلَ إلى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهنَّ مِثْلَ ذلِكَ، لا والَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ ما عِنْدِي إلَّا مَاءٌ[(٣)]. فقال النبيُّ ﷺ من يُضِيفُ هذَا اللَّيْلَةَ[(٤)]؟ فقال رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ[(٥)]!!، فانْطَلَقَ بِهِ إلى رَحْلِهِ، فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: أَكرِمي ضَيْفَ رسولِ اللَّه ﷺ.

---

(١) تقدَّم هذا الحديث مع شرحه رقم (٢٠٤) باب تحريم الظلم.

(٢) «إني مجهود» أي أصابني الجُهْدُ والتعبُ والجوع.

(٣) «ما عندنا إلا ماء» أي ما عندنا شيءٌ يؤكل إلا الماء.

(٤) «من يُضيف هذ الليلة» أي يأخذه ضيفاً عنده مكاني، فيطعمه ويسدُّ حاجته!؟

(٥) «فقال رجل من الأنصار: أنا» هو أبو طلحة رضي اللَّه عنه، كما جاء صريحاً في روايةٍ لمسلم، أي أنا أُضيفه هذه الليلة، فذهب به إلى بيته، وقال لزوجته: أكرمي ضيف رسول اللَّه ﷺ، فقد نزل ضيفاً على رسول اللَّه ﷺ، ولم يكن في بيت أحد أزواجه طعام، فأنا أخذتُه نيابة عنه!! ما أهون الدنيا على اللَّه!؟ هذا هو سيد الخلق، وأفضلُ العالمين، لا يوجد في بيته طعام يأكله إنسان، فيطلب الرسول ﷺ من أصحابه من يأخذه ضيفاً =

وفي روايةٍ قال لامْرَأتِهِ: هل عِنْدَكِ شَيءٌ؟ فَقَالَتْ: لا، إلّا قُوتَ صِبيانِي!! قال: فعَلِّلِيهم بِشَيءٍ وإذا أرَادُوا العَشَاءَ، فَنَوِّمِيهِمْ، وإذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا، فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وأَرِيهِ أنَّا نَأكُل، فَقَعَدُوا وأكَلَ الضَّيفُ، وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أصْبَحَ، غَدَا عَلَى النَّبيِّ ﷺ، فقَالَ ﷺ: لَقَدْ عَجِبَ اللَّه مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيفِكُمَا اللَّيْلَةَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٦٤ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «طَعَامُ الاثْنَيْنِ كافِي الثَّلاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاثَةِ كافي الأَرْبَعَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لمسلم عن جابرٍ رضيَ اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَينِ، وَطَعامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ»[1]

٥٦٥ ـ وعن أبي سَعيدِ الخُدريِّ رضي اللَّه عنه قال: «بينَمَا نَحْنُ في سَفَرٍ مَعَ النَّبيِّ ﷺ، إذ جاءَ رَجُلٌ عَلى رَاحِلَةٍ[2] لَهُ، فَجَعَلَ يَصرِفُ بَصَرَهُ يَمِيناً وَشِمَالاً[3]، فَقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهرٍ[4] فَلْيَعُد به عَلى مَنْ لا ظَهرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِن زَادٍ، فَليَعُد بِهِ عَلى مَنْ لا زَادَ لَهُ» فَذَكَرَ مِن

= عنده، وقد كان أبو طلحة في ذلك اليوم أيضاً لا يوجد في بيته إلّا طعام أولاده الصغار، فدبَّر حيلةً مع زوجته، وهي: أن تضع الطعام أمام الضيف، ثم تقوم إلى السراج بحجة إصلاحه فتطفئه، بعد أن نام أطفالها بدون عشاء، وأن يتظاهرا أنهما يأكلان مع الضيف، فباتا على الجوع، وفي الصباح ذهب أبو طلحة مع ضيفه، وكان قد سبقهما نزول القرآن ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي ويفضّلون غيرهم على أنفسهم، ولو كانوا في غاية الحاجة والفاقة.. فما أسمى هذه النفوس وأزكاها؟ ولهذا قال الرسول ﷺ لأبي طلحة: لقد عجب اللَّه من صنيعكما بضيفكما!! إنه مبدأ (الإيثار) الذي لم يُعرف إلا عند الإسلام والمسلمين.

(١) «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة» هذا الحديث فيه استحباب الاجتماع على الطعام، وألّا يأكل الإنسان وحده، وفيه الإشارة إلى المواساة بين المسلمين، فإن اللَّه يبارك في الطعام، إذا اجتمع عليه الحاضرون، وبسبب بركة الاجتماع تحصل الكفاية للعدد، وفي حديث الطبراني: (كلوا جميعاً ولا تفرّقوا، فإن طعام الواحد يكفي الاثنين) وهذا كبيان للعلة في سبب الكفاية.

(٢) «جاء على راحلة» الراحلةُ: المركب من الإبل، أي جاء يركب على ناقة.

(٣) «يصرف بصره يميناً وشمالاً» أي ينظر إلى من يجود عليه بشيء من الطعام، يسدُّ به حاجته وجوعه.

(٤) «فضل ظهر» أي مركوباً فاضلاً عن حاجته، فليتصدق على من لا مركب له.

أَصْنَافِ المَالِ مَا ذَكَرَ[١] حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لا حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا في فَضْلٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٦٦ ـ وعن سهْلِ بْنِ سعدٍ رضي اللَّه عنه «أَنَّ امرَأَةً جَاءَت إلى رسول اللَّه ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ[٢]، فقالت: نَسَجْتُهَا بِيَدَيَّ لأَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبيُّ ﷺ مُحتَاجاً إلَيْهَا[٣]، فَخَرَجَ إلَينا وَإنَّهَا لإزَارُهُ، فقال فُلانٌ: أكسنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا[٤]!! فَقَالَ: نَعَمْ، فَجَلَس النَّبيُّ ﷺ في المَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرسَلَ بِهَا إلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ القَوْمُ: ما أَحسَنتَ! لَبِسَهَا النَّبيُّ ﷺ مُحْتَاجاً إلَيهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ، وَعَلِمتَ أَنَّهُ لا يَرُدُّ سَائِلاً؟ فَقَالَ: إنِّي وَاللَّهِ ما سَأَلْتُهُ لأَلْبَسَهَا، إنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي!! قال سهْلٌ: فَكانت كَفَنَهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٦٧ ـ وعن أبي موسى رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إذَا أَرمَلُوا في الْغَزْوِ[٥]، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِم بالمَدِينَةِ، جَمَعُوا ما كَانَ عِنْدَهُمْ، في ثَوبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقتَسَمُوهُ بَيْنَهُم في إنَاءٍ وَاحِدٍ بالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنهُم» مُتَّفَقٌ عليه، «أَرْمَلُوا» أي فَرَغَ زَادُهُمْ، أَو قَارَبَ الفَرَاغَ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «فذكر من أصناف المال» أي عدَّد ﷺ أنواع المال، وأمر ببذل الفاضل عن الحاجة لكل محتاج!! وفي هذا الحديث، دعوة إلى التعاون والتكافل بين المسلمين، امتثالاً لقوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ وهذا يشمل كل معروف، وكل خدمة إنسانية يقدِّمها المسلم لإخوانه، فالغنيُّ يعين الفقير، والقوي يساعد الضعيف، وصاحب السيارة أو الدابة يحمل المنقطع في الطريق، وبذلك يتحقق المعنى السامي الذي هدف له الإسلام.

(٢) «ببردة منسوجة» أي شملة مخطَّطة منسوجة معها حاشيتُها، تشبه العباءة التي يتزين بها الإنسان في زماننا.

(٣) «فأخذها النبي» أخذها منها جبراً لخاطرها وكان محتاجاً إليها.

(٤) «أكسنيها ما أحسنها؟» طلب الأعرابي من الرسول ﷺ أن يهبها له، فعاتبه بعض الصحابة على ذلك، وقالوا له: أَمَا علمت أن الرسول ﷺ لا يردُّ سائلاً؟ وقد رأيتَ حاجته إليها؟ فأجابهم أنه ما طلبها ليلبسها، وإنما لتكون كفناً له عند موته، تبركاً بالرسول ﷺ حين لبسها!! قال ابن حجر: وفي هذا الحديث من الفوائد: حسنُ خُلُق النبي ﷺ، وسعة جوده، وقبوله الهدية، وفيه التبرك بآثار الصالحين.

(٥) «إن الأشعريين إذا أرملوا» المراد بهم جماعة الصحابي الجليل (أبي موسى الأشعري) أي إذا فنيت أزوادهم أو قلّت وقتَ الجهاد، أو قلَّ طعامهم في بلدهم، جمعوا ما عندهم فاقتسموه بالسويَّة، فهؤلاء أتباعي، والمقتدون بي في الكرم والمواساة، وفي الحديث فضيلة التعاون والإيثار، وفضيلة المواساة بين المسلمين في الشدائد.

بــابٌ في الـتـنـافـس
في أمور الآخرة، والاستكثار مما يُتبرك به

قال الله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[١] [المطففين: ٢٦].

٥٦٨ ـ وعن سهلِ بْنِ سعدٍ رضي اللّه عنه «أن رسولَ اللّه ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فقال لِلْغُلامِ[٢]: أَتَأْذَنُ لي أن أُعْطِي هؤُلاءِ؟ فَقَالَ الغُلامُ: لا وَاللّهِ يا رسُولَ اللّهِ، لا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَداً[٣]!! فَتَلَّهُ رسولُ اللّه ﷺ في يَدِهِ»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

«تَلَّهُ» أَيْ: وَضَعَهُ، وهذا الغُلامُ هُوَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي اللّه عنهما.

٥٦٩ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، عنِ النَّبي ﷺ قالَ: «بَيْنَا أَيُّوبُ عليه السلام يَغْتَسِلُ عُرِيَاناً، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِن ذَهَبٍ[٥]، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحثي في ثَوبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا أَيُّوبُ، أَلَم أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟! قال: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلكِن لا غِنَى بي عَن بَرَكَتِكَ»[٦] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁ ❁ ❁

---

(١) ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ أي ليتسابق المتسابقون إلى طاعة اللّه، وتحصيل ما فيه نعيم الجنة الخالد.

(٢) «فقال للغلام» المراد بالغلام في الحديث هو (ابن عباس) رضي اللّه عنه، وكان حينذاك غلاماً يافعاً، فاستأذنه النبي ﷺ، أن يدفع الكأس إلى من هو أكبر منه.

(٣) «لا أوثر بنصيبي منك أحداً» أي لا أقبل أن يفضلني أحد في حقي، تبركاً بك يا رسول اللّه!!

(٤) «فتلّه رسول اللّه في يده» أي فوضعه رسول اللّه في يده حالاً، وهذا بيان للسُنّة النبوية، تقديم الأيمن في كل موطن، والعلة هنا في عدم الإيثار، ليس كونه شراباً، فإن الاهتمام بأمر المطاعم شأن البهائم، وإنما هو لحلول بركته عليه السلام، لكونه سؤره وفضله، وهذا من نباهة الغلام، وجودة فكره.

(٥) «فخرّ عليه جراد من ذهب» أي سقط عليه من علوٍ قطع من ذهب في صورة جراد، ، معجزة لأيوب عليه السلام.

(٦) «لا غنى لي عن بركتك» أي لا آخذه حرصاً على المال، ولكن لكونه بركة من بركاتك.

بابٌ في فضل الغَني الشاكر
وهو من أخذ المال من وجهه، وصرفه في وجوهه المأمور بها

قال اللَّه تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥ ـ ٧].

وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾[١] [الليل: ١٧ ـ ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ[٢] وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وَقَال تَعَالَى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

والآيات في فضل الإنفاق في الطاعات كثيرةٌ مَعْلُومةٌ.

٥٧٠ ـ وعن عبدِ اللَّه بن مسعودٍ رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لا حَسَدَ إلَّا في اثنَتَينِ[٣]: رَجُلٌ آتاهُ اللَّه مَالاً، فَسَلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، ورجُلٌ آتاه اللَّه حِكْمَةً فَهُو يَقضِي بِها ويُعَلِّمُهَا» مُتَّفَقٌ عليه، وتقدم شرحه قريباً.

٥٧١ ـ وعن ابنِ عمر رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لا حَسَد إلَّا

---

(١) هذه الآيات اتفق المفسرون على أنها نزلت في (أبي بكر الصدّيق) رضي اللَّه عنه، حين اشترى بلالاً وأعتقه في سبيل اللَّه، فقال المشركون: إنّما فعل ذلك لنعمة لبلالٍ عليه، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.
قال ابن كثير: وقد حكى بعضهم الإجماع على أنها نزلت في (أبي بكر) ولا شكَّ أنه أولىٰ الناس بعمومها، فإنه كان صدِّيقاً، تَقِيّاً كريماً جواداً، بذّالاً لأمواله في طاعة اللَّه، ونصرة رسوله ﷺ.

(٢) ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أي إن تظهروا صدقاتكم فنعم هذا الشيء الذي تفعلونه، وإن تخفوها فهو أفضل لكم عند اللَّه وأكرم، لأنه أبعد عن الشهرة والرياء، وهذا في صدقة التطوع، وأمّا في صدقة الفريضة فقد قال بعضهم: إن الإظهار فيها أفضل، واللَّه أعلم.

(٣) «لا حسد إلا في اثنتين» أي لا غبطة إلا في اثنتين، وقد تقدم الحديث وشرحه في باب الكرم والجود، برقم (٥٤٣).

في اثنتَينِ: رجُلٌ آتاهُ اللَّه القُرآنَ، فهو يَقُومُ بِهِ آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ، وَرَجلٌ آتاهُ اللَّه مَالاً، فهوَ يُنفِقهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ» مُتَّفَقٌ عليه، «الآنَاءُ» السَّاعَاتُ.

٥٧٢ ـ وَعن أبي هُريرة رضيَ اللَّه عنه «أنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ أَتَوْا رسول اللَّه ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهلُ الدُّثُورِ[1] بِالدَّرَجَاتِ العُلَى، والنَّعيمِ المُقِيمِ؟ فَقَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ فَقَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَما نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ ولا نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ ولا نَعتِقُ، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: أَفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنكُمْ إلا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ ما صَنَعْتُمْ؟ قالوا: بَلَى يا رسولَ اللَّهِ!! قَالَ: تُسَبِّحُونَ، وَتَحمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ[2] «ثلاثاً وثَلاثينَ مَرَّةً» فَرَجَعَ فُقَراءُ المُهَاجِرينَ إلى رسول اللَّه ﷺ، فَقَالُوا: سَمِعَ إخوانُنَا أَهلُ الأَمْوَالِ، بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ!! فَقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ. ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ روايةِ مسلم.

«الدُّثُورُ»: الأَمْوَالُ الكَثِيرَةُ، واللَّه أعلم.

۞ ۞ ۞

بابٌ في ذكر الموت وقصر الأمل

قال اللَّه تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ[3] وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

---

(١) «ذهب أهل الدثور بالأجور» أي ذهب أهل الغنى والمال الكثير، بالأجر الوفير، يصلون ويصومون كما نصلّي ونصوم، ويتصدّقون ولا نتصدّق.

(٢) «تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة» نبَّههم ﷺ إلى أنهم يمكنهم أن يدركوا إخوانهم الأغنياء، بالأجر الذي يحصلون عليه بالإنفاق، وذلك بتسبيح اللَّه وتكبيره، وتحميده، ثلاثاً وثلاثين مرة عقب كل فريضة، فإن لهم بكل تسبيحة أو تكبيرة حسنة، ففي كل صلاة يحصلون على مائة حسنة، وفي صلاة يوم كامل خمسمائة حسنة، وهذا أجر كبير ينالونه دون إنفاق شيء من المال، فطُرُق الخيرِ أمام المؤمن كثيرة ووفيرة.

(٣) ﴿ زُحزِحَ عَنِ النَّارِ﴾ أي أُبعد عنها ونجا منها فقد فاز بمطلوبه.

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ٩ ـ ١١].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١١٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1] [الحديد: ١٦].

والآيات في الباب كثيرة معلومةٌ.

٥٧٣ ـ وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: «أَخَذَ رسولُ اللَّه ﷺ بِمَنكِبي

---

(١) ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ..﴾ الآية لمّا هاجر المسلمون إلى المدينة المنوّرة، أصابوا من لين العيش ورفاهية الحياة، ما أصابوا، ففرّطوا في بعض ما كانوا عليه، فعوتبوا بهذه الآية، ومعناها: أما حان للمؤمنين أن ترقّ قلوبهم، وتلين لمواعظ اللَّه، ولآيات الذكر الحكيم؟ قال ابن مسعود: «ما كان بين إسلامنا، وبين أن عاتبنا اللَّه بهذه الآية، إلا أربع سنوات» رواه مسلم.

فَقَالَ: كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَو عَابِرُ سَبِيلٍ!! وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي اللَّه عنهما يقول: إذا أَمسَيتَ، فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ، فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءِ، وَخُذ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَياتِكَ لِمَوْتِكَ»[١] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٧٤ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسولَ اللَّهُ ﷺ قال: «ما حَقُّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ[٢]، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ» مُتَّفَقٌ عليه. هذَا لفظ البخاري.

وفي رواية لمسلم «يَبِيتُ ثَلاثَ لَيَالٍ» قال ابن عمر: «مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مَنْذُ سَمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ قال ذلِكَ إلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي!!».

٥٧٥ ـ وعن أنس رضي اللَّه عنه قال: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطاً فقال: «هذَا الإِنْسَانُ، وَهذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذلِكَ إذ جَاءَ الخَطُّ الأَقْرَبُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٧٦ ـ وعنِ ابنِ مَسْعُودٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطّاً مُرَبَّعاً[٣]، وَخَطَّ خَطّاً في الْوَسَطِ خَارِجاً مِنْهُ، وَخَطَّ خُطُوطاً صِغَاراً إلى هذَا الَّذِي في الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي في الوَسَطِ، فَقَالَ: «هذَا الإنْسَانُ، وَهذَا أَجَلُهُ مُحِيطاً بِهِ ـ

---

(١) «كن في الدنيا كأنك غريب» تقدم شرحه في باب الزهد رقم (٤٧٠).

(٢) «له شيء يوصي فيه» دلَّ هذا على استحباب الوصية في حياة الإنسان، لأنه قد يباغتُه الموتُ، فيموت ولم يتدارك أمره بالوصية، والقول بوجوب الوصية، لمن كان عليه حق شرعي، يخشى أن يضيع على صاحبه إن لم يوصِ به، كوصيَّةٍ أو دينٍ لأحد من الناس في عنقه، ومعنى الحديث: لا ينبغي لرجل مسلم عنده مال، أن يبيت ليلتين، إلَّا ووصيَّته قد جهَّزها وهي مكتوبة عنده، لأن الإنسان لا يدرِّي متى يأتيه الموت؟

المـوتُ يـأتـي بـغـتـةً ... والـقـبـرُ صـنـدوق الـعـمـل

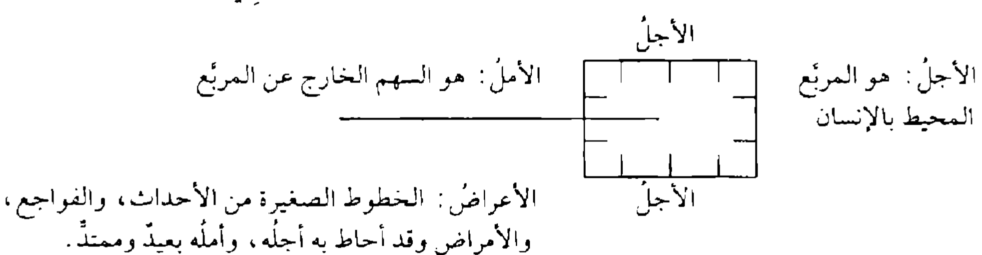
وهذا توجيه من النبي ﷺ لأمته أن يقدِّموا ما ينفعهم لآخرتهم، ليتداركوا بعض التقصير الذي فاتهم في حياتهم.

(٣) «خطَّ النبي ﷺ خطاً مربعاً...» هذا تمثيل رائع للإنسان، وقد أحاط به أجلُه، وامتدَّ به أملُه، فالإنسان يكبر ويهرم ويصبح على حافة قبره، ولكن أمله في الحياة، يبقي طويلاً وممتداً، وكأنه سيعيش عمر نوح عليه السلام، بينما أعراض الموت تحيط به من كل جانب، «المرضُ، والهرم، والضعف، وسائر الكوارث المميتة».

ولهذا قال ﷺ: «فإن أخطأه هذا نهشه هذا» أي إن نجا من هذا الداء، أصابه الآخر، حتى يلقى ربه، ويبقى أملُه بعيداً وبعيداً جداً، قال الشاعر:

الـنـاسُ فـي غـفـلاتـهـم ... ورَحَـى الـمـنـيَّـةِ تَـطْـحَـنُ

أو قَدْ أَحَاطَ بِهِ ـ وَهذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإن أَخْطَأَهُ هذَا، نَهَشَهُ هذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هذَا نَهَشَهُ هذَا » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَهذِهِ صُورَتُهُ.



٥٧٧ ـ وعن أبي هريرة رضيَ اللَّهُ عنهُ أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: « بادِرُوا بِالأعْمَالِ سَبْعاً، هَل تَنْتَظِرُونَ إلَّا فَقْراً مُنْسِياً، أو غِنىً مُطْغِياً، أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً، أَوْ هَرَماً مُفَنِّداً، أو مَوتاً مُجْهِزاً، أَوِ الدَّجَّالَ، فَشَرُّ غائِبٍ يُنْتَظَرُ، أو السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وأَمَرُّ؟ »[١] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

٥٧٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: « أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ »[٢] يَعني المَوْتَ، رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

٥٧٩ ـ وعن أُبيِّ بْنِ كعبٍ رَضيَ اللَّهُ عنه: « كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ إذا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، قامَ فقالَ: يا أيها النَّاسُ: اذْكُرُوا اللَّه، جاءَتِ الرَّاجِفَةُ[٣]، تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ، جاءَ المَوْتُ بِما فِيهِ[٤]، جاءَ المَوْتُ بما فِيهِ! قلتُ يا رَسُولَ اللَّهِ: إنِّي أُكْثِرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لكَ مِنْ صَلاتي؟ قال: ما شِئْتَ! قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قال: ما شِئْتَ، فَإنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ! قُلْتُ: فَالنِّصْفَ؟ قالَ: ما شِئْتَ، فإنْ زدتَ فهو خَيرٌ لكَ! قُلْتُ: فَالثلثَين؟ قالَ: ما شِئْتَ، فَإنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ! قُلْتُ: أَجْعَلُ لكَ صَلاتِي كُلَّها؟ قال: إذاً تُكْفى

---

(١) « بادروا بالأعمال الصالحة » تقدم الحديث مع شرحه رقم (٩٣).

(٢) « هاذم اللذات » أي قاطع اللذات وهو الموت، لأنه يقطع كل لذة، ويُنسي كل ما مرَّ على الإنسان من لذائذ في هذه الحياة، وروي بالدَّال « هادم » وكلاهما بمعنى واحد، وهو القطع، فإن الموت يقطع لذات الدنيا.

(٣) « جاءت الراجفة » أي قَرُب مجيء النفخة الأولى في الصور، تتبعها الرادفة أي النفخة الثانية، كأنه يقول: قرب مجيء القيامة والبعث، فاستعدوا لها.

(٤) « جاء الموت بما فيه » أي جاء بما فيه من شدائد وأهوال.

هَمَّكَ، وَيُغْفَرَ لكَ ذَنْبُكَ»[١] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

۞۞۞

بابُ في استحباب زيارة القبُور للرّجال، وما يقوله الزائر

٥٨٠ ـ عن بُرَيْدَةَ، رضيَ اللَّهُ عنه، قال: قال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوهَا»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي رِوَايَة: «فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَزورَ القُبورَ فَلْيَزُرْ، فَإِنها تُذَكِّرُهُ بالآخِرَة».

٥٨١ ـ وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها قالت: «كان رسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتها منْ رسولِ اللَّه ﷺ يخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إلى البَقِيع[٣]، فَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مؤمِنِينَ[٤]، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَداً مُؤَجَّلُونَ[٥]، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ

---

(١) «إذاً تُكفى همك ويُغفر لك ذنبك» هذا بيان لفضل الصلاة على النبي ﷺ، فإن الإكثار من الصلاة والسلام عليه، سببٌ لذهاب الهمّ، ومغفرة الذنوب والخطايا، وبيانه أنه من صلّ على الرسول ﷺ مرة، صلّ اللّه عليها بها عشراً، كما ورد في الحديث الصحيح، والصلاة من اللّه بمعنى الرحمة للعبد، ودخوله في رضوان اللّه، فكيف يشقى من يخوض في الرحمة الإلهية؟ أو يناله همٌّ وكرب؟

(٢) «كنت نهيتكم عن زيارة القبور» إنما نهاهم ﷺ عن زيارة القبور، لأنهم كانوا قريبي عهدٍ بالجاهلية، فخاف عليهم من العودة إلى الوثنية، بالتمسح بالقبور، وتعظيم أصحابها، وهذا الحديث الشريف جَمَعَ بين «الناسخ والمنسوخ»، فإن قوله ﷺ: «ألّا فزوروها» صريح في الإذن بزيارتها وقد علّله ﷺ بقوله: «فإنها تذكره بالآخرة».

وجاء في صحيح مسلم «أن النبي ﷺ زار قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنتُ ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واسْتَأذَنْتُه في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكّر الموت».

وهذا الحديث قبل أن يُخبر ﷺ بمصير أهل الفترة، قال اللّه عز وجل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ والآية نصٌّ صريح على نجاة أهل الفترة، لأنهم لم تبلغهم الدعوة، ولم يُبعث إليهم رسول، ولا شك أن أبوي الرسول ﷺ من الناجين لهذا النص الصريح القاطع.

(٣) «يخرج إلى البقيع» مقبرة أهل المدينة المنورة، التي تسمى «بقيع الغَرْقد» لأنه كان فيها شجر العوسج.

(٤) «السلام عليكم دار قوم مؤمنين» كما يُسنُّ السلام على الأحياء، كذلك يُسلَّم على الأموات، والسنة فيه أن يقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أي يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين.

(٥) «غداً مؤجّلون» أي نحن مؤجّلون إلىّ الغد، والمراد به المستقبل، وقت انتهاء أجل الإنسان كقوله تعالى ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي ليوم الحساب والمعاد.

اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ[١]، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٨٢ ـ وعن بُرَيْدَةَ رضيَ اللَّهُ عَنهُ، قال: «كانَ النَّبيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إلى المَقَابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ العافِيَةَ »[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٥٨٣ ـ وعنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضيَ اللَّهُ عنهما، قال: «مَرَّ رسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُبُورٍ بالمَدِينَةِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بوجهه فقالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ القُبُورِ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُم سَلَفُنَا وَنَحْنُ بالأَثَرِ »[٣] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

۞ ۞ ۞

بابٌ في كراهة تمنّي الموت بسبب ضُرّ نزل به، ولا بأس به لخوف الفتنة في الدين

٥٨٤ ـ عَنْ أبي هُريرة رضِيَ اللَّهُ عنه، أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «لا يَتَمَنَّ أَحَدُكُمْ المَوْتَ[٤]، إمّا مُحْسِناً، فَلَعَلَّهُ يَزْدادُ، وَإِمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ » مُتَّفَقٌ عليه، وَهذَا لفظ البخاري.

وفي روايةَ لمسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عَنه، عن رسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: «لَا يَتَمَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ المُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيراً ».

---

(١) «وإنا إن شاء اللّه بكم لاحقون» إن هنا بمعنى حين، أي ونحن لاحقون بكم، حينَ ووقتَ مشيئة اللّه تعالى.

(٢) «أسأل اللّه لنا ولكم العافية» أي النجاة والأمنَ من كل سوء ومكروه، فالقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.

(٣) «أنتم سلفنا ونحن بالأثر» أي أنتم سابقون لنا بالموت، ونحن ميّتون عن قريب، والسَّلفُ: من سبق غيره إلى شيء.

(٤) «لا يتمنينَّ أحدُكم الموتَ» أي لا يشتهِ الموتَ، ولا يدعو على نفسه بالموت، لأنه إن كان محسناً، فإنه يزداد بعمله الصالح خيراً، وإن كان مسيئاً فلعلَّه يرجع إلى اللّه بالتَّوبة، ويتدارك ما فاته، فيقبله اللّه ويرضى عنه، ومعنى «يَسْتَعْتِبْ» أي يطلب من اللّه رضوانه، قال تعالى عن الكفار: ﴿**وإن يَستَعتِبُوا فما هم من المُعْتَبين**﴾ أي يطلبوا إرضاء اللّه، فما هم من المرضيّ عنهم، وفي الحديث التصريحُ بكراهة تمنى الموت.

٥٨٥ ـ وعن أنس رضيَ اللَّهُ عنه قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ أَصابَهُ، فَإِنْ كانَ لا بُدَّ فاعِلاً، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي ما كَانَتِ الحَياةُ خَيْراً لي، وتَوَفَّنِي إذا كانَتِ الوَفاةُ خَيراً لي»[1] مُتَّفَقٌ عليه.

٥٨٦ ـ وعَنْ قَيْسِ بْنِ أبي حازِمٍ[2] قالَ: «دَخَلْنَا عَلى خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ رضيَ اللَّهُ عنهُ نَعُودُهُ وَقَدِ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ[3] فقال: إنَّ أَصْحابَنَا الَّذينَ سَلَفُوا مَضَوْا، ولمْ تَنْقُصهُمُ الدُّنْيا[4]، وإنَّا أَصَبْنَا ما لا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعاً إلَّا التراب[5]، وَلَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نهانَا أَنْ نَدْعُوَ بالمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ!! ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَهُوَ يَبْنِي حائِطاً لَهُ[6]، فقال: إنَّ المُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ في كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ، إلَّا في شَيْءٍ يَجْعَلُهُ في هذَا الترابِ» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ رواية البخاري.

❁ ❁ ❁

---

(١) «أحيني ما كانت الحياة خيراً لي» أي إذا كان لا بدَّ إلَّا وأن يدعو على نفسه بالموت، فليقل: اللهم أحيني ما دامت الحياة خيراً لي، واقبضني إليك إذا كان الموت خيراً لي، لئلا يقطع على نفسه عمل الخير والصالح في الحياة الدنيا.

(٢) «قيس بن أبي حازم» هذا تابعي مخضرم، أدرك الجاهلية، وجاء ليبايع النبيَّ ﷺ، فتوفي الرسول وهو بالطريق، فلم يدرك الصحبة، ولكنه روى عن الصحابة رضوان اللَّه عليهم.

(٣) «اكتوى سبع كيَّات» أي اكتوى في بطنه بالحديد المحمي بالنار سبع كيَّات، **قال الإمام العيني**: والنهيُ الذي جاء عن الكيِّ «وأنهى أمَّتي عن الكيِّ» هو أن يعتقد أن الشفاء من الكيِّ، أمَّا من اعتقد أن الشفاء من اللَّه تعالى فلا بأس به، أو هو لمن استعجل، ولم يجعله آخر الدواء «آخرُ الدواء الكيُّ».

(٤) «ولم تنقصهم الدنيا» أي إخواننا الذين سبقونا بالموت، لم تنقصهم الدنيا من حسناتهم شيئاً، لأنهم كانوا في قلة، وضيقٍ من العيش، وأما الذين جاءوا بعدهم، فقد اتسعت لهم الدنيا، بسبب الفتوحات، وما يزيد في الدنيا، يُنقص من الآخرة.

(٥) «ما لا نجد له موضعاً إلا التراب» أي ما لا نجد له مصرفاً، إلَّا أن ندفنه في التراب خوف اللصوص، وفي رواية الترمذي: «لقد رأيتني مع رسول اللَّه ﷺ لا أملك درهماً، وإن في جانب بيتي الآن أربعين ألف درهم».

(٦) «أتيناه وهو يبني حائطاً» أي أتينا خباباً وهو يبني جداراً لبيته، فقال خباب: «إن المسلم يُؤجر في كل شيء ينفقه، إلا في البنيان» يعني إذا لم يكن لحاجة، وإنما هو للتفاخر والتكاثر.

بابٌ في الوَرَع وترك الشبهات

قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾[1] [النور: ١٥].

وقالَ تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾[2] [الفجر: ١٤].

٥٨٧ ـ وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشيرٍ رضيَ اللَّهُ عنهما قال: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يقُولُ: «إنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ، وإنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ[3]، وَبَيْنَهما مُشْتَبِهاتٌ[4]، لا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقى الشُّبهاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ[5]، وَمَنْ وَقَعَ في الشُّبُهَاتِ، وَقَعَ في الحَرامِ، كالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وإنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَت صَلَحَ الجَسَدُ كلُّهُ، وَإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ: أَلَا وَهِيَ القَلْبُ» مُتَّفَقٌ عليه، ورَوَيَاهُ مِنْ طُرُقٍ بألْفَاظٍ مُتَقَارِبَةٍ.

٥٨٨ ـ وعن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ وَجَدَ تَمْرَةً في الطَّرِيقِ، فقالَ: «لَوْلَا أنِّي أَخافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لأَكَلْتُها» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٨٩ ـ وعن النَّوَّاسِ بْنِ سَمعانَ رضيَ اللَّه عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «البِرُّ

---

(١) ﴿وتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً﴾ الآية أي تظنون الأمر سهلاً لاتَبِعةَ فيه، وهو عند اللَّه عظيم الإثم، كبير الجرم، نزلت في قصة الإفك.

(٢) ﴿إنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ أي يرقب عمل العباد، ويحصيه عليهم، لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار، والمرصاد: المكان الذي يترقب فيه الراصد عدوَّه، وهذه الآية على التمثيل أي كأنه يترصَّد ما يعملون.

(٣) «الحلال بيِّن» أي واضح، وكذلك الحرام واضح، يظهر لكل عاقل، حتى القطط تعرف الحلال والحرام، فإذا ألقيتَ إليها قطعة لحم أكلتها بجوارك، وإذا سرقت اللحمَ هربت منك بعيداً.

(٤) «مُشْتَبِهاتٌ» أي يشتبه على الإنسان فيها الحِلُّ والحرمة.

(٥) «استبرأ لدينه وعرضه» أي من احترز من الشبهات، وحفظ نفسه عنها، فقد حصلت له البراءة لدينه، وصان عرضه عن كلام الناس فيه.
وهذا الحديث الشريف أصل عظيم من أصول الشريعة، فقد أرشد إلى معرفة الحلال، وحذَّر من مواقعة الشبهات، وأوضح ذلك بضرب المثل بحمى الملوك، الذي من اقتحمه أوقع نفسه بالعقوبة، وحمى اللَّه في الأرض محارمه، فمن اجتنبها فقد حفظ نفسه من عذاب اللَّه.

حُسنُ الخُلُقِ[١]، وَالإِثْمُ ما حاكَ في نَفْسِكَ[٢]، وكَرِهتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ. « حَاكَ » أَيْ: تَرَدَّدَ فيهِ.

٥٩٠ ـ وعن وابِصةَ بن معبدٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: « أَتَيْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ فقال: « جِئتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ؟[٣] قلت: نعم!! فقال: اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ: ما اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، واطْمَأَنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، والإِثْمُ ما حاكَ في النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ في الصَّدْرِ، وإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتُوكَ » حديثٌ حسنٌ، رَوَاهُ أحمدُ، والدَّارِميُّ في « مُسْنَدَيْهِمَا ».

٥٩١ ـ وعن أبي سَرْوَعَةَ ـ بالكسر والفتح ـ « عُقْبَةَ بن الحارِثِ » رضيَ اللَّهُ عنهُ « أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لأبي إهابِ بنِ عَزِيزٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فقالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ، وَالَّتِي قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا، فقالَ لَهَا عُقْبَةُ: ما أَعْلَمُ أَنَّكِ أَرْضَعْتِنِي ولا أَخْبَرْتِنِي!! فَرَكِبَ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالمَدِينَةِ، فَسَأَلَهُ، فقال رَسُولُ اللَّه ﷺ: « كَيْفَ، وَقَدْ قِيلَ؟! » فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجاً غَيْرَهُ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٥٩٢ ـ وعنِ الحَسَنِ بن عليّ رضيَ اللَّهُ عنهما، قال: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: « دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مَا لا يَرِيبُكَ » رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح، معناهُ: اتْرُكْ ما تَشُكُّ فِيهِ، وَخُذْ ما لا تَشُكُّ فيهِ.

٥٩٣ ـ وعن عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها، قالت: « كانَ لأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، رضيَ اللَّهُ عنهُ، غُلامٌ[٤] يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ وكانَ أَبو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ،

---

(١) « البِرُّ حسن الخلق » أي معظم البِرّ التخلُّقُ بالأخلاق الحميدة، من طلاقه الوجه، وكفُّ الأذى، وبذل النَّدى، وأن يحب للناس ما يحبه لنفسه، وغير ذلك من الصفات الحميدة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ البِرَّ أَنْ تَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ . . .﴾ الآية.

(٢) « والإثم ما حاك في نفسك » أي أثّر في نفسك، اضطراباً، وقلقاً، ونفوراً، وكرهتَ أن يعلم الناسُ ما في قلبك، ذلك لأن في النفس شعوراً من أصل الفطرة، بالحسن والقبيح، وبما تُحمد وتُذَمُّ عليه، واستفتِ قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك، كما ورد في الحديث الآخر، فالقلب يبقى على أصل صفاء الفطرة، وعدم تدنسه بشيء من آفات الهوى، الموقعة في المعاصي والآثام.

(٣) « جئت تسأل عن البر » أي أتيت تسأل عن البِرّ، الذي هو أصل كل معروف وخير؟ قلتُ: نعم يا رسول اللّه: جئتُ أسأل عن هذا!؟ وهذا من جملة معجزاته ﷺ، حيث أخبره عما في نفسه، وهذا من الإخبار بالغيوب، التي أطلع اللّه رسوله على بعضها!!

(٤) « غلامٌ يُخرِجُ له الخراجَ » أي يأتيه بكسبه من الخراج، وهو ما يقرِّره السيد على عبده من المال، فيشتغل ويؤديه، وهو ما يسمى بالمكاتبة قال تعالى ﴿وَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً﴾.

فَجَاءَ يَوماً بِشَيءٍ، فَأَكَلَ مِنهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الغُلامُ: تَدْرِي مَا هذَا؟ فَقَالَ أبو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإنسَانٍ في الجَاهِلِيَّةِ[1] وَمَا أُحْسِنُ الكَهَانَةَ، إلَّا أنّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي، فَأَعْطَانِي بِذلِكَ هذا الَّذي أَكَلْت مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أبو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ في بَطْنِهِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

«الخَراجُ»: شَيْءٌ يَجعَلُهُ السَّيِّدُ عَلى عَبْدِهِ يُؤَدِّيهِ إلى السَّيِّد كُلَّ يومٍ، وَبَاقِي كَسْبِهِ يَكُونُ للعَبْدِ.

٥٩٤ ـ وعن نافِعٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «كانَ فَرَضَ للمهاجرينَ الأوَّلِينَ أربعَةَ آلافٍ وفرض لابْنِهِ ثلاث آلافٍ وخمسمائة، فقيل له: هو من المهاجرين فَلِمَ نَقَصَتهُ؟ فقال: إنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبُوهُ!! يَقُولُ: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٥٩٥ ـ وعن «عَطِيَّةَ بْنِ عُرْوَةَ السَّعْدِيِّ» الصَّحَابِيِّ رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَبْلُغُ العَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ المُتَّقِينَ[2] حَتَّى يَدَعَ ما لا بأْسَ بِهِ، حَذَراً لِمَا بِهِ بَأْسٌ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

❁ ❁ ❁

بابٌ في استِحباب العزلة عند فَسَادِ النّاس والزّمان أو الخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات ونحوها

قالَ اللّه تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [الذاريات: ٥٠].

٥٩٦ ـ وعن سعد بن أبي وقَّاص رضي اللّه عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ

---

(١) «كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية» الكاهنُ: من يخبر بما سيكون عن غير دليل شرعي، فهو يدَّعي معرفة الغيب، وقد جمع هذا الغلام إلى قبح الكهانة، الخديعة للرجل، وكلا الأمرين رذيلة، وإنما استقاء أبو بكر تنزهاً، وهذا من الورع المطلوب، لئلا يدخل إلى جوفه شيء من الحرام.

(٢) «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين» أي لا يصل الرجل إلى درجة المتقين، الموصوفين بكمال التقوى، حتى يترك ما فيه شبهة إلى ما لا شبهة فيه، لأن من وقع في الشبهات وقع في الحرام، فمن تجنَّب هذا فقد صار عبداً متقياً لله، وهذا توجيه منه ﷺ إلى البعد عن ما يحيك في الصدر من الأمور المشتبه فيها.

ﷺ يقول: «إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ»[(١)] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

والمُرَاد «بالغَنِيِّ»: غَنِيُّ النَّفْسِ، كما سَبَقَ في الحديث الصحيح.

٥٩٧ ـ وعن أبي سعيد الخُدريِّ رضي اللَّه عنه قال: «قال رَجُلٌ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ يا رسُولَ اللَّهِ؟ قال: «مُؤمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبِيلِ اللهِ» قال: ثم من؟ قال: «ثم رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ في شِعْبٍ[(٢)] مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ».

وفي رواية: «يَتَّقِي اللَّه، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٥٩٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يتبع بهَا شَعَفَ الجِبَالِ[(٣)]، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ من الفِتَنِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، و «شَعَف الجِبَالِ»: أَعْلَاهَا.

٥٩٩ ـ وعَنْ أبي هُريرة رضي اللَّه عنهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللَّه نَبِيّاً إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنْتَ أَرْعَاهَا عَلَى قَرارِيطَ[(٤)] لأَهْلِ مَكَّةَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٦٠٠ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قال: «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّه، يَطِيرُ عَلى مَتنِهِ[(٥)]، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً، طارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ، أو الموْتَ مَظَانَّه، أَوْ رَجُلٌ في غُنَيْمَةٍ في رَأْسِ شَعَفَةٍ مِن هذِهِ الشَّعَفِ، أَوْ بَطنِ وادٍ مِنْ هذِهِ الأَودِيَةِ، يُقيمُ الصَّلاةَ، وَيُؤْتي الزَّكاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيهِ اليَقِينُ، لَيسَ مِنَ النَّاسِ إلّا في خَيْرٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «يحب العبد التقي الخفي» أي يحب المؤمن الصادق في إيمانه، الذي يمتثل الأوامر، ويجتنب المحرمات، الغنيّ النفس، الذي يعتزل الناسَ محافظةً على دينه.

(٢) «معتزل في شِعْب من الشِّعاب» الشِّعْبُ: الطريق في الجبل، والمنفرجُ بين الجبلين، أي يكون بعيداً عن الناس، ينقطع لعبادة اللّه، خوفاً على نفسه من الفتن، وهذا يكون في آخر الزمن، حينما تكثر المنكرات، ويكون الدينُ تبعاً لهوى الإنسان.

(٣) «يتْبَعُ بها شَعَفَ الجبال» أي رؤوس الجبال فراراً من الفتن، والحديث دالٌّ على فضيلة العُزلة لمن خاف على دينه.

(٤) «أرعاها على قراريط» أي أرعى الغنم لأهل مكة على جزءٍ يسير من المال، والقيراطُ: جزءٌ من الدينار والدرهم، وذلك ليتدرَّج كلُّ نبي من رعاية الغنم إلى قيادة الأمم.

(٥) «يطير على متنه» أي يركب ظهر فرسه ويُسرع به للجهاد في سبيل الله، كلما سمع صوتاً للحرب تجهَّز له، وطار على فرسه.

«الهَيْعَةُ»: الصوتُ للحربِ. و«الفَزْعَةُ»: نحوهُ. وَ«مَظَانُّ الشَّيءِ»: المواضع الَّتي يُظَنُّ وجودُهُ فيها. و«الغُنَيْمَةُ» تصغير الغنم. و«الشَّعَفَةُ» بفتح الشِّين والعين: هي أعْلى الجَبَل.

۞ ۞ ۞

بابٌ في فضل الاختلاط بالناسِ[1] وحضور جُمَعِهِمْ وجماعاتهم، ومشاهد الخيرِ ومجالس الذكر معهم، وعيادة مريضهم وحضور جنائزهم ومواساة محتاجهم وإرشاد جاهلهم وغير ذلك من مصالحهم، لمن قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء وصبر على الأذى

اعْلم أن الاخْتِلاط بالنَّاسِ، على الوَجْهِ الذي ذَكَرْتُهُ، هو المختار الذي كان عليهِ رسول اللَّه ﷺ، وسائِرُ الأنبياءِ صلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ عليهم، وكذلك الخُلفاءُ الرَّاشدونَ، وَمَنْ بَعدَهُمْ مِنَ الصَّحابَةِ والتَّابعينَ، ومَنْ بَعدَهُمْ من عُلَمَاءِ المسلِمينَ وأَخيارِهِم، وهو مَذْهَبُ أَكْثَرِ التَّابِعينَ وَمَنْ بَعدَهُمْ، وَبِهِ قَالَ الشَّافعيُّ وأَحْمَدُ، وَأَكْثَرُ الفُقَهَاءِ رضي اللَّهُ عنهم أجمعين.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

والآيات في معنى ما ذكرتُه كثيرة معلومة.

۞ ۞ ۞

---

(١) «باب فضل الاختلاط بالناس» خلاصة رأي الإمام النووي رحمه الله: أن من كان قادراً على مخالطة الناس، داعياً لهم إلى الخير، ناهياً لهم عن المنكر، لا يتأثر دينُه بالاختلاط بهم، فهذا الأفضل في حقه أن يخالطهم، وينصحهم ويذكِّرهم، امتثالاً لقوله سبحانه: **﴿وَالمُؤمِنُونَ والمُؤمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، يَأمُرُونَ بِالمَعْرُوف وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤتُونَ الزَّكَاةَ، وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَه، أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ﴾** [التوبة: ٧١]. أمَّا من لم يكن عنده علم، ويخشى على نفسه الانخراط فيما وقع فيه الناس، من انتهاكات للمحارم، ووقوع في المآثم، فالأفضل له اجتناب مجالسهم، واعتزالهم والبعد عنهم، صيانة لنفسه ودينه.

بابٌ في التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف: ٤٨ ـ ٤٩].

٦٠١ ـ وعن عِيَاض بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه قال: قال رسُول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ أَوْحَى إليَّ أَنْ تَوَاضَعُوا[١]، حتى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ[٢]، وَلا يَبْغِي أَحَدٌ عَلى أَحَدٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٠٢ ـ وعَنْ أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مالٍ، وما زادَ اللَّهُ عَبداً بِعَفْوٍ إلّا عِزّاً، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للَّهِ إلّا رَفَعَهُ اللَّهُ»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «أوحى إليَّ أن تواضعوا» التواضع خُلُق الأكابر من الأنبياء والصالحين، وذلك بأن يستشعر المؤمنُ عجزه وضعفه أمام عظمة الله وجلاله، فلا يتكبر على أحد، قال الشاعر:

تواضعْ تكنْ كالنجمِ لاحَ لناظرٍ ... على صَفَحاتِ الماءِ وهو رفيعُ
ولا تكُ كالدخانِ يعلو بنفسه ... إلى طبقاتِ الجوِّ وهو وضيعُ

(٢) «حتى لا يَفخَرَ أحدٌ على أحدٍ» أي لا يتعالى عليه ولا يتباهى بالمكارم والمناقب، من حسب ونسب.

(٣) «وما تواضع أحد لله إلا رفعه» أي أعزّه ورفع قدره، **قال القرطبي: التواضعُ: هو الانكسار** والتذلل لله عزّ وجلّ ولمن أمر الله بالتواضع له، كالرسول، والإمام العادل، والعالم، والوالد، فهذا هو التواضع المحمود، الذي يرفع الله به صاحبه في الدارين، وأما التواضع لأهل الدنيا، ولأهل الظلم، فذاك الذلُّ الذي لا عزَّ معه، والخيبةُ التي لا رفعة معه، بل يترتب عليه ذلُّ الآخرة.

٦٠٣ ـ وعن أنس رضي اللَّه عنه «أنَّهُ مَرَّ عَلى صِبيانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ[١]، وقال: كان النَّبيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٠٤ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إنْ كانَتِ الأَمَةُ مِن إمَاءِ المَدينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ النَّبيِّ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيثُ شَاءَتْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٦٠٥ ـ وعن الأَسوَدِ بن يَزيدَ قال: سُئِلَتْ عَائِشَةُ رضيَ اللَّه عنها: «ما كانَ النَّبيُّ ﷺ يَصنَعُ في بَيْتِهِ؟ قالت: كان يَكُون في مِهْنَةِ أَهْلِهِ[٢]، يعني: خِدْمَةِ أَهْلِهِ، فإذا حَضَرَتِ الصَّلاة، خَرَجَ إلى الصَّلاةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٦٠٦ ـ وعن أَبي رِفَاعَةَ «تَميم بن أُسيْدٍ» رضي اللَّه عنه قال: «انْتَهَيْتُ إلى رسول اللَّه ﷺ وهو يَخْطُبُ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، رجُلٌ غَريبٌ، جاء يَسْأَلُ عن دِينِهِ، لا يَدْرِي مَا دِينُهُ؟ فَأَقْبَلَ عَليَّ رسولُ اللَّه ﷺ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ[٣] حتى انتَهَى إليَّ، فَأُتِيَ بِكُرسِيٍّ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُني مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّه، ثم أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٠٧ ـ وعن أنسٍ رضيَ اللَّه عنه «أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ كان إذا أكَلَ طَعَاماً لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلاثَ قال: وقال: «إذا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ، فَلْيُمِطْ عَنْهَا الأذى، ولْيَأْكُلْهَا[٤]،

---

(١) «مرَّ على صِبْيان فسلَّم عليهم» أي اقتداء بالرسول ﷺ، فقد روى النسائي في سننه «كان الرسولُ ﷺ يزور الأنصارَ، فيسلِّم على صبيانهم، ويمسحُ رؤوسهم، ويدعو لهم» وهذا من تواضعه ﷺ، وحبِّه للكبير والصغير.

(٢) «كان ﷺ في مهنة أهله» أي في خدمتهم، وقد جاء تفسيرها بما رواه عياض في الشِّفاء «كان ﷺ يحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويعلف ناضحه، ويقمّ ـ أي ينظِّف ـ البيت، ويأكل مع الخادم، ويحمل بضاعته من السوق» وكونه ﷺ في خدمة أهله، من مزيد فضله، وكمال تواضعه، مع أنه سيِّد الخلق على الإطلاق.

(٣) «وترك خُطْبَتَهُ» المراد بها غير خطبة الجمعة، أي كان يخطب في أصحابه ويحدِّثهم، فجاءه هذا الرجل «تميم» وقال يا رسول اللَّه: رجل غريب لا يدري ما دينه؟ وهذا تلطُّفٌ من السائل، وفي هذا الحديث بيان كمال تواضعه ﷺ، لأتباعه وكمال شفقته عليهم، والظاهر أنه كان يسأل عن الإيمان وأركانه الهامة، ولذلك أجابه الرسول وترك خطبته مع أصحابه ثم عاد إليهم.

(٤) «فَلْيمط عنها الأذى» أي يزيل ما لحقها من أذى، ثم ليأكلها، هضماً للنفس، وتعظيماً لنعمة اللَّه، ولا يترك هذه اللقمة للشيطان، فإن هذا من الكِبر.

وَلا يَدَعْهَا للشَيْطَان، وَأَمَرَ أَنْ تُسْلَتَ القَصْعَةُ، قالَ: فَإنَّكُمْ لا تَدْرُونَ في أيِّ طَعَامِكُمْ البَرَكَةُ »[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٠٨ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللَّه عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: « ما بَعَثَ اللَّهُ نَبيّاً إلَّا رَعَى الغَنَمَ!؟ قالَ أصحابُهُ: وَأَنْتَ؟ فقال: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٦٠٩ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: « لَوْ دُعِيتُ إلى كُرَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لأَجَبْتُ[2]: وَلَوْ أُهْدِيَ إليَّ ذِراعٌ أو كُراعٌ لَقَبِلْتُ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٦١٠ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّهُ عنه قال: « كانَتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ العَضْبَاءُ لَا تُسْبَقُ، أَوْ لا تَكَادُ تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلى قَعُودٍ لَهُ، فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذلِكَ عَلى المُسْلِمِينَ، حَتَّى عَرَفَهُ، فَقالَ: حَقٌّ عَلى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيءٌ مِنَ الدُّنْيَا إلَّا وَضَعَهُ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم الكِبْر والإعجاب

قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨].

---

(١) « لا تدرون في أي طعامكم البركة»؟ يعني أن الطعام الذي يحضر الإنسانَ فيه بركة، ولا يدري الشخصُ هل هي فيما أكل؟ أو فيما سقط؟ أو فيما بقي على أصابعه؟ أو في القصعة؟ فينبغي أن يحافظ على هذا كلِّه، لتحصيل البركة، وتعظيم النعمة.

(٢) « لو دُعيت إلى كُراع لأجبتُ» الكُراعُ: هو ظلف الشاة الذي يسميه العامة « القَدَم» يعني أنه ﷺ لا يتكبر عن إجابة الدعوة، ولو لشيء قليل، قال ابن بطال: أشار ﷺ إلى الحضِّ على قبول الهدية وإن قلَّتْ، لئلا يمتنع الباعث من الهدية لاحتقار الشيء، فحضَّ على ذلك لما فيه من التآلف، وفي الحديث إجابة الداعي، وإن قلَّ المدعوُّ إليه، وفي ذلك تحريض على التواضع، وحثٌّ على تعاطي ما يبعث على التآلف، ويغرس الوداد.

ومعنى «تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ» أيْ: تُميلُهُ وتَعرِضُ بِهِ عَنِ النَّاسِ تَكَبُّراً عَلَيْهِمْ. «والمَرَح»: التَّبَخْتُر.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ الآيات [القصص: ٧٦ ـ ٨٢].

٦١١ ـ وعن عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ رضيَ اللَّهُ عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، فقالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قال ﷺ: إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ، يُحِبُّ الجَمَالَ الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«بَطَرُ الحَقِّ»: دَفْعُهُ وردُّهُ على قائِلِهِ، وَ«غَمْطُ النَّاسِ»: احْتِقَارُهُمْ.

٦١٢ ـ وعنْ سلمةَ بْنِ الأكْوَعِ رضيَ اللَّهُ عنه «أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فقالَ ﷺ: كُلْ بِيَمِينِكَ، قالَ: لا أَسْتَطِيعُ، قال: لا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إلَّا الكِبْرُ[٢]، قال: فما رَفَعَهَا إلى فيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦١٣ ـ وعنْ حَارِثَةَ بْنِ وهْبٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟[٣] كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ» مُتَّفَقٌ عليه، وتقَدَّمَ شرحُهُ في بابِ ضَعفَةِ المسلمينَ.

٦١٤ ـ وعن أبي سعيدِ الخُدريِّ رضي اللَّهُ عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «احْتَجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ، فقالتِ النَّارُ[٤]: فيَّ الجَبَّارونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ!! وقالَتِ

---

(١) «الكِبرُ بَطَرُ الحقِّ وغمط الناس» هكذا فسَّر النبي ﷺ الكبر، بأنه عدم قبول الحق والانصياع له، واحتقار وازدراء الناس، أمَّا لبسُ الجميل من الثياب، وحسن الهيئة والمظهر، فليس من التكبر، لأن اللَّه إذا أنعم على عبدٍ، فإنه يحب أن يرى أثر نعمته عليه.

(٢) «ما منعه إلا الكِبْرُ» أي ما منعه من الأكل باليمين، إلَّا تكبُّره وعناده، فما وصلت يمينه إلى فمه بعد ذلك، لأن النبي ﷺ أراد أن يُظهر كذبه، فدعا عليه عند ذلك، مع كمال رحمته، ومزيد عفوه وصفحه، وفي الحديث بيان جواز الدعاء، على من قصد الخروج عن الشريعة قصداً وعمداً.

(٣) «ألا أخبركم بأهل النار» تقدم الحديث مع شرحه باب ضعفة المسلمين رقم (٢٥٣).

(٤) «احتجت الجنة والنار» هذا الحديث على ظاهره، وهو أن اللَّه تعالى يخلق فيهما تمييزاً يدركان به الأمور، فقالت النار مفتخرة: إن زبانيتي هم الأكاسرة والجبابرة والظلمة الطغاة، وقالت الجنة متواضعة: لقد أكرمني اللَّه بالضعفاء والمساكين، ففصل اللَّه بينهما الجدال، =

الجَنَّةُ: فيَّ ضُعَفاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ!! فَقَضَى اللَّهُ بَيْنَهُمَا: إنَّك الجَنَّةُ رَحْمَتي، أَرْحَمُ بك مَنْ أَشَاءُ، وَإنَّكِ النَّارُ عَذَابِي، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكلَيْكُمَا عَليَّ مِلْؤُهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦١٥ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللَّهُ عنه، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إلى مَنْ جَرَّ إزارَهُ بَطَراً»[١] مُتَّفَقٌ عليه.

٦١٦ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ[٢]، وَلا يُزَكِّيهِمْ، وَلا يَنْظُرُ إلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ: شَيخٌ زانٍ[٣]، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ[٤]، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»[٥] رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «العَائِلُ»: الفَقِير.

٦١٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ قال اللَّه عزَّ وجلَّ: «العِزُّ إزَاري، والكِبْرِياءُ رِدَائِي[٦]، فَمَنْ يُنازِعُنِي عَذَّبْتُهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦١٨ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي

= وحكم أن الجنة مكان رحمته، يرحم بها من يشاء من عباده، والنار مكان عذابه يُعذّب بها من يشاء، وهو سبحانه أعدل العادلين.

(١) «لا ينظر اللَّه إلى من جرَّ إزاره بطراً» أي لا ينظر اللَّه إليه نظرة رحمة وتكريم، لأنه جرَّ ثوبه على وجه الخيلاء والبطر، واللَّه يكره المتكبّر والمتبختر **﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً﴾** ومرجع ذلك كله هو الكبرياء.

(٢) «ثلاثة لا يكلمهم اللَّه» أي كلام أهل الخير والمحبة، وإنما يكلمهم كلام السخط والغضب **﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾**

(٣) «شيخ زانٍ» أي رجل كبير السنّ هرم، وهو يرتكب فاحشة الزنى.

(٤) «وملك كذاب» أي الملك الذي يكذب على رعيته، فيعدهم بالرفاهية والحياة السعيدة، ويذيقهم أنواع الذل والهوان.

(٥) «وعائل مستكبر» أي فقير صاحب عيال، يستكبر ويستحقر الناس، وإذ أكرم بشيء قليل من المال، ردَّه بغطرسة وكبرياء.

(٦) «العز إزاري، والكبرياء ردائي» في هذا الحديث الشريف استعارة بديعة، استعار الإزار، والرداء، للعزّ والكبرياء، كما تقول العرب: فلان شعارُه الزهدُ، ودثارُه التقوى، ولا يريدون به الثوب الذي هو شعارٌ أو دثار، بل يريدون أنه متصف بالزهد والتقوى، فشبّه تعالى العزَّ والكبرياء بالإزار والرداء بطريق الاستعارة، ومعنى «ينازعني» أي يتخلّق بذلك فيصير في معنى المشارك للَّه سبحانه في العظمة والجلال.

في حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ، يَخْتَالُ في مِشْيَتِهِ، إذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فهو يَتَجَلْجَلُ في الأرْضِ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

«مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ»، أَي: مُمَشِّطُهُ. «يَتَجَلْجَلُ» بالجيمين، أيْ: يَغُوصُ وَيَنْزِلُ.

٦١٩ ـ وعن سَلَمَةَ بْنِ الأكْوعِ رضيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ[1] حَتَّى يُكْتَبَ في الجَبَّارِينَ، فَيُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديث حسن. «يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ» أي: يَرْتَفِعُ وَيَتَكَبَّرُ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في حُسن الخُلُق

قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ الآية [آل عمران: ١٣٤].

٦٢٠ ـ وعن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنه قالَ: «كانَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٢١ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «مَا مَسِسْتُ دِيباجاً، وَلا حَرِيراً[2]، أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ، أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَقَدْ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَما قالَ لي قَطُّ: أُفٍّ، ولَا قالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟ وَلا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا فَعَلْتَ كَذا؟» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٢٢ ـ وعن الصَّعب بن جَثَّامَةَ رضيَ اللَّهُ عنه قال: «أَهْدَيْتُ رسُولَ اللَّهِ

---

(١) «لا يزال الرجل يذهب بنفسه» أي يتعالى ويتكبر، ويعتبر نفسه أعلى قدراً من الناس، حتى يصبح في زمرة الجبارين، ويندرج في غمارهم، فيصيبه من العذاب ما يصيبهم، قال تعالى: ﴿واسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾!!

قال الحسن البصري: كيف يتكبَّر من خرج من مكان البول مرتين، يريد من عضو أبيه، وفرج أمه، وكل منهما مكان للبول.

(٢) «ما مَسِسْتُ ديباجاً ولا حريراً» هذا الحديث الشريف بيان لصفته الخَلْقيّة والخُلُقيّة، فقد كان ﷺ مع ضخامة يده، ليِّن الكفِّ كأنها حرير، ورائحته تفوح كالمسك، فهو طيب الرائحة خلقةً وإن لم يتطيب، بل كان العرق الذي يخرج من بدنه الشريف أطيب من الطيب، كرامة من اللّه عزّ وجلّ له، وأمّا أخلاقه فهي في ذروة الكمال، كما شهد بذلك أنس خادم رسول اللّه ﷺ. اللهمّ خلّقنا بأخلاقه، وأدبنا بآدابه. !

ﷺ حِماراً وَحْشِيّاً، فَرَدَّهُ عَلَيّ، فلمَّا رأى مَا في وَجْهِي قالَ: إنَّا لم نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إلَّا أنَّا حُرُمٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٢٣ ـ وعن النَّوَاسِ بْنِ سمعانَ رضيَ اللَّهُ عنه قال: «سَألتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ عن البِرِّ والإثم!! فقالَ: البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإثْمُ: مَا حَاكَ في نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٢٤ ـ وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما قال: «لم يكن رسولُ اللَّه ﷺ فَاحِشاً ولا مُتَفَحِّشاً[1]، وكان يَقُولُ: إنَّ مِن خِيارِكُمْ أحْسَنَكُمْ أخْلَاقاً» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٢٥ ـ وعن أبي الدرداء رضي اللَّه عنه: أن النبيَّ ﷺ قالَ: «ما مِنْ شَيْءٍ أثْقَلُ في ميزَانِ المُؤمِنِ يَومَ القِيَامَةِ، مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وإنَّ اللَّه يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

«البَذِيُّ»: هو الَّذِي يَتَكَلَّمُ بالفُحْشِ، ورديءِ الكلام.

٦٢٦ ـ وعن أبي هُريرة رضيَ اللَّهُ عنه قال: «سُئِلَ رسولُ اللَّه ﷺ عَنْ أكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ قال: تَقْوَى اللَّهِ وَحُسنُ الخُلُقِ[2]، وَسُئِلَ عَن أكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ فَقَالَ: الْفَمُ، وَالفَرْجُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٦٢٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أكْمَلُ المُؤمِنينَ إيْمَاناً أحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديث حسن صحيح.

٦٢٨ ـ وعن عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها، قالت: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إنَّ المُؤمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ، دَرَجَةَ الصَّائِمِ، القَائِمِ»[3] رَوَاهُ أبو داود.

---

(١) «فاحشاً ولا متفحشاً» أي ليس ذا فُحش في كلامه وأفعاله، ولا بذيء سيّء يتكلف فعل القبيح.

(٢) «تقوى اللَّه وحسنُ الخُلق» أي المؤمن المتّقي للَّه سبحانه، الممتثل للأوامر، والمجتنب للنواهي، وصاحب الخُلُق الحسن.

قال ابن القيّم: جمع بينهما لأن تقوى اللَّه، تُصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسنُ الخُلق يُصلح ما بينه وبين خلقه.

(٣) «يدرك بحسن خُلقه درجةَ الصائم القائم» حسنُ الخلُق إنما يكون ببسط الوجه، وبذل الندى، وكفُّ الأذى، ولماذا ينال درجةَ الصائم؟ لأن أفضلَ درجات النهار: الصائمُ في =

٦٢٩ ـ وعن أبي أُمَامَةَ الباهِليِّ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « أَنَا زَعِيمٌ بِبَيتٍ في رَبَضِ[1] الجنَّةِ، لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ، وَإن كَانَ مُحِقّاً، وَبِبَيتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وَإن كَانَ مازِحاً، وَبِبِيتٍ في أعلى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»[2] حديث صحيح، رَوَاهُ أبو داود بإسناد صحيح. «الزَّعِيمُ»: الضَّامِنُ.

٦٣٠ ـ وعن جابر رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: « إنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إليَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجلساً يَوْمَ القِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُمْ أخلاقاً، وإنَّ أَبْغَضَكُمْ إليَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ[3]، الثَرْثَارُونَ وَالمتشدقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ قَالوا: يا رسول اللَّه قَدْ عَلِمْنَا الثَرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ! فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: المُتَكَبِّرُونَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

« الثَّرْثَارُ»: هُوَ كَثِيرُ الكَلام تَكَلُّفاً. « وَالمُتَشَدِّقُ»: المُتَطَاوِلُ عَلى النَّاسِ بِكَلامِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَلءِ فيه تَفَاصُحاً وَتَعْظِيماً لِكَلامِهِ. « وَالمُتَفَيْهِقُ»: أَصْلُهُ مِنَ الفَهْقِ، وَهُوَ الامْتِلاءُ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلأُ فَمَهُ بِالْكَلامِ، وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ، وَيُغْرِبُ بِهِ تَكَبُّراً وَارتِفَاعاً، وَإظْهَاراً للفَضِيلَةِ عَلى غَيرِهِ.

وروى التِّرمِذِيُّ عن عبد اللَّه بن المباركِ رحمهُ اللَّه في تَفْسِيرِ حُسْنِ الخُلُقِ قال: هُوَ طَلَاقَةُ الوَجْهِ، وَبَذْلُ المَعْرُوفِ، وَكَفُّ الأَذَى.

❁ ❁ ❁

بابُ في الحِلم والأناة والرِّفق

قال اللَّه تعالى: ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

= شدة الحر، وأعلى درجات الليل: المتهجِّدُ العابد للّه والناس نيام.

(١) « زعيم ببيتٍ في رَبَض الجنة» أي أنا كفيل وضامنٌ ببيتٍ في أطراف الجنة، لمن ترك الجدال ولو كان على حق، لأن الجدال يثير الضغائن، ويفسد الودَّ بين الناس.

(٢) « وببيت في أعلى الجنة لمن حسَّن خلقه» فيه بيان أن أعلى المنازل والمراتب، إنما تكون لصاحب الخلق الحسن، وصيغة التضعيف « حسَّن» فيها إشارة إلى مشقَّة التخلُّق بذلك، والاحتياج إلى مزاولةٍ كبيرة للنفس، لترويضها على ذلك.

(٣) في الحديث تنفير من مساوئ الأخلاق، التي تكون في بعض الناس، والتي تبعد الإنسان عن مرافقة الرسول ﷺ في جنان الخلد والنعيم، لا سيما لأسوء الناس أخلاقاً، ببذاءة اللسان، والكبر والعُجب.

وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤ ـ ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

٦٣١ ـ وعَنِ ابنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الحِلْمُ، وَالأَنَاةُ»[١] رَوَاهُ مُسْلِم.

٦٣٢ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ[٢] في الأَمْرِ كُلِّهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٣٣ ـ وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، أن النبي ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلى الرِّفق ما لا يُعْطي عَلى العُنفِ، وَمَا لا يُعْطِي عَلى ما سِواه» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٣٤ ـ وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنها، أن النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلَّا زَانَهُ[٣] وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلَّا شَانَهُ»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٣٥ ـ وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: «بَال أَعْرَابيٌّ في المسجِدِ، فَقَامَ النَّاسُ إلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ، فقال النبي ﷺ: دَعُوهُ، وَأَرِيقُوا عَلى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ[٥]،

---

(١) «إن فيك خصلتين» أي فيك أمران كريمان هما: «الحِلْمُ» يعني العقلُ والتثبُّتُ في الأمور، و«الأناةُ» يعني عدمُ التعجل، وكلا الخصلتين محبوبتان عند اللَّه.
وسبب ورود الحديث: أن الوفد لمَّا وصلوا إلى المدينة، بادروا بالذهاب إلى النبي ﷺ، وأمَّا الأشجُّ فعقل ناقته، ولبس أحسن ثيابه، ثم أقبل إلى النبي ﷺ، فأجلسه إلى جانبه، وقال له ﷺ: «إن فيك خصلتين . .».

(٢) «إن اللَّه رفيق يحب الرفق» الرِّفقُ: لينُ الجانب، والأخذ بالأسهل، والمراد في حقه تعالى أنه حليم بالعباد، لا يعجِّل العقوبة لمن عصاه، ويحبُّ من كان فيه الحلمُ والرأفة.

(٣) «إلَّا زانه» أي لا يكون الرفق في أمر، إلا كان زينةً له وجمالاً.

(٤) «ولا ينزع من شيء إلَّا شانه» أي لا يُسلب من شيء، إلا كان له عيباً ونقيصةً، وكان قبيحاً عند اللَّه وعند الناس.

(٥) «أريقوا على بوله سَجْلاً من ماء» أي دلواً من الماء، فإنما جعلكم اللَّه دعاة تيسير، لا دعاة تعسير، وهذا توجيه نبوي كريم لهم، ودرسٌ لكل المرشدين والدعاة، فالأعرابي لا يعرف حرمة المسجد، ولا الآداب الاجتماعية، لحداثة عهده بالإسلام، وبال في طرف المسجد، =

أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.
«السَّجْلُ»: الدَّلْو المُمْتَلِئَةُ ماءً، وَكَذلِكَ الذَّنُوبُ.

٦٣٦ ـ وعن أَنس رضِيَ اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا»(١) مُتَّفَقٌ عليه.

٦٣٧ ـ وعن جرير بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ كُلَّهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٣٨ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أَنَّ رَجُلاً قال للنبيِّ ﷺ: «أَوْصِني!! قال: لَا تَغْضَبْ، فَرَدَّدَ مِراراً، قال لَا تَغْضَبْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٦٣٩ ـ وعن أَبي يَعلَى «شدَّاد بن أوسٍ» رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إنَّ اللَّه كَتَبَ الإحْسَانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ(٢)، فإذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ(٣)، وَلْيُرِح ذَبِيحَتَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

= على الرمل، ظناً منه أنه لا حرج في ذلك، وهمَّ بعض الصحابة أن يبطشوا به، فمنعهم ﷺ وأمرهم أن يصبُّوا على بوله دلواً من ماء.. وفي بعض الروايات أنه بعد أن نبّهه ﷺ بلطف إلى خطأ ما فعل، قال وهو خارج من المسجد: «اللهمَّ ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً»!! لأنه رآهم يهجمون نحوه، والرسول ﷺ منعهم من ذلك.

(١) «يسّروا ولا تُعسّروا» هذا توجيه كريم، من سيد الخلق ﷺ لأمته، أن يكونوا في جميع أمورهم، ميسّرين لا معسّرين، ومبشّرين لا منفّرين، لأن الإسلام دين اليسر والسماحة، والمسلم ينبغي أن يكون بخُلُقه وسلوكه مبشراً بدين اللَّه، لا منفّراً عنه، وحُسْنُ المعاملة كان السبب في دخول الكثيرين في الإسلام.

(٢) «إن اللَّه كَتَب الإحسان» أي فرض الإحسان على عباده في جميع الأمور، في المحادثة، والمناظرة، والمعاتبة، وفي التعامل مع الناس، وحتى مع البهائم، ولهذا قال ﷺ: «فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة» بكسر القاف أي فإذا قتلتم إنساناً بالقصاص، أو حيواناً للأكل، فأحسنوا قتله ولا تعذّبوه.

(٣) «وَلْيحدَّ أحدكم شفرته» أي ليحدَّ السكِّينَ لذبح الحيوان ليريحه، ويعجّل إمرارها على عنقه، ولا يسلخ جلد الشاة قبل البرودة، ويقطع من الحلقوم لا من القفا، ولا يصرعها بعنف، ولا يذبح واحدة أمام أخرى... الخ، فإذا كانت هذه رحمة الإسلام بالحيوان، فكيف بالإنسان نفسه؟ وينبغي أن نعلم أن الذبح الشرعي للحيوان، هو الراحة له، لقوله ﷺ: «ولْيرِحْ ذبيحتَه» وأمَّا صعقُه بشرارة كهربائية، أو بساطور على رأسه، كما يفعل الغربيون، فهو تعذيب له لا رحمة، ولا يكون الذبح شرعياً!!

٦٤٠ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «مَا خُيِّرَ رسول اللَّه ﷺ بَينَ أَمْرَينِ قَطُّ إلَّا أَخَذَ أَيسَرَهُمَا[١]، مَا لَمْ يَكُنْ إثماً، فَإن كَانَ إثماً، كَانَ أَبعَدَ النَّاسِ مِنهُ، وَمَا انْتَقَمَ رسول اللَّه ﷺ لِنَفْسِهِ في شَيءٍ قَطُّ، إلَّا أَن تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ للَّهِ تعالى» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٤١ ـ وعن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَلا أُخبِركُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلى النَّارِ ـ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ[٢]؟ ـ تَحْرُمُ عَلى كُلِّ قَرِيبٍ[٣] هَيِّنٍ لَيِّنٍ، سَهْلٍ»[٤] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسَنٌ.

❁ ❁ ❁

باب العفو والإعراض عن الجاهلين

قال اللَّه تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[٥] [الأعراف: ١٩٩].

---

(١) «ما خُيِّر بين أمرين إلا أخذ أيسرهما» هذه أخلاق نَبيِّ الرحمة، أنه ما عُرض عليه أمران: أحدهما شديد، والآخر هيِّنٌ، إلا اختار أسهلهما وأيسرهما، تعليماً لأمته أن يتأسوا به، ما لم يكن هذا الأيسر، فيه أثمٌ، **قال ابن حجر**: «ما خُيِّر بين أمرين» أي من أمور الدنيا، لأن أمور الدين لا إثم فيها، وقوله: «إلا أخذ أيسرهما» أي أسهلهما، ما لم يكن الأسهل مقتضياً للإثم، فإنه حينئذٍ يختار الأشد، كتخييره عليه السلام بين أن يفتح عليه كنوز الأرض، وبين أن يؤتيه الكفاف من الدنيا، فاختار الكَفَافَ وإن كانت السعةُ أسهل اهـ. وما انتقم ﷺ لنفسه، إلا إذا انتُهكت حرمةُ الدين، لأن من عظَّم اللّهَ حقَّ تعظيمه، سدَّ باب الانتقام لنفسه، وذلك كعفوه عمَّن طعن في قسمته ﷺ لغنائم خيبر، وقال: هذه قسمةٌ ما أريد بها وجهَ اللّه، وكعفوه عمن جذبه من الأعراب بردائه، حتى أثَّر في عنقه، وقال له: أعطني فإنك لا تعطيني من مالك ولا من مال أبيك، فضحك ﷺ ثم أمر له بالعطاء.

(٢) «ألا أخبركم» أي هل تريدون أن أخبركم عمَّن تُحرَّم عليه نار جهنم؟ وهذا أسلوب لطيف لتنبيه السامع إلى الحديث والخبر.

(٣) «تُحرَّم على كل قريب» أي على كل مؤمن قريبٍ في مخالطة الناس، بحسن الملاطفة لهم والمحاورة.

(٤) «هيِّن ليِّن سهل» أي فيه السماحةُ واللطفُ واللين، وهذا خُلُق النبيين قال تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظاً غَلِيظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾** أي بسبب ما أودع اللّه في قلبك من الرحمة، كنت هيِّناً ليِّناً مع أصحابك، ولو كنت شرس الأخلاق، خشن الجانب، تعاملهم بالغلظة والجفاء، لنفروا منك وتفرَّقوا عنك، وهذا غاية الثناء على سيد الأنبياء ﷺ.

(٥) **﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾** الآية، أي لا تقابل السفهاء والجهلاء بمثل سفههم وجهلهم، بل بالحلم والصفح عنهم، والإعراض عنهم، فإن في الإعراض عن =

وقال تعالى: ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [النور: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣].

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

٦٤٢ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت للنبيِّ ﷺ: «هل أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ[١]؟ قال: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَومِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ «يَوْمَ العَقَبَةِ»[٢]، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلى «ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بنِ عَبْدِ كُلالٍ»، فَلَمْ يُجبني إلى ما أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلى وَجْهِي[٣]، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلَّا وَأَنَا بِقَرنِ الثَّعالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَد أَظَلَّتني، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ عليه السلام، فَنَادَانِي فقال: إنَّ اللَّه تعالى قَدْ سَمِعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ، وَما رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَد بَعَثَ إلَيكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِم!! فَنَادَاني مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَليَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إنَّ اللَّهَ قَد سَمِعَ قَولَ قَومِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شئتَ: إنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَين[٤]!؟ فقال النبي ﷺ: بَلْ أَرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ، مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً» مُتَّفَقٌ عليه.

= السفيه، إخمادٌ لشرِّه، وإذهاب لِلَهيب جهله، قال الشافعي:

قالوا سَكتَّ وقد خُوصِمْتَ قلتُ لهم ... إن الجوابَ لبابِ الشَّرِّ مفتاحُ
فالعفوُ عن جاهلٍ بل أحمقٍ أدبٌ ... نَعَمْ، وفيه لصون العرض إصلاح

(١) «أشدَّ من يوم أحد» أي هل مرَّ عليك زمان، لاقيتَ فيه الشدائد والمصاعب؟ أعظم مما حدث لك في غزوة أحد؟ فإنه ﷺ في أحد شُجَّ وجهُه، وكُسرت رباعيتُه ـ أسنانُه الأمامية ـ وسقط في حفرة حفرها له الفاسق المسمَّى بالراهب. الخ.

(٢) «أشد ما لقيتُه يوم العقبة» هذه عَقَبة عند الطائف، وذلك حين اشتدَّ أذى صناديد قريش عليه ﷺ، بعد وفاة زوجه خديجة، ووفاة عمه أبي طالب، فخرج إلى الطائف يستنجد بأهلها، ويطلب منهم النصر والحماية، فردُّوه أقبح ردٍّ، وأغرَوْا به سفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة، حتى أدموا قدميه الشريفتين، ونال منهم ما نال من ضروب السفه والأذى.

(٣) «فانطلقت وأنا مهموم على وجهي» أي رجعتُ مكسوف الحال، مهموم البال، لا أدري أين أسير؟ ولا أين أذهب؟

(٤) «إن شئت أَطْبَقْتُ عليهم الأخشبين» أي قال له ملك الجبال: إن أردتَ يا محمد سحقتُ =

«الأَخْشَبَان»: الجَبَلان المُحِيطانِ بِمَكَّةَ، والأَخْشَبُ: هو الجبل الغليظ.

٦٤٣ ـ وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْها قالت: «ما ضَرَبَ رسولُ اللَّه ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلا امْرَأَةً ولا خَادِماً، إلَّا أن يُجَاهِدَ في سَبِيلِ اللَّهِ، وما نِيلَ مِنْهُ شَيءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تعالى، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ تعالى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٤٤ ـ وعن أَنس رضي اللَّه عنه قال: «كُنتُ أَمْشِي مَعَ رسول اللَّه ﷺ وعليهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فأَدرَكَهُ أَعْرَابيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً[1]، فَنَظَرْتُ إلى صَفْحَة عَاتِقِ النَّبيِّ ﷺ، وَقَدْ أَثَّرَت بِها حَاشِيَةُ البُرْدِ، مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قال يَا مُحَمَّدُ: مُرْ لي مِن مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ!! فَالتَفَتَ إلَيهِ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٤٥ ـ وعن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: «كأَنِّي أَنظُرُ إلى رسول اللَّه ﷺ يَحكِي نَبِيّاً مِنَ الأَنْبِيَاءِ، صَلَواتُ اللَّهِ وسَلَامُهُ عَلَيْهِم، ضَرَبَهُ قَومُهُ فَأَدْمَوهُ، وَهُوَ يَمسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجهِهِ، ويقول: اللَّهُمَّ اغفِر لِقَومي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٤٦ ـ وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه، أَن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁ ❁ ❁

= قومَك المشركين، بالجبلين المحيطين بمكة فأهلكتهم عن آخرهم، عقوبة لهم على فجورهم معك؟ وفي الحديث بيانُ شفقته ﷺ على قومه، ومزيد صبره وحلمه، ولهذا قال: بل أرجو أن يخرج اللَّهُ منهم أناساً مؤمنين، وذريّة صالحين، يعبدون اللَّه.

(١) «جبَذه بردائه» أي شدَّ النبيَّ ﷺ من ردائه شدَّةً غليظة، حتّى أثَّرت حاشيةُ البُرد في عنقه الشريف، وذلك من سوء أدبه وجفائه على عادة الأعراب الجفاة، ثم قال له: يا محمد أعطني من مال اللَّه الذي أعطاك!! ثم زاد في الوقاحة بقوله: فإنك لا تعطيني من مالك، ولا من مال أبيك!؟ فابتسم ﷺ في وجهه، ثم أمر أن يُحمل له على بعير شعيراً، وعلى آخر تمراً. وفي هذا الحديث بيان لمزيد حسن خُلُقه ﷺ، فإنه عفا عن جنايته، وزاد على العفو بالبشر، كما قال القائل:

بشَاشَةُ وجهِ المَرْءِ خيرٌ من القِرَى ... فكيفَ بمن يُعطي القِرىٰ وهو يضحك؟

القِرَى بكسر القاف: العطاءُ والإحسان.

بابٌ في احتمال الأذى

قال اللّه تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وفي الباب: الأحاديث السابقة في الباب قبله.

٦٤٧ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، أن رجلاً قال: «يا رسولَ اللّه إنَّ لي قَرَابَةً، أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وأُحْسِنُ إليهِمْ، ويُسيئونَ إليَّ، وأحلُمُ عَنهم، وَيجهَلُونَ عَلَيَّ!! فقال: لَئِنْ كُنتَ كَمَا قلت، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهمُ المَلَّ[1]، ولا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللّهِ تعالى ظَهيرٌ[2] عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلى ذلِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وقد سَبَقَ شَرْحُهُ في بَابِ صلة الأرحام.

۞ ۞ ۞

باب الغضب إذا انتهكت حرمات الشّرع، والانتصار لدين الله تعالى

قال اللّه تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[3][الحج: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وفي الباب حديث عائشة السابق في باب العفو.

٦٤٨ ـ وعن أبي مسعود «عقبة بن عمرو البدريّ» رضي اللّه عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: «إني لأتَأَخَّر عَن صَلاةِ الصُّبحِ مِنْ أَجْلِ فلانٍ[4] مِمَّا

---

(١) «فكأنما تُسِفُّهمُ المَلَّ» أي تجعلهم يسفُّون الرمادَ الحارَّ.

(٢) «ولا يزال معك ظهير» أي معين لك عليهم وهو اللّه عزّ وجلّ، وقد تقدم هذا الحديث وشرحه في باب صلة الأرحام، ورقمه (٣١٩).

(٣) **﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللّهِ﴾ الحرماتُ: ما حرّمه اللّه عزّ وجلّ على عباده من أنواع المحرّمات، أي من يُعظّم أوامر اللّه سبحانه، باجتناب ما حرّمه من أنواع المنكرات والآثام، ويقف عند حدوده، فهو أتقى له وأفضل!! وفي الحديث «ألا وإن حمى اللّه محارمُه».**

(٤) «إني لأتأخر عن صلاة الصبح» مراده أنه يترك حضور الجماعة لتطويل الإمام، **قال الحافظ:** «من أجل فلان» كناية عن «أُبيّ بن كعب» أي من أجل إطالة أُبيٍّ القراءة والصلاة، ـ

يُطِيلُ بِنَا! فَمَا رَأَيتُ النَّبيَّ ﷺ غضِبَ في مَوعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ ممَّا غَضِبَ يَومَئِذٍ، فقال: يَا أَيُّهَا النَّاس: إنَّ مِنْكُم مُنَفِّرِين[١]، فأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِز، فإنَّ مِنْ ورائِهِ الكَبِيرَ والصَّغِيرَ وذا الحَاجَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٤٩ ــ وعن عائشة رضي اللّه عنها قالت: «قَدِمَ رسول اللّه ﷺ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهوَةً لي بِقِرَامٍ[٢]، فيهِ تَمَاثِيلُ، فَلمَّا رآهُ رسول اللّه ﷺ هتكَهُ، وَتَلَوَّنَ وجهُهُ[٣]، وَقال يَا عَائِشَةُ: أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللّهِ يَومَ القِيَامَةِ، الَّذينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللّهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

«السَّهْوَةُ»: كالصُّفَّة تَكُونُ بين يدي البيت، و «القرام» بكسر القاف: سِتر رقيق، وَ «هتكه»: أفسد الصورة التي فيه.

٦٥٠ ــ وعنها رَضِيَ اللّهُ عنها «أنَّ قرَيشاً أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرأَةِ المَخْزُومِيَّةِ التي سَرَقَت، فقالوا: من يُكَلِّمُ فِيها رسول اللّه ﷺ؟ فقالوا: مَنْ يَجْتَرِىءُ عَلَيْهِ إلا «أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ» حِبُّ رسول اللّه ﷺ!؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فقال رسول اللّه ﷺ:

= والمشتكي ذكر للرسول ﷺ اسم الإمام الذي يطيل بهم الصلاة، ولكنَّ الراوي ذكر فلاناً بالكناية، وذلك من حسن الأدب في التعبير.

(١) «إن منكم منفِّرينَ» خطب الرسول في أصحابه فقال في موعظته: إن منكم جماعة ينفِّرون الناس عن دين اللّه، فمن صلى إماماً بالناس فَلْيخفِّف في صلاته، فإن معه الشيخ الهرم، والطفل الصغير، وصاحب الحاجة، وهؤلاء وأمثالهم يتضرَّرون من الإطالة، فكبير السنِّ يعجزه طول القيام، والصغير لا يثبت على الإطالة، وصاحب الحاجة تسلبه الإطالة خشوعه الذي هو لبُّ العبادة.

(٢) «سترتُ سَهْوةً لي بِقِرَام» أي وضعت ستارةً فيها تماثيل على كوّة ونافذة، كما توضع الستائر على الشبابيك والنوافذ لمنع الكشف.

(٣) «تلوَّن وجهه» أي لمَّا رأى رسولُ اللّه ﷺ هذه الستارة، تغيَّر وجهه من غضبه للّه عزَّ وجلَّ، فهتك السترة ونَزَعها، وقال للسيدة عائشة: إن أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة المصوِّرون «الذين يضاهون» أي يشبِّهون ما يصنعونه بصنع اللّه عزَّ وجلَّ، وقد بيَّن ﷺ العلّة من ذلك، وهي المضاهاة أي المشابهة لخلق اللّه، كما صُرِّح به في رواية البخاري «إن أصحاب هذه الصور، يُعذَّبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم».

قال الإمام العيني: كره رسول اللّه ﷺ ما كان ستراً، ولم يكره ما يُداس عليه ويوطأ، وبهذا قال البعض من الصحابة والتابعين، حتى قال عكرمة: أن فيما يوطىء من الصور هوانٌ لها. . قال: وهذا أوسط المذاهب، وبه قال مالك والشافعي وأبو حنيفة، فقد أُبيح منها ما يُمتهن، لأنه يؤمن تعظيمها، وبقي النهي فيما لا يمتهن كالتعليق على الجدران.

أَتَشفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدودِ اللَّهِ تعالى[١]؟! ثم قامَ فَاخْتَطَبَ[٢]، ثم قال: إنما أَهْلَكَ مَنْ قَبلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقامُوا عَلَيهِ الحَدَّ! وَايْمُ اللَّه، لو أَنَّ فَاطِمَةَ بنتَ محمدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا »[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

٦٥١ ـ وعن أنس رضي اللَّه عنه «أن النبي ﷺ رَأَى نُخَامَةً في القِبلَةِ[٤]، فَشَقَّ ذلِكَ عَلَيهِ، حتَّى رُئِيَ في وَجْهِهِ، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ فقال: إن أَحَدكم إذَا قَامَ في صَلاتِهِ، فإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّه، وإنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَينَ القِبلَةِ[٥]، فَلا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ[٦] القِبْلَةِ، ولكِن عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحتَ قَدَمِهِ، ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلى بَعْضٍ، فقال: أَوْ يَفْعَلُ هكَذا » مُتَّفَق عليه.

وَالأمرُ بالبُصَاقِ عَنْ يَسَارِهِ أو تَحتَ قَدَمِهِ هُوَ فِيما إذا كانَ في غَيْرِ المَسجِدِ، فَأَمَّا في المَسْجِدِ فَلا يَبصُقُ إلَّا في ثَوبِهِ.

---

(١) «أتشفع في حد من حدود اللَّه» أي أتشفع لتعطيل حدٍّ من حدود اللَّه؟ بعد أن وصل إليَّ؟

(٢) «قام فاختطب» أي خطب في الناس مذكِّراً ومحذِّراً، وبالغ لهم في الموعظة، فبيَّن أن هلاك الأمم قبلهم، كان بسبب تضييعهم حدود اللَّه، وعدم إقامة العدل بين الناس، فإذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف نفذوا فيه الحكم.

(٣) «وايم اللَّه لو أن فاطمة سرقت» أي أُقسم باللَّه (لو أن فاطمة بنت محمد سرقتْ لقطعتُ يدها) أتى به على وجه المبالغة، وعلى سبيل الفرض والتقدير، أي لو فُرض وقُدِّر أن فاطمة سرقت لنفذَ فيها الرسول ﷺ حكم اللَّه تعالى.
حاشا للسيدة «فاطمة الزهراء بنت أشرف الأنبياء» أن تسرق، ولكنه المثل الأعلى يضربه الرسول ﷺ لأتباعه، لتقرير مبدأ «العدالة والمساواة» بين البشر، فلا يُترك شريف لوجاهته، ولا يُظلم ضعيف لخموله، فالناس أمام شرع اللَّه كلهم على السواء. كان الرواة إذا ذكروا «فاطمة الزهراء» قالوا: حاشاها من ذلك، وهو الأدب الحسن.

(٤) «رأى نخامة في القبلة» أي رأى في الجدار الذي يستقبلونه نخامةً، وهي النُّخاعة التي يبصقها الإنسان من الحلق، فغضب وحكَّها ﷺ وأزالها من الجدار.

(٥) «وإن ربه بينه وبين القبلة» أي إنَّ من يتوجه إليه في عبادته، ويطلب رضوانه وفضله، هو اللَّه رب العالمين، والمؤمنُ في صلاته وهو يناجي ربه، كأن اللَّه أمامه، فليس من الأدب أن يبصق جهة القبلة، وهو كلام خرج مخرج التعظيم لشأن القبلة.

(٦) «فلا يبزقن أحدكم قِبَلَ القبلة» أي لا يبصق جهة القبلة التي أمر اللَّه بتعظيمها بقوله: **﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾** قال العلماء: والأمر بالبصاق عن يساره أو تحت قدمه، هذا إنما يجوز إذا كان في صحراء أو في برية، أمَّا في المسجد فلا يجوز له ذلك، لأن المساجد في زماننا مفروشة بالسجَّاد والطنافس الثمينة.

بابٌ في أمر ولاة الأمور بالرفق برعَاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم والنهي عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم

قال اللَّه تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1] [النحل: ٩٠].

٦٥٢ ـ وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ[2]، الإمامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ في أَهلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرأَةُ رَاعِيَةٌ في بَيتِ زَوجِهَا، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ في مالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٥٣ ـ وعن أَبي يَعْلى «مَعْقِلِ بن يَسَار» رضي اللَّه عنه قال: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «ما مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرعِيهِ اللَّهُ رَعيَّةً، يَمُوتُ يَومَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ[3]، إلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «فَلَمْ يَحُطْهَا بِنُصْحِهِ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ».

وفي روايةٍ لمسلم: «ما مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أُمورَ المُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجهَدُ لَهُمْ، وَيَنْصَحُ لَهُمْ، إلَّا لَمْ يَدخُل مَعَهُمُ الجَنَّةَ».

---

(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ..﴾ هذه الآية من الآيات الجامعة المانعة، التي جمعت أصول الدين من «العقائد، والأخلاق، والآداب، والمعاملات، والتربية، والإصلاح» حتى قال عنها الصحابي الجليل ابن مسعود: «هذه أجمع آيةٍ في القرآن، لخيرٍ يُمتثل، ولشر يُجتنب، حيث تناولت جميع الفضائل والمكارم».!

(٢) «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته» في هذا الحديث تشبيه بليغ، حُذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، أي كلُّ واحدٍ فيكم كالراعي أو مثل الراعي، عليه أن يحفظ ما استرعاه اللَّه إياه، من زوجة، وولدٍ، ومالٍ وخادم، ومتاع، فالحاكم مسؤول عن الأمة، والزوج مسؤول عن زوجته وأبنائه.. إلى آخره، وقد تقدم هذا الحديث في باب حق الزوج على زوجته.

(٣) «وهو غاش لرعيته» أي خادع ومتآمر على الرعية، إلَّا حرمه اللَّه دخول الجنة، لأن اللَّه ولَّاه عليهم لينصحهم لا ليغشهم.

٦٥٤ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول في بَيْتِي هذَا: «اللَّهُمَّ مَن وَلِيَ من أمر أُمَّتِي شَيْئاً، فَشَقَّ عَلَيهم، فَاشقُق عليه[1]، ومَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْر أُمَّتِي شَيْئاً، فَرَفَقَ بِهِمْ، فارفُق بِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٥٥ ـ وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قَالَ رسول اللَّه ﷺ: «كَانَتْ بَنُو إسرائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ[2]، كُلَّمَا هَلَكَ نَبيٌّ خَلَفَهُ نَبيٌّ، وَإنَّهُ لا نَبيَّ بَعدي، وَسَيَكُونَ بَعدي خُلَفَاءُ فَيَكثُرُونَ[3] قالوا: يَا رسولَ اللَّه فما تَأْمُرُنَا؟ قال: أَوفُوا بِبَيْعَة الأَوَّل فالأَوَّل، ثُمَّ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، وَاسأَلُوا اللَّهَ الَّذي لَكُمْ، فَإنَّ اللَّهَ سَائِلُهُم عَمَّا استَرعَاهُم» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٥٦ ـ وعن «عائِذ بن عمرٍو» رضي اللَّه عنه أَنَّهُ دَخَلَ عَلى «عُبَيْدِ اللَّهِ بن زِيَادٍ»، فقال له: أَيْ بُنَيَّ، إنِّي سَمِعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «إنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ[4]، فَإيَّاكَ أَن تَكُونَ مِنْهُم» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٥٧ ـ وعن «أَبي مَريمَ الأَزَدِيِّ» رضي اللَّه عنه، أَنه قال لِمُعَاوِيَة رضي اللَّه

---

(١) «اللهم من وليَ من أمر أمتي» أي من تولّى شؤون أمتي فأوقعهم في المشاقّ، وحمّلهم ما لا يطيقون، فاشقق عليه دنيا وآخرة، أي أوقعه في مهالك لا يستطيع دفعها، ومن رفق بهم ورحمهم، وأحسن معاملتهم فارفق به، وهذا الجزاء من جنس العمل. أَلَا فليَسمع الولاة والحكام دعاء خاتم الأنبياء، وليضعوا أنفسهم حيث يشاءون من رحمة الله لهم أو عذابه!!

(٢) «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء» أي كانت إدارة شؤونهم، وإصلاح أحوالهم، بيد أنبيائهم، وإذا ظهر فيهم فساد، بعث الله إليهم نبياً يقيم لهم أمرهم، ويفصل بينهم الخصومات.

(٣) «وسيكون بعدي خلفاء فيكثرون» أي سيأتي بعدي خلفاء، ذوو أعداد كثيرة، فيهم الصالح والطالح، والعادل والظالم، فأعطوهم حقهم من الانقياد والطاعة، إلا إذا أمروكم بما فيه معصية لله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والله سائلهم عمّا قصّروا فيه، من حقوق شعوبهم ورعاياهم.

(٤) «إن شرّ الرعاء الحطمة» الرِّعاء جمع راعٍ أي شرُّ الرعاة والحكّام، القُساة الذين يظلمون الناس، ولا يرفقون لهم، ولا يرحمونهم.
ضربه ﷺ مثلاً للحكام السوء، والولاة الظلمة، الذين لا ينال رعاياهم منهم، إلّا كل بطشٍ وعدوان، يحكمونهم بالحديد والنار، ولا يحققون لهم مصالحهم.
هذا الحديث قدّمه العالم الناصح «عائذ بن عمرو» لأمير العراق في زمانه «عُبيد بن زياد» لينبّهه على خطر الظلم للرعية، وهكذا شأن العالم الذي لا يخشى في الله لومة لائم، يُقدّم النصح لمن تولّى شيئاً من أمور المسلمين، ولا يهاب أن يقول كلمة الحقّ، فلا خير في الأمة إذا لم تتكلم، ولا خير في الحكام إذا لم يسمعوا.

عنه: سَمِعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ، وخَلَّتِهِم، وفَقرِهِمْ[١]، احتَجَبَ اللَّه دُونَ حَاجَتِهِ، وَخَلَّتِهِ، وَفقرِهِ يَومَ القِيامَةِ، فَجَعَلَ مُعَاوِية رجُلاً على حَوَائِجِ النَّاسِ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في الوالي العادل

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ الآية إلى آخرها [النحل: ٩٠].

وقال اللَّه تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

٦٥٨ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّه في ظِلِّهِ[٢] يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادةِ اللَّهِ تَعَالى، وَرَجُلٌ قَلبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلانِ تَحَابَّا في اللَّه، اجتَمَعَا عَليهِ، وتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، ورجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّه خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٥٩ ـ وعن عبدِ اللَّهِ بن عمرو بن العاص رضي اللَّهُ عنهما قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ[٣]: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٦٠ ـ وعَن عَوفِ بْنِ مَالِكٍ رَضيَ اللَّهُ عنه قال: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) «فاحتجب دون حاجتهم» أي منع أصحاب الحاجات من الوصول إليه، ولم يسمع إلى مظالمهم، إلا سدَّ اللَّه عليه أبواب رحمته يوم القيامة.

(٢) «يظلهم في ظله» أي يظلِّلهم اللَّه في ظل عرشه، يوم لا ظلَّ إلا ظلُّ عرش الرحمن، والمراد بالسبعة: سبعة أصناف، لا سبعة أشخاص، وقد تقدم الحديث مع شرحه في باب فضل الحب في اللَّه رقم (٣٧٦).

(٣) «المقسطين على منابر من نور» أي العادلين في أحكامهم، في منازل عالية رفيعة يوم القيامة، تغبطهم الخلائق على مكانتهم عند اللَّه، والتعبير جاء بطريق الكناية «منابر من نور» وهو كناية عن ارتفاع شأنهم في معارج القدس.

(٤) «وما وَلُوا» أي وما ولَّاهم اللَّه عليه من أمور الرعية.

يقولُ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ! قالَ قُلْنَا يا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ[1]؟ قالَ: لا، ما أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ، لا، مَا أَقَامُوا فيكُمُ الصَّلاةَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قوله: «تُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ»: تَدْعُونَ لَهُمْ.

٦٦١ ـ وعنْ عِيَاض بْنِ حِمارٍ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذو سُلْطانٍ مُقْسِطٌ[2] مُوَفَّقٌ، ورَجُلٌ رَحيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبى وَمسلمٍ، وعِفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ[3] ذُو عِيالٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

باب وجُوب طاعة ولاة الأمر في غير مَعْصِية، وتحريم طاعتهم في المعصية

قال اللّهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

٦٦٢ ـ وعن ابنِ عمر رضيَ اللَّهُ عنهما، عَن النَّبيِّ ﷺ قال: «عَلى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ، فِيما أَحَبَّ وَكَرِهَ، إلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ وَلا طَاعَةَ»[4] مُتَّفَقٌ عليه.

٦٦٣ ـ وعنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا إذا بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، يَقُولُ لَنَا: فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ»[5] مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «أفلا ننابذهم»؟ أي أفلا نقاومهم بترك الطاعة لهم، ونحاربهم؟ قال: لا، ما داموا يصلُّون، ويعلنون إسلامهم.

(٢) «ذو سلطان مقسط» أي مَلِك أو خليفة على المسلمين، يقيم العدل بينهم، موفَّق لفعل الخيرات، وطاعة الرحمن.

(٣) «وعفيف متعفف» أي رجل عفيف النفس، مبالغ في صون ماء وجهه، لا يسأل الناس مع كثرة عياله، ومع حاجته إلى المساعدة.

(٤) «على المرء السمع والطاعة» هذا قانون عامٌّ، يضعه الرسول ﷺ في وجوب طاعة الحاكم المسلم، الذي يطبقّ شرع الله، وينفّذ أحكامه، فالطاعة له واجبة، والانقياد له لازم، ما لم يأمر بمعصية الله، في القوانين والأنظمة التي يسنُّها، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق!!

(٥) «فيما استطعتم» هذا من رحمته ﷺ وشفقته بأمته، أنهم كانوا يبايعونه على السمع والطاعة، =

٦٦٤ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ[١]، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ في عُنقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي روايةٍ لهُ: «وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُفَارِقٌ لِلْجَمَاعَةِ، فإنَّهُ يَمُوتُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». «المِيتَةُ» بكسر الميم.

٦٦٥ ـ وعَنْ أَنَسٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْمَعُوا وأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٦٦٦ ـ وعن أبي هريرة رضيَ اللَّهُ عنه قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ في عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٦٧ ـ وعن عبدِ اللَّهِ بن عمرو رضي اللَّهُ عنهما قال: «كُنَّا مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ في سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ[٣]، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ[٤]، وَمِنَّا مَنْ هُوَ في جَشَرِهِ[٥]، إِذْ نَادَى مُنَادِي رسولِ اللَّهِ ﷺ: الصَّلاةَ جامِعَةً، فاجْتَمَعْنَا إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقال: إنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي، إلَّا كَانَ حَقّاً عَلَيْهِ، أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلى خَيرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ ما يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا في أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاءٌ[٦] وأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وتجيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ

= في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وفي جميع الأمور والأحوال، فكان صلوات اللّه عليه يقول لهم: «فيما استطعتم» أي قيِّدوا هذه البيعة في حدود استطاعتكم، كما ورد في التوجيه النبوي «عليكم من الأعمال ما تطيقون» فما أرحم هذا النبي بأمته!؟

(١) «خلع يداً من طاعة» خلعُ اليد كناية عن نقض عهد البيعة، أي خرج عن بيعة الإمام بعد أن عاهده على السمع والطاعة، بدون سبب شرعي، مات على الضلالة كما يموت أهل الجاهلية عليها.

(٢) «وأَثَرةٍ عليك» أي عليكم بالطاعة وإن اختصَّ الأمراء بالدنيا، وغلبوكم عليها، ولم يعطوكم حقكم ممَّا عندهم، فإن الخروج على السلطان ـ إذا لم يتنكر للإسلام ـ يسبِّب الفوضى، وإراقة الدماء، ويجرُّ إلى شرٍّ مستطير.

(٣) «منَّا من يُصلح خباءه» أي خيمته التي يجلس فيها.

(٤) «ومنَّا من ينتضل» أي يرمي بالسهام تدرباً لحرب الأعداء.

(٥) «ومنَّا من هو في جَشَره» أي يرعى أغنامه ودوابَّه.

(٦) «يصيب آخرَها بلاء» أي تأتيها المحنُ والكوارث، المتتالية، بحيث تطغى المحنة الجديدة على سابقتها، حتى يقول المؤمن: ستهلكني هذه من شدتها وعظمها!!

بَعْضُهَا بَعْضاً، وتجيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هذِهِ هذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلى النَّاسِ الَّذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتى إلَيْهِ، ومَنْ بَايَعَ إمَاماً فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ(١)، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إنِ اسْتَطَاعَ، فَإنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ(٢)، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَوْله: «يَنْتَضِلُ» أي: يُسَابِقُ بالرَّمْيِ بِالنَّبْلِ والنُّشَّابِ. «وَالجَشَرُ» الدَّوابُّ التي تَرْعَى وَتَبِيتُ مَكانَهَا. وقوله: «يُرَقِّقُ بَعضُهَا بَعْضاً» أي: يُصَيِّرُ بَعْضُهَا بعضاً رَقِيقاً، أي: خَفِيفاً لِعِظَمِ ما بَعْدَهُ، فالثَّانِي يُرَقِّقُ الأَوَّلَ.

٦٦٨ ـ وعن أبي هُنَيْدَةَ «وائِلِ بن حُجْرٍ» رضي اللَّهُ عنه قالَ: سَأَلَ «سَلَمَةُ بْنُ يَزيد الجُعْفيُّ» رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فقالَ: «يَا نَبيَّ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَراءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ، ويَمْنَعُونَا حَقَّنا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنه، ثمَّ سَأَلَهُ،

---

(١) «بايع إماماً فأعطاه صفقة يده» أي بايعه بيعة صادقة، وذلك بوضع يمينه في يده، كما هو الحال في البيعة، قال تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

(٢) «فإن جاء آخر ينازعه» أي فإن أراد آخر أن تكون الخلافة له ويسلبها من الأول، فاضربوا عنقه، لأنه ظالم متعد، خارج عن طاعة الله.

قال النووي: وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ، فقد وقع الإخبار متكرراً، ووُجد كما أخبر ﷺ: الأثرةُ، والأمورُ المنكرة، وجاءت الفتنُ يرقِّقُ بعضُها بعضاً أي يصيِّر بعضها رقيقاً أي خفيفاً لعظم ما بعده، فالثاني يجعل الأول خفيفاً، **وقوله**: «وليأت إلى الناس الذي يحبُّ أن يؤتى إليه» هذا من جوامع كلمه ﷺ، وبديع حِكَمه، وهذه قاعدة مهمة، ينبغي الاعتناءُ بها، وذلك بأن يُلزم الإنسانُ نفسه، أن لا يفعل مع الناس، إلا ما يجب أن يفعلوه معه، وفيه الحثُّ على السمع والطاعة، وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً. اهـ.

أقول: وللحديث تتمة في صحيح مسلم ٣/ ١٤٧٣ وهي الآتي: **قال عبد الرحمن**: فدنوتُ منه فقلت: أنشدك اللهَ آنتَ سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ؟ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه، وقال: سمعتْهُ أذناي، ووعاهُ قلبي!! فقلت له: هذا ابنُ عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، ونقتل أنفسنا!! والله يقول: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾!؟ فسكت ساعة ـ أي برهة ـ ثم قال: «أطعْه في طاعة الله، واعصه في معصية الله». ومقصوده أن منازعة «معاوية» لعليٍّ خروجٌ عن البيعة، لأن علياً قد سبقت له البيعة، وخروج معاوية عليه، من أكل أموال الناس بالباطل، ومن قتلِ النفس، لأنه قتال بغير حق.!

فقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإنَّمَا عَلَيْهِمْ ما حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٦٩ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا!» قالوا: يا رسُولَ اللَّهِ: كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذلِكَ؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٧٠ ـ وعن أبي هريرة رضيَ اللَّهُ عنه قال: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَن يَعْصِ الأميرَ فَقَدْ عَصَانِي»[٢] مُتَّفَقٌ عليهِ.

٦٧١ ـ وعن ابن عباسٍ رضيَ اللَّه عنهما، أن رسولِ اللَّه ﷺ قال: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصبر، فإنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْراً[٣]، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٧٢ ـ وعن أبي بكرة رضي اللَّه عنه قال: «سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: مَنْ أَهَانَ السُّلْطَانَ أَهَانَهُ اللَّه» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح، وقد سبق بعضها في أبواب.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النّهي عَن سؤال الإمارة، واختيار ترك الولاية إذا لم يتعين عليه، أو تَدْعُ حاجة إليه

قال اللَّه تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

٦٧٣ ـ وعن أبي سعيدٍ «عبدِ الرَّحمن بن سَمُرَةَ» رضي اللَّه عنه، قال: قال لي

---

(١) «عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حِمِّلتم» أي على الحكام إثم ما حملوه من المآثم، وعليكم واجب السمع والطاعة، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ أي على الرسول التبليغ، وعليكم الطاعة.

(٢) «ومن يعص الأمير فقد عصاني» هذا كلُه مشروط بأن يكون الأميرُ مسلماً، ومستمسكاً بشريعة اللَّه، وأن لا يأمر بما فيه معصية، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

(٣) «من خرج من السلطان شبراً» كنايةٌ عن القلَّة أي من خرج من طاعة السلطان ولو قليلاً، مات موت الجاهلية.

رسول اللَّه ﷺ: «يَا عَبدَ الرَّحمنِ بْنَ سَمُرَةَ، لا تَسأَلِ الإمَارَةَ، فَإنَّكَ إن أُعْطِيتَهَا عَن غَيْرِ مَسأَلَة، أُعِنتَ عَلَيها، وإن أُعطِيتَهَا عَن مَسأَلَةٍ وُكِلْتَ إلَيْهَا[1]، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَها خَيراً مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيرٌ، وَكَفِّر عَن يَمِينِكَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٧٤ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي اللَّه عنه قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «يَا أَبَا ذَرّ إنّي أَرَاكَ ضَعِيفاً، وَإنّي أُحِبُّ لكَ ما أُحِبُّ لِنَفسي، لا تَأَمَّرَنَّ عَلى اثْنَيْنِ، وَلا تَوَلَّيَنَّ مالَ يَتِيم» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٧٥ ـ وعنه رضيَ اللَّهُ عنه قال: «قلت يا رسول اللَّه ألا تَسْتَعْمِلُنِي؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلى مِنْكِبي، ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا ذَرّ: إنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإنَّها أمانَةٌ، وإنَّهَا يَومَ القِيامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ[2]، إلَّا مَن أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الذي عَلَيْهِ فِيها» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٧٦ ـ وعن أبي هُريرة رضِيَ اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلى الإمَارَةِ، وَستَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابُ في حَثّ السّلطان والقاضي، وغيرهما من ولاة الأمور، على اتخاذ وزير صالح، وتحذيرهم من قرناء السوء والقبول منهم

قَالَ اللَّه تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3] [الزخرف: ٦٧].

---

(١) «وإن أعطيتها عن مسألة وُكلْتَ إليها» المراد بالإمارة: الولاية على الناس، فإنه لا ينبغي للعاقل طلبها، لأن مسؤوليتها عظيمة، لكنْ إذا لم يطلبها وكُلِّف بها، أعانه اللَّه عليها، وإن طلبها ترك اللَّه عونه، **قال في فتح الباري**: من المعلوم أن كل ولايةٍ لا تخلو من المشقة، فمن لم يكن له من اللَّه إعانة، تورَّط فيما دخل فيه، وخسر دنياه وعُقباه، فمن كان ذا عقل لم يتعرَّضْ للطلب أصلاً، وإذا أُعطيها من غير مسألة، فقد وعده الصادق المصدوق بالإعانة، ولا يخفى ما جاء في ذلك من الفضل.

(٢) «إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة» بهذا التوجيه النبوي الكريم، البالغ ذروة النصح وحب الخير، يوجِّه رسولُ اللَّه ﷺ أبا ذر، فيقول له: إن الإمارة أمانة، في الدنيا، وفضيحة وندم في الآخرة، فمالكَ ولها!؟

(٣) ﴿**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**..﴾ الآية أي الأصدقاء في الدنيا، يصبحون يوم القيامة أعداء، إلّا من كانت صداقتُه ومحبتُه للَّه، ومن أجل رضوانه، فتدوم بينهم الصداقة، وهم المتقون الذين اجتنبوا محارم اللَّه.

٦٧٧ ـ وعن أبي سعيدٍ وأبي هريرةَ رضي اللَّه عنهما، أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِن نَبيٍّ، وَلا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ[١] بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عليهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عليهِ، وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ»[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٦٧٨ ـ وعن عائشةَ رضيَ اللَّه عنها قالتْ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا أَرَادَ اللَّه بِالأَمِيرِ خَيْرَاً، جَعَلَ له وزيرَ صِدقٍ، إن نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإذا أَرَادَ بِهِ غَيرَ ذلِكَ[٣]، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إن نَسِيَ لم يُذَكِّره، وَإنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ جيدٍ على شرط مسلم.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النّهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أو حرص عليها فعرَّض بها

٦٧٩ ـ وعن أَبي موسى الأَشْعَرِيِّ رضي اللَّه عنه قال: «دَخَلْتُ على النَّبيِّ ﷺ أَنَا وَرَجُلَانِ مِنْ بَني عَمِّي، فقالَ أَحَدُهُمَا: يا رسولَ اللَّه أَمِّرنَا عَلى بَعضِ مَا وَلَّاكَ اللَّهُ[٤] عَزَّ وَجَلَّ، وقال الآخَرُ مِثلَ ذلكَ!! فقال ﷺ: إنَّا وَاللَّهِ لا نُوَلِّي هذَا العَمَلَ، أَحَداً سَأَلَهُ[٥]، أَو أَحداً حَرَصَ عليهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

---

(١) «كانت له بطانتان» بطانةُ الرجل صاحبُ سرِّه، ويراد بها هنا: الوليُّ، والصَديق، تشبيهاً له ببطانة الثوب، التي تكون من داخله، أي ما من خليفة ولا حاكم ولا سلطان، إلا وله أصدقاء وأعوان، يدلونه على الخير أو الشر.

(٢) «والمعصوم من عصمه اللَّه» أي ومن أراد اللَّه به الخير، عصمه ونجّاه وحماه من قرناء السوء.

(٣) «وإذا أراد به غير ذلك» كناية عن الشر، أي وإن أراد به شرّاً، جعل اللَّه له قرناء سوء، يدعونه للشر والقبيح، ولم يصرِّح بالشر كما صرَّح بلفظ الخير، تحريضاً على اجتنابه.

(٤) «أمِّرنا على بعض ما ولَّاك اللَّه» أي وظِّفنا ببعض الأعمال التي تحت قيادتك ممَّا ولَّاك اللَّه عليها.

(٥) «لا نولِّي هَذَا العَمَلَ أَحَداً سأله» أي لا نُسلِّم أحداً عملاً سأله، أو حَرَص عليه، وذلك لأن سؤاله له، وحرصه عليه، يُشعر أنه لم يرغب فيه لنفع المسلمين، وإنما سعى لنفع نفسه، لجمع الدنيا وتكثيرها، وفي ذلك إفسادٌ لأمر الناس، وإهلاكٌ له، وذكر ﷺ القَسَم «إنَّا واللَّهِ» لتأكيد الأمر، وقطع الأطماع.

كتاب الأدب

بابٌ في الحياء
وفضله، والحثّ على التخلّق به

٦٨٠ ـ عنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهما «أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصارِ، وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعْهُ، فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمانِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٨١ ـ وعن عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ رضي اللَّه عنهما قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «الحَياءُ لا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لمسلم: «الحَياءُ خَيْرٌ كُلُّهُ أَوْ قَالَ: الحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ».

٦٨٢ ـ وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّه عنه، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ «لا إِلَه إِلَّا اللَّهُ»، وَأَدْنَاهَا «إِمَاطَةُ الأَذَى عَن الطَّرِيقِ»، وَالحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» مُتَّفَقٌ عليه.

««البِضْعُ»: مِنَ الثَّلاثَةِ إلى العَشَرَةِ، «وَالشُّعْبَةُ»: القِطْعَةُ وَالخَصْلَةُ، «وَالإماطَةُ»: الإِزَالَةُ، «وَالأَذَى»: مَا يُؤْذِي كَحَجَرٍ وَشَوْكٍ وَطِينٍ وَرَمَادٍ وَقَذَرٍ وَنَحْوِ ذلِكَ.

٦٨٣ ـ وعن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللَّه عنه، قال: «كان رسول اللَّه ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ العَذْرَاءِ في خِدْرِهَا، فَإذَا رَأَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ في وَجْهِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

قال العلماءُ: حَقِيقَةُ الحَيَاءِ خُلُقٌ يبعثُ عَلى تَرْكِ القَبِيحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ في حَقِّ ذِي الحَقِّ، وَرَوَيْنَا عَنْ أَبي القَاسِمِ الجُنَيْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَال: «الحَيَاءُ رُؤْيَةُ الآلاءِ، أَيْ: النِّعَمِ، وَرُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ، فَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمَا حَالَةٌ تُسَمَّى حَيَاءً» واللَّه أعلم.

❁ ❁ ❁

بابٌ في حفظ السرّ

قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

٦٨٤ ـ وعن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللَّه عنه قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلُ يُفْضِي إلى الْمَرْأَةِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٦٨٥ ـ وعن عبدِ اللَّهِ بن عمر رضي اللَّه عنهما «أَن عمرَ رضي اللَّه عنه، حينَ تَأَيَّمَتْ بِنْتُهُ حَفْصَةُ[٢] قال: لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، رضي اللَّه عنه، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ[٣] فقلتُ: إنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ؟ قال: سَأَنْظُرُ في أَمْرِي!! فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ لَقِيَني، فقال: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لا أَتَزَوَّجَ يَوْمي هذا، فَلَقِيتُ أَبا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي اللَّه عنه، فقلتُ: إنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فصَمَتَ أبو بكر رَضِيَ اللَّه عنه، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئاً[٤]!! فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلى عُثْمَانَ[٥]، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ خَطَبَهَا النَّبيُّ ﷺ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَني أَبو بَكْرٍ فقالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ، حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ، فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئاً؟ فقلت: نَعَمْ. قال: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فيما عَرَضْتَ عَلَيَّ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رسول اللَّه ﷺ[٦]، وَلَوْ تَرَكَهَا النَّبيُّ ﷺ لَقَبِلْتُهَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «الرجل يفضي إلى المرأة» هذا كناية عمّا يجري بين الرجل والمرأة من مقدمات الجماع، من الغزل، والحبّ، وما يدور من كلمات تقولها الزوجة لزوجها من حبِّ الاستمتاع بالجماع، وأمثال ذلك، فإفشاء مثل هذا السرّ من الكبائر عند اللَّه، وهو يتنافى مع أدب المسلم، وشهامة الرجل الفاضل، أن يبوح بأسرارِ زوجية، تُسقط مكانته عند الناس، ولهذا عدّه الرسول ﷺ أشرَّ الناس.

(٢) «تأيمت ابنته حفصة» أي مات زوجها «خُنَيْس بن حُذافة» في غزوة أحد، من جراحةٍ أصابته في المعركة.

(٣) «فعرضتُها على عثمان» أي فعرض حفصة على عثمان ليزوّجه بها.

(٤) «فلم يرجع إليّ شيئاً» فلم يردّ عليه بإيجاب أو سلب.

(٥) «فكنت عليه أوجدَ مني على عثمان» أي أشدَّ غضباً عليه من عثمان.

(٦) «لم أكن لأفشي سرَّ رسول اللَّه» أي كنت سمعتُ الرسول ﷺ يذكرها يرغب الزواج بها، فلذلك لم أردَّ عليك، خشية إفشاء سرّ الرسول ﷺ، ولو لم يذكرها الرسول لقبلتها، ففي هذا الحديث وجوب كتمان السرّ.

قوله: «تَأَيَّمَتْ» أيْ: صَارَتْ بِلا زَوْجٍ، وَكَانَ زَوْجُهَا تُوُفِّيَ رضي اللَّه عنه، «وَجَدْتَ»: غَضِبْتَ.

٦٨٦ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالتْ: «كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبيِّ ﷺ عِنْدَهُ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّه عنها تَمْشِي، مَا تُخْطِيءُ مِشْيَتُهَا[١] مِنْ مِشْيَةِ رسول اللَّه ﷺ شَيْئاً، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا وقال: «مَرْحباً بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيداً، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا، سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فقلتُ لَهَا: خَصَّكِ رسولُ اللَّه ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسِّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ! فَلَمَّا قَامَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهَا: مَا قَالَ لكِ رسولُ اللَّه ﷺ؟ قالت: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ عَلى رسول اللَّه ﷺ سِرَّهُ. فَلَمَّا تُوُفِّيَ رسولُ اللَّه ﷺ قلتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا[٢] لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ، لَمَا حَدَّثْتِني ما قال لكِ رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ فقالتْ: أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ، أَمَّا حِينَ سَارَّنِي في المَرَّةِ الأولى فَأَخْبَرَنِي «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ[٣] الْقُرْآنَ في كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لا أُرَى الأَجَلَ إلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ، فَبَكَيْتُ بُكَائِيَ الَّذي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَة، فقالَ يَا فاطِمَةُ: أَمَا تَرْضَينَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاء هذِهِ الأُمَّةِ؟ فَضَحِكتُ ضَحِكي الَّذِي رَأَيْتِ»[٤] مُتَّفَقٌ عليه. وهذا لفظ مسلم.

---

(١) «ما تخطئ مِشيتها» بكسر الميم أي هيئتُها في المشي كمشية النبي ﷺ.

(٢) «عزمتُ عليك» أي أقسمتُ عليك أن تخبريني.

(٣) «كان يعارضه القرآن مرة» أي كان جبريل يستمع إلى قراءة النبي ﷺ، ثم يقرأ جبريل عليه جميع ما نزل، مرة واحدة، وفي ذلك العام عارضه مرتين.

(٤) هذه هي فاطمة الزهراء، تُقبِلُ على رسول اللَّه ﷺ، فيرحِّبُ بها ويؤانِسُها بحديثه، ويُكرمها، ثم يُسرُّ إليها خبراً فتبكي، ولماذا تبكي؟ لأن الرسول أخبرها بأن وفاته قريبة، فقد شعر بنزول جبريل عليه مرتين بقرب الأجل، وحين رأى الرسولُ ﷺ حزنَها الشديدَ، أخبرها بما يسُرُّها، ويُكفكفُ دمعَها، وهي البشارة بأنها سيدة نساء المؤمنين في الجنة، وأنها أول النساء لحاقاً به بعد موته، فاستبشرت بهذه البشارة وضحكت!! ولم تكشف السرَّ الذي أخبرها به الرسولُ ﷺ، إلا بعد موته، وهكذا كان الأمر، فقد التحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، بعد فترة قصيرة من الزمن، وكانت أولَ الناسِ لحاقاً به ابنته فاطمة الزهراء رضي اللَّه عنها وأرضاها!

ويا له من فضل عظيم، نالته السيدة فاطمة الزهراء، أن تكون سيدة نساء هذه الأمة!؟

٦٨٧ ـ وعن ثابتٍ عن أنس، رضي اللّه عنه قال: «أَتَى عَلَيَّ رسولُ اللّه ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنا، فَبَعَثَنِي في حاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ على أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قالت: مَا حَبَسَكَ؟ فقلتُ: بَعَثَني رسولُ اللّه ﷺ لحَاجَةٍ، قالت: مَا حَاجَتُهُ؟ قلتُ: إنَّهَا سِرٌ، قالتْ: لا تُخبِرَنَّ بِسِرِّ رسول اللّه ﷺ أَحداً، قال أَنَسٌ: وَاللّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحداً لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وروى البخاري بَعْضَهُ مُخْتَصراً.

❁ ❁ ❁

باب الوفاء بالعَهْدِ وإنجاز الوَعد

قال اللّه تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)﴾ [الصف: ٢ ـ ٣].

٦٨٨ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه، أَنَّ رسول اللّه ﷺ قال: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ[1]: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإذا اؤْتُمِنَ خَانَ» مُتَّفَقٌ عليه.

زَادَ في روايةٍ لمسلم: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مسلِمٌ».

٦٨٩ ـ وعن عبدِ اللّهِ بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما، أنَّ رسول اللّه ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً! وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ

---

(١) «آيةُ المنافق» أي علامةُ الشخص المنافق، هذه الخصال الذميمة: الكذبُ في القول، والإخلافُ في الوعد، والخيانةُ في الأمانة!! والنفاقُ أقبحُ مرضٍ نفسي، وهو أن يخالفَ اللسانُ القلبَ، فيظهِرُ للناس خلافَ ما في قلبه، كما قال الشاعر:

يُعطيكَ من طَرَفِ اللِّسانِ حَلاوةً ... وَيَروغُ فيك كما يروغُ الثعلبُ

قال تعالى: ﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ والنفاقُ قبيح، وأقبحُ ما يكون فيمن ينتسب إلى العلم والدين، ولهذا قال الرسول ﷺ «وإن صام، وصلى، وزعم أنه مسلم». وهذا الذي أشار إليه الحديث الشريف، هو «نفاقُ العمل» لا نفاق الإيمان، أمّا نفاق الإيمان، فجرمُه أعظم وأكبر.

كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إذا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإذا حَدَّث كَذَبَ، وَإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإذا خَاصَمَ فَجَرَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٩٠ ـ وعن جابرٍ رضي اللَّه عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «لَوْ قَدْ جاءَ مالُ الْبَحْرَيْنِ، أَعْطَيْتُكَ هكَذا، وَهَكَذا، وَهكَذَا، فَلَمْ يَجِيءْ مَالُ الْبَحْرَيْنِ، حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا جاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ، أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ رضي اللَّه عنه فَنَادَى: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رسول اللَّه ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا!! فَأَتَيْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ: إنَّ النبي ﷺ قال لي كَذَا وَكَذَا، فَحَثَى لي حَثْيَةً، فَعَدَدْتُهَا، فَإذا هِيَ خَمْسُمَائَةٍ، فقال لي: خُذْ مِثْلَيْهَا» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في المحافظة على مَا اعتاده من الخير

قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل: ٩٢].

«وَالأَنْكَاثُ»: جَمعُ نِكْثٍ، وَهُوَ الْغَزْلُ المَنْقُوضُ.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

وقال تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

٦٩١ ـ وعن عبد اللَّهِ بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «يَا عَبْدَ اللَّه، لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ[1]، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْل!» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

---

(١) «لا تكنْ مثلَ فلانٍ» الرسول ﷺ يحذِّر «عبد اللَّه بن العاص» من التقصير في الطاعة والعبادة، ويوصيه بأن لا يكون مثل فلان من الناس، كان يتهجَّد في الليل، فتركَ التهجد، لجهله بعظم الأجر الذي يناله العابد في الليل، وقد أثنى اللَّه بذلك الثناء العاطر، على أصحاب النبي، الذين كانوا يحيون الليل في العبادة والصلاة بقوله: **﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**.

بابٌ في استِحباب طيب الكلام وطلاقة الوَجه عند اللقاء

قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٦٩٢ ـ وعَنْ عَدِيِّ بن حَاتم رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تمرَةٍ[1] فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

٦٩٣ ـ وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» مُتَّفَقٌ عليه، وهو بعض حديث تقدم بطولِهِ.

٦٩٤ ـ وعن أَبي ذَرٍّ رضي اللَّه عنه قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ»[2] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في استحباب بَيان الكلام وإيضاحه لِلمخاطب، وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك

٦٩٥ ـ عن أنسٍ رضي اللَّه عنه «أن النبي ﷺ كانَ إذا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، أَعَادَهَا ثَلاثاً حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإذا أَتَى عَلى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاثاً» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

---

(١) «ولو بِشِقِّ تمرة» أي نصف تمرة.

(٢) «بوجهٍ طَلِيقٍ» أي تهلَّل بالبشر والابتسام.

بهذا التوجيه النبويّ الكريم، يُوصِي النبي ﷺ أمته وأتباعه، أن يعاملوا إخوانَهم، بكل رحابة صدر، وبشاشة وجه، فذلك خُلُق المسلم الصادق الكامل، الذي يحبُّ أن ينال رضوان اللّه، فبالكلمة الطيبة، تستقبل بها أخاك المؤمن، يكون لك بها عند اللّه أجرٌ عظيم، وبالابتسامةِ في وجهه تنالُ رضوانَ اللّه، فما أعظم دين الإسلام، دينَ المحبة والوئام!!

٦٩٦ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «كَانَ كَلَامُ رسول اللَّهِ ﷺ كَلاماً فَصْلاً[١] يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ» رَوَاهُ أَبو داود.

۞ ۞ ۞

بابٌ في إصغاء الجليس لحديث جَليسه الّذي لَيس بحرام، واستنصات العالِمِ والواعظ حاضِرِي مجلسه

٦٩٧ ـ عن جَرير بن عبدِ اللَّهِ رضي اللَّه عنه قال: «قال لي رسول اللَّه ﷺ في حَجَّةِ الْوِدَاعِ: اسْتَنْصِتِ النَّاسَ[٢]، ثُمَّ قال: لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في الوعظ والاقتصاد فيه

قال اللَّه تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

٦٩٨ ـ عن أبي وَائِلٍ «شَقِيقِ بن سَلَمَةَ» قال: «كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي اللَّه عنه يُذَكِّرُنَا في كُلِّ خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكَّرْتنا كل يَوْم!! فقال: أَما إنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذلكَ، أني أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإنِّي أَتخَوَّلُكُمْ بِالمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ رسول اللَّه ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»[٤] مُتَّفَقٌ عليه. «يَتَخَوَّلُنَا»: يَتعَهَّدُنَا.

---

(١) «كان كلامه فصلاً» أي بيِّناً ظاهراً، يفهمه كل سامع، وما كان عليه السلام يتقعَّر في كلامه، ولا يتحدث بوحشيِّ الألفاظ، كما يفعل البعض، ليتظاهر بسَعَة العلم والمعرفة.

(٢) «استنصتِ الناسَ» أي مُرْهم بالسكوت والإنصات.

(٣) «لا ترجعوا بعدي كفاراً» أي لا تعودوا كفاراً بعد أن أنقذكم اللَّه من عادات الجاهلية، بالهداية لدين الإسلام، وذلك بالإقدام على القتل، فإن استحلال قتل المسلم كفر، يبوء فاعله بسخط اللَّه، وعذابه الشديد، كما قال سبحانه: **﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾**.

(٤) «كان ﷺ يتخوّلنا بالموعظة» أي كان يتعهدنا بالموعظة، ويذكِّرنا بين كل حين وحين، مخافة المَللِ منا، لأن النفس من طبعها المَلَل، إذا داوم التذكيرُ لها، وإن كان الحديثُ محبوباً لها، =

٦٩٩ ـ وعن أبي الْيَقْظَان «عَمَّار بن يَاسر» رضي اللَّه عنهما قال: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «إنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُل، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فقْهِهِ[1]، فَأَطِيلُوا الصَّلاةَ، وَأَقْصِروا الخُطْبَةَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، «مَئِنَّةٌ» أيْ: عَلَامَةٌ دَالَّةٌ عَلى فِقْهِهِ.

٧٠٠ ـ وعن «مُعَاوِيَةَ بن الحَكَم السُّلَمِي» رضي اللَّه عنه قال: «بَيْنَا أنا أُصَلِّي مَعَ رسول اللَّه ﷺ، إذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ القَوْم فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّه، فَرَماني القَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ! فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاه[2]! ما شَأْنُكُمْ تَنْظُرونَ إليَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلى أَفْخَاذِهِمْ! فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَني[3]، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صلى رسول اللَّه ﷺ، فَبِأَبي هُوَ وَأُمِّي[4]، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ، أَحْسَنَ

= وقد ورد في رواية البخاري: «يتخولنا بالموعظة، كراهة السآمةِ علينا» أي لئلا ننفر.

قال في الفتح: ويُستفاد من الحديث، استحبابُ تركِ المداومة على التذكير والعملِ الصالح، خشيةَ الملل، وإن كانت المواظبةُ مطلوبة، ولكنْ يوماً بعديوم، فيكون يوم الترك لأجل الراحة، ليقبل على اليوم الثاني بنشاطٍ، وإمَّا يوماً في الجمعة، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابطُ فيه: هو الحاجةُ مع مراعاة وجود النشاط. اهـ.

(١) «مَئِنَّةٌ فقهِ الرجل» تطويلُ الصلاة يوم الجمعة، وتقصيرُ خطبتها، علامةٌ دالةٌ واضحة على فقه الرجل، لأن المتفقِّه في الدين، يعلم أن صلاة الجمعة مقصودة لذاتها، والخطبةُ للتذكير، وهي تَبَعٌ لها، والقليل من الكلام يجدي، إذا كان خارجاً من القلب، وكما يقال: «إنَّ ما قلَّ وقَرَّ، خير مما كثُر وفرَّ» أي ما قلَّ من الكلام واستقرَّ في القلب، خير من الكثير الذي يُنسي بعضُه بعضاً، والبلاغة في الإيجاز كما يقول العرب.

(٢) «واثكل أمِّياه» أي فقدتني أمي، وفُجعتْ بموتي، لماذا تنظرون إليَّ هذه النظرات الغريبة؟

(٣) «فلما رأيتُهم يُصمِّتونني» أي يريدون مني أن أسكت، سكتُّ عن الكلام.

(٤) «فبأبي هو وأمي» أي أفديه بأبي وبأمي، لحسن حديثه، وجميل نصحه.

هذا الحديث الشريف، درسٌ في التربية والتوجيه، لكل داعٍ مرشد، يريد هداية الناس إلى الطريق المستقيم:

هذا رجلٌ من الأعراب، كان بعيداً عن التفقه في الدين، لبعد مسكنه عن المدينة المنورة، يقدم مسجدَ الرسول ﷺ ليصلي فيه مع المصلِّين، ويقف في الصلاة، فيعطس رجلٌ بجواره، فيسارعُ إلى تشميته بقوله: «يرحمكم اللَّهُ» ـ وهو لا يدري أن الصلاة يُمنع فيها الكلامُ ـ وتتجاذبه أبصار المصلِّين بنظرات حادة، ليسكت، فتزيده هذه النظرات، إمعاناً في الكلام فيقول: ثكلتني أمي ماذا صنعت؟ ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ ثم ينتبه فيعرف أنهم يطالبونه بالسكوت، فلما انتهت الصلاة، دعاه الرسول ﷺ وبكل لطفٍ في التوجيه، ولينٍ في الكلام، يعرِّفه الرسول ﷺ بخطئه دون أن يجرح مشاعره، أو يوبِّخه على ما جرى منه في الصلاة، وإنه لدرسٌ بليغ في التربية النبوية، وتوجيهٌ رشيد سديد، لجميع الدعاة =

تَعْلِيمَاً مِنْهُ، فَوَاللَّهِ ما كَهَرَني، ولا ضَرَبَني، وَلا شَتَمَنِي، وإنما قال: إنَّ هذِهِ الصَّلاةَ، لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ والتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» أَو كما قال رسول اللَّه ﷺ «قلت: يا رسول اللّه، إني حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللَّه بِالإسْلَامِ، وَإنَّ مِنَّا رِجالاً يَأْتُونَ الْكُهَّانَ؟ قال: فلا تأتهم، قلت: ومنا رجالٌ يَتطيّرون؟ قال: ذاك شيءٌ يَجِدُونَهُ في صُدُورِهِمْ، فَلا يَصُدَّنَّهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، «الثُّكلُ» المصيبَةُ، والفجيعَةُ. «ما كَهَرَني» أي: ما نَهَرَنِي.

٧٠١ ـ وعن العِرْبَاضِ بن سَارِيَةَ رضي اللّه عنه قال: «وَعَظَنَا رسول اللّه ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُون» وَذَكَرَ الحَدِيثَ، وَقَدْ سَبَقَ بِكَمَالِهِ في باب الأمْر بالمُحَافَظَةِ عَلى السُّنَّةِ، وهو حديث حسنٌ صحيحٌ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في الوقار والسّكينة

قال اللّه تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

٧٠٢ ـ وعن عائشة رضي اللّه عنها قالت: «مَا رَأَيْتُ رسول اللّه ﷺ مُسْتَجْمِعَاً قَطُّ ضَاحِكَاً[١] حَتَّى تُرَى مِنْهُ لَهَوَاتُهُ، إنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ» مُتَّفَقٌ عليه. «اللَّهَوَات» جَمْع لَهَاةٍ، وَهِيَ: اللَّحْمَة الَّتي في أَقْصَى سَقْفِ الْفَمِ.

= والمرشدين، ليقتفوا أثر الهادي البشير، في أسلوبه، وحكمته، وطريق دعوته، ولهذا قال هذا الصحابي مثنياً على خُلُق الرسول ﷺ: ما رأيتُ قبلَه ولا بعده، معلّماً أحسنَ تعليماً منه!! واللّهِ ما نَهَرني، ولا ضربني، ولا شتمني، وإنما قال لي: هذه الصلاةُ لا يصلح فيها شيء من كلام الناس!! فما أحوج المسلمين اليوم ـ وبخاصة الدعاة منهم ـ إلى مثل هذا الأسلوب الرشيد، في النصح والإرشاد، والدعوة إلى اللّه، بالحكمة والموعظة الحسنة!؟ وينبغي أن نعلم أن الكلام كان مباحاً في أول الأمر، فلما نزل قوله تعالى: **﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلّهِ قَانِتِينَ﴾** أُمروا بالسكوت.

(١) «ما رأيتُ الرسول مستجمعاً ضاحكاً» أي مبالغاً في الضحك، لأن كثرة الضحك تشير إلى الغفلة، وهي كما قال سيد الخلق تميت قلب الإنسان «ولا تكثر الضحكَ، فإن كثرة الضحك تميت القلب» رواه الترمذي، قال الشاعر:

ضَحِكْنا فكانَ الضحكُ منا سَفَاهةً ... وحُقَّ لأربابِ البَرِيَّة أن يَبْكُوا

باب النّدب إلى إتيان الصَّلَاة والعِلم ونحوهما من العبادات، بالسكينة والوقار

قال اللّه تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

٧٠٣ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلا تَأْتُوهَا وَأَنتم تَسْعَوْنَ[١]، وَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ، وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَة، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا» مُتَّفَقٌ عليه.

زاد مسلم في روايةٍ له: «فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إذا كَانَ يَعمِدُ إلى الصَّلاةِ فَهُوَ في صَلاة».

٧٠٤ ـ وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما «أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبيِّ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَسَمِعَ النَّبيُّ ﷺ وَرَاءَهُ زَجْراً شَدِيداً، وَضَرْباً وَصَوْتاً للإِبْلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ، وقال: «أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ»[٢] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وروى مسلم بعضه، «الْبِرُّ»: الطَّاعةُ. «وَالإِيضَاعُ» هُوَ: الإِسْرَاعُ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في إكرام الضّيف

قال اللّه تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات: ٢٤ ـ ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ[٣] وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ

---

(١) «فلا تأتوها وأنتم تسعون» أي لا تأتوها وأنتم تركضون وتُسرعون في المشي «وأتوها بسكينة ووقار» أي بتُؤدةٍ وخشوع، مع غضّ البصر، وخفض الصوت، فإن أحدَكم لا يزال في الصلاة ما دامَ يقصدها.

(٢) «إن البِرَّ ليس بالإيضاع» أي ليست العبادة والطاعة، بالإسراع في المشي، أو الإسراع بالإبل، إنما هو بالخضوع والخشوع لرب العالمين، والإسراع أو الركضُ يُذهِبُ هيبة الرجل، لأنه من عمل الأطفال.

(٣) ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ التعبير بقوله: ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يشير إلى السرعة والعجلة، لنيل مطلوبهم الدنيء، والآية نزلت في قوم لوط الأشرار الفجار، فإنهم لما سمعوا أن ضيوفاً حلُّوا بدار لوط، أسرعوا نحوهم يريدون أن يفجروا بهم بطريق اللواطة، وما دروا أنهم =

﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِى ضَيۡفِىٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾[هود: ٧٨].

٧٠٥ ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيُكرِمْ ضَيفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كانَ يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتَ»[(١)] مُتَّفَقٌ عليه.

٧٠٦ ـ وعن أبي شُرَيْح «خُوَيْلِدِ بن عمرو» الخُزَاعيِّ رضي اللَّه عنه قال: سَمِعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «مَنْ كَانَ يُؤمِن بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكرِم ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ[(٢)] قالوا: وما جَائِزَتُهُ يا رسول اللَّه؟ قال: يَومُهُ ولَيْلَتُهُ، والضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ، فما كان وَرَاءَ ذلكَ فهو صَدَقَة عليه» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لمسلم: «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ، أَن يُقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حتى يُؤْثِمَهُ، قالوا: يا رسول اللَّه، وَكَيْفَ يُؤَثِّمُهُ؟ قال: يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلا شَيْءَ لَهُ يَقْرِيهِ بِهِ».

۞ ۞ ۞

= ملائكة جاءوا بصورة شباب مُرْد، حسان الوجوه، وما كان نبيُّ اللَّه «لوط» يعلم أنهم ملائكة، حتى أخبروه بذلك، قال تعالى: **﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾** قال المفسرون: خرج عليهم جبريل فضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطمست أعينهم وعمُوا، ثم قلب اللَّه بهم ديارهم، فجعل عاليها سافلها.

(١) «فَلْيقُلْ خَيْراً أو لِيَصْمُتْ» توجيهٌ كريم من نبيٍّ رحيم، لأتباعه المؤمنين، أن يقول المسلم ما ينفع من كلام الخير، والقول الطيب فيغنم، أو يسكت فيسلم، قال الشاعر:

احْفَظْ لِسَانَكَ أيها الإنسانُ ... لا يَلْدَغَنَّكَ إنه ثُعبانُ
كَمْ في المقابِر من قَتِيلِ لسانِهِ ... كانتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشُّجعانُ

(٢) «فليكرمْ ضيفه جائزتَه» أي ليكرمْ من نزل عنده ضيفاً، وجائزتُه أن يضيفَه يوماً وليلةً، وفي رواية البخاري ما يوضح هذا، ولفظُه: «فليكرم ضيفه، جائزتُه يومٌ وليلةٌ» ويمكن أن تستمر الضيافة إلى ثلاثة أيام، فما زاد على ذلك فهو إثقال على المضيف، ولهذا أورد المصنِّف روايةَ مسلم «ولا يحلُّ لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثِّمه» أي يوقعه في الإثم، بأن لا يكون عنده ما يضيفُه به، فيحتاج إلى أن يستدين حتى يطعم هذا الثقيل، إذا مكث عنده شهراً أو أكثر، وربما لا يستطيع وفاء الدين فيقع في الإثم، ذكر القرطبي بعض أبيات عن الثقلاء منها:

وثقيلٍ أشدُّ من ثِقَلِ المَوْتِ ... ومِنْ شِدَّةِ العَذَابِ الأليمِ
لو عَصَتْ ربَّها الجحيمُ لمَا ... كانَ سِوَاهُ عُقُوبةً للجَحِيمِ

باب استِحباب التبشير والتهنئة بالخير

قال اللّه تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [هود: ٦٩].

وقال تعالى ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

وقال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ﴾ [آل عمران: ٤٥].

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

وأما الأحاديث فكثيرة جداً، وهي مشهورة في الصحيح، منها:

٧٠٧ ـ عن أبي إبراهيم «عَبدِ اللّه بن أبي أَوْفَى» رضي اللّه عنه «أَنَّ رسول اللّه ﷺ بَشَّرَ خَدِيجَةَ، رضي اللّه عنها، بِبَيتٍ في الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ[1]، لا صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «ببيتٍ في الجنة من قصب» ما أعظمها من نعمة وكرامة، للسيدة خديجة أم المؤمنين رضي اللّه عنها؟ جبريل يأتي إلى رسول اللّه ﷺ فيبشّرها بقصرٍ عظيم في الجنة، هو من اللؤلؤ المجوّف، وهذا القصر، لا عجيج فيه ولا ضجيج، ولا مشقة فيه ولا تعب، وما كانت هذه الكرامة لها، إلّا لأنها واست الرسول ﷺ بنفسها ومالها، وصبرت على البأساء والضراء، فأكرمها اللّه بهذا القصر الفخم، في دار النعيم.. روى الطبراني عن فاطمة رضي اللّه عنها أنها قالت: «قلتُ يا رسول اللّه: أين أمي؟ قال: في بيتٍ من قَصَب!! قلتُ: أمن هذا القَصَب؟ ـ أي المعروف عند الناس ـ قال: لا، من القصب المنظوم ـ أي المسبوك ـ بالدُّرّ، واللؤلؤ، والياقوت» وإنما قال ﷺ عن القصر: «لا صخب فيه ولا نصب» لأن التعب هنا في الدنيا لأنها دار تكليف، أما الآخرة فدار تشريف، ولهذا قال سبحانه: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

«الْقَصَبُ» هُنَا: اللُّؤْلُؤُ الْمُجَوَّفُ. «وَالصَّخَبُ»: الصِّيَاحُ وَاللَّغَطُ. «وَالنَّصَبُ»: التَّعَبُ.

٧٠٨ ـ وعن أبي موسى الأشعَرِيّ رضي اللّه عنه «أَنَّهُ تَوَضَّأَ في، بَيْتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَقال: لأَلْزَمَنَّ رسول اللّه ﷺ وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هذا، فَجَاءَ الْمَسْجِدَ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، فَقَالُوا: وَجَّهَ ههُنَا، قال: فَخَرَجْتُ عَلى أَثَرِهِ[١] أَسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، وَبَابُها مِنْ جَرِيدٍ، حَتَّى قَضَى رسول اللّه ﷺ حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَلَسَ عَلى بِئْرِ أَرِيسٍ، وتَوَسَّطَ قُفَّهَا[٢]، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، وَدَلَّاهُمَا في البِئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انصَرَفْتُ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ، فَقُلْتُ: لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ اليَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عنه فَدَفَعَ البَابَ فَقُلْتُ: مَنْ هذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ!! فَقُلْتُ: عَلى رِسْلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلتُ: يا رَسُول اللّهِ هذَا أَبُو بِكْرٍ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لأبي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرَسُولُ اللّهِ ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالجَنَّةِ!! فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَمِينِ النَّبيِّ ﷺ مَعَهُ في القُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ في البِئْرِ، كَما صَنَعَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخي يَتَوضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فَقُلْتُ: إنْ يُرِدِ اللّه بِفُلانٍ ـ يُرِيدُ أَخَاهُ ـ خَيْراً، يَأْتِ بِهِ[٣]، فَإذا إِنْسانٌ يُحَرِّكُ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ!! فَقُلْتُ: عَلى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إلى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وقُلْتُ: هذَا عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: ائْذنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ، فَجِئْتُ عُمَرَ،

---

(١) «وجّه ههنا فخرجت على أثره» أي توجّه من هذا الطريق، فتبعته فوراً أريد أن ألحق به، فدخل ﷺ بستان أريس وهو بالقُرب من قُباء.

(٢) «وتوسّط قُفّها» أي جلس وسط حائط البئر ومدّ ساقيه في البئر، ليستبرد قليلاً، والقُفُّ: هو ما يُبنى حول البئر كالجدار القصير، ويسمى «الركيّة» بعد هذا جاء أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان يستأذنون في الدخول على رسول اللّه ﷺ فأذن لهم، وبشّر كل واحدٍ منهم بالجنة، أمّا عثمان فقد أخبر أنه يُصاب ببلوى عظيمة، وهذا من معجزاته ﷺ حيث أخبر بأمر غيبيّ، وهو قتله شهيداً، وقد حدث كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ.

(٣) «إن يرد اللّه بفلان خيراً يأت به» يريد أخاه «أبا بُردة» تمنّى له أن يحضر بين يدي المصطفى ﷺ، لعلّه يُبشّر بالجنة كما بُشّر من قبله.

فَقُلْتُ: أَذِنَ وَيُبَشِّرُكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالجَنَّةِ!! فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ في البِئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْت: إنْ يُرِدِ اللَّه بِفُلانٍ خَيْراً ـ يَعْني أَخَاهُ ـ يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إنْسَانٌ فَحَرَّكَ البَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ، فَقُلْتُ: عَلى رِسْلِكَ، وَجِئْتُ النَّبيَّ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقالَ: ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوى تُصيبُهُ، فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ وَيُبَشِّرُكَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالجنَّةِ، مَعَ بَلْوَى تُصيبُكَ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ القُفَّ قَدْ مُلِىءَ، فَجَلَسَ وِجاهَهُمْ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ، قَالَ سَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ»[1] مُتَّفَقٌ عليه.

وزادَ في روايةٍ: «وَأَمَرَني رسولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ البَابِ، وَفِيهَا: أَنَّ عُثْمَان حِينَ بَشَّرَهُ حَمِدَ اللَّهِ تَعَالى، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ المُسْتَعَانُ». قوله: «وَجَّهَ» أَيْ: تَوَجَّهَ. «والقُفُّ»: هُوَ المَبْنِيُّ حَوْلَ البِئْرِ. «عَلى رِسْلِكَ» بكسر الراء: أَيْ: ارْفُقْ وتمهَّلْ.

٧٠٩ ـ وعنْ أبي هريرة رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: «كُنَّا قُعُوداً حَوْلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وَمعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضيَ اللَّهُ عنهما في نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا فَأَبْطأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا[2] وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مِنْ فَزِعَ، فَخَرجْتُ أَبْتَغِي رسُولَ اللَّهِ ﷺ، حَتى أَتَيْتُ حَائِطاً لِلأَنْصَارِ[3]، لِبَني النَّجّارِ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَاباً، فَلَمْ أَجِدْ، فَإذَا رَبيعٌ يَدْخُلُ في جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَهُ ـ وَالرَّبِيعُ: الجَدْوَلُ الصَّغِيرُ ـ فاحْتَفَزْتُ، فَدَخَلْتُ عَلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقال: «أَبُو هُرَيْرَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: «مَا شَأْنُكَ» قلتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُمْتَ، فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتُ هَذَا الحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ[4]، وَهَؤلَاءِ

---

(١) «فأولتها قبورهم» أي تأوّل سعيدُ بن المسيِّب بالفراسة أن هذه قبورهم، ومراده أن اجتماع الرسول بصاحبيه «أبي بكر» عن يمينه، و«عمر» عن شماله أنهما سيدفنان بجواره، وأما «عثمان» فلمّا لم يجد مكاناً يمدُّ رجليه في البئر، وجلس أمامهم، أوّلها بأنه لن يُدفن معهم، فقد دُفن في البقيع أمامهم، وكان الأمر كذلك، ويجوز تأويل حال اليقظة بحال النوم، وذلك بالفراسة، وفي الحديث «اتقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللّه».

(٢) «خشينا أن يُقتطع دوننا» أي خفنا على رسول اللّه ﷺ أن يُصاب بمكروه من عدوٍّ، أو يهودي خبيث يناله الأذى منه.

(٣) «أتيتُ حائطاً للأنصار» أي بستاناً فيه شجر النخيل.

(٤) «فاحتفزتُ كما يحتفز الثعلبُ» أي ضمَّ نفسه إليه ليستطيع الدخول في هذا الثقب الضيّق، =

النَّاسُ وَرَائِي!! فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، فَقَالَ: اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هذَا الحائِطِ، يَشْهَدُ أَنْ لا إلَه إلَّا اللَّهُ، مُسْتَيْقِناً بها قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ» وَذَكَرَ الحَدِيثَ بطُولِهِ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«الرَّبِيعُ»: النَّهْرُ الصَّغِيرُ وَهُوَ الجَدْوَلُ، كَمَا فَسَّرَهُ في الحَدِيثِ، وقولُهُ: «احْتَفَزْتُ» رويَ بالرَّاءِ وبالزَّاي، ومعناهُ بالزاي: تَضامَمْتُ وَتَصاغَرْتُ حَتَّى أَمْكَنَني الدُّخولُ.

٧١٠ ـ وعَنْ ابن شُمَاسَةَ قالَ: «حَضَرْنَا «عَمْرَو بنَ العَاصِ» رضيَ اللَّهُ عنه، وَهُوَ في سِيَاقَةِ المَوْتِ[١] فَبَكَى طَوِيلاً، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إلى الجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا، فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَال: إنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ[٢] «شَهَادَةُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ»، إنِّي قَدْ كُنْتُ عَلى أَطْبَاقٍ ثَلاث[٣]: لَقَدْ رَأَيْتُني وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ

= كما يفعل الثعلب عند الدخول إلى الحجر، **وفي هذا الحديث** بشارة عظيمة، لأهل التوحيد والإيمان، فإن من عاش مؤمناً، ومات مؤمناً، بشرط أن يكون ذلك نابعاً من القلب، فإن مصيره إلى الجنة دار المتقين، ولا يُخلَّد مؤمن في جهنم.. وللحديث تتمة كما رواه الإمام مسلم في صحيحه وهي: «قال أبو هريرة: فكان أول من لقيتُ عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلتُ: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما، من لقيتُ يشهد «أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبُه، بشَّرته بالجنة!! فضرب عمر بيدهِ بين ثَدْيَيَّ، فخررت لاستي ـ أي سقطت على مقعدي ـ وقال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بكاءً ـ أي رفعت صوتي باكياً ـ فقال لي رسول الله ﷺ: مالكَ يا أبا هريرة؟ فأخبرتُه الخبر، وركبني عمر على أثري! فقال له الرسول ﷺ يا عمر: ما حَمَلك على ما فعلتَ؟ قال يا رسول الله: بأبي أنتَ وأمي ـ أي أفديك بهما ـ أبعثتَ أبا هريرة بنعليك، من لقيه يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقناً بها قلبُه، بشَّره بالجنة؟ قال: نعم، قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتَّكل الناس عليها، فخلِّهم يعملون!! فقال رسول الله: خلِّهم».

قال العلماء: ليس فعلُ عمر، ومراجعتُه النبيَّ ﷺ اعتراضاً عليه، ورداً لأمره، إذ ليس في إرسالِ النبي ﷺ لأبي هريرة، إلا تطييبُ قلوب المؤمنين وتبشيرهم، وقد رأى عمر أن كتم هذا أصلح لهم، لئلا يتَّكلوا على هذه البشارة، ولمَّا عرضه على النبي ﷺ صوَّب رأيه، فلذلك قال له: «فخلِّهم» أي اتركهم دون إخبارٍ لهم بالبشارة.

(١) «في سياقة الموت» أي حال حضور الموت.

(٢) «إن أفضل ما نعدُّ» أي أفضل ما نتَّخذه ذخراً لآخرتنا، في مثل هذا الموقف «شهادة أن لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله»

(٣) «على أطباقٍ ثلاث» أي كنت على أحوال ثلاث، مرَّت عليَّ في حياتي.

بُغضاً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنّي، وَلا أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَن أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنتُ مِنهُ فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْمُتُّ عَلَى تِلْكَ الحالِ، لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الإسْلَامَ في قَلْبي، أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ فَقَبَضْتُ يَدِي، فقالَ: ما لكَ يَا عَمرو؟ قلت: أَرَدْتُ أَن أَشْتَرِطَ قالَ: تَشْتَرِطُ مَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لي!! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإسْلَامَ يَهْدِمُ ما كَانَ قَبْلَهُ، وَأَن الهِجرَة تهدِمُ ما كان قَبْلَها، وَأَنَّ الحَجَّ يَهدِمُ ما كَانَ قَبْلَهُ[1]؟ وما كان أَحَدٌ أَحَبَّ إليَّ مِنْ رسول اللَّه ﷺ، وَلا أَجَلَّ في عَيني مِنْهُ، ومَا كُنتُ أُطِيقُ أَن أَملأَ عَيني مِنه إجلالاً له، ولو سُئِلتُ أَن أَصِفَهُ ما أَطَقتُ، لأَنّي لَم أكُن أملأُ عَيني مِنه، ولو مُتُّ على تِلكَ الحَال، لَرَجَوتُ أَن أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، ثم وَلِينَا أَشْيَاءَ ما أدرِي ما حَالي فِيها؟ فَإِذا أَنا مُتُّ، فلا تَصحَبْنِّي نَائحَةٌ، ولا نَارٌ، فإذا دَفنتمُونِي، فَشُنُّوا عليَّ التُّرَابَ شَنّاً، ثم أَقِيمُوا حَولَ قَبري، قَدْرَ ما تُنحَرُ جَزورٌ، وَيُقسَمُ لَحمُهَا، حَتَّى أَستَأنِسَ بِكُمْ، وأَنظُرَ ما أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ ربي[2]» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، قوله: «شُنُّوا» أَيْ: صبُوهُ قليلاً قَلِيلاً، واللَّه أعلم.

۞ ۞ ۞

---

(١) «الإسلام يهدم ما قبله» أي يُسقط ويمحو جميع الذنوب، ويمحو أثرها، حتى أكبر الذنوب الإشراك، قال تعالى: ﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ**﴾.

(٢) «حتى أراجع رسل ربي» أي الملائكة التي تسأل الميت في القبر، عن دينه، وربه، وعن محمد خاتم النبيِّين، والمراد به سؤال القبر، هذا الحديث الشريف، فيه فوائد جليلة، نذكر بعضها:

١ ـ فيه بيانُ منزلة الهجرة، والحج، والإسلام، فإنها تهدم الذنوب.

٢ ـ وفيه استحباب تنبيه المحتَضَر على إحسان ظنه باللَّه ليموت عليه.

٣ ـ وفيه تعظيم الصحابة لرسول اللَّه ﷺ وتوقيره وإجلاله، حتى إنهم ما كانوا يملأون عيونهم منه إجلالاً له.

٤ ـ وفيه استحبابُ صبِّ التراب على القبر عند الانتهاء من دفنه.

٥ ـ وفيه إثبات فتنة القبر، وسؤال الملكين له، وقد قال تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ روى البخاري ومسلم عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «المسلمُ إذا سُئل في القبر، يشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمداً رسول اللَّه، فذلك قوله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**..﴾ الآية».

٦ ـ وفيه استحباب المكث عند القبر، بعد الدفن ليستأنس بهم الميت، كما جاء في قوله «ثم أقيموا حول قبرى..» الخ.

٧ ـ وفيه أن الميت يسمع كلام المشيِّعين، ويسمع قرع نعالهم، كما ثبت في الصحيح «إن الميت إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم..» رواه البخاري.

بابٌ في وَداع الصّاحب وَوَصيّته عند فراقه لسفرٍ وغيره والدعاء له وطلب الدعاء منه

قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ(١) ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٢ ـ ١٣٣].

٧١٠م ـ وأما الأحاديث، فمنها حَديثُ «زيدِ بْنِ أَرْقَمَ» رضي الله عنه قال: « قَامَ رسول اللَّه ﷺ فِينَا خَطِيباً، فَحَمِدَ اللَّه، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قال: أَمَّا بَعْدُ، أَلا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلهمَا: كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّه، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلى كِتَاب اللَّهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قال: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّه في أَهْلِ بَيْتِي»(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَدْ سَبَقَ بِطُولِهِ.

٧١١ ـ وعن أبي سُلَيْمَانَ «مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ» رضي الله عنه قال: « أَتَيْنَا رسولَ اللَّه ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ(٣)، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وكانَ رسولُ اللَّه ﷺ رَحِيماً رَفِيقاً، فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا(٤)، فَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، فقال: ارْجِعُوا إلى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُم وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا صَلاةَ كَذَا في حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا كَذَا في حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي دوموا على الإسلام، واستمسكوا به، حتى يأتيكم الموت وأنتم مسلمون، وهذه الآية ردٌّ على اليهود، حيث قالوا للنبي ﷺ: ألستَ تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية؟ فنزل قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ. .﴾ الآية.

(٢) سبق هذا الحديث مع شرحه رقم (٣٤٦) باب إكرام أهل بيت الرسول ﷺ.

(٣) «أتينا رسول الله ونحن شَبَبَةٌ» أي جئنا إلى الرسول ﷺ في وفدٍ، ونحن شباب متقاربون في السن، لنتعلم أحكام ديننا من رسول الله ﷺ.

(٤) «اشتقنا أهْلَنا» أي عرف ﷺ أنا قد اشتقنا الرجوع إلى أهلنا، فأمرنا بالرجوع، وأوصانا بأن نعلّم أهلنا ما تعلمناه، ونأمرهم بالصلاة في أوقاتها، وقال لهم: «صلُّوا كما رأيتموني أصلّي».

زادَ البخاري في رِوايةٍ له: «وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي». قوله: «رَحِيماً رَفيقاً»[١] رويَ بفاءٍ وقافٍ، ورويَ بقافينِ.

٧١٢ ـ وعن عُمَرَ بْنِ الخطَّاب رضي اللَّهُ قال: اسْتَأْذَنْتُ النَّبيَّ ﷺ في الْعُمْرَةِ، فَأَذِنَ، وقال: «لا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ»، فقالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لي بِهَا الدُّنْيَا»[٢]

وفي رواية قال: «أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ في دُعَائِكَ» رَوَاهُ أبو داود، والترمِذي وقال: حديث حسن صحيح.

٧١٣ ـ وعن سالم بْنِ عَبْدِ اللَّه بن عُمَرَ «أَنَّ عَبدَ اللَّهِ بن عُمَرَ رضي اللَّه عنهما، كانَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ إذَا أَرَادَ سَفَراً: ادْنُ مِنِّي حَتَّى أُوَدِّعَكَ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يُوَدِّعُنَا!! فيقُولُ: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَواتِيمَ عَمَلِكَ»[٣] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديث حسن صحيح.

٧١٤ ـ وعن عبدِ اللَّهِ بن يَزِيدَ الخَطْميِّ الصَّحَابيِّ رضي اللَّه عنه قالَ: «كَانَ رسولُ اللَّه ﷺ إذا أَرَادَ أَنْ يُوَدِّعَ الجَيْشَ قالَ: أَسْتَوْدِعُ اللَّه دِينَكُمْ، وَأَمَانَتَكُمْ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ» حديث صحيح، رَوَاهُ أبو داود وغيره بإسناد صحيح.

٧١٥ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه قال: «جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللَّه، إني أُرِيدُ سَفَراً، فَزَوِّدْنِي، فَقَالَ: زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى، قال: زِدْنِي،

---

(١) «وكان رحيماً رفيقاً» أي كان ﷺ رحيماً بنا، مشفقاً على أمته كقوله سبحانه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

(٢) حديث عمر سبق مع شرحه رقم (٣٧٣) باب زيارة أهل الخير. وفي هذا الحديث بيان فضل عُمر رضي اللَّه عنه، ورفعة قدره، وأنه ممَّن يُجاب دعاؤه، وفيه مزيد تواضعه ﷺ، والحثُّ على سؤال الدعاء من عامة المسلمين، وإن كان الطالبُ أشرف ممن طلب منه، وقد وقعت هذه الكلمة من الرسول ﷺ في قلب عمر موقعاً عظيماً، حتى كانت أغلى عنده من الدنيا وما فيها.

(٣) هذه من السنن الشرعية في وداع المسافر، علَّمها الرسول ﷺ لأصحابه، وفعلها بنفسه، فكان إذا ودَّع مسافراً يقول له: «أستودعُ اللَّه دينَك، وأمانتَك، وخواتيم عملك» ومعناه: أرجو أن يحفظ اللَّهُ عليك الدين والإيمان، ويحفظ ما ائتمنك عليه من التكاليف الشرعية، والحقوق الإنسانية، ولا يُضيع عملك الصالح، الذي هو زادك إلى الآخرة، وما أجمل هذا الدعاء الجامع، الذي كان يودِّع به الرسولُ إخوانه، فيقول له: «زوَّدك اللَّه التقوى، وغفر ذنبَك، ويسَّر لك الخيرَ حيثما كنتَ»!! فيستحبُّ أن يجمع المسلم بين الدعاءين.

قال: وَغَفرَ ذَنْبَكَ، قال: زِدْنِي، قال: وَيَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُمَا كُنتَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

بابٌ في الاستِخارة والمشاورة

قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. أي: يَتَشَاوَرُونَ بَيْنَهُمْ فِيهِ.

٧١٦ ـ عن جَابرٍ رضي الله عنه قال: «كانَ رسولُ اللَّه ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ في الأُمُورِ كُلِّهَا[١]، كالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: إذا هَمَّ أَحَدُكُمْ بالأمر، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنَ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثم لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إنّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وأَسْتَقدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيم، فَإنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إنْ كنتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأمرَ خَيْرٌ لي في دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِله، فاقْدُرْهُ لي وَيَسِّرْهُ لي، ثمَّ بَارِكْ لي فِيهِ، وَإن كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذَا الأَمْرَ، شَرٌّ لي في دِينِي، وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَو قال: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فاصْرِفهُ عَنِّي، وَاصْرِفني عَنْهُ، وَاقدُرْ لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، قال: ويسمِّي حاجته» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في استحباب الذّهاب إلى العيد، وَعيادة المريض، والحج والغزو، والجنازة ونحوها من طريق، والرجوع من طريق آخر، لتكثير مواضع العبادة

٧١٧ ـ عن جابرٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: «كانَ النبيُّ ﷺ إذا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «يُعلِّمنا الاستخارةَ في الأمور» الاستخارةُ: طلبُ معرفة الخير للإنسان، ودفع الشر عنه، فالمؤمنُ يستعين بربه بالصلاة، والدعاء، والتضرع، أن يُسهِّل له الخير، وييسره له، وهي من السنن المؤكدة، وقد علَّم الرسول ﷺ أصحابه طريقتها، وهي أن يصلي ركعتين نفلاً، ثم يدعو بهذا الدعاء «اللّهم إني أستخيرك بعلمك ..» إلى آخر الدعاء المذكور، ويُسمِّي حاجتَه من النكاح، أو السفر، أو الشركة مع فلان، أو غير ذلك، فإذا انشرح صدره للأمر، فهو علامة الخير والرضى، فيمضي فيما عزم عليه، وإن انقبضَ تَرَكَ ذلك الأمر.

قوله: « خَالَفَ الطَّرِيقَ » يعني: ذَهَبَ في طَرِيقٍ، وَرَجَعَ في طَرِيقٍ آخَرَ.

٧١٨ ـ وعنِ ابنِ عُمَرَ رضيَ اللَّهُ عنهما، أن رسولَ اللَّه ﷺ « كانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ، وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ المُعَرَّسِ، وَإِذا دَخَلَ مَكَّةَ دَخَلَ مِنَ الثَّنِيَّةِ العُلْيَا، وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى » مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في استِحباب تقديم اليمين في كلِّ ما هوَ من باب التكريم، كالوضوءِ، وَالغُسْلِ، والتَّيَمُّمِ، وَلُبْس الثَّوبِ، والنَّعْلِ، والخُفِّ، والسَّرَاويلِ، ودخُولِ المسجِدِ، والسِّوَاكِ، والاكْتِحَالِ، وتقليمِ الأَظْفَارِ، وَقَصِّ الشَّاربِ وَنَتْفِ الإبطِ، وَحَلقِ الرَّأْسِ، والسلام من الصلاةِ، والأكلِ والشربِ، وَالمُصَافَحَةِ، واستِلامِ الحَجَرِ الأسْوَدِ، والخروجِ مِنَ الخَلاءِ، وَالأَخذِ والعَطَاءِ، وغيرِ ذلك ممَّا هو في معناهُ. ويُستَحَبُّ تقديمُ اليسارِ في ضِدِّ ذلكَ، كالامْتِخَاطِ والبُصَاقِ عن اليسارِ، ودخولِ الخَلاءِ، والخروجِ مِنَ المسجِدِ، وَخَلْعِ الخُفِّ والنَّعْلِ، والسراويل، والثوب، والاستِنْجاءِ، وفِعلِ المُسْتَقْذَراتِ وأشباه ذلك

قال اللَّه تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ ﴾ [الواقعة: ٨ ـ ٩].

٧١٩ ـ وعن عائشةَ رضيَ اللَّه عنها قالَتْ: « كَانَ رسولُ اللَّه ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ في شَأْنِهِ كُلِّه[1]: في طُهُورِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَتَنَعُّلِهِ » مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) « كان يعجبُه التيمُّنَ » أي كان ﷺ يحبُّ استعمال اليمين في جميع أموره، في الطعام، والشراب، والوضوء، والترجُّل أي تسريح شعر الرأس، والتنعل أي لبسَ الحذاء في رجله، فكان يبدأ باليمنى من كل شيء في الأمور المكرَّمة، لأن اليمين فيها التفاؤلُ باليُمْن، =

٧٢٠ ـ وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنها قالتْ: «كانَتْ يَدُ رسول اللَّه ﷺ، اليُمنى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتِ اليُسْرَى، لِخَلائِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أَذَىً» حديث صحيح، رَوَاهُ أبو داود وغيره بإسنادٍ صحيحٍ.

٧٢١ ـ وعن أُمِّ عَطِيَّةَ رضيَ اللَّه عنها «أن النبيَّ ﷺ قالَ لَهُنَّ في غَسْلِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ رضي اللَّه عنها: ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا، وَمَواضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا» مُتَّفَقٌ عليه.

٧٢٢ ـ وعن أبي هُريرة رضيَ اللَّه عنه أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «إذا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ باليُمْنى، وإذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ، لِتَكُنِ اليُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٧٢٣ ـ وعن حَفْصَةَ رضيَ اللَّه عنها «أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ كان يَجْعَلُ يَمِينَهُ، لِطَعَامِهِ، وَشَرَابِهِ، وَثِيَابِهِ، وَيَجْعَلُ يَسَارَهُ، لِمَا سِوَى ذلكَ» رَوَاهُ أبو داود وغيره.

٧٢٤ ـ وعن أبي هُريرة رضي اللَّه عنه، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إذا لَبِسْتُمْ، وَإذا تَوَضَّأْتُمْ، فَابْدَؤُوا بِأَيَامِنِكُمْ» حديث صحيح، رَوَاهُ أبو داود والتِّرمِذِيُّ بإسناد صحيح.

٧٢٥ ـ وعن أنس رضي اللَّه عنه «أن رسولَ اللَّه ﷺ أتى مِنًى: فَأَتَى الجَمْرَةَ فَرَمَاهَا، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمِنًى، وَنَحَرَ، ثُمَّ قال لِلحَلَّاقِ «خُذْ» وَأَشَارَ إلى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ الأيْسَرِ، ثمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «لمَّا رَمَى الجَمْرَةَ[1]، وَنَحَرَ نُسُكَهُ وَحَلَقَ: نَاوَلَ الحَلَّاقَ شِقَّهُ

= بخلاف الشمال التي فيها التشاؤمُ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ والقاعدةُ في هذا الموضوع: أن كلَّ ما كان من باب التكريم، فيستحبُّ فعلُه باليمين، وما كان من باب الإهانة، فالاستحبابُ فيه أن يكون بالشمال، لحديث «كانت يدُ رسولِ اللَّه ﷺ لطهوره ـ أي وضوئه ـ وطعامه، وكانت اليسرى لخلائه، وما كان من أذى» رواه أبو داود.

(١) حديث «لمَّا رمَى الجمرةَ نَحَرَ نُسُكَه» قال النووي في شرح مسلم. هذا الحديث فيه فوائد كثيرة:

١ ـ فيها بيان السنة في أعمال الحج، وهي رميُ جمرة العقبة أولاً، ثم نحرُ الهَدْي، ثم الحلقُ، ثم طواف الإفاضة. =

الأَيْمَنَ فَحَلَقَهُ، ثمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الأَنْصَارِيَّ رضي اللّه عنه، فَأَعْطَاهُ إيَّاهُ، ثمَّ نَاوَلَهُ الشقَّ الأَيْسَرَ فقال: احْلِقْ، فَحَلَقَهُ فَأَعْطَاهُ أبَا طَلحَةَ، فقال: اقسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ».

۞ ۞ ۞

= ٢ ـ ومنها أن يكون النحرُ بمنى، ويجوز حيث شاء من الحرم.
٣ ـ ومنها أن الحلقَ نسكٌ ـ أي عبادة ـ ويستحب فيه البداءةُ بالأيمن.
٤ ـ ومنها التبركُ بشَعْرِه ﷺ، وجوازُ اقتنائه للتبرك.
٥ ـ ومنها مساواة الإمام بين أصحابه وأتباعه في العطاء والهدية.

كتاب أدب الطعام

بابٌ في التسميَة في أوّله، والحمدِ في آخره

٧٢٦ ـ عن عُمَرَ بْنِ أبي سَلَمَة رضي اللَّه عنهما قال: قال لي رسولُ اللَّه ﷺ: «سَمِّ اللَّهَ، وكُلْ بِيَمينِكَ، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»(١) مُتَّفَقٌ عليه.

٧٢٧ ـ وعن عَائشَةَ رضيَ اللَّه عنها قالتْ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «إذا أكلَ أحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تعالى، فإنْ نَسِيَ أنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى في أوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ» رَواهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ، وقال: حديث حسن صحيح.

٧٢٨ ـ وعن جابرٍ، رضيَ اللَّه عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «إذا دخل الرَّجُل بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ تعالى عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قال الشَّيْطَانُ لأَصْحَابِهِ: لا مَبِيت لكُمْ ولا عَشَاءَ، وإذا دَخَلَ، فَلَمْ يَذكُر اللَّه تَعَالى عِنْدَ دخُولِهِ، قال الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ المَبيتَ، وإذا لَمْ يذْكُرِ اللَّهَ تَعَالى عِنْدَ طَعَامِهِ، قال: أَدْرَكْتُمُ المَبيتَ وَالعَشَاءَ»(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «سَمِّ اللَّهَ وكُلْ بيمينِكَ» الإسلامُ آدابٌ وأخلاق، وفضائلُ شرعية، وآدابٌ اجتماعية، وممَّا ينبغي على الوالدين، أن يعلِّما أبناءهم هذه السنن، التي أرشد إليها المربي الأعظم ﷺ، وهذا درسٌ من دروس النبوة، فقد رأى رسول اللَّه ﷺ «عَمْرو بن أبي سَلَمة» ربيبَهُ من أمّ سلمة رضي اللَّه عنها، رآه تطيشُ يدُه في آنيةِ الطعام، فقال له ﷺ: يا غلامُ «سمّ اللَّه» أي قل عند تناولك الطعام «بسم اللَّه الرحمن الرحيم» «وكل بيمينك» أي باليد اليمنى «وكُلْ مما يليكَ» أي من الطعام الذي أمامك، هذا إذا كان الطعام لوناً واحداً، أما إذا كان ألواناً، جاز له الأكل من جميع الأواني.

(٢) «أدركتُمُ المبيتَ والعَشاء» الشيطان اللعينُ يتحيَّن غفلة الإنسان، فإذا دخل الرجل داره ولم يذكر اسم اللَّه عند دخوله ولا عند طعامه قال الشيطان لأعوانه، أدركتم المبيت والعشاء، أي صار من حقكم أن تبيتوا في هذه الدار، وتتناولوا فيها طعام العشاء، والحديث للتذكير بضرورة ذكر اللَّه، عند دخول الدار، وعند الطعام، حتى لا يحوم إبليس وأعوانه، ويعيثوا فساداً في بيوت المؤمنين.

٧٢٩ ـ وعن حُذَيْفَةَ رضيَ اللّهُ عنه قال: «كنَّا إذا حَضَرْنَا مَعَ رسولِ اللّه ﷺ طَعَاماً، لَمْ نَضَعْ أيْدِينا حَتَّى يَبْدَأ رسولُ اللّه ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ[١]، وَإنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مرَّةً طَعَاماً، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كأنَّها تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا في الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رسولُ اللّه ﷺ بِيَدِهَا، ثمَّ جَاءَ أعْرَابيٌّ كأنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فقال رسولُ اللّه ﷺ: إنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أنْ لا يُذْكَرَ اسمُ اللّهِ تَعَالى عليه[٢]، وَإنَّهُ جَاءَ بهذِهِ الجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بهذا الأعْرابيّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذي نَفسي بِيَدِهِ إنَّ يَدَهُ في يَدي مَعَ يَدَيْهِمَا، ثمَّ ذَكَر اسمَ اللّهِ تَعالى وَأكَلَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٧٣٠ ـ وعن أُمَيَّةَ بن مخشيٍّ الصَّحَابي رضيَ اللّه عنه، قال: «كانَ رسُولُ اللّه ﷺ جَالِساً، وَرَجُلٌ يأكُلُ، فَلَمْ يُسمِّ اللّهَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إلَّا لُقْمَةٌ، فَلَمَّا رَفَعَهَا إلى فِيهِ، قالَ: بِسم اللّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، فَضَحِكَ النَّبيُّ ﷺ ثم قال: مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأكُلُ مَعَهُ[٣]، فَلَمَّا ذَكَرَ اسم اللّهِ اسْتَقَاءَ مَا في بَطنِهِ» رَوَاهُ أبو داود، والنسائي.

٧٣١ ـ وعن عائشةَ رضيَ اللّه عنها قالَتْ: «كانَ رسولُ اللّه ﷺ يَأْكُلُ طَعَامَاً في سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ[٤]، فَجَاءَ أعْرَابيٌّ، فَأكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ، فقال رسول اللّه ﷺ:

---

(١) «لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسولُ اللّه» فيه بيانُ هذا الأدب الرفيع، إذا حضر الطعام، أن لا يبدأ أحدٌ قبل كبير القوم، كما كان يفعل أصحابُ رسول اللّه ﷺ، فيبدأ الكبيرُ الفاضل أولاً، ثم يأكل بقيةُ القوم.

(٢) «إن الشيطان يستحلُّ الطعام» معنى الحديث: أن الشيطان يتمكن من الطعام، فيأكل منه، إن لم يذكر الإنسانُ اسمَ اللّه عند الأكل، هذا إذا شرع في الأكل، أمَّا إذا بقي على المائدة فلا يتمكن منه، **قال النووي**: هذا الحديث محمول على ظاهره، وأن الشيطان يأكل حقيقةً من الطعام، الذي لم يذكر اسم اللّه عليه، فوجبَ قبولُه واعتقادُه.

(٣) «ما زالَ الشيطانُ يأكلُ معه» الرجل لم يذكر اسم اللّه عند تناوله للطعام، فبقي الشيطانُ يأكل معه، ولمَّا تذكَّر أنه نسيَ التسميةَ، ذكرَ اسمَ اللّه، فأفرغ الشيطانُ ما كان قد أكله، وهذا شيء نؤمن به، لأن المخبر عنه هو الصادق المصدوق ﷺ، وفي الحديث التأكيدُ على ضرورة ذكر اسم اللّه عند تناول الطعام.

(٤) «يأكل طعاماً في ستة» أي كان ﷺ يأكل الطعام مع ستة أشخاص من أصحابه، فجاءهم أعرابي فالتهمهُ سريعاً، وكان ذلك بسبب ترك التسمية، حيث نُزعت منه البركة.

أما إنَّهُ لوْ سَمَّى لكَفَاكُمْ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٧٣٢ ـ وعن أبي أُمامة رضيَ اللّه عنه «أن النبيَّ ﷺ كانَ إذا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قال: الحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مُوَدَّعٍ، وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ[١] رَبَّنَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٧٣٣ ـ وعن مُعَاذِ بن أنسٍ رضيَ اللّهُ عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَاماً فقال: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي أَطْعَمَني هذا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غيرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٢] رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ.

❁ ❁ ❁

باب لا يَعيبُ الطّعام، واستِحباب مَدْحه

٧٣٤ ـ عن أبي هُريرة رضيَ اللّهُ عنهُ قالَ: «مَا عَابَ رسُولُ اللّه ﷺ طَعَامَاً قَطُّ، إن اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

٧٣٥ ـ وعن جابرٍ رضيَ اللّه عنه «أنَّ النبيَّ ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ الأُدْمَ فقالُوا: ما عِنْدَنَا إلَّا خَلٌّ، فَدَعَا بِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ ويقول: نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ، نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

---

(١) «غيرَ مَكْفيٍّ ولا مُوَدَّعٍ ولا مستَغْنًى عنه» هذا من الدعاء المستجاب، الذي أرشد إليه ﷺ بعد الانتهاء من الطعام، ومعنى «غير مكفي» أي غير مكتَفىً بنعمه، ولا مستغنىً عن فضله وإنعامه «ولا مودَّع» أي غير متروك الطلب منه سبحانه، فالناسُ جميعاً بحاجة إلى اللّه، وهو مستغنٍ عن العالمين، كما قال سبحانه: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾**.

(٢) «الحمدُ للّهِ الذي أَطْعَمنِيهِ من غير حَوْلٍ مني» من الدعاء المسنون أيضاً أن يقولَ المؤمنُ معترفاً بالنعمة، شاكراً للّهَ على إفضاله «الحمدُ للّهِ الذي أَطْعَمني هذا الطعام، ورزقني إيّاه، من غير قدرةٍ مني عليه ولا قوة» ومغفرةُ الذنوب المرادُ بها: تكفيرُ الذنوبِ الصغائر، أما الكبائرُ فلا بدَّ لها من توبة، وهذا الاعتراف داخل في قوله سبحانه: **﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾** فهو من شكر النعمة، اللّهم اجعلنا من الشاكرين.

(٣) من أخلاق النبوة، شكر اللّه على نعمه الكبيرة والصغيرة، وأن لا يعيب شيئاً من الطعام، فإذا اشتهت نفسه أكل منه، وإلّا تركه، أما أن يذم الطعام ويقبِّحه، فهذا من الرعونة والترف المذموم.

(٤) «نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ» هذا من تواضعه ﷺ، وهو يؤيد الحديث السابق «ما عاب ﷺ طعاماً =

بابٌ فيما يقوله مَن حَضر الطّعام وهو صَائِم إذا لم يفطر

٧٣٦ ـ وعن أبي هُريرة رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «إذا دُعِيَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِماً فَلْيُصَلِّ[١]، وَإِنْ كانَ مُفْطِراً فلْيَطْعَمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، قال العُلَمَاءُ: مَعْنى «فَلْيُصَلِّ»: فَلْيَدْعُ، ومعنى «فَلْيَطْعَمْ»: فَلْيَأْكُلْ.

۞ ۞ ۞

بابُ ما يقوله من دُعي إلى طعام فتبعَه غيره

٧٣٧ ـ عن أبي مسعود البَدْرِيِّ رضيَ اللَّه عنه قال: «دَعَا رَجُلٌ النَّبيَّ ﷺ لِطَعَامٍ، صَنَعَهُ لَهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ، فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ، فَلَمَّا بَلَغَ البابَ، قال النبيُّ ﷺ: إنَّ هذَا تَبِعَنَا، فَإنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإنْ شِئْتَ رَجَعَ!! قال: بل آذَنُ لَهُ يا رسول اللَّه»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

= قط» لم يكن ﷺ يأكل ما لذَّ وطاب كحالنا اليوم، إنما يأكل ما يجده، ويحمد اللَّه، ولمَّا قُدِّم له الخلُّ مدحه وقال: «نِعْم الأُدُمُ الخَلُّ» أي نعم الطعامُ الذي يؤكل مع الخبز الخلُّ، وكأنه يقول: ائتدموا بالخلِّ، **قال القاضي عياض**: وفي الحديث مدحُ الاقتصاد في الأكل، ومنعُ النفس عن ملاذِّ الأطعمة، وعدم التنافس في الشهوات، والاكتفاء بما تخفُّ مؤنتُه. اهـ **أقول**: ولا يستبعد أن يكون في الحديث الإشارة إلى عدم التوسع في اللذائذ من الطيبات، لئلا يدخل المؤمن في قوله سبحانه: ﴿**أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ في حياتِكُمُ الدُّنْيَا واسْتَمْتَعْتُم بهَا**﴾!! اللهم ارزقنا شكر نعمك.

(١) «فإن كان صائماً فَلْيُصَلِّ» ينبغي للمسلم أن يجيب الدعوة، تطييباً لنفس الداعي، لأن ذلك يزيد في الترابط والمحبة، فإن كان صائماً فلْيدع لأهل الطعام بالمغفرة والبركة، وإن كان مفطراً فليأكل، وهذا كله عند الجمهور على الاستحباب والندب، إلَّا في وليمة النكاح فقد قال البعض: إنه على الوجوب.

(٢) لا ينبغي لمسلم أن يحضر وليمةً، إلا إذا دُعي إليها لقوله سبحانه: ﴿**ولكنْ إذا دُعِيتُمْ فادْخُلُوا**﴾ وفي هذا الحديث أن رجلاً تَبِعَ النبيَّ ﷺ ولم يكن مدعوّاً، فلما وصل الدار استأذن له النبي ﷺ وقال للداعي: «إن هذا تَبِعَنا فإنْ شئتَ أن تأذنَ له، وإن شئتَ رجَعَ» فأذن له الرجل، وهذا توجيه من النبي ﷺ رشيد، بطريق التلميح إلى عدم التطفُّل، لأنه =

باب الأكل ممّا يليه
وَوَعظه وتأديبه مَن يُسيء أكله

٧٣٨ ـ عن عمر بن أبي سَلَمَةَ رضي اللَّه عنهما قال: «كُنْتُ غلاماً في حِجْرِ رَسولِ اللَّه ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فقال لي رسولُ اللَّه ﷺ: يَا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ تَعَالَى، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» مُتَّفَقٌ عليه. قوله: «تَطِيشُ» تتحرّك وتمتدّ إلى نواحي الصَّحْفَةِ.

٧٣٩ ـ وعن سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَن رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رسولِ اللَّه ﷺ بشِماله، فقال: كُلْ بِيَمِينِكَ، قال: لا أَسْتَطِيعُ قَالَ: لا اسْتَطَعْتَ! مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ! فَمَا رَفَعَهَا إِلى فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

باب النّهي عن القِران بَيْن تمرتين
ونحوهما إذا أكل جماعة إلا بإذن رفقته

٧٤٠ ـ عن جَبَلَةَ بن سُحَيم قال: «أَصَابَنا عامُ سَنَةٍ[(١)]، مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فرُزِقْنَا تَمْراً، وَكَانَ عَبْدُ اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما، يَمُرُّ بنا وَنَحْنُ نَأْكُلُ، فيقولُ: لا تُقَارِنُوا[(٢)]، فإن النبي ﷺ نَهى عنِ القرانِ، ثم يقولُ: إلَّا أَنْ يَسْتَأْذِنَ الرَّجُلُ أَخَاهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

= قال: وإلّا رجع، فلا يصح للمسلم أن يُذلَّ نفسه، أو يُحرج غيره، فيكون طُفيلياً على موائد الناس!! وللحديث قصة ذكرها الإمام مسلم في صحيحه يحسن بنا ذكرها، عن أبي مسعود الأنصاري قال: «كان رجل من الأنصار يُقال له «أبو شعيب» وكان له غلام لحّام ـ أي جزّار يبيع اللحم ـ فرأى رسولَ اللَّه ﷺ فعرف في وجهه الجوعَ، فقال لغلامه: ويْحَكَ! اصنع لنا طعاماً لخمسة نفَر، فإني أريد أن أدعو النبي ﷺ خامس خمسة ـ أي أربعةً مع الرسول ﷺ ـ فصنع له الطعام، ثم أتى النبيَّ ﷺ فدعاه، فتبعهم رجل . .» الحديث.

(١) «أصَابَنَا عَامُ سَنَةٍ» أي عام قحط وجدب.

(٢) «لا تُقارِنُوا» أي لا يجاوز أحدكم حدَّه في الأكل، فيأكل تمرتين معاً دون إذن صاحبه . . وسببُ ذلك أن المسلمين أصابهم عام عصيب، كان عامَ قحطٍ وجَدْب، قلّت فيه الخيراتُ، =

باب مَا يقوله وَيفعَله مَن يأكل ولا يشبع

٧٤١ ـ عن وَحْشِيِّ بْنِ حرب رضيَ اللَّه عنه، أن أَصحابَ رسولِ اللَّه ﷺ قالُوا: يا رسولَ اللَّهِ: إنَّا نَأْكُلُ وَلا نَشْبَعُ[١]؟ قال: «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ!؟ قالُوا: نَعمْ، قال: فَاجْتَمِعُوا عَلى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، يُبَارَكْ لَكُمْ فيه» رَوَاهُ أَبو داود.

۞ ۞ ۞

بابٌ في الأمر بالأكل منْ جانبِ القصْعَةِ، والنهي عن الأكل من وسطها

فيه: قوله ﷺ: «وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» مُتَّفَقٌ عليه كما سبق.

٧٤٢ ـ وعن ابن عباس رضيَ اللَّهُ عنهما، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسْطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَّتَيْهِ وَلا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ» رَوَاهُ أَبو داود، والتِّرمِذِيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٧٤٣ ـ وعن عبد اللَّه بن بُسْرٍ رضيَ اللَّه عنه قال: «كان لِلنَّبيِّ ﷺ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَها: الْغَرَّاءُ، يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجالٍ، فَلَمَّا أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحى، أُتِيَ بِتِلْكَ الْقَصْعَةِ ـ يعني وقد ثُرِدَ فيها[٢] ـ فَالتَفُّوا عليها، فَلَمَّا كَثُرُوا جَثَا رسولُ اللَّه ﷺ، فقالَ أعرابيٌّ: ما هذه الجِلْسَةُ؟ قال رسولُ اللَّه ﷺ: إنَّ اللَّه جَعَلَني عَبْداً كَرِيماً[٣]، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً عَنِيداً، ثُمَّ قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: كُلُوا مِنْ

= فكان ابنُ عمر يمرُّ عليهم فيوصيهم أن لا يقارِنُوا، أي لا يأكل بعضهم تمرتين في لقمة واحدة، **قال في الفتح**: النهيُ عن القِرانِ من حسن الأدب في الأكل عند الجمهور، لا على التحريم، لأن الذي يوضع للأكل على سبيل المسامحة، لا على التشاحِّ، لاختلاف بعضهم في الأكل، لكنْ إذا استأثر بعضُهم بأكثر من بعض، لم يُحمد له ذلك اهـ. فتح الباري.

(١) «إنَّا نأكل ولا نشبع» أي ينتهي الطعام ولا نحسُّ بالشبع!! وقد أرشدهم ﷺ إلى الاجتماع على الطعام، لأن البركة في الجمع، وخير الطعام ما اجتمعت عليه الأيدي، أمَّا إذا أكل الرجل وحده فإن البركة تُنزع منه.

(٢) «ثُرِدَ فيها» الثريدُ: فتُّ الخبز وبلُّه بالمرق، أي مرق اللحم.

(٣) «إن اللَّه جعلني عبداً كريماً» هذا من تواضعه ﷺ، فقد جلس على ركبتيه وعلى ظهور قدميه، حين ضاقت بهم الحَلْقَةُ، وقوله: «ولم يجعلني جباراً عنيداً» أي لستُ بإنسان عنيد متكبر، بل خُلُقي التواضعُ.

حَوَالَيْهَا[١]، وَدَعُوا ذِرْوَتَها يُبَارَكْ فيها » رَوَاهُ أبو داود بإسناد جيد. « ذِرْوَتَها »: أَعْلَاهَا.

۞ ۞ ۞

بابٌ في كراهيَة الأكل مُتَّكِئاً

٧٤٤ ـ عن أَبي جُحَيْفَةَ «وَهْبِ بْنِ عبد اللَّه» رضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: « لا آكُلُ مُتَّكِئاً »[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

قال الخَطَّابيُّ: المتَّكِيءُ هُهنَا: هو الجالِسُ مُعْتَمِداً على وطاءٍ تحته، قال: وأَرَادَ أنه لا يَقْعُدُ عَلى الْوِطَاءِ وَالْوَسَائِدِ، كَفِعْلِ مَنْ يُرِيدُ الإكْثَارَ مِنْ الطَّعام، بل يَقْعُدُ مُسْتَوْفِزاً لا مُسْتَوطِئاً، وَيَأْكُلُ بُلْغَةً، هذا كلامُ الخَطَّابي، وَأَشَارَ غَيْرُهُ إلى أنَّ المُتَّكِيءَ هو المائِلُ عَلى جَنْبِهِ، واللَّه أعلم.

٧٤٥ ـ وعن أنسٍ رضيَ اللَّه عنه قال: « رَأَيْتُ رسول اللَّه ﷺ جَالِساً مُقْعِياً يَأْكُلُ تَمْرَاً »[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ، « المُقْعِي »: هو الَّذي يُلْصِقُ أَلْيَتَيْهِ بالأرضِ، وَيَنْصِبُ سَاقَيْهِ.

۞ ۞ ۞

باب في استِحباب الأكل بثلاثِ أصابع واستحباب لعق الأصابع، واستحباب لعق القصعة وأخذ اللقمة التي تسقط منه وأكلها

٧٤٦ ـ عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللَّه عنهما قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: « إذا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَاماً، فَلا يَمْسَحْ أَصَابِعَهُ حتى يَلْعَقَهَا أو يُلْعِقَهَا »[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «كُلُوا من حَوَالَيْها» أي من جوانبها واتركوا أعلاها يبارك لكم فيها.

(٢) «لا آكلُ متكئاً» أي مضطجعاً على جنب، لأن هذه الطريقة طريقة المترفين، لا يأكلون للشبع، وإنما يملئون بطونهم من أنواع الطعام، فيتكئون على الوسائد كهيئة المضطجع، وهو فعل المتجبرين المتكبرين، ثم إنه يمنع نزول الطعام وانحداره في المجرى بسهولة.

(٣) «جالساً مُقْعِياً» أي رأى الرسول ﷺ قد جلس على مقعدته، ونصَبَ ساقيه كحال المستعجل، وهذه الجلسة تسمى «الاحتباء» الذي هو جلوس الأنبياء، وهو مشعرٌ بأن أكله بقدر الحاجة، مع ما فيه من التشبُّه بالعبد الرقيق، وفيه غايةُ التواضع.

(٤) «لا يمسحُ أصابعَه» هذا الباب كلّه وما ورد فيه من لَعْقِ الأصابع، ورفع اللقمة إذا سقطت، ورفع الأذى عنها ثم أكلها ولعق الإناء، لتنبيه المسلم على التواضع في المأكل والمشرب، =

٧٤٧ ـ وعن كعبِ بْنِ مالكٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: «رَأَيْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَأْكُلُ بِثلاثِ أَصابعَ، فإذا فَرَغَ لَعِقها» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٧٤٨ ـ وعن جابرٍ رضيَ اللَّه عنه «أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أمر بِلَعْقِ الأَصَابعِ وَالصَّحْفَةِ، وقال: إنَّكُمْ لا تَدْرُونَ في أيِّ طَعَامِكُمْ البَرَكَةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٧٤٩ ـ وعنه رضيَ اللَّهُ عنه، أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «إذا وَقعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ، فَليَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ ما كان بها مِنْ أَذىً وَلْيَأْكُلْهَا، وَلا يَدَعْها للشَّيْطَانِ، ولا يَمْسَحْ يَدَهُ بالمِنْدِيلِ حَتَّى يَلعَقَ أَصَابِعَهُ، فإنه لا يَدرِي في أيِّ طعامِهِ البَركَةُ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٧٥٠ ـ وعنه رضيَ اللَّهُ عنه، أَن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن الشَّيْطَانَ يَحضرُ أَحَدَكُم عِندَ كُلِّ شَيءٍ مِنْ شَأْنِهِ، حتى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإذا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أحدِكُمْ، فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِط ما كانَ بها مِنْ أَذى، ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا ولا يَدَعْهَا للشَّيْطَانِ، فإذا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ، فإنه لا يَدرِي في أيِّ طعامِهِ البَرَكَةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٧٥١ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه قال: «كان رسولُ اللَّه ﷺ إذا أَكَلَ طَعَاماً، لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلاثَ، وقالَ: إذَا سَقَطَتْ لُقمةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، وليُمِطْ عنها الأذَى، وليَأْكُلْهَا، ولا يَدَعْهَا لِلشَّيطَانِ وَأَمَرَنَا أن نَسْلُتَ القَصعَةَ وقال: إنَّكم لا تَدْرُونَ في أيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٧٥٢ ـ وعن سعيد بْنِ الحارثِ «أنه سأل جابراً رضيَ اللَّه عنه عنِ الوضوءِ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ، فقال: لا، قد كُنَّا زَمَنَ النبي ﷺ لا نجدُ مِثلَ ذلك الطعامِ إلَّا

= وعدم التكبر على نعم اللَّه، كحال المتكبرين الذين لا يعرفون قدر النعمة، ويتركون الطعام في الصحون ليرمى بها في المزابل، وهذا كله من الترف والإسراف الذي نهى اللَّه عنه في قوله سبحانه ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

(١) «ولا يَمْسَحْ يَده حتَّى يلْعَقَ أصابعَه» **قال الخطابي**: عابَ قومٌ أفسدَ عَقْلَهم التَّرفُ، فزعموا أن لعق الأصابع، أو الصحفة، شيء قبيح مستقذر، وما عرفوا أنه جزء من أجزاء ما أكلوه، وإذا لم يكن سائرُ أجزائه مستقذراً، لم يكن الجزءُ اليسير منه مستقذراً، وليس في ذلك أكبرُ من مصِّهِ أصابعَه بباطن شفتيه، ولا يشكُّ عاقلٌ في أنه لا بأس بذلك، فقد يتمضمضُ الإنسان، فيدخل أصبعه في فمه، فيدلك أسنانه وباطنَ فمه، ثم لم يقل أحدٌ إن ذلك قذارة، أو سوء أدب. اهـ.

قليلاً، فإذَا نَحنُ وَجدْنَاهُ، لَم يَكُن لَنَا مَنَادِيلُ إلا أكُفُنَا وَسَواعِدَنَا وأقْدَامَنَا، ثُمَّ نُصَلِّي وَلا نَتَوَضَّأُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تكثير الأيدي على الطّعام

٧٥٣ ـ عن أبي هريرة رضيَ اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «طَعَامُ الاثنَينِ كافي الثَّلاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاثَةِ كافي الأَرْبَعَةِ»[١] مُتَّفَقٌ عليه.

٧٥٤ ـ وعن جابرٍ رضيَ اللَّه عنهُ قالَ: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأربَعَةَ، وطعامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمانِيَةَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في أدب الشرب واستِحباب التنفّس ثلاثاً خارج الإناء وكراهة التنفس في الإناء، واستحباب إدارة الإناء على الأيمن، فالأيمن بعدالمبتدىء

٧٥٥ ـ عن أنسٍ رضي اللَّه عنه: «أن رسول اللَّه ﷺ كانَ يَتَنَفَّسُ في الشَّرَابِ ثَلاثاً»[٢] مُتَّفَقٌ عليه، يعني: يَتَنَفَّسُ خَارِجَ الإناءِ.

---

(١) «طَعَامُ الاثنين يَكْفي الثلاثَةَ» توجيه لطيف من النبي ﷺ للاجتماع على الطعام، وعدم التفرق بأن يأكل الإنسان وحده، ثم فيه إشارة إلى الحثِّ على الكرم، والإيثار على النفس، بأن يُطعم غيره من المائدة التي يأكل منها، فاللَّه تعالى يجعل البركة فيه، بحيث يكفي طعام الاثنين للأربعة، وطعام الأربعة للثمانية، وقد ورد في رواية الطبراني ما يرشد إلى العلة في ذلك بقوله ﷺ «كلوا جميعاً ولا تفرقوا، طعامُ الواحد يكفي الاثنين . .» الحديث، فيؤخذ منه أن الكفاية تنشأ عن بركة الاجتماع، وأن الجمع كلما كثُر زادت البركة.

قال النووي: وفي قوله ﷺ: «في أيِّ طعامِهِ البَرَكَةُ» أن الطعامَ الذي يحضَر الإنسانَ، فيه بركةٌ لا يدري أن تلك البركةَ فيما أكلَ أو فيما بقيَ على أصابعه، أو فيما بقيَ في أسفل القصعة ـ أي الصحن ـ أو في اللقمةِ الساقطة، فينبغي أن يُحافظ عن هذا كلِّه لتحصيل البركة. اهـ.

(٢) «كان يتنفَّس في الشراب ثلاثاً» معنى الحديث: أن النبيَّ ﷺ ما كان يشرب كأس الماء دفعةً واحدة، لأن هذا يضرُّ بالمعدة، بل كان يشرب، ثم يُبعد الكأسَ عن فمه، ثم يشرب مرة ـ

٧٥٦ ـ وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تَشْرَبُوا وَاحِداً كَشُرْبِ البَعِيرِ، وَلٰكِن اشْرَبُوا مَثْنى وَثُلاثَ، وَسَمُّوا إذا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ، وَاحْمَدُوا إذ أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

٧٥٧ ـ وعن أبي قَتَادَةَ رضي اللَّه عنه «أن النبي ﷺ نَهَى أن يُتَنَفَّسَ في الإناء»[١] مُتَّفَقٌ عليه، يعني: يَتَنَفَّسُ في نَفْسِ الإناءَ.

٧٥٨ ـ وعن أنسٍ رضيَ اللَّه عنه «أن رسول اللَّه ﷺ أُتِي بِلَبنٍ قد شِيبَ بِمَاءٍ[٢]، وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابيٌّ، وَعَنْ يَسَارِهِ أبو بَكْرٍ رضي اللَّه عنه، فَشَرِبَ، ثُمَّ أَعْطَى الأَعْرابِيَّ وقال: الأيمَنَ فالأَيْمَنَ» مُتَّفَقٌ عليه.

قوله: «شِيبَ»: أي: خُلِطَ.

٧٥٩ ـ وعن سهل بن سعد رضي اللَّه عنه «أن رسول اللَّه ﷺ أُتِيَ بشرابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ، قال للغُلَام: أَتَأْذَنُ لي أنْ أُعْطِيَ هَؤُلاءِ؟»[٣] فقال الغلامُ: لا واللَّهِ، لا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنكَ أَحَداً، فَتَلَّهُ رسول اللَّه ﷺ في يدِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

قوله: «تَلَّهُ» أَيْ: وَضَعَهُ، وهذا الغُلامُ هو ابنُ عباس رضي اللَّه عنهما.

= ثانية، ويبعده أيضاً، ثم يشرب بقية الماء، فكان لا يقتصر على نَفَسٍ واحد، بل يفصِلُ بين الشراب بنفَسَيْن أو ثلاثة، خارج الإناء، وهذا ما وضحه الحديث الآخر «لا تشربوا واحداً كشرب البعير ـ أي دفعة واحدة ـ ولكنْ اشربوا مثنى وثلاث».

(١) «نَهى ﷺ أنه يُتنفَّسَ في الإناء» من لم يفقه معاني النصوص، يظنُّ أن بين الأحاديث تعارضاً، وليس الأمر كذلك، فالحديثُ الذي دلَّ على أنه ﷺ «كان يتنفَّس في الشراب ثلاثاً» أي كان يشرب الماء على جرعات، ولا يشربه دفعة واحدة، ولهذا جاء في رواية مسلم أنه ﷺ قال: «هو أروى، وأمرأ، وأبرأ» وحديث «نهى أن يتنفس في الإناء» أي يتنفَّس داخله بأن يشرب، ثم لا يبعده عن فمه، ويتنفَّس للراحة فيكون قد دخل نَفَسُه داخلَ الكأس أو الإناء، ومعلومٌ أن الإنسان يستنشق «الأوكسجين» ويخرج «غازَ الفحم» وهو سامٌّ، فيكون بتنفُّسه في الإناء، أو نفخه فيه لتبريد الطعام، قد أدخل إليه ما هو ضارٌّ، فالرسولُ ﷺ بهديه الكريم يدعونا إلى قواعد صحية، عرفها الأطباء بعد قرون!

(٢) «أُتي بَلَبَنٍ قد شِيبَ بماءٍ» أي حليب خُلط بالماء، ولا يراد به «لبن الزبادي» المعروف، المسمَّى بالرايب.

(٣) «تقدَّم الحديث وشرحه في باب التنافس في أمور الآخرة رقم (٥٦٨) وكان الغلام هو ابن عباس رضي اللّه عنهما».

بابٌ في كراهة الشّرْب مِن فم القربة ونحوها، وبيان أنه كراهة تنزيه، لا تحريم

٧٦٠ ـ عن أَبي سعيدِ الخدْرِيِّ رضي اللَّه عنه قال: «نَهَى رسول اللَّه ﷺ عن اخْتِنَاثِ الأَسْقِيَةِ[١] يعني: أَنْ تُكْسَرَ أَفْوَاهُهَا، وَيُشْرَبَ مِنهَا» مُتَّفَقٌ عليه.

٧٦١ ـ وعن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: «نَهَى رسول اللَّه ﷺ أَن يُشْرَبَ مِنْ فِي السِّقَاءِ أَوْ القِرْبَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٧٦٢ ـ وعن أُمِّ ثابتٍ «كَبْشَةَ بنْتِ ثَابتٍ» أُخْتِ حَسَّان بْن ثابتٍ رضي اللَّه عنه وعنها قالت: «دخل عَلَيَّ رسولُ اللَّه ﷺ، فَشَرِبَ مِن فِي قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائماً، فَقُمْتُ إلى فِيهَا فَقَطَعْتُهُ»[٢] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

وَإِنَّمَا قَطَعَتْهَا، لِتَحْفَظَ مَوْضِعَ فَمِ رسول اللَّه ﷺ وَتَتَبَرَّكَ بِهِ، وَتَصُونَهُ عَنِ الابْتِذَالِ، وَهَذا الحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلى بَيَانِ الجَوَازِ، والحديثان السابقان لبيان الأفضل والأكمل، واللَّه أعلم.

❁ ❁ ❁

---

(١) «نَهَى ﷺ عن اخْتِنَاثِ الأَسْقِيَةِ» أي أن يشرب الإنسان من فم القربة أو السقاء، ومعنى «كسر أفواهها» أي ثنيُها لا كسرُها حقيقةً، بدليل ما ترجم به البخاري «باب الشرب من فم السقاء» وحديث «نهى ﷺ عن الشرب من فم القربة» رواه البخاري.

(٢) «فقمت إلى فيها فقطعته» إنما قطعتْ فمَ القِربة لتحتفظَ بموضع فم الرسول ﷺ، وتتبرّك به، وهذا الحديث يشير إلى مبلغ حرصِ الصحابة، رجالاً ونساءً، على آثار النبيِّ ﷺ والتبرك بها، كما كانوا يتبرّكون بشَعْرهِ عندما يحلق، ولو عرفنا مقدار محبة الصحابة لرسول اللَّه ﷺ، لما شعرنا بالغرابة من فعلهم العجيب، الذي دافعُه كلُّه الحبُّ العميق، لمن بعثه اللَّه رحمة للعالمين، ولنستمع إلى ما رواه البخاري في صحيحه في قصة «صلح الحديبية» حيث بعث المشركون «عروة بن مسعود» ليفاوض الرسول ﷺ في أمر الصلح، وقد ورد فيه هذا النصُّ «ثم إن عُروة جعلَ يرمُقُ أصحابَ النبي ﷺ بعينه، فرجع إلى أصحابه فقال: يا قوم، واللّهِ لقد وفدتُ على الملوك، ووفدتُ على كسرى، وقيصر، والنجاشي، واللّهِ ما رأيتُ ملِكاً قطُّ يُعظِّمه أصحابُه، كما يعظِّم أصحاب محمدٍ محمداً!! واللّه ما تنخَّم نخامة ـ أي بصق من حلقه ـ إلّا وقعت في كفِّ رجل منهم، فَدَلَكَ بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتهم، وما يُحدُّون النظر إليه تعظيماً له، وإنه قد عَرَض عليكم خطة رُشد فاقبلوها ..» الحديث رواه البخاري ٥/ ٢٦٠.

بابٌ في كراهةِ النفخ في الشراب

٧٦٣ ـ عن أبي سعيدِ الخدريِّ رضيَ اللَّه عنه «أَنَّ النبيَّ ﷺ نَهَى عَنِ النَّفخ في الشَّرَابِ، فقال رَجُلٌ: القَذَاةُ[١] أراها في الإناءِ؟ فقال: أَهْرِقْهَا، قال: إنِّي لاَ أَرْوَىٰ مِنْ نَفَسٍ وَاحِدٍ[٢]؟ قال: فَأَبِنِ القَدَحَ إذاً عَنْ فِيكَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٧٦٤ ـ وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما «أن النبي ﷺ نهى أن يُتَنَفَّسَ في الإِنَاءِ، أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ»[٣] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

❁ ❁ ❁

بابٌ في بَيان جَوَاز الشّرْب قائِماً وبيان أن الأكمل والأفضل الشرب قاعداً

فيه حديث كبشة السابق.

٧٦٥ ـ وعن ابن عباس رضي اللَّهُ عنهما قال: «سَقَيْتُ النَّبيَّ ﷺ مِنْ زَمْزَمْ، فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

٧٦٦ ـ وعنِ النزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ رَضيَ اللَّهُ عنه قالَ: «أَتَى عَليٌّ رضيَ اللَّهُ عنهُ بَابَ الرَّحْبَةِ فَشَرِبَ قَائماً، وقالَ إنِّي رَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ فَعَلَ كما رَأَيْتُمُوني فَعَلْتُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٧٦٧ ـ وعن ابنِ عمر رضيَ اللَّهُ عنهما قال: «كُنَّا نَأْكُلُ عَلى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَمْشي، وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديث حسن صحيح.

---

(١) «أرى القَذَاة في الإناء» أي ما يسقط في الإناء أو الكأس من الأشياء التي تتقذّذ منها النفس، قال: أهرقها أي اسفحها.

(٢) «لا أروي من نَفَسٍ واحدٍ» أي لا يذهب عطشي من الماء، إذا شربتُه بنَفَسٍ واحد، قال له ﷺ: أبعدْ القدحَ عن فمك وتنفّسْ، لئلا يخرج ما تقذرُه نَفْسُك، ثم اشرب مرة أخرى.

(٣) «نهى أن يُتنفّس في الإناء أو يُنفخ فيه» وضّحنا أن الحكمةَ من ذلك خشية الاستقذار أولاً، وثانياً أن النفخ في الطعام لتبريده، ضارٌّ من الناحية الصحية، حيث يخرج من فم الإنسان بالنفخ «غاز الفحم» وهو ضار، وكأن الرسول ﷺ طبيبٌ، يحذّر من الأمراض الجسدية!!

٧٦٨ ـ وعن عمرو بن شعيب، عن أبيهِ، عن جدِّه رضيَ اللَّهُ عنه قال: «رَأَيْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ قَائماً وَقَاعِداً» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٧٦٩ ـ وعن أَنَسٍ رَضيَ اللَّهُ عنه، عن النَّبيِّ ﷺ «أَنَّهُ نَهى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِماً، قال قتادة: فَقُلْنَا لأَنَس: فالأَكْلُ؟ قالَ: ذلكَ أَشَرُّ، أَو أَخْبَثُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

في رواية له: «أَنَّ النبيَّ ﷺ زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائِماً».

٧٧٠ ـ وعن أبي هريرة رضيَ اللَّهُ عنه قال: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا يَشْرَبَنْ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِماً، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِئْ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في استِحباب كون سَاقي القوم آخرهم شرباً

٧٧١ ـ وعن أَبي قتادة رضيَ اللَّهُ عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «سَاقي القَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبَاً» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

❁ ❁ ❁

بابٌ في جَواز الشّرب من جميع الأواني الطاهرة، غير الذهب والفضة وجواز الشرب بالفم من النهر وغيره، وتحريم استعمال إناء الذهب والفضة، في الشرب والأكل والطهارة، وسائر وجوهِ الاستعمال

٧٧٢ ـ عَنْ أَنسٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: «حَضَرَتِ الصَّلاةُ، فَقَامَ مَنْ كَانَ قَرِيبَ الدَّارِ إلى أَهْلِهِ، وَبَقِيَ قَوْمٌ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِخْضَبٍ مِنْ حِجَارَةٍ، فَصَغُرَ المِخْضَبُ أَنْ يَبْسُطَ فِيهِ كَفَّهُ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، قَالُوا: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَمَانِينَ وَزِيَادَةً» متَّفقٌ عليه، هذه رواية البخاري.

---

(١) «لا يشربنَّ قائماً فمن شربَ فَلْيستَقِئ» هذا محمول على المبالغة والتنفير من الشرب قائماً، وليس للوجوب ولا للاستحباب، وخلاصة الأمر في هذا الموضوع: أن الشرب قائماً مكروه تنزيهاً، وليست للتحريم، بدليل أن النبي ﷺ شرب من زمزم قائماً، وشرب من قِربة معلَّقةٍ قائماً كما في حديث الترمذي، فشربُه قائماً يدلُّ على الجواز ولهذا قال المصنف: بابُ بيان جواز الشرب قائماً، لكنَّ الأفضلُ الشربُ جالساً، فهو أكملُ وأهنأُ وأمرأ.

وفي رواية له ولمسلم: «أَنَّ النبيَّ ﷺ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ ماءٍ، فَأُتِيَ بِقَدَحٍ رَحْرَاحٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ، فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ. قَالَ أَنَس: فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إلى الماءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ[1]، فَحَزَرْتُ مَنْ تَوَضَّأَ مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إلى الثَّمانِينَ».

٧٧٣ ـ وعن عبدِ اللَّهِ بْنِ زيدٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: «أَتَانَا النَّبيُّ ﷺ، فَأَخْرَجْنَا لَهُ مَاءً في تَوْرٍ مِنْ صُفْرٍ فَتَوَضَّأَ» رَوَاهُ البُخاري.

«الصُّفر» بضم الصاد، النحاس، و «التَّوْر»: إناءٌ كالقدح.

٧٧٤ ـ وعن جابر رضيَ اللَّهُ عنه «أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ، فقالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: إنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءٌ بَاتَ هَذِهِ اللَّيْلَة في شَنَّةٍ وَإِلَّا كَرَعْنَا»[2] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، «الشَّنُّ»: القِرْبَة.

٧٧٥ ـ وعن حذيفة رضيَ اللَّهُ عنه قالَ: «إِنَّ النبيَّ ﷺ نَهَانَا عَنِ الحَرِيرِ والدِّيبَاجِ، والشُّرْبِ في آنِيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، وقالَ: هِيَ لَهُمْ في الدُّنْيَا، وهِيَ لَكُمْ في الآخِرَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٧٧٦ ـ وعن أُمِّ سلمة رضيَ اللَّهُ عنها، أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «الَّذِي يَشْرَبُ في آنِيَةِ الفِضَّةِ إنَّما يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ»[3] متفقٌ عليهِ.

وفي روايةٍ لمسلم: «مَنْ شَرِبَ في إِنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، فَإِنَّما يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نَاراً مِنْ جهَنَّمَ».

۞ ۞ ۞

---

(١) «فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه» هذه من معجزاته ﷺ، فقد نبع الماء من بين أصابعه الشريفة، من قدح صغير فيه ماء، حتى توضأ القوم وكانوا ثمانين رجلاً، ومعنى «رحراح» أي واسع فيه قليل من الماء.

(٢) «في شنّة وإلّا كرعنا» الشنَّةُ: القِربة، ومعنى الكرع: أن يتناول بفمه الماء، من الساقية أو النهر من غير إناء.

(٣) «يُجَرْجِرُ في بطنِه نارَ جهنم» أي يقذف ويلقي في بطنه من نار جهنم، وهذا الحديث كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً﴾ وقد دلّ الحديث على تحريم الأكل والشرب في أواني الذهب والفضة، للرجال والنساء، لأن ذلك فعل المتكبرين المتجبرين، ثم إن الذهب والفضة من أواني أهل الجنة ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوابٍ﴾ أي من ذهب أيضاً، ولهذا نوّه ﷺ إلى العلة من التحريم بقوله: «هنّ لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة» فلا ينبغي للمسلم أن يتعجّل النعيم الذي أعده اللّه له في الجنة.

كتاب اللباس

بابٌ في استِحباب الثوب الأبيض وجواز الأحمر والأخضر، والأصفر والأسود وجوازه من قطن وكتان، وشعر وصوف وغيرها إلا الحرير

قال اللَّهُ تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ[(١)] وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ[(٢)] وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ ﴾ [النحل: ٨١].

٧٧٧ ـ وعن ابنِ عبَّاس رضيَ اللَّهُ عنهما، أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ البَيَاضَ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيها مَوْتَاكُم» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٧٧٨ ـ وعنْ سَمُرَةَ رضِيَ اللَّهُ عنه قال: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَسُوا البَيَاضَ[(٣)]، فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وأَطْيَبُ، وَكَفِّنُوا فِيها مَوْتَاكُمْ» رَوَاهُ النسائي، والحاكم وقال: حديث صحيح.

٧٧٩ ـ وعن البراءِ رَضيَ اللَّهُ عنه قال: «كَانَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) ﴿لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾ أي يستر عوراتكم ﴿وَرِيشاً﴾ لباس الزينة كالبُرد والعباءة.

(٢) ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾ السربالُ: اللباسُ، أي تفضَّل اللَّه عليكم بملابس تحفظكم من الحر ومن البَرْد، وملابس من الحديد وهي (الدروع) تحفظكم من أعدائكم في الحرب، فاللباس نوعان: لباس زينة، ولباس حرب.

(٣) «البسوا البياضَ» لبسُ البياض لباسُ أهل الجنة، وهي أفضل لباس المؤمنين في الدنيا، لأنها لنقائها لا تحمل الدنس ولو كان قليلاً، لأنه يظهر عليها، قال الشاعر:

إن البياضَ قليل الحمل للدَّنَسِ

مَرْبُوعاً[١] وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ في حُلَّةٍ حَمْرَاءَ، مَا رَأَيْتُ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ» متَّفقٌ عليهِ.

٧٨٠ ـ وعن أبي جُحَيْفَةَ «وهْبِ بنِ عبدِ اللَّهِ» رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: «رَأَيْتُ النَّبيَّ ﷺ بِمَكَّةَ وَهُوَ بالأَبْطَحِ، في قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءَ مِنْ أَدَمٍ، فَخَرَجَ بِلالٌ بِوَضُوئِهِ، فَمِنْ نَاضِحٍ وَنَائِلٍ، فَخَرَجَ النَّبي ﷺ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ[٢]، كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى بَيَاضِ سَاقَيْهِ!! فَتَوَضَّأَ وَأَذَّنَ بِلالٌ، فَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُ فَاهُ ههُنَا وَههُنَا، يقولُ يَميناً وشِمَالاً: حَيَّ عَلى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلى الفَلَاحِ، ثُمَّ رُكِزَتْ لَهُ عَنَزَةٌ[٣]، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى، يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الكَلْبُ، وَالحِمَارُ، لَا يُمْنَعُ» مُتَّفقٌ عليه. «العَنَزَةُ» بفتحِ النونِ: نَحْوُ العُكَّازَةِ.

٧٨١ ـ وعن أبي رِمْثَةَ «رِفَاعَةَ التَّيْمِيّ» رضيَ اللَّهُ عنه قَالَ: «رَأَيْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ ثوبانِ أخضَرانِ» رَوَاهُ أبُو داود، والتِّرمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صحيحٍ.

٧٨٢ ـ وعن جابر رضيَ اللَّهُ عنه «أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٧٨٣ ـ وعن أبي سعيد «عمرو بن حُرَيْثٍ» رضي اللَّه عنه قال: «كأني أنظر إلى رسولِ اللَّه ﷺ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، قَدْ أرْخَى طَرَفيها بَيْنَ كتفيْهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. **وفي روايةٍ** له: «أن رسول اللَّه ﷺ خَطَبَ النَّاسَ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ».

٧٨٤ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «كُفِّنَ رسول اللَّه ﷺ في ثلاثة أثْوَاب، بيضٍ سَحُوليَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فيهَا قَمِيصٌ وَلا عِمَامَةٌ» مُتَّفَقٌ عليه. «السَّحُوليَّةُ» ثيابٌ تُنسَب إلى سَحُولٍ: قَرْيَةٍ باليَمنِ. «وَالكُرْسُف»: القُطن.

---

(١) «كان ﷺ مربوعاً» أي متوسط القامة، لم يكن طويلاً، ولا قصيراً، بل كان بينهما، وإلى الطول أقرب.

(٢) «وعليه حلة حمراء» أي بردة حمراء ذات خطوط.

(٣) «رُكزت له عنزة» أي عصا تشبه العُكّاز نُصبت أمامه، جعلها بين يديه، وكان يمرُّ الكلبُ والحمار من وراء العصا.

(٤) «وعليه عمامةٌ سوداء» كان غالبُ أحواله ﷺ لبس العمامة البيضاء، وإنما اختار السوداء، لأن الوقت وقت حرب، وقد كان هذا في غزوة الفتح، أعني ـ فتح مكة ـ والسوادُ يناسب جوَّ الحرب والمعركة، لأنه يتحمل الغُبار ولا تظهر الآثار.

٧٨٥ ـ وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنها قالت: «خَرَج رسول اللَّه ﷺ ذات غَدَاةٍ، وَعَليهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ[١] منْ شَعْرٍ أسْود» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«المِرْط»: كساءٌ، و«المُرَحَّل» هُو: الذي فيه صورةُ رِحالِ الإبلِ، وَهِيَ: الأكْوَارُ.

٧٨٦ ـ وعن المُغِيرةِ بن شُعْبَةَ رضي اللَّه عنه قال: «كُنتُ مع رسول اللَّه ﷺ ذاتَ ليلَةٍ في مسيرٍ، فقال لي: أَمَعَكَ مَاءٌ؟ قلت: نَعَمْ، فَنَزَلَ عن راحِلَتِهِ فَمَشَى، حتى تَوَارَى في سَوادِ اللَّيْلِ، ثم جاء فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ مِنَ الإداوَةِ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فلم يَسْتَطِعْ أَنْ يُخرِجَ ذِرَاعَيْهِ منها حتى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الجُبَّةِ، فَغَسَلَ ذِراعَيْهِ وَمَسَحَ بِرأْسِهِ، ثُمَّ أَهْوَيْت لأَنْزَعَ خُفَّيْهِ فقال: دَعْهُمَا، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَينِ، وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا». مُتَّفَق عليه.

وفي روايةٍ: «وعَلَيْهِ جبَّةٌ شامِيَّةٌ ضَيِّقَةُ الْكُمَّيْنِ» وهَذِهِ الْقَضِيَّةَ كانت في غَزْوَةِ تَبُوكَ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في استِحباب القميص

٧٨٧ ـ عن أُمِّ سَلمةَ رضي اللَّه عنها قالت: «كان أَحَبُّ الثِّياب إلى رسول اللَّه ﷺ القَميصُ»[٢] رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ، وقال: حديث حسن.

۞ ۞ ۞

بابٌ في صفة طول القميص والكمّ والإزار، وطرف العمامة، وتحريم إسبال شيءٍ من ذلك على سبيل الخيلاء وكراهته من غير خيلاء

٧٨٨ ـ عن أسماءَ بنتِ يزيدَ الأنصاريَّةِ رضي اللَّه عنها قالت: «كان كُمُّ قَمِيصِ رسول اللَّه ﷺ إلى الرُّسُغِ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

---

(١) «وعليه مِرْطٌ مرحَّل» أي يلبس إزاراً من صوفٍ أو كتان، فيه خطوط، ودلَّ الحديث على جواز لبس الأسود من الثياب، وجواز ما كان فيه خطوط.

(٢) «كان أحبَّ الثياب إلى رسول اللَّه ﷺ القميصُ» أي أحبُّ الملابس إلى رسول اللَّه ﷺ: الثوبُ الأبيض، وهو لباس الجمال والوقار، ولباسُ الأنبياء، قال تعالى عن يوسف: ﴿وقدَّت قميصَه مِنْ دُبُرٍ﴾ أي شقَّت ثوبَه من خلف.

٧٨٩ ـ وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما، أنَّ النبي ﷺ قال: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنظُرِ اللَّهُ إليهِ يَوْمَ القِيَامَةِ[١]»، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول اللَّه إنَّ إزاري يَسْتَرخِي، إلَّا أنْ أتَعَاهَدَهُ!! فقال له رسول اللَّه ﷺ: إنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خَيلاءَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وروى مسلم بعضه.

٧٩٠ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلى مَنْ جَرَّ إزَارَهُ بَطَراً» مُتَّفَق عليه.

٧٩١ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، عن النبي ﷺ قال: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الإزارِ ففِي النَّارِ»[٢] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٧٩٢ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ[٣]، ولا يَنظُرُ إلَيهِمْ، وَلا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ ألِيمٌ!! قال: فقرأها رسولُ اللَّه ﷺ ثلاث مِرَارٍ[٤]. قال أبو ذرٍّ: خابُوا وخَسِرُوا! مَنْ هُمْ يا رسول اللَّه؟ قال: المُسْبِلُ، والمنَّانُ، وَالمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلفِ الكاذِبِ»[٥] رَوَاهُ مُسْلِمٌ، **وفي روايةٍ له**: «المُسْبِلُ إزَارَهُ».

٧٩٣ ـ وعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ قال: «الإسْبَالُ في الإزارِ، وَالقَمِيصِ، وَالعِمَامَةِ، منْ جَرَّ شَيئاً خُيَلاءَ، لَم يَنظُرِ اللَّه إليهِ يَومَ القِيَامَةِ» رَوَاهُ أبو داود، والنسائي بإسنادٍ صحيح.

٧٩٤ ـ وعن أبي جُرَيٍّ «جَابِرِ بن سُلَيم» رضي اللَّه عنه قال: «رَأَيْتُ رَجلاً

---

(١) «من جرّ ثوبَه خيلَاءَ» أي جرّ ثوبه تكبراً وترفُّعاً وعُجباً، لم ينظر اللَّه إليه نظر رضى ورحمة.

(٢) «ما أسفل من الكعبين فهو في النار» أي ما طال من الثوب أو الإزار، حتى زاد على الكعبين، فصاحبُه يستحقُّ العذاب في النار، إلَّا أن يغفر اللَّه له، وهو محمول على من فعل ذلك خيلاء وبطراً، وكنَّى بالثوب عن لابسه، لأن الثوب لا يدخل النار، وإنما صاحبه.

(٣) «ثلاثة لا يكلمهم اللَّهُ» أي لا يكلمهم كلام مؤانسةٍ ورضى يسرُّهم، بل كلام سخط وغضب، كقوله: **﴿اخسَئُوا فِيها وَلاَ تكَلِّمُونِ﴾**.

(٤) «فقرأها ثلاث مرارٍ» أي ردَّد هذه الجملة ثلاث مرات، ليكون أزجرَ للسامع، وأبلغَ في النفع.

(٥) «المسبلُ، والمنَّانُ، والمُنفِّقُ سلعتَه بالحلف» أي الذي يطيل ثوبه ويمشي به خيلاء، والذي يذكر الإحسان تمنناً على المحْسَن إليه، والذي يحلف باللَّه كاذباً لترويج بضاعته.

يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ[١]، لا يَقُولُ شَيْئاً إِلَّا صَدَرُوا عنه، قلتُ: من هذا؟ قالوا: رسول اللّه ﷺ، قلتُ: عَليكَ السَّلامُ[٢] يا رسولَ اللّه ـ مَرَّتَيْنِ ـ قال: لا تَقُل: عَلَيْكَ السَّلامُ، عَلَيْكَ السَّلامُ تحِيَّةُ المَوْتَى ـ قُلْ: السَّلامُ عَلَيْكَ، قال: قلتُ: أنتَ رسول اللّه؟ قال: أنَا رسول اللّه، الذي إذا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإذا أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ[٣] فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَهَا لكَ، وإذا كُنتَ بِأَرْضٍ قَفرٍ أَوْ فَلاةٍ، فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ[٤]، فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ، قال: قلتُ: اعْهَدْ إليَّ!! قال: لا تَسُبَّنَّ أَحَداً، قال: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرّاً، وَلا عَبْداً، وَلا بَعِيراً، وَلا شَاةً، وَلا تَحقِرَنَّ مِنَ المَعرُوفِ، شَيْئاً، وأَنْ تُكلِّم أخاكَ وأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إليهِ وجهُكَ، إنَّ ذلكَ مِنَ المَعْرُوفِ، وارفَعْ إزَارَكَ إلى نِصْفِ السَّاقِ، فَإن أَبَيْتَ فَإلى الكَعْبين، وإيَّاكَ وإسْبَالَ الإزَارِ، فَإنَّهَا مِن المَخِيلةِ وإنَّ اللّه لا يُحِبُّ المَخِيلَةَ، وإنِ امْرؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فيكَ فلا تُعَيِّرهُ بما تَعلَم فيهِ، فإنَّما وبَالُ ذلكَ عليهِ»[٥] رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ بإسنادٍ صحيحٍ، وقال التِّرمِذِيُّ: حديث حسن صحيح.

٧٩٥ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: «بينما رجُلٌ يُصَلِّي مُسْبِلٌ إزَارَه، قال له رسول اللّه ﷺ: اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ، فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ، ثم جاءَ، فقال: اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ، فقال له رجلٌ: يا رسول اللّه، ما لكَ أَمَرْتَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ ثم سَكَتَّ عنه؟ قال: إنه كانَ يُصَلِّي وهو مُسْبِلٌ إزَارَهُ، وإن اللّه لا يَقْبَلُ صَلاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ»[٦] رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ على شرط مسلم.

٧٩٦ ـ وعن «قَيْس بن بشرٍ التَّغْلِبيِّ» قال: أَخْبَرَني أبي ـ وكان جَلِيساً لأبي

---

(١) «يصدر الناس عن رأيه» أي يرجعون إلى رأيه في كل ما يقول، يريد به الرسولَ ﷺ، وكان لا يعرفه من قبلُ.

(٢) «قلتُ عليك السلام» يريد أن يسلِّم على الرسول ﷺ فقال له: عليك السلامُ، فقال ﷺ: عليك السلام ليست من تحية الإسلام، إنما هي تحية أهل الجاهلية، وهي تشبه تحية الموتى، فقد كانوا في الجاهلية يقولون: عليك سلام اللّه.

(٣) «أصابك عامُ سَنَة» أي عام شدة ومجاعة.

(٤) «فضَلّت راحلتك» أي فقدتها، ردَّها عليك.

(٥) «فإنما وبالُ ذلك عليه» أي وزره وعاقبتُه الوخيمة عليه.

(٦) «لا يقبل صلاة رجل مسبل» لا يراد به أن صلاته باطلة، وإنما المراد أن اللّه لا يكفِّر بهذه الصلاة ذنوبه، ولا يطهِّر قلبه من الآثام.

الدَّرْدَاءِ ـ قال: كان بِدِمَشْقَ رَجُلٌ من أصحابِ النَّبي ﷺ يقال له «سهل بن الحَنْظَلِيَّة»، كان رجُلاً مَتَوَحِّداً قَلَّمَا يُجَالِسُ النَّاسَ، وإنَّمَا هو صَلاةٌ[١]، فإذا فَرَغَ فإنَمَا هو تَسبيحٌ وَتَكبيرٌ، حتى يَأْتِي أَهْلَهُ، فَمَرَّ بِنَا وَنَحْنُ عِنْدَ أبي الدَّرداءِ، فقال له أبو الدَّرداءِ: كَلِمَةً تَنفَعُنَا ولا تَضُرُّكَ[٢]! قال: «بَعَثَ رسول اللّه ﷺ سَرِيَّةً، فَقَدِمَتْ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنهُمْ، فَجَلَسَ في المَجْلِسِ الذي يَجْلِسُ فِيهِ رسول اللّه ﷺ، فقال لِرَجُلٍ إلى جَنْبِهِ: لَوْ رَأَيْتَنَا حِينَ التَقَيْنَا نحنُ وَالعَدُو، فَحَمَلَ فُلَانٌ فَطَعَنَ، فقال: خُذْهَا مِنِّي، وَأَنَا الغُلامُ الغِفَارِيُّ، كَيْفَ تَرَى في قَوْلِهِ[٣]؟ قال: مَا أَرَاهُ إلَّا قَدْ بَطَلَ أجرُهُ. فَسَمِعَ بَذلكَ آخرُ فقال: مَا أرى بِذلِكَ بَأْساً، فَتَنَازَعَا حتى سَمِعَ ذلك رسولُ اللّه ﷺ فقال: «سُبْحَانَ اللّه؟ لا بَأْسَ أنْ يُؤْجَرَ وَيُحْمَدَ»[٤] فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ سُرَّ بذلكَ، وَجَعَلَ يَرْفعُ رأسه إلَيْهِ، وَيَقُولُ: أَنْتَ سَمِعْتَ ذلكَ مِنْ رسول اللّه ﷺ!؟ فيقول: نعَمْ، فما زَالَ يُعِيدُ عَلَيْهِ، حَتَّى إنِّي لأقولُ لَيَبرُكَنَّ على رُكْبَتَيْهِ[٥] قال: فَمَرَّ بِنَا يَوْماً، آخَرَ، فقال له أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ!! قال: قال لَنَا رسول اللّه ﷺ: «المُنْفِقُ عَلى الخَيْلِ، كَالبَاسِطِ يَدَهُ بالصَّدَقَة لَا يَقْبِضُهَا»[٦] ثُمَّ مَرَّ بِنَا يوماً آخَرَ، فقال له أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَة تَنفَعُنَا

---

(١) «إنما هو صلاة، إنما هو تسبيح» أي هو مكثرٌ للصلاة، ومكثر للتسبيح ملازمٌ لذكر اللّه، كأنه صلاة وتسبيح، ففيه تشبيه بليغ.

(٢) «كلمةً تنفعنا ولا تضرك» أي اذكر لنا كلمةً ننتفع بها ولا تضرُّك، يطلب منه النصح والتذكير له وللحاضرين.

(٣) «كيف ترى في قوله»؟ أي ما رأيك في قوله المذكور؟ الذي يتباهى ويفتخر به؟ فاختلف الرجلان فيه.

(٤) «سبحان اللّه لا بأس أن يُؤجر ويُحمد» أي فصل النبي ﷺ بين الرجلين المختلفين في أمره، فقال لهم: هذا ليس من الفخر والعُجب الذي يُبطل العمل، إنما قال ذلك لإرهاب عدوه، فلا بأس أن يُؤجر المرءُ، ويثنى عليه، إذا لم يكن غرضه الفخر والخيلاء.

(٥) «ليبركنَّ على ركبتيه» أي ليجلسنَّ أبو الدرداء على ركبتيه تواضعاً لما سمعه من حديث رسول اللّه ﷺ، وإجلالاً للعلم، كما هو شأن المتعلِّم بين يدي المعلِّم.

(٦) «المنفقُ على الخيل» المراد بالخيل هنا: خيل المجاهدين في سبيل اللّه، وذلك بسقيها ورعيها وعلفها، فهو كمن يبسط يده بالإنفاق يستمرُّ أجره دون انقطاع، وفي هذا إشارة لكلِّ نفقةٍ يقدِّمها المؤمن للمجاهدين، حتى على السلاح والخيل التي تُربط للجهاد كما جاء في الحديث الصحيح «الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة» رواه البخاري.

وَلا تَضُرُّكَ!! قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «نِعْمَ الرَّجُلُ خُرَيْمٌ الأُسَيْدِيُّ، لَولا طُولُ جُمَّتِهِ وَإسْبَالُ إزَارِهِ[١]!» فَبَلَغَ خُرَيماً، فَعَجَّلَ، فَأَخَذَ شَفرَةً فَقَطَعَ بها جُمَّتَهُ إلى أُذنيهِ، وَرَفَعَ إزَارَهُ إلى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ. ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَوْماً آخرَ فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ!! قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقُولُ: «إنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلى إخْوَانِكُمْ، فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ[٢] وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ، حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ، فَإنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ حسنٍ، إلَّا «قَيْسَ بن بشر» فاختَلَفُوا في تَوثِيقِهِ وَتَضْعِيفِهِ، وقد روى له مسلم.

٧٩٧ ـ وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسُول اللَّهَ ﷺ: «إزرَةُ المُسْلِمِ إلى نِصْفِ السَّاقِ، وَلَا حَرَجَ ـ أَوْ لا جُنَاحَ ـ فيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَعْبَيْنِ، ما كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَينِ فَهُوَ في النَّارِ، وَمَنْ جَرَّ إزارَهُ بَطَراً لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إلَيْهِ» رَوَاهُ أبُو داود بإسناد صحيح.

٧٩٨ ـ وعن ابنِ عمر رضيَ اللَّهُ عنهما قال: «مَرَرْتُ عَلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي إزَارِي اسْتِرخَاءٌ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، ارْفَعْ إزارَكَ فَرَفَعْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: زِدْ، فَزِدْتُ، فَمَا زِلْتُ أَتحرَّاها بَعْد، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: إلى أَيْنَ؟ فَقَالَ: إلى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٧٩٩ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خيلاءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فقالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ، قالَ: يُرْخِينَ شِبْرَاً. قالَتْ: إذاً تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ!! قال: فَيُرْخِينَهُ ذِراعاً لا يَزِدْنَ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسن صحيح.

۞ ۞ ۞

(١) «طولُ جُمَّته وإسبال إزاره» رسولُ اللَّه ﷺ يثني على الصحابي «خُرَيْم الأُسَيْدي» وبأسلوبٍ لطيفٍ بديع يوجّهه ﷺ إلى عدم إطالة شعر رأسه حتى يبلغ منكبيه، وعدم تطويل ثوبه، وقد أثّر هذا التوجيه النبوي فسارع الصحابي إلى قصّ شعره ورفع إزاره.

(٢) «أصلحوا رحالكم» الرحالُ: الإبلُ التي يركبها المسافرون، ومراده ﷺ إصلاح المراكب وإصلاح الملابس، حتى يكون المسلم في هيئته كالشامة التي تبدو في الوجه.

بابٌ في استحبابِ تَركِ التَّرفُّع في اللِّباسِ تَواضُعاً وسَبَقَ في بابِ فضلِ الجُوعِ وخُشُونَةِ العَيْشِ، جُمَلٌ تَتَعَلَّقُ بِهَذا البَابِ

٨٠٠ ـ وعن معاذِ بن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنه، أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَواضُعاً لِلَّهِ[١]، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلى رُؤُوسِ الخَلائِقِ حتى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإيمانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا» رَواهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

❁ ❁ ❁

بابٌ في استِحباب التوسُّط في اللّباسِ، ولا يقتصر على ما يزري به لغير حاجة ولا مقصود شرعي

٨٠١ ـ عن عمرِو بن شُعَيْبٍ، عن أبيهِ، عَنْ جَدِّهِ رضيَ اللَّهُ عنه قال: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أنْ يَرى أثَر نِعْمَتِهِ عَلى عَبْدِهِ»[٢] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسن.

❁ ❁ ❁

بابٌ في تحريم لباسِ الحَرير على الرّجال، وتحريم جلوسهم عليه واستنادهم إليه وجواز لبسه للنساء

٨٠٢ ـ عن عمر بن الخطَّاب رضيَ اللَّهُ عنه قال: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ:

---

(١) «تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعاً» أي ترك الثياب الفاخرة، تواضعاً لعظمة اللَّه وجلاله، وهو مشروط بشرطين:
الأول: أن تكون غايتُه مرضاة اللَّه، لا أن يُقال عنه إنه صالح زاهد.
الثاني: أن يكون غنياً لقوله ﷺ: «وهو يقدر عليه» أما إذا تركه لفقره فلا يشمله الحديث الشريف، وهو دعوة إلى التواضع، وترك لباس الزينة والشهرة.

(٢) «يَرَىٰ أَثَرَ نِعْمَتِهِ» أي إذا بَسَط اللَّهُ على إنسانٍ في الرزق، فلا حرج أن يلبس الجميل، ويأكل اللذيذ، لأن اللَّه يحب أن يرى آثار نعمته على عبده.

« لا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ، فَإنَّ مَنْ لَبِسَهُ في الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ في الآخِرَةِ »[١] مُتَّفَقٌ عليه.

٨٠٣ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: « إنَّما يَلْبَسُ الحَرِير مَنْ لا خَلاقَ لَهُ » مُتَّفقٌ عليه.

وفي روايةٍ لِلبُخاري: « مَنْ لا خَلاقَ لَهُ في الآخِرَةِ ». قولهُ: « مَنْ لا خَلاقَ لَهُ » أيْ لا نَصِيبَ لَهُ من رحمة اللَّه.

٨٠٤ ـ وعن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ في الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ في الآخِرَةِ » مُتَّفقٌ عليه.

٨٠٥ ـ وعن عليٍّ رضيَ اللَّهُ عنه قال: « رَأَيْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ حَرِيراً، فَجعَلَهُ في يَمِينِهِ، وَذَهَباً فَجعَلَهُ في شِمَالِهِ، ثمَّ قَالَ: إنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ على ذُكُورِ أُمَّتِي »

رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ حسن.

٨٠٦ ـ وعن أبي مُوسى الأشْعَرِيِّ رضيَ اللَّهُ عنه، أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: « حُرِّمَ لِبَاسُ الحَرِيرِ وَالذَّهَبِ على ذُكُورِ أُمَّتِي، وَأُحِل لإناثِهِمْ » رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال حديثٌ حسن صحيحٌ.

٨٠٧ ـ وعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: « نَهَانَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نَشْرَبَ في آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَأَنْ نَأْكُلَ فِيهَا، وَعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ، وَأَنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ» رَوَاهُ الْبُخارِيُّ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في جواز لبس الحرير لِمَنْ به حكّة

٨٠٨ ـ عن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عنه قال: « رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ للزُّبَيرِ وَعَبْدِ الرَّحْمنِ بنِ عَوْفٍ رَضيَ اللَّهُ عنهما في لُبْسِ الحَرِيرِ لِحِكَّةٍ بِهِمَا » مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) « مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا » الحريرُ لباسُ أهل الجنة قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ فمن لبسه في الدنيا، حُرِمه في الآخرة، لأنه تعجّل النعمَة فجوزي بالحرمان، جزاءً وفاقاً، والحريرُ يحرم على الرجال، ويحلُّ للنساء، ومثلُه الذهب، لأن زينةَ الرجل خلُقُه وأدبُه، وزينةُ المرأة بحليِّها وأنوثتها مع جميل أخلاقها، أما في الآخرة فيشترك فيهما الرجال والنساء، لأنها دار تشريف، لا دار تكليف، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

بابٌ في النّهي
عَن افتراشِ جُلود النُّمور والركوب عليها

٨٠٩ ـ عن مُعَاوِيَةَ رضيَ اللَّهُ عنه قالَ: قال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلَا النِّمَارَ» حديث حسن، رَوَاهُ أبو داود وغيره بإسنادٍ حسنٍ.

٨١٠ ـ وعن أبي المَلِيحِ عن أبيهِ، رضيَ اللَّهُ عنه، أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ «نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ، والنسائيُّ بأَسَانِيدَ صِحاحٍ.

وفي روايةِ التِّرمِذِيُّ: «نَهَى عَنْ جُلُود السِّبَاعِ أَنْ تُفْتَرَشَ».

۞ ۞ ۞

بابٌ في ما يقول
إذا لَبِسَ ثوباً جَديداً أو نعلاً أو نحوه

٨١١ ـ عن أبي سعيد الخُدْرِي رضيَ اللَّهُ عنه قال: «كانَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ إذَا اسْتَجَدَّ ثَوْباً[١] سَمَّاهُ بِاسْمِهِ ـ عِمَامَةً، أَوْ قَمِيصاً، أَوْ رِدَاءً ـ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

۞ ۞ ۞

بــابٌ في آداب الـنّــوم والاضطجاع

٨١٢ ـ عن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي اللَّه عنهما قال: كَانَ رسول اللَّه ﷺ إذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ[٢] نَامَ عَلى شِقِّهِ الأَيْمَنِ[٣]، ثُمَّ قال: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ[٤]، وَوَجَّهتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ،

---

(١) «استَجَدَّ ثَوْباً» أي لبس ثوباً جديداً، فليحمد اللَّه تعالى عليه بهذا الدعاء المأثور «اللهم لك الحمدُ أنتَ كسوتنيه...» الخ.

(٢) «إذَا أَوَىٰ إلىَ فِرَاشِهِ» أي دخل فراشه، وأراد النومَ.

(٣) «نَامَ عَلَى شِقِّهِ» أي نام على جنبه الأيمن، وهذا هو النومُ الصحّيّ، لأن القلب في الطرف الأيسر، والنومُ عليه ضار به.

(٤) «أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ» أي استسلمتُ بكُلّيتي لحكمك وقضائك.

رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ[١]، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْت، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بهذا اللفظ في كتاب الأدب من «صحيحه».

٨١٣ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «إذا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلْ...» وَذَكَرَ نَحْوَهُ، وَفِيهِ: «وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُول» مُتَّفق عليه.

٨١٤ ـ وعن عائشة رضيَ اللَّه عنها قالتْ: «كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، فَإذا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلى شِقِّهِ الأَيمَن حَتَّى يَجِيءَ الْمُؤَذِّنُ فَيُؤْذِنَهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٨١٥ ـ وعن حُذَيْفَةَ رضي اللَّه عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَضعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا» وَإذا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا[٢] وَإلَيْهِ النُّشُورُ»[٣] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٨١٦ ـ وعن يَعِيشَ بن طِخْفَةَ الْغِفَارِيِّ رضي اللَّه عنه قال: قال أبي: «بَيْنَمَا أَنَا مُضْطَجِعٌ في المَسْجِدِ عَلى بَطْنِي إذا رَجُلٌ يُحَرِّكُني بِرِجْلِهِ فقال: إنَّ هذِهِ ضِجْعَةٌ[٤] يُبْغِضُهَا اللَّهُ» قال: فَنَظَرْتُ، فَإذا رسولُ اللَّه ﷺ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

٨١٧ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرِ اللَّه تعالى فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تَعالى تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعاً لا يَذْكُرُ اللَّه تعالى فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِن اللَّهِ تِرَةٌ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادِ

---

(١) «رَغْبَةً وَرَهْبَةً» أي طمعاً في ثوابك وعطائك، وخوفاً من نقمتك وعذابك.

(٢) «أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا» وجّهنا الرسول الكريمُ ﷺ أن نتذكّر نعمة اللَّه علينا بهذا الدعاء، فقد أحيانا اللَّهُ بعد موتنا، فإن النائم لا يحسُّ ولا يشعر بما حوله، ولا يرى اللصّ إذا دخل المنزل؟ إنه يشبه الميِّت، إلا أنه يتنفَّس خِلافاً للميت.

(٣) «وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» أي المرجع والمصير بعد الوفاة.

(٤) «هٰذِهِ ضِجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ» هي النوم على الوجهِ، وظهرُه إلى جهة السماء، لأنها ضارة صحياً، حيث يكون الضغط على القلب والرئتين والمعدة، ثم هو منافٍ للآداب الإسلامية التي وجهنا إليها الرسول الكريم ﷺ.

حسن، «التِّرَةُ» بكسر التاءِ المثناة من فوق، وهي: النَّقْصُ، وَقِيْلَ: التَّبعَةُ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في جَواز الاسْتِلقاء على القفا ووضع إحدى الرِّجلين على الأخرى إذا لم يَخف انكشاف العورة وجواز القعود متربعاً ومحتبياً

٨١٨ ـ عن عبدِ اللَّهِ بن زيد رضي اللَّه عنه «أَنَّهُ رأى رسول اللَّه ﷺ مُسْتَلْقِياً في المَسْجِدِ، وَاضِعاً إحْدَى رِجْلَيْهِ عَلى الأُخْرَى»[١] مُتَّفَقٌ عليه.

٨١٩ ـ وعن جابرِ بن سَمُرَةَ رضي اللَّه عنه قال: «كان النبيُّ ﷺ إذا صَلَّى الْفَجْرَ تَرَبَّعَ في مَجْلِسِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسْنَاءَ» حديث صحيح، رَوَاهُ أبو داود وغيره بأسانيد صحيحة.

٨٢٠ ـ وعنِ ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: «رأيت رسول اللَّه ﷺ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ مُحْتَبِياً بِيَدَيْهِ هكَذَا، وَوَصَفَ بيدَيْهِ الاحْتِبَاءَ، وَهُوَ القُرْفُصاءُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٨٢١ ـ وعن قَيْلَةَ بنتِ مَخْرَمَةَ رضي اللَّه عنها قالت: «رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ القُرْفُصَاءَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رسول اللَّه ﷺ المُتَخَشِّعَ[٢] في الجِلْسَةِ أُرعِدْتُ مِنَ الفَرَق»[٣] رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ.

٨٢٢ ـ وعنِ الشَّرِيد بْنِ سُوَيدٍ رضي اللَّه عنه قال: «مَرَّ بي رسول اللَّه ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ هكَذا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ اليُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي، وَاتَّكَأْتُ عَلى أَلْيَةِ يَدِي[٤]، فقال: «أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟!» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «مُسْتَلْقِياً فِي المَسْجِدِ» يعني على ظهره، وقد وضع إحدى رجليه على الأخرى للراحة، ودلَّ الحديث على جواز النوم في المسجد، إذا لم يجعله فندقاً.

(٢) «المُتَخَشِّعَ» أي المتواضع في جلسته.

(٣) «أُرْعِدْتُ مِنَ الفَرَقِ» أي أخذتني دهشةٌ ورِعدةٌ من هيبته ﷺ.

(٤) «أَلْيَةِ يَدِي» أي باطن كفه، والمغضوب عليهم اليهودُ، قال تعالى: **﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾** وهذه طريقتهم في القُعود، يجلس أحدهم مضطجعاً على باطن كفِّه الأيمن، ويدُه اليسرى خلف ظهره، كهيئة الحمار إذا اضطجع.

بابٌ في آداب المجلس والجَليس

٨٢٣ ـ عن ابنِ عُمَرَ رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يُقيمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلاً مِنْ مَجْلِسِهِ[1]، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا» وَكَانَ ابن عَمَرَ إذا قامَ له رَجُل مِنْ مَجْلِسِهِ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ. مُتَّفَقٌ عليه.

٨٢٤ ـ وعن أبي هُريرةَ رضيَ اللَّه عنه، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «إذا قامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ»[2] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٨٢٥ ـ وعن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضيَ اللَّهُ عنهما قال: «كُنَّا إذا أَتَيْنَا النَّبيَّ ﷺ، جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي» رَوَاهُ أَبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسنٌ.

٨٢٦ ـ وعن أبي عبدِ اللَّه «سَلمَان الفارسيّ» رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ ما اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْر، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي ما كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنصِتُ إذا تَكَلَّمَ الإمامُ، إلَّا غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٨٢٧ ـ وعن عَمْرِو بن شُعَيْبٍ، عن أَبِيهِ، عن جَدِّهِ رضي اللَّه عنه، أن رَسول اللَّه ﷺ قال: «لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أن يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إلَّا بِإِذْنِهِمَا» رَوَاهُ أَبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

وفي روايةٍ لأبي داود: «لا يَجْلِسُ بَيْنَ رَجُلَينِ إلا بإِذْنِهِمَا».

٨٢٨ ـ وعن حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه «لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الحَلْقَةِ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ حسن.

وروى التِّرمِذِيُّ عن أبي مِجْلَزٍ أَنَّ رجُلاً قَعَدَ وَسْطَ حَلْقَةٍ، فقال حُذَيْفَةُ:

(١) «لا يُقِيمَنَّ أحدُكُمْ رَجُلاً مِنْ مَجْلِسِهِ» يكره للرجل أن يقيم رجلاً من مكانه ثم يجلس فيه، بل يطلب منه أن يوسّع له، لقوله سبحانه: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ولا يجلس بين اثنين فيفرّق بينهما، إلا بإذنٍ منهما، لأن ذلك يورث البغضاء، فقد يكون بينهما حديث خاص، يقطعه بجلوسه الثقيل.

(٢) «إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ» لا يَجُوزُ لأحَدٍ أن يحجز مكاناً في المسجد، لكنْ إذا قام لحاجته كوضوء، أو طواف، ونحوهما، ثم رجع إليه فهو أحقُّ بالمجلس من غيره.

« مَلْعُونٌ عَلى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ: لَعَنَ اللّه عَلى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ - مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الحَلْقَةِ» قال التِّرمِذِيُّ: حديث حسن صحيح.

٨٢٩ - وعن أبي سعيد الخُدْرِي رضي اللّه عنه قال: سَمِعْتُ رسول اللّه ﷺ يقول: « خَيْرُ المَجَالِسِ أَوْسَعُها» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيح على شرطِ البخاري.

٨٣٠ - وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ « مَنْ جَلَسَ في مَجْلِسٍ، فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ[1] فقال قَبْل أنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذلكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إلَه إلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إلَيْكَ، إلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ في مَجْلِسِهِ ذلِكَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٨٣١ - وعن أبي بَرْزَة رضي اللّه عنه قال: « كَانَ رسول اللّه ﷺ يقولُ بآخِرَةٍ - يعني آخر جلوسه - إذا أرَاد أَنْ يَقُومَ مِنَ المَجْلِسِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إلَيْكَ، فقال رجل: يا رسول اللّه، إنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلاً مَا كُنْتَ تَقُولُه فِيمَا مَضَى؟ قال: ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ في المَجْلِسِ» رَوَاهُ أبو داود. ورَوَاهُ الحاكم أبو عبد اللّه في «المستدرك» من رواية عائشة رضي اللّه عنها وقال: صحيح الإسناد.

٨٣٢ - وعن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: « قلَّما كان رسول اللّه ﷺ يَقومُ مِنْ مَجْلِسٍ حتى يَدْعُو بهؤُلاءِ الدَّعَوَاتِ: اللَّهُمَّ اقسِم لَنَا مِن خَشْيَتِكَ[2] ما تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وبَيْنَ مَعَاصِيكَ، ومن طَاعَتِكَ ما تُبَلِّغُنا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ ما تُهَوِّنُ عَلَينا به مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وأَبْصَارِنَا، وقُوَّتِنَا ما أَحْيَيْتَنَا، واجعلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، وَاجعَلْ ثَأْرَنَا عَلى مَنْ ظَلَمَنَا، وانصُرْنَا عَلى مَنْ عَادَانَا، وَلا تَجْعَلْ مُصِيبتَنَا في دِينِنَا، وَلا تَجعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لا يَرْحَمُنَا» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال حديث حسن.

٨٣٣ - وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « مَا مِنْ

---

(١) « فَكَثُرَ فِيه لَغَطُهُ» أي خطؤه وكلامه الذي لا فائدة فيه، فليدع بهذا الدعاء « سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك» فهو كفارة المجلس.

(٢) « اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ» دعاءٌ خاشع جامعٌ لمنافع الدنيا والآخرة، كان يدعو به الرسول ﷺ، كلَّما جلَسَ في مجلس ثم قام منه.

قَوْم يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لا يَذْكُرُونَ اللَّه تعالى فِيهِ، إلا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جيفَةِ حِمَارٍ، وكانَ لَهُمْ حَسرَةً» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيح.

٨٣٤ ـ وعنه رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَا جَلَسَ قَومٌ مَجْلِساً لم يَذْكُرُوا اللَّه تعالى فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا على نَبِيِّهِمْ فِيهِ، إلّا كانَ عَليهِمْ تِرَةٌ[1]، فَإن شاءَ عَذَّبَهُمْ، وإن شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

٨٣٥ ـ وعنه رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدَاً لم يذكر اللَّه تعالى فِيهِ، كَانَتْ عليهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعاً لا يَذْكُرُ اللَّه تعالى فِيهِ، كانتْ عَليهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ» رَوَاهُ أبو داود.

۞ ۞ ۞

باب في الرّؤيا وَمَا يتعلّق بهَا

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الروم: ٢٣].

٨٣٦ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لم يَبْقَ من النُّبُوَّةِ إلا المُبَشِّرَاتُ، قالوا: وَمَا المُبَشِّرَاتُ؟ قَال: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٨٣٧ ـ وعنه رضي اللَّه عنه، أن النبيَّ ﷺ قال: «إِذَا اقتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا المُؤْمِنِ تَكذِبُ، ورُؤْيَا المؤمن جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزءاً مِنَ النُّبُوَّةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «أَصْدَقُكم رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثاً».

٨٣٨ ـ وعنه رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَسَيَرَانِي في اليَقَظَةِ ـ أَوْ كَأَنَّمَا رَآنِي في اليَقَظَةِ ـ لَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بي» مُتَّفَقٌ عليه.

٨٣٩ ـ وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي اللَّه عنه، أنهُ سمِعَ النبيَّ ﷺ يقول: «إذا رَأى أحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا، فَإنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ تعالى، فَلْيَحمَدِ اللَّه عَلَيْهَا، وَلِيُحَدِّثْ بهَا».

---

(١) «إلّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً» التِّرَة: التَّبِعَةُ، ومن معانيها الحسرةُ والندامةُ، فمن جلس مجلساً لم يذكر فيه ربه، كان ذلك حسرةً عليه يوم القيامة.

وَفي روايةٍ: «فَلا يُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذكرْها لأحَدٍ، فَإِنها لا تضُرُّهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٨٤٠ ـ وعن أبي قَتَادَةَ رضي اللَّه عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «الرُّؤيَا الصَّالِحَةُ ـ وفي روايةٍ: الرُّؤيَا الحَسَنَةُ ـ مِنَ اللَّه، والحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَن رَأَى شَيئاً يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَن شِمَالِهِ ثَلاثاً، وَليَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهَا لا تَضُرُّهُ» مُتَّفَقٌ عليه، «النَّفثُ»: نَفخٌ لطِيفٌ لا رِيقَ مَعَهُ.

٨٤١ ـ وعن جابرٍ رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إذا رَأى أَحَدُكُمُ الرُّؤيَا يَكرَهُهَا، فَلْيَبْصُق عَن يَسَارِهِ ثَلاثاً، وَليَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلاثاً، وَليَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الذي كان عليه» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٨٤٢ ـ وعن أبي الأسْقَعِ «وَاثِلَةَ بن الأسْقَعِ» رَضي اللَّه عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ مِن أَعْظَمِ الفِرَى[1] أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إلى غَيْرِ أَبِيهِ[2]، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لم تَرَ، أَوْ يَقُولَ عَلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ مَا لم يَقُلْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁ ❁ ❁

(١) «مِنْ أَعْظَمِ الفِرَىٰ» أي أعظم الكذب، وأكبره وأفحشه عند اللَّه.

(٢) «يَدعي الرجل لغير أبيه» أي ينتسب إلى غير أبيه، وهو المشهور في الجاهلية بالتَّبنّي، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾.

كتاب السلام

بابٌ في فضل السَّلام والأمر بإفشائه

قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟[1] وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [الذاريات: ٢٤ ـ ٢٥].

٨٤٣ ـ وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما، أن رجلاً سأل رسول اللَّه ﷺ: أَيُّ الإسْلامِ خَيْرٌ؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِف» مُتَّفَقٌ عليه.

٨٤٤ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «لمَّا خَلَقَ اللَّه تعالى آدَمَ ﷺ قال: «اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولئِكَ ـ نَفَرٍ مِنَ المَلائِكَةِ جُلُوس ـ فاسْتَمِعْ ما يُحَيُّونَكَ، فَإنَّها تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ[2]. فَقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَقالوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ أي حتى تستأذنوا أهلها وتسلِّموا عليهم.

(٢) «تحيَّتُك وتحيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ» هذه تحيّة الإسلام «السلام عليكم» علَّمها تعالى لآدم عليه السلام، فسلَّم بها على الملائكة، وردَّت عليه الملائكة بقولها: «وعليكَ السلامُ ورحمةُ اللَّه وبركاته» وأصبحت شعارَ المسلمين، وتحية بعضهم لبعض، وهي التحيَّةُ المباركةُ التي أشارت إليها الآية الكريمة: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾.

٨٤٥ ـ وعن أبي عُمارة «البَرَاءِ بن عازبٍ» رضي اللَّه عنهما قال: «أمرنا رسول اللَّه ﷺ بِسَبْعٍ: بِعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ[١]، وَنَصرِ الضَّعِيفِ، وَعَوْنِ المَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلامِ، وَإِبْرارِ المقْسِمِ» مُتَّفَق عليه، هذا لفظ إحدى روايات البخاري.

٨٤٦ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ[٢] بَيْنَكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٨٤٧ ـ وعن أبي يوسف «عبد اللَّه بن سلام» رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا والنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٨٤٨ ـ وعن الطُّفَيْل بن «أُبيِّ بن كَعْبٍ» أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي عبد اللَّه بن عُمَرَ، فَيَغْدُو مَعَهُ إلى السُّوقِ، قَالَ: فإذا غَدَوْنَا إِلى السُّوقِ، لَمْ يَمُرَّ عَبْدُ اللَّه عَلَى سَقَّاطٍ[٣] وَلَا صَاحِبِ بَيْعَةٍ، وَلَا مِسْكِينٍ، وَلَا أَحَدٍ إِلَّا سلَّمَ عَلَيْهِ، قال الطُّفَيْلُ: فَجِئْتُ عبد اللَّه بن عُمَرَ يَوْماً، فاسْتَتْبَعَنِي إِلى السُّوقِ، فَقُلْتُ لَهُ: ما تَصْنَعُ بِالسُّوقِ، وَأَنْتَ لَا تَقِفُ عَلى البَيْعِ، وَلَا تَسْأَلُ عَنِ السِّلَعِ، وَلَا تَسُومُ بِهَا[٤]، وَلا تَجْلِسُ فِي مَجَالِسِ السُّوقِ؟ وَأَقُولُ: اجْلِسْ بِنا هَا هُنَا نَتَحَدَّثْ، فَقال: يَا أَبَا بَطْنٍ ـ وَكَانَ الطُّفَيْلُ ذا بَطْنٍ ـ إِنَّمَا نَغْدُو مِنْ أَجْلِ

---

(١) «تَشْمِيتُ العَاطِسِ» أي الدعاء له بالرحمة بقوله: «يرحمكم اللَّه».

(٢) «أَفْشُوا السَّلَامَ» هذا أول كلام سمعه رئيسُ أحبار اليهود «عبد اللَّه بن سلام» من رسول اللَّه ﷺ، وذلك حين هاجر الرسول إلى المدينة، جاء إليه ابن سلام ليمتحنه، فكان أول ما سمعه من رسول اللَّه ﷺ قوله: «يا أيها الناسُ أفشُوا السلامَ، وأطعموا الطعامَ، وصِلُوا الأرحامَ . . .» الحديث ثمَّ أسلم رضي اللَّه عنه.

(٣) «لَمْ يَمُرَّ عَلَى سَقَّاطٍ» السَّقَّاطُ: بائعُ الأشياء الرديئة من المتاع، والغرضُ أنه كان يسلِّم على الشريف والوضيع.

(٤) «وَلَا تَسُومُ بِهَا» أي لا تسأل عن ثمن البضاعة وتفاصل البائع فيها.

السَّلام[١]، نُسَلِّمُ عَلى مَنْ لَقِيناهُ » رَوَاهُ مالك في الموطأ بإسنادٍ صحيحٍ .

۞ ۞ ۞

بابٌ في كيفية السّلام

يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقولَ المُبْتَدِىء بِالسَّلام: السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللّه وَبَرَكَاتُهُ، فَيَأْتِي بضَمِيرِ الجَمْع، وَإِنْ كَانَ المُسلَّمُ عَلَيْهِ وَاحِداً، وَيَقُول المُجيبُ: وَعَلَيْكُم السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللّه وَبَرَكَاتُهُ، فَيَأْتِي بِواو العَطفِ في قوله: وعَلَيْكُمْ.

٨٤٩ ـ عن عِمْرَانَ بن الحُصَيْنِ رضي اللّه عنهما قال: «جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثم جَلَسَ، فقال النبيُّ ﷺ: عَشْرٌ، ثم جَاءَ آخَرُ، فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللّه، فَرَدَّ عليهِ، فَقال: عِشْرُون، ثم جَاءَ آخَرُ، فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقال: ثَلاثُونَ » رَوَاهُ أبو داود والتِّرمِذيُّ وقال: حديث حسن.

٨٥٠ ـ وعن عائشة رضي اللّه عنها قالتْ: «قال لي رسولُ اللّه ﷺ: هَذَا جِبرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلامَ، قَالَتْ: قُلتُ: وَعَلَيْهِ السَّلامُ ورحمَةُ اللّه وَبَرَكَاتُهُ » مُتَّفَقٌ عليه.

وهكذا وقع في بعض رواياتِ الصحيحين: «وَبَرَكَاتُهُ » وَفي بَعْضِهَا بحَذفِهَا وَزِيَادَةُ الثِّقَةِ مَقبُولَةٌ.

٨٥١ ـ وعن أنسٍ رضي اللّه عنه «أن النبيَّ ﷺ كانَ إذا تكلمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَها ثلاثاً حَتى تُفهَمَ عنه، وَإِذَا أَتَى عَلى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيهِم، سَلَّمَ عَلَيهِم ثَلاثاً »[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ. وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلى مَا إِذَا كانَ الجَمْعُ كَثِيراً.

٨٥٢ ـ وعن المِقْدَادِ بنِ الأَسْوَدِ الْكِنْديِّ رضي اللّه عنه في حَدِيثِهِ الطويل قال: «كُنَّا نَرفَعُ للنَّبيِّ ﷺ نَصِيبَهُ مِنَ اللَّبَنِ، فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيُسَلِّمُ تَسْلِيماً لا

---

(١) «إِنَّمَا نَغْدُو مِن أَجْلِ السَّلَام» أي إنما نخرج إلى السوق من أجل السلام على من نلقاه، وفي الحديث «وأن تُسلِّم على من عرفتَ ومن لم تَعْرِف».

(٢) «سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثاً» ليس معناه أنه كان يقول: السلام عليكم ثلاث مرات، بل المراد أنه ﷺ كان يؤانسُ الجميع بسلامه، فيسلِّم على من بيمينه، ومن بيساره، ومن كان أمامه، فيشملهم جميعاً بالسلام، حين يكون الجمع كبيراً.

يُوقِظُ نَائماً، وَيُسْمِعُ اليَقْظَانَ، فَجَاءَ النَّبيُّ ﷺ فَسَلَّم كَما كان يُسَلِّمُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٨٥٣ ـ وعن أَسْمَاءَ بِنتِ يزيد رضي اللَّه عنها «أن رسولَ اللَّه ﷺ مَرَّ في المَسْجِدِ يَوماً، وَعُصبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعودٌ[1]، فَألوى بِيَدِهِ بِالتسْلِيمِ»[2] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

وَهذا مَحْمُولٌ عَلى أنه ﷺ جَمَعَ بَيْنَ اللَّفظ والإشَارَة، وَيُؤَيِّدُهُ أن في رِوايةِ أَبي داود: «فَسَلَّمَ عَلَيْنَا».

٨٥٤ ـ وعن أَبي جُرَيّ الهُجَيْمِيِّ رضي اللَّه عنه قال: أَتَيْتُ رسولَ اللَّه ﷺ، فقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رسولَ اللَّه!! قَالَ: «لا تَقُل عَلَيْكَ السَّلامُ[3]، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ المَوْتى» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح. وقد سبق بطولِهِ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في آداب السَّلام

٨٥٥ ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلى المَاشي[4]، وَالمَاشي عَلَى القَاعِدِ، والقَلِيلُ عَلى الكَثِيرِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ للبخاري: «وَالصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ».

٨٥٦ ـ وعن أَبي أُمَامَةَ «صُدَيِّ بن عَجْلانَ البَاهِلِي» رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ أَوْلى النَّاسِ باللَّهِ[5] مَنْ بَدَأهم بالسَّلامِ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ جيدٍ.

---

(١) «وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعُودٌ» أي جماعة من النساء جالسات في المسجد.

(٢) «فَأَلْوَى بِيَدِهِ بِالتَّسْلِيم» أي لوَّح بيده يُسلِّم عليهن مع التلفُّظ، ودلَّ الحديث على أنه يجوز السلام على النساء، ويجمع بين اللفظ والإشارة باليد، كما فعل ﷺ، أمَّا الرجال فيكتفي باللفظ.

(٣) «لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ» لا يبدأ المسلِّم بقوله: «عليك السلام» فإنها تشبه تحية الأموات، كما نقول: فلانٌ عليه الرحمةُ، وله المغفرة، وإنما يبدأ السلامَ بقوله: «السلامُ عليكم ورحمةُ الله».

(٤) «يُسَلِّمُ الرَّاكِب عَلَى المَاشِي» هذا التوجيه النبويُّ يتفق مع الفطرة والمنطق، فالراكبُ يسلِّم على الماشي، لأنه يكون عالياً على القاعد، وكذلك الماشي يسلِّم على القاعد، والصغيرُ على الكبير، والقليلُ على الكثير، وكلُّها آداب إسلامية رفيعة.

(٥) «إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ» أي أحقُّ الناس بالكرامة والفضل عند الله من يبدأ بالسلام.

ورَوَاهُ التِّرمِذِيُّ عن أبي أُمَامَةَ رضي اللَّه عنه: قِيلَ: «يا رسول اللَّهِ، الرَّجُلَانِ يَلْتَقِيَانِ، أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلامِ؟ قال: أَوْلَاهُمَا بِاللَّهِ تعالى» قال التِّرمِذِيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في استِحباب إعادة السّلام على من تكرَّر لقاؤه على قرب بأن دخل ثم خرج ثم دخل في الحال، أو حال بينهما شجرة ونحوها

٨٥٧ ـ عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللَّه عنه في حَدِيثِ المسيءِ صَلاتَهُ «أنهُ جاءَ فَصلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلى النبيِّ ﷺ فَسلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقال: «ارجع فَصَلِّ[1]، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» فَرَجَعَ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلى النَّبيِّ ﷺ، حَتى فَعَلَ ذلك ثَلاثَ مَرَّاتٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

٨٥٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رسولِ اللَّه ﷺ قال: «إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاه، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ، أَوْ جِدَارٌ، أَوْ حَجَرٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ» رَوَاهُ أَبو داود.

۞ ۞ ۞

بابٌ في استِحباب السَّلام إِذَا دَخل بيته

قال اللَّه تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

٨٥٩ ـ وعن أنسٍ رضيَ اللَّه عنه قالَ: قَالَ لي رسولُ اللَّه ﷺ: «يا بُنَيَّ، إذا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ، فَسَلِّمْ، يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

۞ ۞ ۞

---

(١) «ارْجِعْ فَصَلِّ» قاله ﷺ للأعرابي الذي ما كان يعتدل في صلاته، وهو المشهور عند المحدِّثين بحديث «المسيء صلاته» لعدم اطمئنانه في الركوع والسجود.

بابٌ في السّلام على الصّبيَان

٨٦٠ ـ عن أنس رضي اللَّه عنه «أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ[١]»، وقال: كَانَ رسولُ اللَّه ﷺ يَفْعَلُهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁ ❁ ❁

بابٌ في سَلام الرّجل على زوجتِهِ والمرأة من مَحارِمه وعلى أجنبية وأجنبيات لا يخاف الفتنة بهن وسلامهن بهذا الشرط

٨٦١ ـ عن سَهْلِ بن سَعْدٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قال: «كَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ ـ وفي روايةٍ: كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ ـ تَأْخُذُ مِنْ أُصُولِ السِّلْقِ فَتَطْرَحُهُ فِي القِدْرِ، وَتُكَرْكِرُ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ[٢]، فَإِذا صَلَّيْنَا الجُمْعَةَ، وَانْصَرَفْنَا، نُسَلِّمُ عَلَيْهَا، فَتُقَدِّمُهُ إِلَيْنَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، قوله «تُكَرْكِرُ» أي: تَطحَنُ.

٨٦٢ ـ وَعَنْ أُمِّ هَانِىءٍ «فَاخِتَة بِنتِ أَبي طالب» رضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ يَوْمَ الفَتْحِ وَهُوَ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبٍ، فَسَلَّمْتُ» وذكَرتِ الحديث. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٨٦٣ ـ وعن أَسماءَ بنتِ يزيد رضي اللَّه عنها قالت: «مَرَّ عَلَيْنَا النبيُّ ﷺ في نِسْوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا» رَوَاهُ أَبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسنٌ.

وهذا لفظ أَبي داود، ولفظ التِّرمِذِيُّ: «أَنَّ رسول اللَّهِ ﷺ مَرَّ في المَسْجِدِ يَوْماً، وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعُودٌ، فَأَلْوَى بِيَدِهِ بِالتَّسْلِيمِ».

❁ ❁ ❁

---

(١) «سَلَّمَ عَلَى صِبْيَانٍ» أي أطفال صغار دون البلوغ، والسلام على الأطفال تأنيسٌ لهم، وتدريبٌ لهم على الآداب الفاضلة، وهذا من خُلق الرسول ﷺ مع الأطفال والرجال، فقد كان يؤانس الجميعَ صلوات الله وسلامه عليه.

(٢) «تُكَرْكِرُ حبّات» أي تطحن بعض الشعير، فتضعه في قدرٍ مع السّلق تطبخه، وتقدّمه طعاماً لأهل الصُّفة، وهذا يدل على شدة البؤس والفقر، الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ.

بابٌ في تحريم ابتدائنا الكافر بالسَّلام وكيفية الردّ عليهم واستحباب السلام على أهل مجلسٍ فيهم مسلمون وكفار

٨٦٤ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللّه عنه، أَنّ رسول اللّه ﷺ قال: «لا تَبْدَؤُوا اليَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ[١]، فَإِذَا لقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في طَرِيق فَاضطَرُّوهُ إلى أَضيَقِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٨٦٥ ـ وعن أنسٍ رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إذا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهلُ الكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

٨٦٦ ـ وعن أُسَامَةَ رضي اللّه عنه «أَنّ النبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ، عَبَدَةِ الأوثَانِ وَاليَهُودِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النبيُّ ﷺ» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في استِحباب السَّلام إذا قام منَ المجلس وفارق جلساءه أو جليسه

٨٦٧ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إِذَا انتَهى أَحَدُكُمْ إِلى المَجْلِسِ فَليُسَلِّم، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأولى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَة» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

۞ ۞ ۞

---

(١) «لَا تَبْدَءُوا اليَهُودَ بِالسَّلَام» السلامُ فيه تكريمٌ للإنسان، واليهودُ أعداءُ اللّه والإنسانية، فكيف يبدأهم المسلم بالسلام، وقد أهانهم اللّه وأذلّهم؟ ومثلُهم النصارى، أمّا إذا سلّموا فنردُّ عليهم التحية.

(٢) «فَقُولُوا وعَلَيْكُمْ» السببُ في ذلك، أنهم لا يقصدون بسلامهم الخير للمسلمين، إنما يقصدون السوء والشرّ، فيقولون: «السّامُ عليكم» يعنون به الموتَ، فنردُّ عليهم بقولنا: «وعليكم» أي ما تقصدونه به عليكم، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن اليهود إذا سلّموا عليكم يقول أحدهم: السّامُ عليكم، فقولوا: وعليكم» رواه مسلم.

باب في الاستئذان وآدابه

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النور: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: ٥٩].

٨٦٨ ـ وعن أَبي موسى الأَشْعَرِيّ رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلا فَارجع» مُتَّفَقٌ عليه.

٨٦٩ ـ وعن سهل بن سعدٍ رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: « إِنَّمَا جُعِلَ الاستئذَانُ مِنْ أَجْلِ البَصر» مُتَّفَقٌ عليه.

٨٧٠ ـ وعن رِبْعِيّ بن حِرَاشٍ قال: حَدَّثَنَا رَجُلٌ من بَني عَامِرٍ « أنه اسْتَأْذَنَ على النبي ﷺ وَهُوَ في بيتٍ، فقال: أَأَلِج؟ فقال رسولُ اللّه ﷺ لِخَادِمِهِ: أخرج إلى هذا فَعَلِّمهُ الاستئذَان، فَقُل لَهُ: قُلْ: السَّلامُ عَلَيْكم، أَأَدْخُلُ؟ فَسَمِعَهُ الرَّجل فقال: السَّلامُ عَلَيْكم، أَأَدْخُلُ فَأَذِنَ له النَّبيُّ ﷺ، فدخل» رَوَاهُ أَبو داود بإسناد صحيح.

٨٧١ ـ عن كِلْدَةَ بنِ الحَنبل رضي اللّه عنه قال: « أَتَيتُ النَّبيَّ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيهِ ولم أُسَلِّم، فقال النبي ﷺ: ارْجع فقل السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَأَدخُلُ؟» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

❁ ❁ ❁

باب في بَيان أَنّ السُّنة إذا قيل للمستأذن مَن أَنت؟ أن يقول: فلان فيسمي نفسه بما يُعرَف به من اسم أو كُنية وكراهة قوله «أنا» ونحوها

٨٧٢ ـ عن أنسٍ رضي اللّه عنه في حديثه المشهورِ في الإسراءِ قال: قال رسول اللّه ﷺ: « ثُمَّ صَعِدَ بِي جبْريلُ إلى السَّمَاءِ الدُّنيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قال: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قال: مُحَمَّدٌ. ثُمَّ صَعِدَ إلى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ وَسائِرِهِنَّ، وَيُقَالُ في بَابِ كُلِّ سَماءٍ: مَنْ هذا؟ فَيَقُولُ: جِبْرِيلُ» مُتَّفَقٌ عليه.

٨٧٣ ـ وعن أبي ذَرٍّ رضي اللَّه عنه قال: «خَرَجْتُ لَيْلَةً مِن اللَّيالي، فإذا رسول اللَّه ﷺ يَمْشي وَحْدَهُ، فَجَعَلْتُ أمْشِي فِي ظِلِّ القَمَرِ، فَالْتَفَتَ فَرَآنِي فقال: «مَنْ هَذَا؟» فقلتُ: أبو ذَرٍّ» مُتَّفَقٌ عليه.

٨٧٤ ـ وعن أُمِّ هَانِيءٍ رضي اللَّه عنها قالتْ: «أتَيْتُ النبي ﷺ وَهُوَ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ، فقال: مَنْ هَذِهِ؟ فقلتُ: أَنَا أُمُّ هَانِيءٍ» مُتَّفَق عليه.

٨٧٥ ـ وعن جابر رضي اللَّه عنه قال: أتَيْتُ النبيَّ ﷺ فَدَقَقْتُ البَابَ، فقال: «مَنْ ذَا؟» فقلتُ: أنَا، فقال: «أنَا أنَا؟! كَأنَّهُ كَرِهَهَا» مُتَّفَق عليه.

❁ ❁ ❁

بابٌ في استِحباب تشميت العاطِس إذا حَمد الله تعالى وكراهة تشميته إذا لم يحمد الله تعالى وبيان آداب التشميت والعطاس والتثاؤب

٨٧٦ ـ عن أبي هُريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ، أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إن اللَّهَ يحِبّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ[1]، فَإذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللَّه تَعالى، كَانَ حَقّاً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقولَ لهُ: يَرحَمُكَ اللَّه، وَأمَّا التَّثَاؤُب فَإنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإذا تَثَاءَبَ أحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ ما اسْتَطَاعَ، فَإنَّ أحَدَكُمْ إذا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنهُ الشَّيْطانُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٨٧٧ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا عَطَسَ أحَدُكُمْ فَلْيَقُل: الحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أخُوهُ أوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّه، فإذا قال لهُ: يَرْحَمُكَ اللَّه، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّه وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٨٧٨ ـ وعن أبي موسى رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقولُ: «إذَا عَطَسَ أحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّه فَشَمِّتُوهُ، فَإنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّه فَلَا تُشَمِّتُوهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «يحبُّ العُطَاسَ ويَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ» إنما كان العطاس محبوباً عند اللَّه، لأنَّ فيه دفعَ الأذى عن الإنسان، أما التثاؤب فدليلُ الخمول والكسل.

٨٧٩ ـ وعن أنس رضي اللَّه عنه قال: « عَطَسَ رَجُلانِ عِنْدَ النبي ﷺ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ، فقال الَّذي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَس فُلان فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي؟ فقال: « هذا حَمِدَ اللَّه، وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللَّه» مُتَّفَقٌ عليه.

٨٨٠ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: « كان رسول اللَّه ﷺ إذا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ، وَخَفَضَ ـ أَوْ غَضَّ ـ بِهَا صَوْتَهُ» شَكَّ الراوي. رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٨٨١ ـ وعن أبي موسى رضي اللَّه عنه قال: « كان اليَهودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ رسول اللَّهِ ﷺ، يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لهمْ: يَرْحَمُكُمُ اللَّه، فيقولُ: يهْدِيكمُ اللَّه وَيُصْلِحُ بَالكم» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٨٨٢ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: « إذا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في استِحباب المصَافحة عِند اللِقّاء وَبشاشةِ الوَجْه وتقبيل يد الرجل الصالح وتقبيل ولده شفقة ومعانقة القادم من سفر وكراهية الإنحناء

٨٨٣ ـ عن أبي الخَطَّابِ قَتَادَةَ قال: قلتُ لأَنَسٍ: « أَكَانَتِ المُصَافَحَةُ فِي أَصْحَابِ رسولِ اللَّه ﷺ؟ قال نَعَمْ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

٨٨٤ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه قال: « لمَّا جَاءَ أَهْلُ اليَمَنِ، قال رسول اللَّهِ ﷺ: قَدْ جَاءَكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ بالمُصَافَحَةِ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيح.

٨٨٥ ـ وعن البَرَاءِ رضي اللَّه عنه قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: « ما مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ، إلا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا» رَوَاهُ أبو داود.

٨٨٦ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّه عنه قال: « قالَ رَجُلٌ: يا رسول اللَّهِ، الرَّجُلُ

مِنَّا يلقى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ، أَيَنْحَنِي لَهُ؟ قال: لا، قال: أفيلتزمه ويُقَبِّله؟ قال: لا، قال: فَيأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قال: نَعَمْ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

٨٨٧ ـ وعن صَفْوَانَ بن عَسَّالٍ رضي اللَّه عنه قال: «قال يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بنَا إِلَى هذا النَّبِيِّ[١]، فَأَتَيَا رسولَ اللَّه ﷺ، فَسَأَلاهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ـ فَذَكَرَ الحَدِيثَ[٢] إلى قَوْلِهِ ـ فَقَبَّلا يَدَهُ وَرِجْلَهُ، وَقالا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وغيره بأسانيد صحيحةٍ.

٨٨٨ ـ وعن ابن عمر، رضي اللَّه عنهما، قِصةٌ[٣] قال فيها: «فَدَنَوْنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَبَّلْنَا يَدَهُ» رَوَاهُ أبو داود.

٨٨٩ ـ وعن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «قَدِمَ زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ المَدِينَةَ

---

(١) «إلى هذا النبيّ» أراد اليهود أن يمتحنوا النبي ﷺ، ليتبيَّنوا بعض معجزاته الدالة على رسالته ﷺ.

(٢) «تسع آيات» قال الطِّيبي: كان عند اليهود عشر كلمات، تسع منها مشتركة بينهم وبين المسلمين، وواحدة مختصَّة بهم، فسألوا عن التسع المشتركة فقال لهم ﷺ: «لا تشركوا باللَّه شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم اللَّهُ إلا بالحقّ، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تولُّوا الفرار يوم الزحف ـ يعني الحرب ـ وعليكم خاصة أيها اليهود ألا تَعْدوا في السبت» وهذه موجودة في التوراة، وهي متفقة مع القرآن، ما عدا الأخيرة فإنها خاصة باليهود، فعند ذلك شهدوا له بالنبوة، وقبلوا يده ورجله.

(٣) أما القصة فهي ما رواه أبو داود في كتاب الجهاد عن ابن أبي ليلى، أن ابن عمر رضي اللَّه عنه حدَّثه «أنه كان في سرِيَةٍ من سرايا رسول اللَّه ﷺ، فحاص الناس حَيْصَةً ـ أي هربوا فزعاً من الأعداء ـ فكنت ممن حَاصَ، فلما رجعنا قلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزَّحف ـ أي المعركة ـ وبُؤنا بالغضب؟ فقلنا: ندخل المدينة فنتنـلُّ منها لنذهب فلا يرانا أحد!؟ قال: فدخلنا فقلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول اللَّه ﷺ، فإذا كانت لنا توبة أقمنا، وإن كان غير ذلك ذهبنا!!

قال: فجلسنا لرسول اللَّه ﷺ قبل صلاة الفجر، فلما خرج قمنا إليه فقلنا يا رسول اللَّه: نحن الفارُّون! فأقبل إلينا فقال: بل أنتم الكارُّون وأنا فئتكم!! قال: فدنونا من النبي ﷺ فقبَّلنا يده» رواه أبو داود.

وهذا الحديث والذي قبله يدلُّ دلالة واضحة، على جواز تقبيل يد العالم المتقي للَّه، على أن لا يُتَّخذ ذلك عادة، وأما ما يقوله بعض الناس: إنه لا يجوز تقبيل اليد، لأن فيه سجوداً لغير اللَّه وهو محرَّم، فهذا من سوء الفهم، وقلة العلم، فأين هو السجود لغير اللَّه في تقبيل يد الوالد، أو العالم، أو السلطان العادل؟ أجارنا اللَّه من سوء الفهم والغباء!!

ورسول اللّه ﷺ في بَيْتِي، فَأَتَاهُ فَقَرَعَ البَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ النبيُّ ﷺ يَجُرُّ ثَوبَهُ، فَاعْتَنَقَهُ وقبَّله» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

٨٩٠ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي اللّه عنه، قال: قال لي رسولُ اللّهِ ﷺ: «لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٨٩١ ـ وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: «قبَّلَ النبيُّ ﷺ الحسنَ بْنَ عَليٍّ رضي اللّه عنهما، فقال الأَقْرَعُ بن حَابِسٍ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَداً، فقالَ رسولُ اللّه ﷺ: «مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ!» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

(١) «وجه طليق» أي وجه بشوش ليس فيه عبوس، تظهر منه الفرحة، والحبُّ لأخيك المسلم، وتقطر منه علامات الرضى والسرور.

كتاب عيادة المريض وتشييع الميت والصلاة عليه وحضور دفنه والمكث عند قبره بعد دفنه

بابٌ في عيَادة المريض

٨٩٢ ـ عن البَرَاءِ بن عازبٍ رضي اللَّه عنهما قال: «أَمَرَنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ بعِيَادَةِ المَرِيض، وَاتِّبَاعِ الجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِبْرَارِ المُقْسِمِ[1]، وَنَصْرِ المَظْلُوم، وَإِجَابَة الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلام» مُتَّفَقٌ عليه.

٨٩٣ ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «حَقُّ المُسْلِم عَلَى المُسْلِم خَمْسٌ: رَدُّ السَّلام، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٨٩٤ ـ وعنه رضي اللَّه عنه قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي[2]! قال: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي! قال: يَا رَبِّ كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَال: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَه لَوَجَدْتَ ذَلكَ عِنْدي؟ يَا ابْنَ آدَمَ

---

(١) «إِبْرَارُ المُقْسِم» يعني الحالف، إذا حلف علينا أن نجيبه، ولا نتركه يحنث في يمينه، لأن ذلك يُثلج صدرَه بإجابتنا لرغبته.

(٢) «ابنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي» نَزَّل تعالى نفسَه منزلةَ عبده، تكريماً للمؤمن، واعتناءً بشأنه، أي مَرِضَ عبدي المؤمنُ فلم تزره، وكذلك قوله: «استطعمتُك» أي استطعمك عبدي، واستسقاك، والغرضُ منه بيان قدر المؤمن عند اللَّه عزَّ وجل.

اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي! قال: يَا ربِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلكَ عِنْدِي؟» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٨٩٥ ـ وعن أبي موسى رضي اللَّه عنه قال: قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «عُودُوا المَرِيضَ، وَأَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَفُكُّوا العَانِي»[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، «العَانِي»: الأَسِيرُ.

٨٩٦ ـ وعن ثَوْبَانَ رضي اللَّهُ عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ المُسْلِمَ إذا عَادَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الجَنَّة حَتَّى يَرْجِعَ[2]، قِيلَ: يا رسولَ اللَّهِ وَمَا خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قال: جَنَاهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٨٩٧ ـ وعن عَلِيٍّ رضي اللَّه عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِماً غُدْوَةً إلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْف مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِي، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إلا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الجَنَّةِ» رَوَاهُ الترمِذِي وقال: حديث حسن.

«الخَرِيفُ»: الثَّمَرُ المَخْرُوفُ، أي: المُجْتَنَى.

٨٩٨ ـ وعن أنسٍ رضي اللَّهُ عَنه، قال: «كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقالَ لَهُ: أَسْلِمْ، فَنَظَرَ إلى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ؟ فقال: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابُ فيما يدعى به للمريض

٨٩٩ ـ عن عائشة رضي اللَّه عنها «أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إذا اشْتَكَى الإنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَال النَّبيُّ ﷺ بِأُصْبُعِهِ هكذا ـ وَوَضَعَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ الرَّاوي سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا ـ وقال: بِسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «فُكُّوا العَانِيَ» أي الأسير بإعتاقه لوجه اللَّه تعالى.

(٢) «فِي خُرْفَةِ الجَنَّةِ» أي في بستان الجنة، بين ثمارها وظلالها، يتمتّع بكل ما فيها من نعيم.

٩٠٠ ـ وعنها رضي اللّه عنها «أن النبيَّ ﷺ كَانَ يَعُودُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسَحُ بِيَدِهِ اليُمْنى ويقولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِب الْبَأْسَ، اشْفِ، أَنْتَ الشَّافِي، لا شِفاءَ إِلا شِفَاؤُكَ، شِفاءً لا يُغادِرُ سَقَماً»[١] مُتَّفَقٌ عليه.

٩٠١ ـ وعن أنسٍ رضي اللّه عنه، أنه قال لِثابِتٍ رحمه اللّه: «ألا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رسولِ اللّه ﷺ؟ قال: بَلى، قال: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ البَأْسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لا شَافِيَ إلا أَنْتَ، شِفاءً لا يُغادِر سَقَماً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٩٠٢ ـ وعن سعدِ بن أبي وَقّاصٍ رضي اللّه عنه، قال: «عَادَني رسولُ اللّهِ ﷺ، فقال: اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْداً، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْداً، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْداً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٩٠٣ ـ وعن أبي عبدِ اللّهِ «عثمانَ بنِ أَبي العاصِ» رضي اللّه عنه «أنهُ شَكا إلى رسول اللّه ﷺ وَجَعاً يَجِدُهُ في جَسَدِهِ، فقال له رسول اللّه ﷺ: ضَعْ يَدَكَ عَلَى الذي يَأْلَمُ مِن جَسَدِكَ، وَقلْ: بِسم اللّهِ ثَلاثاً، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللّهِ وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَرِّ ما أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٩٠٤ ـ وعن ابن عباسٍ رضي اللّه عنهما، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فقالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللّهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ!! إلا عَافَاهُ اللّهُ مِنَ ذلكَ المَرَضِ» رَوَاهُ أبو داود والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن، وقال الحاكِم: حديث صحيح على شرطِ البخاري.

٩٠٥ ـ وعنه رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ «أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابيٍّ يَعُودُهُ، وَكَانَ إذا دَخَلَ عَلَى مَنْ يَعُودُهُ قال: لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللّهُ»[٣] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٩٠٦ ـ وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي اللّه عنه «أن جِبْرِيلَ أَتَى النَّبيَّ ﷺ فقال:

---

(١) «لَا يُغَادِرُ سَقَماً» أي لا يترك مرضاً إلّا أذهبه، وهذه رقيةُ النبي ﷺ للمريض.

(٢) «وَأُحَاذِرُ» أي أخاف وأخشى من شرّه.

(٣) «لَا بَأْسَ طَهُورٌ» أي هو إن شاء اللّهُ مغفرة للذنوب والآثام، وقد ذُكِر في سبب ورود الحديث «أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده، فقال له: لا بأس، طهورٌ إن شاء اللّه، فقال الأعرابي عند ذلك: بل هي حُمّى تفور، على رجلٍ كبير تزيره القبور» وتأنيسُ المريض من سنن الإسلام.

يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ قال: نَعَمْ، قال: بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ[١]، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٩٠٧ ـ وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ وأبي هريرة رضيَ اللَّهُ عنهما، أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رسولِ اللَّه ﷺ أنه قال: «مَنْ قال: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فقال: لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قال: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قال: يقول: لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لا شَرِيكَ لِي، وإذا قال: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، قال: لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لِي المُلْك وَلِيَ الحَمْد، وإذا قال: لا إِلَه إِلَّا اللَّهُ ولا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ: لا إِلَه إِلَّا أَنَا ولَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي، وَكَانَ يقولُ: مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

۞ ۞ ۞

بابٌ في استحباب سؤال أهل المريض عَنْ حاله

٩٠٨ ـ عن ابن عباسٍ رضيَ اللَّهُ عنهما «أَنَّ عليَّ بن أبي طالب رضيَ اللَّهُ عنهُ خرجَ من عِنْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ في وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فقالَ النَّاسُ: يَا أَبَا الحَسَنِ، كَيفَ أَصبَحَ رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ قال: أَصْبَحَ بِحَمدِ اللَّهِ بَارِئاً»[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في ما يقوله مَن أَيِسَ مَن حَيَاته

٩٠٩ ـ عن عائشة رضيَ اللَّهُ عنها قالت: «سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَيَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي، وَارْحَمْني، وَأَلْحِقني بِالرَّفِيقِ الأَعْلى» مُتَّفَق عليه.

٩١٠ ـ وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْها قالت: «رَأَيْتُ رسولَ اللَّه ﷺ وَهُوَ بِالموْتِ،

---

(١) «بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ» أي أدعو لك بالشفاء، وهذه رقيةُ جبريل للنبي عليه الصلاة والسلام.

(٢) قوله: «بارئاً» أي معافى، وهذا من باب التفاؤل، وهو مما ينبغي لمن يُسأل عن حال مريضٍ أن يقول بمثله، حتى ولو كان المريضُ مينوساً من حياته.

عِندَهُ قَدَحٌ فِيهِ مَاءٌ، وَهُوَ يُدخِلُ يَدَهُ في القَدَحِ، ثُم يَمْسَحُ وَجْهَهُ بالماءِ، ثم يقول: اللَّهُم أَعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ المَوتِ[١] وَسَكَرَاتِ المَوْتِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في استِحباب وَصيّةِ أَهل المريض ومن يخدمه بالإحسان إليه، واحتماله والصبر على ما يشق من أمره وكذا الوصية بمن قرب سبب موته بحدّ أو قصاص ونحوهما

٩١١ ـ عن عِمرَانَ بن الحُصَيْنِ رضي اللَّه عنهما «أن امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَة أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَهِي حُبْلى مِن الزِّنَا، فقالت: يا رسولَ اللَّهِ، أَصَبتُ حَدّاً فَأَقِمهُ عَلَيَّ[٢]، فَدَعَا رسولُ اللَّهِ ﷺ وَلِيَّهَا، فقال: أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا!! فَفَعَل، فَأَمَرَ بِها النبيُّ ﷺ، فشُدَّتْ عَلَيها ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيها» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بَابٌ في جَوَازِ قَولِ المَرِيضِ أَنَا وَجِعٌ أَوْ شَدِيدُ الوَجَعِ أَوْ موعوك أَو «وارأساه» ونحو ذلك وبيان أنه لا كراهة في ذلك إذا لم يكن على سبيل التسخط وإظهار الجزع

٩١٢ ـ عنِ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللَّه عنه قال: «دَخَلْتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ وَهُوَ

---

(١) «أَعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ المَوْتِ» أي شدائده وأهواله.

(٢) «أَصَبْتُ حَدّاً» أي وقعتُ في ذنب يستوجب الحدَّ، ومرادُها «جريمة الزنى» والرجمُ عقوبةُ المحصن ـ المتزوج ـ وهي عقوبةٌ شديدة صارمة، لأن الجريمة في منتهى القباحة والشناعة، ولكنَّ إثباتها شديدٌ وعسير، إذ لا بُدَّ أن يشهد أربعة رجال عدول، يروْنَ بأعينهم الحادثةَ، ولم يحدث في زمنِ النبي ﷺ أن أُقيم حدُّ الرجم بطريق الشهود، إنما كان بطريق الإقرار، كما في حادثة «ماعز» والمرأة «الغامدية» فإذا لم يُقِرَّ الإنسانُ على نفسه، فمن شبه المستحيل أن يُقام الحدُّ بطريق الشهادة، اللَّهُمَّ إلّا إذا كان يرتكبها الشخص على قارعة الطريق، كالكلاب والبهائم، وهذه اللوثةُ القذرة تستحقُّ مثل هذا العقاب الصارم، وقد أنكر بعضُ الجهلاءِ حدَّ الرجم، وقالوا: لا يوجد في القرآن رجمٌ، وتجاهلوا فعلَ الرسول ﷺ والصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وكفى بذلك حجة قاطعة على مشروعية الرجم.

يُوعَكُ، فَمَسَسْتُهُ، فقلْتُ: إنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً[١]، فقال: أَجَلْ إنِّي أُوعَكُ كما يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنكُمْ» مُتَّفَق عليه.

٩١٣ ـ وعن سعدِ بن أبي وَقَّاصٍ رضيَ اللَّه عنه قال: «جَاءَنِي رسولُ اللَّه ﷺ يَعُودُنِي مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بي، فَقُلْتُ: لقد بَلَغَ بي ما تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إلا ابنَتِي» وذكَر الحديث، مُتَّفَقٌ عليه.

٩١٤ ـ وعن القاسم بن محمدٍ قال: «قَالَتْ عَائِشَةُ رضيَ اللَّهُ عنها: وَارَأْسَاهُ! فقال النَّبيُّ ﷺ: بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ»[٢] وذكر الحديث. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في تلقين المحتضِر لا إله إلا اللّه

٩١٥ ـ عن معاذٍ رضيَ اللَّه عنه قال: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «من كانَ آخِرَ كَلَامِهِ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّه دَخَلَ الجَنَّةَ» رَوَاهُ أبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

٩١٦ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

بابٌ فيما يقوله بَعد تغميض الميت

٩١٧ ـ عن أُمِّ سَلَمَة رضيَ اللَّهُ عنها قالت: «دَخَلَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: إنَّ الرُّوحَ إذا قُبِضَ، تَبِعَه البَصَرُ،

---

(١) «تُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً» الوَعْكُ: شِدَّةُ ألم المرض من الحُمّى وغيرها، وإنما اشتدَّ الوجعُ على رسول اللَّه ﷺ ليزداد أجرُه وثوابُه، وترتفع درجتُه ومقامُه ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾!

(٢) «وارأسَاهُ» صيغة ندبٍ واستغاثة أي إنها تشكو من ألم رأسها!! ولهذا الحديث قصة بديعة وهي أن الرسول ﷺ قال لها: «بل أنا وارأساه!! ثم قال لها: كيف لو سبقتِني فغسّلْتُكِ ووسّدتُك بيدي في القبر؟ قالت: ما أراك إلّا من يومك تعرّس»!! رواه البخاري.

(٣) «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ» أي قولوا أمامَه: لا إله إلّا اللّه، حتى ينطق بها، ويمرِّرها على لسانه، وليس المراد أن يقولوا له: قل لا إله إلّا اللّهَ، خشية أن يجرّه الشيطانُ وهو في سكرات الموت أن يقول: لا، لا أقولها.

فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لأَبي سَلَمة، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ[١]، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالِمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فيه» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في ما يقال عند الميت وما يقوله مَن مَات له ميت

٩١٨ ـ عن أُمِّ سَلَمة رضيَ اللَّه عنها قالت: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا حَضَرْتُمُ المَرِيضَ، أَوِ المَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْراً فَإِنَّ المَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رسُولَ اللَّه، إنَّ أَبَا سَلَمة قَدْ مَاتَ، قال: قُولِي: اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي وَلَه، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبى حَسَنَةً[٢] فقلتُ: فَأَعْقَبَنِي اللَّهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ: مُحَمَّداً ﷺ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ هكذا: «إِذَا حَضَرْتُمُ المَرِيضَ أَوِ المَيِّتَ» عَلَى الشَّكِّ، وروَاهُ أبو داود وغيره: «المَيِّتَ» بلا شَكّ.

٩١٩ ـ وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْها قالت: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فيقولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ اؤْجُرْني فِي مُصِيبَتِي، وَاخْلُف لِي خَيْراً مِنْهَا!! إِلَّا أَجرَهُ اللَّهُ تَعَالى فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْراً مِنْهَا، قالت: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَة، قلتُ كما أَمَرَنِي رسولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْراً مِنْهُ رسولَ اللَّه ﷺ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٩٢٠ ـ وعن أبي موسى رضي اللَّه عنه، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ، قال اللَّهُ تعالى لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلدَ عَبْدِي، فَيقولُونَ: نَعَم، فيقولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيقولونَ: نَعَم، فَيَقُولُ: مَاذَا قال عَبْدِي، فَيقولُونَ: حَمِدَكَ

---

(١) «واخلُفه في عَقِبه» أي اجعل في ذريته، من يخلفه بالعمل الصالح، وفعل الخيرات.

(٢) «وَأَعْقِبْنِي منه عُقْبَى حَسَنَة» أي عوّضني عن زوجي بعِوَضٍ صالح، وهذا منه ﷺ إرشادٌ إلى ما يقوله الإنسان عند المصيبة، وقد استجاب اللَّه دعاءها، فعوّضها من هو خير لها من زوجها، عوّضها الرسول ﷺ، فأصبحتْ في عِداد أمهاتِ المؤمنين.

وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ تعالى: ابنُوا لِعَبْدِي بَيتاً في الجَنَّة، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمدِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

٩٢١ ـ وعن أبي هُريرةَ رضي اللَّهُ عنه، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يقُولُ اللَّهُ تعالى: ما لِعَبْدِي المُؤمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ[١] مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ إلا الجَنَّةَ»[٢] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٩٢٢ ـ عن أُسامة بْنِ زيدٍ رضِيَ اللَّهُ عَنهُما قال: «أَرْسَلَتْ إِحْدَى بَنَاتِ النَّبيِّ ﷺ إِلَيْهِ تَدْعُوهُ، وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيّاً لَهَا أَوْ ابناً فِي المَوْتِ، فقال للرَّسول: «ارجِعْ إِلَيْهَا، فَأَخبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ تَعَالى مَا أَخَذَ، وَلَهُ ما أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمّىً، فَمُرْهَا، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»[٣] وذكر تمام الحديث. مُتَّفَقٌ عليه.

۞۞۞

بابٌ في جواز البكاء على الميّت بغير ندبٍ ولا نياحة

أَمَّا النِّيَاحَةُ فَحَرَامٌ وَسَيَأتِي فِيهَا بَابٌ فِي كِتَابِ النَّهْي، إِنْ شَاءَ اللَّه تعالى، وَأَمَّا البُكاءُ فَجَاءَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ بِالنَّهْيِ عَنْهُ، وَأَنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكاءِ أَهْلِهِ، وَهِيَ مُتَأَوَّلَةٌ وَمَحْمُولَةٌ عَلَى مَنْ أَوْصَى بِهِ، وَالنَّهْيُ إِنَّمَا هُوَ عَنِ البُكاءِ الَّذِي فيه نَدْبٌ، أَوْ نِيَاحَةٌ، والدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِ البُكَاءِ بِغَيْرِ نَدْبٍ وَلَا نِيَاحَةٍ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، مِنها:

٩٢٣ ـ عنِ ابنِ عُمَرَ رضي اللَّه عنهما «أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ عاد سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ، وَمَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ

---

(١) «إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ» أي حبيبه من أهل الدنيا كالولد، والزوجة، والأخ الشقيق.

(٢) «ثُمَّ احْتَسَبَهُ» أي ادَّخَرَهُ زخراً عند اللَّه، بقوله: ﴿إنَّا لِلَّهِ وإنَّا إليهِ راجعون﴾ فليس له عند اللَّه جزاءٌ إلّا الجنة.

(٣) «فَلْتَصْبِرْ ولْتَحْتَسِبْ» الصبر إنما يكون عند المصائب والشدائد، والمكاره، كفقد ولدٍ، أو حلول بلاء، والمؤمن من يجعل مصيبتَه صبراً، وعافيته شكراً، ويستسلم لحكم اللَّه وقضائه، والبكاء ليس بمحرَّم إنما المحرَّمُ هو العويل والصياحُ، ولهذا قال الرسول ﷺ: «إن اللَّهَ لا يُعَذِّبُ بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا ـ أي اللسان ـ أو يرحم» رواه البخاري ومسلم.

مَسْعُودٍ رضي اللّه عنهم، فَبَكى رسولُ اللّهِ ﷺ، فلمَّا رَأى القَوْمُ بُكاءَ رسولِ اللّهِ ﷺ، بَكَوْا، فقال: أَلا تَسْمَعُونَ؟ إنَّ اللّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدمْعِ العَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا أَوْ يَرْحَمُ وَأَشَارَ إِلى لِسَانِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٩٢٤ ـ وعن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي اللّهُ عنهما «أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ رُفِعَ إِلَيْهِ ابْنُ ابْنَتِهِ وَهُوَ في المَوْتِ، فَفَاضَتْ عَيْنا رسولِ اللّهِ ﷺ، فقال له سعدٌ: مَا هَذَا يا رسولَ اللّهِ؟! قال: هَذِهِ رحمةٌ جَعَلَهَا اللّهُ تَعَالَى فِي قُلوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَمَا يَرْحَمُ اللّهُ مِنْ عَبَادِهِ الرُّحَمَاءَ» مُتَّفَقٌ عليه.

٩٢٥ ـ وعن أنسٍ رَضِيَ اللّهُ عنه «أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ دَخَلَ عَلى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ رضي اللّه عنه، وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رسولِ اللّهِ ﷺ تَذْرِفانِ، فقال له عبدُ الرَّحمن بنُ عوْفٍ: وَأَنْت يا رسولَ اللّهِ؟! فقال: يَا ابْن عَوْفٍ إنَّها رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَها بأُخْرَى فقال: إِنَّ العَيْنَ تَدمَعُ وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إلا ما يُرْضِي رَبَّنا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمحْزُونُونَ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ، وروى مسلم بعضه.

والأحاديث في الباب كثيرة في الصحيح مشهورة واللّه أعلم.

۞ ۞ ۞

باب في الكفّ عَمّا يرى منَ الميت من مكروه

٩٢٦ ـ عن أَبي رافعٍ أَسْلَمَ مَوْلى رسولِ اللّه ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: «مَنْ غَسَّلَ مَيْتاً فَكَتَمَ عَلَيْه، غَفرَ اللّهُ لَه أَرْبَعِينَ مَرَّة» رَوَاهُ الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

۞ ۞ ۞

بابٌ في الصّلاة على الميت وتشييعه وَحضور دفنه وكراهة اتّباع النساء الجنائز

وَقَدْ سَبَقَ فَضْلُ التَّشْيِيعِ.

٩٢٧ ـ عن أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللّهُ عنه قال: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيها، فَلَهُ قِيراطٌ، وَمَنْ شَهِدَها حَتَّى تُدْفَنَ، فَلَهُ قِيرَاطَانِ، قِيلَ: وَمَا القِيرَاطَانِ؟ قال: مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ» مُتَّفَقٌ عليه.

٩٢٨ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «مَنِ اتَّبَعَ جِنَازَةَ مُسْلم إيمَاناً وَاحتِسَاباً، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيها وَيُفرَغَ مِنْ دَفنها، فَإنَّهُ يَرْجعُ مِنَ الأجْرِ بِقيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثلُ أحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيهَا، ثم رَجَعَ قَبْلَ أن تُدْفَنَ، فَإنَّهُ يرجعُ بِقِيرَاطٍ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٩٢٩ ـ وعن أُمْ عَطِيَّةَ رَضيَ اللَّه عنها قَالَتْ: «نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الجَنَائِزِ[1]، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا» مُتَّفَقٌ عليه. «وَمعناه» ولَمْ يُشَدَّد في النَّهي كَما يُشَدَّدُ في المُحَرَّمَاتِ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في استحباب تكثير المصَلّين على الجنازة وجعل صفوفهم ثلاثة فأكثر

٩٣٠ ـ عَنْ عائشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها قَالَتْ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيهِ أُمَّةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، يَبْلُغُونَ مَائَةً كُلُّهُم يَشْفَعُونَ له، إلا شُفِّعُوا فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٩٣١ ـ وعنِ ابن عباسٍ رضيَ اللَّه عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلم يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لَا يُشرِكُونَ بِاللَّهِ شَيئاً، إلا شَفَّعَهُم اللَّهُ فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٩٣٢ ـ وعن مَرْثَدِ بن عبدِ اللَّهِ اليَزَنِيِّ قال: كَانَ مَالِكُ بنُ هُبَيْرَةَ رضي اللَّه عنه إذا صَلَّى عَلَى الجنَازَةِ، فَتَقَالَّ النَّاسَ عَلَيْهَا، جَزَّأَهُمْ عَلَيها ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، ثم قال: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ثَلاثَةُ صُفُوفٍ، فَقَدْ أَوْجَبَ» رَوَاهُ أبو داود، والترمِذي وقال: حديث حسن.

❁ ❁ ❁

(١) «نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الجَنَائِزِ» تشييعُ الميِّتِ وحضورُ دفنِه، مشروعٌ للرجال، ومكروهٌ للنساء، قال تعالى في حقِّ المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدَاً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ فمن صلَّى على الميِّت، كان له من الأجر قيراطٌ واحد، وهو مثل جبل أُحُد، ومن صلى عليه وحضر دفنه، كان له قيراطان مثل الجبلين العظيمين، بشهادة خاتم المرسلين ﷺ.

بَابٌ في ما يُقرأ في صَلاةِ الجنَازَةِ

يُكَبِّرُ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ: يَتَعَوَّذ بَعْدَ الأولى، ثمَّ يَقرأُ فَاتِحَةَ الكِتَابِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النبيِّ ﷺ، فيقول: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَالأَفْضَلُ أَنْ يُتِمَّهُ بقوله: كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إبراهِيمَ . . . إلى قولِهِ: إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَلَا يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُهُ كَثيرٌ مِنَ العَوَامِّ مِنْ قَراءَتِهِم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٦] الآية فَإنَّهُ لَا تَصِحُّ صَلاتُهُ إِذَا اقتَصر عَلَيهِ، ثُمَّ يكَبِّرُ الثَّالِثَة، وَيَدعُو للمَيِّتِ وللمُسْلِمِينَ بمَا سَنَذكُرُهُ من الأحاديثِ إن شَاءَ اللَّهُ تعالى، ثم يُكَبِّرُ الرَّابعَةَ وَيَدعُو، وَمِنْ أَحْسَنِهِ: اللَّهُمَّ لَا تحرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتِنَا بَعْدَهُ، وَاغفِرْ لَنَا وَلَهُ، والمُخْتَارُ أَنه يُطَوِّلُ الدُّعاءَ في الرَّابعة خِلَافَ مَا يَعْتَادُهُ أَكْثَرُ النَّاس، لحديث ابن أبي أَوْفى الذي سَنَذْكُرُهُ إن شاءَ اللَّه تعالى، فَأَمَّا الأَدْعِيةُ المَأْثُورَةُ بَعْدَ التَّكْبِيرَة الثالثة، فمنها:

٩٣٣ ـ عن أبي عبدِ الرحمنِ «عوفِ بن مالكٍ» رضي اللَّه عنه قال: «صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جِنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ اغفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ، وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ، وَاغسِلْهُ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّه منَ الخَطَايَا، كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ منَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ داراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْه الجَنَّةَ، وَأَعِذْه منْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّار) حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذلك المَيِّتَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٩٣٤ ـ وعن أبي هُريرة، وأبِي قَتَادَةَ، وأبي إبْرَاهِيمَ الأَشْهَلِيِّ عَنْ أَبيه ـ وَأَبُوهُ صَحَابيٌّ ـ رضي اللَّه عنهم، عَنِ النبيِّ ﷺ أَنَّه صَلَّى عَلَى جِنَازَةٍ فقال: «اللَّهُمَّ اغفِرْ لحَيِّنَا وَمَيِّتِنا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرنا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَه منَّا، فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلام، وَمَنْ تَوَفَّيْته منَّا، فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمانِ، اللَّهمَّ لا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ من رواية أبي هُرَيْرَةَ وَالأَشْهَلِيِّ، ورَوَاهُ أبو داود من رواية أبي هريرة وأبي قَتَادَة.

قال الحاكم: حديث أَبي هريرة صَحيحٌ على شَرْطِ البُخَارِي وَمُسْلِمٍ.

قال الترمِذيُّ: **قالَ البخاريُّ**: أَصحُّ رواياتِ هذا الحديث روايةُ الأَشْهَلِيِّ.

قال **البخاري**: وَأَصَحُّ شيءٍ في الباب حديث عَوْفِ بن مالكٍ.

٩٣٥ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى المَيِّت، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعاءَ» رَوَاهُ أبو داود.

٩٣٦ ـ وعَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ في الصَّلاةِ عَلَى الجِنَازَةِ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّهَا، وَأَنْتَ خَلَقْتَها، وَأَنْتَ هَدَيْتَهَا لِلإِسْلام، وَأَنْتَ قَبَضْتَ رُوحَهَا، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِسِرِّهَا وَعَلانيتِها، جِئْنَاكَ شُفَعَاءَ لَهُ، فَاغْفِرْ لَهُ» رَوَاهُ أبو داود.

٩٣٧ ـ وعن وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رضيَ اللَّهُ عنه قال: صلَّى بِنَا رسولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّ فُلانَ ابْنَ فُلانٍ في ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ فِتْنَةَ القَبْرِ، وَعذَابَ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الوَفَاءِ وَالحَمْدِ، اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، إنكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ» رَوَاهُ أبو داود.

٩٣٨ ـ وعن عبد اللَّهِ بن أبي أَوْفى رضي اللَّه عنهما «أَنَّهُ كَبَّرَ عَلَى جَنَازَةِ ابْنَةٍ لَهُ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ، فَقَامَ بَعْدَ الرَّابِعَةِ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ التَّكْبِيرَتَيْنِ، يَسْتَغْفِرُ لَهَا وَيَدْعُو، ثُمَّ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ هَكَذَا».

وفي رواية: «كَبَّرَ أَرْبعاً، فَمَكَثَ سَاعَةً حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُكَبِّرُ خَمساً، ثُمَّ سَلَّمَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْنَا لَهُ: مَا هَذَا؟ فقال: إِنِّي لا أَزِيدُكُمْ عَلَى مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ، أَوْ: هكذا صَنَعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ» رَوَاهُ الحاكم وقال: حديث صحيح.

۞۞۞

بابٌ في الإسراع بالجنازة

٩٣٩ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «أَسْرِعُوا بالجنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحةً، فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُ سِوَى ذلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ» مُتَّفَقٌ عليه. **وفي روايةٍ لمُسْلِم**: «فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا عَلَيْهِ».

٩٤٠ ـ وعن أبي سعيدِ الخُدْرِيِّ رضي اللَّهُ عنه قَالَ: «كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَقُولُ: إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَها الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالحةً، قالتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالحةٍ، قَالَتْ لأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا[1] أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا؟

(١) «يَا وَيْلَهَا أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا»؟ حقائقُ غيبية، يخبر الصادقُ المصدوقُ عنها، نؤمنُ بها دون =

يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ، إلَّا الإنْسَانُ، وَلَوْ سَمِعَ الإنْسَانُ لَصَعِقَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تعجيل قضاء الدّين عَن الـميت والمبادرة إلى تجهيزه إلا أن يموت فُجَاءَةً فيترك حتى يُتَيَقَّنَ موتُهُ

٩٤١ ـ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه، عن النبيّ ﷺ قال: «نَفْسُ المُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ[١]، حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسنٌ.

٩٤٢ ـ وعن حُصَيْنِ بن وَحْوَحٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ «أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ البَرَاءِ» رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ مَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَالَ: «إنِّي لا أُرَى طَلْحَةَ إلَّا قَدْ حَدَثَ فِيهِ المَوْتُ، فآذِنُونِي بِهِ وَعَجِّلُوا بِهِ، فَإنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِجِيفَةِ مُسْلِمٍ[٢] أَنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِهِ» رَوَاهُ أبو داود.

۞ ۞ ۞

بابٌ في الموعظةِ عِند القبر

٩٤٣ ـ عن علي رَضِيَ اللّهُ عنه قال: «كُنَّا فِي جِنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ[٣] فَأَتَانا رَسُولُ اللّهِ ﷺ فقَعَدَ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَسَ وَجَعَلَ يَنْكُتُ

= تردُد، فالجنازةُ إذا كان صاحبها مؤمناً صالحاً تقول: قدّموني قدّموني، وإن كان صاحبها فاجراً قالت: يا وَيْلِي ويا هلاكي، أين تذهبون بي!؟ وعالمُ الآخرة فيه غرائب وعجائب، منها سؤالُ الملكَيْنِ له في القبر عن دينه، وربه، ونبيّه، الذي بُعث له، واختلاف أضلاع الكافر فيه، وكونُ القبر روضةً من رياض الجنة، أو حفرةً من حفر النار، ويكفي في هذا قول النبي ﷺ: «لولا أن تدافنوا لدعوتُ اللّهَ أن يُسمعكم عذاب القبر» وكل هذه حقائق لا شك فيها.

(١) «نَفسُ المُؤمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ» أي محبوسةٌ بالدَّيْنِ الذي عليه، حتى يوفّي الورثةُ عنه دَيْنَه!! فأمرُ الدَّين خطير، والحساب عليه عسير، وقد كان ﷺ إذا جاءته جنازة، سأل هل عليه دينٌ؟ فإن قالوا نعم، قال: صلُّوا على صاحبكم، وإن قالوا: لا، صلَّى عليه ﷺ!!

(٢) «لا يَنْبَغِي لِجِيفَةِ مُسْلِم» لا يراد بذلك تحقير المسلم، إنما التنبيه على ضرورة المسارعة إلى دفنه، لأن بالموت تنتفخ جثّةُ الإنسان وتعفُن، وتصير كالجيفة، فأمر ﷺ بالإسراع في دفنه.

(٣) «بقيع الغَرْقَد» مقبرة المدينة المنورة، والغرقد شجر فيه شوك.

بِمِخْصَرَتِهِ، ثم قال: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ فقالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا؟ فَقال: اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» وذكَرَ تمامَ الحديث. مُتَّفَقٌ عليه.

❁ ❁ ❁

بابٌ في الدّعاء للميت بَعْدَ دفنه والقعود عند قبره سَاعة للدعاء له والاستغفار والقراءة

٩٤٤ ـ عن أبي عَمْرو عُثْمَانَ بن عَفَّانَ رضي اللَّه عنه قال: «كَانَ النَّبيُّ ﷺ إذا فَرَغَ مِنْ دَفنِ المَيِّتِ، وَقَفَ عَلَيهِ، وقال: اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآن يُسأَلُ»[١] رَوَاهُ أبو داود.

٩٤٥ ـ وعن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه قال: «إذا دَفنتُمونِي، فَأَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزورٌ، وَيُقَسَّمُ لَحْمُها، حَتى أَسْتَأْنِسَ بِكم، وَأَعْلَمَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وقد سبق بِطُولِهِ.

قال الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّه: وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُقرَأَ عِنْدَهُ شَيءٌ مِنَ القُرْآنِ، وَإِن خَتَمُوا القُرآن عِنْدَهُ كَانَ حَسَناً[٢]

❁ ❁ ❁

---

(١) «وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ» يشير ﷺ بهذا إلى قوله سبحانه: **﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّه مَا يَشَاءُ﴾** المرادُ التثبيت عند سؤال الملَكَيْن له في القبر، كما ورد به الحديث الشريف في قوله ﷺ: «المسلمُ إذا سُئل في القبر، شهد «أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمَّداً رسول اللَّه»، فذلك قوله تعالى: **﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمنوا . . .﴾** الآية، رواه البخاري.

(٢) «أَن يُقرَأَ عِنْدَه شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ» قولُ الإمام الشافعي باستحباب قراءة شيء من القرآن عند القَبر، له وجهٌ وجيهٌ، وهو أن القرآن رحمة للأحياء والأموات، تتنزَّل عند تلاوته رحمةُ اللَّه، قال تعالى: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** وإذا كان الدعاء ينتفع به الميت، فالقرآن أولى أن ينتفع به، ثم إن في القرآن آياتٍ هي دعاء أيضاً كقوله: **﴿رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾**، فدعوى أن الثَّواب قاصرٌ على الدعاء فقط، مما لا دليل عليه، واللَّه أعلم.

بابٌ في الصّدقة عن الميت والدّعاء له

قال اللّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

٩٤٦ ـ وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا «أَنَّ رَجُلاً قال للنّبيّ ﷺ: إنَّ أُمّي افتُلِتَتْ نفسُهَا[1] وَأُرَاهَا لو تَكَلَّمَتْ، تَصَدَّقَتْ، فَهَل لَهَا أَجْرٌ إن تصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قال: نَعَمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٩٤٧ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إذَا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلَّا مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدعُو له» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في ثناء النّاسِ على الميت

٩٤٨ ـ عن أنسٍ رضي اللّه عنه قال: «مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوا عَلَيْهَا خَيْراً، فقال النبيُّ ﷺ: وَجَبَتْ، ثم مَرُّوا بأُخرَى، فَأَثْنَوا عَليها شَرّاً، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: وَجَبَتْ، فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: هَذَا أَثْنَيْتُم عَلَيْهِ خَيراً، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وهذا أَثنيتُم عليه شَرّاً، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأرْضِ»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

٩٤٩ ـ وعن أَبي الأَسودِ قال: «قَدِمْتُ المَدِينَةَ، فَجَلَسْتُ إلى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَمَرَّتْ بِهِمْ جِنَازَةٌ، فَأُثني عَلَى صَاحِبِهَا خَيْراً، فقال عُمَرُ: وَجَبَت، ثم مُرَّ بِأُخرَى، فَأُثْنِي عَلَى صَاحِبِها خَيراً، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، ثم مُرَّ بِالثَّالِثَةِ، فَأُثنِي عَلَى صَاحِبُها شَرّاً، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، قَالَ أَبُو الأَسْوَدِ: فَقُلْتُ: وما وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ قال: قُلْتُ كما قَالَ النَّبيُّ ﷺ: أَيُّمَا مُسلِم

---

(١) «افتُلِتَتْ نَفسُها» أي ماتت فجأةً قبلَ أن توصي.

(٢) «أنتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ في الأَرْضِ» أي تشهدون له بالخير والصلاح، أو تشهدون عليه بالفجور والفساد، وبذلك يستوجب الرحمة أو العذاب، وهذا معنى قول العلماء: ألسنةُ الناس أقلامُ الحقِّ!

شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَير، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ، فَقُلْنَا: وَثَلاثَةٌ؟ قال: وَثَلاثَةٌ، فقلنا: واثْنَانِ؟ قال: وَاثْنَانِ، ثُمَّ لَم نَسأَلْهُ عَنِ الواحِدِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

۞۞۞

بابٌ في فضلِ مَن مَات له أولادٌ صغار

٩٥٠ ـ عن أَنسٍ رضي اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسلِم يَمُوتُ لَه ثَلاثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ[1]، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ، بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

٩٥١ ـ وعن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَمُوتُ لأَحَدٍ مِن المُسْلِمِينَ ثَلاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، لَا تَمَسُّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

وَ«تَحِلَّةُ القَسَم» قولُ اللَّهِ تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وَالوُرُودُ: هُوَ العُبُورُ عَلَى الصِّرَاطِ، وَهُوَ جِسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَى ظَهْرِ جَهَنَّم. عَافَانَا اللَّهُ مِنْهَا.

٩٥٢ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَتِ امرأَةٌ إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ[3]، فاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوماً، نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ!! قَالَ: اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا، وَكَذَا فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ النبيُّ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: ما مِنكُنَّ مِن امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً منَ الوَلَد[4] إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَاباً منَ النَّار، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَاثْنَيْنِ» مُتَّفَقٌ عليه.

۞۞۞

---

(١) «لم يَبْلُغُوا الحِنثَ» الحِنثُ: الذنبُ، أي لم يبلغوا سنَّ الرشد والتكليف، الذي يُؤاخذون به على أعمالهم، ومعنى الحديث: لا تمسُّ النار من مات له ثلاث من الأولاد المسلمين.

(٢) «إلّا تَحِلَّة القَسَم» أي لا تَمسُّه النارُ إلّا تحليلاً لقَسَم الله عزّ وجلّ بقوله سبحانه: **﴿وإنْ منكُمْ إلّا وارِدُها كَانَ عَلَى ربِّكَ حَتماً مَقضِياً﴾** والورودُ: الدخولُ.

(٣) «ذهَبَ الرجالُ بحدِيثكَ» أي انفردوا به دوننا معشرَ النساء.

(٤) «تقدِّمُ ثلاثةً من الوَلَد» أي يموت لها ثلاثة من الأولاد، ذكوراً كانوا أو إناثاً، إلّا كانوا لها ستْراً أي وقايةً من نار جهنم.

بابٌ في البكاء والخوف
عند المرور بقبور الظالمين ومصارعهم وإظهار الافتقار إلى الله تعالى والتحذير من الغفلة عن ذلك

٩٥٣ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لأَصْحَابِهِ ـ يَعْنِي لَمَّا وَصَلُوا الحِجْرَ ـ دِيَارَ ثَمُودَ ـ: لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاءِ المُعَذَّبِينَ[١] إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ[٢]، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا باكِينَ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لَا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ قال: لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالحِجْرِ قال: «لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، ثُمَّ قَنَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، رَأْسَهُ[٣] وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الوَادِي» أي قطعه.

❁ ❁ ❁

---

(١) «لا تَدْخُلُوا على هَؤُلاءِ المُعَذَّبِينَ» يراد بهم قوم صالح الذين أُهلِكُوا بصيحةٍ من السماء من فوقهم، ورجفةٍ ـ أي زلزلة ـ شديدة من تحت أقدامهم، فأصبحوا جثثاً هامدة.

(٢) «إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ» أي ادخلوا ديارَهم وأنتم تبكون!! وفي الحديث الإشارة إلى أنه ينبغي للإنسان الاعتبار في الأسفار، بما جرى على الأمم المهلكة، بما حدث لهم من ألوان العذاب، خشية أن يحصل له ما حدث لهم.

(٣) «ثُمَّ قَنَّعَ رأسَهُ» أي غَطَّى رأسه بردائه وأسرَعَ السَّيرَ.

كتاب آداب السفر

بابٌ في استِحباب الخروج يوم الخميس واستِحبابه أوّل النّهار

٩٥٤ ـ عن كعبِ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، « أنَّ النبيَّ ﷺ خَرَجَ في غَزْوَةِ تَبُوكَ يَوْمَ الخَمِيسِ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الخَمِيسِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية في «الصحيحين»: « لقَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ إِلّا فِي يَوْمِ الخَمِيسِ».

٩٥٥ ـ وعن صَخْرِ بْنِ وَدَاعَةَ الغامِدِيِّ الصَّحَابيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي في بُكُورها، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيشاً بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ تَاجِراً، فَكَانَ يَبعَثُ تِجَارَتَهُ أَوَّلَ النَّهارِ، فَأَثْرى وَكَثُرَ مَالُهُ» رَوَاهُ أَبو داود والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسن.

❁ ❁ ❁

بابٌ في استِحباب طلب الرفقة وتأميرهم على أنفسهم واحداً يطيعونه

٩٥٦ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ مِنَ الوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٩٥٧ ـ وعن عمرِو بن شُعَيْبٍ، عن أبيه، عن جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ[1]، وَالرَّاكِبَان شَيطَانَانِ، وَالثَّلاثَةُ رَكبٌ» رَوَاهُ أبو

(١) « الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ» يريد أن سفر الإنسان منفرداً من فعل الشيطان، وأمرٌ يحبه الشيطان، وهو حثٌّ على اجتماع الرُّفقة في السفر، ويؤيده الحديث الذي قبله « لو يعلم الناس من الوَحْدَة ما أعلم، ما سار راكب بليل».

داود، والتِّرمِذِيُّ، والنسائي بأسانيد صحيحة، وقال التِّرمِذِيُّ: حديثٌ حسنٌ.

٩٥٨ ـ وعن أبي سعيدٍ وأَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهم»[1] حديث حسن، رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ حسن.

٩٥٩ ـ وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ[2]، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُمَائِةٍ، وَخَيْرُ الجُيُوش أَرْبَعَةُ آلافٍ، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشْرَ أَلفاً منْ قِلَّةٍ» رَوَاهُ أبو داود والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

۞ ۞ ۞

بابٌ في آداب السّير والنزول والمبيت والنوم في السفر واستحباب السُّرَى والرفق بالدواب ومراعاة مصلحتها وأَمْر من قصَّر في حقها بالقيام بحقها وجواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك

٩٦٠ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا سَافَرْتم فِي الخِصْبِ فَأَعْطُوا الإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الأَرض، وَإِذا سَافَرْتُمْ في الجَدْبِ، فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ، وَبَادرُوا بِهَا نِقْيَهَا، وَإِذَا عَرَّسْتُم، فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ، فَإِنَّهَا طرُقُ الدَّوَابِّ، وَمَأْوَى الهَوَامِّ بِاللَّيْلِ» رَوَاهُ مُسْلِم.

مَعْنَى: «أعطُوا الإِبِلَ حَظها مِنَ الأَرْضِ» أَيْ: ارْفُقوا بِهَا فِي السَّيْرِ لِتَرْعَى فِي حَالِ سَيْرِهَا، وقوله: «نِقْيَها» هو بكسر النون، وإسكان القاف، وبالياء المثناة من تحتُ وهو: المُخُّ، معناه: أَسْرِعُوا بِهَا حتى تَصِلُوا المَقصِدَ قَبلَ أَنْ يَذهَبَ مُخُّها مِنْ ضَنكِ السَّيْرِ. وَ «التَّعْرِيسُ»: النزُولُ في الليْل.

٩٦١ ـ وعن أَبي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قَالَ: «كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا كانَ

---

(١) «فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ» أي يجعلوه أميراً عليهم يرجعون إلى مشورته ورأيه، وهذا من السياسة الحكيمة في سفر الجماعة، لتدوم بينهم الألفةُ والتعاون.

(٢) «خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ» أي خيرُ الصُّحْبَةِ من المسافرين، أن يكونوا أربعة فأكثر، ليتعاونوا ويقوم كل واحدٍ منهم بنصيبه من العمل.

فِي سَفَرٍ، فَعَرَّسَ بلَيْلٍ[١]، اضْطَجَعَ عَلَى يَمِينِهِ، وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ[٢] نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قال العلماءُ: إِنَّمَا نَصَبَ ذِرَاعَهُ لِئَلَّا يَسْتَغْرِقَ فِي النَّوْمِ، فَتَفُوتَ صَلاةُ الصُّبْحِ عَنْ وَقْتِهَا أَوْ عَنْ أَوَّلِ وَقْتِهَا.

٩٦٢ ـ عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهُ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ[٣]، فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ حسن.

«الدُّلْجَة»: السَّيْرُ فِي اللَّيْلِ.

٩٦٣ ـ وعن أبي ثعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّاس إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلاً تَفَرَّقُوا في الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ، فقالَ رسول اللَّه ﷺ: إنَّ تَفَرُّقَكُمْ في هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذلكُمْ مِنَ الشَّيْطَان! ، فَلَمْ يَنْزِلُوا بَعْدَ ذلكَ مَنْزِلاً إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إلى بَعْض» رَوَاهُ أبو داود بإسناد حسن.

٩٦٤ ـ وعَنْ سَهلِ بنِ عمرو الأَنْصَارِيِّ المَعْروفِ «بابنِ الحَنْظَلِيَّةِ»، وَهُوَ منْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، رَضي اللَّه عنه، قالَ: «مرَّ رسول اللَّهِ ﷺ ببَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ ببَطْنِهِ[٤]، فقال: اتَّقُوا اللَّهَ في هذه البَهائمِ المُعْجَمَةِ[٥]، فَارْكَبُوهَا صَالحَةً[٦]، وكُلُوهَا صَالحَةً»[٧] رَوَاهُ أبو داود بإسناد صحيح.

٩٦٥ ـ وعَنْ أَبي جَعفرٍ «عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ» رَضِيَ اللَّه عنهما، قالَ:

---

(١) «فَعرَّسَ بِلَيْلٍ» أي نام من أول الليل مبكِّراً، نام على جنبه الأيمن.

(٢) «وإِذَا عَرَّس قُبَيْلَ الصُّبْحِ» أي نام متأخِّراً قُبيل الصبح، نَصَبَ ذراعه لئلا يستغرقَ في النوم.

(٣) «عَلَيْكُمْ بالدُّلْجةِ» أي السير من أولِ الليل، حيثُ يكون المسافر في نشاطٍ، فتُطْوَى له الأرضُ، ببركة امتثال أمر النبي ﷺ.

(٤) «بَعيرٌ لَحِقَ بَطْنُه بِظَهْرِهِ» أي التصق بطنُه بظهره من الجوع والتعب.

(٥) «البَهَائِم المُعْجَمَة» وُصفت بأنها مُعجمة لأنها لا تتكلم، ولا تتحدَّث بما تلاقيه من متاعب وآلام.. وإذا كانت هذه وصيةُ الرسول ﷺ بالدواب والبهائم، فكيف بمن يُرْهِقُ العبيدَ والخدمَ بما لا يطيقون من الأعمال!؟ وقد قال ﷺ: «ولا تُكلِّفوهم ما يغلِبُهم فإن كلَّفتموهم فأعينوهم»!؟

(٦) «ارْكَبُوهَا صَالِحَةً» أي قوية مرتاحة غير متعبة، لأنها روح تتأثر كما يتأثر الإنسانُ.

(٧) «وكُلُوها صَالِحَةً» أي كلوا لحومها وهي صحيحة مذبوحة الذبح الشرعي، الذي هو راحة للحيوان، كما قال عليه أفضل الصلاة والتسليم: «وَلْيُحِدَّ أحدكم شَفْرَته، ولْيُرِح ذبيحَته» وهذا من فضل اللّه على الإنسان، حيث سخَّر له هذه الأنعام.

«أَرْدَفني رسول اللّه ﷺ ذاتَ يَوْم خَلْفَه، وَأَسَرَّ إليّ حَدِيثاً لا أُحَدِّث بِهِ أَحَداً مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسول اللّه ﷺ لِحَاجَتِهِ، هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ. يَعْنِي: حَائِطَ نَخْلٍ»(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ هكذا مختصراً.

وزاد فِيهِ البَرْقاني بإسناد مسلم ـ «فَدَخَلَ حَائطاً لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ(٢)، فَإذَا فِيهِ جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى رَسولَ اللّه ﷺ، جَرْجَرَ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ(٣)، فَأَتَاهُ النبيُّ ﷺ فَمَسَحَ سَرَاتَهُ ـ أَي: سنامَهُ ـ وَذِفْرَاهُ فَسَكَنَ(٤)، فقال: «مَنْ رَبُّ هَذَا الجَمَلِ، لِمَنْ هَذَا الجَمَلُ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ، فقالَ: هذا لي يا رسولَ اللّهِ! قالَ: أَفَلا تَتَّقِي اللّهَ فِي هَذِهِ البَهِيمَةِ التي مَلَّكَكَ اللّهُ إِيَاهَا؟ فإنَّهُ يَشْكُو إليّ أنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»(٥).

قولُهُ: «ذِفرَاهُ» هو بكسر الذال المعجمة وإسكان الفاءِ، وهو لفظٌ مفردٌ مؤنثٌ، قالَ أَهْلُ اللُّغَة: الذِّفْرَى: المَوْضِعُ الذي يَعْرَقُ مِنَ البَعِيرِ خَلْفَ الأُذنِ، وقوله: «تُدْئِبُهُ» أَيْ: تُتْعِبُهُ.

٩٦٦ ـ وعن أنسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ قال: «كُنَّا إِذَا نَزَلْنَا مَنزِلاً، لَا نُسَبِّحُ حَتَّى نَحُلَّ الرِّحَالَ»(٦) رَوَاهُ أبو داود بإسناد على شرط مسلم.

وقوله: «لا نُسَبِّحُ»: أَيْ لا نُصَلِّي النَّافِلَةِ، ومعناه: أَنَّا ـ معَ حِرْصِنا عَلَى الصَّلاةِ ـ لا نُقَدِّمُها عَلَى حَطِّ الرِّحالِ وَإِرَاحَةِ الدَّوَابِّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في إعانة الرفيق

في البابِ أحاديثُ كثيرةٌ تقدّمتْ كحديثِ: «وَاللّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ

---

(١) «هَدَف أو حَائِشُ نَخْلٍ» الهَدَفُ: ما ارتفع من الأرض، أي كان أحبَّ شيء لقضاء حاجته، أن يستتر بشيء عظيم مرتفع عن الأرض، أو بسياج من شجر النخيل.

(٢) «دَخَلَ حَائِطاً لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ» أي دخل بستاناً لرجل أنصاري.

(٣) «جَرْجَرَ وذَرَفَتْ عَيْنَاهُ» أي صاح الجملُ باكياً مشتكياً لرسول اللّه ﷺ من ظلم صاحبه، وهذه إحدى معجزاته عليه السلام، حيث اشتكى له الجمل، وحَنَّ له الجِذْعُ.

(٤) «فَمَسَحَ سَرَاتَه وذِفْرَاهُ» أي مسحَ ﷺ سَنَمَ الجمل، وجانِبَيْ أذنيه، فهدأتْ نفسُ الجَمَلِ.

(٥) «يَشْكُو إليَّ أنَّكَ تُجِيعُهُ وتُدْئِبُهُ» أي شكا إليّ الجملُ أنك لا تقدّم له ما يكفيه من الطعام، فيبقى جائعاً، وترهقُه وتُتعبه بكثرة العمل.

(٦) «لا نُسَبِّحُ حتى نَحُلَّ الرِّحالَ» أي لا نُصَلّي النافلة، حتى نُريحَ الإبلَ برفع الأثقال عن ظهورها، وهي دعوةٌ إلى الرفق بالحيوان.

العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ». وحديث: «كلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقة» وَأَشْبَاهِهِمَا.

٩٦٧ ـ وعن أبي سعيدَ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ إذ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحلةٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَضْرِفُ بَصَرَه يَمِيناً وَشِمَالاً[١]، فَقَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ[٢]، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلى مَنْ لَا ظَهْرَ له، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلُ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَاد له[٣]. فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَاف المال ما ذَكَرَهُ، حَتَّى رَأَيْنَا: أَنَّهُ لَا حَقَّ لأَحَدٍ منا في فضلٍ[٤]» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٩٦٨ ـ وعَنْ جابرٍ رضيَ اللَّهُ عَنهُ، عَنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَغْزُوَ، فقال: «يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ! إنَّ مِنْ إخْوَانِكُمْ قَوْماً، لَيْسَ لَهُمْ مَالٌ، وَلَا عَشِيرَةٌ، فَلْيَضُمَّ أَحَدكم إلَيْهِ الرَّجُلَيْنِ، أَوِ الثَّلَاثَةَ، فَما لأَحَدِنَا مِنْ ظهرٍ يَحْمِلُهُ إلا عُقْبَةٌ كَعُقْبَةِ أَحَدهِمْ، قال: فَضَمَمْتُ إِلَيَّ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً، مَا لي إِلَّا عُقْبَةٌ، كعقبَةِ أَحَدهِمْ[٥] مِنْ جَملي» رَوَاهُ أبو داود.

٩٦٩ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ رسول اللَّهِ ﷺ يَتَخَلَّف في المَسِيرِ، فَيُزْجِي الضَّعِيفَ[٦] وَيُرْدِفُ وَيَدْعُو له» رَوَاهُ أبو داود بإسناد حسن.

۞ ۞ ۞

بابٌ في مَا يقول إذا ركب دابته للسَّفر

قالَ اللَّه تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ[٧] ثُمَّ

---

(١) «جَعَلَ يَضْرِفُ بَصَرَهُ يَمِيناً وَشِمَالاً» أي يردِّد بصره نحو القوم يميناً وشمالاً، كأنه جائعٌ محتاجٌ يبحث عن الطعام.

(٢) «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ» أي ما يزيد على حاجته من دوابّ الركوب فلْيُركب أخاه.

(٣) «ومن كان له فَضْلُ زَادٍ» أي ما يزيد على حاجته من الطعام، فليطعم أخاه، وهذا كلّه من باب «المواساة» التي تربط بين القلوب بالمحبة والإخاء، وتجعل المسلمين إخوةً متحابين، متعاونين في السراء والضراء.

(٤) «لَا حَقَّ لأحدٍ في فَضْلٍ» أي في الزائد عن حاجته من مطعم، ومركب، وملبس.

(٥) «كَعَقَبَة أَحَدِهِمْ» أي كنا نركب البعير اثنين أو ثلاثة، ليس لأحدنا مكانٌ إلّا ما يكون خلف ظهر الآخر، وفي عَقِبه أي وراءه.

(٦) «فَيُزْجِي الضَّعِيفَ» أي يحثُّه على السير أمامه، ويركبه خلفه ويؤانسه.

(٧) **﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾** أي لتركبوا على ظهور هذه الأنعام، وتذكروا نعمة اللّه عليكم بتسخيرها لكم، ومعنى ﴿مقرنين﴾ أي مطيقين لركوبها لأنها أعظمُ وأضخمُ جسماً من الإنسان.

تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الزخرف: ١٢ ـ ١٤].

٩٧٠ ـ وعنِ ابنِ عمر رَضِيَ اللَّه عنهما «أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كانَ إذا اسْتَوى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجاً إلى سَفَر، كَبَّرَ ثَلاثاً، ثمَّ قَالَ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا البِرَّ وَالتَّقوَى، وَمِنَ العَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هذا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ في الأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ[1]، وَكَآبَةِ المَنظَرِ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ فِي المَالِ وَالأَهْلِ وَالوَلَدِ، وَإِذَا رَجَعَ قَالهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: آيبونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. **معنى** «مُقرِنِينَ» مُطِيقِينَ، «وَالوَعْثَاءُ» الشِّدَّة، وَ «الكَآبَة» بِالمَدِّ، وَهِيَ: تَغَيُّرُ النَّفسِ مِنْ حُزْنٍ وَنحوه، «وَالمُنْقَلَبُ»: المَرْجِعُ.

٩٧١ ـ وعن عبد اللَّه بن سَرْجِسَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «كَانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَر، وَكَآبَةِ المُنقَلَب، وَالحَوْر بَعْدَ الكَوْر[2]، وَدَعْوَةِ المَظْلُومِ، وَسُوء المَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالمَالِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هكذا هو في صحيح مسلم: «الحَورِ بَعْدَ الكَوْن» بالنون، وكذا رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، والنسائيُّ. قال التِّرمِذِيُّ: ويروى «الكَوْر» بالراءِ، وَكِلاهُمَا لَهُ وَجه.

قالَ العُلماءُ: ومعناه بالنونِ والراءِ جميعاً: الرُّجُوعُ مِنَ الاسْتِقَامَةِ أَوِ الزِّيَادَةِ إلى النَّقْصِ. قالوا: وَروايةُ الرَّاءِ مَأْخُوذَةٌ مِنْ تَكْوِيرِ العِمَامَةِ، وَهُوَ لَفُّهَا وَجَمْعُهَا، وَروايةُ النون، مِنَ الكَوْن، مَصْدَرُ «كَانَ يَكُونُ كَوْناً» إذا وُجِدَ وَاسْتَقرَّ.

٩٧٢ ـ وعن عَلِيِّ بن رَبِيعَة قال: «شَهِدْتُ عَلِيَّ بن أَبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ في الرِّكابِ قال: بِسْمِ اللَّهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا، قال: الحَمْدُ لِلَّهِ، ثم قال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ

---

(١) «وَعْثَاءِ السَّفَرِ» أي شدائد ومتاعب السفر، وما فيه من مشقة وأهوال.

(٢) «والحَوْر بَعْدَ الكَوْر» أي الرجوع من الهدى إلى الزيغ، والانحراف عن هداية اللّه، وأصلُ الحَوْر: أن يرجع من الحالة الحسنة، إلى الحالة القبيحة.

مُقْرِنِينَ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ ثُمَّ قال: الحَمْدُ لِلَّهِ، ثَلاثَ مَرَّات، ثُمَّ قال: اللَّهُ أَكْبَرُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَال: سُبْحَانَكَ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لي، إنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أَنْتَ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قال: رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ فَعَلَ كَمَا فَعَلْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ، فقلتُ: يَا رسولَ اللَّهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَال: إنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إذا قَالَ: اغفِرْ لِي ذُنوبي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ، وفي بعض النسخ: حسنٌ صحيحٌ. وهذا لفظ أبي داود.

۞ ۞ ۞

باب تكبير المسافر إذا صَعَد الثنايا وشبهها وتسبيحه إذا هبط الأودية ونحوها والنهي عن المبالغة برفع الصوت بالتكبير ونحوه

٩٧٣ ـ عن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا إذا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإذا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٩٧٤ ـ وعنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهما قال: «كَانَ النبيُّ ﷺ وَجُيُوشُهُ إذا عَلَوُا الثَّنَايَا كَبَّرُوا، وَإذا هَبَطُوا سَبَّحوا» رَوَاهُ أبو داود بإسناد صحيح.

٩٧٥ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: «كَانَ النَّبيُّ ﷺ إذا قَفَلَ مِنَ الحَجِّ أَوْ العُمْرَةِ كُلَّمَا أَوْفَى عَلَى ثَنِيَّةٍ[1]، أَوْ فَدْفَدٍ، كَبَّرَ ثَلاثاً، ثُمَّ قال: لا إلٰهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لمسلم: «إذا قَفَلَ[2] مِنَ الجُيُوشِ، أَوِ السَّرَايَا أَو الحَجِّ أَوِ

---

(١) «أَوْفَى على ثَنِيَّة» أي علا فوق طريق مرتفعة وسط الجبال.

(٢) «قَفَل» أي رجع من السفر.

العُمْرَةِ». قولُهُ: «أَوْفى» أي: ارْتَفَعَ، وقولُهُ: «فَدْفَدٍ» بفتح الفاءَين وهو: الغَليظُ المُرْتَفِعُ مِنَ الأَرْضِ.

٩٧٦ ـ وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ «أَنْ رَجلاً قال: يا رسول اللَّهِ، إني أُريدُ أَنْ أُسَافِرَ فَأَوْصِنِي! قال: عَلَيْكَ بِتَقْوى اللَّهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ، فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ قالَ: اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ البُعْدَ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ» رَوَاهُ التِرمِذِي وقال: حديث حسن.

٩٧٧ ـ وعن أَبِي موسى الأَشْعَرَيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كُنَّا مَعَ النبيِّ ﷺ في سَفَرٍ، فَكنّا إذا أَشْرَفنَا عَلى وَادٍ هَلَّلْنا وَكَبَّرْنَا وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتنا، فَقالَ النبيُّ ﷺ: يَا أَيُّهَا النَاس ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكم[١]، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِباً، إِنَّهُ معَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ» مُتَّفَقٌ عليه. «ارْبَعُوا» بِفتحِ الباءِ الموحدةِ أي: ارْفُقوا بِأَنْفُسِكم.

⁂

بابٌ في استِحبابِ الدّعاء في السّفر

٩٧٨ ـ عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجابَاتٌ لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ المَظْلُوم[٢]، وَدعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقالَ: حديث حسن، وليس في رواية أبي داود: «على ولدِهِ».

⁂

بابٌ في ما يَدعو إذا خَافَ ناساً أَو غيرهم

٩٧٩ ـ عن أَبي موسى الأَشعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ «أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا

---

(١) «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ» أي ارفقوا بأنفسكم ولا تُرهقوها برفعِ الصوت، فإن ربكم قريب مجيب. ويستحب إذا صعد الجبل أن يكبّر، وإذا نزل الوادي أن يُسبّح، ليبقى في ذكرٍ دائم للّه تعالى.

(٢) «دَعْوَة المَظْلُوم» دعوةُ المظلوم مستجابةٌ، لأنه يركن إلى جلال اللّه وعظمته، لينصره على ظالمه، ومن استجار باللّه أجاره، قال الشاعر:

تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللّهِ لَم تَنَمِ

خَافَ قَوْماً، قال: اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نحورِهِمْ[١]، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ» رَوَاهُ أبو داود، والنسائي بإسنادٍ صحيحٍ.

❁ ❁ ❁

بَابٌ فِي مَا يَقُولُ إِذَا نَزَلَ مَنْزِلاً

٩٨٠ ـ عن خَولَةَ بنتِ حَكِيم رَضِيَ اللَّهُ عنها قالتْ: «سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: مَنْ نَزَلَ مَنزِلاً ثُمَّ قال: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَق، لَمْ يَضرَّهُ شَيْءٌ حتى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنزِلِهِ ذلكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٩٨١ ـ وعن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كَانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا سَافَرَ فَأَقْبَلَ اللَّيْلُ قال: يَا أَرْضُ، رَبِّي وَرَبُّكِ اللَّه، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكِ وَشَرِّ مَا فِيكِ، وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكَ، وَشَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ أَسَدٍ وَأَسْوَدَ[٢]، وَمِنَ الحَيَّةِ وَالعَقْرَبِ، وَمِنْ سَاكِنِ البَلَدِ[٣]، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ» رَوَاهُ أبو داود. وَ«الأَسْوَدُ»: الشَّخص، قال الخَطَّابِيُّ: «وَسَاكِنِ البَلَدِ»: هُمُ الجِنُّ الَّذِينَ هُمْ سُكَّان الأَرْضِ، قال: وَيحتَمِلُ أَنَّ المرَادَ «بِالوَالِدِ»: إبليسُ «وَمَا وَلَدَ»: الشَّيَاطِينُ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في استِحباب تعجيل المسافر الرجوع إلى أهله إذا قضى حاجته

٩٨٢ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ، أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكم طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإذا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ سَفَرِهِ[٤]، فَلْيُعَجِّلْ إِلى أَهْلِهِ» مُتَّفَقٌ عليه. «نَهْمَتَهُ»: مَقْصُودَهُ.

❁ ❁ ❁

---

(١) «نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِم» أي نجعلك حائلاً بيننا وبينهم، تدفع عنّا شرّهم وأذاهم، والنَّحْرُ: مكانُ العُنُق.

(٢) «مَنِ شَرِّ أَسَدٍ وَأَسْوَد» أي من شرّ وحشٍ مفترس، ومن كل شخصٍ فاجرٍ ظالمٍ.

(٣) «وَمِنْ سَاكِنِ البَلَدِ» أي من شرّ الجنّ ساكني الأرض، وشرّ إبليسَ والشياطين.

(٤) «قَضَى نَهْمَتَهُ» أي قضى حاجته التي سافر من أجلها، فليسارع العودة إلى أهله.

بابٌ في استِحباب القُدوم على أهله نهاراً وكراهته في الليل لغير حاجة

٩٨٣ ـ عن جابرٍ رَضِيَ اللّهُ عنهُ، أنَّ رَسولَ اللّهِ ﷺ قال: «إذا أطالَ أحَدُكُمُ الغَيْبَةَ، فَلا يَطْرُقَنَّ أهْلَهُ لَيْلاً»[1]

وفي روايةٍ «أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ نَهَى أنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أهْلَهُ لَيْلاً» مُتَّفَقٌ عليه.

٩٨٤ ـ وعن أنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عنهُ قَالَ: «كَانَ رسُولُ اللّهِ ﷺ لا يطرُقُ أهْلَهُ لَيْلاً، وَكَانَ يَأتِيهِمْ غُدْوَةً أوْ عَشِيَّةً» مُتَّفَقٌ عليه.

«الطُّرُوقُ»: المَجِيءُ في اللَّيْلِ.

۞ ۞ ۞

باب مَا يقول إذا رجع وَإذا رأى بلدته

فِيهِ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ السَّابقُ في باب تكبيرِ المسافِرِ إذَا صَعِدَ الثَّنَايَا.

٩٨٥ ـ وعن أنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ قال: «أقْبَلْنَا مَعَ النَّبيِّ ﷺ، حَتَّى إذَا كُنَّا بِظَهْرِ[2] المَدِينَةِ قال: «آيبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ» فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى قَدِمْنَا المَدِينَة» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في استِحباب ابتداء القادم بالمسجد الذي في جواره وصلاته فيه ركعتين

٩٨٦ ـ عن كعبِ بن مالكٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ «أنَّ رَسولَ اللّهِ ﷺ كَانَ إذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأ بِالمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

---

(١) «لَا يَطْرُقَنَّ أهْلَهُ لَيْلاً» أي لا يدخل عليهم في الليل بغتةً، إلا أن يخبرهم بقدومه، والحكمةُ من ذلك هي أن لا يرى منها ما يكره، ولتكون الزوجة متهيِّئة مستعدَّة للقاءِ زوجها، متعطرة متزيِّنة، فالرجل يكون في أشد الشوق لمعاشرة زوجته.

(٢) «بِظَهْرِ المدينة» أي بمكانٍ تظهر علينا فيه مشارفُ المدينة المنوَّرة.

باب تحريم سَفر المرأة وحدَها

٩٨٧ ـ عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، تُسَافِرُ مسيرة يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ[1]، إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ عَلَيْهَا» مُتَّفَقٌ عليه.

٩٨٨ ـ وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهما، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامْرَأةٍ إلا وَمَعَها ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرُ المرأة إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، فقالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رسولَ اللَّهِ إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا؟ قال: انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

---

(١) «لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ أَنْ تُسَافِرَ» إنَّما حرَّم الإسلام السفر للمرأة بدون محرم، حمايةً لها، وحفاظاً على كرامتها، وصوناً لها من الخطر، من ذئاب البشر، فالمرأة مكانٌ للشهوة، وبها يطمع الفُسَّاق والفُجَّار، إذا رأوها وحدها ليس معها من يحميها، والحكم عام يشمل السفر للسياحة، أو للدراسة، أو للحج، أو أيِّ غرضٍ آخر، إلا إذا كان معها محرم.

(٢) «انطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ» إذا كان الحج الذي هو فريضة، لا يجوز للمرأة أن تسافر بدون محرم، وقد أمر الرسول ﷺ الزوج أن يترك الجهادَ، ويذهب مع امرأته للحج، وقال له: «انطلقْ فحجَّ مع امرأتك» فكيف يسمح بعض المسلمين لبناتهم السفر إلى البلاد الأوروبية أو الأمريكية، للسياحة أو الدراسة بدون محرم!؟ والأشرارُ والفُجَّار في عصرنا أكثر وأجرأ!؟ هذا بلا شكّ أمر قبيح منكر، لا يجوز لأحدٍ أن يُقدم عليه.

كتاب الفضائل

بابٌ في فضل قراءة القرآن

٩٨٩ ـ عن أَبِي أُمَامَةَ رضي اللَّهُ عنهُ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «اقْرَؤُوا القُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعاً لأَصْحَابِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٩٩٠ ـ وعَن النَّوَّاسِ بن سَمعَانَ رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةِ بالقُرْآنِ وَأَهْلِهِ، الذِين كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ في الدُّنْيَا، تَقدُمهُ سورَة البَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ، تُحَاجَّانِ عن صَاحِبِهِمَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٩٩١ ـ وعن عثمانَ بنِ عفانَ رضِيَ اللَّهُ عنهُ قال: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»(١) رَوَاهُ البُخارِيُّ.

٩٩٢ ـ وعن عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها قالتْ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الَّذِي يَقرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ(٢)، مَعَ السَّفَرَةِ الكرَام البَرَرَةِ(٣)، وَالذي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ(٤)، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌ له أَجْرَان» مُتَّفَقٌ عليه.

٩٩٣ ـ وعن أَبي موسى الأَشْعَرِيُّ رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: «قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: مَثَلُ المُؤمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ(٥)، رِيحُها طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا

---

(١) «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآن» لمَّا كان القرآنُ كلامُ ربِّ العزة والجلال، وهو أفضل العلوم وأشرفها، كان من تعلَّمه وعلَّمه، أفضلَ الناس عند اللَّه تعالى.

(٢) «يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ به» أي حاذقٌ بتلاوته، يقرأه دون مشقة، لجودة حفظه وإتقانه، فهو مع الملائكة الأبرار الأطهار.

(٣) «مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ» أي مع الملائكة المقرَّبين الأطهار بأعلى المنازل في الجنة.

(٤) «وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ» أي يقرأ القرآن ويتعثَّر في قراءته، ويصعب عليه، لأنه عاميٌّ، أو لا يعرف اللغةَ العربية، فله أجران: أجر للقراءة، وأجر للمشقة.

(٥) «مثَلُ الأُتْرُجَّةِ» الأترجَّة: ثمر طيِّب الطعم والرائحة، يشبه البطيخ أو المَنْجَا.

طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المؤمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ القُرْآنَ، كَمَثَلِ التَّمْرَةِ: لَارِيح لَهَا وَطَعْمهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الذي يَقْرَأُ القُرْآنَ، كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ: ريحها طَيِّبٌ وَطَعْمها مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الذي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ» مُتَّفَقٌ عليه.

٩٩٤ ـ وعن عمرَ بنِ الخطابِ رضي اللَّهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَاماً[١] وَيَضَعُ بِهِ آخَرين» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٩٩٥ ـ وعنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللَّهُ عنهمَا، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ[٢]: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهُو يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، ورجل آتاه اللَّه مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النَّهار» مُتَّفَقٌ عليه، «والآناءُ»: السَّاعَاتُ.

٩٩٦ ـ وعنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قال: «كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الكَهْفِ، وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَربوطٌ بِشَطَنَيْنِ[٣]، فَتَغَشَّته سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدْنُو، وجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِر منها، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتى النَّبيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ للقُرْآنِ»[٤] مُتَّفَقٌ عليه، «الشَّطَنُ» بفتحِ الشينِ المعجمةِ والطاءِ المهملة: الحبلُ.

٩٩٧ ـ وعنِ ابنِ مسعودٍ رضِيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُولُ: «ألم» حَرْفٌ،

---

(١) «يَرْفَعُ بِهَذَا القُرْآنِ أَقْوَاماً» أي يرفع به منزلة أقوام، ويخفض منزلة آخرين، ولهذا الحديث سرٌّ دقيق، وخبر عجيب، فقد رُوي أن عمر رضي اللّه عنه سأل نافعاً: من استعملت على أهل مكة؟ قال: «ابنَ أَبْزَىٰ» قال: ومن هو؟ قال: مَوْلًى من موالينا ـ أي عبداً مملوكاً من عبيدنا ـ قال: استخلفتَ عليهم مَوْلًى؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنه قارئ لكتاب اللّه، عالمٌ بالفرائض!! فقال عمر: أحسنتَ! سمعتُ نبيَّكم ﷺ يقول: «إن اللَّهَ يرفعَ بهذا الكتاب أقواماً، ويضَعُ بِهِ آخَرين» رواه مسلم.

(٢) «لا حَسَد إلَّا في اثْنَتَيْن» سُمِّيَ حَسَداً من باب المُشَاكَلة، أي لا غبطة، ولا سرور للمؤمن، إلا في هاتين الخصلتين الفاضلتين، والحسد قسمان: مذمومٌ، ومحمود، أمَّا المذموم فهو تمنِّي زوال النعمة عن صاحبها، وأما المحمود فهو أن يتمنى مثل النعمة التي وهبها اللّه لغيره، ويسمى «حسد الغبطة» وهو الذي عناه الحديث الشريف.

(٣) «مَرْبُوطٌ بِشَطنَيْن» الشَّطَنُ: الحبل، أي مربوط بحبلَيْن، وأما ربطه الفرسَ بحبلين، لقوَّته وشِدَّتِه، ومعنى «تغشَّتْه سحابة» أي أظلَّته.

(٤) «تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ للقُرْآنِ» أي الرحمةُ والوقار تنزلت لتلاوة القرآن.

وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وميم حرف» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

٩٩٨ ـ وعن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قال: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ[1] شَيءٌ مِنَ القُرْآنِ، كَالبَيْتِ الخَرِبِ»[2] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسنٌ صحيح.

٩٩٩ ـ وعن عبدِ اللَّهِ بن عَمْرو بن العاصِ رضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤهَا» رَوَاهُ أبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح.

❁ ❁ ❁

باب في الأمر بتعهّد القرآن والتحذير من تعريضه للنِّسيان

١٠٠٠ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عنهُ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «تَعَاهَدُوا هَذَا القُرْآن[3] فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإبْلِ فِي عُقُلِهَا»[4] مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٠٠١ ـ وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ القُرْآنِ كَمَثَلِ الإِبِلِ المُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا، ذَهَبَتْ» مُتَّفَق عليه.

❁ ❁ ❁

---

(١) «لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآن» أي لا يحفظ شيئاً من القرآن في صدره.

(٢) «كَالبَيْتِ الخَرِبِ» أي كالبيت المتهدِّم لا يُنتفع به في سكنى، ويكون مأوى للهوامّ والأفاعي، كذلك قلب الإنسان إذا خلا من آيات القرآن، يكون خَرِباً ميتاً، لا نور فيه ولا ضياء، وهو تمثيل بديع لمن خلا جوفه من نور الكتاب المبين.

(٣) «تَعَاهَدُوا هَذَا القُرْآنَ» أي جدِّدُوا عهدكم بالقرآن بملازمة تلاوته.

(٤) «أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإِبِلِ» أي أكثر انفلاتاً من الصدور، من الإبل المربوطة إذا أُفلتت من الحِبَال، ولهذا قال ﷺ: «إن عَاهَدَ عليها أَمسَكها، وإن أطلقها ذهبَتْ».

بابٌ في استِحباب تَحْسِينِ الصَّوتِ بالقرآن وطلبُ القراءةِ مِنْ حَسَنِ الصَّوتِ والاسْتِمَاع لَهَا

١٠٠٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قال: سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ[١] مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ، يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه. مَعْنى «أَذِنَ اللَّهُ»: أَي اسْتَمَعَ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلى الرِّضَى وَالقَبُولِ.

١٠٠٣ ـ وعن أَبي موسى الأَشْعَرِيِّ رضيَ اللَّهُ عنهُ، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قالَ لهُ: «لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لمسلمٍ: أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ لهُ: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقَراءَتِكَ البَارِحَةَ»[٤]

---

(١) «مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ» أي ما استمع ربُّ العزة والجلال لشيء من الأشياء، كاستماعه لنبيٍّ يقرأ القرآن، بصوت نديٍّ، يجهر بتلاوته، مع حسن الصوت، ومعنى أَذِنَ: أي استمع، قال تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي استمعتْ لأمر اللَّه واستجابت، وجديرٌ بها أن تسمع وتستجيب، وقال الشاعر:

إن يأذنوا ريبة طاروا بها فرحاً

أي إن يسمعوا شرّاً عليَّ فرحوا به.

(٢) «يَتَغَنَّى بالقُرْآنِ» أي يجهر بتلاوته مع حسن التلاوة، قال الشافعي: المراد بالتَّغَنِّي: تحزين القراءة وترقيقُها لحديث: «زيِّنوا القرآنَ بأصواتكم» أي حسِّنوه للناس بجمال التلاوة، فإن الصَّوْتَ الحسنَ يؤثِّر في القلوب.

(٣) «مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلَ دَاوُدْ» شبَّه حسن الصوت، وحلاوة نغمته، بصوتِ المزمار، و «داود» عليه السلام هو النَّبِيُّ الكريم، الذي إليه المنتهى في حسن الصوت بالتلاوة، كان إذا قرأ الزبور بصوته الرخيم، تقف الطيور عن الطيران فتردِّد معه، وكذلك الجبال، قال تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ أي رجِّعي معه التسبيح يا أيتها الجبال، ويا أيتها الطيور، قال المفسرون: كان إذا تلا الزبور، لم تبق دابة إلا استمعت لقراءته، وبكت لبكائه، وإذا سبَّح تسبح معه الجبال الراسيات، والطيور السارحات.

(٤) «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ» جواب «لو» محذوف أي لأعجبك ذلك، والحديث الذي رواه مسلم له سبب ورود، فقد روي «أن النبي ﷺ مرَّ على منازل الأشعريِّين، فسمعَ «أبا موسى الأشعري» قرأ في بيته القرآن، فوقف يستمع لقراءته، فلما انتهى من القراءة، انصرفَ رسولُ اللَّه ﷺ، وفي اليوم التالي لقيَ الرسولُ ﷺ أبا موسى الأشعري فقال له: لو رأيتَنِي وأنا أستمع إلى قراءتك البارحة!! لقد أُعطيت مزماراً من مزامير آل داود!؟ فقال يا رسول اللَّه: أكنتَ تستمعُ إلى قراءتي؟ قال: نعم، فقال له أبو موسى: لو علمتُ أنك كنت تسمع لحبَّرتُه لك تحبيراً» أي لحسَّنت لك القراءة تحسيناً أبدع.

١٠٠٤ ـ وعنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ قَرَأَ فِي العِشَاءِ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَداً أَحْسَنَ صَوْتاً مِنْهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٠٥ ـ وعنْ أَبِي لُبَابَةَ بَشِيرِ بنِ عبدِ المُنْذِرِ رضيَ اللَّهُ عنهُ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ جيد.

وَمَعنى «يَتَغَنَّى»: يُحَسِّنُ صَوْتَهُ بِالقُرْآنِ.

١٠٠٦ ـ وعَنِ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: قَالَ لِي النَّبيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ القُرْآنَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قال: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى جِئْتُ إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]، قال: حَسْبُكَ الآنَ[١] فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

❁ ❁ ❁

بابٌ في الحثّ على سُورَ وآيات مخصوصَة

١٠٠٧ ـ عن أَبِي سعيدٍ «رافع بنِ المُعَلَّى» رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ لِي رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ؟ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ قُلْتَ: لأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ في القُرْآنِ؟ قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»[٣] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٠٠٨ ـ وعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضيَ اللَّهُ عنهُ «أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ

---

(١) «حَسْبُكَ الآنَ» أي يكفي ما قرأتَ الآنَ عليَّ.

(٢) «فإذا عيناه تذرفان» أي تسكبان الدمع خشوعاً لكلام الرحمن!! رسولُ اللَّه يسمع القرآن فيبكي، وتنهمر الدموعُ من عينيه مدراراً، ونحن اليوم نقرأ، ولا نبكي ولا نتأثر، بآيات الذكر الحكيم، فقد قست القلوب، بسبب كثرة الذنوب والمعاصي، وبسبب الغفلة عن فهم كلام رب العالمين، وشأنُ المؤمن أن يخشع ويبكي عند سماع القرآن: **﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾**.

(٣) «الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ هي السَّبْعُ المَثَانِي» سُمِّيَتْ «سورة الفاتحة» بالسبع المثاني، لأنها سبعُ آياتٍ تُتلى وتُكرَّر آياتها، في كل ركعة من ركعات الصلاة، وهي أعظم سورة في القرآن العظيم، كما قاله عليه أفضل الصلاة والتسليم.

فِي: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»

وفي روايةٍ: إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لأَصْحَابِهِ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رسولَ اللَّهِ: فَقَالَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ ثُلُثُ الْقُرْآنِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٠٠٩ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ ذلكَ لَهُ وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٠١٠ ـ وعن أبي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠١١ ـ وعنْ أنسٍ رضي اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يا رسولَ اللَّهِ إِنِي أُحِبُّ هَذِهِ السُّورَةَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، قَالَ: إِنَّ حُبَّهَا أَدْخَلَكَ الجنَّةَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسن. ورَوَاهُ الْبُخَارِيُّ في صحيحِهِ تعليقاً.

١٠١٢ ـ وعن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه «أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: أَلَمْ تَرَ آياتٍ أُنْزِلَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠١٣ ـ وعن أبي سعيدِ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قال: «كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ، وَعَيْنِ الإِنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتِ الْمُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا، أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

١٠١٤ ـ وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «مِنَ القُرْآنِ سُورَةٌ ثَلاثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وهِيَ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾» رَوَاهُ أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن.

وفي رواية أبي داود: «تَشْفَعُ».

١٠١٥ ـ وعن أبي مسعودٍ البَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

قيلَ: كَفَتَاهُ المَكْرُوهَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَقِيلَ: كَفَتَاهُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ.

١٠١٦ ـ وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ[١] إنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠١٧ ـ وعن أُبيِّ بنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا المُنْذِرِ أَتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبَا المُنْذِرِ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠١٨ ـ وعن أبي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «وَكَّلَنِي رَسولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ[٣]، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ، لأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ!! قَالَ: إنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَبِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ[٤]؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً وَعِيَالاً، فَرَحِمْتُهُ[٥]، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. فقَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ!! فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ لا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً وَعِيالاً فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ[٦] فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فقلتُ: لأَرْفَعَنَّكَ

---

(١) «لا تَجعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ» أي لا تجعلوا بيوتكم كالمقابر، لا تُتلى فيها آيات الذكر الحكيم، فالقرآنُ نور وضياء، وبتلاوته تُطرد الشياطين.

(٢) «ليهْنَكَ العِلْمُ أبَا المُنْذِرِ» أي لتهنأ بالعلم الذي في صدرك، فقد وفّقك اللَّهُ لمعرفة الصواب، و «أبو المنذر» كنيةُ أُبَيِّ بن كَعب رضي الله عنه.

(٣) «يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ» أي يسرق من أموال الصدقة أي الزكاة، والمراد بالطعام هنا: القمحُ والتمر.

(٤) «ما فَعَلَ أسِيرُكَ؟» أي ماذا صنعت باللصِّ الذي سرق الطعام؟

(٥) «شَكَا إليَّ حَاجَةً وعِيَالاً» أي اشتكى إليَّ الفقرَ، وكثرةَ العيال فتركتُه.

(٦) «كَذَبَكَ وسَيَعُودُ» أي كذب عليك وسيعود ليسرق من الطعام مرة أخرى!! وقوله: «فرصدتُه» أي أيقنتُ بمجيئه مرة أخرى، ليقيني بصدق رسول اللَّه ﷺ فترقبتُ مجيئه للقبض عليه فأمسكته، وقد أخبره ﷺ بعد المرة الثالثة بأنه الشيطان اللعين كان يتردد عليه.

إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهَذا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ! فقال: دَعْنِي فَإِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قلتُ: مَا هُنَّ؟ قال: إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ حَتَّى تَخْتِمِ الآية، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ!! قَالَ: مَا هِيَ؟ قلت: قالَ لي: إذَا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فاقرأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِها حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وقالَ لي: لا يَزَالُ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَنْ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فَقالَ النبيُّ ﷺ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُو كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تَخاطِبُ مُنْذُ ثَلاثٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قلت: لا، قال: ذَاكَ شَيْطَانٌ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٠١٩ ـ وعن أبي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِن أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ، عُصِمَ منَ الدَّجَّالِ»[1].

وفي رواية: «مِن آخِرِ سُورَةِ الكهف» رَوَاهما مسلم.

١٠٢٠ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: «بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضاً[2] مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ، وَلَمْ يُفْتَح قَطُّ إِلَّا اليَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فقالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إلى الأَرْضِ، لَمْ ينزِلْ قَطُّ إِلَّا اليَوْمَ، فَسَلَّمَ وقَال: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهمَا، لَمْ يُؤْتهمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةِ الكِتَابِ، وَخَوَاتِيم سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ منها إِلَّا أُعْطِيتَه» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، «النَّقِيض» الصَّوت.

❁ ❁ ❁

بابٌ في استِحباب الاجتماع على القراءة

١٠٢١ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ: «وَمَا

---

(١) «عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ» أي نجّاه الله وسلّمه من فتنة المسيح الدجال، الذي يظهر في آخر الزمان، يدّعي الربوبيّة ويتبعه خَلْقٌ كثير.

(٢) «سَمِعَ نَقِيضاً» أي صوتاً عظيماً من جهة السماء، نزل بعده مَلَكٌ من ملائكة الرحمن.

اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ[١]، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحمة، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكة، وذَكَرَهُمُ اللَّه فِيمَنْ عِندَه»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

بابُ في فضل الوضوء

قالَ اللَّهُ تَعالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦].

١٠٢٢ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرّاً مُحَجَّلِينَ[٣] مِن آثَارِ الوضوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ، فَلْيَفْعَلْ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٢٣ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ خَلِيلي ﷺ يقولُ: «تَبْلُغُ الحِلْيَةُ مِنَ المؤمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضُوءُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٢٤ ـ وعن عثمانَ بن عفانَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، حَتى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظفَارِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٢٥ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضوئي هذا ثُمَّ قال: «مَنْ تَوَضَّأَ هَكذا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَمَشْيُهُ إلى المَسْجِدِ نَافِلَةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ» أي الطمأنينة وخشوع القلب والأمانُ، قال تعالى: ﴿ **الذين آمنُوا وتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بذِكْرِ اللَّهِ** ﴾.

(٢) «وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» أي ذكرهم بالثناء عند الملائكة الأبرار الأطهار!! ما أعظم أن يذكرك اللَّه في الملأ الأعلى وأنت تقرأ كتاب اللَّه؟

(٣) «غُرّاً مُحَجَّلِينَ» أي تضيء جباههم وأيديهم بالنور الوضّاء من آثار الوضوء، كما قال تعالى: ﴿ **نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ** ﴾ [التحريم: ٨].

١٠٢٦ ـ وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «إذا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِم أَوِ المُؤْمِنُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كلُّ خَطِيئَة نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يديهِ، خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْها يَدَاهُ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتها رِجلاه مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطرِ المَاءِ، حَتَّى يَخرُجَ نَقِيّاً مِنَ الذُّنُوبِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٢٧ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى المقبَرَةَ فَقَالَ: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوانَنَا، قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ، قَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ، بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلى الحَوْضِ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ

١٠٢٨ ـ وعنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلا أَدُلُّكُمْ عَلى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ[2]، وَكَثْرَةُ الخُطَى إلى المَسَاجِدَ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعَدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُم الرِّبَاطُ، فَذلِكُمُ الرِّبَاطُ»[3] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٢٩ ـ وَعَنْ أَبِي مَالكٍ الأَشْعَرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: قَال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وقد سبقَ بِطُولِهِ في بَابِ الصبرِ.

وفي الباب حديثُ عمرو بْنِ عَبَسَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السَّابِقُ فِي آخِرِ بَابِ الرَّجَاءِ، وَهُو حَدِيثٌ عظيمٌ، مُشْتَمِلٌ عَلَى جُمَلٍ مِن الخيرات.

---

(١) «وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الحَوْضِ» أي سابق لهم ومتقدِّم على الحوض ليعرفوه.

(٢) «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ» أي يكملون الوضوء في الظروف القاسية كبردٍ أو مرض.

(٣) «فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ» الرِّباط: حراسةُ حدود البلاد من الأعداء وملازمتُها، قال تعالى: ﴿**اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ والمقصود في الحديث: حبسُ النفس على طاعة اللَّه، وملازمتها له، فهو كالمرابط في سبيل اللَّه.

١٠٣٠ ـ وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْكُم مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ، فَيُبْلِغُ[١] أَوْ فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يقولُ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّها شَاءَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وزَادَ التِّرمِذِيُّ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ».

❁ ❁ ❁

بابٌ في فضل الأذان

١٠٣١ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ[٢] وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ، لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ[٣]، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ[٤] لاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا في العَتَمَةِ والصُّبْحِ[٥]، لأَتَوهُمَا وَلَوْ حَبْواً» مُتَّفَقٌ عليه.

«الاسْتِهامُ»: الاقْتِراعُ، و «التَّهْجِيرُ»: التَّبْكِيرُ إِلى الصَّلَاةِ.

١٠٣٢ ـ وَعَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «المُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقاً يَوْمَ القِيَامَةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٣٣ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحمنِ «أبي صَعْصَعَة» أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لَهُ: «إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ ـ أَوْ بَادِيَتِكَ ـ فَأَذَّنْتَ للصَّلاةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ لا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ، وَلَا إِنْسٌ، وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

قَالَ أَبو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٠٣٤ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا

---

(١) «فيُبْلِغُ الوضوءَ» أي يُكمل الوضوء على الوجه الشرعي

(٢) «مَا فِي النِّدَاءِ» أي الأذان سُمِّيَ نداءً، لأن المؤذن ينادي فيه للصلاة، قال تعالى: ﴿وإِذَا نَادَيْتُمْ إِلى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً﴾.

(٣) «إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا» أي لم يجدوا طريقاً إلا أن يقترعوا عليه لاقترعوا.

(٤) «مَا فِي التَّهْجِيرِ» أي التبكير إلى الصلاة مع الجماعة.

(٥) «مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ» أي ما في صلاة العشاء والفجر لأتوهما زحفاً على الرُّكَب.

نُودِيَ بالصَّلاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضيَ النِّدَاءُ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ للصَّلاةِ أَدْبَرَ[١]، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ، أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ[٢]، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، وَاذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَذْكُرْ مِنْ قَبْلُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى» مُتَّفَقٌ عليه. «التَّثْوِيبُ»: الإقَامَةُ.

١٠٣٥ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنه سَمِعَ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ فَقولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشراً، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٣٦ ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا كَمَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٣٧ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّداً الوَسِيلَةَ، وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَه، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

١٠٣٨ ـ وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلَامِ دِيناً، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٣٩ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّعَاءُ لا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ» رَوَاهُ أبو داود والتِّرمِذيُّ وقال: حديث حسن.

۞ ۞ ۞

---

(١) «ثُوِّبَ لِلصَّلَاةِ» أي أُقيم لِلصلاة ولّى الشيطان هارباً، وإنما يهرب الشيطان، لأن الأذانَ والإقامة ذكرٌ لله ونورٌ، والشيطانُ ظلمةٌ يكره النور، ولا يجتمع النور والظلام.

(٢) «حتى يَخْطِر» يعني يوسوس له ليفسد عليه صلاته، ويذكِّره بما كان ناسياً.

بابٌ في فَضل الصَّلوات

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾(١) [العنكبوت: ٤٥].

١٠٤٠ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمس مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ(٢)؟ قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: فَذَلكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الخَطَايَا» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٤١ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، كَمَثَلِ نَهرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «الغَمْرُ» بفتح الغين المعجمةِ: الكثيرُ.

١٠٤٢ ـ وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِن امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] فقال الرَّجُلُ: أَلِيَ هذا؟ قال: لِجَميعِ أُمَّتِي كلهِمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٤٣ ـ وعن أَبي هُريرةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَال: «الصَّلَواتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إلى الجُمُعَة، كَفَّارَةٌ لما بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغشَ الكَبَائِرُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٤٤ ـ وعن عثمانَ بن عفانَ رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: سَمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «مَا مِن امْرِىءٍ مُسْلِم تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لما قَبْلَهَا مِنَ الذنُوبِ، مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ، وَذلكَ الدَّهْرَ كلَّهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) ﴿إنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ﴾ الصلاة عمادُ الدين، ومعراجُ المتقين، تنهى المؤمنَ عن فعل القبائح والمنكرات، وتحجزُه عن الهبوط في مستنقع الشهوات، لأنه يناجي ربه في اليوم والليلة خمس مرات.

(٢) «هَلْ يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ»؟ أي هل يبقى على جسده شيء من القذر والوسخ؟ فكذلك أمر الصلاة تترك الإنسانَ نقياً نقياً، لا يحمل شيئاً من الخطايا والأوزار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

باب فضل صَلاة الصّبح والعَصر

١٠٤٥ ـ عن أبي موسى رضيَ اللَّهُ عَنهُ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ»[1] مُتَّفَقٌ عليه. «البَرْدَانِ»: الصُّبْحُ، وَالعَصْرُ.

١٠٤٦ ـ وعن أبي زهيرٍ «عُمارَةَ بنِ رُؤَيبَةَ» رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قبلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يَعْنِي الفَجْرَ، وَالعَصْرَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٤٧ ـ وعن جُنْدُبِ بن سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ[2] فَانْظُرْ يَا ابْنَ آدَمَ، لَا يَطْلُبَنَّكَ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيءٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٤٨ ـ وعن أَبِي هُريرةَ رضِيَ اللَّهُ عنهُ قَالَ: قَال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكم مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكم، فَيَسْأَلُهُمْ اللَّهُ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ـ كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتيناهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٤٩ ـ وعن جَريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَلِيِّ رضيَ اللَّهُ عَنهُ قال: «كنا عِنْدَ النبيِّ ﷺ فَنَظَرَ إلى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فقال: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هذا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبها فَافعَلُوا» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «فَنَظَرَ إلى القمرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ».

١٠٥٠ ـ وعن بُرَيْدَةَ رضيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَرَكَ صَلاةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ» يعني صلاةَ الصبح، وصلاة العصر، سُمِّيا بذلك لأن الصبحَ بردُ النهار، والعصرَ بردُ العشيِّ، يكون الجو فيهما بارداً.

(٢) «فهو في ذمة اللَّه» أي في ضمانه وحمايته وجواره.

بابٌ في فضل المشي إلى المساجد

١٠٥١ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ، أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ غَدَا إلى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلاً[١] كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٥٢ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَضى إلى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ خُطُوَاتُهُ، إحْدَاهَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالأخرى تَرْفَعُ دَرَجَةً»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٥٣ ـ وعن أُبَيِّ بن كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَال: «كَانَ، رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ لَا أَعْلَم أَحداً أَبْعَدَ مِنَ المسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَتْ لَا تُخْطِئُهُ صَلاةٌ[٣]! فَقِيلَ لَهُ: لو اشْتَرَيْتَ حِمَاراً تَرْكَبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ، وَفِي الرَّمْضَاءِ[٤]!! قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلى جَنْبِ المَسْجدِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلى المَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلى أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَدْ جَمعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ»[٥] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٥٤ ـ وعن جَابِرٍ رضيَ اللَّهُ عَنهُ قال: «خَلَتِ البِقَاعُ حَوْلَ المَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النبيَّ ﷺ فَقال لَهم: بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُون أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟! قَالُوا: نعم يا رسولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذلكَ، فَقالَ: بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ[٦]، فَقالوا: مَا يَسُرُّنَا أَنَّا كُنَّا تَحَوَّلْنَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وروى البخاري معناه من رواية أنس.

---

(١) «أعدَّ اللَّهُ له نُزُلاً» أي ضيافةً في الجنة في ذهابه ورجوعه، إكراماً له لمحافظته على الصلاة بالجماعة في المسجد.

(٢) «تَحُطُّ خَطِيئَةً والأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً» أي خطواتُ المؤمن إلى المسجد، واحدةٌ تكفِّر ذنباً، والأخرى ترفعه منزلةً عند اللَّه، ويكتب اللَّه له بها حسنة.

(٣) «لا تخطئه صلاةٌ» أي لا تفوته صلاة مع الجماعة.

(٤) «تَرْكَبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ، وَفِي الرَّمْضَاءِ» أي تركبه ليلاً في شدة الظلام، ونهاراً عند شدّة الحر.

(٥) «جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ» أي أعطاك اللَّهُ ما تؤمِّله من الخير والفضل، وكتب لكم أجر مشيك إلى المسجد في ذهابك وإيابك.

(٦) «دِيَارَكُمْ، آثَارَكُمْ» أي الزموا دياركم ولا تنتقلوا منها، فإنَّ آثار خطواتكم تُكتب لكم عند اللَّه، ومصداقُ هذا قولُه تعالى: ﴿**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾ والمرادُ بالآثار: الخُطَى إلى المساجد، والإمامُ: الكتابُ.

١٠٥٥ ـ وعنْ أَبي موسى رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ «إنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْراً في الصَّلاةِ، أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى، فَأَبْعَدُهُمْ، وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ، أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ الَّذي يُصَلِّيها ثُمَّ يَنامُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٥٦ ـ وعن بُرَيْدَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النبيِّ ﷺ قال: «بشِّروا المَشَّائِينَ في الظُّلَم إلى المَسَاجِدِ، بِالنُّور التامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ.

١٠٥٧ ـ وعن أبي هريرةَ رضي اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولُ اللَّهِ!! قَالَ: إِسْباغُ الْوضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَى إلى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّباط، فَذَلِكُم الرِّباطَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٥٨ ـ وعن أَبي سعيدٍ الخدْريِّ رضيَ اللَّهُ عنه، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتُم الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسَاجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾» [التوبة: ١٨]. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

۞ ۞ ۞

بَابُ فضل انتظار الصَّلَاة

١٠٥٩ ـ عنْ أبي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ في صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تحبِسُهُ، لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنقَلِبَ إلى أَهْلِه إِلَّا الصَّلَاةُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٦٠ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «المَلَائِكَةُ تُصَلِّي على أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ[1] الذي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٠٦١ ـ وعن أنسٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَخَّرَ لَيْلَةً صَلَاةَ

(١) «المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ» أي تدعو له بالرحمة والمغفرة، ما دام في مكانه الذي صلّى فيه، ومعنى «ما لم يُحْدِثْ» أي ما لم يأت بما يُبطل وضوءه من نوم، أو ريحٍ، أو مدفعٍ من البطن.

العِشَاءِ إِلى شَطْرِ اللَّيْلِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ بَعْدَ مَا صَلَّى، فقال: صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا، وَلَمْ تَزَالُوا فِي صَلاةٍ مُنْذُ انْتَظَرْتُمُوهَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في فضل صَلاَة الجماعة

١٠٦٢ ـ عن ابنِ عمرَ رضيَ اللَّهُ عَنهُمَا، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «صَلاةُ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الفَذِّ[١] بِسَبْعٍ وعِشْرِينَ دَرجَةً» مُتَّفَق عليه.

١٠٦٣ ـ وعن أَبي هُريرةَ رَضي اللَّهُ عنهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ، تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْساً وَعِشْرِينَ ضِعْفاً، وَذَلك أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إلى المَسْجِدِ، لا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلاةُ، لَمْ يخطُ خُطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ، مَا دَامَ فِي مُصَلَّاه، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ. وَلا يَزَالُ فِي صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ البخاري.

١٠٦٤ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قالَ: «أَتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمى، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إلى المَسْجِدِ، فَسَأَلَ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصلِّي فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَال: فَأَجِبْ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٦٥ ـ وعن «عبدِ اللَّهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُوم» المُؤَذِّنِ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رسولَ اللَّهِ إِنَّ المَدِينَةَ كَثِيرَةُ الهَوَامِّ وَالسِّباعِ!! فَقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ، حَيَّ عَلَى الفَلاحِ، فحَيَّهلاً» رَوَاهُ أبو داود بإسناد حسنٍ.

ومعنى «حَيَّهَلاً»: تعالَ.

---

(١) «أَفْضَلُ مِنْ صَلاةِ الفَذِّ» أي المنفرد الذي يصلِّي وحده، وفي الحديث دلالة واضحة على أن صلاة الجماعة سنة مؤكدة، وليست فريضة، لأنها لو كانت فريضة لما جازت صلاة الإنسان منفرداً، ولكنَّ الأجر يقلُّ من /٢٧/ درجة إلى أدنى الثواب وهو الأجر الواحد.

(٢) «تَسْمَعُ النِّدَاءَ فَأَجِبْ» أي إذا كنتَ تسمع الأذان فأجبْ المؤذّن بالحضور للصلاة في المسجد، وإذا كان هذا الرجل أعمى، ولم يأذن رسولُ اللَّه ﷺ بترك الصلاة مع الجماعة، فكيف بمن ليس له عذر في ترك الجماعة؟

١٠٦٦ ـ وعن أَبي هريرةَ رضي اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَن آمُرَ بحَطَبٍ فَيُحْتَطبَ، ثُمَّ آمُرَ بالصَّلاةِ فَيُؤَذَّنَ لَها، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إلى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بيوتَهمْ»[١] مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٦٧ ـ وعن ابنِ مسعودٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: «مَنْ سرَّه أن يَلْقَى اللَّهَ تعالى غداً مُسْلِماً، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوات، حَيْثُ يُنَادَى بِهنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكم ﷺ سُنَنَ الهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِن سُنَنِ الهُدَى، وَلَو أَنَّكم صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكم، كما يُصَلِّي هَذَا المُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتركتم سُنَّة نَبِيِّكم، وَلَوْ تَرَكتُم سُنَّة نَبِيِّكم لَضَلَلْتُم، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتخَلَّفُ عَنها إِلَّا مَنافِقٌ مَعلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُل يُؤْتَى بِهِ، يُهَادَى بيْنَ الرَّجُلَيْنِ[٢] حَتى يُقَامَ فِي الصَّفِّ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي روايةٍ له قال: «إنَّ رسولَ اللَّه ﷺ عَلَّمَنا سُنَنَ الهُدَى وَإنَّ مِن سُنَنِ الهُدَى: الصَّلاةَ فِي المَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فيه».

١٠٦٨ ـ وعن أَبي الدرداء رضِيَ اللَّهُ عَنه قَال: سَمعت رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «مَا مِن ثَلاثَةٍ في قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ، لا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاةُ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القاصِيَةَ»[٣] رَوَاهُ أبو داود بإسناد حسن.

❁ ❁ ❁

بابٌ في الحثِّ
على حضور الجماعة في الصّبح والعِشاء

١٠٦٩ ـ عَنْ عثمانَ بنِ عفانَ رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: «سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) «هَمَمْتُ أَنْ أُحَرِّقَ عَلَيهِمْ بُيُوتَهُمْ» المساجدُ بُنِيَت للعبادة، والصلاةُ فيها مع الجماعة من شعائر الإسلام، وعَزْمُ النبيِّ ﷺ على تحريق بيوتِ المتخلِّفين عن صلاة الجماعة، دليلٌ على تأكيد أهميّة هذه الشعيرة، وأنها من سنن الهُدَىٰ كما في كلام ابن مسعود: «ولو أنكم تركتم سُنَّة نبيّكم لضللتم».

(٢) «يُهَادَىٰ بَيْنَ الرَّجُلَيْن» أي مستنداً عليهما لشدة ضعفه ومرضه، ويكاد من ضعفه أن يسقط على الأرض.

(٣) «يَأْكُلُ الذِّئْبُ من الغنم القَاصِيَةَ» أي البعيدة الشاردة عن مجموعة الغنم، وهو تمثيلٌ بديع رائع، لمن ترك الصلاة مع الجماعة، فإن الشيطان يستولي عليه ويُغويه، كما يبتلع الذئبُ الشاردةَ عن الأغنام.

يقولُ: مَنْ صَلَّى العِشَاءَ في جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصبْحَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي روايةِ التِّرمِذِيِّ: «مَنْ شَهِدَ العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ لَهُ قِيَامُ نِصْفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى العِشَاءَ وَالفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ» قال التِّرمِذِيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٠٧٠ ـ وعن أَبي هُريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ[٢] وَالصُّبحِ، لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً»[٣] مُتَّفَقٌ عليه. وقد سبق بطوله.

١٠٧١ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ صَلاةٌ أَثْقَلَ عَلى المُنافِقِينَ مِنْ صَلاةِ الفَجْرِ، وَالعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِما لأَتَوْهُما وَلَوْ حَبْواً» مُتَّفَقٌ عليه.

بابٌ في الأمر بالمحافظة على الصّلوات المكتوبات والنهي الأكيد والوعيد الشديد في تركهن

قال اللّه تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

١٠٧٢ ـ وعنِ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَأَلْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَفضَلُ؟ قَالَ: الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِها، قلتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَال: بِرُّ الوَالِدَيْنِ، قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَال: الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٧٣ ـ وعنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهُ ﷺ: «بُنِيَ الإسلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، وَأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللَّهِ، وَإِقامِ الصَّلاةِ، وَإِيتاءِ الزَّكاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٧٤ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّه، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّه، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ،

---

(١) «فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ» في هذا ترغيب بالمحافظة على صلاة العشاء والفجر بالجماعة.

(٢) «ما في العتمة والصبح» أي ما في فضل صلاة العشاء والفجر من الثواب والأجر.

(٣) «لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً» أي زحفاً على الرُّكَب والأقدام.

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ[١] وَأَمْوالَهُمْ إلا بحَقِّ الإسْلامِ[٢] وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٧٥ ـ وعن معاذٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ قَالَ: «بَعثني رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى اليَمَن فَقال: إنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إلى شِهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رسولُ اللَّه، فَإِنْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى افتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلواتَ، فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ[٣] وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ[٤]، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٧٦ ـ وعن جابرٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ، تَرْكُ الصَّلَاةِ»[٥] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٧٧ ـ وعن بُرَيْدَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَر»[٦] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٠٧٨ ـ وعن شقِيقِ بنِ عبدِ اللَّهِ التابعيِّ المُتَّفَقِ على جَلالَتِهِ رَحِمَهُ اللَّه

---

(١) «عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ» أي صانوا أنفسهم من القتل، وأموالهم من الأخذ لها.

(٢) «إلَّا بِحَقِّ الإسْلَامِ» أي إلا إذا فعلوا ما يستوجب العقاب في شريعة الإسلام، كالقصاص من القاتل، ورجم الزاني، وقتل المرتد عن الإسلام.

(٣) «فَإِيَّاكَ وكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ» أي احذرْ أن تأخذ من الزكاة أنفس أموالهم.

(٤) «وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ» أي اخشَ على نفسك من دعوة المظلوم، فإنَّ دعوته مستجابة لا تُرَدُّ، كما جاء في الصحيح «ثلاثة لا تُرَدُّ دعوتهم..» وذكر منها «دعوة المظلوم فإن الله يرفعها إلى السماء ويقول: وعزَّتي وجلالي لأَنْتَقِمَنَّ لكَ ولو بعد حين» قال الشاعر:

تنامُ عيناكَ والمظلومُ منتبهٌ ... يدعو عليكَ وعينُ اللَّهِ لم تَنَم

(٥) «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الكُفرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» أي بين الرجل ووقوعه في الكفر، حاجزٌ هو الصلاة، فمن تركها فقد وقع في الكفر.

(٦) «فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ» أي من ترك الصلاة فقد شابَهَ الكُفّار في صنيعهم، والحديث محمولٌ على التغليظ، كقوله ﷺ: «من غشَّنا فليسَ منَّا»، أو هو على الحقيقة كافر، إن جَحَدَ فرضيَّةَ الصلاة، وأمَّا من تركها كسلاً فهو عاصٍ فاسقٌ مستحقٌ للعقاب، وهذا مذهب جمهور المحدِّثين، **وقال الإمام أحمد**: الحديثُ على ظاهره، تاركُ الصلاة عمداً كافر.

قال: «كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئاً مِنَ الأَعْمَالِ، تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ في كتابِ الإيمانِ بإسنادٍ صحيحٍ.

١٠٧٩ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ من عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ، فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْئاً، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انظُروا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَيُكَمَّلُ منها ما انتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكونُ سَائِرُ أَعْمَالِهِ عَلَى هَذا» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال حديثٌ حسنٌ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في فضلِ الصفِّ الأوَّل والأمر بإتمام الصفوف الأُوَل وتسويتها والتراصّ فيها

١٠٨٠ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَلا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ المَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ المَلَائِكَةُ عند رَبِّها؟ قَال: يُتِمُّونَ الصُفُوفَ الأُوَلَ، وَيتراصُّونَ فِي الصَّفِّ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٨١ ـ وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ، وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٨٢ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُها، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُها، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٨٣ ـ وعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضيَ اللَّهُ عِنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى في أَصْحَابِهِ تَأَخُراً، فَقَالَ لَهُمْ: «تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بي، وَليَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ، حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّه» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٨٤ ـ وعن أبي مسعودٍ، رضي اللَّهُ عَنهُ، قَالَ: «كَانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنا فِي الصَّلاةِ، وَيَقُولُ: اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي

مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلَامِ[1] وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونهم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٨٥ ـ وعن أنسٍ رضيَ اللّهُ عَنْهُ، قالَ: «قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ للبخاري: «فإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ».

١٠٨٦ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: «أُقِيمَتِ الصَّلاة، فَأَقبلَ علينا رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا، فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي» رَوَاهُ البُخَارِي بِلَفْظِهِ، وَمُسْلِمٌ بمَعْنَاهُ.

وفي رِوَايةٍ للبُخَارِي: «وَكَان أَحَدُنَا يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ، وَقَدَمَهُ بِقَدَمِهِ».

١٠٨٧ ـ وَعَنِ النُّعْمَانِ بنِ بشيرٍ رضيَ اللّهُ عَنهما، قَال: سمعتُ رسولَ اللّه ﷺ، يقولُ: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللّهُ بَيْنَ وَجُوهِكُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لمسلِم: «أَنَّ رَسولَ اللّهِ ﷺ كَانَ يُسَوِّي صُفُوفَنَا، حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بهَا القِدَاحَ، حَتَّى رَأَى أَنَّا قَد عَقَلْنَا عَنهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْماً فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ، فَرَأَى رَجُلاً بَادِياً صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فَقَالَ: عِبَادَ اللّهِ، لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ».

١٠٨٨ ـ وَعَنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رضيَ اللّهُ عَنهُما، قالَ: «كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلى نَاحِيَةٍ، يَمْسَحُ صُدُورَنَا، وَمَنَاكِبَنَا، وَيَقُولُ: لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، وَكَانَ يَقُولُ: إِن اللّهَ وَملَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلى الصُّفُوفِ الأُوَلِ» رَوَاهُ أَبو داود بإِسنادٍ حَسَنٍ.

١٠٨٩ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رضيَ اللّهُ عنهما، أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَاذُوا بَيْنَ المَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الخَلَلَ، وَلِينوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُم، وَلَا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ للشيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفّاً وَصَلَهُ اللّهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفّاً قَطَعَهُ اللّه» رَوَاهُ أبو داود بإِسنادٍ صحيحٍ.

١٠٩٠ ـ وعَن أَنسٍ رضيَ اللّهِ عَنهُ، أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «رُصُّوا

---

(١) «لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلَام والنُّهَى» أي ليكن قريباً مني في الصف الأول أصحابُ الفهم والعقولِ السَّلِيمَة، ومراده أن يتأخر الأطفالُ، ويتقدّم الرجال أصحاب العقل والفهم.

صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَها، وَحَاذُوا بالأعْناقِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنّي لأرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ، كَأَنَّهَا الحَذَفُ»[1] حديث صحيح رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ على شرط مسلم، «الحَذَفُ»: غَنَمٌ سُودٌ صغارٌ، تَكُونُ بِالْيَمَنِ.

١٠٩١ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال «أَتِمُّوا الصَّفَّ المقدَّمَ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ المُؤَخَّرِ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ حسنٍ.

١٠٩٢ ـ وعن عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها، قالتْ: قَالَ رَسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ الصفوفِ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَفيه رجلٌ مُخْتَلَفٌ فِي تَوْثِيقِهِ.

١٠٩٣ ـ وعَنِ البَرَاءِ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا إذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، أَحْبَبْنا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَسَمِعْتُهُ يقول: رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ، يَوْمَ تَبْعَثُ أَوْ تَجمَعُ عِبَادَكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٩٤ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَسِّطُوا الإمَامَ، وَسُدُّوا الخَلَلَ» رَوَاهُ أبو داود.

۞۞۞

بابٌ في فضلِ السنن الراتبة مع الفرائض وبيان أقلّها وأكملها وما بينهما

١٠٩٥ ـ عَنْ أُمِّ المُؤمِنِينَ أُمِّ حَبِيبَةَ «رَمْلَةَ بِنْتِ أَبي سُفيانَ» رضيَ اللَّهُ عنهما، قَالتْ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ، يُصَلِّي لِلَّهِ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشرَةَ رَكْعَةً[2]، تَطوعاً غَيْرَ الفَرِيضَةِ، إلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً في الجَنَّةِ، أَوْ إلَّا بُنِيَ لَه بَيْتٌ فِي الجَنَّةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «أَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ» أي يدخل من بين فُرُجات المصلّين أماكن الفراغ، وقوله: «كَأَنَّهَا الحَذَفُ» أي كأن الشياطين غنمٌ سودٌ صغار، تتخلّل الصفوف، ولهذا قال: وسُدُّوا الخَلَل، وذلك لئلا تخلّل الشياطين صفوف المصلّين.

(٢) «يُصَلِّي ثِنْتَيْ عَشرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعاً» المراد بها السنن النوافل المؤكدة، وهي «ركعتان قبل ـ

١٠٩٦ ـ وعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمُعَةِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ المَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٠٩٧ ـ وَعَنْ عبدِ اللَّهِ بنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ، قالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ، بينَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ، قالَ في الثَّالِثَةِ: لِمَنْ شَاءَ» مُتَّفَقٌ عليه.

المُرَادُ بالأَذَانَيْنِ: الأَذَانُ، والإِقَامَةُ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في تأكيد ركعتي سُنّةِ الصّبح

١٠٩٨ ـ عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا «أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لا يَدَعُ أَرْبعاً قَبْلَ الظُّهرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ»[1] رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

١٠٩٩ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَتْ: «لَمْ يكنِ النَّبيُّ ﷺ عَلَى شيءٍ مِنَ النوافِلِ، أَشَدَّ تَعَاهُداً مِنْهُ عَلَى رَكْعَتَي الفَجْرِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١١٠٠ ـ وَعَنهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «رَكْعَتَا الفجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[2] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي روايةٍ: «لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعاً».

١١٠١ ـ وَعَنْ أَبي عَبدِ اللَّهِ «بِلالِ بن رَبَاح» رضيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُؤَذِّنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ «أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُؤذِنه بِصَلاة الغَدَاةِ[3]، فَشَغَلَتْ عَائِشَةُ بِلالاً بِأَمْرٍ سَأَلَتْهُ

= الفجر، وأربعٌ قبل الظهر، وركعتان بعد الظهر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء» والمراد أن يواظب عليها، لا أن يصلِّيها بعض الأحيان، ويتركها معظم الأحيان.

(١) «لَا يَدَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ» الغَدَاةُ: الصبحُ، أي لا يترك ركعتي سنة الفجر، لا في سَفَر ولا في حَضَر.

(٢) «رَكْعَتَا الفَجرِ خَيْرٌ منَ الدُّنْيَا» المراد بها ركعتا سنة الفجر، فهذه أفضلُ من الدنيا وما فيها من متاع وشهوات، لأن ثوابهما عظيم ودائم، والدنيا فانيةٌ وزائلة، فإذا كان هذا فضلُ صلاة السُّنَّة، فكيف بفضل صلاة الفرض؟

(٣) «لِيُؤْذِنَهُ بِصَلَاةِ الغَدَاةِ» أي يُعْلِمه بدخول وقت الصبح، وتأخر عليه.

عَنْهُ، حَتَّى أَصْبَحَ جِدّاً، فَقَامَ بِلالٌ فآذَنَهُ بِالصَّلاةِ، وَتَابَعَ أَذَانَهُ، فَلَمْ يَخْرُجْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلما خرَجَ صَلَّى بِالنَّاسِ[١]، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ شَغَلَتْهُ بِأَمْرٍ سَأَلَتْهُ عَنْهُ حَتَّى أَصْبَحَ جِدّاً، وَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ بِالخُرُوجِ، فَقَالَ (يَعْني النَّبي ﷺ): إِني كُنْتُ رَكَعْتُ ركعَتيْ الفَجْرِ، فقالَ: يَا رسولَ اللَّهِ إِنَّكَ أَصْبَحْتَ جِدّاً، قَالَ: لَوْ أَصْبَحْتُ، أَكْثَرَ مِمَا أَصْبَحْتُ لَرَكَعْتُهُمَا، وَأَحْسَنْتُهُمَا وَأَجْمَلْتُهُمَا» رَوَاهُ أبو داود بإسناد حسن.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تخفيف ركعتي الفجر وبيان ما يقرأ فيهما، وبيان وقتهما

١١٠٢ ـ عَنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنها «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، بَيْنَ النِّدَاءِ وَالإِقَامَةِ، مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لهمَا: «يُصَلِّي رَكعتَي الفَجْرِ، فَيُخَفِّفُهُمَا، حَتَّى أَقُولَ: هَلْ قَرَأَ فِيهما بِأُمِّ القُرْآنِ»؟

وفي روايةٍ لمُسْلِم: «كَانَ يُصَلِّي رَكعتَي الفَجْرِ إذا سَمِعَ الأَذَانِ وَيُخَفِّفُهُمَا».

وفي روايةٍ: «إذا طَلَعَ الفَجْرُ».

١١٠٣ ـ وعَنْ حَفصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنها «أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ إِذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ للصُّبحِ، وبَدَا الصُّبحُ، صَلَّى رَكعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لمسلمٍ: «كَانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا طَلَعَ الفَجْرُ لا يُصَلِّي إلا رَكْعَتَيْن خَفِيفَتَيْن».

١١٠٤ ـ وَعَنِ ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكعَةٍ من آخِرِ اللَّيْلِ، وَيُصَلِّي الرَّكعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الغَدَاةِ، وَكَأَنَّ الأَذَانَ بِأُذُنَيْهِ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «فَلَمَّا خَرَجَ صَلَّى بالنَّاسِ» أي لمَّا خرج رسولُ اللَّه ﷺ صلَّى بالناس صلاة الفجر، وظَهر لبلالٍ أن الرسول ﷺ لم يصلِّ سنة الفجر، فأخبره أنه صلاهما، ولو تأخر أكثر من ذلك حتى كادت الشمس أن تطلع لم يتركهما لعظم شأنها.

(٢) «وَكَأَنَّ الأَذَانَ بِأُذُنَيْهِ» أي كان ﷺ يسرع في القراءة في سُنَّة الفجر، وكأنه يسمع الإقامة للصلاة المكتوبة، خوفاً من فوات وقتها، والسنَّةُ التخفيفُ في سُنّة الفجر، والإطالةُ في الفريضة، وأن يقرأ في الركعة الأولى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ وبالثانية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

١١٠٥ ـ وعَنِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ في رَكْعَتَي الفَجْرِ فِي الأُولى مِنهُمَا: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ الآية ١٣٦ التي في البقرة، وفي الآخِرَةِ منهما: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وفي روايةٍ: « في الآخرةِ التي في آل عِمرانَ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ » رَوَاهما مسلم.

١١٠٦ ـ وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ في رَكْعَتَي الفَجْرِ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ و﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٠٧ ـ وعَنِ ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُمَا، قَالَ: « رَمَقْتُ[١] النَّبيَّ ﷺ، شَهراً وَكَانَ يَقرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الفَجْرِ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ و﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ » رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقالَ: حَديثٌ حسنٌ.

۞۞۞

بابٌ في استِحباب الاضطجاع بَعْدَ ركعتي الفجر على جنبه الأيمن والحث عليه سواء كان تَهَجَّدَ بالليل أم لا

١١٠٨ ـ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَتْ: « كَانَ النَّبيُّ ﷺ إذا صلَّى رَكْعَتَي الفَجْرِ، اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ»[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

١١٠٩ ـ وَعَنهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَتْ: « كَانَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّي، فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنَ صَلاةِ العِشَاءِ إلى الفَجْرِ، إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ، فَإِذا سَكَتَ المُؤَذِّنُ مِنْ صَلَاةِ الفَجْرِ، وَتَبَيَّنَ لَهُ الفَجْرُ، وَجَاءَهُ المُؤَذِّنُ، قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، هَكَذَا حَتَّى يَأْتِيَهُ المُؤَذِّنُ للإِقَامَةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) « رَمَقْتُ النَّبيَّ شَهْرَاً» أي راقبته ولا حظته مدة شهر، وهو يقرأ في سنة الفجر هاتين السورتين ﴿قُلْ يا أيُها الكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

(٢) « اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأيْمَنِ» يُستحب إذا صلَّى المؤمنُ سنة الفجر، أن يضطجع على طرفه الأيمن للراحة، اقتداءً برسول الله ﷺ، واستعداداً لصلاة الفجر، التي يُطلب فيها تطويلُ القراءة، فيكون قد استراح قبلها.

قَوْلُهَا: «يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ» هكذا هو في مسلم ومعناه: بَعْدَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ.

١١١٠ ـ وَعَنْ أَبي هُريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ، قَالَ: قَالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ رَكْعَتَيِ الفَجْرِ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَي يَمِينِهِ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ بأسانِيدَ صحيحةٍ، قالَ الترمِذي: حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

۞۞۞

بابٌ في سُنّة الظهر

١١١١ ـ عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُول اللَّهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا» مُتَّفَقٌ عليه.

١١١٢ ـ وَعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لا يَدَعُ أَرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ»[1] رَوَاهُ البخاري.

١١١٣ ـ وَعَنهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَتْ: «كَانَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّي في بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبعاً، ثُمَّ يَخْرُجُ، فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ المَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ العِشَاءَ، وَيَدْخُلُ بَيْتِي، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١١٤ ـ وعن أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَتْ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١١١٥ ـ وَعَنْ عبدِ اللَّهِ بنِ السائبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ «أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي أَرْبعاً بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهرِ، وَقَالَ: إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأُحِبُّ أَنْ يَصعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَديثٌ حسنٌ.

---

(١) «لَا يَدَعُ أَرْبَعَاً قَبْلَ الظُّهرِ» أي لا يترك ﷺ أربع ركعات قبل صلاة الظهر، يصلِّيها ركعتين، ركعتين، أو أربعاً متصلة، وهذا الحديث رواه البخاري، فالسنةُ المؤكدة هي أربعُ ركعات لا ركعتان فقط، ويتأكد هذا بقول السيدة عائشة «كان إذا لم يصلِّ أربعاً قبل الظهر، صلَّاهنَّ بعدها».

١١١٦ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا لَمْ يُصَلِّ أَرْبعاً قَبْلَ الظهْرِ، صَلَّاهُنَّ بَعْدَهَا » رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حديثٌ حسنٌ.

❁ ❁ ❁

باب سُنّة العَصْر

١١١٧ ـ عَنْ عليٍّ بنِ أَبي طَالبٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: « كَانَ النَّبي ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ بِالتَّسْلِيم عَلَى المَلَائِكَةِ المقرَّبِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ المسْلِمِينَ وَالمُؤْمِنِينَ » رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقَالَ: حديثٌ حسنٌ.

١١١٨ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: « رَحِمَ اللَّهُ امْرءاً صَلَّى قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعَاً » رَوَاهُ أَبُو دَاوُد، والتِّرمِذِيُّ وقَالَ: حديثٌ حسنٌ.

١١١٩ ـ وَعَنْ عليٍّ بنِ أَبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ « أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يُصلِّي قبْلَ العَصْرِ رَكْعَتَيْنِ » رَوَاهُ أَبُو دَاود بِإِسْنَادٍ صحيحٍ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في سُنّة المغرب بَعدَها وقبلها

تَقَدَّمَ في هذه الأبوابِ حديثُ ابنِ عُمَرَ، وَحديثُ عائشةَ، وهما صَحيحانِ « أَنَّ النَّبي ﷺ كَانَ يُصلِّي بعْدَ المغربِ رَكْعَتَيْنِ ».

١١٢٠ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: « صَلُّوا قَبلَ المَغرِبِ، قَالَ في الثَّالِثَة: لِمنْ شَاءَ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١١٢١ ـ وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنه، قَالَ: « لَقَدْ رَأَيْتُ كِبَارَ أَصْحَابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ عندَ المغربِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١١٢٢ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « كُنَّا نُصَلِّي عَلَى عَهْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، رَكعَتَيْنِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ـ قَبلَ المَغْرِبِ ـ فقِيلَ: أَكَانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّاهُمَا؟ قالَ: كَانَ يرانَا نُصَلِّيهِمَا، فَلَمْ يَأْمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٢٣ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « كُنَّا بِالمَدِينَةِ فَإِذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ لِصَلَاةِ المَغْرِبِ، ابْتَدَرُوا السَّوَارِيَ، فَرَكَعُوا رَكعَتَيْنِ، حَتَّى إِنَّ الرجل الغَرِيبَ لَيَدْخُلُ

المَسْجِدَ، فَيَحْسَبُ أَنَّ الصَّلاةَ قَدْ صُلِّيَتْ، من كَثْرَةِ مَنْ يُصَلِّيهِمَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في سُنّة العِشاء بعدها وقبلها

فِيهِ حديثُ ابنِ عُمَرَ السَّابِقُ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ رَكعَتَينِ بَعْدَ العِشَاءِ»، وَحَديثُ عبدِ اللَّهِ بنِ مُغَفَّل: «بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ»[1] مُتَّفَقٌ عليهِ. كَمَا سَبَقَ.

۞ ۞ ۞

بَابُ سُنّة الجمعَة

فِيهِ حَديثُ ابنِ عُمَرَ السَّابِقُ: «أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبيِّ، رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمُعَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١١٢٤ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمُ الجُمُعَةَ، فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعاً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٢٥ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لَا يُصَلِّي بَعْدَ الجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

باب استِحباب جَعل النوافل في البيت سواء الراتبة وغيرها، والأمر بالتحول للنافلة من موضع الفريضة أو الفصل بينهما بكلام

١١٢٦ ـ عَنْ زيدِ بنِ ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «صَلُّوا أَيُّها النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلاةِ، صَلَاةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ، إِلَّا المَكْتُوبَةَ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ» يريد أن بين كل أذانٍ وإقامة، صلاةٌ مستحبة لمن شاء، ومن هذا الحديث استحبَّ بعض الفقهاء صلاة ركعتين قبل المغرب، ولكنها غير مؤكدة لقوله ﷺ: «لمن شاء».

١١٢٧ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُوراً» مُتَّفَقٌ عليه.

١١٢٨ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ فِي مَسْجِدِهِ، فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِه نَصِيباً مِنْ صَلاتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلاتِهِ خَيْراً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٢٩ ـ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَطَاءٍ «أَنَّ نَافِعَ بْنَ جُبَيْرٍ أَرْسَلَهُ إِلى السَّائِبِ ابنِ أُخْتِ نَمِرٍ، يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ رَآهُ مِنْهُ مُعَاوِيَةُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: نَعَمْ صَلَّيْتُ مَعَهُ الجُمُعَةَ فِي المقصُورَةِ، فَلَمَّا سَلَّمَ الإمامُ، قُمتُ فِي مَقَامِي، فَصَلَّيْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْسَلَ إِليَّ فقال: لا تَعُدْ لِمَا فَعَلْتَ، إِذَا صَلَّيْتَ الجُمُعَةَ، فَلا تَصِلْهَا بِصَلاةٍ، حَتَّى تَتَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ، فَإِنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَنَا بِذَلِكَ، أَنْ لا نُوصِل صلاة بِصَلاةٍ، حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابُ في الحثّ على صَلاة الوتر وبيان أنه سُنة مؤكدة وبيان وقته

١١٣٠ ـ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «الوِترُ لَيْسَ بِحَتْمٍ، كَصَلاةِ المَكْتُوبَةِ، وَلكِنْ سَنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يا أَهْلَ القُرْآنِ»[1] رَوَاهُ أبو داود والتِّرمِذِيُّ وقَالَ: حديثٌ حسنٌ.

١١٣١ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنها، قَالَتْ: «مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَمِنْ أَوْسَطِهِ، وَمِنْ آخِرِهِ، وَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلى السَّحَرِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١١٣٢ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْراً» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) ذَهَبَ أبو حنيفة إلى وجوب الوتر، واستدل بحديث «الوترُ حقٌّ، فمن لم يوتر فليس منا» رواه أبو داود، وقال الإمام أحمد فيمن يترك الوتر متعمّداً: هذا رَجُلُ سُوء.

١١٣٣ ـ وَعَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «أَوْتِرُوا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٣٤ ـ وعن عائشةَ رضيَ اللَّهُ عَنهَا «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي صَلَاتَهُ بِاللَّيلِ، وَهِيَ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِذا بَقِيَ الوِتْرُ، أَيْقَظَهَا فَأَوْتَرَتْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.
وفي روايةٍ له: «فَإِذا بَقِيَ الوترُ قالَ: قُومِي فَأَوْتِري يَا عَائِشَةُ».

١١٣٥ ـ وعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «بَادِرُوا الصُّبْحَ بالوِتْرِ» رَوَاهُ أَبو دَاود، والتِّرمِذِيُّ وقالَ: حَديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١١٣٦ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهِ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيلِ، فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ، فَليوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صلاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في فضل صَلاة الضُّحى
وبيان أقلها وأكثرها وأوسطها، والحث على المحافظة عليها

١١٣٧ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وَالإيتَارُ قَبلَ النَّوْمِ إِنَّمَا يُستَحَبُّ لمَنْ لا يَثِقُ بِالاستِيقَاظِ آخِرِ اللَّيْلِ، فَإِنْ وَثِقَ، فآخِرُ اللَّيْلِ أَفْضَلُ.

١١٣٨ ـ وَعَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «يُصْبِح عَلى كُلِّ سُلامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وكل تهليلة صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِىءُ مِنْ ذلكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضّحَى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٣٩ ـ وَعَنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، قالتْ: «كَانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي الضُّحَى أَرْبَعاً، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللَّه» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٤٠ ـ وعنْ أُمِّ هَانِىءٍ «فاخِتَةَ بنتِ أَبي طالبٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَتْ

« ذَهَبْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، صَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، وَذَلِكَ ضُحَى » مُتَّفَقٌ عليه.

وهذا مختصر لفظِ إحدى روايات مسلم.

۞ ۞ ۞

باب في تجويز صَلاَة الضُّحى من ارتفاع الشمس إلى زوالها والأفضل أن تصلى عند اشتداد الحرِّ وارتفاع الضحى

١١٤١ ـ عن زيدِ بنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ « أَنَّهُ رَأَى قَوْماً يُصَلُّونَ مِنَ الضُّحَى، فَقالَ: أَمَا لَقَدْ علِمُوا أَنَّ الصَّلاةَ فِي غَيْرِ هَذِهِ السَّاعَةِ أَفْضَلُ، إِنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: صَلاَةُ الأَوَّابِينَ حِينَ تَرْمَضُ الفِصَالُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«تَرْمَضُ» يعني: شدة الحرّ. «وَالفِصَالُ» جَمْعُ فَصِيلٍ، وَهُوَ الصَّغِيرُ مِنَ الإِبِلِ.

۞ ۞ ۞

بَابُ الحثّ على صَلاة تحية المسجد ركعتين وكراهة الجلوس قبل أن يصلي ركعتين في أي وقت دخل وسواء صلى ركعتين بنية التحية أو صلاة فريضة أو سُنة راتبة أو غيرها

١١٤٢ ـ عن أَبي قتادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ، فَلا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ»[1] مُتَّفَقٌ عليه.

١١٤٣ ـ وعن جابرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ قالَ: « أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ وهوَ في المَسْجِدِ، فَقَالَ: صَلِّ رَكعَتَيْنِ» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

(١) « فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ» هي سنة تحية المسجد وهي سنة مستحبّة.

بابٌ في استِحباب ركعتين بَعْد الوضوء

١١٤٤ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ لِبِلالٍ: يَا بِلالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإِسْلَامِ[١]، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ في الجَنَّةِ، قالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْدِي مِنْ أَنِّي لَم أَتَطَهَّرْ طُهُوراً[٢]، في سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إلَّا صَلَّيْتُ بِذلكَ الطُّهُورِ ما كُتِبَ لي أَنْ أُصَلِّيَ» مُتَّفَقٌ عليه. وهذا لفظُ البخاري.

«الدَّفُّ»: صَوْتُ النَّعْلِ وَحَرَكَتُهُ عَلى الأَرْضِ، واللَّه أعلم.

❁ ❁ ❁

بابٌ في فضل يوم الجمعَة ووجُوبها والاغتِسال له والتطيب والتبكير إليها وبيان ساعة الإجابة واستحباب إكثار ذكر الله بعد الجمعة

قال اللَّهُ تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

١١٤٥ ـ وعَنْ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: «قالَ رسولُ اللَّهُ ﷺ: خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ: فيهِ خُلِقَ آدم، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٤٦ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثمَّ أَتَى الجُمُعَةَ، فاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لهُ ما بَيْنَه وَبَينَ الجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الحَصَى، فَقَدْ لَغَا»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٤٧ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ «الصَّلَواتُ الخَمْسُ

---

(١) «حَدِّثني بِأَرْجَى عَمَل» أي أخبرني عن أفضل شيء عملته ترجو ثوابه؟

(٢) «أَتَطَهَّرْ طُهُوراً» أي أتوضأ وضوءاً فأصلِّي بذلك الوضوء ما يقدِّرني اللَّه عليه!! «سَمِعْتُ دُفَّ نَعْلَيْكَ» أي صوت مشيك في الجنة.

(٣) «وَمَنْ مَسَّ الحَصَى فَقَدْ لَغَا» أي لعب بالحصى والخطيبُ يخطب، فقد ضيَّع ثوابه من أجر الجمعة.

وَالجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ ما بَيْنَهُنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الكبَائِرُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٤٨ ـ وَعَنْهُ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمْ، أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسولَ اللَّهِ ﷺ، يقولُ عَلى أَعْوَادِ مِنبَرِهِ: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ[١]، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٤٩ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا «أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: إذا جَاءَ أَحَدُكُمُ الجمُعَةَ، فَلْيَغْتَسِلْ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

١١٥٠ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلى كلِّ مُحْتَلِمٍ»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

المُراد بالمُحْتَلِمِ: البَالِغُ، وَالمُرَادُ بِالوُجُوبِ: وُجُوبُ اختِيَارٍ، كقَوْلِ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: حَقُّكَ وَاجِبٌ عَلَيَّ، والله أعلم.

١١٥١ ـ وَعَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَمَن اغْتَسَلَ فَالغُسْلُ أَفْضَلُ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقالَ حديثٌ حسنٌ.

١١٥٢ ـ وَعَنْ سَلمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ ما اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَينِ، ثمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثمَّ يُنْصِتُ إذا تَكَلَّمَ الإمَامُ، إلَّا غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

١١٥٣ ـ وَعَنْ أبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «مَنِ

---

(١) «وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ» أي تركهم لصلاة الجمعة والجماعة.

(٢) ذهب جمهور الفقهاء إلى أن غسل الجمعة سنة وليس بواجب، واستدلوا بحديث سَمُرة «ومن اغتسل فالغسلُ أفضل» رواه الترمذي.

(٣) «عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ» أي على كل إنسان بالغ، والمراد من قوله: «واجب» أي مطلوبٌ ومرغوب فيه، وليس المراد منه الوجوب الشرعي، بدليل الحديث التالي «من توضأ يومَ الجمعة فَبِها ونِعْمَتْ، ومن اغتسلَ فالغسلُ أفضلُ» رواه الترمذي.

اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ في السَّاعَةِ الأُولى، فَكَأَنَّما قَرَّبَ بَدَنَةً[١]، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبشاً أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّما قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ في السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً فَإِذَا خَرَجَ الإمامُ، حَضَرَتِ المَلائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكرَ» مُتَّفَقٌ عليه.

قوله: «غُسلَ الجَنَابَةِ» أي: غُسلاً كَغُسلِ الجَنَابَةِ في الصِّفَةِ.

١١٥٤ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: «فِيها سَاعَةٌ لَا يُوَافِقها عَبْدٌ مُسلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئاً، إِلَّا أَعْطَاهُ إيَّاه» وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا، مُتَّفَقٌ عليه.

١١٥٥ ـ وَعَنْ أَبي بُرْدَةَ بنِ أَبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، قَالَ: «قَالَ عَبْدُ اللَّهُ بن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا: أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، في شَأْنِ سَاعَةِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: قلتُ: نعمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: هي مَا بَيْنَ أنْ يَجْلِسَ الإمامُ إلى أنْ تُقْضَى الصَّلاةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٥٦ ـ وَعَنْ أَوسِ بنِ أَوسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَليَّ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»[٢] رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً» أي تصدَّق لوجهِ اللَّه تعالى بناقةٍ أو جمل، ومعنى «راح» أي ذهب مبكِّراً في الساعات الأولى من النهار، واختلف العلماء في هذه الساعات، فقيل: إن المراد أول المبكِّرين إلى المسجد للصلاة، فقد يكون قبل الأذان بساعة، والصحيح أن المراد الساعات الزمنية من أول صباح الجمعة، وهو الأصح واللَّه أعلم.

(٢) «فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» أي تخبرني الملائكة بمن صلَّى عليَّ من أمَّتي حتى أردَّ عليه، وحياتُه ﷺ في القبر حياةٌ برزخية، تختلف عن حياة غيره من البشر، وللحديث تتمة، وهي «قالوا يا رسول اللَّه: كيف تُعرضُ عليك صلاتُنا وقد أَرِمتَ؟ ـ أي بليتَ ـ قال: إن اللَّه حرَّم على الأرض أن تأكل أجسادَ الأنبياء» رواه أبو داود.

بابٌ في استِحباب سجُود الشكر عند حصول نعمة ظاهرة أو اندفاع بلية ظاهرة

١١٥٧ ـ عَنْ سعْدِ بنِ أَبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «خَرَجْنا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ نُرِيدُ المَدِينَةَ، فَلَمَّا كُنَّا قَرِيباً مِن عَزْوَراءَ، نَزَلَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ، فَدَعَا اللَّهَ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِداً، فَمَكَثَ طَوِيلاً، ثُمَّ قامَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ سَاعةً، ثُمَّ خَرَّ ساجِداً ـ فَعَلَهُ ثَلاثاً ـ وَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي، وَشَفَعْتُ لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرتُ ساجِداً لِرَبِّي شُكْراً، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي، فَسَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ ساجِداً لِرَبِّي شُكْرَاً، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي، فَسَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي الثُّلُثَ الآخَرَ، فَخَرَرتُ ساجِداً لِرَبِّي»[1] رَوَاهُ أبو داودَ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في فضل قيام الليل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وَقَالَ تَعَالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ الآية [السجدة: ١٦].

وقال تَعَالَى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧].

١١٥٨ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، قَالَتْ: «كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هذَا يا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَد غُفِرَ لَكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً!» مُتَّفَقٌ عليه.

١١٥٩ ـ وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَرَقَهُ وَفاطِمَةَ لَيْلاً، فَقَالَ: أَلا تُصَلِّيَانِ؟»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

«طَرَقَهُ»: أَتَاهُ لَيْلاً.

---

(١) «فَخَرَرْتُ لِرَبِّي سَاجِداً» فيه دليل على مشروعية سجود الشكر، والكرامة التي أكرم الله بها رسوله ﷺ، بقبول شفاعته في أمته جميعها، كما أيده الحديث الآخر «لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابة، وقد تعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوتَه، وإني قد اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي، فهي نائلةٌ كلَّ من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» رواه مسلم.

(٢) «أَلَا تُصَلِّيَانِ»؟ المرادُ: صلاة قيام الليل التي هي شعارُ المتقين!! وللحديث تتمةٌ وهي «فقالَ =

١١٦٠ ـ وَعَنْ سالم بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمْ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ!! قالَ سالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بعْدَ ذلكَ لا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إلَّا قليلاً» مُتَّفقٌ عليه.

١١٦١ ـ وَعَنْ عَبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ لا تكن مِثْلَ فُلانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ» مُتَّفقٌ عليه.

١١٦٢ ـ وعنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، قَالَ: «ذُكِرَ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيلَةً حَتَّى أَصْبَحَ! قالَ: ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ في أُذُنَيْهِ، أو قال: في أُذنِهِ»[١] مُتَّفقٌ عليه.

١١٦٣ ـ وعَنْ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلى قافِيَةِ رَأسِ أَحَدِكُمْ، إذا هُوَ نَامَ، ثَلاثَ عُقدٍ، يَضرِبُ عَلى كلِّ عُقدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَويلٌ فَارقُد، فإنِ اسْتَيْقَظَ، فَذَكَرَ اللَّهَ تَعالى انحلَّت عُقدَةٌ، فإن تَوَضَّأَ، انحلَّتْ عُقدَةٌ، فَإنْ صَلَّى، انحلَّتْ عُقدُهُ كلُّها، فأَصبحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفسِ، وَإلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفسِ كَسْلانَ» مُتَّفقٌ عليه.

«قافِيَةُ الرَّأْسِ»: آخِرُهُ.

١١٦٤ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ: أَفشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا باللَّيلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ، تَدخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ» رَوَاهُ التِّرمِذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١١٦٥ ـ وَعَنْ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ المُحَرَّمُ، وَأَفضلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ صَلاةُ اللَّيْلِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٦٦ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «صَلاةُ

= عليٌّ: يا رسولَ اللَّه، أنفُسُنا بيد اللَّه، فإذا شاء أن يبعثَنا بعثَنا!! فانصرف رسول اللَّه ﷺ قال: وسمعتُه يقول وهو منصرفٌ يضربُ فخذه «وَكَانَ الإنسَانُ أكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً» رواه البخاري.

(١) «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ» كنايةٌ عن استيلاء الشيطان عليه، حتى أضاع صلاةَ الفجر، ولم يُرِدْ ﷺ حقيقةَ البول، ومثلُ هذه الكنايات مشهورٌ، قال ﷺ: «حتى تذوقي عُسَيْلَته ويذوق عُسَيْلتك» كنَّى به عن الجماع.

اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإذا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

١١٦٧ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كانَ النَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

١١٦٨ ـ وَعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لا يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لا يُفْطِر مِنْهُ شَيْئاً، وَكَانَ لا تَشاءُ أَنْ تَراهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّياً إلا رَأَيْتَهُ، وَلا نَائِماً إلا رَأَيْتَهُ»[١] رَوَاهُ الْبُخارِيُّ.

١١٦٩ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً (تَعْنِي في اللَّيْلِ) يَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أَحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً، قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاةِ الفَجْرِ، ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، حَتَّى يَأْتِيَهُ المُنَادِي لِلصَّلاةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١١٧٠ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنها قَالَتْ: «مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَزِيدُ فِي رَمضانَ وَلَا في غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً[٢]: يُصَلِّي أَرْبعاً فَلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ! ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعاً لا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ! ثُمَّ يُصَلِّي

---

(١) المعنى: ما كان يعيِّن بعضَ الليل للنوم، وبعضَه للصلاة كأصحاب الأوراد، وكذا الصوم بل كان يخالف بين أوقاتهما، ليكونا شاقين على النفس لا عادتين لها، فإنه إذا صام مدة صار عادة له واطمأنت له النفس، فإذا أفطر كان شاقاً عليها وكذا عكسه.

(٢) حديث «ما كان ﷺ يزيدُ فِي رَمَضانَ وَلَا في غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً» السيدة عائشة تحكي ما رأته من رسول اللّه ﷺ، ولا ينافي هذا ما ثبت عن ابن عباس أنه صلى مع رسول اللّه ﷺ اثنتي عشرة ركعة، ثم أوتر ﷺ كما في رواية البخاري، وفي صحيح مسلم أن رسول اللّه ﷺ صلى في ليلةٍ سبعَ عشرةَ ركعة، والسيدة عائشة واحدة من إحدى تسع زوجات، وحتى يأتي دورُ قسمتها تحتاج إلى ثمان ليال، فما يزعمه البعضُ أن الزيادة في صلاة «قيام رمضان» إلى عشرين ركعة بدعة ضلالة، استناداً إلى حديث عائشة خطأ فاحش، لا يقول به رجل يزعم العلم، ومنذ عصر الصحابة إلى عصرنا هذا، يُصَلِّي المسلمون في الحرمين الشريفين صلاة التراويح عشرين ركعة، كما أن هذا الزعم فيه تضليل للأمة الإسلامية، ورسول اللّه ﷺ يقول: «لا تجتمعُ أمتي على ضلالة» وانظر الروايات الست في صحيح البخاري في باب قيام الليل، وكلُّها تزيد على رواية السيدة عائشة رضي اللّه عنها.

واقرأ كتابنا «الهديُ النبوي الصحيح في صلاة التراويح» ففيه شفاء للعليل.

ثَلاثاً! فَقُلْتُ: يَا رَسولَ اللَّهِ أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ!؟ فقال: يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلبي»[١] مُتَّفَقٌ عليه.

١١٧١ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيقُومُ آخِرَهُ فَيُصلي» مُتَّفَقٌ عليه.

١١٧٢ ـ وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قائماً حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سُوءٍ! قِيل: مَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

١١٧٣ ـ وَعَنْ حُذَيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافتَتَحَ البَقَرَةَ، فقلتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فقلتُ: يُصَلِّي بها في رَكعَةٍ[٣]، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بها، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً[٤] إذا مَرَّ بآيَةٍ فِيها تَسْبِيحٌ، سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ، سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ، تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع اللَّه لمن حمده ربنا لكَ الحَمْدُ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلاً قَرِيباً ممَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيباً مِنْ قِيَامِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٧٤ ـ وَعَنْ جابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الصَّلاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: طُولُ القُنُوتِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. المرادُ بَالقُنُوتِ: القِيَامُ.

١١٧٥ ـ وَعَنْ عَبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ

---

(١) هذا من خصائص الأنبياء ولذا لا ينتقض وضوؤهم بالنوم، وأما نومه في قصة الوادي حتى طلعت الشمسُ وفات وقت الصلاة، فلأن طلوع الفجر والشمس متعلق بالعين وهي نائمة لا بالقلب، وأما الحديثُ فمتعلق بالقلب.

(٢) يعني من كثرة ما أطال النبي ﷺ في القراءة والصلاة، وكانت صلاة تهجد في الليل، فلم يتحمَّل ابن مسعود ذلك لضعفه ونشاط النبي ﷺ.

(٣) معناه: ظننت أنه يسلم بها فيقسمها على ركعتين وعلى هذا فقوله (ثم مضى) معناه قرأ معظمها بحيث غلب على ظني أنه لا يركع الركعة الأولى إلا في آخر البقرة، فحينئذ قلت يركع بها الركعة الأولى فجاوز وافتتح النساء.

(٤) الترسل: ترتيل الحروف وأداؤها حقها دون إسراع في القراءة ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾.

اللَّهِ ﷺ قالَ: «أَحَبُّ الصَّلاةِ إلى اللَّهِ صَلاةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصيام إلى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثلثه وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يوماً» مُتَّفَقٌ عليه.

١١٧٦ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لَا يُوافقُهَا رَجُلٌ مسلم، يَسْأَلُ اللَّهَ تعالى خَيْراً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كلّ لَيْلَةٍ»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٧٧ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «إذا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلْيَفْتَتِحِ الصَّلاةَ بِركعَتَيْنِ خَفيفتَيْنِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٧٨ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٧٩ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنها، قالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ مِن اللَّيلِ، مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى من النَّهارِ ثِنْتَي عَشْرَةَ رَكْعَةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٨٠ ـ وَعَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ[٢]، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وَصَلاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٨١ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فإن أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ[٤]، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَت مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ» رَوَاهُ أَبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

---

(١) فيه حث على الدعاء في الليل وحضٌ عليه، وأبهم الساعة في جميعه طلباً لإحيائه بالتوجه للمولى، وعدم الغفلة فيه بالنوم.

(٢) «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ» أي تلاوته لكتاب اللّه في الصلاة أو خارج الصلاة.

(٣) «كُتِبَ له كَأَنَّمَا قَرَأَهُ بِاللَّيْلِ» فيه إشارة إلى فضل قيام الليل، وتلاوة القرآن فيه.

(٤) «نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ» أي رشّ على وجهها الماء لتستيقظ وتصلّي، وهذا من باب التعاون على البرّ والتقوى، وكلٌ من الزوجين يتسابق مع الآخر.

١١٨٢ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا، قَالا: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: « إذا أَيقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا ـ أَوْ صَلَّى ـ رَكعَتَيْنِ جَمِيعاً، كُتِبَا في الذَّاكرِينَ والذَّاكِراتِ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

١١٨٣ـ وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: « إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاةِ، فَلْيَرْقُدْ، حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ، فَيَسُبَّ نَفْسَهُ»[١] مُتَّفَقٌ عليه.

١١٨٤ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِذا قَامَ أَحَدُكُمْ، مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعجَمَ القُرآنُ[٢] على لِسَانه، فلَم يَدرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجعْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في استِحباب قيام رَمضان وهو التراويح

١١٨٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيماناً وَاحتِساباً[٣]، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١١٨٦ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: « كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرَغِّبُ فِي قِيَام رَمَضَانَ، من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة، فيقول: من قامَ رَمَضَانَ إِيمَاناً وَاحتِساباً، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في فضل قيام ليلة القدْر وبَيان أرجى لياليها

قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١] إلى آخِرِ السورة.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ الآيات [الدخان: ٣].

---

(١) «لَعَلَّهُ يَسْتَغفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ» أي بدل أن يذكر الله يدعو على نفسه، لغلَبَة النعاس عليه، وعلاجُه أن ينام حتى يصحو قلبُه.

(٢) «فَاسْتَعْجَمَ القُرآنُ عَلَى لِسَانِهِ» أي شقَّتْ تلاوته عليه وصعُبت عليه القراءةُ فلْيَذْهبْ ولْيَنمْ.

(٣) «إِيمَاناً وَاحتِسَاباً» أي تصديقاً لوعد الله، وطلباً للأجر من الله.

١١٨٧ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيماناً واحتِساباً، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» مُتفقٌ عليه.

١١٨٨ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رضِيَ اللَّه عَنهُمَا، أَنَّ رِجَالاً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ رَأَوا لَيْلَةَ القَدْرِ في المَنَامِ، في السَّبْعِ الأوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ في السَّبْعِ الأوَاخِرِ، فَمَنْ كانَ مُتَحَرِّيَهَا، فَلْيَتَحَرَّهَا في السَّبْعِ الآواخر» مُتفقٌ عليه.

١١٨٩ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنهَا، قَالَتْ: كانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يُجَاوِرُ في العَشْرِ الأوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، ويقُول: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ[1] في العَشْرِ الأوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» مُتفقٌ عليه.

١١٩٠ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّه عَنهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «تَحرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ في الوَتْرِ منَ العَشْرِ الأوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» رَواهُ الْبُخَارِيُّ.

١١٩١ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّه عَنهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إذا دَخَلَ العَشْرُ الأوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ، أَحْيا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئزرَ»[2] مُتفقٌ عليهِ.

١١٩٢ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَجتَهِدُ في رَمضانَ مَا لا يَجْتَهِدُ في غَيْرِهِ، وفي العَشْرِ الأوَاخِرِ منه، مَا لا يَجْتَهِدُ في غَيْرِهِ» رَوَاهُ مُسلمٌ.

١١٩٣ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَتْ: «قُلْتُ: يا رَسول اللَّه أَرَأَيْتَ إن عَلِمْتُ أيُّ ليلةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ؟ مَا أَقُولُ فيها؟ قَالَ: قولي: اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فاعْفُ عنِّي» رَوَاهُ التِرمذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

۞۞۞

---

(١) «تَحرَّوْا لَيلَةَ القَدرِ» أي التمسوها واطلبوها في العشر الأواخر من رمضان.

(٢) «وَشَدَّ المِئزَرَ» أي جدَّ واجتهد في عبادة اللَّه، فهو كناية عن المسارعة إلى الطاعة والعبادة.

بابٌ في فضل السّواك وخصال الفطرة

١١٩٤ ـ عَنْ أبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: « لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلى أُمَّتي، أوْ على النَّاس، لأمَرْتُهُمْ بِالسِّواكِ مَعَ كلِّ صَلاةٍ » مُتفقٌ عليهِ.

١١٩٥ ـ وَعَنْ حُذيفَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قالَ: « كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إذا قَامَ مِنَ اللَّيلِ يَشُوصُ فَاهُ بالسِّوَاكِ » مُتَّفَقٌ عليه.

«الشَّوْصُ»: الدَّلْكُ.

١١٩٦ ـ وَعَنْ عَائشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنهَا قَالَتْ: « كنَّا نُعِدُّ لرَسُولِ اللَّه ﷺ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللَّه ما شَاءَ أَنْ يَبعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيتسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي » رَوَاهُ مُسلمٌ.

١١٩٧ ـ وعَنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « أَكثَرْتُ عَليكُم في السِّوَاكِ » رَوَاهُ البُخاريُّ.

١١٩٨ ـ وَعَنْ شُرَيحِ بنِ هَانِىءٍ قالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا: « بأَيِّ شيْءٍ كانَ يَبْدَأُ النَّبيُّ ﷺ إذا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قَالَتْ: بِالسِّوَاكِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١١٩٩ ـ وَعَنْ أَبي مُوسَى الأشعَرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: « دَخلتُ عَلى النَّبيِّ ﷺ، وَطَرَفُ السِّواكِ على لِسانِهِ » مُتَّفَقٌ عَليهِ، وهذا لَفظُ مُسلِم.

١٢٠٠ ـ وَعَنْ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنها، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: « السوَاكُ مَطْهَرةٌ للفَمِ، مَرْضَاةٌ للرَّبِّ » رَوَاهُ النَّسائيُّ، وابنُ خُزَيمَةَ في صحيحِهِ بأسانيدَ صحيحةٍ.

وذَكَرَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في صَحِيحِهِ هذَا الحَدِيثَ تَعليقاً بصيغَةِ جَزْمٍ، فَقالَ: وقَالتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

١٢٠١ ـ وَعَنْ أبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: « الفِطرَةُ خَمسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطرَةِ: الخِتَان، وَالاستِحْدَادُ[1]، وَتقلِيمُ الأظفَارِ، وَنَتفُ الإبطِ، وَقصُّ الشَّارِبِ » مُتفقٌ عليهِ.

الاستِحْدَادُ: حَلْقُ العَانَةِ، وَهُوَ حَلْقُ الشعْرِ الذي حَوْلَ الفرْجِ.

---

(١) «الاستِحْدَادُ» حلقُ شعر العَانة، وهو ما ينبتُ من الشعر حول الذَّكَرِ، فهذه الأمور الخمسة من سنن الأنبياء والمرسلين.

١٢٠٢ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قَالَتْ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «عَشْرٌ مِنَ الفِطرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، واسْتِنشَاقُ المَاءِ، وَقَصُّ الأَظفَارِ، وغَسْلُ البَرَاجِمِ، وَنَتفُ الإبطِ، وَحَلقُ العَانَة، وانتِقَاصُ المَاءِ، قال الرَّاوِي: ـ وَنَسِيتُ العَاشِرَة إلَّا أن تَكونَ المَضمَضَةُ ـ قالَ وَكيعٌ وَهُوَ أَحَدُ رواتِهِ: انتِقَاصُ الماءِ، يَعْني: الاسْتِنْجَاء» رَوَاهُ مُسلِمٌ.

«البَرَاجِمُ» بالباء الموحدةِ والجيم، وهِي: عُقَدُ الأَصَابعِ «وَإعْفَاءُ اللِّحْيَةِ» مَعْنَاهُ: لا يَقُصُّ مِنْهَا شَيئاً.

١٢٠٣ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنهُمَا، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وأَعْفُوا اللِّحَى»[1] مُتفقٌ عليهِ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في تأكيد وجُوب الزكاة وبَيان فضلها ومَا يتعَلّق بهَا

قَالَ اللَّه تَعَالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقالَ اللَّه تَعَالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقَالَ تَعَالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

١٢٠٤ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنهُما، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «بُنِيَ الإسْلامُ عَلى خَمْسٍ: شَهَادَة أَنْ لا إلهَ إلَّا اللَّه، وأَنَّ مَحمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه، وَإقامِ

---

(١) «أَحفُو الشَّوَارِبَ، وأَعفُوا اللِّحَى» أي قَصُّوا شعر الشارب، واتركوا شعرَ اللحية، والمرادُ المنعُ من حلق اللحية، ولا ينافي هذا تهذيبَها وقصَّ الزائد منها على القبضة، فقد كان «عبد اللّه بن عمر» إذا اعتمر قَبَض على لحيته، فما زاد منها أمر الحلّاق بقصّه كما رواه عنه البخاري، وفي سنن الترمذي «كان رسول اللّه ﷺ يأخذ من لحيته، من طولها وعرضها» فالإسلام ذوقٌ وكمالٌ وجمال، ومن الجهالة أن تترك اللحيةُ بدون تهذيب ولا تشذيب، حتى تضرب إلى سُرّته، وقد قال ﷺ لأصحابه وهو راجع من إحدى الغزوات «إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا لباسكم، وأصلحوا رحالكم، حتى تكونوا كالشامة، فإن اللّه يكره الفُحش والتفحش» قال المناوي: محلُّ الإعفاء في غير ما طال من أطرافها حتى تخرج عن السَّمْت، بدليل أن الرسول ﷺ كان يأخذ من عرضها وطولها.

الصَّلاةِ، وَإِيتاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ » مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٠٥ ـ وعن طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّه رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قالَ: « جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ اللَّه ﷺ، مِن أَهْلِ نَجْدٍ، ثَائِرُ الرَّأْسِ[١] نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ[٢] وَلا نَفْقَهُ ما يَقُولُ، حتى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ، فإذا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإسْلام، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: خَمْسُ صَلَواتٍ في اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، قالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قالَ: لا، إلّا أَنْ تَطَّوَّعَ[٣]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: وصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لا، إلّا أَنْ تَطَّوَّعَ، فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وهُوَ يَقُولُ: وَاللَّه لا أَزِيدُ عَلى هذَا وَلا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: أَفْلَحَ إنْ صَدَقَ »[٤] مُتفقٌ عليهِ.

١٢٠٦ ـ وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنهُما « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذاً رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، إلى اليَمَنِ فَقَالَ: ادْعُهُمْ إلى شَهَادَةِ أَنْ لا إلهَ إلّا اللَّه وَأَنّي رَسُولُ اللَّه، فإنْ هُم أَطَاعُوا لِذلكَ[٥]، فَأَعْلِمْهُم أنَّ اللَّه تَعَالى، افتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمسَ صَلواتٍ في كُلِّ يَوْمٍ وَليلةٍ، فَإن هُمْ أَطاعُوا لِذلكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّه افتَرَضَ عَليهِم صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، وَتُرَدُّ على فُقَرائِهِم » مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٢٠٧ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتى يَشهدُوا أَنْ لا إلهَ إلّا اللَّه، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّه، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤتُوا الزَّكاةَ، فَإذَا فَعَلُوا ذلِكَ، عَصَمُوا مِنّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلّا بِحَقِّ الإسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلى اللَّه » مُتفقٌ عَليهِ.

١٢٠٨ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّه عنهُ، قَالَ: « لمَّا تُوُفيَ رَسُولُ اللَّه ﷺ،

---

(١) « ثَائِرُ الرَّأْسِ » أي منتشر شعر رأسه ومنتفش كحالة الأعراب.

(٢) « نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ » أي صوته الشديد المرتفع غير المفهوم، لأنه كان ينادي من بعيد، حتى اقترب من رسول اللَّه ﷺ.

(٣) « إلّا أَنَ تَطوَّعَ » أي إلّا أن تتطوَّع فتصلّي للّه نافلة غير الفروض الخمسة.

(٤) « أَفْلَحَ إنْ صَدَقَ » أي فاز بالمطلوب والمحبوب إن أتى بهذه الفرائض.

(٥) « فَإنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ » أي فإن هم استجابوا لما فُرض عليهم من الصلاة، فأَعلِمْهم أن اللّه فرض عليهم فريضةً أخرى هي « الزكاة » والغرضُ من ذلك: التدرُّج في الدعوة إلى اللّه، وقبولها بطيب نفس، دون أن يكون عليهم إثقال، بكثرة الفرائض والواجبات.

وَكانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العرَبِ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: كيف تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «أُمِرتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إلهَ إلَّا اللَّه، فَمَنْ قَالَها، فَقَدْ عَصَمَ مِني مَالَهُ وَنَفْسَهُ إلَّا بحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلى اللَّه»؟! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: واللَّه لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ، فإنَّ الزكاةَ حَقُّ المَالِ[1]!! واللَّه لَو مَنعُوني عِقَالاً[2] كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلى مَنعِهِ. قَالَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: فَوَاللَّه مَا هُوَ إلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّه قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبي بَكْرٍ للقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ»[3] مُتفقٌ عليهِ.

١٢٠٩ ـ وَعَنْ أبي أَيوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَن رَجُلاً قَالَ لِلَّنبِيِّ ﷺ: أَخْبِرْني بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، قَالَ: تَعْبُدُ اللَّه لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتي الزَّكاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٢١٠ ـ وَعَنْ أبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ «أَنَّ أَعرَابِياً أَتَى النَّبيَّ ﷺ فَقَالَ: يا رَسُولَ اللَّه: دُلَّني عَلى عَمَلٍ، إذا عَمِلْتُهُ، دَخَلْتُ الجَنَّةَ قَالَ: تَعْبُدُ اللَّه، ولا تُشرِكُ بِهِ شَيئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتي الزَّكاةَ المَفروضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ» قَالَ: وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا أَزِيدُ عَلى هذا[4] فَلَمَّا وَلَّى، قالَ النَّبيُّ ﷺ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلى رَجُلٍ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إلى هذا» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٢١١ ـ وَعَنْ جَريرِ بنِ عبدِ اللَّه رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: «بَايَعْتُ النَّبيَّ ﷺ، عَلى إقَامِ الصَّلاةِ، وَإيتَاءِ الزَّكاةِ، والنُّصْحِ لكُلِّ مُسْلِمٍ» مُتَّفَقٌ عَليهِ.

---

(١) «فَإنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ» إنما استحلَّ الصِدِّيقُ قتالَ من امتنعَ عن الزكاة، لأن الزكاة فريضةٌ كالصلاة، وإذا كانت الصلاةُ حقَّ اللَّه، فإن الزكاة حقُّ الفقراء، وهي داخلة في قوله ﷺ: «إلَّا بحقِّه» وهذه كلُّها من حقوق الإسلام، فعمرُ أخذَ بظاهر أول الحديث، قبل أن ينظر إلى آخره، وأبو بكر نظر إلى آخر الحديث «إلا بحقه» فأصاب الفهم.

(٢) «لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً» هو الحبلُ الذي يُربط به البعير، أي لو منعوني من الزكاة مقدارَ هذا الحبل، لقاتلتهم عليه.

(٣) «فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ» أي اجتهد فطابق اجتهاده الحقَّ والصواب.

(٤) «لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا» قال الطبراني: هذا الحديث ونحوُه، خُوطب به أعرابٌ حديثو عهدٍ بالإسلام، فاكتفى ﷺ منهم بفعل الواجب في ذلك الوقت، لئلا يثقل ذلك عليهم فيملُّوا، حتى إذا انشرحت صدورهم لفهم الإسلام، حرصوا على تحصيل ثواب المندوبات وسَهُلت عليهم.

١٢١٢ ـ وَعَنْ أَبِي هُرِيرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ، وَلَا فِضَّةٍ، لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا[١] إِلَّا إذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ[٢]، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا في نار جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بهَا جَنْبُهُ، وَجَبِينُهُ، وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعيدَتْ لَهُ في يَوْم كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ فَيُرى سَبِيلُهُ، إمَّا إلى الجَنَّةِ، وَإمَّا إلى النَّارِ، قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّه فالإبِلُ؟ قَالَ: وَلا صاحِبِ إبِلٍ لا يُؤَدِّي مِنهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلْبُها يَوْمَ وِرْدِها، إلَّا إذا كانَ يَوْمُ القِيَامَة بُطِحَ لهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أَوْفَرَ ما كانَتْ، لا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلاً وَاحِداً، تَطَؤُهُ بِأخْفَافِهَا، وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِها، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاها، رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاها، في يَوم كانَ مِقْدَاره خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبادِ، فَيُرَى سَبِيلُه، إمَّا إلى الجنَّةِ وَإمَّا إلى النارِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه فَالْبَقَرُ وَالغَنَمُ؟ قالَ: وَلا صَاحِبِ بَقَرٍ وَلا غَنَمٍ لا يُؤَدِّي مِنها حَقَّهَا، إلَّا إذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، بُطِحَ لَها بِقَاعٍ قَرْقَرٍ[٣]، لا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئاً، لَيْسَ فِيها عَقْصَاءُ[٤]، وَلا جَلْحَاءُ، وَلا عَضْبَاءُ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، وَتَطَؤُهُ بِأَظْلافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاها، رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاها، في يَوم كانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَاد، فَيُرَى سَبِيلُهُ إمَّا إلى الجَنَّةِ وَإمَّا إلى النَّارِ، قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّه فالخَيْلُ؟ قَالَ: الخَيْلُ ثَلاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، فَأَمَّا التي هِيَ لهُ وِزرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخراً، وَنِواءً عَلى أَهْلِ الإسْلامِ[٥]، فهيَ لَهُ وِزرٌ، وَأَمَّا التي هِيَ لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا في سَبِيلِ اللَّه، ثُمَّ لَم يَنْسَ حَقَّ اللَّه في ظُهُورِها،

---

(١) «ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي منْهَا حَقَّهَا» أي لا يؤدي الحقَّ الواجب فيها وهو الزكاة.

(٢) «صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ» أي صارت مذابةً كالصفائح، وأُحميَ عليها في نار جهنم وعُذِّب بها، وهذا الحديثُ توضيحٌ لقوله تعالى: **﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُم هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ. .﴾** الآية.

(٣) «بِقَاعٍ قَرْقَرٍ» أي أرضٍ واسعة مستوية «أَوْفَرَ مَا كَانَتْ» أي أسمَى شيءٍ وأعظمه، لتطأَهُ بأقدامها، جزاءً له على منعه الزكاة.

(٤) «لَيْسَ فِيها عَقْصَاءُ» أي معكوفةُ القرنين «ولا عَضْبَاءُ» أي مكسورة القرون «ولا جَلْحَاءُ» ليس لها قرون، وفي الحديث إشارة إلى أنها في غاية القوة والسلامة، ليكون أوجعَ للمنطوح بها، ولهذا قال: «تنطحُه».

(٥) «وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الإِسْلَامِ» أي معاداة على المسلمين، وإرادة السوء لهم.

وَلا رِقابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَأَمَّا التي هِيَ لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا في سَبِيلِ اللَّه لأَهْلِ الإِسْلام، في مَرْجٍ، أَوْ رَوضَةٍ، فَمَا أَكَلَت مِن ذلكَ المَرجِ أَوِ الرَّوضَةِ مِن شيْءٍ إلَّا كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أَكَلَت حَسَناتٌ، وَكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا حَسَنَاتٌ، وَلا تَقْطَعُ طِوَلَها[1] فاسْتَنَّت شَرَفاً أَو شَرَفَيْنِ إلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدَ آثارِهَا، وأَرْوَاثها حَسَنَاتٍ، وَلا مَرَّ بها صَاحِبُهَا عَلى نَهرٍ، فَشَرِبَت مِنْهُ، وَلا يرِيدُ أَن يَسْقِيَهَا إلَّا كَتَبَ اللَّه لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَت حَسَنَاتٍ، قيلَ: يا رسولَ اللَّه فالحُمُرُ؟ قالَ: مَا أُنزِلَ عَلَيَّ في الحُمُرِ شَيءٌ إلَّا هذِهِ الآيةُ الفَاذَّةُ الجَامِعَةُ[2]: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨] » مُتَّفَقٌ عَليهِ، وهذا لفظُ مُسْلِم.

وَمَعْنَى «القَاعُ»: المكانُ المُسْتَوي مِنَ الأَرْضِ، الواسِعُ و«القَرْقَرُ»: الأَمْلَسُ.

❁ ❁ ❁

باب وجُوب صَوم رَمضان وبَيان فضل الصّيام ومَا يتعَلّق به

قَالَ اللَّه تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[3] إلى قَولِهِ تَعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ﴾ الآية [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥].

وأمَّا الأحاديث فقد تقدمت في الباب الذي قبلَهُ.

---

(١) «وَلَا تَقْطَعُ طِوَلَهَا» أي تقطع الحبلَ الذي رُبطت به، فتبتعدُ على مرتفع أو جَبَل، إلَّا كان له بها أجر، والشَّرَفُ: المرتفع العالي من الأرض.

(٢) «الآيَةَ الفَاذَّةَ الجَامِعَةَ» أي الآية الفريدة في معناها، الجامعة لأبواب البرّ والخير، وهي قوله تعالى. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مثقالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَاه﴾.

(٣) ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي فُرض عليكم يا معشر المؤمنين صيامُ شهر رمضان، كما فُرض على من قبلكم من الأمم، لتكونوا من المتقين لله، المجتنبين لمحارمه، والتشبيه ههنا في أصل الصوم لا في خصوص رمضان، لأن رمضان من خصائص هذه الأمة، تشريفاً لنبيِّها محمد ﷺ، وقال الحسن: فُرض عليهم رمضان ولكنهم تلاعبوا وغيَّروه.

١٢١٣ ـ وَعَنْ أَبِي هُرِيرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «قَالَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ[١] إلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ[٢]، فَإذا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ[٣]، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إنِّي صَائِمٌ[٤] وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ[٥] أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّه مِنْ رِيحِ المِسْكِ. للصَّائمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا[٦]: إذا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإذا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ» مُتَّفَقٌ عليه. وهذا لفظ روايةِ الْبُخَاري.

وفي روايةٍ له: «يَتْرُكُ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ، وَشهْوَتَهُ، مِنْ أَجْلي، الصِّيَامُ لي وَأَنَا أَجْزي بِهِ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا».

وفي روايةٍ لمسلم: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إلى سَبْعِمَائة ضِعْفٍ، قال اللَّه تعالى: إلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ».

١٢١٤ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاةِ، وَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بابِ الجِهَادِ،

---

(١) «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ» هذا من الأحاديث القدسية، أي كلُّ عمل ابن آدم، له فيه حظٌّ ونصيبٌ، لاطِّلاع الناس عليه، فهو يتعجَّل به ثناء الناس، وينال به جاهاً وتعظيماً، إلا الصوم فإنه خالصٌ لله تعالى، لا يطّلع عليه أحد، ولا حظَّ فيه للنفس، فهو عبادة خالصة لله، لا يدخل فيه رياء ولا سمعة، ثم هو قهرٌ للنفس بحرقة الجوع والعطش.

(٢) «وَالصِّيَام جُنَّةٌ» أي وقاية وحصنٌ حصينٌ من النار، كما يتقي بالتُّرس الرمحَ، وبالدرع السيفَ.

(٣) «فَلَا يَرْفُثْ ولا يَصْخَبْ» أي لا يتكلم بالكلام الفاحش، ولا يرفع صوته بالصيام.

(٤) «فَلْيَقُلْ إنِّي صَائِمٌ» أي إن سبَّه أحدٌ أو نازعه وخاصمه، فليقل في قلبه: إني صائم، ليزجر نفسه عن الشر، أو بلسانه ليزجر خصمه عن السَّفه.

(٥) «لَخُلُوفُ فَم الصَّائِم» أي تغيُّرُ رائحة فم الصائم من أثر الصيام، أطيبُ عند الله من ريح المسك، لأنَّها من أثر العبادة.

(٦) «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا» الفرحةُ الأولى عند انتهاء شهر رمضان، وإقبال عيد الفطر، وهي «الفرحةُ الصغرى» وأما الفرحة الكبرى فهي عند ملاقاة ربه، ونيل ثوابه العظيم، وذلك حين يأتيهم النداء من خالق الأرض والسماء ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ.﴾ إلى قوله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وأَكْوَابٍ وفيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدقةِ، قال أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنتَ وَأُمِّي يا رسولَ اللَّهِ! ما عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوابِ مِنْ ضَرُورَةٍ[١]، فَهلْ يدعَى أَحدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوابِ كلِّهَا؟ قال: نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكونَ مِنهُم»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

١٢١٥ ـ وعنْ سهلِ بنِ سعدٍ رضيَ اللَّهُ عنهُ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ في الجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لهُ: الرَّيَّانُ[٣]، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يومَ القِيَامَة، لا يدخُلُ مِنهُ أحدٌ غَيرهم، يقالُ: أينَ الصَّائِمُونَ؟ فيَقومونَ لا يدخلُ مِنْهُ أَحَدٌ غيرهم، فَإذا دَخَلوا أُغلِقَ، فَلَمْ يَدخلْ مِنْهُ أَحَدٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٢١٦ ـ وعَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ رضيَ اللَّهُ عنهُ، قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يصُومُ يوماً في سَبِيلِ اللَّهِ إلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذلِكَ اليَومِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبعينَ خَرِيفاً»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

١٢١٧ ـ وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيمَاناً واحْتِسَاباً، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٢١٨ ـ وعنهُ رضيَ اللَّهُ عنهُ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «إذا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِّحتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَت أَبْوابُ النَّارِ، وصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ»[٥] مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «مَا عَلَى مَنْ دُعِي مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورةٍ» أي من لم يكن إلا من أهل خصلةٍ واحدة، ودُعي لها من بابها، لا ضرر عليه!؟ لأن الغاية دخولُ الجنة.

(٢) «وأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» الرجاء من الله تعالى ومن نبيّه ﷺ محقّق لا محالةَ، وفي الحديث بيانُ فضيلة أبي بكر رضي الله عنه، حيث يُنادَى من جميع أبواب الجنة، لشرفه وفضله، وفيه بيان جواز الثناء على الإنسان في وجهه، إذا لم يُخشَ عليه فتنةُ الإعجاب بالنفس.

(٣) «بَابٌ يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ» هذا الباب في الجنة خاصّ بالصائمين، كرامةً من الله لهم، لأنهم عطشوا في الدنيا، فجازاهم الله يوم القيامة بباب خاص هو الريّانُ، من دخله لم يظمأ أبداً.

(٤) «بَاعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ سَبْعِينَ خَرِيفاً» كنّى عن السَّنَة بالخريف، أي باعَدَ وَجهَه عن نار جهنم سبعين سنة، لأنه ذاق حرارة الصيام في الصيف، وفي أيام الحرّ، فجازاه اللّه بصرفه عن النار.

(٥) «وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ» أي رُبطت بالسلاسل والأغلال لئلا تُغْويَ الصائمين، وفي رواية في الصحيح «وصُفِّدت مَرَدةُ الشياطين» أي العُتاةُ الطُّغاةُ منهم، ولو رُبطت جميعُ الشياطين، لما وقعت معصية في رمضان، وهذا عونٌ من الله سبحانه للصائمين. . للإنسان عدوان: «الشيطانُ، والنفسُ الأمّارةُ بالسوء» فالنفسُ تُقهر بالصيام، والشيطانُ يعيننا الرحمن عليه بربطه بالأغلال، ولذلك يكثر العابدون في رمضان.

١٢١٩ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فإن غَبِيَ[1] عَليكم، فأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِينَ» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ البخاري.

وفي روايةِ مسلم: «فَإن غُمَّ عَليكمْ فَصُوموا ثَلاثِينَ يَوْماً».

۞ ۞ ۞

بابٌ في الجود وفعل المعروف والإكثار من الخير في شَهْر رَمَضَانَ والزيادة من ذلك في العشر الأواخر منه

١٢٢٠ ـ وعن ابنِ عبَّاسٍ رضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، قالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ ما يَكُونُ في رَمضانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبرِيلُ، وَكَانَ جبريلُ يَلقَاهُ في كُلِّ لَيلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القرآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبرِيلُ، أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٢١ ـ وعَنْ عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنها قالَتْ: «كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا دَخَلَ العَشْرُ أحيَا اللَّيْلَ، وَأيقَظَ أَهْلَهُ، وَشَدَّ المئزرَ» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النّهي عَن تقدّم رَمضان بصَوْم بعد نصف شعبان إلا لمن وصله بما قبله أو وافقَ عادةً له بأن كان عادته صوم الإثنين والخميس فوافقه

١٢٢٢ ـ عن أبي هُريرَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «لا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَومِ[3] يومٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ، فَلْيَصُمْ ذلِكَ اليَوْمَ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «غَبِيَ عَليكم» أي غيِّم فلم تروه.

(٢) «أَجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ» يعني أنه ﷺ في الجود والكرمِ في رمضان أسرعُ من الريح المطلقة التي تهبُّ بقوة.

(٣) «لَا يَتَقَدمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمٍ» أي لا يصم يوماً أو يومين قبلَ رمضانَ، إلّا إذا صادف =

١٢٢٣ ـ وعنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللَّهُ عنهما، قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَصُومُوا قَبْلَ رَمَضَانَ، صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ حَالَتْ دُونَهُ غَيَايَةٌ فَأَكْمِلُوا ثَلاثِينَ يَوماً» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وقال: حديث حسنٌ صحيحٌ.

«الغَيَايَة» هِيَ: السَّحابَةُ.

١٢٢٤ ـ وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا بَقِيَ نِصْفٌ مِنْ شَعْبَانَ فَلا تَصومُوا» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسَنٌ صَحِيحٌ.

١٢٢٥ ـ وَعَنْ أبي اليَقظانِ «عمارِ بنِ يَاسِرٍ» رضيَ اللَّهُ عَنْهُما، قالَ: «مَن صَامَ اليَوْمَ الَّذي يُشَكُّ فِيهِ فَقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ ﷺ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في ما يقال عِندَ رؤية الهلال

١٢٢٦ ـ عَنْ طَلْحَةَ بنِ عُبيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا رَأَى الهِلالَ قالَ: «اللَّهُمَّ أهِلَّهُ عَلَيْنَا بالأَمْنِ والإيمَان[1]، وَالسَّلامَةِ والإسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، هِلالُ رُشْدٍ وَخَيْرٍ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حَسَنٌ.

۞ ۞ ۞

= اليوم الذي كان يعتادُ صومَه، كالإثنين والخميس، والحكمةُ أن لا يزيد المسلمون في عبادتهم، على ما شرعه اللّه من صيام رمضان فيبتدعوا، ولهذا حَرُم صيامُ يوم الشكِّ، كما في الحديث الصحيح «من صام اليوم الذي يُشَكُّ فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ» رواه الترمذي.

(١) «اللّهُمّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ والإِيمَانِ» هذا من الدعاء المأثور عند أول رؤية الهلال، ويستحبُّ أن يزيد فيقول: آمنتُ بالذي خلقك، اللهمَّ إني أسألك خيرَ هذا الشهر، وخيرَ ما فيه، وأعوذ بك من شرّه وشرّ ما فيه، الحمدُ للّه الذي ذهب بشهر «كذا» وأتى بشهر «كذا». لما ورد من الروايات الصحيحة، والآثار المستفيضة.

بابٌ في فضل السُّحور
وتأخيرُه مالم يخش طلوع الفجر

١٢٢٧ ـ عَنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَسَحَّرُوا، فَإنَّ في السُّحُورِ بَرَكَةً» مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٢٨ ـ وعن زيدِ بنِ ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ[١] ﷺ، ثُمَّ قُمْنَا إلى الصَّلاةِ، قِيلَ: كَمْ كانَ بَيْنَهُمَا؟ قالَ: قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً» مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٢٩ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالَ: «كانَ لِرسولِ اللَّهِ ﷺ مُؤَذِّنَانِ: بِلالٌ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ. فَقَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: إنَّ بِلالاً يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ[٢]، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، قالَ: وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إلَّا أَنْ يَنْزِلَ هذا وَيَرْقَى هذا» مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٣٠ ـ وَعَنْ عَمْرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيامِ أَهْلِ الكِتابِ: أَكْلَةُ السَّحَرِ»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «تَسَحَّرنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» في الحديث تأكيد سُنَّة السحور، وتأخيره إلى قُبَيْل الفجر، وقد كان العربُ يقدِّرون الأوقات بالأعمال كقولهم: قَدْرَ حلب شاة، وقدَّره الراوي بالتلاوة، لأن رمضان شهر العبادة، وقد كان ﷺ رفيقاً بأمته، فلو لم يتسحَّر الصائمُ لشقَّ ذلك على بعضهم، ولو تسحَّر نصف الليل، لشقَّ على من يغلب عليه النوم، فيفوت عليه السحور.

(٢) «إنَّ بِلَالاً يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ» كان لرسول اللَّه ﷺ في المدينة المنورة مؤذِّنان «بلال» و«عبد اللَّه بن أم مكتوم» فكان بلالٌ يؤذِّن للصبح مبكِّراً بالغُسْل من الجنابة، أو لقضاء الحاجة، فيتوضأ ويتطهَّر، ويؤذِّن ابنُ أمِّ مكتوم «الأذان الثاني» عند دخول الفجر، فلهذا قال ﷺ لأصحابه: «فَكُلُوا واشْرَبُوا حتى يؤذِّن ابنُ أمِّ مكتوم» لأن الأول للاستعداد، والثاني لدخول الوقت.

(٣) «فَصْلُ ما بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ الكِتَابِ» أي الفاصلُ بين صيامنا، وصيامِ اليهود والنصارى هو: «السُّحورُ» فنحن نتَسَحَّرُ وهم لا يتسحَّرون، وفيه التصريحُ بأن السَّحورَ من خصائص الأمة المحمدية، تفضَّل اللَّه به علينا.

بابٌ في فضل تعجيل الفِطر وما يفطر عليه، وما يقوله بعد إفطاره

١٢٣١ ـ عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لا يَزالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلوا الفِطْرَ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٣٢ ـ وَعَنْ أَبي عَطِيَّةَ قَالَ: «دخَلْتُ أَنَا وَمَسْرُوقٌ على عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، فَقَالَ لَهَا مَسْرُوقٌ: رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كِلاهُمَا لا يَأْلُو عَنِ الخَيْرِ[١]: أَحَدُهُمَا يُعَجِّلُ المَغْرِبَ وَالإِفْطَارَ[٢]، والآخَرُ يُؤَخِّرُ المَغْرِبَ وَالإِفْطَارَ؟ فَقَالَتْ: مَنْ يُعَجِّلُ المَغْرِبَ وَالإِفْطَارَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ(يَعني ابنَ مَسْعودٍ) فَقَالَتْ: هكَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَصْنَعُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَوْلهُ: «لا يَأْلو» أَيْ لا يُقَصِّرُ في الخَيْرِ.

١٢٣٣ ـ وَعَنْ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَحَبُّ عِبادِي إليَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْراً» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حَديثٌ حَسَنٌ.

١٢٣٤ ـ وَعَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ ههُنَا[٣]، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ ههُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٣٥ ـ وَعَنْ أَبي إبراهيمَ «عبدِ اللَّهِ بنِ أَبي أَوْفى» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالَ: «سِرْنَا مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قالَ لِبَعْضِ الْقَوْمِ: «يا فُلانُ انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا»[٤]، فقَالَ: يا رسول اللَّه لو أمسيت؟ قال: «انزل

(١) «لَا يَأْلُو عَنِ الخَيْرِ» أي كلٌّ منهما لا يُقصِّر في طلب معرفة الخير.

(٢) «يُعَجِّلُ المَغْرِبَ والإِفْطَارَ» أي يعجِّل في صلاة المغرب، ويعجِّل في الإفطار إن كان صائماً، وقد صوَّبت السيدةُ عائشة عمل ابن مسعود، وقالت: هكذا كان يصنع رسولُ اللَّه ﷺ، أمَّا الآخر وهو «أبو موسى الأشعري» الذي كان يؤخِّر الإفطار والمغرب، فلم تصوِّب رأيه.

(٣) «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَهُنَا» أي من جهة المشرق، وأدبر من جهة المغرب، أي بدأ الظلام وغربت الشمس، فقد حلَّ الإفطار للصائم، وصار مفطراً شرعاً، ولا بدَّ من تحقق غياب قرص الشمس، ولا يضرُّ بقاء الشُّعَاع.

(٤) «إِنزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا» أي اخلطْ السُّويقَ بالماء، وحرِّكه لنشربَ منه، والحديثُ أكَّد الحكمَ السابق، وهو أن الشمس إذا غابت، وبدأت الظلمة حلَّ الأفطار.

فاجدح لنا» قال: إن عليك نهاراً، قال: «إنزل فاجدح لنا» قال: فَنَزَلَ فَجَدَحَ لهمْ فَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «إذا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ ههنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ» وأَشارَ بِيَدِهِ قِبَلَ المَشْرِقِ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

قوله: «اجْدَحْ» أَي: اخْلِطِ السَّوِيقَ بالمَاءِ.

١٢٣٦ ـ وَعَنْ سَلْمَانَ بنِ عَامِرِ الضَّبِّيِّ الصَّحَابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إذا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُفْطِرْ عَلى تَمْرٍ[1]، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، فَلْيُفْطِرْ عَلى مَاءٍ فَإِنَّهُ طَهُورٌ» رَوَاهُ أَبو دَاوُدَ، والتِّرمِذِيُّ وقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ.

١٢٣٧ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلى رُطَبَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَتُمَيْرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُمَيْرَاتٌ، حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ» رَوَاه أَبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حَسَنٌ.

۞ ۞ ۞

باب أمر الصّائم بحفظِ لِسانهِ وجَوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها

١٢٣٨ ـ عنْ أَبي هُريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحدِكُمْ، فَلا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إنِّي صائمٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٣٩ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّوْرِ[2]، والعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»[3] رَوَاهُ الْبُخارِيُّ.

---

(١) «فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ» السُّنَّةُ للصائم أن يفطر على تمرات أو رُطب، لما كان ﷺ يفعل ذلك، فإن لم يتيسَّرْ له ذلك، فليفطر على الماء، فإنه من أعظم النعم قال تعالى: ﴿وجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ وهو الماء الطهور المبارك.

(٢) «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُورِ» أي من لم يترك الكذب وانتهاك محارم اللّه.

(٣) «أَنْ يَدَعَ طَعَامَهَ وشَرَابَهُ» أي ليس للّه حاجةٌ في صيامه، وهو مردود عليه، وليس معناه أن يُؤمرَ بالأكل والشرب، وإنما الغَرضُ منه التحذير من قول الزور، كأنه يقول: اللّهُ مستغنٍ عن صيامه وطاعته، وقد انتهك ما حرّمه اللّه عليه، فهو وعيدٌ وتهديد، وهذا كقوله ﷺ: «إذا لم تَستَحِ فاصْنَعْ ما شِئتَ» هو حثٌّ على الحياء، وليس أمراً بفعل ما يشاء.

بابٌ في مَسائل من الصّوم

١٢٤٠ ـ عَنْ أَبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «إذا نَسِيَ أَحَدُكُمْ، فَأَكَلَ، أَو شَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ»[١] مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٤١ ـ وعن لَقِيطِ بنِ صَبِرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قلتُ: يَا رسولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنِ الْوُضُوءِ؟ قالَ: أَسْبِغِ الوضُوءَ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الأَصَابعِ، وَبَالِغْ في الاسْتِنْشَاقِ، إلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمَاً» رَوَاهُ أبو داود، والترمذِي وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٤٢ ـ وعنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، قالَتْ: «كانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ، يُدْرِكُهُ الفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أَهْلِهِ[٢]، ثمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٤٣ ـ وعنْ عائشةَ وأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهما، قالتا: «كان رسول اللَّه ﷺ يُصْبح جُنُباً مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ، ثُمَّ يَصُومُ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

❁ ❁ ❁

باب فضل صَوم
المحرّم وشعبان والأشهر الحُرم

١٢٤٤ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ اللَّهِ المُحَرَّمُ[٣]، وَأَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلاةُ اللَّيْلِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ» أي إذا أكل أو شرب ناسياً، فلا قضاء عليه ولا كفارة، وإنما هو كرامة من اللَّه أكرمه بها، فلا يؤاخذه عليها، ومن لطيف ما يُروى «أن رجلاً جاء أبا هريرة فقال له: لقد أصبحتُ اليومَ صائماً، فدخلتُ على رجلٍ فنسيتُ فأكلتُ عنده!! فقال له: لا بأس صيامُك صحيح، فقال: ثم دخلتُ على صديق فشربت عنده!! فقال له: لا بأس أطعمكَ اللَّهُ وسقاك!! قال: ثم دخلتُ على رجل آخر، فنسيتُ فطعمتُ عنده!! فقال له أبو هريرة: أنتَ إنسانٌ لم تتعوَّد الصيام» رواه عبد الرزاق.

(٢) «كَانَ ﷺ يُدْرِكُهُ الفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أَهْلِهِ» دلَّ هذا الحديث على أن الجنابة لا تؤثّر في الصيام ولا تُبطله، فقدكان صلوات اللَّه عليه يصبحُ جنباً ثم يغتسل بعد طلوع الفجر ويصوم، وقوله: «مِنْ أَهْلِهِ» أي جنابتُه تكون عن معاشرة زوجه، لا من الاحتلام، لأن الاحتلام من تلاعب الشيطان بالإنسان، ولا طريق له على الأنبياء المكرَمين.

(٣) «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بعد رمضان شَهْرُ اللَّه المُحرّم» دلَّ الحديث على أن أفضل الصيام بعد =

١٢٤٥ ـ وعَنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، قَالتْ: «لَمْ يَكنِ النَّبيُّ ﷺ يَصُوم مِنْ شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فَإِنَّه كَانَ يَصُوم شَعْبَانَ كُلَّهُ»[١]

وفي روايةٍ: «كَانَ يَصُومُ شَعبانَ إِلَّا قَلِيلاً» مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٤٦ ـ وعن مجيبَةَ البَاهِلِيَّةِ[٢] عَنْ أَبِيهَا أَوْ عمِّها رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمْ «أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، ثمَّ انطَلَقَ فَأَتَاهُ بعدَ سَنَةٍ، وَقَدْ تَغَيَّرَتْ حَالهُ وَهَيْئَتُهُ، فَقَالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا تَعرِفُنِي؟ قَالَ: «وَمَنْ أَنتَ» قال: أَنَا البَاهِلِيُّ الذي جِئتُكَ عَامَ الأَوَّلِ. قَالَ: فَمَا غَيَّرَكَ، وَقَد كُنتَ حَسَنَ الهَيئةِ؟ قالَ: ما أَكلتُ طَعَاماً منذ فَارَقْتُكَ إِلَّا بِلَيْلٍ[٣]. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَذَّبتَ نَفْسَكَ[٤]! ثُمَّ قَالَ: صُمْ شَهرَ الصَّبْرِ[٥]، وَيَوماً مِنْ كلِّ شَهرٍ، قال: زِدْنِي، فإِنَّ بي قوَّةً، قَالَ: «صُمْ يَوْمَيْنِ» قالَ: زِدْنِي، قالَ: صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّام[٦] قالَ: زِدْنِي، قالَ: صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاترُكْ، صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاترُكْ، صُمْ مِنَ الحرُمِ وَاتْرُكْ[٧]، وقالَ بِأَصَابِعِهِ الثَّلاثِ فَضَمَّهَا، ثُمَّ أَرْسَلَهَا» رَوَاهُ أَبو داود. و «شهرُ الصَّبْرِ»: رَمَضَان.

۞ ۞ ۞

= رمضان شهر المحرَّم، وأمَّا صومُه ﷺ في شعبان، وأنه كان يصوم أكثره، فالعلَّةُ فيه ما ورد «أنه شهرٌ تُرفع فيه الأعمال إلى اللَّه، وتُكتب فيه الآجالُ» فكان يحبُّ أن يُرفع عملُه وهو صائم، وأمَّا شهر المحرَّم فصيامُه أفضلُ، كما ورد به النصُّ، ولم يتمكَّن ﷺ من صومه لأنه كان يتجهَّز بعد الحجِّ للغزو، ويخرج لجهاد أعداء الدين، فتدبر ذلك واللَّه يرعاك!!

(١) «كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ» أي يصوم معظمه بدليل رواية مسلم «كان يصوم شعبانَ إلَّا قليلاً» والعرب يقولون إذا صام أكثر الشهر، وقام أكثرَ ليله: صام الشهر كلَّه، وقام ليله أجمع، ويكون قد تعشَّى وسامَرَ أهله. وإنما لم يستكمل غير رمضان، لئلا يظنَّ أحدٌ وجوب شهر شعبان.

(٢) «مجيبة» صحابية، وأبوها «عبد اللَّه بن حارث الباهلي» صحابي كما ذكره ابن الأثير، أتى رسولَ اللَّه ﷺ وافداً.

(٣) «ما أكلتُ طعاماً منذ فارقتك إلا بليل» يريد أنه كان صائماً طيلة السنة التي غابها عن رسول اللَّه ﷺ.

(٤) «عذَّبتَ نفسَك» أي بالصوم بما يُرهقها وبما يضرُّ بالنفس، وبما فيه مخالفة لهدي النبوة.

(٥) «صم شهر الصَّبْر ويوماً من كلِّ شهر» أي صم شهر رمضان الذي فرضه اللَّه عليك، ويوماً من كل شهر نافلة، سمي الصومُ صبراً لأنه حبس النَّفسَ عن الشهوات.

(٦) «صم ثلاثة أيام» أي تطوعاً من كل شهر، وذلك كصيام الدهر، لأن الحسنة بعشر أمثالها.

(٧) «صم من الحُرُم» أي الأشهر الحرم وهي «رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرَّم» صم ثلاثاً منها واترك، وإنما أمره بالترك، لئلا يصير معتاداً، فلا يجد للصوم كلفةً ولا مشقة.

باب فضل الصَّوم وغيره في العشر الأول من ذي الحجَّة

١٢٤٧ ـ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَيَامِ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيها أَحَبُّ إلى اللَّهِ مِنْ هذِهِ الأَيَامِ؟! يعني: أيامَ العشرِ، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ وَلا الجهادُ في سبيلِ اللَّهِ[١]؟ قالَ: وَلا الجهادُ في سَبِيلِ اللَّهِ، إلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ، وَمَالِهِ[٢]، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذلِكَ بِشَيءٍ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁ ❁ ❁

باب فضل صَوم يَوم عرفة وعاشوراء وتاسوعاء

١٢٤٨ ـ عَنِ أبي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، قالَ: «سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ؟ قالَ: يكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ وَالبَاقِيَةَ»[٣] رَوَاهُ مسلِمٌ.

١٢٤٩ ـ وعَنْ ابنِ عَباسٍ رضيَ اللَّهُ عَنهما «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَامَ يَوْمَ عاشورَاء، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٥٠ ـ وعنْ أَبي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٢٥١ ـ وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، قَالَ: «قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَئِنْ بَقِيتُ إلى قابلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

---

(١) «ولا الجهادُ في سبيل اللَّه» أي ولا الجهاد يعدل عمل البرّ في أيام العشر، لأنها أيام مباركات، يتجلّى اللَّه فيها على عباده بالمغفرة والرضوان، وفيها يوم عرفة.

(٢) «إلا رجل خرج بنفسه وماله» أي خرج مجاهداً بماله وبنفسه، يقصد قهر عدوه، فرزقه اللَّه الشهادة في سبيل اللَّه، فهذا ينال درجة العامل للخير، والعابد للَّه في الأيام العشر.

(٣) «يكفّر السنة الماضية والباقية» أي صيام يوم عرفة يكفّر ذنوب سنتين من الذنوب الصغائر: السنة الماضية، والسنة الآتية، أما صوم يوم عاشوراء «العاشر من المحرّم» فيكفّر السنة الماضية، وقد دلّ الحديث على أن يوم عرفة أفضل من يوم عاشوراء، لأن يوم عرفة سيد الأيام.

(٤) «لئن بقيتُ إلى قابل لأصومن التاسع» أي لئن عشتُ إلى السنة القادمة لأصومن التاسع مع العاشر، مخالفة لليهود لأنهم يفردونه بالصوم، فيستحبُّ ضمُّ يوم قبله أو يومٍ بعده بُغية المخالفة لليهود.

باب استِحباب صَوم سِتة أيام من شوال

١٢٥٢ ـ عَنْ أَبي أَيوبَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنهُ، أَنَّ رسولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثمَّ أَتبَعَهُ سِتاً مِنْ شَوَّالٍ، كانَ كصِيَامِ الدَّهْرِ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞۞۞

باب استِحباب صَوْمِ الاثنين والخميس

١٢٥٣ ـ عن أَبي قَتَادَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنهُ، «أَنَّ رَسولَ اللّٰهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْم يَوْم الاثْنَيْنِ[2]، فَقَالَ: ذٰلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ، ـ أَوْ أُنْزِلَ عَليَّ ـ فِيهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٢٥٤ ـ وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عنه، عَنْ رسولِ اللّٰهِ ﷺ قالَ: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الاثْنَينِ والخَميسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَملي وَأَنَا صَائِمٌ» رَوَاهُ التِرْمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حَسَنٌ، ورَوَاهُ مُسلمٌ بغيرِ ذِكرِ الصَّوْم.

١٢٥٥ ـ وَعَنْ عَائشةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ يَتَحَرَّى صَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ»[3] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

۞۞۞

باب استِحباب صَوم ثلاثة أيام من كل شهر

والأفضلُ صوْمُهَا في الأيامِ البِيضِ، وَهِيَ: الثالِثَ عَشَرَ، والرابعَ عَشَرَ والخامِسَ عَشَرَ، وقِيلَ: الثاني عشرَ، والثالِثَ عشرَ، والرابعَ عَشَرَ، والصحيحُ المَشهُورُ هوَ الأَوّلُ.

---

(١) «كان كصيام الدهر» صيامُ رمضان بعشر شهور، وصيامُ ست من شوال بشهرين، فكان كصيام الدهر ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾.

(٢) «سئل عن صوم يوم الإثنين» أي عن حكمة صيامه ليوم الإثنين؟ فذكر أنه يوم ولادته ﷺ، فهو يوم مبارك شريف، فكان يصومه شكراً للّٰه، ولأنه يوم البعثة المحمدية، فيومُ مولده رحمة، ويوم بعثته رحمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

(٣) «يتحرى صوم الإثنين والخميس» أي يتقصَّد صيامَ الإثنين والخميس لعظم فضلهما، ولأنَّ الأعمال تُعرض يوم الإثنين والخميس على ربِّ العزة والجلال، فيغفر اللّٰه لكل عبدٍ مؤمن إلا المتشاحنَيْن ـ أي من كان بينهما عداوة ـ قال ﷺ: «فأحبُّ أن يُعرض عملي وأنا صائم» كما في رواية الترمذي ومسلم.

١٢٥٦ ـ وعن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: «أَوْصَانِي خَلِيلي[1] ﷺ بِثَلاثٍ: صِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ من كلِّ شَهرٍ، وَرَكعَتَي الضحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنامَ»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٥٧ ـ وعَنْ أَبي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ، قالَ: «أَوْصَانِي حَبِيبي ﷺ بثلاثٍ لَنْ أَدَعَهُنَّ ما عِشتُ: بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِن كُلِّ شَهرٍ، وَصَلاةِ الضحَى، وَبِأَنْ لا أَنَامَ حَتَّى أُوتِرَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٢٥٨ ـ وَعَنْ عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عنهُمَا، قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «صومُ ثلاثةِ أَيَّامٍ مِنْ كلِّ شهرٍ صومُ الدهْرِ كُلِّه»[3] مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٢٥٩ ـ وعنْ مُعَاذَةَ العَدَوِيَّةِ «أَنَّها سَأَلَتْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَكانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يصومُ مِن كُلِّ شهرٍ ثلاثةَ أَيَّامٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ الشَّهْرِ كَانَ يَصُومُ؟ قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ يُبَالِي مِنْ أَيِّ الشَّهرِ يَصُومُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٢٦٠ ـ وعَنْ أَبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا صُمْتَ مِنَ الشَّهرِ ثَلاثاً، فَصُمْ ثَلاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ» رَوَاهُ الترمِذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١٢٦١ ـ وعنْ قتادَةَ بنِ مِلحَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا بِصِيَامِ أَيَّامِ البيضِ: ثَلاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ» رَوَاهُ أَبُو داودَ.

١٢٦٢ ـ وعَن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، قالَ: «كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يُفْطِرُ أَيَّامَ البِيضِ، في حَضَرٍ وَلا سَفَرٍ» رَوَاهُ النَّسَائِي بإسنادٍ حَسَنٍ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «أوصاني خليلي» الخُلَّةُ: الصداقةُ الحميمة، والتعبيرُ بالخُلَّة إيماءٌ إلى شدة ملازمته ومرابطته لرسول الله ﷺ حيث كان لا يفارقه في سفر ولا حضر.

(٢) «وأن أوتر قبل أن أنام» هذا الأفضلُ لمن لم يتعوَّد الاستيقاظ آخر الليل، ويخاف أن تفوته صلاةُ الوتر، وإلّا فالتأخيرُ أفضلُ لحديث: «اجعلوا آخرَ صلاتكم بالليلِ وتراً».

(٣) «صومُ ثلاثةِ أيام صومُ الدهر كلِّه» فيه تشبيه بليغ لحذف أداة التشبيه ووجه الشبه، أي كصوم الدهر في استحقاق الأجر، لقوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فصيام ثلاثة أيام تساوي ثلاثين يوماً في الثواب الإلهي.

بابٌ في فضل مَن فطّر صَائماً وفضل الصائم الذي يُؤكل عنده ودعاء الآكل للمأكول عنده

١٢٦٣ ـ عنْ زَيدِ بنِ خالدٍ الجُهَنيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ فَطَّرَ صَائماً[١]، كانَ لَهُ مِثْلُ أجْرِهِ، غَيْرَ أنَّهُ لا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شيءٌ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٦٤ ـ وعَنْ أُمِّ عُمَارَةَ الأنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «أَنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَدَّمَتْ إلَيْهِ طَعَاماً، فقَالَ: كُلِي، فَقَالتْ: إنّي صَائِمَةٌ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ الصَّائِمَ تُصَلِّي عَلَيْهِ المَلائِكَةُ[٢]، إذا أُكِلَ عِنْدَهُ، حَتَّى يَفْرُغوا» وَرُبَّما قالَ: «حتى يَشْبَعُوا» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١٢٦٥ ـ وعَنْ أَنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، «أَنَّ النبيَّ ﷺ جَاءَ إلى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، فَجاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَأَكَلَ، ثُمَّ قالَ النَّبيُّ ﷺ: أَفْطَرَ عِندَكُمُ الصَّائمونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ المَلائِكَةُ»[٣] رَوَاهُ أَبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «من فطّر صائماً» أي قدّم له ما يفطر عليه، كان له مثلُ أجر الصائم، حتى ولو كان على تمرة أو شربة ماء، لأنه أعانه على طاعة الله، وهذا غاية في الفضل الإلهي لكل من فَعَل الخير.

(٢) «الصائم تصلّي عليه الملائكةُ» أي تدعو له بالمغفرة والرحمة إذا أكل أحد أمامَه الطعام، لأنه يجاهد نفسه بالصبر على الصيام.

(٣) «أكل طعامكم الأبرار، وصلّت عليكم الملائكة» هذا من الدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ لأهل المنزل، إذا تناول أحد عندهم الطعام، ومعنى «أفطر عندكم الصائمون» أي أثابكم الله إثابةَ من فطّر صائماً لوجه الله.

كتاب الاعتكاف

١٢٦٦ ـ عنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنهُمَا، قالَ: «كانَ رسولُ اللَّه ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضانَ»[1] مُتفقٌ عليهِ.

١٢٦٧ ـ وعنْ عائشةَ، رَضِيَ اللَّه عَنها، «أَنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَعتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّه تعالى، ثُمَّ اعْتَكَفَ أزوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ» مُتَّفَقٌ عَليهِ.

١٢٦٨ ـ وعَنْ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قالَ: «كانَ النبيُّ ﷺ يَعتَكِفُ في كُلِّ رَمَضَانَ عَشرَةَ أيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشرِينَ يَوْماً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

(١) «كان يعتكف العشر الأواخر» الاعتكاف هو: المُكثُ في مسجد من المساجد، للعبادة والطاعة، والتقرب إلى اللَّه بأنواع القربات، وهو سُنَّةٌ مؤكدة سنَّها سيد البشر ﷺ، حيث كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، وفي آخر سنوات حياته ﷺ اعتكف عشرين يوماً، فكان سُنَّة مشروعة، وقد دلَّ على الاعتكاف قوله تعالى: ﴿أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ للطَّائِفِينَ والعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

كتاب الحج

قَالَ اللَّه تَعَالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ(١) مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

١٢٦٩ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنهُمَا، أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «بُنِيَ الإسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّه وَأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللَّه، وإقَامِ الصَّلاةِ وإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٧٠ ـ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عنهُ، قَالَ: «خَطَبَنَا رسولُ اللَّه ﷺ فَقالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللَّه عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يا رسولَ اللَّه؟ فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَها ثَلاثاً(٢). فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَما اسْتَطَعْتُمْ، ثُمَّ قالَ: ذَرُوني مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلافِهِمْ عَلى أَنْبِيائهِمْ، فإذَا أَمَرْتُكُم بِشَيءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُم، وَإذَا نَهَيْتُكم عَن شَيءٍ فَدَعُوهُ»(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٢٧١ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: «سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ أَيُّ العَمَلِ أَفضَلُ؟

---

(١) ﴿ولِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ﴾ أي حقٌّ لازمٌ، وفرض محتَّم على المستطيع من الناس حج بيت اللَّه الحرام، ومن ترك الحجَّ مع استطاعته له فإن اللَّه غنيٌّ عنه وعن عبادته، وَوَضَعَ «ومن كفر» موضع من لم يحجَّ، تأكيداً لوجوبه، وتغليظاً على تاركه، كأنه على حافة الكفر.

(٢) «فسكت حتى قالها ثلاثاً» أي سكت ﷺ عن إجابته، حتى ردَّد الرجل سؤاله ثلاث مرات، لينزجر عن سؤاله الواقع في غير محلِّه، ولمَّا علم ﷺ أن السائل لم ينزجر، أجابه بما فيه نوع توبيخ فقال له: لو قلتُ نعم هو فرضٌ كلَّ عام، لوجب ذلك ولما استطعتم.

(٣) «وما نهيتكُمْ عنه فَدعُوه» الحديث من أجلِّ قواعد الإسلام ويدخل فيه من الأحكام ما لا يُحصى، فالأوامر يجب الأتيان بها على قدر الاستطاعة، والنواهي والمحرَّمات يجب اجتنابها بالكلية، فالذي لا يستطيع الصلاة قائماً، يصلِّي وهو قاعد أو مضطجع، والذي لا يستطيع الوضوء لمرضٍ يتيمَّم، وأمَّا من يشرب الخمر فلا يقال له: اتَّق اللَّه على قدر مستطاعك، وإنما يقال له: اجتنب الخمر ولا تشربها، وكذلك سائر المحرمات لا بد من تركها بالكلية.

قال: إيمانٌ بِاللَّه وَرَسُولِهِ، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قال: الجِهَادُ في سَبِيلِ اللَّه قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ »[1] مُتَّفَقٌ عليهِ.

« المَبْرُورُ » هُوَ الَّذي لا يَرتَكِبُ صَاحِبُهُ فِيهِ مَعْصِيَةً.

١٢٧٢ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّه ﷺ يقولُ: « مَنْ حَجَّ فَلَم يَرْفُثْ، وَلَم يَفسُقْ، رَجعَ كَيَومَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »[2] مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٢٧٣ ـ وعَنه، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قالَ: « العُمْرَةُ إلى العُمْرَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، والحَجُّ المَبرُورُ، لَيسَ لَهُ جَزَاءٌ إلَّا الجَنَّةَ » مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٢٧٤ ـ وعَنْ عَائشةَ رضي اللَّه عنها قالت: « قلت: يا رسول اللَّه، نَرَى الجِهَادَ أفضلَ العَمَلِ، أَفَلا نُجاهِدُ؟ فَقَالَ: لكِنْ أَفضَلُ الجِهادِ حَجٌّ مَبرُورٌ »[3] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٢٧٥ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: « مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَعْتِقَ فِيهِ عَبْداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٢٧٦ ـ وعنِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّه عنهما، أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: « عُمرَةٌ في رَمَضَانَ تَعدِلُ حَجَّةً، أَوْ حَجَّةً مَعِي »[4] مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٢٧٧ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنه، أَنَّ امرَأَةً قالَتْ: « يا رَسُولَ اللَّه، إنَّ فَرِيضَةَ اللَّه عَلى عِبَادِهِ في الحَجِّ، أَدْرَكَتْ أَبي شَيخاً كبيراً، لا يَثْبُتُ عَلى الرَّاحِلَةِ[5]، أَفَأَحُجُّ عَنهُ؟ قالَ: نَعَم » مُتَّفَقٌ عليهِ.

---

(١) «حَجٌّ مَبْرُورٌ» الحجُّ المبرور هو الذي لم يقترن به معصية ولو صغيرة، وقيل: هو الحجُّ المقبولُ، وعلامةُ قبوله أن يرجع صاحبه خيراً ممَّا كان، مثلُ أن يصير عابداً بعد أن كان غافلاً، ومجتنباً للمحارم بعد أن كان جاهلاً، يرتكب الموبقات والفواحش.

(٢) «رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» أي رجع من حجِّه تقياً نقياً، كأنه لم يرتكب ذنباً، كالطفل الصغير الذي لم يُكلَّف.

(٣) «لكنَّ أفضلَ الجهاد حج مبرور» أي بالنسبة للنساء الحج المبرور أعظم أنواع الجهاد، فمن كانت تحبُّ الجهاد فلْتجاهد بحج بيت اللّه الحرام.

(٤) «عمرة في رمضان» أي العمرة في رمضان تساوي في الأجر والثواب كحجة، أو حجة مع الرسول ﷺ، والشكُّ إنما جاء من الراوي لا من الرسول ﷺ، أي كمن حجَّ بيت اللّه الحرام، مع رسول اللّه ﷺ، وفي الحديث دلالةٌ على عظم أجر العمرة في رمضان.

(٥) «شيخاً لا يثبت على الراحلة» أي لا يستطيع ركوب الراحلة ـ الدابة أو البعير ـ لشيخوخته، =

١٢٧٨ ـ وعن لَقِيطِ بنِ عامرٍ رَضِيَ اللَّه عنهُ، «أنَّه أتى النَّبيَّ ﷺ، فَقَال: إنَّ أبي شَيخٌ كَبيرٌ، لا يَستطِيعُ الحَجَّ، وَلا العُمرَةَ، وَلا الظَّعْنَ[١]؟ قالَ: حُجَّ عَنْ أَبيكَ وَاعْتَمِرْ»[٢] رَوَاهُ أبو داودَ، والتِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٢٧٩ ـ وعَنِ السائبِ بنِ يزيدَ رَضِيَ اللَّه عنهُ، قالَ: «حُجَّ بي مَعَ رسولِ اللَّه ﷺ في حَجةِ الوَدَاعِ، وَأَنَا ابنُ سَبعِ سِنِينَ»[٣] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٢٨٠ ـ وَعَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضيَ اللَّه عَنهُمَا «أنَّ النبيَّ ﷺ لَقِيَ رَكْباً بِالرَّوْحَاءِ[٤]، فَقَالَ: مَنِ القَومُ؟ قَالُوا: المسلِمُونَ[٥]، قَالُوا: مَنْ أَنتَ؟ قَالَ: رسولُ اللَّه، فَرَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبِياً[٦]، فَقَالَتْ: أَلِهذا حَجٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ وَلكِ أجرٌ» رَوَاهُ مُسلمٌ.

١٢٨١ ـ وَعَنْ أَنسٍ رَضِيَ اللَّه عنهُ، «أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ حَجَّ عَلى رَحْلٍ، وَكانتْ زامِلتَهُ»[٧] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

= فهل يجزئ أن أحجَّ عنه؟ فقال لها ﷺ: نعم حُجّي عن أبيك، وفيه دلالة على جواز الحج عن الغير، عند الوفاة أو العجز.

(١) «لا يستطيع الحجَّ ولا الظَّعنَ» أي لا يستطيع أن يؤدّي مناسكَ الحج والعمرة، ولا يستطيع المشي على القدمين، ولا الركوب على الدواب لشيخوخته.

(٢) «حُجَّ عن أَبيكَ واعتَمِرْ» فيه دليل على جواز الحج والعمرة عن الغير، بسبب العجز، وكذلك إذا مات الإنسان يحجُّ عنه غيره.

(٣) «حُجَّ بي مع رسول اللَّه ﷺ وأنا ابنُ سَبْعِ سنينَ» فيه جواز إحجاج الصبي قبل البلوغ، وينوي عنه والده الحجَّ، أو يباشر هو النُّسكَ إذا كان مميزاً، ليتمرَّن على العبادة ويألفها.

(٤) «لقيَ ركباً بالروحاء» قرية تبعد عن المدينة حوالي/ ٥٠/ خمسين كيلومتراً.

(٥) «قال: من القوم؟ قالوا: المسلمون» أي سألهم رسول اللَّه ﷺ من أنتم؟ قالوا: نحنُ المسلمون، ولم يعرفوا رسولَ اللَّه ﷺ قبل ذلك، ولهذا قالوا: من أنت؟

(٦) «فرفَعَتْ امرأةٌ صبيًّا» كان الصبيُّ صغيراً غير مميِّز، فسألت الرسولَ ﷺ: أيصحُ الإحرام عن هذا الصغير بالحج، ويُثاب عليه؟ قال: نعم ولكِ أجرٌ!! وذلك بسبب إحرامها عنه، وتحملّها المشاق في سبيله! **قال العلماء**: يُكتب للصبي ثواب جميع ما يعمله من الحسنات، ولا يكتب عليه شيء من المعاصي والآثام قبل البلوغ، لأن العقل سببُ التكليف، والصغير غير مكتمل ولا راشد.

(٧) «حجَّ ﷺ على راحلةٍ وكانتْ زامِلَته» كان ذلك في حجة الوداع، لأن الرسول ﷺ لم يحجَّ إلا مَرةً واحدة، والأصلُ أن لكل مسافرٍ بعيران: بعيرٌ لركوبه، وبعيرٌ لحمل طعامه ومتاعه، ويسمّى «الزاملة» والمعنى هنا: أن الرسول ﷺ لم يكن معه إلّا بعيرٌ واحد، كان هو مركبَه =

١٢٨٢ ـ وَعَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنهُمَا، قَالَ: «كَانَتْ عُكاظُ، وَمِجَنَّةُ، وَذو المَجَازِ، أَسْوَاقاً في الجَاهِلِيَّةِ، فَتَأَثَّمُوا أن يَتَّجِرُوا في المَواسِمِ، فَنَزلَتْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1] [البقرة: ١٩٨] في مَوَاسِمِ الحَج» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

❁ ❁ ❁

= وزاملَته التي يحمل عليها المتاع والطعام، فلم يكن يحمل إلّا الشيء الضروري من الطعام، وفي بعض الروايات أنه حجَّ على راحلةٍ عليها قطيفةٌ لا تساوي أربعَ دراهم، وقال: «اللهمّ حجاً لا رياءَ فيه ولا سمعه» وهذا كلُّه من تواضعه عليه الصلاة والسلام.

(١) ﴿لَيسَ عَلَيكمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ نزلت حين خاف بعض الحُجّاج، أن يبيعوا ويشتروا ويتاجروا، وهم قادمون لأداء مناسك الحج، والمعنى: ليس عليكم حرج ولا إثم، بالتجارة أثناءَ الحج، فإن التجارة الدنيوية لا تتعارض مع التجارة الأخروية، فبيعوا واشتروا، واطلبوا الرزق من الرزّاق!! وقوله: «نزلت في مواسم الحج» هو من قول الراوي ابن عباس تفسيراً للآية الكريمة، ومعنى «تأثموا» خافوا الوقوع في الإثم.

كتاب الجهاد

قالَ اللَّه تَعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً(١) كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

وقَالَ تَعَالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقَالَ تَعَالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا(٢) وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١].

وَقَال تَعَالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وقَالَ تَعَالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦)﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

---

(١) ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ أي جميعهم من الملاحدة، والوثنيين، وأهل الكتاب، كما يقاتلونكم هم جميعاً، واعلموا أن اللَّه مع المتقين بالنصر والعون، والحفظ والرعاية.

(٢) ﴿انفِروا خِفَافاً وَثِقَالاً﴾ أي اخرجوا للجهاد في سبيل اللَّه، شِيباً وشباباً، مشاةً وركباناً، في حال اليسر والعسر، والمنشط والمكره، وجاهدوا بالأموال والأنفس، لإعزاز دين اللَّه.

وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٣].

والآياتُ في الباب كثيرةٌ مَشْهُورَةٌ.

وأمّا الأحاديثُ في فضلِ الجهادِ فأكثرُ من أَنْ تُحصَرَ، فمِنْ ذلكَ:

١٢٨٣ ـ عَنْ أبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قالَ: «سُئِلَ رسولُ اللَّه ﷺ: أَيُّ العملِ أفضَلُ؟ قَالَ: إيمانٌ باللَّه ورَسولِهِ، قِيلَ: ثمّ مَاذَا؟ قَالَ: الجهَادُ في سبيلِ اللَّه قِيلَ: ثمَّ ماذا؛ قالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٢٨٤ ـ وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: «قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّه، أيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إلى اللَّه تَعالى؟ قَالَ: الصَّلاةُ على وَقْتِهَا، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قالَ: بِرُّ الوَالِدَيْنِ، قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: الجهَادُ في سَبِيلِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٨٥ ـ وَعَنْ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّه عنهُ، قَالَ: «قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّه أيُّ العَمَلِ أفضَلُ؟ قَالَ: الإيمَانُ بِاللَّه، وَالجِهادُ في سَبِيلِهِ» مُتفقٌ عليهِ.

١٢٨٦ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عنهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: لَغَدْوَةٌ في سَبيلِ اللَّه[١]، أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِن الدُّنْيَا وَمَا فِيها» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٢٨٧ ـ وَعَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: «أَتى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَقَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبِيلِ اللَّه قال: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: مُؤمِنٌ في شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ اللَّه، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٢٨٨ ـ وَعَنْ سَهلِ بنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «رِباطُ يَوْمٍ في سَبِيلِ اللَّه، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ومَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ومَا عَلَيْهَا، والرَّوْحَةُ يَرُوحُها العَبْدُ في سَبِيلِ اللَّه تَعالى، أَوِ الغَدْوَةُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا» مُتَّفَقٌ عليه.

١٢٨٩ ـ وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ

---

(١) «لغَدْوةٌ في سبيل اللَّهِ أو رَوْحة» أي خروجٌ في أول النهار للجهاد في سبيل اللَّه، أو عودة في آخر النهار، خيرٌ من جميع ما في الدنيا من متاعٍ وأموال.

يَقُولُ: رِباطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ ماتَ فيهِ جَرى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذي كانَ يَعْمَلُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الفَتَّانَ»[١] رَوَاهُ مُسلمٌ.

١٢٩٠ ـ وعَنْ فَضَالةَ بنَ عُبَيْد رَضِيَ اللَّه عَنه، أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلى عَمَلِهِ إلَّا المُرَابِطَ في سَبِيلِ اللَّه[٢]، فَإنَّهُ يَنْمِي لهُ عَمَلُهُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ، وَيُؤَمَّنُ من فِتْنَةِ القَبْرِ» رَوَاهُ أبو داودَ، والتِّرمِذيُّ وَقالَ: حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

١٢٩١ ـ وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّه عنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «رِباطُ يَوْمٍ في سبِيلِ اللَّه، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيما سِوَاهُ مِنَ المَنازِلِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ.

١٢٩٢ ـ وَعَنْ أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «تَضَمَّنَ اللَّه[٣] لِمَنْ خَرَجَ في سبِيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إلا جِهَادٌ في سَبِيلي[٤]، وَإيمانٌ بي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلي، فهوَ عليَّ ضامنٌ أن أُدْخِلَهُ الجنَّةَ، أَوْ أُرجِعَهُ إلى مَنْزِلِهِ الَّذي خَرَجَ مِنهُ، بما نَالَ مِنْ أَجْرٍ، أَو غَنِيمَةٍ. وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ ما مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ[٥] في سَبِيلِ اللَّه إلَّا جاءَ يَوْمَ القِيامةِ، كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ مِسْكٍ، وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيدِهِ، لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلى المُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ[٦] تَغْزُو في سبِيلِ اللَّه أبَداً، ولكِنْ لا أَجِدُ سَعَة فأَحْمِلَهمْ، وَلا يَجدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَن يَتَخَلَّفوا عَنِّي. وَالَّذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،

---

(١) «وأمِنَ الفتَّان» أي أمِنَ من الفتنة في قبره، حين يسأله المَلَكان «منكر» و«نكير» كما وردت به الأحاديث النبوية الصحيحة.

(٢) «يُختم على عمله إلا المرابط» أي كلُّ ميِّت يقفُ وينتهي عمله، فلا يُزاد ثواباً ولا عقاباً، إلَّا المجاهد في سبيل اللَّه، فإنَّ عمله يزداد وينمو إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر..

(٣) «تضمَّن اللَّه» أي ضَمِن وألزم نفسه فضلاً منه وإحساناً.

(٤) «لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي» أي لا قَصْد له إلَّا الجهاد في سبيل اللَّه.

(٥) «ما من كَلْم يُكْلَم» أي ما من جُرْح يُجرحُ في سبيل اللَّه، إلَّا جاء يوم القيامة رائحتُه كرائحة المسك، وفائدةُ رائحته الطيبة، أنْ ينشهر في أهل الموقف، إظهاراً لفضله، بأنه بذل نفسه في طاعة ربه.

(٦) «ما قعدت خلاف سرية» أي لولا المشقة على الضعفاء من المسلمين العاجزين عن الخروج للجهاد، ما تركت سريةً تخرج للجهاد إلَّا خرجتُ معها.

لَودِدْتُ أن أَغزوَ في سَبيلِ اللَّه، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغزو فَأُقتلَ[١]، ثُمَّ أغزوَ فَأُقتلَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وروى البخاريُّ بَعْضَهُ. «الكَلْمُ»: الجرحُ.

١٢٩٣ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «ما مِنْ مَكلوم يُكْلَمُ في سَبِيلِ اللَّه إلا جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ، وكَلْمُهُ يَدْمَى: اللوْنُ لونُ دَمٍ، وَالريحُ رِيحُ مِسْكٍ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٢٩٤ ـ وَعَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبي ﷺ قَالَ: «مَنْ قاتلَ في سَبيلِ اللَّه، مِن رَجلٍ مُسلم، فُواقَ نَاقةٍ[٢] وَجَبَتْ له الجَنَّةُ، وَمَنْ جُرِحَ جُرحاً في سَبِيلِ اللَّه، أَو نُكِبَ نكبَةً، فَإنَّهَا تجيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ، كأَغزَرِ ما كَانَتْ: لَوْنُها الزَّعْفرَانُ، وَرِيحُهَا كالمِسكِ» رَوَاهُ أبو داوُدَ، والتِّرمِذِيُّ وقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

١٢٩٥ ـ وَعَنْ أَبي هُريرةَ رَضِي اللَّه عَنْهُ، قَالَ: «مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّه ﷺ بِشِعْبٍ، فيهِ عُيَيْنَةٌ مِن مَاءٍ عَذبَة، فَأَعجَبتهُ، فَقَالَ: لو اعتَزَلْتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ في هذا الشِّعبِ، ولَنْ أَفعَلَ حَتى أَسْتأذِنَ رَسُولَ اللَّه ﷺ، فذكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: لا تَفْعَلْ، فإِنَّ مُقامَ أَحَدِكُمْ في سَبِيلِ اللَّهِ، أَفْضَلُ مِنْ صَلاتِهِ في بَيتِه سَبْعِينَ عَاماً، أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّه لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ الجَنَّةَ؟ اغزُوا في سبيلِ اللَّه، مَنْ قاتَلَ في سَبيلِ اللَّه فُوَاقَ نَاقَةٍ، وَجَبَتْ له الجَنَّةُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ، «والفُوَاقُ»: مَا بَيْنَ الحَلْبَتَيْنِ.

١٢٩٦ ـ وعَنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: «قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّه، ما يَعْدِلُ الجِهَادُ في سَبِيلِ اللَّه؟ قَالَ: لا تَسْتَطِيعُونَه!! فَأَعَادُوا عليهِ مَرَّتَيْنِ أو ثَلاثاً، كُلَّ ذلكَ يقول: لا تَسْتَطِيعُونَه!، ثمَّ قالَ: مَثَل المُجَاهِدِ في سَبِيلِ اللَّه، كَمَثَلِ الصَّائمِ القَائمِ، القَانِتِ بآياتِ اللَّه، لا يَفْتُرُ مِنْ صِيامٍ[٣]، ولا صَلاةٍ،

---

(١) «أغزو فأقتل» أي تمنّيتُ أن أُقتل في سبيل اللَّه، ثم أُحيا، ثم أُقتل، ثم أُحيا ثم أُقتل.. أعادها ﷺ لما للجهاد في سبيل اللَّه من الأجر العظيم عند اللَّه، لا يعلمه إلّا هو.

(٢) «فُواق الناقة» أي قدر ما بين الحَلْبَتَيْن، وهو أن تُحلب ثم تُترك قليلاً ثم تُحلب، وهو إشارة إلى الزمن اليسير، فمن جاهد في سبيلِ اللَّه ولو لزمنٍ يسير، أدخله اللَّهُ الجنة.

(٣) «لا يفتر من صلاة ولا صيام» مراد الحديث أن مرتبة المجاهد لا ينالها ولا يصل إليها، إلا من عَبَد اللَّهَ ليلَ نهار، دون كلَلٍ ولا ملل، وهو مستغرق في الصلاة والصيام، والطاعة للَّه ـ

حَتى يَرجِعَ المجَاهِدُ في سَبِيلِ اللَّه » مُتَّفَقٌ عليه. وهذا لفظُ مسلِم.

وفي روايةِ البخاريّ: « أنَّ رَجلاً قَالَ: يا رَسُولَ اللَّه دُلَّني عَلى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: لا أَجِدهُ، ثمَّ قال: هَلْ تَسْتَطِيعُ إذا خَرَجَ المُجَاهِدُ أن تَدخُلَ مَسجِدَكَ، فَتَقُومَ وَلا تَفتُرَ، وتَصُومَ ولا تُفطِرَ؟ فَقَالَ: ومَنْ يستطيعُ ذلكَ؟ ».

١٢٩٧ ـ وَعَنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: « مِنْ خَيرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُم[1]، رجُلٌ مُمسِكٌ بِعنَانِ فَرَسِهِ في سَبيلِ اللَّه، يَطِيرُ على مَتنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيعةً، أوْ فزعَةً طَارَ عليه، يَبْتَغِي القتلَ والمَوْتَ مَظَانَّهُ، أَو رَجُلٌ في غُنَيْمَةٍ في رأسِ شَعَفَةٍ مِن هذه الشَّعَفِ، أَو بَطنِ وادٍ من هذِهِ الأَودِيَةِ يُقِيمُ الصَّلاةَ، وَيُؤتي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ اليَقِينُ، لَيسَ منَ النَّاسِ إلا في خَيرٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٢٩٨ ـ وَعَنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قالَ: « إنَّ في الجَنَّةِ مائَةَ دَرَجَةٍ[2] أَعَدَّهَا اللَّه للمُجَاهِدينَ في سَبيلِ اللَّه، ما بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ » رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

١٢٩٩ ـ وعَن أَبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ رضِيَ اللَّه عَنهُ « أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: مَنْ رَضِيَ بِاللَّه رَبّاً، وَبالإسْلام دِيناً، وَبمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَجَبَت لَهُ الجَنَّةُ، فَعَجِبَ لهَا أبو سَعيدٍ، فَقَالَ أَعِدْها عَلَيَّ يا رَسُولَ اللَّه، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: وأُخْرَى يَرْفَعُ اللَّه بِهَ العَبْدَ مائَةَ دَرَجَةٍ في الجَنَّةِ، ما بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كمَا بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، قالَ: وما هِيَ يا رسول اللَّه؟ قال: الجِهادُ في سَبِيلِ اللَّه، الجِهادُ في سبيلِ اللَّه » رَوَاهُ مُسلمٌ.

١٣٠٠ ـ وَعَنْ أَبي بَكْرِ «بنِ أَبي مُوسى الأشعَرِيّ» قَالَ: « سَمِعْتُ أبي رضِيَ اللَّه عَنهُ، وَهُوَ بِحَضْرَةِ العَدُوِّ، يقول: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: إنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ

= عزّ وجلّ، دون انقطاع، ومعلوم أن مثل هذا لا يستطيعه أحد، ولهذا قال: « لا تستطيعونه »!!

(١) « من خير معاش الناس » تقدّم الحديث مع شرحه من باب استحباب العزلة رقم (٦٠٠).

(٢) « إن في الجنة مائة درجة. . . الخ » ما أعظم منزلة المجاهدين عند اللّه تعالى؟ فقد أعدّ اللّه لهم منازل رفيعة في الجنة، ما بين كل منزلة ومنزلة، كما بين السماء والأرض؟ والغرضُ من الحديث: بيان علو منزلتهم في الجنة، ورفعة مقامتهم فيها.

تَحتَ ظِلالِ السُّيُوفِ[١] فقامَ رَجُلٌ رَثُّ الهَيْئَةِ فقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى أَأَنتَ سمِعْتَ رسولَ اللَّه ﷺ يقول هذا؟ قالَ: نَعَمْ، فَرجَعَ إلى أَصْحَابِهِ، فَقالَ: أَقْرأُ عَلَيْكُمُ السَّلامَ، ثُمَّ كَسرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَأَلقَاهُ، ثُمّ مَشَى بسَيْفِهِ إلى العَدُوِّ، فَضرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٠١ ـ وَعَنْ أَبي عَبْسٍ «عبدِ الرَّحمنِ بنِ جَبْرٍ» رَضِيَ اللَّه عنهُ، قالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: ما اغْبَرَّت قَدَمَا عَبْدٍ في سَبِيلِ اللَّه فَتَمَسَّه النَّارُ» رَوَاهُ البُخاريُّ.

١٣٠٢ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لا يَلِجُ النَّارَ[٢] رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّه، حَتَّى يَعُودَ اللَّبن في الضَّرعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ عَلى عَبْدٍ غُبَارٌ في سَبِيلِ اللَّه، وَدخَانُ جَهَنَّم» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٠٣ ـ وَعَنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنهُما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «عَيْنَانِ لا تمسُّهُمَا النَّار: عَيْنٌ بَكَت مِنْ خَشْيَةِ اللَّه، وَعَيْنٌ بَاتَت تحْرُسُ في سَبِيلِ اللَّه» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١٣٠٤ ـ وعن زَيْدِ بنِ خَالدٍ رَضِيَ اللَّه عَنه، أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللَّه فَقَدْ غَزَا[٣]، وَمَنْ خَلَفَ غَازِياً فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا» مُتَّفَقٌ عليه.

١٣٠٥ ـ وَعَنْ أَبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّه عَنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَاتِ ظِلُّ فُسْطَاطٍ[٤] في سَبِيلِ اللَّه، وَمَنيحَةُ خادِمٍ[٥] في سَبِيلِ اللَّه، أو

---

(١) «أبوابُ الجنة تحت ظلال السيوف» هذا من نفيس الكلام وبديعه، لتصوير فضل الجهاد في سبيل اللَّه، فقد صوَّر التقاء المجاهدين مع الكفار، وهم متقاربون وجهاً لوجه، والسيوف مشروعة فوق الرؤوس، وكأنها لكثرتها وتشابكها، تتعانق فتظلِّل رؤوس المتحاربين، وما أبدعه من تصوير!! فالجنة جزاء المجاهدين، كما أن السيوف تظلل هؤلاء المتقاتلين.

(٢) «لا يلج النار» هذه بشارة للنجاة من نار جهنم لفريقين من الناس: **الأول**: العُبَّاد المتَّقون للَّه، الذين يبكون من خشية اللَّه، **والثاني**: المجاهد في سبيل اللَّه، الذي يموت شهيداً لنصرة دين اللَّه، ومثله حديث «عينان لا تمسُّهما النار».

(٣) «من جهَّز غازياً» أي أعان مجاهداً على الجهاد بآلات السفر، من مركب، وزاد، ونفقة، وسلاح، وغير ذلك مما يحتاجه المحارب، فكأنه غزا في سبيل اللَّه، ونال ما يناله المجاهد.

(٤) «فُسْطاطٍ» بيت من شعر يستظل به المسافر والمجاهد وأمثالهما.

(٥) «منيحةُ خادم» أي يدفع خادماً للغازي ليخدمه.

طَروقةُ فَحْلٍ[١] في سبيلِ اللَّه» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

١٣٠٦ ـ وَعَن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنهُ، أَنَّ فَتًى مِن أَسْلَمَ قَالَ: «يا رسولَ اللَّه إنِّي أُريد الغَزْوَ، وَلَيْسَ معِي ما أَتَجَهَّزُ بِهِ، قَالَ: ائتِ فُلاناً، فَإِنَّه قَدْ كانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ، فَأتاهُ فَقَالَ: إنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ يُقْرِئكَ السَّلامَ ويقولُ: أَعْطِني الذي تَجَهَّزتَ بِهِ!! قَالَ: يَا فُلانَةُ، أَعْطِيهِ الذي كُنْتُ تَجَهَّزْتُ بِهِ، وَلا تَحْبِسي عَنهُ شَيْئاً، فَوَاللَّه لَا تَحْبِسي مِنْهُ شَيْئاً فَيُبَارَكَ لَكِ فِيهِ» رَوَاه مسلمٌ.

١٣٠٧ ـ وَعَن أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِي رَضِيَ اللَّه عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ بَعَثَ إلى بَني لَحيَانَ، فَقَالَ: «لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما، وَالأَجْرُ بَيْنَهُما» رَوَاهُ مسلمٌ.

وفي روايةٍ لهُ: «لِيَخْرُجْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ، ثُمَّ قالَ للقاعِد: أَيُّكُمْ خَلَفَ الخَارِجَ في أَهْلِهِ وَمالِهِ بخَيرٍ، كانَ لهُ مثْلُ نِصْفِ أَجرِ الخارِجِ».

١٣٠٨ ـ وَعَنِ البَراءِ رَضِيَ اللَّه عَنهُ، قالَ: «أَتى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالحَدِيدِ[٢]، فَقَال: يا رَسُولَ اللَّه أُقاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ[٣]؟ قَالَ: أَسْلِمْ، ثُمَّ قاتِلْ[٤]، فَأَسْلَمَ ثمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ. فَقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ عمِلَ قَلِيلاً وَأُجِرَ كَثيراً» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظُ البخاريِّ.

١٣٠٩ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنهُ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيَا، وَلَهُ ما عَلى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إلَّا الشَّهيد، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيَا[٥]، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِما يَرَى مِنَ الكَرامَةِ».

---

(١) «أو طَرُوقةُ فحلٍ» أي يمنح ناقة ليجاهد عليها تكون فتيَّةً يمكن أن يطرقها الفحلُ، ومراده أن تكون فتيَّة لا صغيرة ولا هرمة.

(٢) «مقنَّع بالحديد» أي يلبس لباس الحرب، ويتغطى بالسلاحِ المستعدِّ للقتال.

(٣) «أقاتلُ أو أسلم»؟ أي هل أقاتل الأعداء أولاً؟ ثم أدخلُ في الإسلام؟ وكان هذا الرجل كافراً يريد أن يسلم ويجاهد، فسأل النبيَّ ﷺ كيف يفعل؟ وبما يبدأ؟.

(٤) «أسلم ثم قاتل» أي أعلن إسلامك أولاً، ثم قاتل في سبيل اللَّه!! لأن الإيمان أصل، والأعمالُ الصالحة فرع، ولا يُقبل عمل صالح عند اللَّه إلَّا بعد الإيمان.

(٥) «يحب أن يرجع إلى الدنيا» أي لا يتمنى الرجوع إلى الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة، إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليقتل عشر مرَّات، لما يرى من ثواب الشهيد في سبيل اللَّه، فهناك الحياةُ السرمديَّة الهنيئة قال تعالى: ﴿**بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾.

وفي روايةٍ: «لما يَرى مِنْ فَضلِ الشَّهادَةِ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٣١٠ ـ وَعَنْ عَبدِ اللَّه بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّه عَنهما، أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «يَغفِرُ اللَّه للشهيدِ كُلَّ ذَنْبٍ إلَّا الدَّيْنَ»[١] رَواهُ مُسْلِمٌ.

وفي روايةٍ له: «القَتْلُ في سَبيلِ اللَّه يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إلَّا الدَّيْنَ».

١٣١١ ـ وَعَنْ أَبي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَامَ فيهِمْ فَذَكَرَ أَنَّ الجِهادَ في سَبِيلِ اللَّه، وَالإيمانَ بِاللَّه، أفضَلُ الأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يا رسُولَ اللَّه أَرَأَيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سَبِيلِ اللَّه أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسولُ اللَّه ﷺ: نَعَمْ إنْ قُتِلْتَ في سَبيلِ اللَّه وَأَنْتَ صَابِرٌ، مُحْتَسِبٌ[٢] مُقبِلٌ غيرُ مِدْبِرٍ[٣]!! ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سَبيلِ اللَّه أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: نَعَمْ وَأَنْتَ صابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إلَّا الدَّيْنَ، فَإنَّ جِبْرِيلَ عليهِ السلامُ قالَ لي ذلكَ»[٤] رَواهُ مُسْلِمٌ.

١٣١٢ ـ وعَنْ جابرٍ رَضِيَ اللَّه عَنهُ، قَالَ: «قالَ رَجُلٌ: أينَ أنَا يا رَسُول اللَّه إنْ قُتِلتُ؟ قالَ: في الجَنَّةِ، فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ في يَدِهِ، ثُمَّ قاتَلَ حَتَّى قُتِلَ» رَواهُ مسلم.

١٣١٣ ـ وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنهُ، قَالَ: «انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّه ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا المشرِكِينَ إلى بَدرٍ، وَجَاءَ المُشرِكُونَ، فقالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: لا يَقْدُمَنَّ أَحَدٌ مِنكُم إلى شَيْءٍ[٥] حَتَّى أَكُونَ أَنا دُونَهُ!! فَدَنَا المُشرِكُونَ، فَقَالَ

---

(١) «يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدّين» أي تُغفر له جميع الذنوب إلا الدَّين، لأنه من حقوق العباد، والعبدُ شحيح لا يرضى أن يضيع حقُّه، ولا بدَّ من إرضائه، ولهذا كان ﷺ إذا أُتِي بميِّت ليصلي عليه «سألَ هل عليه دين؟ فإن قالوا: نعم، قال: صلُّوا على صاحبكم».

(٢) «وأنت صابرٌ محتسب» أي صابر على شدائد الحرب، طالبٌ الثواب والرضوان من اللَّه.

(٣) «مقبلٌ غيرُ مدبر» أي مقبل على الأعداء بشجاعة المؤمن، غير منهزم أمامهم.

(٤) «إلا الدين فإن جبريل قال لي ذلك» أي إلا الدَّين فإن جبريل نزل بالوحي عليَّ فيه، فالمجاهد الشهيد تكفَّر عنه ذنوبه كلُّها إلا حقوق الآدميين، وبالشروط المذكورة وهي أن يكون صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر.

(٥) «لا يَقْدُمنَّ أحد منكم» أي لا يتقدَّم أحد إلى الأعداء، حتى أتقدَّم أنا قبله نحوهم، والمراد التحذير من فعل شيء دون أمره ﷺ وإشارته.

رَسُولُ اللَّه ﷺ: قُومُوا إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّموَاتُ وَالأَرْضُ[١]، قال: يَقولُ عُمَيْرُ بنُ الحُمَام الانصارِيُّ رضيَ اللَّه عَنهُ: يا رسولَ اللَّه جَنَّةٌ عَرْضُها السَّمواتُ وَالأرضُ؟ قالَ: نَعَم، قالَ: بَخٍ بَخٍ! فقالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: ما يَحمِلُكَ على قَولِكَ بَخٍ بَخٍ[٢]؟ قالَ: لا وَاللَّه يا رَسُولَ اللَّه، إلَّا رَجاءَ أنْ أكُونَ مِنْ أهْلِها، قال: فَإنَّكَ مِن أهْلِهَا، فَأخْرَجَ تَمَراتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجعَلَ يَأْكُلُ منهُنَّ، ثم قَالَ لَئِنْ أنَا حَيِيتُ حتى آكُلَ تَمَرَاتي هذِهِ، إنها لحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ! فَرَمَى بِمَا كانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثم قَاتَلَهُمْ حتَّى قُتِلَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. «القَرَن»: جُعْبَةُ النَّشَّابِ.

١٣١٤ ـ وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: «جَاءَ نَاسٌ[٣] إلى النَّبيِّ ﷺ، أنِ ابْعَث مَعَنَا رِجَالاً يُعَلِّمُونَا القُرآنَ وَالسُّنَةَ، فَبَعَثَ إلَيْهِم سَبعِينَ رَجُلاً مِنَ الأنْصَارِ، يُقَالُ لهُمْ: «القُرَّاءُ»، فِيهِم خَالي حَرَامٌ، يَقرَؤُونَ القُرآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ باللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وكانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بالمَاءِ، فَيَضَعُونَه في المَسجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيبيعُونَه، ويَشتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأهل الصفة وللفقراء، فبعثهم النبي ﷺ فعرضوا لهم فقتلوهم، قبل أن يبلغوا المكانَ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغ عَنَّا نَبِيَّنَا أنَّا قد لَقِينَاكَ، فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا، وَأَتَى رجُلٌ «حَرَاماً» خَالَ أنَسٍ مِنْ خَلفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمح حتى أنْفَذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزتُ وربِّ الكَعْبَةِ، فقالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ

---

(١) «قوموا إلى جنة عرضها السموات» تشويق للجهاد بأبلغ صور التعبير والتشويق، أي قوموا إلى قتال أعدائكم لتفوزوا بجنة النعيم.

(٢) «بَخٍ بَخٍ» كلمةٌ تقال عند الرضى بالأمر العظيم، أي ما أعظم هذا وأحسنه!؟ وكان عُمَير بيدهِ تمَرات يأكلهنَّ، فلما سمع نداء النبيِّ ﷺ للجنة التي عرضها السمواتُ والأرض، ألقى بتلك التمرات من يده، وقال: إنها لحياة طويلة إن عشتُ حتى آكل التمرات، ودخل في قلب المعركة وقاتل حتى استشهد.

(٣) «جاء ناس» كانوا من أهل نجد، جاءوا يطلبون من الرسول ﷺ من يعلِّمهم القرآن، ويفقِّههم في الدين، فأرسل إليهم سبعين من القُراء، فلما كانوا في الطريق، عرض لهم عدوُّ اللَّه «عامر بن الطُفيل» مع عصابةٍ من قبيلة رِعْلٍ، وذكوان، وقبيلة سليم، وأحاطوا بهم وقتلوهم، قبل أن يصلوا إلى المكان الذي خرجوا إليه، لتعليم أهله القرآن، ولما شعروا بالخطر المحدق بهم قالوا: اللهم بلِّغ عنا نبيَّنا محمداً ﷺ أنَّا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيتَ عنَّا!! وكان الواحد منهم حين يُقدَّم للقتل يقول: فُزتُ وربِّ الكعبة، أي فُزتُ بالشهادة وبالجنة.

إِخْوَانَكم قَد قُتِلُوا، وإنَّهم قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغ عَنَّا نَبِيَّنا أَنَّا قَد لَقِينَاكَ، فَرَضِينا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ مسلم.

١٣١٥ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «غَابَ عَمِّي «أنسُ بنُ النَّضْرِ» رَضيَ اللَّه عَنْهُ، عن قِتَالِ بَدرٍ، فقال: يا رسولَ اللَّه غِبتُ عن أَوَّلِ قِتَالٍ[1] قَاتَلتَ المُشرِكِينَ، لَئِنِ اللَّه أَشْهَدَني قِتَالَ المُشرِكِينَ، لَيَرَيَنَّ اللَّه ما أَصنَعُ[2]!! فَلَمَّا كانَ يومُ أُحُدٍ انكَشَفَ المُسلِمُونَ[3]، فقالَ: اللَّهُمَّ إني أَعتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤلاءِ[4] (يَعْني أَصْحَابَهُ) وَأَبرأُ إليكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤلاءِ[5] (يعني المُشرِكِينَ) ثم تَقَدَّمَ فَاستَقْبَلَهُ سَعدُ بن مُعَاذٍ، فقال: يَا سَعدَ بن مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَربِّ النَّضْرِ، إنِّي أَجِدُ رِيحَهَا[6] مِنْ دُونِ أُحُدٍ! قالَ سعدٌ: فَمَا استَطعتُ يا رَسُولَ اللَّه مَا صَنَعَ! قالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنا بِهِ بِضعاً وَثَمَانِينَ ضَربَةً بالسَّيفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَميَةً بِسَهم، وَوَجدْنَاهُ قد قُتِلَ وَمثَّلَ بِهِ المُشرِكونَ[7]، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إلاَّ أُختُهُ بِبَنانِهِ، قَال أَنسٌ: كُنَّا نُرَى ـ أَوْ نَظُنُّ ـ أَنَّ هذِهِ الآية نَزَلَتْ فِيهِ وَفي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾[8] إلى آخرها [الأحزاب: ٢٣]» مُتَّفقٌ عليه، وقد سَبَقَ في بابِ المُجَاهَدَةِ.

---

(١) «غِبتُ عن أول قتال» أي عن أول معركة مع الرسول ﷺ وهي «معركة بدر».

(٢) «ليرينَ اللَّهُ ما أصنع» اللامُ لام القسم أي سيرى اللَّه صنيعي بالمشركين، فواللَّه لأقاتلنَّهم حتى أشفي غليلي منهم، وأتركنَّهم شَذَر مَذَر!!

(٣) «انكشف المسلمون» أي انهزموا في «غزوة أُحُد» أمام المشركين، بعد أن كان النصر حليفَهم، وذلك بسبب مخالفتهم أمر الرسول ﷺ ألا يتركوا أماكنهم في الجبل، وفي التعبير بقوله: «انكشف» دون التصريح بالانهزام، فيه حُسْن التعبير في اللفظ والأداء.

(٤) «أعتَذِرُ إليكَ ممَّا صَنَع هؤلاء» يعتذر إلى اللَّه مما فعله إخوانه من تسببهم في الهزيمة.

(٥) «وأبرأُ إليكَ ممَّا صنَعَ هؤلاء» يعني المشركين من حرب الرسول ﷺ والمؤمنين.

(٦) «أجِدُ ريحَ الجنَّةِ» أخبر أنه مشتاق إلى الجنة، ويجد رائحتها الطيبة أقرب من جبل أحد، وهو تصوير رائع لمبلغ حبه للشهادة في سبيل اللَّه.

(٧) «مَثَّل بهِ المشركونَ» أي فعلوا بجثته الشنائع من بقر البطن، وقطع الأذن، وقلع العيون، وتشويه الوجه، لما أوقعه بالمشركين من القتل والجراحات، حتى لم يعرفه أحد إلا أخته عرفته من رؤوس أصابعه.

(٨) ﴿قضى نَحبَه﴾ أي وفَّى نذره فمات شهيداً، ومنهم من ينتظر دوره لينال الشهادة، نزلت في أنس بن النضر وفي أمثاله من الشجعان الأبطال الذين عاهدوا اللَّه ووفوا بعهودهم.

١٣١٦ ـ وعَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجلَيْنِ أَتَياني، فَصَعِدَا بي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلاني دَاراً هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضلُ، لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنها، قالا: أَمَّا هذِهِ الدَّار فَدَارُ الشُّهَدَاءِ»(١) رَوَاهُ الْبُخارِيُّ.

وهو بعضٌ من حديثٍ طويلٍ فيه أنواع العلم، سيأتي في بابِ تحريمِ الكذِبِ إنْ شاءَ اللَّه تَعالى.

١٣١٧ ـ وعَنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّه عَنهُ، أنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنتَ البَرَاءِ(٢) وَهِيَ «أمُّ حَارِثَةَ بن سُرَاقَةَ» أَتَتِ النَّبيَّ ﷺ فَقالَتْ: «يا رَسُولَ اللَّه أَلا تُحَدِّثُني عَنْ حارِثَةَ(٣) ـ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ ـ فَإنْ كانَ في الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإنْ كانَ غَيْرَ ذلكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ في البُكَاءِ، فقال: يا أُمَّ حارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ في الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابنَكَ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأعْلى» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٣١٨ ـ وعَنْ جابرِ بنِ عبدِ اللَّه رضيَ اللَّه عَنهُما قالَ: «جِيءَ بِأَبي إلى النَّبيِّ ﷺ قَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَوُضعَ بَيْنَ يَدَيْه، فَذَهَبْتُ أَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ فَنَهاني قَوْمي فقالَ النبيُّ ﷺ: ما زَالَتِ المَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِها»(٤) مُتَّفَقٌ عليه.

١٣١٩ ـ وعَنْ سهلِ بنِ حُنَيْفٍ رَضِيَ اللَّه عنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ اللَّه تَعالى الشَّهادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّه مَنازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإنْ مَاتَ عَلى فِراشِهِ»(٥) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «هذه دار الشهداء» أي هذه الدار التي هي في غاية الحسن والجمال هي دار الشهداء، وهي خاصة بهم، كما أن باب الريَّان خاصٌّ بالصائمين.

(٢) «أم الرُّبيِّع بنت البراء» لفظةُ «أم» خطأ من بعض الرواة، والصوابُ أن اسمها «الرُّبيِّع بنت النضر أمُّ حارثة» وهي عمة أنس وعمة البراء، كما نبه عليه المحدِّثون، وكما في رواية الترمذي وابن خزيمة.

(٣) «ألا تحدثني عن حارثة» الحديث، أي: ألا تخبرني عن ولدي حارثة، الذي استُشْهِد معك في غزوة بدر؟ جاءت إلى رسول اللَّه ﷺ وهي تبكي، فقال لها الرسول ﷺ: إنها جنان في الجنة أي ليست جنة واحدة، وإنما هي قصور وجنات، وقد أصاب ابنك أعلاها، وهي «جنة الفردوس» التي قال عنها المصطفى ﷺ «إذا سألتم اللَّه فسلوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجّرُ أنهارُ الجنة» رواه البخاري.

(٤) «ما زالت الملائكة تظله» أي ما زالت ملائكةُ الرحمن تظلّله بأجنحتها، تشريفاً له وتكريماً، حتى رفعتموه من ساحة المعركة.

(٥) «وإن مات على فراشه» أي من طلب أن يُكرمه اللَّهُ بالشهادة في سبيلة، صادقاً في هذا السؤال والطلب، أناله اللَّه الشهادة ولو مات على فراشه.

١٣٢٠ ـ وعَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقاً أُعطِيَهَا وَلو لم تُصِبْهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٢١ ـ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّه عنهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: «مَا يَجِدُ الشَّهيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ، إلَّا كما يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرصَةِ»(١) رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٢٢ ـ وعنْ عَبْدِ اللَّه بنِ أبي أَوْفَى رضيَ اللَّه عَنهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ في بَعض أَيَّامِهِ الَّتي لَقِيَ فِيهَا العَدُوَّ حتى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قامَ في النَّاسِ فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ(٢)، وسَلُوا اللَّه العافِيَةَ، فإذا لقِيتُمُوهم فَاصْبِرُوا، وَاعلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحتَ ظِلالِ السيوفِ» ثم قال: «اللَّهُمَّ مُنزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمهُم وَانْصُرنَا عَلَيْهِم» مُتَّفَقٌ عليه.

١٣٢٣ ـ وعن سَهْلِ بنِ سعدٍ رَضيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ «ثِنْتانِ لا تُرَدَّانِ، أو قَلَّما تردان: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ البأسِ(٣) حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُم بَعضاً» رَوَاهُ أبو داود بإسناد صحيح.

١٣٢٤ ـ وعَنْ أنسٍ رضيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: كانَ رسُولُ اللَّه ﷺ إذا غَزَا قال: «اللَّهُمَّ أَنتَ عَضُدِي(٤) ونَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ(٥)، وَبِكَ أُقَاتِلُ» رَوَاهُ أبو داودَ، والتِّرمِذِيُّ وقالَ: حَديث حَسَنٌ.

١٣٢٥ ـ وعَنْ أبي مُوسَى رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ إذا خَافَ قَوماً

---

(١) «ما يجد الشهيد من مسِّ القتل» أي ما يجد من ألم القتل، إلَّا مثل ما يجد الإنسان من ألم قرصة النملة، هكذا يخبر الصَّادق المصدوق ﷺ عن أمر الشهيد، وكأن جَسَده يُخدَّر، كما يحدث للمريض الذي تُجرى له عملية جراحية تحت البنج.

(٢) «لا تتمنوا لقاءَ العدوّ» تقدم الحديث مع شرحه في كتاب الصبر رقم (٥٣).

(٣) «الدعاءُ عند النداء وعند البأس» أي عند الأذان والإقامة، وعند الحرب، حينما يلتحم المؤمنون مع الأعداء، ويشتبكون بالقتال بالسيوف والنِّبال.

(٤) «أنت عَضُدي» أي معيني وناصري على أعدائي.

(٥) «بك أحول وبك أصول» أي باعتمادي عليك يا ربُّ أتحرّكُ، وبك وحدك أهجم على الأعداء وأثب عليهم، وفي الحديث إشارة إلى أن النصر إنما يكون بالخروج عن النفس، والاعتماد على الله سبحانه وتعالى.

قالَ: «اللَّهُمَّ إنا نَجعَلُكَ في نُحُورِهِم[١]، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرورِهِم» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيح.

١٣٢٦ ـ وعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنهُمَا، أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «الخَيلُ مَعقُودٌ في نَوَاصِيها الخَيرُ إلى يَوْمَ القِيامَةِ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

١٣٢٧ ـ وعَن عُرْوَةَ البَارِقِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنهُ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «الخَيْلُ مَعقُودٌ في نَوَاصِيهَا الخَيرُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ، الأَجرُ، وَالمغْنَمُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٣٢٨ ـ وَعَن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنهُ، قال: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنِ احتَبَسَ فَرَساً في سَبِيلِ اللَّه[٣]، إيمَاناً بِاللَّه، وَتَصْدِيقاً بِوَعدِهِ، فَإنَّ شِبَعَهُ، وَرِيَّهُ، وَرَوْثَهُ، وَبَولَهُ، في مِيزَانِهِ يَومَ القِيَامَةِ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

١٣٢٩ ـ وعَن أبي مَسْعُودٍ رَضيَ اللَّه عَنهُ، قالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ بِنَاقَةٍ مَخطُومَةٍ[٤]، فقالَ: هذِهِ في سَبيلِ اللَّه، فقالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: لكَ بِها يَومَ القِيَامَةِ سَبعُمَائَةِ ناقَةٍ كُلُّهَا مَخطُومَةٌ»[٥] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٣٠ ـ وعن أبي حَمّادٍ «عُقْبَةَ بنِ عامِرِ الجُهَنيّ» رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ وَهُوَ عَلى المِنبَرِ يقولُ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾

---

(١) «نجعلك في نحورهم» أي حائلاً بيننا وبين أعدائنا، نعتصم بك من شرورهم، والمراد بالحديث التحصُّن بأسماء اللَّه تعالى من شرور الأعداء.

(٢) «معقود في نواصيها الخيرُ» النواصي جمع ناصية وهي: الشعر المسترسل في مقدَّم الرأس، والمراد أن الخيل فيها الخيرُ والأجرُ، واليمنُ والبركة إلى يوم القيامة، لأنها آلة الجهاد في سبيل اللَّه، لا يُستغنى عنها في المعارك، تصعد الجبال، وتهبط الوديان، وتدخل في المضايق التي لا تدخلها دبابة ولا سيارة، ولهذا أقسم اللَّه تعالى بها في قوله: **﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾**.

(٣) «من احتبس فرساً» أي أمسك فرساً وحبس للجهاد، فإن كلَّ ما يأكله الفرس ويشربه حتى خروج الفضلات، يكون لصاحبه فيه الأجر والثواب، وتتضاعف له به الحسنات، كرماً من اللَّه وفضلاً.

(٤) «جاء بناقةٍ مخطومة» الخِطَامُ: الحبلُ الذي يوضع على الأنف والفم ليتمكن من إمساك الناقة.

(٥) «لَكَ بهَا سَبْعُمائةِ ناقَةٍ» مضاعفةً للأجر، لقوله تعالى: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبلَةٍ مائةُ حَبَّةٍ﴾** فتضاعف الحسنة إلى سبعمائة ضعف، وبخاصة ما كان منها في الجهاد في سبيل اللَّه.

أَلا إنَّ القُوَّةَ الرَّميُ، أَلا إنَّ القُوَّةَ الرَّميُ، أَلا إنَّ القوَّةَ الرَّمْيُ »[١] رَواهُ مُسْلِمٌ.

١٣٣١ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يقولُ: « سَتُفْتَحُ عَلَيْكُم أَرَضُونَ[٢]، وَيَكفِيكُمُ اللَّه[٣]، فَلا يَعْجِزْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُو بِأَسْهُمِهِ »[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٣٢ ـ وعَنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « مَنْ عُلِّمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا[٥]، أَوْ: فَقَد عَصَى » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٣٣ ـ وعنهُ رضيَ اللَّه عَنْهُ، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يقولُ: « إنَّ اللَّه يُدخِلُ بِالسَّهم الوَاحِدِ ثَلاثَةَ نَفَرِ الجَنَّةَ[٦]: صَانِعَهُ يحتَسِبُ في صَنْعَتِهِ الخَيرَ، وَالرَّامِي بِهِ، وَمُنْبِلَهُ، وَارْمُوا وَارْكَبُوا، وَأَنْ تَرمُوا أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ تَركَبُوا[٧]، ومَنْ تَرَكَ الرَّميَ بَعْدَما عُلِّمَهُ رَغْبَةً عنه، فَإِنَّها نِعْمَةٌ تَرَكَهَا، أَوْ قال: كَفَرَهَا »[٨] رَوَاهُ أبو داودَ.

---

(١) « أَلَا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ » هذا توضيح للآية الكريمة ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ﴾ فالرسول ﷺ يبيِّن أن معظم القوة هو في إحسان الرمي، الرميُ بالسهام، أو بالبندقية، أو بالمدفع الرشاش، وليس معناه أن القوة بالرمي فقط، وإنما هو أصلُ القوة ومعظمها، وهذا مثل قوله ﷺ: « الحج عرفة » أي أهم أركانه.

(٢) « سَتُفْتَحُ عليكُمْ أَرَضُونَ » أي ستفتح على المسلمين بلاد كثيرة.

(٣) « ويكفيكُمُ اللَّهُ » أي يكفيكم شرَّ الحرب والقتال، وتصبح البلاد آمنة، وقد حقق اللَّه للمسلمين ذلك.

(٤) « فَلَا يَعْجِزْ أحدُكُمْ أن يَلْهُوَ بأسْهُمِه » أي لا يتهاون ويترك الرماية، ثقةً منه بالأمان، بل ينبغي أن يستمرَّ على التمرن عليه، بين حينٍ وآخر، وهذا هو « السِّلم المسلَّح » أن يبقى الإنسان على أهبة الاستعداد.

(٥) « من عُلِّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنّا » أي ليس من هدينا ومن أهل طريقتنا، وفيه تحذير شديد، من نسيان الرماية بعد تعلمها، لأنها أصلُ القوة.

(٦) « يُدْخِلُ بالسَّهم الواحدِ ثلاثةَ نَفَر الجنَّة » فيه إشادةٌ وتعظيمٌ لأمر الجهاد في سبيل اللَّه، فإنه عمود الإسلام، وذِرْوةُ سنامه، فاللَّه سبحانه يدخل الجنة ثلاثة أشخاص: صانع السهم، والرامي، والذي يناول السهم للرامي.

(٧) « وأن تَرْمُوا أَحَبُّ إليَّ من أن تَرْكَبُوا » أي تعلُّمكم للرمي أحبُّ عندي من ركوب الخيل والدواب، لقوة نفع الرمي بالنسبة للركوب، وفي هذا تأكيدٌ لقوله ﷺ في الحديث السابق « ألَا إن القوة الرميُ ».

(٨) « ومَنْ تَرَكَ الرَّميَ . . . فإنها نعمةٌ كَفَرَهَا » أي نعمةٌ عظيمة جحد فضلها ولم يشكر ربه =

١٣٣٤ ـ وعَنْ سَلَمَةَ بن الأكوَعِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قالَ: مَرَّ النَّبيُّ ﷺ على نَفَرٍ يَنْتَضِلُونَ[١]، فَقَالَ: «ارْمُوا بَنِي إسْماعِيلَ فَإنَّ أَبَاكم كانَ رَامِياً»[٢] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٣٣٥ ـ وَعَنْ عَمْرِو بنِ عَبَسَةَ رضيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَمَى بِسَهمٍ في سَبيلِ اللَّه فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحرَّرةٍ»[٣] رَوَاهُ أبو داودَ، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٣٦ ـ وعَنْ أبي يحيى خُرَيْمِ بنِ فاتِكٍ رَضِيَ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ أنْفَقَ نَفَقَةً في سَبِيلِ اللَّه، كُتِبَ لَهُ سَبْعُمَائةِ ضِعْفٍ»[٤] رَوَاهُ الترمِذي وقالَ: حديثٌ حَسَنٌ.

١٣٣٧ ـ وعَنْ أبي سَعيدٍ رَضِيَ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُوم يَوْماً في سَبِيلِ اللَّه، إلَّا بَاعَدَ اللَّه بذلكَ اليَوْمِ وَجْهَه عَنِ النَّارِ، سَبْعِينَ خَريفاً» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٣٣٨ ـ وعَنْ أبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ صَامَ يَوْماً في سَبيلِ اللَّه، جَعَلَ اللَّه بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقاً، كَمَا بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٣٩ ـ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّه عنْهُ، قالَ: قالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «مَنْ ماتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَه بِغَزْوٍ[٥]، ماتَ عَلى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

= عليها، ذلك لأن تعلم الرماية نكايةٌ للأعداء، وتأهيل لوظيفة الجهاد، للدفاع عن دين اللَّه، فمن تركه فقد فرّط بهذا الواجب العظيم.

(١) «ينتضِلُون» يرمون بالسهام لغرض التسابق والغلبة.

(٢) «ارموا فإن أباكم كان رامياً» يريد بذلك سيدنا إسماعيل عليه السلام فقد كان يرمي بالنِّبال، يشجِّعهم على إتقان الرماية، اقتداءً بأبيهم إسماعيل أب العرب عليه السلام.

(٣) «عِدْلُ محرَّرة» أي له من الأجر، مثلُ من أعتقَ رقبةً في سبيل اللَّه.

(٤) «كُتب له سبعُمائةِ ضِعْفٍ» الحسنة تتضاعف إلى عشرة أضعاف، إلَّا ما كان في الجهاد في سبيل اللَّه، فإن الحسنة تتضاعف فيه إلى سبعمائة ضعف، كما أشار إليه الحديث الشريف، ويؤيده حديث «من أنفق في سبيل اللَّه فبسبعمائة ضعف، ومن أنفق على أهله أو على نفسه، فهي حسنة بعشر أمثالها» رواه أحمد والطبري.

(٥) «ولم يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ» أي لم يَنْوِ في قلبه الجهادَ في سبيل اللَّه، مات على خصلة من النفاق!! =

١٣٤٠ ـ وعَنْ جابرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قالَ: كنَّا مَعَ النَّبيِّ ﷺ في غَزَاةٍ[١]، فقالَ: «إنَّ بِالمَدِينَةِ لَرِجَالاً ما سِرْتُمْ مَسِيراً، وَلا قَطَعْتُمْ وادياً، إلَّا كانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ المَرَضُ» وفي روايةٍ: «حَبَسَهُمُ العُذْرُ».

وفي روايةٍ: «إلَّا شَرَكُوكُمْ في الأَجْرِ»[٢] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ من روايةِ أَنسٍ، وَرَوَاهُ مُسلمٌ من روايةِ جابرٍ واللفظ له.

١٣٤١ ـ وعنْ أبي مُوسى رَضِيَ اللَّه عَنْهُ «أَنْ أَعْرَابِيّاً أَتَى النبيَّ ﷺ فَقَالَ: يا رسولَ اللَّه، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ[٣]، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ[٤]، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكانُهُ؟» وفي روايةٍ: «يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً»[٥].

وفي روايةٍ: «وَيُقَاتِلُ غَضَباً، فَمَنْ في سَبيلِ اللَّه[٦]؟ فَقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّه هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ في سَبِيلِ اللَّه» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٣٤٢ ـ وعنْ عبدِ اللَّه بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا، قالَ: قالَ

= والمراد من الحديث أن من ترك الغزوَ، أو نيَّةَ الغزو فقد أشبه المنافقين، المتخلِّفين عن الجهاد، فإن ترك الجهاد أحدُ شُعَب النفاق. **قال القرطبي**: من لم يتمكن من فعل الخير، فعليه أن يعزم عليه، خصوصاً الجهاد الذي أعزَّ اللَّه به الإسلام، وأظهر به الدين على كل الأديان!.

(١) «كُنَّا مَعَ النبيِّ في غَزْوَةٍ» هي غزوة تبوك كما ورد به صريحاً في رواية مسلم.

(٢) «شركوكم في الأجر» أي شاركوكم في الثواب، وإن لم يخرجوا معكم للجهاد، **قال النووي**: في هذا الحديث فضيلة النية في الخير، وأنَّ من نوى الغزوَ، أو غيرَه من الطاعات، فعَرَض له عذرٌ منعه منه، حصلَ له ثوابُ نيَّته، وكلَّما تمنى أن يكون مع الغزاة كثُر ثوابُه، اهـ. **أقول**: إن اللَّه عزَّ وجلَّ من فضله وكرمه، لا يجازي على عمل الخير فحسب، وإنما يجازي على النيَّة أيضاً، ونيَّةُ المرء مثلُ عمله، وصدق رسول اللَّه ﷺ حين قال: «إنما الأعمالُ بالنيات».

(٣) «الرَّجُلُ يُقَاتِلُ للمَغْنَم» أي لأجل الغنيمة لا غاية له غيرها.

(٤) «يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ» أي يُذكر بين الناس ويُخلَّد اسمه في الأبطال.

(٥) «يقاتِلُ حَمِيَّةً» أي عصبيَّةً ومحاماةً عن العشيرة والأهل.

(٦) «فمنْ في سَبِيلِ اللَّهِ»؟ أي مَنْ مِنْ هؤلاء يكون في سبيل اللَّه، ويُسمَّى بالشهيد؟ فقال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمةُ اللَّهِ هي العليا فهو في سبيل اللَّه» وهذا قانون إلهيٌّ عادل، يخبر عنه رسول اللَّه ﷺ، فكلُّ من قاتل لتكون كلمةُ اللَّه هي العليا، ولإعزاز دين اللَّه، فهو الشهيد عند اللَّه، الذي ينال مرتبة الشهداء.

رَسُولُ اللَّه ﷺ: « مَا مِنْ غَازِيَةٍ[١]، أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو، فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إلَّا كانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَي أُجورِهِمْ، وَمَا مِنْ غازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تُخْفِقُ وَتُصَابُ[٢]، إلَّا تَمَّ لهم أُجورُهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٤٣ ـ وعَنْ أَبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ « أَنَّ رَجُلاً قالَ: يا رسولَ اللَّه ائْذَنْ لي في السِّيَاحَةِ[٣]، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: إنَّ سِيَاحةَ أُمَّتي الجِهادُ في سَبيلِ اللَّه، عَزَّ وجلَّ»[٤] رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ جيِّدٍ.

١٣٤٤ ـ وعَنْ عبدِ اللَّه بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ رَضيَ اللَّه عَنْهُمَا، عَنِ النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: « قَفْلَةٌ كَغَزْوَةٍ»[٥] رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ جيدٍ.

« القَفْلَةُ» الرُّجُوعُ مِنَ الغَزْوِ بعْدَ فَرَاغِهِ.

١٣٤٥ ـ وعنِ السائِبِ بنِ يزيدَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قالَ: « لَمَّا قدِمَ النَّبيُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبوكَ تَلَقَّاه النَّاسُ، فَتَلَقَّيْتُهُ معَ الصِّبيانِ على ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صَحيحٍ بهذا اللفظ.

وَرَوَاه البخاريُّ قالَ: « ذَهَبْنَا نَتَلقَّى رسولَ اللَّه ﷺ، مَعَ الصِّبيَانِ إلى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ»[٦]

---

(١) « ما من غَازِيَةٍ» طائفة وجماعة تغزو في سبيل اللَّه، وتجاهد الأعداء، فإن غنمت وسلمت من الموت، كان أجرها قليلاً بالنسبة لمن لم تَسْلَم ولم تغنَم وتعجَّلتْ ثلثي الأجر.

(٢) « وما من غَازِيَةٍ تُخْفِق» أي لا تنتصر على عدوِّها، ولا تغنم منه شيئاً، إلَّا نالت الأجر وافياً كاملاً، **وحاصلُ المعنى**: أن المجاهدين إذا سَلِمُوا وغنموا، كان أجرُهم أقلَّ ممن لم يَسْلَم ولم يَغْنم، لشدة ابتلاء هؤلاء، لأنهم بذلوا أنفسهم للَّهِ، غير ناظرينَ لِعَرَض أو غَرَض، فنالوا كامل الأجر والمثوبة، قال تعالى: **﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [آل عمران: ١٥٧].

(٣) « ائذن لي في السياحة» يعني مفارقةَ الوطن والذهاب في الأرض، ليقهر نفسه، ويُبعدها عن مألوفها من الملذات والشهوات.

(٤) « سياحة أمتي الجهاد» لم يأذن له رسول اللَّه ﷺ، وبيَّن للسائل إن سياحة هذه الأمة في الجهاد في سبيل اللَّه، فهذه هي العبادة الحقة لمن أحبَّ رضوان اللَّه، قال تعالى: **﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ..﴾** الآية.

(٥) « قَفْلَةٌ كغَزْوة» معنى الحديث الشريف: أن أجر المجاهد في رجوعه من الغزو، سواءٌ لاقى عدواً وقاتل، أو لم يقاتل، فإنه ينال الأجر كاملاً، لقوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾** ذلك لأن نيَّة المؤمنِ كعمله، ويكفيه أنه خرج طلباً لمرضاة اللَّه!!

(٦) « ذهبنا إلى ثنية الوداع» سميت « ثنية الوداع» لأن المسافر كان يُوَدَّع عندها، وهي محلٌّ=

١٣٤٦ ـ وَعَنْ أبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لم يَغْزُ، أَوْ يُجَهِّزْ غَازِياً، أَوْ يَخْلُفْ غَازِياً[1] في أَهْلِهِ بِخَيرٍ، أَصَابَهُ اللَّه بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ القِيامَةِ» رَوَاهُ أبو داودَ بإسنادٍ صحيحٍ.

١٣٤٧ ـ وعَنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ «جَاهِدُوا المُشْرِكِينَ[2] بِأَموالِكُمْ، وَأَنْفُسِكم، وَأَلسِنَتِكُم» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

١٣٤٨ ـ وعَنْ أبي عَمْرو «النُّعْمَانِ بنِ مُقَرِّنٍ» رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: «شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ، إذا لَمْ يُقَاتِلْ مِنْ أَوَّلِ النَّهارِ، أَخَّرَ القِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ[3]، وَتهبَّ الرِّيَاحُ، وينزِلَ النَّصْرُ» رَوَاهُ أَبو داود، والتِّرمِذِيُّ، وقالَ: حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

١٣٤٩ ـ وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عنهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ[4]، وَاسْأَلوا اللَّه العَافِيَةَ، فإذا لَقِيتُمُوهم، فَاصبِرُوا»[5] مُتَّفَقٌ عليه.

= بقرب المدينة، ذهب بعض الصحابة لتلقِّي رسول اللَّه ﷺ وهو راجع من غزوة تبوك، وفي الحديث إشارة إلى استحباب الخروج لوداع المسافر، أو استقبال القادم.

(١) «من لم يغز أو يجهز غازياً» أي يخرج للجهاد، أو يجهِّز من يخرج للجهاد، بأن يُهيِّئ له أسباب السفر، أصابه اللَّه بداهية ومصيبة كبيرة، تزعجه وتقلقه، لأنه فرَّط في واجب من واجبات الإسلام وهو الجهاد.

(٢) «جاهدوا المشركين» الجهاد لا يكون بالقتال فقط، بل هو أنواع عديدة، منها الجهاد بالمال، والجهاد بالنفس، والجهاد باللسان، كما قال سبحانه: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرِ﴾** [التحريم: ٩].

(٣) «حتى تزول الشمس» أي تزول عن كبد السماء بعد الظهر إلى جهة المغرب، وحربُه ﷺ عند هبوب الرياح، استبشارٌ بنصرة اللَّه له بالريح قال تعالى: **﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾** وفي رواية البخاري «حتى تهبَّ رياحُ النصر».

(٤) «لا تتمنوا لقاء العدو» النهيُ عن تمني لقاء الأعداء، لئلا يُفتنوا بهم، ويضعفوا عن قتالهم عن اشتداد المعركة، ويدخل إلى نفوسهم الغرور بالنصر، كما حدث في غزوة حنين، حين قالوا: لن نُغلب من قلة!

(٥) «فإذا لقيتموهم فاصبروا» أي إذا جاءكم الأعداء من غير طلب منكم، ولا رغبة في لقائهم، فاصبروا عندئذٍ، فإنكم معانون عليهم، لأن اللَّه مع الضعفاء المنكسرةِ قلوبهم، وقريبٌ من هذا حديث «لا تطلب الإمارة، فإنك إن أُعطيتها أُعنتَ عليها، وإن طلبتَها وُكلْتَ إليها» والحديث تقدَّم بكامله في كتاب الصبر رقم (٥٣).

١٣٥٠ ـ وعَنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، وعَنْ جابِرٍ رَضِيَ اللَّه عَنهُما، أن النبيَّ ﷺ قالَ: «الحَرْبُ خَدْعَةٌ»[١] مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

باب في بَيان جماعة منَ الشهداء في ثواب الآخرة ويغسلون ويصلى عليهم بخلاف القتيل في حرب الكفار

١٣٥١ ـ عنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «الشُّهَدَاءُ خَمسَةٌ[٢]: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِيقُ، وَصاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ في سَبيلِ اللَّه» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٣٥٢ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «ما تَعُدُّونَ الشُّهَدَاءَ فِيكُمْ؟ قالُوا: يا رَسُولَ اللَّه مَنْ قُتِلَ في سَبيلِ اللَّه، فَهُوَ شهيدٌ!! قال: إنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتي إذاً لَقَلِيلٌ!! قالُوا: فَمَنْ هم يا رَسُولَ اللَّه؟ قالَ: مَنْ قُتِلَ في سَبِيلِ اللَّه فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ ماتَ في سَبيلِ اللَّه فهو شَهيدٌ، وَمَنْ ماتَ في الطَّاعونَ فهو شَهيدٌ، وَمَنْ مَاتَ في البَطنِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَالغَرِيقُ شَهيدٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٥٣ ـ وعنْ عبدِ اللَّه بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ، رَضِيَ اللَّه عَنهُمَا، قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ، فَهُوَ شَهيدٌ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

---

(١) «الحربُ خَدْعَة» أي ينبغي أن تكون بالخِداع، يخدع بها الأعداء، واستعمالُ الحيلة في الحرب ضروري، كمن يتظاهر بالهزيمة، ليجرَّ عدوه إليه ويكرَّ عليه، وكمن يُباغت العدو في الصباح الباكر ﴿فَٱلْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾ قال النبي ﷺ هذا الكلام يوم الأحزاب لنعيم بن مسعود، حين سعى بحيلةٍ وذكاء لتفريق صفوف الأعداء.

(٢) «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ» هؤلاء الذين عدَّهم الرسول ﷺ شهداء يعطيهم اللَّهُ من الأجر والثواب، ما يقارب شهداء المعركة، لعظيم مصابهم، تفضلاً منه وكرماً، لكنهم يختلفون عن شهداء الآخرة، الذين هم أحياء عند ربهم يُرزقون، فإنهم يكفَّنون بملابسهم، ولا يُغسَّلون، ويُدفنون بجراحاتهم ودمائهم، ولا يُصلَّى عليهم، لأن ذنوبهم مغفورة، والمطعونُ: الذي يموت بمرض الطاعون، والمبطونُ: من مات بالإسهال «مرض البطن» كالكوليرا وأمثالها، والمهدومُ: من مات تحت الأنقاض، كسقوط السقف عليه، أو في الأحداث المفجعة كالزلازل، والقذائف الجهنمية التي يرمي بها اليهود اللعناء إخواننا الفلسطينيين، وأمثال ذلك من أنواع الموت بالهدم.

١٣٥٤ ـ وعَنْ أبي الأعْوَرِ «سَعِيدِ بنِ زَيْدٍ» بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ، أَحَدِ العَشَرَةِ المَشْهُودِ لهُمْ بالجَنَّةِ، رَضِيَ اللَّه عَنْهُمْ، قالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مالِهِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهيدٌ»[1] رَوَاهُ أبو داودَ، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٥٥ ـ وعنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إلى رسولِ اللَّه ﷺ فَقَالَ: يا رسولَ اللَّه أرَأيْتَ إنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أخْذَ مَالي؟ قالَ: فَلا تُعْطِهِ مالكَ، قال: أَرَأَيتَ إنْ قاتَلَني؟ قال: قَاتِلْهُ، قالَ: أَرَأَيْتَ إنْ قَتَلَني؟ قالَ: فَأَنْتَ شَهيدٌ، قال: أرَأَيتَ إنْ قَتَلْتُهُ؟ قال: هُوَ في النَّارِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في فضل العتق

قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ[2] ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣﴾ [البلد: ١١ ـ ١٣].

١٣٥٦ ـ وعَنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّه عنهُ، قَالَ: قَالَ لي رَسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً[3]، أَعْتَقَ اللَّه بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ، عُضْواً مِنْهُ مِنَ النَّارِ، حتى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

---

(١) «من قُتل دون ماله، ودون دمه فهو شهيد» هذا بيانٌ نبويٌّ لأنواع الشهداء، الذين ينالون أجر الشهيد، فمن تعرَّض له لصٌّ سارق، يريد سرقة المال، فدافع عن ماله فقُتل فهو شهيد، وكذلك من دافع عن نفسه فقُتل فهو شهيد، ومن طُلب منه الارتدادُ عن الإسلام فأبى، فقُتل في سبيل دينه فهو شهيد، ومن اعتُدي على أهله فدافع عنهم، فقُتل فهو شهيد، وهكذا كلُّ من قُتل مظلوماً في سبيل دينه، أو أهله، أو دفاعاً عن نفسه، أو ماله، أو أيِّ شيء من الحرمات، فإنه ينال أجر الشهيد.

(٢) ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ أصلُ العقبةِ الطريقُ الوعرُ في الجبل، وأراد بالعقبة هنا: الشدائد والأهوال التي يلقاها الإنسان في الآخرة، وقد فسَّرها بقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي تجاوزُ هذه الأخطار والشدائد، يكون بإعتاق عبدٍ، وتخليصه من الرِّقّ والعبوديَّة لوجه اللَّه تعالى، وأن يطعم الفقير في يوم ذي مجاعة وفاقة.

(٣) «من أعتق رقبة مسلمة» أي فكَّها من أسر الرِّقِّ والعبودية، ومن هنا ندرك سرَّ عناية الإسلام =

١٣٥٧ ـ وَعَنْ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: «قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّه، أَيُّ الأعْمالِ أَفضَلُ؟ قَالَ: الإيمانُ باللَّه، وَالجِهَادُ في سَبِيلِ اللَّه، قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَكْثَرُهَا ثَمَناً» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في فضل الإحْسَان إلى المملوك

قَالَ اللَّه تَعَالى: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء: ٣٦].

١٣٥٨ ـ وَعَنِ المَعْرُورِ بنِ سُوَيْدٍ قَالَ: «رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، وعليهِ حُلَّةٌ، وَعَلى غُلامِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذلكَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ سَابَّ رَجُلاً عَلى عَهْدِ رَسُولِ اللَّه ﷺ فَعَيَّرَهُ بأُمِّه، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إخْوَانُكُمْ، وَخَوَلُكُمْ[1] جَعَلَهُمُ اللَّه تَحتَ أَيدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحتَ يَدِهِ، فَلْيُطعِمْهُ مِمَّا يَأْكلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلبَسُ، وَلا تُكَلِّفُوهُم مَا يَغلِبُهُم، فإن كَلَّفْتُمُوهُم فَأَعِينُوهُم» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٣٥٩ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إذا أتى أحَدَكم خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ[2]، فَإنْ لَم يُجلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُناوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ

= بتحرير الرقاب، فالإسلام دينٌ يدعو إلى الحرية، وإطلاق الإنسان من العبودية، إلّا للّه عزّ وجل، ولهذا جاءت الدعوة إلى عتق الرقبة في الكفارات «كفارة اليمين» و«كفارة الظهار» و«كفارة القتل الخطأ» وفي شتى الظروف والأحوال.

(١) «إخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ» أي هؤلاء العبيد والخَدَم إخوانكم في الإنسانية، وعبيدكم صيَّرهم اللّهُ تحت أيديكم، ولو شاء لجعلكم تحت أيديهم!! وفي هذا الحديث الشريف توجيه كريم، إلى وجوب إكرام هؤلاء الأرقّاء، ومعاملتهم معاملة الأخ لأخيه، ولهذا كان أبو ذر يُلبس عبده كما يلبس، ويُطعمه مما يأكل، وقد أخذ هذا الدرسَ من هَدْي النبوة، ويا له من توجيه كريم!!

(٢) «إذَا أَتَى أَحَدَكم خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ» ما أسمى الإسلام!! وما أبدع تعاليمه ووصاياه!! فهذا نبيُّ الرحمة ﷺ، يوجّه أتباعه إلى ضرورة إكرام الخادم، فإذا جاء بالطعام، فلْيجلسه سيِّده معه ليأكل، ليشعره بالأخوّة والمحبّة، فإن لم يفعل فلْيدفع له نصيبَه من الطعام، ويعلّل ذلك بقوله: «فإنه وَلِيَ علَاجَه» أي عَمَله وطَبْخه، وبذلك تحصل المحبة والمودة، بين المخدوم والخادم، والسيد والعبد، وهذا من محاسن الإسلام، وتوجيهاته الرشيدة.

لُقْمَتَيْنِ، أَوْ أُكلَةً أَوْ أُكلَتَيْنِ، فَإِنَّهُ وَلِيَ عِلاجَهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

«الأُكلَةُ» بضم الهمزة: هِيَ اللُّقمَةُ.

۞ ۞ ۞

باب فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه

١٣٦٠ ــ عَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «إنَّ العَبْدَ إذا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ[1]، وَأَحْسَنَ عِبادَةَ اللَّه، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٣٦١ ــ وَعَنْ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنهُ، قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لِلْعَبْدِ المَمْلُوكِ المُصْلِحِ أَجْرَانِ، وَالَّذي نَفسُ أَبي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، لَوْلا الجِهَادُ في سَبِيلِ اللَّه، وَالحَجُّ، وَبِرُّ أُمِّي، لأَحْبَبتُ أَنْ أَموتَ وَأَنَا مملوكٌ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٣٦٢ ــ وَعَنْ أبي مُوسَى الأشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لِلْمَمْلُوكِ الَّذي يُحسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَيُؤَدِّي إلى سَيِّدِهِ الذي عليه مِنَ الحَقِّ، وَالنَّصِيحةِ، وَالطَّاعَةِ، أَجْرَانِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٣٦٣ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «ثلاثةٌ لهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بنَبِيِّهِ، وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ، وَالعَبْدُ المَمْلُوكُ إذا أَدَّى حَقَّ اللَّه، وَحَقَّ مَوَالِيهِ، ورَجُلٌ كانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَها فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَها، وَعَلَّمَها فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَها، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ» مُتَّفَقٌ عَليهِ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «إن العبد إذا نصح لسيده» أي قام بخدمته بصدقٍ ووفاء، بقدر طاقته واستطاعته، وأحسن في عبادته للّه سبحانه، أُعطي أجره مضاعفاً كما في قوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا**﴾ وهذا النصحُ من العبد بمقابلة إحسان السيد للعبد.

بابٌ في فضل العِبادة في الهَرج وهو الاختلاط والفتن ونحوها

١٣٦٤ ـ عَنْ مَعْقِلِ بنِ يسَارٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «العِبَادَةُ في الهَرْجِ كهِجْرَةٍ إليَّ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في فضل السّماحة في البَيع وَالشراء، والأخذ والعطاء، وحسن القضاء والتقاضي وإرجاح المكيال والميزان، والنهي عن التطفيف وفضل إنظار الموسرِ المُعسرَ والوضع عنه

قَالَ اللَّه تَعَالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وَقَالَ تَعَالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ[2] وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [هود: ٨٥].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ[3] (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾ [المطففين: ١ ـ ٦].

١٣٦٥ ـ وَعَنْ أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ «أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبيَّ ﷺ

---

(١) «العبادةُ في الهَرْج» أي العبادةُ في وقت احتدام القتال، وتكاثر الفتن، أجرُه كأجر المهاجر إلى النبي ﷺ، لأنه فرَّ بدينه من الناس، فكأنه هاجر من بلدٍ إلى بلدٍ آخر.

(٢) ﴿أَوْفُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ بِالقِسْطِ﴾ أي بالعدل، وهؤلاء هم قوم شعيب، والمعنى: أتمُّوا الكيلَ والوزنَ للناس بالعدل، ولا تُنقصوهم من حقوقهم شيئاً.

(٣) ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ أي إذا كالوا لهم، أو وزنوا لهم، أنقصوا في الكيل والوزن، فهم عند الأخذ يأخذون كاملاً، وعند البيع والعطاء، يعطونه ناقصاً، وإذا كان هذا الوعيد الشديد بالهلاك والعذاب، لمن انتقص الطفيف من حقوق الناس، فكيف بمن يأكل أموال الناس بالباطل أو يغتصبها!؟

يَتَقَاضاهُ[١] فَأَغْلَظَ لَهُ[٢]، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً[٣]، ثُمَّ قَالَ: أَعْطُوهُ سِنّاً مِثْلَ سِنِّهِ، قالوا: يا رسولَ اللَّه لَا نجِدُ إلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ[٤]، قال: أَعْطُوهُ فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضاءً» مُتَّفَقٌ عليْهِ.

١٣٦٦ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «رَحِمَ اللَّه رَجُلاً سَمْحاً إذا بَاعَ، وَإذا اشْتَرَى، وَإذا اقْتَضَى»[٥] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٣٦٧ ـ وَعَنْ أبي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللَّه مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ[٦] أَوْ يَضَعْ عَنْهُ»[٧] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٦٨ ـ وَعَنْ أبي هُرِيرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، وَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إذا أَتَيْتَ مُعْسِراً فَتَجَاوَزْ عَنْهُ[٨]، لَعَلَّ اللَّه أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَقِيَ اللَّه فَتَجَاوَزَ عَنْهُ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

---

(١) «أتى النبيَّ يتقَاضاه» أي أتى الأعرابيُّ النبيَّ ﷺ يطلب منه قضاء حقه، بدفع ثمن البعير الذي اشتراه منه.

(٢) «فأغلَظَ له» أي فاغلَظَ في كلامه وطلبه، كعادة الأعراب الجهال، فهَمَّ أصحابُ النبي ﷺ أن يبطشوا به، لإساءته وغلظته.

(٣) «إنَّ لصاحبِ الحقِّ مَقَالاً» منعَهم رسولُ اللَّه ﷺ من إيذائه، وقال لهم: اتركوه فله عندي حقٌّ، وهذا من كرم أخلاقه ﷺ، مع أن وقت الوفاء لم يأت، بيان أن من كان له حقٌّ على الغير، فصوتُه مسموع، يعلو صوتَ المدين.

(٤) «لا نجد إلا أَمْثَلَ من سِنِّه» أي لا نجد له وفاءً إلا أفضل من سِنِّه! فقال لهم ﷺ: أعطوه فإن خير الناس أفضلهم قضاء، ودلَّ هذا على جواز دفع ما هو أغلى وأثمن، مما يستقرضه الإنسان إذا لم يكن مشروطاً، كمن يستقرض جَذَعاً ويردُّ كبشاً، أو يستقرض رديئا ويردُّ جيداً.

(٥) «رحم اللَّه رجلاً سمحاً إذا باع» جملة خبرية لفظاً دعائية معنى، أي اللهم ارحم عبداً سمحاً في البيع والشراء، والقضاء، والاقتضاء.

(٦) «فلْيُنَفِّسْ عن مُعْسر» أي من أحبَّ أن ينجيه اللَّه من شدائد وأهوال يوم القيامة، فلْيؤخِّرْ مطالبة المدِين إذا كان معسراً، غير قادر على السّداد، لقوله سبحانه: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ أي الواجب عليه أن يمهله إلى وقت اليسر، فمن يسَّرَ يسَّر اللَّهُ عليه، ومن عسَّر عسَّر اللَّهُ عليه.

(٧) «أو يَضَعْ عنه» أي يحطُّ ويسقط عنه الدين.

(٨) «فتجاوَزْ عنه» أي أخِّر مطالبته بالدين ولا تثقل عليه «لعلَّ اللَّه يتجاوزُ عَنَّا» أي يعفو عنَّا فعفا اللَّه عنه، وهذا بمقابلة عفوه عن المُعْسر ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾؟

١٣٦٩ ـ وَعَنْ أَبي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ، إلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ[١]، وَكَانَ مُوسِراً، وَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُعْسِرِ[٢] قالَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٧٠ ـ وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: «أُتِيَ اللَّه تَعَالى، بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ، آتاهُ اللَّه مَالاً، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ في الدُّنْيَا؟ قَالَ: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ ـ قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلى المُوسِرِ، وَأُنْظِرُ المَعْسِرَ، فَقَالَ اللَّه تَعَالى: أَنَا أَحَقُّ بذا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي» فَقَالَ عُقْبَةُ بنُ عَامِرٍ، وأَبو مَسْعُودٍ الأنصاريُّ، رَضِيَ اللَّه عَنهُمَا: «هكَذَا سَمِعْنَاهُ مِنْ في رَسُولِ اللَّه ﷺ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٧١ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً، أَوْ وَضَعَ لَهُ، أَظَلَّهُ اللَّه يَوْمَ القِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ، يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقَالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٣٧٢ ـ وَعَنْ جابرٍ رَضِيَ اللَّه عَنهُ «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ، اشْتَرَى مِنهُ بَعِيراً[٣]، فَوَزَنَ لَهُ، فَأَرْجَحَ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٣٧٣ ـ وَعَنْ أَبي صَفْوَانَ «سُوَيْدِ بنِ قَيْسٍ» رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: «جَلَبْتُ أَنَا وَمَخْرَمةُ الْعَبْدِيُّ بَزّاً مِنْ هَجَرَ، فَجاءَنَا النَّبيُّ ﷺ فَسَاوَمَنا بسَرَاوِيلَ، وَعِنْدِي وَزَّانٌ يَزِنُ بالأَجْرِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ لِلْوَزَّانِ: زِنْ وَأَرْجِحْ» رَوَاهُ أَبو داودَ، والتِّرمِذِيُّ وقَالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «كان يُخَالِطُ النَاسَ» أي يتعامل معهم بالبيع والشراء والتجارة.

(٢) «يأمر غلمانه أن يتجاوزُوا عن المُعْسر» أي يأمرهم بالتساهل مع المعسر، بإمهاله أو مسامحته بالدَّين الذي عليه، فلما مات أمر اللَّه الملائكة بمسامحته والعفو عنه، كما سهَّل على عباد اللَّه المعسرين، وهذا من باب «الراحمون يرحمهم الرحمن».

(٣) «اشترى منه بعيراً» اشترى ﷺ جملاً من جابر رضي اللَّه عنه في غزوة «ذات الرقاع» بثمن معلوم من الفضة، وزاده عند الوفاء، فقال لبلالٍ: زِنْ وأرجحْ أي أعطه الثمن كاملاً، وزده على حقه، فزاده قيراطاً، ودلَّ الحديث على فضل الزيادة في الوزن، لأنه من مكارم الأخلاق، وحسن المعاملة.

كتاب العلم

قَالَ اللَّه تَعَالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[١] [طه: ١١٤].

وقَالَ تَعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾؟ [الزمر: ٩].

وَقَالَ تعَالى: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

وَقَالَ تَعَالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

١٣٧٤ ـ وَعَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « مَنْ يُرِدِ اللَّه بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ »[٢] مُتَّفَقٌ عَليهِ.

١٣٧٥ ـ وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ[٣]: رَجُلٌ آتاهُ اللَّه مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتاهُ اللَّه الحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا، وَيُعَلِّمُهَا » مُتَّفَقٌ عَليهِ.

والمرادُ بالحَسَدِ الْغِبْطَةُ، وَهُوَ أَنْ يَتَمَنَّى مِثْلَهُ.

١٣٧٦ ـ وَعَنْ أَبي مُوسَى رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّه بِهِ مِنَ الهُدَى والْعِلْمِ[٤]، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائفَةٌ

---

(١) ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ هذا من أعظم أدلة شرف العلم وعِظَمه، إذ لم يُؤمر ﷺ أن يسأل ربه الزيادة إلّا منه وفي الحديث الشريف « ما عُبد اللَّهُ بشيء أفضلَ من فقهٍ في دين. . ».

(٢) « يفقهه في الدين » أي يجعله فقيهاً في دينه، عالماً بالأحكام الشرعية، وهذا دليلُ سعادة الإنسان، لا بجمع المال وتكديس الثروة.

(٣) « لا حسد إلا في اثنتين » المراد بالحسد المحرَّض عليه في الحديث: الغبطةُ، وهو أن يتمنى أن يرزقه اللّه من العلم أو المال، كما رزق غيرَه، فمِثلُ هذا ليس بمذموم، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

(٤) « مَثَلُ ما بعثني اللّه به من الهدي والعلم » في هذا المثل الرائع قَسَمَ ﷺ الناسَ إلى طوائف ثلاثة:

١ ـ منهم من أنار اللّه بصيرته، بنور الهَدْي النبوي، فتفقَّه وتعلَّم، فكان كالأرض الطيبة ينزل عليها الماء، فتخرج الزرع والثمر.

طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ، وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللَّه بِهَا النَّاس، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لا تُمْسِكُ مَاءً، ولا تُنْبِتُ كَلأً، فَذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دِينِ اللَّه، وَنَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللَّه بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلكَ رَأساً، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّه الَّذِي أَرْسِلْتُ بِهِ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٣٧٧ ـ وَعَن سَهْلِ بنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: «فواللَّه لأنْ يَهْدِيَ اللَّه بِكَ رَجُلاً وَاحِداً، خَيْرٌ لكَ مِن حُمْرِ النَّعَمِ»[(١)] مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٣٧٨ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّه بنِ عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ[(٢)]، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[(٣)] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٣٧٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «وَمَنْ سَلَكَ

---

٢ ـ ومنهم من هو كالأرض الصخراوية الصلبة، لا تنبت زرعاً، ولا تُخرج ثمراً، ولكنها تمسك الماء الهاطل من السماء، فينتفع به الناس.

٣ ـ وقسم ثالث شبَّهه ﷺ بالأرض السبخة الرملية، لا تمسك الماء، ولا تنبت الزرع، بل هي مكان لتكاثر البعوض والحشرات الضارة، وهذا مثل المعرض عن الهداية الإلهية، والعلم النبوي، وما أبدع هذا التمثيل، وأجمل هذا البيان!!

(١) «لأن يهدي اللَّهُ بك رجلاً» قاله ﷺ لعلي رضي اللَّه عنه لمَّا أعطاه الراية يوم خيبر، وأرسله لقتالهم، وأمره أن يدعوهم أولاً إلى الإسلام، وأوصاه بهذه الوصية الكريمة، أن اللَّه إذا هدى به رجلاً واحداً، خير له من الإبل الحُمْر، التي هي أشرف أموال العرب، ومراده أن ذلك خير من الدنيا وما فيها.

(٢) «وحدِّثوا عن بني إسرائيل» أي لا إثم عليكم في التحدث عن أخبار بني إسرائيل، وما جرى عليهم من الأحداث والوقائع، فإن في أخبارهم عبراً وعظات، والمعنى: حدثوا عنهم بما لا تعلمون كذبه، وإنما قال ﷺ «ولا حرج» أي لا إثم ولا مؤاخذة في الحديث عنهم، لأنه ﷺ كان قد نهى الصحابة عن الأخذ عنهم، والنظر في كتبهم، لما فيها من أباطيل وضلالات، ثم بعد أن تمكّن الدين في قلوبهم أذن لهم ﷺ في ذلك.

(٣) «فَلْيَتَبَوَّأْ مقعدَهُ من النَّار» الكذبُ على رسول اللَّه ﷺ من الكبائر، لأن فيه تطاولاً على أحكام الشريعة، وإضلالاً للناس، أي من تعمَّد الكذب عليَّ، فليحجز له مكاناً في نار جهنم ليستقرَّ فيها.

طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً[١]، سَهَّلَ اللَّه لَهُ بِهِ طَرِيقاً إلى الجنَّةِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٨٠ ـ وَعَنْهُ أيضاً رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إلى هُدًى[٢]، كانَ لَهُ مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تبعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٨١ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ، انقَطَعَ عَمَلُهُ إلَّا مِنْ ثَلاثٍ[٣]: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٨٢ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: الدّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ ما فِيهَا[٤]، إلَّا ذِكْرَ اللَّه تَعَالى، وَمَا والاهُ، وَعَالِماً، أَوْ مُتَعَلِّماً» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حديثٌ حسنٌ.

قولهُ: «وَمَا وَالاهُ» أي: طاعَةُ اللَّه.

١٣٨٣ ـ وَعَنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ خَرَجَ في طَلَبِ العِلمِ، كَانَ في سَبِيلِ اللَّه حتى يَرجِعَ» رَوَاهُ التِرمِذيُّ وَقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ.

١٣٨٤ ـ وَعَنْ أبي سَعيدِ الخدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ قَالَ: «لَنْ يَشْبَعَ مَؤمِنٌ مِنْ خَيْرٍ[٥] حتى يكونَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ.

---

(١) «سلك طريقاً يلتمس فيه علماً» أي من رغب في طلب العلم، وسار في طريقه، سهّل اللَّه له بسبب العلم طريقاً إلى الجنة.

(٢) «من دعا إلى هدى» الدعوة إلى الهدى والخير عملُ الأنبياء والمرسلين، ولهذا كان الأجر عظيماً للداعي، وللمستجيب لدعوته، بحيث ينال كل منهما الأجر كاملاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

(٣) «انقطع عمله إلا من ثلاث» أي انقطع ثواب ما كان يفعله من الخيرات والصالحات، إلا من ثلاث خصال: الصدقة المستمرة الدائمة كالوقف، وكبناء المسجد، والسبيل، والعلم النافع، والولد الصالح الذي يدعو لأبيه.

(٤) «الدنيا ملعونة» أي بعيدة عن اللَّه، مبغوضة عنده، لأنها تصرف الإنسان عن التزود للآخرة، وتجعله لاهياً في شهوات الدنيا وملذّاتها، وينبغي أن نعلم أن كل ما ورد من ذمّ الدنيا، والتحقير من شأنها، إنما هو فيمن شغلته هذه الحياةُ الفانية، عن طاعة اللَّه ومرضاته، وجعلته ينسى الآخرة، التي هي دار السعادة والراحة، ولهذا استثنى رسول اللَّه ﷺ من الدنيا ما يُقرِّب منها إلى اللَّه، كالطاعة، والعبادة، والعلم، والتعلم، وما شابه ذلك.

(٥) «لن يشبع مؤمن من خير» أي لا ينتهي عن الخير حتى يموت فيدخل الجنة، بما اكتسب في حياته من العمل الصالح.

١٣٨٥ ـ وَعَنْ أبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «فَضْلُ الْعَالِم عَلى الْعَابِدِ[١] كَفَضْلي عَلى أَدْنَاكُمْ» ثُمَّ قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّه وَملائِكَتَهُ، وَأَهْلَ السَّمواتِ وَالارض، حَتَّى النَّمْلَةَ في جُحْرِهَا، وَحتَّى الحُوتَ لَيصَلُّونَ عَلى مُعَلِّمِي النَّاسِ الخَيْرَ»[٢] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَديثٌ حَسَنٌ.

١٣٨٦ ـ وَعَنْ أَبي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغي فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللَّه لَهُ طَرِيقاً إلى الجنَّةِ، وَإنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضَى بِما يَصْنَعُ، وَإنَّ الْعالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ في السَّمَاوَاتِ وَمَنْ في الأرْضِ، حَتَّى الحِيتَانُ في المَاءِ، وَفَضْلُ الْعالِمِ عَلى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنْبياءِ[٣]، وَإنَّ الأنبياءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلا دِرْهَماً، وَإنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[٤] رَوَاهُ أَبو داودَ والتِّرمِذِيُّ.

---

(١) «فضل العالم على العابد» أي فضلُ الرجل العالم، على الرجل العابد، كفضل الرسول ﷺ على أقلِّ رجلٍ من المؤمنين، وفي هذا الحديث رفعٌ لشأن العلماء، وإعلاءٌ لقدرهم عند اللَّه عزّ وجلّ، حيث يُحيي اللَّهُ بهم القلوبَ، كما تحيا الأرض بوابل المطر، ولا يُراد بالحديث كل عالم، إنما الذي يستحقُّ هذا التفضيل (العالم الرباني) الذي تعلَّم العلم النافع، وقام بحقِّ هذا العلم، من العمل الصالح، ونشر العلم، وهداية الناس إلى طريق الخير والسعادة، وما أحسن ما قاله الشاعر:

ما الفضلُ إلّا لأهلِ العلم إنهمُ ... على الهُدى لمن استهدى أدلّاءُ
وقدرُ كلِّ امرئٍ ما كان يحسنه ... والجاهلونَ لأهل العلم أعداءُ
ففُزْ بعلمٍ تعِشْ حيّاً به أبداً ... الناسُ موتى وأهلُ العلم أحياءُ

(٢) «ليصلُّون على معلمي الناسِ الخيرَ» أي ليدعون لمن علَّم الناس، وهداهم وأرشدهم إلى فعل الخير، وطاعة اللَّه، فالعالم تضعُ الملائكةُ أجنحتها له أي تتواضع له، وتدعو له حيوانات البر، وحيتان البحر، لعموم نفعه الشامل لجميع ما في العالم.

(٣) «العلماء ورثةُ الأنبياء» إنما كان العلماء ورثةَ الأنبياء، لأنهم ورثوا عنهم العلم، والدعوة إلى اللَّهِ، بالحكمة والموعظة الحسنة، وورثوا عنهم الصبر، وتحمل المكاره والأذى، والجهر بالحقِّ، وهداية الإنسانية.

(٤) «أخذ بحَظٍّ وافر» أي من سعى لطلب العلم، فقد نال أسمى الحظِّ، وأنبل المطالب، وحصل على السعادة المبتغاة، قال تعالى: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾**!

١٣٨٧ ـ وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: « نَضَّر اللَّه امْرَءاً[١] ، سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً، فَبَلَّغَهُ كَما سَمِعَهُ[٢] ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامع»[٣] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

١٣٨٨ ـ وَعَنْ أبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلـم فَكَتَمَهُ، أُلجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[٤] رَوَاهُ أَبو داودَ والتِّرمِذِيُّ وقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ.

١٣٨٩ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: « مَنْ تَعَلَّمَ عِلماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ[٥] ، لا يَتَعَلَّمُهُ إلا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا[٦] لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[٧] يَعْني: رِيحَها. رَوَاهُ أَبو داودَ بإسنادٍ صَحيحٍ.

---

(١) « نضَّر اللَّه امرءاً» أي جعل اللَّهُ وجهه مشرقاً منيراً.

(٢) « سمع منا شيئاً فبلَّغه كما سمعه» أي سمع حديثي وكلامي، فرواه لغيره كما قلتُه وكما سمعه عني.

(٣) « فربَّ مبلَّغ أوعى من سامع» أي لعلَّ الذي بَلَغه حديثي يكون أكثر فهماً ووعياً من الذي سمعه مني، وفيه إشارة إلى أن الفقيه الذي يستنبط الأحكام، أعرف بمقاصد الحديث من المحدِّث الذي يروي الرواية، ولهذا قال بعض المحدِّثين للإمام أبي حنيفة: يا معشرَ الفقهاء أنتم الأطباء، ونحن الصيادلة وفي حديث آخر: « ربَّ حامل فقه ليس بفقيه، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

(٤) « أُلجم بلجام من نار» أي من كتم علماً من علوم الشريعة والدين، ولم يبيِّنه للسائل، مع ضرورة الحاجة إليه، وضع اللَّه على فمه يوم القيامة لجاماً من نار، كما يوضع اللجام على فم الدابة، إهانة له وإذلالاً، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

(٥) « علماً مما يُبتغى به وجهُ اللَّه» في هذا القيد احترازٌ عن العلوم الكونية المباحة التي لا ضرورة للإنسان لها، والعلوم المحرَّمة كعلم السحر والشعوذة.

(٦) « ليصيب به عَرَضاً من الدنيا» أي يتعلم العلوم الشرعية، لينال بذلك حُطام الدنيا، ومتاعها الفاني، ليس له غاية سواها.

(٧) « لم يجد عَرْفَ الجنة» أي لا يَشـمُّ رائحة الجنة فضلاً عن دخولها، وفي هذا إشارة إلى أنَّ من أخلص في طلب العلم، طلباً لمرضاة اللَّه تعالى، ثم جاءته الدنيا من غير قصدٍ لها، لا يضرُّه ذلك، كما قال القائل:

ما أحسنَ الدِّينَ والدنيا إذا اجتمعا ... وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ في الرجل

١٣٩٠ ـ وَعَنْ عبدِ اللَّه بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قالَ: سَمِعَتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إنَّ اللَّه لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتَزَاعاً[١] يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ[٢] حَتَّى إذا لَمْ يُبْقِ عالماً، اتَّخَذَ النَّاسُ رؤوساً جُهَّالاً، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[٣] مُتَّفَقٌ عليهِ.

۞ ۞ ۞

(١) «لا يقبض العلم انتزاعاً» أي لم تَجْرِ سُنَّةُ اللَّه بانتزاع العلم من صدور العلماء، كأن ينامَ الإنسان، ثم يستيقظ، وقد مُحيَ العلمُ من صدره، فهذا لا يفعله اللَّه.

(٢) «ولكنْ يقبضُ العلمَ» أي ولكنَّ اللَّه ينزع العلمَ، بموت العلماء، الذين هم ورثةُ الأنبياء، حتى لا يبقى من يُوثق بعلمه.

(٣) «أفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا» ضلُّوا لافترائهم على اللَّه الكذب، وأضلُّوا من استفتاهم.. وهذا يكون في آخر الزمان، حيث ينتشر الجهل بموت العلماء، الذين هم مصابيح الهدى، ويتربَّع على عرش الفُتيا من ليس لها بأهل، وقد ظهرت في هذا العصر بوادرُه، فقد أباحَ أناسٌ ممن ينتسبون إلى العلم، فوائدَ البنوك، وهي الربا المحرَّم الذي أعلن اللَّه الحرب على مرتكبيه، ليصدق فيهم قول الرسول ﷺ «فضلُّوا وأضلُّوا».

كتاب حمد الله تعالى وشكره

قَالَ اللَّه تَعَالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقَالَ تَعَالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

١٣٩١ ـ وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ «أَنَّ النبيَّ ﷺ أُتِيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِقَدَحَيْنِ، مِنْ خَمْرٍ، وَلَبَنٍ[١]، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا، فَأَخَذَ اللَّبَنَ، فَقَالَ جبريلُ ﷺ: الحَمْدُ للَّه الَّذِي هَدَاكَ لِلفِطْرَةِ، لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٩٢ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رسولِ اللَّه ﷺ قالَ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ، لا يُبْدَأُ فيهِ بـ: الحَمْدُ للَّه فَهُوَ أَقْطَعُ» حديثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبو داود وغيرُهُ.

ومعنى «أقطع» أي ناقص الخير والبركة.

١٣٩٣ ـ وعَنْ أَبي مُوسى الأَشعَرِيِّ رضيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه قالَ: «إذَا ماتَ وَلَدُ العَبْدِ، قالَ اللَّه تَعَالى لملائكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فيقولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ[٢]؟ فيقولون: نَعَمْ، فيقولُ: مَاذَا قالَ عَبْدِي؟

---

(١) «أُتي بقدحَين من خمر ولبن» أي قُدِّم له ﷺ ليلة الإسراء والمعراج قدحين: أحدهما فيه خمر، والآخر فيه لَبَنٌ، فاختار اللبن ـ الحليب ـ لأنه غذاء كامل، وهو سهل طيِّب طاهر، سائغ للشاربين، سليم العاقبة، والخمرُ أمُّ الخبائث، جالبة للشرِّ، مذهبةٌ للعقل، وفيه إشارة إلى أن الإسلام دينُ الفطرة، ولهذا مالَ طبعُ النبيِّ ﷺ إليه، فقال له جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة، ولو اخترت الخَمْرَ لغَوَتْ أمتُك، أي ضلَّتْ طريق الهداية والنور.

(٢) «قبضتم ثمرة فؤاده» أي قبضتم ولده الذي هو قطعةٌ من قلبه، كنَّى عن الولد بثمرة الفؤاد، كأنَّ القلب شجرةٌ تحمل الثمر، فالولد هو الثمرة.

فيقولون: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَع[١] فَيَقُولُ اللَّه تَعَالى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً في الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ »[٢] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١٣٩٤ ـ وعنْ أَنَسٍ رضيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّه لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ، يَأْكُلَ الأَكْلَةَ[٣] فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

---

(١) «حَمِدَكَ واسْتَرْجَعَ» أي قال: ﴿**إنّا لله وإنّا إليه راجعون**﴾ وهذا مقام التسليم، والرضى بقضاء الله.

(٢) «سمُّوه بيت الحمد» أي ابنوا لعبدي المؤمن، قصراً في الجنة وسمُّوه بيت الحمد، لقاء صبره ويقينه، ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ**. .﴾.

(٣) «يأكلَ الأَكْلَةَ» المرة الواحدة من الطعام كالغداء أو العشاء، فنعمةُ الله على عباده كبيرة، حيث يكتفي منهم بالاعتراف بنعمة الله عليهم، وحمده وشكره على إنعامه.

كتاب الصلاة
على رسول الله ﷺ

قالَ اللَّه تَعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ[(١)] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

١٣٩٥ ـ وعنْ عَبْدِ اللَّه بنِ عَمرو بنِ العاصِ رَضيَ اللَّه عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّه ﷺ يقُولُ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً، صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ بِهَا عَشراً»[(٢)] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٣٩٦ ـ وعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «أَوْلى النَّاسِ بي يَوْمَ الْقِيامَةِ[(٣)] أَكثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاةً» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

---

(١) ﴿إنَّ اللّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي﴾ الصلاةُ من اللّه بمعنى الثناء والتمجيد، ومن الملائكة بمعنى الاستغفار، ومعنى الآية: إن اللّه جلَّ وعلا يثني على رسوله، ويمجِّده ويمدحه في الملأ الأعلى، والملائكة يدعون له برفعة القدر، وعلوِّ الشأن، ويطلبون له من اللّه المغفرة، فصلُّوا أنتم يا معشر المؤمنين عليه وسلِّموا تسليماً، وقولوا: اللهمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، وأمرنا بالصلاة عليه لا لرفع مكانته ﷺ، وإنما لرفع درجاتنا نحن المؤمنين، حيث يصلِّي اللّه علينا بصلاة واحدة، عشر صلوات كما في الحديث التالي.

(٢) «صلَّى اللّه عليه بها عشراً» أي من صلَّى عليَّ صلاة واحدة، صلَّى اللّه عليه بها عشراً، وهذا الفضل يدلُّ عليه قولُه سبحانه «من جاء بالحسنةِ فله عشر أمثالها» لأن في الحديث أن اللّه تعالى يصلِّي عليه، أي يذكره في الملأ الأعلى، وذكر اللّه لا شكَّ أكبر، فأيُّ كرامةٍ أعظم من هذا؟ ففي صلاتنا عليه رفع لدرجاتنا، وكيف نصلِّي عليه؟ لا نقول: صلَّينا عليك يا محمد وإنما نقول: «اللهمَّ صلِّ على محمد» فكأننا نقرُّ بعجزنا عن وفاء رسول اللّه ﷺ حقَّه من الثناء والتبجيل، ونفوِّض الأمر إلى اللّه، لينوب عنَّا في الصلاة عليه، وهي لفتةٌ بديعة.

(٣) «أولى الناس بي» أي أقربُ الناس مني، وأحقهم بشفاعتي، أكثرهم عليَّ صلاةً، فالمصلُّون على رسول اللّه ﷺ أسعدُ الأمة بنيلِ شفاعته، ومرافقته في جنان الخُلد والنعيم، والمرءُ يُحشر مع من أحبَّ، كما قاله الصادقُ المصدوق ﷺ.

١٣٩٧ ـ وعن أَوس بنِ أَوْسٍ رضيَ اللَّه عَنهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ[١]، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ، فَإنَّ صلاتَكُمْ مَعْروضَةٌ عَلَيَّ[٢]»، قالوا يا رَسُولَ اللَّه: وَكَيفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ[٣]؟ (قالَ: يقولُ: بَلِيتَ) قالَ: إنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلى الأَرْضِ أَجْسادَ الأَنْبِيَاءِ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صَحيحٍ.

١٣٩٨ ـ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّه عنهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١٣٩٩ ـ وعَنهُ رَضِيَ اللَّه عَنهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً[٤]، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُني حَيْثُ كُنْتُمْ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

---

(١) «من أفضل أيامكم يوم الجمعة» ورد النصُّ بلفظ «مِنْ» للتنبيه على أنه ليس أفضلَ الأيام على الإطلاق، بل هو يوم له فضلٌ عظيم، فهو أفضل أيام الأسبوع، وأمَّا أفضل أيام السنة فهو «يوم عرفة» فإنه سيِّد الأيام بلا خصام.

(٢) «إن صلاتَكُم معروضةٌ عليَّ» أي تعرضها ملائكة الرحمن عليَّ، وتبلِّغني إيَّاها ليزيد سروري بها، وهذا لمن صلَّى عليه من بعيد، وأمَّا من صلَّى عليه عند قبره الشريف فيسمعه لقوله ﷺ «من صلَّى عليَّ عند قبري، سمعتُه، ومن صلَّى عليَّ نائياً ـ أي عن بُعْد ـ بلَّغْتُه»، رواه البيهقي في سننه.

(٣) «كيف تُعرضُ صلاتُنا عليك وقد أَرَمْتَ»؟ أي كيف تصل صلاتنا إليك، وقد بليتَ وصرت رميماً؟ فقال لهم ﷺ: إن اللَّه حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، وهذه من خصائص الأنبياء تكريماً لهم، فلو عرفنا قبر نبيٍّ وكشفنا عنه، لوجدناه بحالته الجسدية التي مات عليها.

(٤) «لا تجعلوا قبري عيداً» أي لا تجعلوا زيارة قبري مظهر عيد، تجتمعون عنده للزينة واللهو والطرب، وغير ذلك من المحرَّمات التي تُعمل في الأعياد، بل تأدبوا في حقِّ نبيِّكم، بالصلاة والتسليم عليه عند زيارته، ولا تسلكوا مسلك أهل الكتاب، الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وضرب اللَّه على قلوبهم حجاب الغفلة، فاتبعوا سنن أهل الأوثان في زيارة طواغيتهم، وفي الحديث «اشتدَّ غضبُ اللَّه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وذكر بعضُ العلماء أن للحديث معنى آخر فقال: «لا تجعلو قبري عيداً» أي لا تتخذوه كالعيد الذي لا يُؤتى إليه إلَّا مرتين في السنة، فيكون فيه الحثُّ على الإكثار من زيارته عليه السلام، وبخاصة لمن كان يسكن المدينة المنورة، فإنه يُستحب له الزيارة كلما صلَّى في المسجد النبوي الشريف.

١٤٠٠ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إلَّا رَدَّ اللَّه عَلَيَّ رُوحِي[١] حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

١٤٠١ ـ وعن عَلِيّ رضيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: «الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[٢] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ.

١٤٠٢ ـ وعَنْ فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ رضيَ اللَّه عَنْهُ، قالَ: «سَمِعَ رسولُ اللَّه ﷺ رَجُلاً يَدْعُو في صَلاتِهِ[٣] ولَمْ يُمَجِّدِ اللَّه تَعالى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلى النبيِّ ﷺ، فقالَ رسُولُ اللَّه ﷺ: عَجِلَ هذا، ثُمَّ دَعَاهُ فقالَ لهُ أَوْ لِغَيْرِهِ: إذا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بَتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَالثَّنَاءِ عليهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلى النبيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعدُ بِمَا شَاءَ» رَوَاهُ أبو داودَ والتِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسن صحيحٌ.

١٤٠٣ ـ وعَنْ أَبي محمدٍ «كَعْبِ بنِ عُجرَةَ» رضِيَ اللَّه عَنْهُ، قالَ: «خرجَ عَلَيْنَا النبيُّ ﷺ فقُلْنا: يا رسُولَ اللَّه، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ[٤]، فَكَيْفَ

---

(١) «ردَّ اللَّهُ عليَّ روحي» أي يشعر ﷺ بمن سلَّم عليه، فيردُّ عليه السلام، وهذا أمر من أمور البرزخ نؤمن به بدون تشكُّك، وإذا عرفنا أن الشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون، كما ورد به القرآن الكريم، فإن الأنبياء أعلى درجةً من الشهداء، فهم أحياء في قبورهم حياةً برزخية، كما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «مررتُ ليلة أُسري بي على موسى قائماً يصلّي في قبره» رواه أحمد، وأحوالُ البرزخ من أحوال الآخرة.

(٢) «البخيلُ من لم يُصلِّ عليَّ» أي الكاملُ في البخل، المستغرق فيه، هو الذي إذا سمع اسم النبيِّ ﷺ لم يصلِّ عليه، فهو بامتناعه من الصلاة عليه، قد حرم نفسه من ثواب عظيم من ربٍّ كريم، وشحَّ وامتنع من أداء ما أوجب اللَّه عليه **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾**.

(٣) «يَدْعُو ولَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ» أي بعد أن انتهى الرجل من صلاته، شرع يدعو اللَّه بقوله: اللهم اغفر لي وارحمني، دون أن يبدأ دعاءه بحمد اللَّه، والصلاة على رسوله، وهي مفتاح قبول الدعاء، فعلّمه الرسول ﷺ وأرشده إلى طريقة استمطار رحمة اللَّه، وقوله «عَجِلَ هذا» أي استعجل بالدعاء، قبل الحمد والثناء.

(٤) «قد عمِلْنا كيف نسلِّم عليك» أي علَّمتنا طريقة السلام عليك في التشهد حيث نقول «السلام عليك أيها النبي» ولكننا لا ندري كيف نسلِّم عليك؟ فقال لهم ﷺ قولوا: «اللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد . . .» إلى آخر الصلاة الإبراهيمية، التي يقولها المسلم في آخر صلاته، وفيها التشريف والتكريم لمقام سيدنا رسول اللَّه، وسيدنا إبراهيم الخليل، =

نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قال: قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ، وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ، وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَميدٌ مَجِيدٌ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٤٠٤ ـ وعَنْ أبي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رضيَ اللَّه عنهُ، قالَ: «أَتانا رَسُولُ اللَّه ﷺ وَنَحْنُ في مَجْلِسِ سعدِ بنِ عُبَادَةَ، فقالَ لهُ بَشِيرُ بْنُ سعدٍ: أَمَرَنَا اللَّه تَعَالى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يا رسولَ اللَّه، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَسَكَتَ رسولُ اللَّه ﷺ، حتى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثمَّ قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: قولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ، وعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كما صَلَّيْتَ على آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ، وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كما بَارَكْتَ عَلى آلِ إِبْراهِيمَ، إِنَّكَ حَميدٌ مَجِيدٌ، وَالسلام كما قد عَلِمتم» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٠٥ ـ وَعَنْ أَبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ رضيَ اللَّه عنهُ، قالَ: «قَالُوا: يا رسولَ اللَّه كيْفَ نُصَلِّي عَلَيكَ؟ قالَ: قولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ، وَعَلى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما صَلَّيْتَ عَلى آلِ إبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ، وَعَلى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما بَارَكْتَ على آل إبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مجِيدٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

= صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما فيها الاعتراف بالعجز عن وفاء النبي ﷺ حقه، فنحن نوكِّل الله بقولنا «اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد».

كتاب الأذكار

بابٌ في فضل الذكر والحثّ علَيْه

قالَ اللَّه تَعَالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1] [العنكبوت: ٤٥].

وقالَ تَعَالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقالَ تَعَالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقالَ تَعَالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال تعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقالَ تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا[2] ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

١٤٠٦ ـ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:

---

(١) ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ المعنى: ذكرُ العبدِ للَّهِ أعظمُ من كل شيء في الدنيا، وهو أن تتذكَّر عظمته وجلاله، وتذكرَ ربَّك في بيعك وشرائك، وفي جميع شؤون حياتك ولا تغفل عنه أبداً، ليكون هذا الذكر حصناً لك من الشيطان.

(٢) ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾ الآية، أي اذكروا ربَّكم ذكراً كثيراً، بالليل والنهار، والسرّ والعلن، فالذكر يُحيي القلوبَ كما تحيا الأرض بالمطر، ونزِّهوه عما لا يليق به من صفات العجز والضعف، في الصباح والمساء، وليس المراد بالذكر مجرد تحريك اللسان بالتسبيح، والتحميد، والتكبير، بل هو اتصال القلب باللَّه جل وعلا، ومراقبته على الدوام، وهذا هو مقام الإحسان، أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

«كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلى اللِّسانِ[١]، ثَقِيلَتَانَ في المِيزَان، حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمٰنِ: سُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّه العظِيم» مُتَّفَقٌ عليه.

١٤٠٧ ـ وعَنْهُ رضيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: لأنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّه، وَالحَمْدُ للَّه، وَلَا إلَهَ إلّا اللَّه، واللَّه أَكْبَرُ، أَحَبُّ إليَّ مِمَّا طَلَعَت عليهِ الشَّمْسُ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٠٨ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «مَنْ قالَ لا إلَهَ إلّا اللَّه وَحْدَهُ لا شَريك لَهُ، لَهُ المُلكُ، وَلهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، في يَوم مائةَ مَرَّةٍ، كانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشر رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مَائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيت عنهُ مَائَةُ سَيِّئَةٍ، وكانت له حرزاً مِنَ الشَّيطَانِ[٣]، يَومَهُ ذلكَ حتى يُمسِيَ، وَلم يَأْتِ أَحدٌ بِأفضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلّا رَجلٌ عَمِلَ أكثَرَ مِنه».

وقال: «من قالَ سُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْدِهِ، في يَوْمِ مِائَةَ مَرَّة، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»[٤] مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٤٠٩ ـ وعَنْ أَبي أَيوبَ الأنصارِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ قالَ لا إلٰهَ إلّا اللَّه وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كانَ كَمَن أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنفُسٍ مِن وَلَدِ إسْماعِيلَ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٤١٠ ـ وعنْ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: قالَ لي رَسُولُ اللَّه ﷺ: «ألا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلامِ إلى اللَّه؟ إنَّ أَحَبَّ الكَلامِ إلى اللَّه: سُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْدِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «كلمتان خفيفتان على اللسان» ختم الإمام البخاري صحيحه بهذا الحديث الشريف «كلمتان خفيفتان» أي سهلٌ على اللسان قولهما، عظيم في الميزان أجرهما «سبحان اللّه وبحمده، سبحان اللّه العظيم» وحين التقى رسول اللّه ﷺ بسيدنا إبراهيم عليه السلام «ليلة المعراج» قال له إبراهيم: بلِّغْ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيِّبةُ التربة، عذبةُ المياه، وأنها قيعان ـ أي أراض تحتاج إلى غراس ـ وغراسُها: «سبحان اللّه» و«الحمد للّه» و«لا إله إلا اللّه» و«اللّهُ أكبر».

(٢) «أحبُّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمسُ» كناية عن الدنيا، أي لأن أقولَ هذه الكلمات الصالحات، أحبُّ إليّ من الدنيا وما فيها، لأن هذه الصالحات من أعمال الآخرة، وثوابها لا ينقطع، بخلاف الدنيا فإنها إلى زوال.

(٣) «كانت له حِرزاً من الشيطان» أي حصناً وحماية من وساوس الشيطان.

(٤) «مِثْلَ زَبَد البحر» أي تُغفر ذنوبه ولو كانت كثيرة مثل أمواج البحر.

١٤١١ ـ وعَنْ أَبي مالك الأشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ[١]، وَالحمدُ للَّه تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّه، وَالحَمْدُ للَّه تَمْلآنِ ـ أَوْ تَمْلأُ ـ ما بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤١٢ ـ وعَنْ سَعْدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قال: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إلى رَسُولِ اللَّه ﷺ فقالَ: عَلِّمْني كَلاماً أَقُولُهُ. ! قالَ: قُل لا إلهَ إلَّا اللَّه وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، اللَّه أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالحَمْدُ للَّه كَثِيراً، وسُبْحَانَ اللَّه ربِّ العَالِمينَ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلَّا باللَّه العَزِيزِ الحكِيمِ، قال: فهؤُلاء لِرَبِّي، فَمَا لي[٢]؟ قال: قُلْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي، وَارحَمني، وَاهْدِني، وَارزُقْني» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤١٣ ـ وعَنْ ثوبَانَ رضِيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: «كانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: إذا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثاً، وقال: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ[٣]، وَمِنْكَ السَّلامُ[٤]، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرام[٥] قِيلَ لِلأَوْزَاعيِّ ـ وَهُوَ أَحَدُ رُواة الحديث ـ كَيْفَ الاسْتِغْفَارِ؟ قال: تقول: أَسْتَغْفِرُ اللَّه، أَسْتَغفِرُ اللَّه» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤١٤ ـ وعَنِ المُغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ رضيَ اللَّه عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ كَانَ إذا فَرَغَ مِنَ الصَّلاة وَسَلَّمَ قالَ: لا إلهَ إلَّا اللَّه وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، اللَّهُمَّ لا مانِعَ لما أَعْطَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لما مَنَعْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ»[٦] مُتَّفَقٌ عليهِ.

---

(١) «الطهور شطرُ الإيمان» أي الطهارة من الأحداث بالغسل والوضوء نصفُ الإيمان، لأنها شرط لصحة الصلاة، وهي رمزُ المؤمن وشعاره، قال تعالى: ﴿**إنَّ اللَّه يُحِبُّ التَّوابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ**﴾ والحديث محمول على الأهمِّ والأغلب مثل «الحجُّ عرفة».

(٢) «هؤلاء لربي فمالي»؟ أي هذه الجملُ للَّهِ جلَّ وعلا، لما فيها من التمجيد والثناء عليه، فأيُّ شيء أدعو به، ينفعني في ديني ودنياي؟ فقال له ﷺ: قل اللهمَّ اغفر لي، وارحمني، واهدني وارزقني.

(٣) «اللهم أنت السلام» أي أنت يا رب الإلهُ العادل، الذي يسلم الخلقُ من عقابه، ويأمنون من جوره.

(٤) «ومنك السلام» أي ومنك وفي كنف شرعك يأتي السلام، حيث قلتَ ﴿**وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾.

(٥) «تباركت يا ذا الجلال والإكرام» أي تمجَّدتَ وتعظَّمتَ يا ذا العظمة والكبرياء.

(٦) «ولا ينفع ذا الجَدِّ منكَ الجدُّ» أي لا ينفع صاحبَ الحظِّ والغنى غناه كقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُون * إلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بقلبٍ سَلِيمٍ**﴾.

١٤١٥ ـ وعَنْ عبدِ اللّه بنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللّه تَعَالى عَنهُما «أَنَّهُ كانَ يَقُولُ دُبُرَ كُلِّ صَلاة، حينَ يُسَلِّمُ: «لا إلٰهَ إلَّا اللّه وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلى كُلِّ شيْءٍ قَديرٌ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلَّا بِاللّه، لا إلٰهَ إلَّا اللّه ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا اللّه مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ».

قالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: «وَكَانَ رسولُ اللّه ﷺ يُهَلِّلُ بهنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤١٦ ـ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللّه عَنْهُ «أَنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ، أَتَوْا رَسُولَ اللّه ﷺ، فقالُوا: ذَهَبَ أَهْلَ الدُّثُورِ[٢] بِالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيمِ المُقيمِ، يُصَلُّونَ كما نُصَلِّيَ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالِ[٣]، يَحُجُّونَ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، فقالَ: أَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ، إلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟ قالوا: بَلَى يا رسولَ اللّه، قالَ: تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، خَلْفَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ ـ **قالَ أَبُو صالِحٍ الرَّاوي عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، لَما سُئِلَ عَنْ كَيفِيَةِ ذِكْرِهِنَّ** ـ قال: يقول: سُبْحَانَ اللّه، وَالحَمْدُ للّه، وَاللّه أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وزادَ مُسْلمٌ في روايتِهِ: «فَرَجَعَ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ إلى رَسُولِ اللّه ﷺ، فقالوا: سَمِعَ إخْوَانُنا أَهْلُ الأَمْوالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟ فقالَ رَسُولُ اللّه ذلكَ فَضْلُ اللّه يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ». «الدُّثُورُ»: جَمعُ دَثْر وهو المَالُ الكثيرُ.

١٤١٧ ـ وعَنْهُ، عَنْ رسُولِ اللّه ﷺ قَالَ: «مَنْ سَبَّحَ اللّه في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ، وحمد اللّه ثلاثاً وثلاثين، وكَبَّرَ اللّه ثَلاثاً وثلاثِينَ، وقالَ تَمَامَ المِائَة: لا إلٰهَ إلَّا اللّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلى كُلِّ

---

(١) «دُبُرَ كلِّ صلاة» أي عقب كل فريضة يصلّيها.

(٢) «أهلُ الدُّثُور» أي أهل الأموال الكثيرة من الأغنياء.

(٣) «ولهم فَضلٌ من الأموال» أي لهم زيادة فضل علينا، بالأموال التي ينفقونها، فهم يحجُّون، ويعتمرون، ويجاهدون، ويتصدقون بفضل أموالهم، وهذا دليل على حرص الصحابة على أعمال الخير، والتسابق في الطاعات.

شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَت خَطَايَاهُ وَإِن كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤١٨ ـ وعنْ كعْبِ بنِ عُجْرَةَ رَضيَ اللَّه عَنْهُ، عَنْ رسولِ اللَّه ﷺ قالَ: «مُعَقِّبَاتٌ لا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ[١] أَوْ فَاعِلُهُنَّ، دُبُرَ كل صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ، ثلاثٌ وثلاثونَ تَسْبِيحَةً، وثلاثٌ وثلاثونَ تَحْمِيدَةً، وأربعٌ وثلاثون تَكبِيرَةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤١٩ ـ وعنْ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ رضيَ اللَّه عَنْهُ «أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ كانَ يَتَعَوَّذُ دُبُرَ الصَّلَوَاتِ بِهؤلاءِ الكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبرِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٤٢٠ ـ وعنْ معاذٍ رضيَ اللَّه عَنْهُ «أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وقالَ: يَا مُعَاذُ، وَاللَّه إِنِّي لأُحِبُّكَ، أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لا تَدَعَنَّ في دُبرِ كُلِّ صَلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلى ذِكْرِكَ[٢]، وَشُكْرِكَ، وَحُسنِ عِبَادَتكَ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

١٤٢١ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «إذا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّه مِنْ أَرْبَعٍ، يقولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحيَا والمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٢٢ ـ وعنْ عَلِيّ رضيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: «كانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إذا قام إلى الصَّلاةِ يكونُ مِنْ آخِرِ ما يقولُ بينَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيم: اللَّهُمَّ اغفِرْ لي مَا قَدَّمتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وما أَسْرَفْتُ، وما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٢٣ ـ وعَنْ عائشةَ رضيَ اللَّه عَنْهَا قَالَتْ: «كانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يقولَ

---

(١) «معقِّباتٌ لا يخيب قائلهنّ» أي تسبيحاتٌ مباركات تُفعل أعقاب الصلاة، لا يُحرم فاعلهنّ من الأجر والثواب.

(٢) «أعنّي على ذكرك» هذا من الدعاء المأثور الجامع، الذي ينبغي أن يدعو به المسلم عقب كل صلاة «اللهم أعني على ذكرك» لأنه لا يستطيع أن يعبد اللَّه بدون عونٍ منه، وما أجمل ما قاله الشاعر:

إذا لم يكُن عَونٌ من اللَّهِ للفتَى ... فأوَّلُ ما يجني عليه اجتهادُهُ

في رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنا وَبَحَمْدِك، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٤٢٤ ـ وعَنها، أنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ «كانَ يَقُولُ في ركوعِهِ، وَسجودِهِ، سُبُّوحٌ قدُّوسٌ، رَبُّ الملائِكةِ وَالرُّوحِ»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٢٥ ـ وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضيَ اللّه عَنهُمَا، أنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ قالَ: «فَأَمَّا الرُّكوعُ فَعَظِّموا فيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجودُ فَاجْتَهِدُوا في الدُّعاء، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجابَ لَكُم»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٢٦ ـ وعن أبي هريرَةَ رضيَ اللّه عَنْهُ، أنَّ رَسُولُ اللّه ﷺ قَالَ: «أَقرَبُ ما يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ[٣]، فَأَكثِرُوا الدُّعَاءَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٢٧ ـ وعنهُ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ، أنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ كانَ يقُولُ في سُجُودِهِ: «اللَّهُمَّ اغفِرْ لي ذَنْبِي كُلَّهُ: دِقَّهُ وَجِلَّهُ[٤]، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلانِيَتَهُ وَسِرَّه» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٢٨ ـ وعَنْ عائشَةَ رضيَ اللّه عَنها قَالَتْ: «افتقدْتُ النَّبيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ[٥]، فَتَحَسَّسْتُ[٦] فإذَا هُوَ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ يقولُ: سُبْحَانكَ وَبِحَمْدِكَ، لا إلَهَ إلّا أنْتَ».

وفي روايةٍ: «فَوَقَعَت يَدِي عَلى بَطْنِ قَدَمَيهِ[٧] وَهُوَ في المَسْجِدِ، وَهما

(١) «سبوح قدوس» اسمان للمبالغة من التسبيح والتقديس، أي ركوعي وسجودي للإله العظيم الجليل، المنزّه عمّا لا يليق بجلاله وكبريائه.

(٢) «فَقَمِنٌ أن يُستجاب لكم» يُقال: قَمِنٌ، وقمينٌ، بمعنى حقيقٌ وجدير أن يُستجاب لكم فيه الدعاء.

(٣) «أقرب ما يكون العبد» لا يراد بالقرب هنا القرب الحسّي، وإنما هو قربُ الاستجابة، أي أحقُّ وأفضل وقتٍ لاستجابة الدعاء، هو وقت السجود، لأن العبد يكون في غاية الذلّ والالتجاء إلى الله، فيكون خير وقت لاستجابة دعائه.

(٤) «دِقَّه وجِلَّه» أي اغفر لي صغير ذنبي وكبيره.

(٥) «افتقدتُ النبيَّ ذات ليلة» قال المحدِّثون: هي ليلة النصف من شعبان، لورود رواية في ذلك، أن النبي ﷺ أعلمها أنها ليلة النصف من شعبان، أحياها ﷺ بالصلاة والركوع والسجود، إلى قرب الفجر، وانظر كاملَ الرواية في كتاب «الترغيب والترهيب» للمنذري.

(٦) «فتحسَّسْتُ» أي فتشتُ عنه وطلبتُه بيديَّ أبحث عنه.

(٧) «فوقعت يدي» أي لمستُه وهو ساجد يدعو ربه بذلك الدعاء، ودلَّ أن اللَّمسَ لا ينقضُ الوضوءَ.

مَنْصُوبَتَانَ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ[(١)]، وبِمُعَافاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عليكَ[(٢)] أَنْتَ كما أثنَيْتَ على نَفْسِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٢٩ ـ وعنْ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقال: «أَيعجزُ أَحَدُكم[(٣)] أَنْ يَكْسِبَ في كلِّ يَوْمٍ أَلفَ حَسَنَةٍ! فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيفَ يَكسِبُ أَلفَ حَسَنَةٍ؟ قالَ: يُسَبِّح مِائةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لهُ أَلفُ حَسَنةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلفُ خَطِيئَةٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قالَ الحُمَيْدِيُّ: كذا هوَ في كِتَابِ مُسْلم: «أَوْ يُحَطُّ»!!

قالَ البَرْقَانيُّ: ورَوَاهُ شُعْبَةُ، وأبو عَوَانَةَ، وَيَحْيَى القَطَّانُ، عَنْ مُوسى الذي رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِن جِهَتِهِ فقالُوا: «وَيحطُّ» بِغَيرِ أَلِفٍ.

١٤٣٠ ـ وعَنْ أبي ذَرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «يُصْبحُ عَلى كُلِّ سُلامَى[(٤)] مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِىءُ مِنْ ذلكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا من الضُّحى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٣١ ـ وَعَنْ أُمِّ المؤمنينَ «جُوَيْرِيَةَ بنتِ الحَارِثِ» رَضِيَ اللَّه عَنْها، «أَنَّ

---

(١) «أعوذ برضاك من سخطك» أي أعتصم وأستجير برضاك من غضبك وعقابك، إذ لا منجى من عذاب الله إلّا بالالتجاء إليه.

(٢) «لا أحصي ثناءً عليك» أي لا أطيقُ أن أحصر، ولا أن أعدَّ من كلمات المديح والثناء ما يفي بحقك، فأنا المقصِّر مهما بالغتُ في الحمد والثناء، ولا يعرف قدرك وعظمَتك إلّا أنت، أمدحك بما أثنيتَ به أنت على نفسك!! كقوله سبحانه **﴿فللّهِ الحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ العَالَمِينَ * وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾** [الجاثية: ٣٦ ـ ٣٧].

(٣) «أيعجز أحدكم»؟ فيه حثٌّ وترغيب على كثرة الذكر للّه والتسبيح، ففي قول المسلم «سبحان اللّه» مائة مرة، يكتب له ألفُ حسنة، وتُغفر له ألفُ سيئة، وما أعظمه من فضل وجزاء!! وقد وردت الرواية في صحيح مسلم عن يحيى القطان بلفظ «ويُحطُّ» وهي الأصح كما نبَّه المحدِّثون، فيكون فيه رفعُ الدرجات، ومحوُ السيئات.

(٤) «كل سُلامى» أي كلُّ عضوٍ من أعضاء الإنسان عليه صدقة، بمعنى على صاحبه واجبَ التصدق شكراً للّه تعالى على سلامة ذلك العضو، ففي التسبيح أداء لشكر نعمة، وفي التحميد كذلك، وفي الأمر بالمعروف شكر للنعمة، ويجزئ عن جميع تلك النعم صلاة ركعتين من صلاة الضحى.

النبيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً، حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فقالَ: مَا زِلْتِ عَلى الحَالِ[١] الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟ قالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِما قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّه وبحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَى نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِماتِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي روايةٍ لهُ: «سُبْحَانَ اللَّه عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللَّه رِضَى نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللَّه زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللَّه مِدَادَ كَلمَاتِهِ».

وفي روايةِ التِّرمِذِيِّ: «أَلا أُعَلِّمُكِ كَلمَاتٍ تَقُولِينَهَا؟ «سُبْحَانَ اللَّه عَدَدَ خلْقِهِ، سُبْحَانَ اللَّه عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللَّه عَدَدَ خَلْقِهِ»، «سُبْحَانَ اللَّه رِضى نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللَّه رِضى نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللَّه رِضى نَفْسِهِ»، «سُبْحَانَ اللَّه زنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللَّه زنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللَّه زِنَةَ عَرْشِهِ»، «سُبْحَانَ اللَّه مِدَادَ كَلمَاتِهِ، سُبْحانَ اللَّه مِدَادَ كَلمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللَّه مِدَادَ كَلماتِهِ»[٢] رواه الترمذي.

١٤٣٢ ـ وعنْ أَبي مُوسَى الأشْعَرِيِّ رَضيَ اللَّه عَنْهُ، عنِ النَّبيِّ ﷺ، قالَ: «مَثَلُ الَّذي يَذكُرُ رَبَّهُ[٣] وَالَّذي لا يَذكُرُهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ» رَوَاهُ الْبُخارِيُّ.

---

(١) «ما زلتِ على الحال» خلاصة الرواية أن أم المؤمنين «جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث» زوجَ النبي ﷺ، صلَّت صلاة الفجر، ثم جلست تذكر اللَّه تعالى بالتسبيح، والتكبير، والتهليل، ومعها كيسُ حصى، فخرج رسولُ اللَّه ﷺ إلى السوق، ثم رجع وقت الضحى فوجدها لا تزال جالسة تذكر اللَّه تعالى!! فعلَّمها ﷺ دعاءً جامعاً موجزاً يعادل الساعات الطويلة التي قضتها في ذكر اللَّه، هذه الكلمات: «سبحان اللَّه وبحمده، عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته» وكرَّرها ﷺ ثلاث مرات، فكم هو عدد مخلوقات اللَّه؟ وكم هو وزنُ عرشِ اللَّه؟ وكم هو مقدار الحبر الذي تُكتب به كلماتُ اللَّه؟ واللَّه تعالى يقول: ﴿**وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**﴾ [لقمان: ٢٧] إنَّ هذا لا يمكن عدُّه ولا حصرُه، ولهذا أرشدها النبيُّ ﷺ إلى هذا الدعاء الجامع للأجر العظيم، مع العمل القليل.

(٢) «مداد كلماته» من المدَدِ بمعنى الكثرة، وهو كناية عن الكثرة، وإلَّا فكلماته لا تُعدُّ ولا تُحصىٰ.

(٣) «مثلُ الذي يذكر ربَّه» الفارق بين الإنسان الحيّ والميِّت كبير وكبير جداً، فالحيُّ يسمع وينفع، ويحسُّ ويجيبُ، ويُسعف المحتاج، ويُعين العاجز، والميت كالجماد، ظاهره عاطل، وباطنه باطل، وقد ضربه النبيُّ ﷺ مثلاً لمن عَمَر قلبَه بذكر اللَّه، ولمن خلا قلبُه من ذِكْر ربه.

ورَوَاهُ مُسْلِمٌ فقالَ: «مَثَلُ البَيْتِ الَّذي يُذكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالبَيتِ الَّذي لا يُذْكَرُ اللَّه فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ».

١٤٣٣ ـ وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «يَقُولُ اللَّه تَعالى: أَنا عِنْدَ ظَنِّ عَبدي بي[١]، وأَنَا مَعَهُ إذَا ذَكَرَني، فَإنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ[٢]، ذَكَرْتُهُ في نَفْسي، وَإنْ ذَكَرَني في مَلإٍ[٣] ذَكَرْتُهُ في مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»[٤] مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٤٣٤ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «سَبَقَ المُفَرِّدُونَ[٥] قالوا: وَمَا المُفَرِّدُونَ يا رَسُولَ اللَّه؟ قالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّه كَثِيراً والذَّاكِرَاتُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

روي: بتشديد الراء وتخفيفها، وَالمَشْهُورُ الَّذي قَالَهُ الجمْهُورُ: التَّشْديدُ «المُفَرِّدونَ»

١٤٣٥ ـ وعَنْ جابرٍ رَضيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لا إلَه إلَّا اللَّه» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حَسَنٌ.

١٤٣٦ ـ وعنْ عبدِ اللَّه بنِ بُسْرٍ رضيَ اللَّه عَنْهُ «أَنَّ رَجُلاً قالَ: يا رَسُولَ اللَّه، إنَّ شَرَائِعَ الإسْلام قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ[٦]، فَأَخبِرْني بِشَيءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ؟ قالَ: لا يَزالُ لِسانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللَّه»[٧] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حَسَنٌ.

---

(١) «أنا عند ظنِّ عبدي بي» فيه الإشارة إلى إحسان الظنِّ باللَّه، بأن يعتقد بأن اللَّه كما أكرمه بالإيمان، يكرمه بالرضى عنه ودخول الجنان، فلا يظن المؤمن أن اللَّه سيعذِّبه، لوقوعه في بعض المعاصي، ولهذا ورد في رواية «فلا يظنّ بي إلّا خيراً» وهذا عند قرب الوفاة.

(٢) «إن ذكرني في نفسه» أي سراً منفرداً بعيداً عن معرفة الناس وعن الرياء.

(٣) «وإن ذكرني في ملإٍ» أي ذكرني جهراً مع مجموعة من الذاكرين.

(٤) «ذكرته في ملأ» أي ذكرته بالثناء عليه ومثوبته، في جمع خير من جماعته، والمراد بهم الملائكة الأبرار الأطهار، وفيه دليل على جواز الذكر مع الجماعة، لأن قوله «في ملأ» أي مع ملأ من الذاكرين، كما يشير إليه حديث «وله غفرتُ، هم القومُ لا يشقى جليسُهم».

(٥) «سبق المفرِّدون» أي سَبَقَ إلى الدرجات العُلا ورضوان اللَّه، الذين تفرَّغوا للذكر، واعتزلوا الناس لينفردوا عنهم بذكر اللَّه، فهم المحبوبون عند اللَّه، المقرَّبون منه!! ونبَّه الحديث على أن الانقطاع عن الخلق، لتتهيَّأ النفس لذكر اللَّه، من أحسن القربات.

(٦) «شرائع الإسم كَثُرت عليَّ» أي الفضائل والأعمال التي دعا إليها الإسلام كثيرة، ولا أدري أيها أعظم للأجر؟ فأخبرني عن أمرٍ يسير، أتعلَّق وأعتصم به؟ ومعنى «أتشبَّث» أتمسَّك.

(٧) «لا يزال لسانك رطباً بذكر اللَّه» أي واظبْ على ذكر اللَّه، وأكثر منه، حتى يبقى أمرُ الذكر =

١٤٣٧ ـ وعَنْ جابرِ رضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النبي ﷺ قالَ: «مَنْ قالَ: سُبْحَانَ اللَّه وَبحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لهُ نَخْلَةٌ في الجَنَّةِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١٤٣٨ ـ وَعَنِ ابنِ مَسْعودٍ رضي اللَّه عنهُ قَال: «قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: لَقِيتُ إبراهيم ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فقالَ: يا محمّدُ أقرِىء أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أنَّ الجنَّةَ طيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الماءِ، وأنَّها قِيعَانٌ[١]، وَأَنَّ غِراسَها: «سُبْحانَ اللَّه، والحمد للَّه، ولا إلَهَ إلّا اللَّه، واللَّه أكبَرُ»[٢] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حَسَنٌ.

١٤٣٩ ـ وعنْ أبي الدَّرْدَاء رضيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: «قَال رَسُولُ اللَّه ﷺ: ألا أُنَبِّئُكُم بخَيْرِ أَعْمَالِكُم، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَليكِكم[٣]، وَأَرْفعِها في دَرَجَاتِكم، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكم، فَتَضرِبُوا أَعْنَاقَهُم، وَيضرِبوا أعْنَاقَكُمْ؟ قالوا: بَلَى، قالَ: ذِكرُ اللَّه تَعَالَى» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، قالَ الحاكمُ أبو عبدِ اللَّه: إسناده صحيح.

١٤٤٠ ـ وعن سعدِ بنِ أَبي وَقَّاصٍ رضيَ اللَّه عَنْهُ «أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رسولِ اللَّه ﷺ عَلى امْرَأَةٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهَا نوىً[٤] أَوْ حَصَى تُسَبِّحُ بِهِ، فقالَ: أُخبِرُك بِمَا هُوَ

= سهلاً عليك!! والمراد من رطوبة اللسان: المداومةُ عليه، والإكثارُ منه، ليجري بسهولةٍ على لسانه.

(١) «وأنها قيعان» جمع قاع، وهو المكان الواسع المستوي من الأرض، قال الشاعر:

ريمٌ عَلَى البَانِ بينَ القَاعِ والأكَمِ   أحَلَّ سَفْكَ دَمِي في الأشْهُرِ الحُرُمِ

(٢) «وغراسُها سبحانَ اللَّه، والحمدُ للَّه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّهُ أكبر» شبَّه الجنّة بأراضٍ فسيحة واسعة ممتدة، تجري من تحت قصورها الأنهارُ، وأنها تحتاج إلى غراسٍ يغرسها المؤمن، لتكثر فيها الأشجار، وهذه الغِراسُ التي أرشد إليها سيدنا إبراهيم الخليل هي: «سبحان اللَّه، والحمد للَّه» إلى آخره، وهي الباقيات الصالحات التي أشارت إليها الآية الكريمة ﴿والبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: ٤٦].

(٣) «بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم» أي أكثرها ثواباً وأطهرها عند ربِّ العزة والجلال، قال العزُّ بن عبد السلام: هذا الحديث يدلُّ على أن الثواب لا يكون على قدر النَّصَب، في جميع العبادات، بل قد يأجر تعالى على قليل العمل، أكثر مما يأجر على كثيره كما هنا، ولا يراد الذكر باللسان فحسب، بل مع حضور القلب والتفكر في آلاء اللَّه.

(٤) «دخل على امرأة وبين يديها نوى» النَّوى جمع نواة وهي ما يكون داخل التمرة، مما يُرمى ولا يُؤكل، ومثلُه نواة المشمش، ونواةُ الخوخ، وهذه المرأةُ هي «جُويرية» زوجُ النبي ﷺ فقد كانت تسبِّح اللَّه عزَّ وجلَّ، بالنوى أو بالحصى، فلم يُنكر عليها النبي ﷺ وإنما أرشدها =

أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هذَا أَوْ أَفْضَلُ؟ فقالَ: سُبْحَانَ اللَّه عَدَدَ مَا خَلَقَ في السَّماءِ، وَسُبْحَانَ اللَّه عَدَدَ ما خَلَقَ في الأرْضِ، وَسُبْحَانَ اللَّه عَدَدَ مَا بَيْنَ ذلكَ، وَسُبْحَانَ اللَّه عَدَدَ ما هُوَ خَالِقٌ، وَاللَّه أَكْبَر مِثْلَ ذلكَ، وَالحَمْد للَّه مِثْلَ ذلك، وَلا إِلَهَ إِلَّا اللَّه مِثْلَ ذلكَ، وَلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللَّه مِثْلَ ذلكَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١٤٤١ ـ وعَنْ أبي مُوسى رضيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: «قالَ لي رَسُولُ اللَّه ﷺ: ألا أَدُلُّكَ عَلى كَنزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟[١] فقلت: بَلى يا رسولَ اللَّه! قال: لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا باللَّه»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

باب ذكر الله تعالى قائماً وَقاعِداً ومضطجعاً، ومُحْدِثاً، وجُنُباً، وحائضاً، إلا القرآن، فلا يحل لجنب ولا حائض

قَال اللَّه تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

= إلى دعوات هي أشملُ، وأيسر، وأفضلُ «سبحان اللّه عدد ما خلق» والحديث يدلُّ على جواز استعمال «السُّبْحة» في الذكر، وما ينكره البعضُ على المسبحة، ليس لهم ما يؤيِّدهم من السُّنَّة المطهَّرة، ولو كان التسبيح بالحصى محرَّماً، لمنعها النبيُّ ﷺ منه، وسكوتُه عن ذلك يدلُّ على الجواز، والتسبيح بعقد الأصابع أفضل لأنهن مستنطقات، ثم إن هناك ضرورة لضبط العَدد كقوله ﷺ «من قال لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمدُ وهو على كل شيء قدير، مائة مرة ..» الحديث، كيف يمكن ضبط هذا العدد بدون مسبحة أو بدون حصى؟ فلا وجه للإنكار، واللّه تعالى أعلم.

(١) «كنز من كنوز الجنة» الكنزُ هنا: نفائس الأعمال الصالحة، التي يحرصُ عليها أصحاب الثروات، مثل كنز الذهب، وكنز الفضة، وكنوزُ الجنة أسمى من كنوز الدنيا.

(٢) «لا حول ولا قوة إلا باللّه» هذا هو الكنز الثمين، الذي أرشد إليه النبي الأمين ﷺ، والمعنى: لا قدرة لنا على عبادة اللّه، ولا طاقة لنا على اجتناب محارمه ومعاصيه، إلا بعونٍ منه تعالى وتأييد، وهي كلمةُ تفويضٍ واستسلام للملك العلّام، كقولنا: حسبُنا اللّهُ ونعم الوكيلُ!

١٤٤٢ ـ وعَنْ عائشةَ رضيَ اللَّه عَنها قالَتْ: «كانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَذكُرُ اللَّه تَعالى عَلى كُلِّ أَحيَانِهِ»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٤٣ ـ وعن ابنِ عبّاسٍ رضِيَ اللَّه عَنهُما، عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «لو أَنَّ أَحَدَكُمْ إذا أتى أَهْلَهُ، قالَ: بِسْمِ اللَّه، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيطَانَ، وَجنِّبِ الشَّيْطانَ، ما رزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَينَهُمَا وَلَدٌ، لم يَضُرَّهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في ما يقوله عند نومهِ وَاستيقاظه

١٤٤٤ ـ عن حُذَيْفَةَ، وأبي ذَرّ رضي اللَّه عَنهُمَا قالا: «كانَ رسولُ اللَّه ﷺ: إذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ، قال: بِاسمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ، وأَحيَا، وإذَا اسْتَيْقَظَ قالَ: الحَمْدُ للَّه الذِي أَحْيَانَا بعدَ ما أَمَاتَنَا[٢] وَإليهِ النُّشورُ»[٣] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في فضل حِلَقِ الذكر
والندب إلى ملازمتها، والنهي
عن مفارقتها لغير عذر

قالَ اللَّه تَعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].

١٤٤٥ ـ وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّه عَنهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ للَّه

---

(١) «كان ﷺ يذكر اللهَ على كل أحيانه» أي في جميع أوقاته وأحواله، سواءً كان في البيت أو السوق، قائماً أو قاعداً، متطهّراً ومحدثاً، لأن الذكر لا يحتاج إلى طهارة، فالجنبُ والحائض لا حرج عليهما من الذكر والتسبيح، وأما تلاوة القرآن فلا تجوز للجنب والحائض والنفساء حتى يتطهروا كما نبَّه النووي.

(٢) «أحيانا بعدما أماتنا» النومُ أخُو الموت، لأن الإنسان يفقد فيه الشعور، ولهذا كان ﷺ إذا استيقظ من نومه، دعا بهذا الدعاء «الحمد للّه الذي أحيانا بعدما أماتنا» قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ وهي الوفاة الصغرى.

(٣) «وإليه النشور» أي الحياةُ بعد الموت، للحساب والجزاء.

تَعَالى مَلائكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ(١)، فإذا وَجَدُوا قَوْماً يَذكُرُونَ اللَّه عَزَّ وَجلَّ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إلى حَاجَتِكُمْ(٢)، فَيَحُفُّونَهُمْ بِأجْنِحَتِهِم(٣) إلى السَّمَاء الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُم رَبُّهُم وَهُوَ أَعْلَم: ما يقولُ عِبَادِي(٤)؟ قال: يقولون: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، فيقولُ: هل رَأَوْني؟ فيقولون: لا وَاللَّه ما رَأَوْكَ، فَيَقُولُ: كيْفَ لو رَأَوْني؟! قالَ: يَقُولُونَ: لو رَأَوْكَ كانُوا أَشَدَّ لكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لكَ تَمْجِيداً، وَأَكثَرَ لَكَ تَسْبِيحاً. فَيَقُولُ: فماذا يَسأَلُونَ؟ قَالَ: يَقُولونَ: يَسأَلُونَكَ الجَنَّةَ. قالَ: يقولُ: وَهل رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللَّه يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لو رَأَوْهَا؟ قالَ: يَقُولُونَ: لو أَنَّهُم رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً، وَأَشَدَّ لهَا طَلَباً، وَأَعْظَم فِيها رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يقولون: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ. قالَ: فَيقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قالَ: يقولونَ: لا وَاللَّه مَا رَأَوْهَا. فَيَقُولُ: كَيْفَ لو رَأَوهَا؟! قالَ: يَقُولُون: لو رَأَوهَا كانُوا أَشَدَّ منها فِرَاراً، وَأَشَدَّ لها مَخافَةً. قَالَ: فيقُولُ: فَأُشهِدُكم أَنّي قَد غَفَرْتُ لهم، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فِيهم فُلانٌ لَيْسَ مِنهم، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِم جَلِيسُهم» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لمسلِم عَنْ أبي هُريرةَ رَضيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ للَّه مَلائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلاً(٥) يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكرِ، فَإذَا وجَدُوا مَجلِساً فيهِ ذِكْرٌ، قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَؤُوا ما بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ

---

(١) «يلتمسون أهل الذكر» أي يبحثون عن مجالس التسبيح والتكبير، وذكر اللَّه تعالى، **قال في الفتح**: الأظهر اختصاصُ ذلك بمجالس التسبيح والتكبير، وتلاوة القرآن فحسب.

(٢) «هَلُمّوا إلى حاجتكم» أي إذا رأت الملائكة قوماً جلسوا لذكر اللَّه، قال بعضهم لبعض: أقبِلوا على ما تطلبونه.

(٣) «فيحفونهم بأجنحتهم» أي يحيطون بهم بأجنحتهم، تكريماً لهم.

(٤) «ما يقول عبادي»؟ أي ماذا يطلب عبادي مني؟ وهو سبحانه العالم بما يطلبون، فتقول الملائكة: يطلبون الجنة، ويستجيرون من النار، إلى آخره، وفي الحديث بيان فضل الذكر، حتى من حضر مجلسهم لحاجة، يغفر اللَّه له أيضاً، كما أن فيه جواز فضل الذكر مع الجماعة.

(٥) «ملائكة سَيارة فُضُلاً» أي ملائكة سيَّاحون في الأرض، زائدون على الحفظة، لا وظيفة لهم إلّا البحث عن مجالس الذكر، يفتشون عنها، يجلسون مع الذاكرين يحفُّونهم بأجنحتهم.

الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدوا إلى السَّمَاء، فَيَسْأَلُهُمُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَم: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا منْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ في الأرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ. قالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُوني؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتي؟ قالُوا: لا، أَيْ رَبِّ. قالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتي؟! قالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ. قال: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُوني؟ قالوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قالوا: لا. قال: فَكَيْفَ لَوْ رأَوْا نَارِي؟! قالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ. فيقول: قَدْ غَفَرْتُ لهُمْ، وَأَعْطَيْتُهُمْ ما سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولونَ: ربِّ فيهمْ فُلانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ[١] إنَّمَا مَرَّ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ، فيقولُ: ولهُ غَفَرْتُ، هُمُ القَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

١٤٤٦ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعَنْ أَبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّه عَنهُمَا قالا: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، إلَّا حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّه فِيمنْ عِنْدَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٤٧ ـ وعن أبي واقِدٍ «الحارِثِ بْنِ عَوْفٍ» رَضيَ اللَّه عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ بَيْنَما هُوَ جَالِسٌ في المَسْجِدِ، وَالنَّاسُ مَعَهُ، إذْ أَقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إلى رَسُولِ ﷺ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، فَوَقَفَا عَلى رسول اللَّه ﷺ، فَأَمَّا أَحَدهُما فرأى فُرْجَةً في الحَلْقَةِ، فَجَلَسَ فيها، وأَمَّا الآخَرُ، فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثالثُ فَأَدْبَر ذاهِباً، فَلَمَّا فَرَغَ رسُول اللَّه ﷺ، قال: ألا أُخْبِرُكم عَنِ النَّفرِ الثَّلاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهم، فَأَوى إلى اللَّه، فآوَاهُ اللَّه إِلَيْهِ[٢]، وأمَّا الآخر فَاسْتَحْيَا،

---

(١) «فيهم فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ» أي كثير الخطايا والذنوب، مرّ عليهم فجلس معهم، فيقول الله تعالى: وله قد غفرتُ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم!! **قال الحافظ في الفتح**: وفي الحديث فضلُ الذكر والذاكرين، وفضلُ الاجتماع على ذلك، وأن جليسهم ينال ما نالوه، إكراماً لهم وإن لم يشاركهم في أصل الذكر، وفيه محبة الملائكة لذرية آدم، واعتناؤهم بهم، قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥].

(٢) «فأوى إلى الله فآواه الله» هذا الحديث كلّه على التمثيل، لأن الله ليس في مكانٍ من الأرض، حتى يأوي إليه الإنسان، ومعناه أن **الأول** أحبّ سماع موعظة الرسول ﷺ، فجلس في حلقة العلم، فأعطاه الله ما يبتغيه، **والثاني** استحيا من تخطي الصفوف، فجلس خلف الجالسين، فلم يحرمه الله الأجر، وأمّا **الثالث** فأعرض عن الموعظة، ومضى في سبيله، فحرم الأجر والثواب، **قال المحدِّثون**: نسبة الإيواء إلى الله، والاستحياء، =

فَاسْتَحْيَا اللَّه مِنْهُ، وأمَّا الآخَرُ، فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللَّه عَنْهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٤٤٨ ـ وعن أبي سعيدِ الخُدْرِيِّ رضيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: «خرَجَ مُعَاوِيَة رضيَ اللَّه عَنْهُ عَلَى حَلْقَةٍ في المسْجِدِ، فقال: ما أجْلَسَكُمْ؟ قالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّه!! قَالَ: آللَّه ما أجْلَسَكُم إلَّا ذَاكَ[١]؟ قالوا: ما أجْلَسَنَا إلَّا ذَاكَ، قال: أمَا إنِّي لم أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُم[٢]، ومَا كانَ أحَدٌ بمَنْزِلَتِي[٣] مِنْ رسُولِ اللَّه ﷺ أقلَّ عَنْهُ حَدِيثاً مِنِّي!! إنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ من أصحابِهِ فقال: ما أجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذكُرُ اللَّه، وَنحْمَدُهُ عَلَى ما هَدَانا لِلإسْلام، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنا! قَال: آللَّهِ ما أجْلَسَكُمْ إلَّا ذَاكَ؟ قالوا: واللَّه ما أجْلَسَنَا إلَّا ذَاكَ، قالَ: أمَا إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُم، ولَكِنَّهُ أتَانِي جِبرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أنَّ اللَّه يُبَاهِي بِكُمُ المَلَائكَةَ»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في الذكر عند الصّباح والمَساء

قالَ اللَّه تَعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[٥] [الأعراف: ٢٠٥].

قال أهلُ اللُّغَةِ: «الآصالُ» جَمْعُ أَصِيلٍ، وَهُوَ مَا بَيْنَ الْعَصْرِ وَالمَغْرِبِ.

وَقَالَ تَعَالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾ [طه: ١٣٠].

= والإعراض مستحيلةٌ في حقه تعالى، والمراد بها لوازمها من إرادة إيصال الخير، وترك العقاب، وإذلال المعرض عن الهَدْي النبوي، ومثلُ هذا يسمى «مجاز المشاكلة» وهو الاتفاقُ باللفظ، مع الاختلاف بالمعنى.

(١) «آلله ما أجلسكم إلّا ذاك» أي أستحلفكم بالله، ما جلستم إلّا من أجل ذكر الله تعالى؟

(٢) «لم استحلفكم تهمةً لكم» أي لم أطلب منكم الحلف للشكّ والريبة.

(٣) «ما كان أحد بمنزلتي من رسول الله» أي ليس أحد منكم أقرب إلى رسول الله ﷺ مني! وذلك لأن أخته أمّ حبيبة أمُّ المؤمنين، فبينه وبين الرسول ﷺ قرابةٌ بالمصاهرة.

(٤) «يُباهي بكم الملائكةَ» أي يُفاخر بكم ملائكة السماء، وقد دلَّ الحديث على مكانة الذاكرين وعلوّ منزلتهم عند الله.

(٥) ﴿تضرُّعاً وَخِيفَةً﴾ أي تذلُّلاً وخضوعاً له سبحانه، وخائفاً منه، وليكنْ ذكرك وسطاً بين الجهر والسر.

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ [غافر: ٥٥].

قال أهل اللُّغة: «الْعَشِيُّ» مَا بَيْنَ زَوَال الشَّمْسِ وغُرُوبِهَا.

وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية [النور: ٣٦، ٣٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨].

١٤٤٩ ـ وعنْ أبي هريرةَ رضيَ اللَّه عَنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ قالَ حِينَ يُصْبحُ وحينَ يُمسي: سُبْحَانَ اللَّه وَبحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، لَم يَأْتِ أحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، بِأفضلَ مِمَّاء جَاءَ به، إلَّا أحَدٌ قال مِثلَ مَا قالَ أوْ زَادَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٥٠ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «جاءَ رجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقالَ: يا رسُولَ اللَّه: مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْربٍ لَدَغَتْني البَارِحَةَ[١]! قال: أمَا لَو قُلتَ حِينَ أمْسَيتَ: أعُوذُ بِكَلمَاتِ اللَّه التَّامَّاتِ[٢]، منْ شَرِّ مَا خَلَقَ لم تَضُرَّكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٥١ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنِ النبيِّ ﷺ «أنَّهُ كان يقولُ إذَا أصبَحَ: اللَّهُمَّ بِكَ أصْبَحْنَا، وَبِكَ أمسَيْنَا، وَبِكَ نَحيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإلَيْكَ النُّشُور، وَإذا أمْسى، قالَ: اللَّهمَّ بِكَ أمْسَيْنا، وبِكَ نحيا، وَبِكَ نموتُ، وإليك النُّشُورُ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

١٤٥٢ ـ وعنهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ رضِيَ اللَّه عنهُ، قال: «يا رَسُولَ اللَّه مُرْنِي بِكَلمَاتٍ، أقُولُهُنَّ إذَا أصْبَحْتُ، وإذَا أمْسَيتُ، قال: قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأرضِ[٣] عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ[٤]، رَبَّ كُلِّ شيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أشهَدُ أن لَا إلهَ إلَّا أنتَ، أعوذُ بِكَ منْ شَرِّ نَفسي، وَشَرِّ الشَّيْطَانِ

---

(١) «ما لقيتُ من عقرب لدغتني» أي ما أعظم ما لقيتُ من لدغ عقربٍ بالأمس؟ يريد به عظيم الألم والصب منه.

(٢) «أعوذ بكلمات الله» أي أتحصَّنُ من شرِّ كل مخلوق مؤذٍ، أتحصَّنُ بالقرآن العظيم الذي هو كلام الله، وهذا دعاء لدفع الأذى يتحصَّن به المسلم.

(٣) «فاطر السموات والأرض» أي خالقهما ومبدعهما.

(٤) «عالمَ الغيب والشهادة» أي يا عالم الغيب المستور، والمشاهد المنظور.

وَشِرْكِهِ[١] قال: قُلْها إذا أصْبحْتَ، وَإذا أمْسَيْتَ، وإذا أخذْتَ مَضْجعَكَ» رَوَاهُ أبو داود والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٤٥٣ ـ وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي اللَّه عنهُ قالَ: «كانَ نبيُّ اللَّه ﷺ إذَا أمْسَى قال: أمْسَيْنا وأمْسى المُلكُ للَّه، والحَمْدُ للَّه، لَا إلٰهَ إلَّا اللَّه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه» قالَ الراوي: أُرَاهُ قال فيهنَّ: «لَهُ المُلكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أسْألُكَ خَيْرَ مَا في هذِهِ اللَّيلَةِ، وَخَيْرَ مَا بَعْدَها، وَأعُوذُ بِكَ منْ شَرِّ مَا في هذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ ما بَعْدَهَا، رَبِّ أعُوذُ بِكَ منَ الكَسَلِ، وَسُوء الكِبَرِ، رَبِّ أعوذُ بِكَ منْ عَذَابٍ في النَّار، وَعَذَابٍ في القَبرِ، وَإذا أصْبحَ قال ذلكَ أيْضاً، أصْبَحْنَا وَأصْبحَ المُلْك للَّه» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٥٤ ـ وعنْ «عبدِ اللَّه بنِ خُبَيْبٍ» رضي اللَّه عَنْهُ قالَ: قالَ لي رَسُولُ اللَّه ﷺ: «اقْرَأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوِّذَتَيْنِ[٢] حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كلِّ شَيْءٍ» رَوَاهُ أبو داود والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

١٤٥٥ ـ وعنْ عُثمانَ بْنِ عَفَانَ رضيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: «قالَ رَسُولُ اللَّه: مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ في صَبَاحِ كلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءِ كلِّ لَيْلَةٍ: بِسْم اللَّه الَّذي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ في الأرْضِ وَلا في السماء، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، إلَّا لَمْ يَضُرَّهُ شَيءٌ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

۞ ۞ ۞

بابٌ في ما يقوله عند النوم

قالَ اللَّه تَعَالىَ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى

---

(١) «شرّ الشيطان وشركه» أي من شرّ وساوس الشيطان، وما يدعو إليه من الإشراك باللّه تعالى، بتزيين الكفر والضلال.

(٢) «اقرأ قل هو اللّه أحد والمعوذتين» السرُّ في قراءة هذه السور في الصباح والمساء، أن «سورة الإخلاص» لإعلان التوحيد كلَّ يوم، فهي حصنٌ للعقيدة وتثبيتٌ للإيمان، والمعوذتان حصنٌ لدفع الشرور والآثام عن المؤمن، وقد كان ﷺ يتعوّذ بهما، ويُعوِّذ الحسن والحسين رضي اللّه عنهما.

ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] الآيات.

١٤٥٦ ـ وعنْ حُذيفةَ وأبي ذرّ رضي اللَّه عَنْهما «أنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ كانَ إذَا أوَى إلى فِرَاشِهِ(١)، قالَ: باسْمِكَ اللَّهُمَّ أحْيَا وَأَمُوتُ»(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٤٥٧ ـ وعَنْ عليّ رضيَ اللَّه عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قالَ لهُ وَلِفَاطِمةَ، رَضِيَ اللَّه عنهما: إذَا أوَيْتُمَا إلى فِرَاشِكُمَا، أوْ: إذَا أخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُما، فَكَبِّرَا ثَلاثاً وَثَلاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلَاثاً وَثَلَاثِين، وَاحْمَدا ثَلاثاً وَثَلاثينَ».

وفي رِوايةٍ: «التَّكْبِيرُ أربَعاً وَثَلاثِينَ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٤٥٨ ـ وعن أبي هُريرةَ رَضيَ اللَّه عنهُ، قالَ: قَال رسولُ اللَّه ﷺ: «إذا أوَى أحَدُكُم إلَى فِرَاشِهِ، فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ(٣) بِداخِلَةِ إزَارِه، فإنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: باسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبي، وَبِكَ أرْفَعُهُ، إنْ أمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا(٤)، وإنْ أرْسَلْتَهَا، فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٤٥٩ ـ وعنْ عائشةَ رضيَ اللَّه عَنْها، «أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ، كان إذا أخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ في يَدَيْهِ(٥)، وَقَرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَمَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية لهما: «أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إذَا أوَى إلى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ،

---

(١) «أوى إلى فراشه» أي اضطجع في الفراش لإرادة النوم.

(٢) «باسمك اللهمّ أحيا وأموتُ» في هذا الدعاء تذكير للإنسان بالبعث والنشور، وحثٌّ له على فعل الخير، فليس بعد الحياة إلّا الموت، والجزاء في الآخرة، ولا بدَّ من الاستعداد ليوم المعاد.

(٣) «فلينفض فراشَه» يستحب نفضُ الفراش قبل الدخول فيه، لئلا يكون فيه شيء من المؤذيات، كعقرب، وصُرصور، وبعض الهوامّ.

(٤) «إن أمسكت نفسي فارحمها» إمساكُها كنايةٌ عن الموت، بدليل قوله «فارحمها» كما أن إرسالها كنايةٌ عن الإبقاء في الدنيا على قيد الحياة.

(٥) «نفث في يديه» كان ﷺ إذا أراد النوم، يجمع كفيه فينفخ فيهما، طلباً لبركة القرآن، ويقرأ الإخلاص والمعوذتين، ثم يمسح بكفيه جسده، ينام على ذكر اللّه وتلاوة القرآن، ويستيقظ على ذلك، والنَّفْثُ: نفخٌ لطيفٌ بلا ريق كما قال المصنف.

ثُمَّ نَفَثَ فيهما فَقرأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا ما اسْتطاعَ مِن جَسِدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجهِهِ، وَمَا أَقبلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذلكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

قالَ أهلُ اللُّغةِ: النَّفْثُ: نَفخٌ لَطِيفٌ بِلَا رِيقٍ.

١٤٦٠ ـ وَعَنِ البَرَاء بنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّه عَنهُما، قَالَ: قَالَ لي رَسولُ اللَّه ﷺ: «إذَا أتيتَ مَضجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وضُوءَكَ للصَّلاةِ، ثمَّ اضطَجعْ عَلى شِقِّكَ الأَيمَنِ، وَقلْ: اللَّهُمَّ أسلَمْتُ نَفسي إلَيْكَ[1]، وَفَوَّضتُ أمْرِي إلَيْكَ، وَأَلْجَأتُ ظَهرِي إلَيْكَ[2]، رَغبَةً ورهْبَةً إليكَ[3]، لا مَلجَأَ ولا مَنجى مِنْكَ إلَّا إليْكَ[4]، آمنتُ بِكِتَابِكَ الذي أنزَلْتَ، وَبنَبِيِّكَ الذي أرسَلتَ، فإنْ مِتَّ مِتَّ على الفِطرةِ[5]، واجْعَلهُنَّ آخِرَ ما تَقُولُ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٤٦١ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ «أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ قَالَ: الحَمْدُ للَّه الَّذي أطْعَمَنَا، وسَقَانَا، وكفَانَا، وآوانَا[6]، فَكَمْ مِمَّنْ لا كافيَ لَهُ وَلا مُؤوِيَ»[7] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٦٢ ـ وَعَنْ حُذَيفَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ «أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ كَانَ إذا أَرَادَ أَنْ

---

(١) «أسلمتُ نفسي إليك» أي استسلمتُ لحكمك وقضائك، وجعلتُ نفسي منقادةً لأمرك، طائعةً لحكمك.

(٢) «وألجأتُ ظهري إليك» أي اعتمدتُ عليك في جميع أموري، كما يعتمد الإنسان بظهره عند الجلوس على الحائط.

(٣) «رغبةً ورهبةً إليك» أي طمعاً في ثوابك، وخوفاً من عقابك.

(٤) «لا ملجأ ولا منجى منك» أي لا حمايةَ ولا وقاية، ولا نجاة لأحدٍ من عذابك، إلا بالالتجاء إليك يا ربَّ العالمين.

(٥) «فإن متَّ متَّ على الفطرة» أي إذا متَّ في تلك الليلة، تموت على الإيمان والدين، وإن أصبحت أصبتَ خيراً كثيراً.

(٦) «كفانا وآوانا» أي رزقنا من فضله ما يكفينا، وجعل لنا مسكناً نأوي إليه.

(٧) «فكم ممَّنْ لا كَافيَ له ولا مُؤوِي» أي كثير من الناس من هو فقير محتاج، ليس عنده ما يكفيه، وليس له ما يُؤويه، والغرض أن يتذكَّر المؤمن نعم اللّٰه الجليلة عليه، والنظر إلى من هو دونه.

يَرْقُدَ، وَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى تَحتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهمَّ قِنِي عَذَابَكَ، يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ»[1] رَوَاهُ التِرمذِيُّ وقالَ: حَديثٌ حَسَنٌ.

وَرَوَاهُ أبو داودَ مِنْ رِوَايَةِ حَفْصَةَ، رَضِيَ اللَّه عَنها، وَفيهِ «أنَّهُ كَانَ يَقُولهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ».

❁ ❁ ❁

(١) «قِنِي عذابَك يومَ تبعثُ عبادك» أي احفظني واصرفْ عني عذابك، يوم البعث والنشور، وفي هذا إظهار للخضوع لعظمة الرب الجليل، وتنبيهٌ للناس ألّا يأمنوا عذاب اللّه، قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

كتاب الدعوات

قَالَ اللَّه تَعَالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وَقَالَ تَعَالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

قَالَ تَعَالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦].

وَقَالَ تَعَالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ الآية [النمل: ٦٢].

١٤٦٣ ـ وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشيرٍ رَضِيَ اللَّه عَنهُمَا، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «الدُّعاءُ هوَ العِبادَةُ»[1] رَوَاهُ أَبو دَاودَ، والتِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ.

١٤٦٤ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسولُ اللَّه ﷺ يَسْتَحِبُّ الجَوامعَ مِنَ الدُّعَاءِ[2]، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذلكَ» رَوَاهُ أبو دَاودَ بإِسْنادٍ جَيِّدٍ.

١٤٦٥ ـ وَعَنْ أَنَس رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَاء النَّبيِّ ﷺ: اللَّهُمَّ آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» مُتفَقٌ علَيْهِ.

زادَ مُسلِمٌ في رِوَايتِهِ قَالَ: «وكَانَ أَنَسٌ إذا أَرَادَ أَنْ يَدعُوَ بِدعْوَةٍ دَعَا بهَا، وَإِذا أَرَادَ أَنْ يَدعو بِدُعَاءٍ دَعَا بهَا فِيهِ».

١٤٦٦ ـ وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ «أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ، والغِنَى» رواهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «الدعاء هو العبادةُ» أي الدعاء هو العبادةُ الحقيقية، لدلالته على الإقبال على اللّه، والالتجاء إليه، واعتقاد أنه لا ينفع ولا يضرُ، إلّا ربُّ العزة والجلال، وفي رواية الترمذي: «الدعاءُ مخُ العبادة» أي خالصُ العبادة وعين العبادة، كما قال سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ..﴾؟

(٢) «كان يستحبُ الجوامعَ من الدعاء» أي الدعاء الجامع لخيريْ الدنيا والآخرة كقوله: «اللهم اغفر لي وارحمني، وعافني وارزقني».

١٤٦٧ ـ وَعَنْ طارِقِ بنِ أَشْيَمَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: «كانَ الرَّجلُ إذا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبيُّ ﷺ الصَّلاةَ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يدعُوَ بهؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لي، وَارْحَمْني، وَاهْدني، وَعَافِني، وَارزُقني» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي رِوايَةٍ لَهُ عَنْ طارِقٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ وَأَتاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يا رَسُولَ اللَّه، كَيْفَ أقُولُ حِينَ أسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: قُلْ: «اللَّهُمَّ اغفِرْ لي، وَارْحَمْني، وعَافِني، وَارزُقني، فَإنَّ هؤُلاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْياكَ وَآخِرَتَكَ».

١٤٦٨ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّه بنِ عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا على طَاعَتِكَ»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٦٩ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَوَّذُوا باللَّه مِنْ جَهْدِ الْبَلاءِ[٢]، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»[٣] مُتَّفَقٌ عَليهِ.

وفي رِوَايَةٍ: «قالَ سُفْيَانُ: أَشُكُّ أَنِّي زِدْتُ وَاحِدَةً مِنها».

١٤٧٠ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِيني، الَّذي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي[٤]، وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ التي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتي الَّتي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الحياةَ زِيادَةً لي في كُلِّ خيرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» رَوَاهُ مسْلِمٌ.

١٤٧١ ـ وَعَنْ عليٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللَّه ﷺ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِني، وَسَدِّدْني».

وَفي رِوَايَةٍ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالسَّدَادَ»[٥] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «اللهم مصرِّف القلوب» أي مقلِّبها ومغيِّرها من شأن إلى شأن، ومن حال إلى حال، حوِّل قلوبنا إلى طاعتك، وفي رواية «اللهم يا مقلِّب القلوب، ثبِّتْ قلبي على دينك».

(٢) «تَعَوَّذُوا باللَّه من جَهْد البلاء» أي من شدة مشقة البلاء، الذي لا طاقة للإنسان بحمله، ولا قدرة له على دفعه.

(٣) «شماتة الأعداء» وهي فرح العدوّ ببليَّةٍ تنزل بمن يعاديه، قال تعالى: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾!!

(٤) «الذي هو عصمةُ أمري» أي احفظ عليَّ ديني الذي فيه صلاحي وفلاحي، وبه أعتصم من شر الشيطان.

(٥) «الهدى والسَّدادَ» أي أسألك الرشادَ، والإصابةَ في جميع أموري.

١٤٧٢ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: يَقُولُ: « اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالكَسَلِ، والجُبْنِ وَالهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ».

وَفي رِوَايةٍ: « وَضَلَعِ الدَّيْنِ[١] وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٧٣ ـ وَعَنْ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ « أَنَّه قَالَ لِرَسولِ اللَّه ﷺ: عَلِّمني دُعَاءَ أَدعُو بِهِ في صَلاتي، قَالَ: قُل اللَّهمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثيراً، وَلا يَغفر الذُّنوبَ إلَّا أَنتَ، فَاغفِر لي مَغْفِرَةً مِنْ عِندِكَ، وارْحَمْني، إنَّكَ أَنْتَ الْغَفُور الرَّحِيم» متَّفَقٌ عليه.

وَفي رِوَايةٍ: «وَفي بَيْتي» وَرُوِيَ: «ظُلْماً كَثيراً» وَروِيَ «كَبِيراً» بالثاء المثلثة وبِالباءِ الموحدة، فَيَنْبَغِي أن يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا، فَيُقَالُ: كَثِيراً كَبِيراً.

١٤٧٤ ـ وَعَنْ أَبي موسَى رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدعُو بهذا الدُّعَاءِ: « اللَّهمَّ اغفِر لي خَطِيئَتي وَجَهْلي، وَإِسْرَافي في أَمْري، وَمَا أَنْتَ أَعلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهمَّ اغفِر لي جِدِّي وَهزلي، وَخَطَئي وَعَمْدِي، وكلُّ ذلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المقَدِّم، وَأَنْتَ المُؤخِّرُ، وَأَنْتَ عَلى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متَّفَقٌ عليهِ.

١٤٧٥ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا « أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ في دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٧٦ ـ وعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنهُمَا قَالَ: كَانَ مِنْ دُعاءِ رَسُولِ اللَّه ﷺ: « اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ زَوالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ[٣]، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَميعِ سَخَطِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٧٧ ـ وَعَنْ زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: « كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجزِ وَالكَسَلِ، والجبن، وَالبُخلِ، وَالهرَمِ،

---

(١) « وضَلَع الدَّين» أي ثقلُ الدَّين وشدَّته.

(٢) « وغلبة الرجال» أي قهر الرجال بأن أكون مظلوماً أو ظالماً.

(٣) « وتحوُّلِ عافيتك» أي تبدّلها من الصحة إلى المرض «وفُجآءَةِ نقمتك» أي عقابك المفاجئ.

وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلمٍ لا يَنْفَعُ[١]، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِن نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٧٨ ـ وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا «أَنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ كَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فاغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ، وَما أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إلهَ إلَّا أَنْتَ».

زَادَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: «وَلا حَوْلَ وَلا قوَّةَ إلا بِاللّه» متَّفَقٌ عليهِ.

١٤٧٩ ـ وَعَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللّه عَنهَا «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يَدعو بهؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: اللَّهمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِن فِتْنَةِ النَّارِ، وعَذَابِ النَّارِ، وَمِن شَرِّ الغِنَى وَالفَقْرِ» رَوَاهُ أَبو داودَ، والتِّرمِذِيُّ وقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ، وهذا لفظُ أَبي داودَ.

١٤٨٠ ـ وَعَنْ زيادِ بْنِ عِلاقَةَ عن عَمِّه ـ وهو قُطبَةُ بنُ مالِكٍ ـ رَضِيَ اللّه عَنهُ قَالَ: «كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَقولُ: اللّهمّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن منكَرَاتِ الأخلاقِ، وَالأعْمَالِ، وَالأهْوَاءِ»[٢] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَديثٌ حَسَنٌ.

١٤٨١ ـ وَعَن شَكَلِ بنِ حُمَيْدٍ رَضِيَ اللّه عَنْهُ قَالَ: «قُلْتُ يا رَسُولَ اللّه: عَلِّمْني دُعَاءً. قَالَ: قُل: اللّهُمّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمعِي، وَمِن شَرِّ بَصَرِي، وَمِن شَرِّ لِسَاني، ومن شر قلبي، وَمِن شَرِّ مَنِيِّي»[٣] رَوَاهُ أبو داودَ، والتِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حَسَنٌ.

١٤٨٢ ـ وَعَن أَنَسٍ رَضِيَ اللّه عَنْهُ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللّهُمَّ إنِّي

---

(١) «أعوذ بك من علم لا ينفع» أي لا يُهذِّب النفس، ولا يسمو بها إلى العلياء، قال الشاعر:

يا مَنْ تَبَاعدَ عن مكارم خُلْقِهِ ... ليس التفاخُرُ بالعلوم الزَّاخِرَة

من لم يُهَذِّب عِلْمُهُ أخلاقَهُ ... لم يَنْتَفِعْ بِعُلُومِه في الآخرة

(٢) «من منكرات الأخلاق والأعمال» أي الأخلاق القبيحة المنكرة، كالعُجب، والكِبْر، والخيلاء، والفخر، والحسد، والبغي، والأعمال المنكرة كالزنى، وشرب الخمر، وسائر المحرّمات.

(٣) «ومن شر منيّ» أي من شرّ فرجي كأن أرتكب الزنى وأسلك طريقه، فأكون قد سفحتُ المنيّ في غير محله، فأصبحَ شرّاً عليّ.

أعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُذَامِ، وَسَيِّيءِ الأسقامِ» رَوَاهُ أبو دوادَ بإسنادٍ صحيحٍ.

١٤٨٣ ـ وَعَن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ، فإنَّهُ بِئْسَ الضَّجيعُ[1]، وَأَعُوذُ بِكَ من الخِيَانَةِ، فَإنّها بِئْسَتِ البِطانَةُ»[2] رَوَاهُ أبو داودَ بإسنادٍ صحيحٍ.

١٤٨٤ ـ وَعَنْ عليّ رَضِيَ اللَّه عَنهُ «أَنَّ مُكَاتَباً جاءَهُ، فَقَالَ: إني عجِزتُ عَن كِتَابَتِي فَأَعِنّي. قَالَ: ألا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّه ﷺ، لَو كانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ دَيْناً، أدّاهُ اللَّهُ عَنكَ؟ قُل: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّن سِوَاكَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ.

١٤٨٥ ـ وَعَنْ عِمْرَان بنِ الحُصَيْنِ رَضِيَ اللَّه عَنهُما «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ عَلَّمَ أَبَاهُ حُصَيْناً كَلِمَتَيْنِ يَدْعُو بهما: اللَّهُمَّ أَلهِمْني رُشْدِي، وَأعذني مِن شَرِّ نفسي» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقَالَ: حَديثٌ حَسَنٌ.

١٤٨٦ ـ وَعَنْ أَبي الفَضلِ «العبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ» رَضِيَ اللَّه عَنهُ، قَالَ: «قُلْتُ يا رَسُولَ اللَّه: عَلِّمْني شَيْئاً أَسْأَلُهُ اللَّه تَعَالى! قَالَ: سَلُوا اللَّه العَافِيَةَ فَمَكَثْتُ أَيَّاماً، ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّه: عَلِّمْني شَيْئاً أَسْأَلُهُ اللَّه تَعَالى، قَالَ لي: يَا عَبَّاسُ يا عَمَّ رَسُولِ اللَّه، سَلُوا اللَّه العَافِيَةَ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[3] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ.

١٤٨٧ ـ وَعَنْ شَهرِ بْنِ حَوشَبٍ قَالَ: «قُلْتُ لأمّ سَلَمَةَ رَضيَ اللَّه عَنهَا: يا أمَّ المؤمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعاءِ رَسُولِ اللَّه ﷺ إذا كَانَ عِندَكِ؟ قَالَت: كانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا

---

(١) «بئس الضجيع» أي بئس الجوع أن يكون صاحباً مضاجعاً للإنسان، يلازمه ولا يفارقه، كالذي ينام معك في فراش واحد، وفي الأثر «كاد الفقر أن يكون كفراً».

(٢) «بئست البطانة» ما أجمل هذا التعبير في قوله: «أعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة»؟ شبّه ما تنطوي عليه نفسُ الإنسان من الخيانة، بالثوب الذي تكون له بطانة، فالمظهر جميل فاتن، والمخبر قبيح ماجن، ففيه تقبيح لهذه الخصلة الذميمة.

(٣) «سلِ اللَّه العافية» أي السلامة والمعافاة من الأسقام، والمِحَن، والآلام، والكوارث، وأمّا في الآخرة فهي مغفرة الذنوب، والنجاة من عذاب جهنم ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ فطلبُ العافية يشمل خيري الدنيا والآخرة.

مُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قَلْبي عَلى دِينِكَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَديثٌ حَسَنٌ.

١٤٨٨ ـ وَعَنْ أَبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللَّه عَنهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «كانَ مِن دُعاءِ دَاوُدَ ﷺ: اللَّهمَّ إنّي أَسْأَلُكَ حبَّكَ، وَحبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالعَمَلَ الذي يُبَلِّغُني حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَل حُبَّكَ أَحَبَّ إليَّ مِن نَفْسي، وَأَهْلي، وَمِنَ الماءِ البارِدِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقَالَ: حديثٌ حَسَنٌ.

١٤٨٩ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنهُ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: أَلِظُّوا بِـ: يَاذا الجَلالِ وَالإكْرَامِ»[(١)] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، قالَ الحاكِمُ: حديثٌ صحيحُ الإِسْنَادِ.

«أَلِظُّوا» مَعْنَاه: الْزَمُوا هذِهِ الدَّعْوَةَ وأَكِثرُوا مِنها.

١٤٩٠ ـ وَعَن أبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: «دَعَا رَسُولُ اللَّه ﷺ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ، لَمْ نَحفَظْ مِنهُ شَيْئاً، قُلْنا: يا رَسُولَ اللَّه دَعوتَ بِدُعاءٍ كَثِيرٍ، لم نَحْفَظْ مِنهُ شَيْئاً، فقَالَ: أَلا أَدُلُّكُم عَلى ما يَجْمعُ ذلكَ كُلَّهُ؟ تَقولُ: اللَّهُمَّ إنّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيرِ ما سَأَلَكَ مِنْهُ نَبيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وأَعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَنْتَ المُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ البَلاغُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلَّا باللَّه» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَديثٌ حَسنٌ.

١٤٩١ ـ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّه ﷺ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ[(٢)]، وَعَزائمَ مِغفِرَتِكَ[(٣)]، وَالسَّلامَةَ مِن كُلِّ إثمٍ، وَالغَنِيمَةَ مِن كُلِّ بِرٍ، وَالفوزَ بِالجَنَّةِ، وَالنَّجاةَ مِنَ النَّارِ» رَوَاهُ الحاكمِ أبو عبدِ اللَّه، وقالَ: حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلِم.

۞ ۞ ۞

---

(١) «ألظّوا بيا ذا الجلال» أي لازموا الدعاء وأكثروا من قولكم «يا ذا الجلال والإكرام» فاللّه يستجيب دعاء الملتجئ إليه.

(٢) «أسألك موجبات رحمتك» أي الأعمال الصالحة التي توجب رحمتك كقوله سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

(٣) «وعزائم مغفرتك» أي موجبات المغفرة وهي طاعة اللّه عزّ وجلّ، التي عزم عليها عباده بقوله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧].

باب فضل الدّعاء بظهر الغيب

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ [الحشر: ١٠].

وقَالَ تَعَالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد: ١٩].

وقَالَ تَعالى إخبَاراً عَنْ إبْرَاهِيمَ ﷺ: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤١].

١٤٩٢ ـ وَعَنْ أَبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّهُ سَمعَ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: « مَا مِن عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيبِ[1]، إلَّا قَالَ المَلَكُ وَلَكَ بمِثْلٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٤٩٣ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ كانَ يَقُولُ: « دَعْوَةُ المَرءِ المُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بخَيْرٍ قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في مَسائل من الدّعاء

١٤٩٤ ـ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « من صُنِعَ إلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّه خَيْراً، فَقَد أَبْلَغَ في الثَّنَاءِ ».

رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

١٤٩٥ ـ وَعَن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « لا تَدعُوا عَلى أَنْفُسِكُم، وَلا تَدْعُوا عَلى أَولادِكُم[2]، وَلا تَدْعُوا عَلى أَمْوَالِكُم، لا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّه سَاعَةً يُسأَل فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبَ لَكُم » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «يدعو لأخيه بظهر الغيب» أي يدعو لأخيه المسلم بدعوة في غيبته، إلّا أمّن المَلَكُ على دعوته، وقال: ولك بمثل ما دعوتَ.

(٢) «لا تدعوا على أنفسكم وأولادكم» أي لا تدعوا بشيء من الضرر على أنفسكم، أو أولادكم، كأن يقول أحدكم: اللهمّ أهلكني، اللهمّ دمّرْ أبنائي، اللهمّ أنزل عليهم نقمتك وعذابك لئلا تكون تلك الساعةُ «ساعة استجابة» فتندموا على ما حصل منكم.

١٤٩٦ ـ وعَن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللَّه عنهُ، أنَّ رَسولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِن رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ» رَواهُ مُسْلِمٌ.

١٤٩٧ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُم مَا لَم يَعْجَل: يَقُولُ: قَد دَعَوتُ رَبِّي، فَلَم يُسْتَجَبْ لي» مُتَّفَق عليه.

وَفي رِوَايَةٍ لمُسْلِم: «لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَم يَدعُ بِإِثم، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِم، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه مَا الاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: قَدْ دَعَوتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَم أَرَ يَسْتَجِيبُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذلِكَ، وَيَدَعُ الدُّعاءَ»[1]

١٤٩٨ ـ وَعَنْ أَبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ: «أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: جَوْفُ اللَيْلِ الآخِرِ[2] وَدُبُرُ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ»[3] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١٤٩٩ ـ وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «مَا عَلى الأَرْضِ مُسْلِمٌ، يَدْعُو اللَّه تَعَالى بِدَعْوَةٍ، إلَّا آتاهُ اللَّه إيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَم يَدعُ بِإِثم، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِم، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إذاً نُكْثِرُ، قَالَ: اللَّه أَكْثَرُ»[4] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَرَوَاهُ الحَاكِمُ، وَزَادَ فِيهِ: «أَوْ يَدَّخِرَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَهَا».

١٥٠٠ ـ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنهُمَا «أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: لا إلهَ إلَّا اللَّه العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلهَ إلَّا اللَّه رَبُّ العَرْشِ العَظِيم، لا إلهَ إلَّا اللَّه رَبُّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ، ورَبُّ العَرْشِ الكريم» مُتَّفَقٌ عليهِ.

❁ ❁ ❁

---

(١) «فيَسْتَحْسِرُ ويَدَعُ الدعاءَ» أي فييأس من استجابة دعائه، ويترك بعد ذلك الدعاء، وهذا من دسائس الشيطان.

(٢) «جوفُ الليل الآخر» أي أقرب ساعات إجابة الدعاء، الثلثُ الأخير من الليل، حيث تكون التجليات الإلهية، والفيوضات الربانية، ويكون الإنسان في صفاءٍ وإقبال على اللَّه.

(٣) «ودُبُر الصلواتِ المكتوبة» أي عقب أداء الفرائض في الصلوات الخمس.

(٤) «إذاً نكثر، قال اللَّه أكثر» أي قال الرجل: إذا نكثر من الدعاء، إذا كان الدعاءُ مستجاباً، فقال ﷺ: اللَّهُ أكثرُ إحساناً ونوالاً، مما تطلبون وتسألون، فمهما أكثرتم من الدعاء يُستجاب لكم، ما لم تدعو بشيء محرّم، أو بما فيه قطيعة الرحم.

باب كرامات الأولياء وفضلهم

قَالَ اللَّه تَعَالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ[1] لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤].

وَقَالَ تَعَالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ[2] تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى﴾ [مريم: ٢٥، ٢٦].

وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وقالَ تَعَالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٦، ١٧].

١٥٠١ ـ وَعَنْ أَبي مُحَمَّدٍ «عَبْدِ الرَّحْمَن بْنِ أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ» رَضِيَ اللَّه عَنهُمَا «أَنَّ أَصْحابَ الصُّفَّةِ كانُوا أُناساً فُقَرَاءَ، وأَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ مَرَّةً: مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ، فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ، فَلْيَذْهَبْ بخَامِسٍ بِسَادِسٍ، أَوْ كَما قَالَ، وأَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ جاءَ بِثَلاثَةٍ، وَانْطَلَقَ النَّبيُّ ﷺ بِعَشَرَةٍ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صَلَّى العِشَاءَ، ثُمَّ رَجَعَ، فَجَاءَ بَعْدَ ما مَضَى منَ اللَّيْل مَا شَاءَ اللَّه، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: ما حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ[3]؟ قَالَ: أَو ما عَشَّيتِهِمْ[4]؟ قَالَتْ: أَبَوْا حَتَّى تَجِيءَ، وَقَدْ عَرَضُوا

---

(١) ﴿لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ قال المفسّرون. أي تبشّرهم الملائكة عند الاحتضار، برحمة اللَّه ورضوان، قبل مفارقتهم للدنيا، تأنيساً لهم وتشويقاً لما ينتظرهم من أنواع السرور في جنات النعيم، وهذا من كرامة اللَّه لأوليائه.

(٢) ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أي قال لها المَلَكُ جبريل: حرّكي جذع النخلة اليابسة، يتساقط عليك الرطب الشهيُّ الطريُّ!! وهذا من كرامة اللَّه لمريم عليها السلام، حيث جاءها الرطب اللذيذ من الشجرة اليابسة.

(٣) «ما حَبَسَكَ عن أضيافِكَ» أي ما الذي أخّرك عن ضيوفك؟

(٤) «أو مَا عَشَّيتِهم»؟ أي ألم تقدّمي لهم طعام العشاء بعد؟

عَلَيهِمْ!! قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنَا، فَاختبأْتُ، فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ، فَجَدَّعَ وَسَبَّ[١]، وَقَالَ: كُلُوا لا هَنِيئاً، وَاللَّه لا أَطْعَمُهُ أَبداً، قَالَ: وَايْمُ اللَّه، ما كُنَّا نَأخذُ مِنْ لُقْمَةٍ إلَّا رَبا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا[٢]، حَتَّى شَبِعُوا، وَصَارَتْ أَكثَرَ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَ ذلِكَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا أَبو بَكْرٍ، فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ مَا هذَا؟ قَالَتْ: لا وَقُرَّةِ عَيْنِي، لهِيَ الآنَ أَكثَرُ مِنها قَبلَ ذلِكَ بِثَلاثِ مَرَّاتٍ! فَأَكَلَ مِنهَا أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذلكَ مِنَ الشَّيطَانِ، (يَعني يَمِينَهُ). ثُمَّ أَكَلَ مِنهَا لُقمَةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إلى النَّبيِّ ﷺ فَأَصْبَحَت عِنْدَهُ، وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوم عَهدٌ، فَمَضَى الأجَلُ، فَتَفَرَّقنَا اثني عَشَرَ رَجُلاً، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنهُم أُنَاسٌ، اللَّه أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ، فَأَكَلُوا مِنهَا أَجمَعُونَ».

وفي رِوَايَةٍ: «فَحَلَفَ أَبُو بَكرٍ لا يَطْعَمُه، فَحَلَفَتِ المَرأَة لا تَطْعَمُه، فَحَلَفَ الضيْفُ أَوِ الأضْيَافُ أَنْ لا يَطعَمَه، أَوْ يَطعَمُوه حَتَّى يَطعَمَه، فَقَالَ أَبُو بَكرٍ: هذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ فَدَعَا بِالطَّعَام، فَأَكَلَ وَأَكَلُوا، فَجعَلُوا لا يَرْفَعُونَ لُقمَةً، إلَّا رَبَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنهَا، فَقَالَ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ، مَا هذَا؟ فَقَالَتْ: وَقُرَّةِ عَيْنِي إنَّهَا الآنَ لأَكْثَرُ مِنها قَبلَ أَنْ نَأْكُلَ، فَأَكلُوا، وَبَعَثَ بهَا إلى النَّبيِّ ﷺ فَذَكَرَ أَنَّه أَكَلَ مِنهَا».

وفي رِوَايَةٍ: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحمنِ: دُونَكَ أَضْيَافَكَ، فَإِنِّي مُنطَلِقٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فَافرُغْ مِنْ قِرَاهُم قَبْلَ أَنْ أَجِيءَ، فَانطَلَقَ عَبْدُ الرَّحمنِ، فَأَتَاهم بمَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: اطْعَمُوا، فَقَالُوا: أَيْنَ رَبُّ مَنزِلِنَا؟ قَالَ: اطْعَمُوا، قَالُوا: مَا نَحْنُ بِآكِلِينَ حَتَّى يَجِيءَ رَبُّ مَنْزِلِنَا، قَالَ: اقبَلُوا عَنَّا قِرَاكُمْ[٣]، فَإِنَّهُ إنْ جَاءَ وَلَمْ تَطْعَمُوا، لَنَلْقَيَنَّ مِنه!! فَأَبَوْا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَجِد عَلَيَّ، فَلَمَّا جَاءَ تَنَحَّيْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتُم؟ فَأَخبَرُوه، فَقَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحمنِ فَسَكَتُّ، ثمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحمنِ، فَسَكَتُّ، فَقَالَ: يَا غُنْثرُ أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إنْ كُنتَ تَسمَعُ صَوتي لَما جِئتَ! فَخَرَجتُ، فَقُلْتُ: سَلْ أَضْيَافَكَ، فَقَالُوا: صَدَقَ، أَتَانَا بِهِ. فَقَالَ: إِنَّمَا انتَظَرْتُمُوني، وَاللَّه لا أطعَمُه اللَّيْلَةَ، فَقَالَ الآخَرُونَ: وَاللَّه لا نَطعَمُه حَتَّى

---

(١) «يا غُنْثَرُ فجدَّع وسبَّ» أي فشَتم وسبَّ يعني ولده عبد الرحمن، ومعنى «يا غُنْثر» يا غبيُّ ويا جاهلُ.

(٢) «ما نأخذ من لقمة إلَّا ربا من أسفلها» أي ما نتناول لقمة إلَّا زاد من الموضع الذي أُخذ منه، وهذه كرامة لأبي بكر وأضيافه، فقد أكلوا وشبعوا والطعامُ أكثر مما كان.

(٣) «اقبلوا عنا قِرَاكم» أي اقبلوا ما هيَّئنا لضيافتكم فتناولوه.

تَطْعَمَهُ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ مَالَكُم لا تَقْبَلُونَ عَنَّا قِرَاكُمْ؟ هَاتِ طَعَامَكَ، فَجَاءَ بِهِ، فَوَضَعَ يَدَه، فَقَالَ بِسم اللَّه، الأولى مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَكَلَ وَأَكَلُوا» مُتَّفَق عليه.

قوله: «غُنْثَر» وهو: الغَبيُّ الجاهِلُ، وقوله: «فجدَّعَ» أي: شَتَمَه، وَالجَدع: القَطْعُ، قوله «يجِدُ عليَّ»: أيْ: يَغْضَبُ.

١٥٠٢ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُم مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإن يَكُ في أُمَّتي أَحَدٌ، فإنَّهُ عُمَرُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، ورَوَاهُ مُسْلِمٌ من روايةِ عائشَةَ، قالَ ابنُ وَهبٍ: «مُحَدَّثُونَ» أي: مُلْهَمُونَ.

١٥٠٣ ـ وَعَنْ جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنهُمَا، قَالَ: «شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْداً (يَعْني: ابنَ أبي وَقَّاصٍ) رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، إلى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّاراً، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبا إِسْحَاقَ، إنَّ هؤُلاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لا تُحْسِنُ تُصَلِّي، فَقَالَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّه فَإنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاةَ رَسُولِ اللَّه ﷺ لا أَخْرِمُ[1] عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاةَ العِشَاءِ فَأَرْكُدُ في الأُولَيَيْنِ، وَأُخِفُّ في الأُخْرَيَيْنِ، قالَ: ذلِكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً أَوْ رِجَالاً إلى الكُوفَةِ، يَسْأَلُ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ، فَلَمْ يَدَعْ مَسْجِداً إلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفاً، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِداً لِبَني عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ «أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ» يُكَنَّى أَبَا سَعْدَةَ، فَقَالَ: أَمَا إذْ نَشَدْتَنَا، فَإنَّ سَعْداً كَانَ لا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلا يَعْدِلُ في القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أمَا وَاللَّه لأَدْعُوَنَّ بِثَلاثٍ: اللَّهُمَّ إنْ كَانَ عَبْدُكَ هذا كَاذِباً، قَامَ رِيَاءً، وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ للفِتَنِ!! وَكَانَ بَعْدَ ذلكَ إذا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْني دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ بْنِ عُمَيْر الرَّاوِي عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ للجَوَارِي في الطُّرُقِ فَيَغْمِزُهُنَّ»[2] مُتَّفَقٌ عليهِ.

---

(١) «لا أَخرِمُ» أي لا أُنقص منه شيئاً «فأركدُ» أي أطيل القيام في الأولين.

(٢) ذكر الإمامُ النووي رحمه اللَّه عدة أدلة من الكتاب والسنة على كرامات الأولياء، منها «قصة مريم» حين كان يدخل عليها زكريا عليه السلام، فيرى عندها العجب العُجاب، يرى فاكهة الصيف في وقت الشتاء، وفاكهة الشتاء في وقت الصيف، فيسألها من أين لك هذا وليس =

١٥٠٤ ـ وَعَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيرُ رضي اللّه عنه: «أَنَّ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بن عمرو بْنِ نُفَيْلٍ» رَضِيَ اللّه عَنْهُ خَاصَمَتْهُ «أَرْوَى بِنْتُ أَوْسٍ» إلى مَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ، وَادَّعَتْ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئاً مِنْ أَرْضِهَا، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئاً، بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللّه ﷺ!؟ قَالَ: مَاذا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللّه ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً، طُوِّقَهُ إلى سَبْعِ أَرَضِينَ» فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هذا، فَقَالَ سَعِيدٌ: اللَّهُمَّ إنْ كانَتْ كاذِبَةً، فَأَعْمِ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا في أَرْضِهَا، قَالَ: فَمَا ماتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، وَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي في أَرْضِهَا إذْ وَقَعَتْ في حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

وفي روايةٍ لمسلم «أَنَّهُ رَآهَا عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الجُدُرَ، تَقُولُ: أَصَابَتْني دَعْوَةُ سَعِيدٍ، وَأَنَّها مَرَّتْ عَلى بِئْرٍ في الدَّارِ التي خاصَمَتْهُ فِيها، فَوَقَعَتْ فِيهَا، فَكَانَتْ قَبْرَها».

١٥٠٥ ـ وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّه رَضِيَ اللّه عَنهُمَا قَالَ: «لمَّا حَضَرَتْ أُحُدٌ، دَعاني أبي مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: مَا أُرَاني إلَّا مَقْتُولاً في أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ، وَإنِّي لا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ، غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللّه ﷺ، وَإنَّ عَلَيَّ دَيْناً فَاقْضِ، وَاسْتَوصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْراً! فَأَصْبَحْنَا، فَكَانَ أَوَّلَ

= في البلد شيء منه؟ فتقول: هو من عند اللّه، كما ذكر لها كرامة أخرى وهي أن تهز شجرة النخيل اليابسة فيتساقط منها الرطب، ولم تكن نبيَّةً حتى نقول إن هذه معجزة، ثم ذكر قصة الطعام الذي قُدِّم لضيوف أبي بكر رضي اللّه عنه، فإنهم قد أكلوا وشبعوا ولم ينقصْ شيء من الطعام، بل زاد على ما كان عليه، حتى أكل منه جمع غفير، وهذه بلا شك كرامة لسيدنا أبي بكر الصدّيق رضي اللّه عنه.

ثم ذكر قصة «سعد بن أبي وقاص» ودعوته على من افترى عليه، واتهمه بأنه كان لا يعدل في حكمه بين الناس، ويؤثر أقاربه على غيرهم، وقد استجاب اللّه دعاءه وهي كرامة أيضاً، ثم ذكر قصة «سعيد بن زيد بن نُفيل» ودعوته على «أروى بنت أوس» أن تفقد بصرها، وتموت في أرضها، لأنها اتهمته بأنه اغتصب شيئاً من أرضها، وقد استجيبتْ دعوتُه فيها، وذكر كرامات أخرى، وكلها تُثبت مذهب أهل السنة والجماعة، في ثبوت كرامات الصالحين، قال في الجوهرة:

وأثْبِتَنْ للأولياء الكَرَامَهْ ومن نَفَاها فانبِذَنْ كلامَه

وحادثة عبد اللّه والد جابر رضي اللّه عنهما تحققت فيها الكرامة، حيث قال لولده جابر: ما أراني إلا مقتولاً أوَّلَ الناس، فكان أول قتيل، واستخرج ولده جُثَّته بعد ستة أشهر، فكانت على حالها وهذه كرامة أخرى.

قَتِيلٍ، وَدَفَنْتُ مَعَهُ آخَرَ في قَبْرِهِ، ثُمَّ لمْ تَطِبْ نَفْسي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ آخَرَ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَإذا هُوَ كَيَوْمَ وَضعْتُهُ غَيْرَ أُذُنِهِ، فَجَعَلْتُهُ في قَبْرٍ على حِدَةٍ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٥٠٦ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ «أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ خرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبيِّ ﷺ في لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، وَمَعَهُمَا مِثْلُ المِصْبَاحَينِ بَيْنَ أَيدِيهِمَا، فَلَمَّا افترَقَا، صَارَ مَعَ كلِّ وَاحِدٍ مِنهما وَاحِدٌ، حَتى أَتَى أَهْلَهُ».

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ طرُقٍ، وَفي بعْضِهَا أَنَّ الرَّجُلَيْنِ «أُسَيْدُ بنُ حُضَيرٍ»، «وَعَبَّادُ بنُ بِشْرٍ» رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا.

١٥٠٧ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّه ﷺ عَشرةَ رَهْطٍ عَيْناً سَرِيَّة، وَأَمَّرَ عَلَيْهِم «عَاصِمَ بنَ ثابِتٍ الأنصَارِيَّ» رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، فَانطَلَقُوا حَتَّى إذا كَانُوا بِالهَدْأَةِ ـ بَيْنَ عُسْفانَ وَمَكَّةَ ـ ذُكِرُوا لحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقالُ لَهُمْ: «بَنُو لِحْيَانَ» فَنَفَرُوا لهمْ، بِقَرِيبٍ مِنْ مَائةِ رَجُلٍ رَامٍ، فاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا أَحَسَّ بهِمْ عَاصِمٌ وأَصْحَابُهُ، لَجَؤُوا إلى مَوْضِعٍ، فَأَحَاطَ بهِمُ القَوْمُ، فَقَالُوا: انزلوا، فَأَعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ[1]، ولَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ أَنْ لا نَقْتُلَ مِنْكُم أَحَداً، فَقَالَ عَاصِمُ بنُ ثابِتٍ: أَيُّهَا القَوْمُ أَمَّا أنا، فَلا أَنْزِلُ عَلى ذِمَّةِ كَافِرٍ[2]: اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ ﷺ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِماً، وَنَزَلَ إلَيْهِمْ ثَلاثَةُ نَفَرٍ عَلى العَهْدِ[3] والمِيثَاقِ، مِنْهُمْ «خُبَيْبٌ»، وَ«زَيْدُ بْنُ الدَّثِنَةِ» وَرَجُلٌ آخَرُ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا. قَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هذا أَوَّلُ الغَدْرِ، واللَّه لا أَصْحَبُكُمْ إنَّ لي بِهؤُلاءِ أُسْوَةً ـ يُرِيدُ القَتْلى ـ فَجَرُّوهُ

---

(١) «انزلوا فأعطوا بأيديكم» أي استسلِمُوا لنا ولا نقتُل أحداً منكم.

(٢) «لا أنزل على ذمة كافر» أي لا أثق بعهده وكلامه، وسأقاتل حتى الموت والشهادة، فرموهم بالسهام فاستُشهد عاصم.

(٣) «ونزل ثلاثة على العهد» أي العهدالذي عاهدوهم عليه ألا يقتلوا أحداً منهم، ثم غدروا بهم، وهؤلاء الثلاثة «خُبَيْب بن عَدِيّ» و«زيد بن الدَّثِنَة» و«عبد اللَّه بن طارق» وقد وقعوا جميعاً في الأسر، ولمّا شعر ابن طارق بالخيانة والغدر، أبى أن يستسلم فقتلوه، ثم باعوا الاثنين بمكة، وفي الحديث أن خبيباً ـ وهو أسيرٌ ـ كان يأكل عنقوداً من العنب، وليس بمكة في ذلك الحين حبّةُ عنب، وهذه كرامة لخُبَيْب رضي اللَّه عنه.

وعَالجوهُ، فَأَبى أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فَقَتَلُوهُ، وَانْطَلَقُوا بخُبَيْبٍ، وَزيْدِ بنِ الدَّثِنَةِ، حَتَّى بَاعُوهُما بمكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فابتَاعَ «بَنُو الحَارِثِ» بنِ عَامِرِ بن نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ «خُبَيْباً»، وكَانَ خُبيبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُم أَسِيراً، حَتَّى أجْمَعُوا عَلى قَتْلِهِ، فَاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحارِثِ مُوسَى يَسْتحِدُّ بهَا فَأَعَارَتْهُ، فَدَرَجَ بُنيٌّ لهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ حَتى أَتَاهُ، فَوَجَدَتْهُ مُجْلِسَهُ عَلى فخذِهِ وَالمُوسَى بيَدِهِ، فَفَزِعَتْ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ، فَقَالَ: أَتخْشَيْنَ أن أَقْتُلَهُ ما كُنْتُ لأفْعَل ذلكَ! قَالَتْ: وَاللَّه ما رَأَيْتُ أَسِيراً خَيْراً مِنْ خُبَيبٍ، فوَاللَّه لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْماً يَأْكُلُ قِطْفاً مِنْ عِنَبٍ في يَدِهِ وإنَّهُ لُموثَقٌ بِالحَديدِ وَما بمَكَّةَ مِنْ ثَمرةٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إنَّهُ لَرزقٌ رَزَقَهُ اللَّه خُبَيْباً، فَلَمَّا خَرَجُوا بِهِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ في الحِلِّ، قَالَ لهُم خُبَيْبٌ: دَعُوني أُصَلي رَكعَتَيْنِ، فتَرَكُوهُ، فرَكَعَ رَكْعَتَينِ، فَقَالَ: واللَّه لَوْلا أَنْ تَحْسَبُوا أَنَّ مَا بي جَزَعٌ لَزِدْتُ!! اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَداً، واقْتُلْهمْ بِدَداً[1]، ولا تُبْقِ مِنْهُم أَحَداً، وقالَ:

فَلَسْتُ أُبَالي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً عَلى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ للَّه مَصْرَعِي

---

(١) «أحصهم عَدَداً واقتلهم بدَداً» أي أحصِ عددَهم، واقتلهم جميعاً فلا تُبق منهم أحداً، ولم تمضِ سنةٌ حتى قُتلوا جميعاً فلم يبقَ منهم أحد، وهذه كرامة أخرى، وقد وصلَ خبرُهم إلى رسول اللَّه ﷺ بواسطة جبريل، فأخبر الرسول أصحابه بذلك.

تنبيه: قال الإمام السبكي رحمه اللَّه: الدليلُ لنا على ثبوت الكرامات وجوه:

١ ـ منها ما شاع وذاع، بحيث لا ينكره إلّا جاهل معاند، أنواع الكرامات للعلماء والصالحين، الجاري مجرى شجاعة عليّ، وسخاء حاتم، بل هو أشهر وأظهر، ولا يعاند فيه إلا من طُمس بصرُه.

٢ ـ ومنها قصة مريم من جهة حَبَلها من غير زوج، وحصول الرطب الطريّ من الجذع اليابس، ووجود الرزق عندها في غير أوان حضور أسبابه، وهي لم تكن نبيّة لاشتراط الذكورة في النبي.

٣ ـ ومنها قصة أصحاب الكهف، فإن لبثَهم ثلاثة مائة سنة وزيادة نياماً، وهم أحياء من غير شراب ولا غذاء من جملة الخوارق، ولم يكونوا أنبياء، ولم تكن الحادثة معجزة، فتعيَّن أنها كرامة.

٤ ـ ومنها قصة «آصف بن برخيا» مع سليمان عليه السلام في حمل عرش بلقيس إليه، قبل أن يرتدّ إليه بصره، ولم يكن نبياً.. ولو أراد المرء استيعاب الكرامات، لما كفته أوساق المال، ولا أوراق أحمال. اهـ. باختصار.

وَذلِكَ فـي ذَاتِ الإلـهِ وَإنْ يَشَـأْ   يُبَارِكْ عَلى أوْصَالِ شَلْوٍ مُمَزَّعِ

وَكَانَ «خُبَيْبٌ» هُوَ سَنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْراً الصَّلاةَ، وَأَخْبَرَ ـ يعني النَّبيَّ ﷺ ـ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُصيبُوا خَبَرَهُمْ، وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلى «عاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ» حِينَ حُدِّثوا أَنَّهُ قُتِلَ أنْ يُؤْتَوا بشَيءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ، وَكَانَ قَتَلَ رَجُلاً مِنْ عُظَمَائِهِمْ، فَبَعَثَ اللّه لعاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ[1]، فَلَمْ يَقْدرُوا أنْ يَقْطَعُوا مِنهُ شَيْئاً» رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

قَوْلُهُ: «الهَدْأَةُ»: موضِعٌ. «والظُّلَّةُ»: السَّحابُ. «الدَّبْرُ»: النحلُ. وَقَوْلُهُ: «اقْتُلْهُمْ بِدَداً» جمع بَدَّةٍ ومعناه: اقْتُلْهُمْ مُتَفَرِّقِينَ في القَتْلِ، وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ مِنَ التَّبْدِيدِ.

وفي البابِ أحاديثُ كَثِيرةٌ صَحِيحَةٌ سبقتْ في مَوَاضِعِها مِنْ هذا الكِتَابِ، مِنها حديثُ الغُلامِ، الذي كانَ يَأْتي الرَّاهِبَ وَالسَّاحِرَ، وَمِنْها حديثُ جُرَيْجٍ، وحَدِيثُ أَصْحَابِ الغارِ الذِينَ أَطْبَقَتْ عَلَيْهِمُ الصَّخْرَةُ، وحديثُ الرَّجُلِ الذي سَمِعَ صَوتاً في السَّحَابِ يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، وَغَيْرُ ذلكَ، والدَّلائِلُ في الباب كثيرةٌ مَشْهُورَةٌ، وباللّه التَّوْفِيقُ.

١٥٠٨ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّه عَنْهُمَا قَالَ: «مَا سَمِعْتُ عُمَرَ رَضيَ اللّه عَنْهُ يَقُولُ لِشَيءٍ قَطُّ: إنِّي لأَظُنُّهُ كَذا إلّا كَانَ كَما يَظُنُّ»[2] رَوَاهُ البُخَارِي.

❁ ❁ ❁

---

(١) هذه من الكرامات لعاصم رضي اللّه عنه، حيث أرسل اللّه عزّ وجلّ سحابة من النحل، تلسع من أراد الاقتراب منه، وبذلك حماه اللّهُ أن ينالوا شيئاً من جسده، ليشفوا ما في صدورهم من الحقد الدفين، على هذا البطل المغوار.

(٢) هذه من الكرامة لسيدنا عمر رضي اللّه عنه، حيث كان من الملهمين، وكانت له فِراسةٌ في ما يقوله أو يعتقده، في الأشخاص، والأمور التي يُبْديها، وهذا كلّه من أثر نور الإخلاص والإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح: «اتقوا فِراسةَ المؤمن، فإنه ينظر بنورِ اللّه».

كتاب الأمور المنهي عنها

باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللِّسان

قَالَ اللَّه تَعَالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ(١) وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وَقَالَ تَعَالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وَقَالَ تَعَالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ، أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ الكَلامِ، إلا كَلاماً ظَهَرَتْ فيهِ المَصْلَحَةُ، وَمَتى اسْتَوَى الكَلامُ وَتَرْكُهُ في المَصْلَحَةِ، فالسُّنَّةُ الإمْسَاكُ عَنْهُ، لأنَّهُ قَدْ يَنْجَرُّ الكَلامُ المُباحُ إلى حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، وَذلكَ كَثِيرٌ في العَادَةِ، وَالسَّلامَةُ لا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ.

١٥٠٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّه وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً، أَوْ لِيَصْمُتْ» مُتَّفَقٌ عليه.

وَهذا الحَدِيثُ صَرِيحٌ في أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لا يَتَكَلَّمَ إلَّا إذا كَانَ الكَلامُ خَيْراً، وَهُوَ الّذي ظَهَرَتْ مَصْلَحَتُهُ، وَمَتى شَكَّ في ظُهُورِ المَصْلَحَةِ، فَلا يَتَكَلَّمُ.

١٥١٠ ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: «قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّه أيُّ

---

(١) مثّل القرآن الكريم لقبح الغيبة وشناعتها، بتمثيل مخيف مفزع!! إنسانٌ جلس أمام جُثّة ميّت، ينهش ويأكل من لحمها، واللحم ليس مشوياً وإنما هو نيّئ، وليس لحم شاة أو بقرة، إنما هو لحم إنسان، وهذا الإنسان الذي يأكل لحمه، أخ له في الدين والإسلام، ويالَه من تمثيل قبيح شنيع، للمغتابين للناس!!

المُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ »[١] مُتَّفَقٌ عليه.

١٥١١ ـ وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ »[٢] مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٥١٢ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فيهَا[٣]، يَزِلُّ بهَا إلى النَّارِ، أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ » مُتَّفَقٌ عليه.

ومعنى: «يَتَبَيَّنُ » يُفكِّرُ أَنَّهَا خَيْرٌ أَمْ لا.

١٥١٣ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ العَبْدَ ليَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِن رِضْوَانِ اللَّه تَعَالى، مَا يُلْقِي لهَا بَالاً يَرْفَعُهُ اللَّه بهَا دَرَجَاتٍ، وَإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّه تَعَالى، لا يُلْقِي لهَا بَالاً يهْوِي بهَا في جَهَنَّم » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٥١٤ ـ وَعَنْ أَبي عَبْدِ الرَّحمنِ «بِلالِ بْنِ الحَارِثِ المُزَنيِّ» رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوان اللَّه تَعَالى، مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّه لَهُ بهَا رِضْوَانَهُ إلى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّه مَا كَانَ يَظُنُّ أَن تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللَّه لَهُ بهَا سَخَطَهُ إلى يَوْمِ يَلْقَاهُ » رَوَاهُ مالكٌ في «المُوَطَّأ» والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٥١٥ ـ وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّه رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: «قُلْتُ يا رَسُولَ اللَّه، حَدِّثني بأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ! قَالَ: قُلْ رَبِّيَ اللَّه، ثُمَّ اسْتَقِمْ »[٤] قُلْتُ: يَا رَسُولَ

---

(١) «سلم المسلمون من لسانه ويده» يعني سلموا من أذاه، وخصَّ اللسانَ واليدَ بالذكر، لأنهما الأصلُ في ذلك، فالقولُ باللسان، والفعل باليد.

(٢) «من يضمن لي ما بين لحييه ورجليه» أي من يلتزم لي بحفظ لسانه، وفرجه، أضمنْ له الجنة!! والمراد أن لا يتكلم اللسانُ بالقبيح، وألّا يقع الإنسان بفاحشة الزنى.

(٣) «ليتكلم بالكلمة ما يتبيَّن فيها» أي يتكلم بالكلام القبيح السافل، أو بالكلام المحرَّم، لا ينتبه إلى ما فيها من النتيجة الوخيمة، يهوي بها في النار، أبعد مما بين المشرق والمغرب، وقد جاء في الرواية الأخرى «يتكلم بالكلمة من سخط اللَّه» أي ممّا يسخط اللَّه تعالى كالاستهزاء بالدين، أو الوقوع بأعراض المؤمنين.

(٤) «قل ربي اللَّه ثم استقم» أي ائت بالأساس أولاً، وهو الإيمان بوحدانية اللَّه تعالى، ثم استقم على شريعة اللَّه، بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، وفي الحديث الشريف اقتباس من مشكاة القرآن ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

اللَّه مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: هذا» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

١٥١٦ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لا تُكْثِرُوا الكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّه، فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلام بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّه تَعَالى، قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ! وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّه القلبُ القَاسِي»[١] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ.

١٥١٧ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ وَقَاهُ اللَّه شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، دَخَلَ الجَنَّةَ» رَوَاهُ التِّرمِذي وقال: حَديثٌ حَسَنٌ.

١٥١٨ ـ وَعَن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ[٢]، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ[٣]، وَابْكِ عَلى خَطِيئَتِكَ»[٤] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١٥١٩ ـ وَعَنْ أَبي سَعيدِ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إذا أصْبَحَ ابنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ[٥]، تَقُولُ: اتَّقِ اللَّه فينَا، فَإِنَّما نحنُ بِكَ: فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمنا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ.

معنى «تُكَفِّرُ اللِّسَانَ»: أَيْ تَذِلُّ وَتَخْضَعُ لَهُ.

١٥٢٠ ـ وَعَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه، أَخْبرني

---

(١) «القلبُ القاسي» أي أبعدُ الناس عن رحمة اللَّه ورضوانه القلبُ القاسي، فإنه لقساوته لا يأتمر بخير، ولا ينزجر عن شر.

(٢) «أمسكْ عليك لسانك» أي احفظ لسانك عن كل منكرٍ وقبيح، ولا تتكلم إلّا بما فيه نفع وخير، قال الشاعر:

احفَظْ لِسَانَكَ أيُّها الإنسانُ لا يَلْدغَنَّكَ إنه ثُعْبَانُ

(٣) «ولْيَسَعك بيتُك» أي اشتغل بما يعنيك، واعتزل الأشرار والفجار.

(٤) «وابك على خطيئتك» أي اندم على ما فعلتَ، وابكِ على الذنب الذي اقترفته، ليغفر اللَّهُ لك ذلك.

(٥) «تكفّر اللسانَ» أي تنسب إليه كلَّ عمل، وتذلُّ له وتخضع، فتقول: إنما نحن لك تَبَعٌ، إن أحسنتَ أحسنَّا، وإن أسأتَ أسأنا!! والإنسانُ بأصغريه: قلبه، ولسانه، قال الشاعر:

لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ ونِصْفٌ فُؤَادُه فَلَمْ يَبْقَ إلّا صُورَةُ اللَّحْمِ والدَّمِ

بِعَمَلٍ يُدْخِلُني الجَنَّة، ويُبَاعِدُني مِنَ النَّارِ[١]!! قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّه تَعالى علَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّه لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً[٢]، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُ البَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلا أُدُلُّكَ على أَبْوَابِ الخَيْرِ[٣]؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ[٤]، وَالصَّدَقَةُ تُطْفيءُ الخَطِيئَةَ، كَما يُطْفِيءُ المَاءُ النَّارَ[٥]، وَصَلاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ[٦] ثُمَّ تَلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧]. ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ، وَعمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلى يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنامِهِ الجِهَادُ[٧]، ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذلكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلى يَا رَسُولَ اللَّه، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هذا؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ[٨]! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في

---

(١) «يدخلني الجنة ويباعدني من النار» أي أخبرني عن عملٍ إذا عملتُه، يكون سبباً لدخولي الجنة، والبعد عن نار جهنم!.

(٢) «تعبدُ اللَّهَ» أي هذا الشيء الذي تطلبه، هو أن تعبد اللَّه تعالى، وتحافظ على ما افترضه عليك، من الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وغير ذلك من التكاليف الشرعية.

(٣) «ألا أدلك على أبواب الخير» أي هل تريد أن أرشدك إلى وجوه البر والخير؟

(٤) «الصوم جُنَّة» أي وقايةٌ لك، وسترٌ من نار جهنم.

(٥) «والصدقةُ تطفئ الخطيئة» أي تُذهب أثرها من العذاب المترتب عليها.

(٦) «وصلاةُ الرجلِ من جوف الليل» أي قيامُ الرجل وتهجُّده والناس نيامٌ، من أفضل القُربات عند اللَّه تعالى، وتلا الآية الكريمة كشاهد على فضل الصلاة في جوف الليل: **﴿تَتَجافَى جنُوبُهُمْ عن المَضاجِعِ يَدْعُونَ ربَّهم خوفاً وطَمَعاً ومِمَّا رزَقْناهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعلَمُ نَفسٌ مَا أُخفِيَ لهم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [السجدة: ١٦ ـ ١٧]. والمعنى: أن هؤلاء المحسنين، تَتَنحَّى وتتباعد أطرافهم عن الفُرُش، ومواطن النوم، لأنهم يتهجَّدون بالصلاة، ويتركون لذيذ النوم، خوفاً من عذاب اللَّه، وطمعاً في رحمته، فلا يعلم أحدٌ ما أعدَّ اللَّه لهم من النعيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، قال القائل:

اغْتَنِمْ في الظَّلَام فَضْلَ رُكُوع ... فَعَسى أن يَكُونَ موتُكَ بَغْتَةْ

كَمْ صَحِيحٍ ألفيتُ من غَيْرِ سُقْمٍ ... ذَهَبَتْ نفسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَةْ

(٧) «ذِرْوةُ سَنَامه» أي أعلا سنام الإسلام، الجهادُ في سبيل اللَّه، شبَّه الإسلام بالجمل، له في ظهره سَنَم، فأعلى مراتبه الجهاد، كما أن أعلى شيء في الجمل سنامه، وهو الحَدَبَةُ المرتفعة في ظهر الجمل.

(٨) «ثكلتك أمك» أي فقدتك أمُّك، ولا يراد به الدعاء عليه بالموت، ولكنْ الغرضُ منه التنبيهُ على خطر الأمر، وعِظَم شأنه، وهذا من أساليب العرب في التحذير من الأمر الخطير.

النَّارِ عَلى وَجُوهِهِمْ إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟ »[١] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وقد سبق شرحه في باب قبل هذا.

١٥٢١ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ « أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الغِيبَةُ؟[٢] قَالُوا: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ!! قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ[٣] قِيلَ: أَفرأَيْتَ إنْ كانَ في أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إنْ كانَ فِيهِ ما تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإنْ لَمْ يَكُنْ فيهِ ما تقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ »[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٥٢٢ ـ وَعَنْ أَبي بَكْرَة رضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ في خُطْبَتِهِ يَوْمَ النَّحرِ بمِنى، في حَجَّةِ الوَدَاعِ: « إنَّ دِماءَكم، وَأَمْوَالكم، وَأَعْرَاضَكُمْ، حَرامٌ عَلَيْكم، كَحُرْمَةِ يَومِكُم هذا، في شهرِكُمْ هذا، في بَلَدِكُم هذا، ألا هَلْ بَلَّغْتُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٥٢٣ ـ وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قَالَتْ: « قُلْتُ لِلنَّبيِّ ﷺ حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّة كَذَا وَكَذَا. ! قَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: تعْني قَصِيرَةَ ـ فقالَ: لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لو مُزِجَتْ بمَاءِ البَحْرِ لَمزَجَتْه![٥] قَالَتْ: وَحَكَيْتُ له إنسَاناً فَقَالَ: ما أُحِبُّ أَني حَكَيْتُ إنْسَاناً، وَإنَّ لي كَذَا وَكَذَا » رَوَاهُ أَبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

ومعنى: « مَزَجَتْهُ » خالطتهُ مُخَالَطةً يَتَغَيَّرُ بهَا طَعْمُهُ، أَوْ رِيحُهُ لِشِدَّة نَتَنها وَقُبحِها، وَهَذا الحديث مِنْ أَبلَغَ الزَّوَاجِرِ عَنِ الغِيبَةِ، قَالَ اللَّه تَعَالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣].

---

(١) «هل يكبُّ الناسَ إلّا حصائد ألسنتهم» أي لا يُلقيهم ويقلبهم في نار الجحيم، إلّا ما يتكلمون به من ساقط الكلام، شبّه الكلام بالزرع، واللسانُ يحصد هذا الزرع، ويكون سبباً لشقاء الإنسان.

(٢) «أَتَدْرُونَ ما الغِيبة»؟ استفهام يراد به التنبيه إلى ضخامة الأمر وفداحته، أي هل تعرفون ما هي حقيقة الغيبة التي حرمّها اللّه؟

(٣) «ذكركَ أخاكَ بما يكرهُ» أي أن تذكر أخاك المسلم بما يكرهه.

(٤) «فقد بَهَتّه» أي افتريتَ عليه الكذب، واتهمته باتهام شنيع، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

(٥) «لو مُزِجَتْ بماءِ البحرِ لَمَزَجَته» هذا من التشبيه المقلوب أي لو خُلِط ماءُ البحر بها لغيّرت طعمه وريحه، لشدة نتنها وقُبحها، فإذا كانت هذه الكلمة بهذه المثابة من القبح والشناعة، فكيف بما هو أعظم منها وأضخم؟

١٥٢٤ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لمَّا عُرِجَ بي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لهُم أَظْفَارٌ مِنْ نُحاسٍ، يَخْمِشُونَ وجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هؤلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هؤُلاءِ الّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النّاسِ[1]، وَيَقَعُونَ في أَعْرَاضِهِمْ!» رَوَاهُ أبو داود.

١٥٢٥ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ «كُلُّ المُسلِمِ عَلى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وعِرضُهُ، وَمالُهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

باب في تحريم سَماع الغيبة وأمر من سمع غيبة محرَّمة بردِّها والإنكار على قائلها فإن عجز أو لم يقبل منه فارق ذلك المجلس إن أمكنه

قَالَ اللَّه تَعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣].

وَقَالَ تَعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وَقَالَ تَعَالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

١٥٢٦ ـ وَعَنْ أَبي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ[2]، رَدَّ اللَّه عَنْ وجْهه النَّارَ يَوْمَ القِيامَةِ»[3] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١٥٢٧ ـ وَعَنْ عِتْبَانَ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ ـ في حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ المَشْهورِ

---

(١) «يأكلون لحومَ الناس» أي يغتابون الناس وينهشون في أعراضهم، شُبِّهت الغيبة بأكل اللحم، بجامع التلذذ في كلٍّ، واستُعير أكلُ اللحم للتحدث عن الإنسان في غيبته.

(٢) «من ردَّ عن عِرْضِ أخيه» أي دافع عنه ومنع من أراد اغتيابه.

(٣) «ردَّ اللَّهُ عن وجهه النَّارَ» أي حماه اللَّه من نار جهنم جزاء دفاعه عن أخيه المسلم، وفي رواية أخرى «كان حقاً على اللَّه أن يردَّ عن عرضه يوم القيامة».

الَّذي تقدَّمَ في بَابِ الرَّجاءِ[(١)] ـ قَالَ: «قَامَ النَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي فقَالَ: أَيْنَ مالِكُ بْنُ الدُّخْشُمِ؟ فَقَالَ رجُلٌ: ذلكَ مُنَافِقٌ لا يُحِبُّ اللَّه وَلا رَسُولَهُ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: لا تَقُلْ ذلكَ، أَلا تَراهُ قدْ قَالَ: لا إلهَ إلَّا اللَّه يُريدُ بِذلكَ وجْهَ اللَّه! وإنَّ اللَّه قدْ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إله إلَّا اللَّه يَبْتَغِي بِذلكَ وَجْهَ اللَّه» مُتَّفَقٌ عليهِ.

«وعِتبانُ» بكسر العين على المشهور، وحُكِيَ ضمُّها، و«الدُّخْشُمُ» بضم الدال وإسكان الخاءِ.

١٥٢٨ ـ وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، في حَدِيثِهِ الطَّويلِ في قصةِ تَوْبَتِهِ ـ وقد سَبَقَ في باب التَّوْبَة ـ قالَ: «قَالَ النَّبيُّ ﷺ وَهُو جَالِسٌ في القَوْمِ بِتَبُوكَ: ما فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَني سَلِمَةَ: يا رَسُولَ اللَّه حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، والنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ[(٢)]! فَقَالَ لَهُ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: بِئْسَ ما قُلْتَ، واللَّه يَا رَسُولَ اللَّه مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إلَّا خَيْراً، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّه ﷺ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

«عِطْفَاهُ» جانِبَاهُ، وهو إشارةٌ إلى إعجابِهِ بنفسِه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في ما يُباح منَ الغيبَة

اعْلَمْ أَنَّ الغِيبَةَ[(٣)] تُبَاحُ لِغَرَضٍ صَحيحٍ شَرْعي، لا يُمْكِنُ الوصولُ إلَيْهِ إلَّا بهَا، وهُوَ سِتَّةُ أَسْبَابٍ:

---

(١) تقدم الحديث في باب الرجاء رقم (٤١٧) مع شرحه، وأورد بعضَه المصنف هنا لينبّه على فخامة ما قاله الرجل في «مالِكِ بنِ الدُّخْشُم» وعظمه في الإثم، ولهذا نهاه النبي ﷺ عند ذلك القول: إنه منافق، واعتبرها من نوع الغيبة المحرَّمة.

(٢) «حَبَسَه برداهُ والنظرُ في عِطفيه» أي منعه من الخروج للغزو، الإعجابُ بملابسه الزاهية، والإعجابُ بنفسه، وأصلُ العِطف: الجانبُ، وهو كناية عن الكبرياء والخيلاء، قال تعالى: ﴿ثانيَ عِطفهِ ليُضِلَّ عن سَبيلِ اللَّه﴾ وكعبُ هو أحدُ الثلاثة الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك وقد تاب اللَّه عليه بقوله: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ وقد دافع عن «كعب» معاذُ بنُ جبل، فقال للقائل: بئس ما قلتَ!! واللَّهِ ما علمنا عليه إلا خيراً، فبرّأه من النقائص المريبة.

(٣) **تنبيه هام**: نبّه المصنِّف إلى أن الغيبة تجوز لأغراضٍ شرعية:

الأول: التظلم إلى السلطان أو القاضي لإنصافه من ظالمه.

الثاني: رفع الأمر إلى الحاكم لتغيير المنكر.

الثالث: الاستفتاء كقول المرأة: هل يجوز لأخي أن يمنعني من الزواج؟

الرابع: تحذير المسلمين من أهل البغي والفجور، كقوله: احذر فلاناً فإنه غير أمين. =

الأوَّلُ: التَظَلُّمُ، فَيَجُوزُ للمَظْلُومِ، أَنْ يَتَظَلَّمَ إلى السُلْطَانِ والقَاضِي وغَيْرِهِمَا، مِمَّنْ لَهُ وِلايَةٌ، أو قُدْرَةٌ على إنْصَافِهِ مِنْ ظَالِمِهِ، فَيَقُولُ: ظَلَمَني فُلانٌ بكَذا.

الثَّاني: الاسْتِعَانَةُ عَلى تَغْييرِ المُنْكَرِ، وَرَدِّ العاصي إلى الصَّوابِ، فيقول لمنْ يَرْجُو قُدْرَتَهُ عَلى إزالةِ المُنْكَرِ: فُلانٌ يَعْمَلُ كذا، فازْجُرْهُ عنهُ ونحو ذلِكَ وَيَكُونُ مَقْصُودُهُ التَّوصُّلَ إلى إزالَةِ المُنْكَرِ، فإنْ لَمْ يَقْصِدْ ذلكَ كَانَ حَرَاماً.

الثَّالِثُ: الاستِفْتَاءُ، فَيَقُولُ لِلْمُفْتِي: ظَلَمني أَبي، أَوْ أَخِي، أَوْ زَوْجِي أَوْ فُلانٌ بكذا، فَهَلْ لَهُ ذَلكَ؟ وما طَرِيقي في الخلاصِ مِنْهُ، وَتَحْصيلِ حَقِّي، وَدَفْعِ الظُّلْمِ؟ ونحو ذلكَ، فَهذَا جَائِزٌ للْحَاجَةِ، ولكِنَّ الأَحْوَطَ وَالأَفْضَلَ أَنْ يَقُولَ: مَا تَقُولُ في رَجُلٍ أَوْ شَخْصٍ، أَوْ زَوْجٍ، كَان مِنْ أَمْرِهِ كَذَا؟ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ الغَرَضُ مِنْ غَيْرِ تَعْيينٍ ومَعَ ذلكَ، فالتَّعْيِينُ جائِزٌ، كما سَنَذْكُرُهُ في حَدِيثِ هِنْدٍ إنْ شاءَ اللَّه تَعَالى.

الرَّابعُ: تَحْذيرُ المُسْلِمِينَ مِنَ الشَّرِّ ونَصِيحَتُهُمْ، وذلكَ مِنْ وُجُوهٍ:

منها جَرْحُ المَجْرُوحِينَ مِنَ الرُّوَاةِ والشُّهُودِ، وذلك جائِزٌ بإجْمَاعِ المُسْلِمِينَ، بَلْ واجِبٌ لِلْحَاجَةِ.

ومنها المُشَاوَرَةُ في مُصَاهَرَةِ إنْسانٍ، أَوْ مُشَارَكَتِهِ، أَوْ إيدَاعِهِ، أَوْ مُعَامَلَتِهِ، أَوْ غَيْرِ ذلِكَ، أَوْ مُجَاوَرَتِهِ، وَيَجِبُ عَلى المُشَاوَرِ أنْ لا يُخْفِيَ حَالَهُ، بَلْ يَذْكُرُ المَساوِىء الَّتي فيهِ بنيَّةِ النَّصِيحَةِ.

ومنها إذا رأَى مُتَفَقِّهاً يَتَرَدَّدُ إلى مُبْتَدِعٍ، أَو فاسِقٍ يأْخُذُ عنهُ العِلْمَ، وخافَ أنْ يَتَضرَّرَ المُتَفَقِّهُ بذلكَ، فَعَلَيْهِ نَصيحَتُهُ ببيَانِ حالِهِ، بشَرْطِ أَنْ يَقْصِدَ النَّصِيحَةَ، وهذا مِمَّا يُغَلَّطُ فيهِ، وقدْ يَحْمِلُ المُتَكَلِّمَ بذلكَ الحَسدُ، ويُلَبِّسُ الشَّيْطانُ عليهِ ذلكَ، ويُخَيِّلُ إلَيْهِ أَنَّهُ نَصِيحةٌ فَلْيَتَفطَّنْ لذلكَ.

= **الخامس**: المجاهرة بالبدعة والفسق، كالمجاهر بشرب الخمر، والمباهي ببدعته.

السادس: ذكر الإنسان باللقب للتعريف به كفلان الأعمى، أو الأعرج، فهذه ستة أسباب لجواز الغيبة، وقد جمعها بعضهم بقوله:

القدحُ ليس بغيبةٍ في ستَّةٍ ... متظلمٌ، ومعرِّفٌ، ومحذِّرُ
ومجاهرٌ بالفسق، ثمَّة سائل ... ومن استعانَ على إزالة منكر

ومنها أن يكونَ لَهُ وِلايَةٌ لا يقومُ بها عَلى وَجْهِها: إمَّا بأنْ لا يكونَ صالحاً لها، وإمَّا بأنْ يكونَ فاسِقاً، أو مُغَفَّلاً، ونحوَ ذلكَ فَيَجِبُ ذِكْرُ ذلكَ لمنْ لَهُ عليهِ ولايَةٌ عامَّةٌ ليُزيلَهُ، وَيُوَلِّيَ مَنْ يَصْلُحُ، أوْ يَعْلَمَ ذلكَ منه لِيُعَامِلَهُ بمُقْتَضَى حالِهِ، ولا يَغْتَرَّ بهِ، وَأَنْ يَسْعَى في أَنْ يَحُثَّهُ عَلى الاسْتِقَامَة أَوْ يَسْتَبدلَ بهِ.

الخَامسُ: أنْ يَكُونَ مُجَاهراً بِفِسْقِهِ أوْ بِدْعَتِهِ كالمُجَاهِرِ بشُرْبِ الخمرِ، ومُصَادَرَةِ النَّاس، وأَخْذ المَكْسِ، وجِبايَةِ الأَمْوالِ ظُلْماً، وتَوَلِّي الأُمُورِ الباطِلَةِ، فيجوزُ ذِكْرُهُ بما يُجَاهِرُ بِهِ، وَيَحْرُمُ ذِكرُهُ بغَيْرِهِ مِنَ العُيوبِ، إلَّا أَنْ يكونَ لجَوازِهِ سَبَبٌ آخرُ ممَّا ذَكَرْناهُ.

السَّادسُ: التَّعْريفُ، فَإذَا كانَ الإنْسَانُ مَعْروفاً بلَقَبٍ، كالأعمشِ والأعْرَجِ والأصَمِّ، والأعْمَى، والأحْولِ، وغَيْرِهِمْ جازَ تَعْرِيفُهُمْ بذلكَ، وَيَحْرُم إطْلاقُهُ عَلى جِهَةِ التَنَقُّيصِ، ولو أمكنَ تَعريفُهُ بغَيْرِ ذلكَ كانَ أولى.

فهذه سِتَّةُ أسبابٍ ذكَرَها العلماءُ، وأَكثرُها مُجمَعٌ عليهِ، ودَلائلُها منَ الأحاديثِ الصَّحِيحَةِ مشهورةٌ. فمن ذلكَ:

١٥٢٩ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا «أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلى النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ: ائذَنُوا لَهُ، بئسَ أَخُو العَشِيرَةِ!» مُتَّفَقٌ عليهِ.

اخْتَجَّ بِهِ البخاري في جَوازِ غِيبةِ أهلِ الفَسَادِ وأهلِ الرِّيبِ.

١٥٣٠ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَا أَظُنُّ فُلاناً وفُلاناً يَعْرِفَانِ مِنْ دِيننا شَيْئاً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

قَالَ اللَّيثُ بْنُ سَعْدٍ ـ أحَدُ رُواةِ هذا الحَدِيثِ ـ هذَانِ الرَّجُلانِ كَانَا مِنَ المُنَافِقِينَ.

١٥٣١ ـ وَعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا قَالَتْ: «أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ، فقلتُ: إنَّ أَبَا الجَهْمِ وَمُعَاوِيَةَ خَطباني؟ فقالَ رسولُ اللَّه ﷺ: أَمَّا مُعَاوِيَةُ، فَصُعْلُوكٌ لا مَالَ له[١]، وأمَّا أَبُو الجَهْمِ، فلا يَضَعُ العَصَا عَنْ عاتِقِهِ»[٢] مُتَّفَقٌ عليهِ.

---

(١) «فصعلوك لا مال له» الصعلوكُ: الفقيرُ الذي لا مال له.

(٢) «لا يضع العصا عن عاتقه» كناية عن ضربه للنساء، وقد فسَّرتها رواية مسلم «أمَّا أبو جهم فضرّاب للنساء» ولا يُعَدُّ هذا غيبة، لأن الغرض منه بيان أحوالِ كلٍّ من الخاطبين للنصح والتذكير.

وفي روايةٍ لمسلم: «وأَمَّا أَبُو الجَهْمِ فَضَرَّابٌ للنِّسَاءِ» وهو تفسير لرواية «لا يضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ» وقيل: معناه: كثيرُ الأسفارِ.

١٥٣٢ ـ وعنْ زيْدِ بنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّه عنهُ قالَ: «خَرَجْنَا معَ رسولِ اللَّه ﷺ في سَفَرٍ أَصَابَ النَّاسَ فيهِ شِدَّةٌ، فقالَ عبدُ اللَّه بنُ أُبَيٍّ: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ وقال: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾[1] [الانفال: ٧، ٨]، فَأَتَيْتُ رسولَ اللَّه ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ بذلِكَ، فَأَرسلَ إلى عبدِ اللَّه بنِ أُبَيٍّ، فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ: ما فَعَلَ، فقالوا: كذَبَ زيدٌ رسولَ اللَّه ﷺ، فَوَقَعَ في نَفْسِي مِمَّا قالوهُ شِدَّةٌ حتى أَنْزَلَ اللَّه تعالى تَصْدِيقي: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون: ١] ثم دعاهم النبيُّ ﷺ لِيَسْتَغْفِر لهم فَلَوَّوْا رُؤوسَهُمْ»[2] مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٥٣٣ ـ وعنْ عائشةَ رضيَ اللَّه عَنهَا قالتْ: «قالتْ هِندُ امْرَأَةُ أبي سُفْيَانَ للنبيِّ

---

(١) ﴿لَئِن رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنهَا الأَذَلَّ﴾ هذه مقالة الشقيِّ الفاجر (ابن سلول) رأس المنافقين، أراد بالأعزِّ نفسه، وبالأذلِّ رسولَ الله ﷺ، وذلك في عودته من غزوة (بني المصطلق) ولمَّا بلغ الخبرُ رسولَ الله ﷺ، أرسل إليه وإلى أصحابه، فحلفوا ما قالوا، فنزل القرآن الكريم يخبر بما تحدثوا به من الفجور، فقال عمر: دَعْني يا رسول الله أضربُ عُنق هذا المنافق!! فقال له ﷺ: دعه يا عمر، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟

(٢) «لَوَّوْا رؤوسَهم» أي حرَّكوا رؤوسهم وأمالوها، استهزاءً واستكباراً، كأنهم يقولون: من هو رسول اللَّه؟ وما قيمةُ استغفاره؟ ورُوي أنه لمَّا نزلت هذه الآيات في حقِّ المنافق «ابن سلول» جاء ولده «عبد اللَّه» إلى رسول اللَّه ﷺ ـ وكان مؤمناً صادق الإيمان ـ فقال يا رسولَ اللَّه: بلغني أنك تريد قتل أبي!! فمرني فأنا آتيك برأسه، وإني أخشى أن تأمر غيري فيقتله، فلا تطاوعني نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي، فأقتلَ مسلماً بكافر!! فقال له ﷺ: بل نترفَّق به ونحسنُ صحبته ما دام فينا، فانصرف ابنه ووقف لأبيه في الطريق وهو راجع من السفر، فلما وصل أبواب المدينة استلَّ الولد سيفه وقال لأبيه: ارجع وراءك!! فقال له: ويْلَكَ مالك؟ قال: لا واللَّه لا تدخل المدينة حتى يأذن لك محمد ﷺ بدخولها، وتشهد على نفسك أنك أنت الذليلُ المهين، وأن محمداً هو الأعزُّ الأكرم، فشهد على نفسه بالذلة والمهانة وللرسول ﷺ بالعزة والكرامة، وطار الخبر إلى رسول اللَّه ﷺ فأذن له بدخول المدينة، وحقاً إنه لموقف عظيم مشرِّف، لهذا الولد المؤمن الصادق، تتجلى فيه روعة الإيمان.

ﷺ: إنَّ أَبا سُفيَانَ رجلٌ شَحِيحٌ[١] وَلَيْسَ يُعْطِيني ما يَكْفِيني وولَدِي إلَّا ما أَخَذْتُ مِنه، وهوَ لا يَعْلَمُ[٢]؟ قالَ: خُذِي ما يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بالمَعْرُوفِ»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم النّميمة
وهي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد

قال الله تَعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾[٤] [القلم: ١١].

وقالَ تَعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

١٥٣٤ ـ وَعنْ حُذَيْفَةَ رضيَ اللَّه عنهُ قالَ: قال رسُولُ اللَّه ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٥٣٥ ـ وَعَنِ ابنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُما «أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ: مَرَّ بِقَبْرَيْنِ فقال: إنَّهُمَا يُعَذَّبانِ، وما يُعَذَّبانِ في كَبيرٍ![٥] بَلى إنَّهُ كَبيرٌ: أَمَّا أَحَدُهمَا، فَكَانَ يَمشي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخرُ فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَولِهِ» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظ إحدى روايات البخاري.

قالَ العُلَمَاءُ: مَعْنى: «وَمَا يُعَذَّبَانِ في كَبيرٍ» أَيْ: كَبِيرٍ في زَعْمِهِما وقيلَ: كَبِيرٌ تَرْكُهُ عَلَيهِما.

١٥٣٦ ـ وعنِ ابن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «ألا أُنَبِّئُكُمْ ما العَضْهُ[٦]؟ هيَ النَّمِيمَةُ، القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «رجلٌ شحيح» أي شديد البخل لا يعطيني ما يكفيني من النفقة.

(٢) «إلَّا ما أخذت منه وهو لا يعلم» أي إلَّا ما أخذتُه من ماله دون علمه.

(٣) «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» أي بالإحسان من غير سَرَف ولا تقتير، والقصدُ من الحديث: الاستدلالُ بجواز الحديث عن الغير، على وجه الاستفتاء.

(٤) ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ نزلت في «الوليد بن المغيرة» أي مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن فيهم والعيب، يمشي بيْن الناس بالنميمة، وهي نقل الكلام من إنسانٍ إلى آخر، لإيقاع الفتنة بينهم.

(٥) «وما يُعذَّبان في كبيرٍ» أي لا يتعذَّبُ هذان في قبرهما بأمر كبير، قد كان بإمكانهما تجنُّبه، ومن السهل جداً تركُه، وقولُه: «لا يستتر من البول» أي لا يهتم بالنزاهة من البول، وفي رواية لمسلم «لا يستنزه».

(٦) «العَضْهُ» أصلُه البهتانُ والافتراءُ، ويُراد به هنا: نقلُ الحديث للإفساد بين الناس بطريق النميمة، وقديماً قالوا: من نمَّ لك، نمَّ عليك.

« العَضْهُ»: بفَتْح العينِ المُهْمَلَةِ، وإسْكانِ الضَّادِ المُعْجَمَةِ، وبالهاءِ على وزنِ الوجهِ، ورُوي: « العِضَةُ» بِكَسْرِ العَيْنِ وفَتْح الضَّادِ المُعْجَمَةِ عَلى وَزْنِ العِدَةِ، وهِيَ: الكذِبُ والبُهتانُ، وعَلى الرّواية الأُولى: العَضْهُ مصدرٌ، يقال: عَضَهَهُ عَضهاً، أَي: رماهُ بالعَضْهِ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النهي عن نقل الحديث وكلاَمِ الناس إلى ولاة الأمور إذا لم تَدْعُ إليه حاجة كخوف مفسدة ونحوها

قَالَ اللّه تَعَالى: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢].

وفي الباب الأحاديثُ السابقةُ في البابِ قبلَهُ.

١٥٣٧ ـ وعنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّه عنهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: « لا يُبَلِّغني أَحَدٌ من أَصْحَابي عَنْ أَحَدٍ شَيْئاً، فَإِنّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إلَيْكُمْ وأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ»[1] رَوَاهُ أَبو داودَ، والتِّرمِذِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في ذَمّ ذي الوَجهَيْن

قالَ اللّه تَعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ[2] وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ الآيتين [النساء: ١٠٨ ـ ١٠٩].

---

(١) « أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» أي ليس في صدري ضغينة على أحد، وذلك إنما يتحقق عند عدم سماع الكلام، الذي يتأثر به الطبع البشري، وفي الحديث الحثُّ على الستر، حتى وإن سمع الإنسان ما يؤذي الآخرين.

(٢) ﴿يستخفون من الناس﴾ نزلت في «بني أُبيرق» جاءوا يدافعون عن رجل منهم يسمى «طعمة» سرق درعاً من جاره، وخبأها عند يهودي فألصقوا التهمة باليهودي، ودافعوا عن صاحبهم السارق، وهم يعلمون أن السارق كان منهم، فنزل القرآن ليبرّئ اليهودي، ويُدين هؤلاء الذين تآمروا عليه، وهي قصة من روائع القصص في الانتصار للحق والعدالة، ومعنى الآية: يستترون من الناس خوفاً وحياءً، ولا يستحيون من اللّه وهو العالم بما يدبّرون في الخفاء، من تبرئة صاحبهم المجرم السارق، ورمي اليهودي البريء بتهمة السرقة، وانظر كمال القصة في كتابنا «صفوة التفاسير» الجزء الأول صفحة (٣٠٠).

١٥٣٨ ـ وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ[١] خِيارُهُمْ في الجاهِلِيَّةِ، خِيارُهُمْ في الإسْلام إذا فَقُهُوا، وَتجِدُونَ خِيارَ النَّاسِ في هذا الشَّأنِ[٢] أَشَدَّهُم لَهُ كَرَاهِيَةً، وَتجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ[٣]، الَّذي يَأتي هؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَهؤُلاءِ بِوَجْهٍ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٥٣٩ ـ وعنْ محمدِ بنِ زَيْدٍ أَنَّ نَاساً قَالُوا لجَدِّهِ عبدِ اللَّه بنِ عُمَرَ رَضيَ اللَّه عَنهُما: «إنَّا نَدْخُلُ عَلى سَلاطِينِنا فنقولُ لهُمْ بِخلافِ ما نَتَكَلَّمُ[٤] إذَا خَرَجْنَا مِنْ عِندِهِمْ؟ قالَ: كُنَّا نَعُدُّ هذا نِفاقاً عَلى عَهْدِ رسولِ اللَّه ﷺ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في تحريم الكذب

قالَ اللَّه تَعَالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقالَ تَعَالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

١٥٤٠ ـ وعنِ ابنِ مسعودٍ رَضيَ اللَّه عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البرِّ[٥]، وإنَّ البرَّ يَهْدِي إلى الجنَّةِ، وَإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّه صِدِّيقاً، وَإنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُور، وَإنَّ الْفُجُورَ[٦] يَهْدِي

---

(١) «تجدون الناس معادن» فيه تشبيه بديع، شبَّه الناسَ بالمعادن فيها الذهب والفضة، والنحاس والحديد، والجيِّد والرديء، كذلك البشر فيهم المؤمنُ والكافر، والبَرُّ والفاجرُ، والطيبُ والخبيث.

(٢) «خيارُ الناس في هذا الشأن» يراد بالشأن هنا: الإسلامُ، كان أشدهم كراهية له «عمر بن الخطاب» فلمّا دخل في الإسلام، وأخلص في محبته، جاهد فيه حقَّ الجهاد، وبذل نفسه وماله وروحه في سبيله، وله أمثال كثيرون.

(٣) «ذا الوَجْهَيْن» هو الذي يتظاهر بالمحبة للشخص، وهو يبطن له الكراهية والبغضاء.

(٤) «نقول بخلاف ما نتكلم» يريد أنهم يثنون على الملوك بحضورهم، ويذمُّونهم إذا خرجوا من عندهم، فعدَّه ابن عمر من النفاق، لأنه مخالفة الظاهر للباطن، والمؤمن ينبغي أن يكون صادقاً في جميع أحواله، إلَّا إذا خاف من بطشهم وشرِّهم، فيدخل هذا في باب المداراة، قال تعالى: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾.

(٥) «يهدي إلى البرّ» أي يرشد إلى جميع وجوه الخير، والمراد بالبِرّ فعل كل ما فيه خير، ومصلحة، ونفع للعباد، وطاعة للَّه عزَّ وجلَّ.

(٦) «يهدي إلى الفجور» الفجورُ: اسمٌ جامع للشرّ، كما أن البِرّ اسم جامع للخير.

إلى النَّارِ، وَإن الرجلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عندَ اللَّه كَذَّاباً» مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

١٥٤١ ـ وعَنْ عبدِ اللَّه بنِ عَمرو بْنِ الْعاصِ رَضِيَ اللَّه عَنهُمَا، أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، كانَ مُنَافِقاً خالِصاً[١]، وَمَنْ كانَتْ فيهِ خَصْلَةٌ مِنهُنَّ، كانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ نِفاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا: إذا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإذا حَدَّثَ كَذَب، وَإذا عاهَدَ غَدَرَ، وَإذا خَاصَمَ فَجَرَ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

وقد سبقَ بيانه معَ حديثِ أبي هُرَيْرَةَ بنحوِهِ في «باب الوفاءِ بالعهد».

١٥٤٢ ـ وعنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللَّه عَنهُمَا، عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ[٢]، كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بيْنَ شَعِيرتَينِ وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنِ اسْتَمَعَ إلى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لهُ كارِهُونَ، صُبَّ في أُذُنَيْهِ الآنُكُ[٣] يَوْمَ القِيامَةِ، وَمَنْ صَوَّر صُورَةً، عُذِّبَ، وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فيها الرُّوحَ[٤] وَلَيْسَ بنافِخٍ» رَواهُ الْبُخارِيُّ.

«تَحَلَّم» أي: قالَ إنَّهُ حَلُمَ في نَوْمِهِ، ورَأى كَذا وكَذا، وهو كاذبٌ، و «الآنك» هو الرَّصَاصُ المذابُ.

١٥٤٣ ـ وعن ابنِ عُمَرَ رضيَ اللَّه عَنهُمَا قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «أفْرَى الفِرَى[٥] أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ ما لَمْ تَرَيَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

ومعناه: يقولُ: رأيتُ فيما لم يَرَهُ.

١٥٤٤ ـ وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يقولَ لأصْحَابِهِ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟ فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ

---

(١) «أربع من كنَّ فيه» تقدَّم الحديث مع شرحه في باب الوفاء بالعهد رقم (٦٨٩).

(٢) «من تحلَّم بحلم لم يره» أي ادَّعى كاذباً أنه رأى في منامه رؤيا ولم يكن قد رأى تلك الرؤيا، كُلِّف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بقادر، والمراد أن عذابه يستمر، حتى يُحقِّق ما طُلب منه، وهو أمر مستحيل.

(٣) «صُبَّ في أذنيه الآنُكُ» أي الرصاص المحمي المذابُ، والجزاءُ من جنس العمل.

(٤) «كُلف أن ينفخ فيها الروح» أي ينفخ الروح في الصورة وأن يُحييها وليس بقادر، والحكمة في هذا الوعيد: أن الأول كذب في رؤياه، والرؤيا جزء من النبوَّة، كما ورد به الحديث الصحيح، والثاني نازع الله في الخلق والإيجاد.

(٥) «أفْرَى الفِرَى» الفرى جمع فرية وهي الكذب، أي أكذبُ الكذب وأقبحُه أن يشهد الإنسان على شيء لم يره، أو يزعم حُلْماً لم يره في منامه.

اللَّهُ أنْ يَقُصَّ، وَإنَّهُ قالَ لنا ذاتَ غَدَاةٍ: إنَّهُ أتَاني اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإنَّهُما قالا لي: انطَلِقْ، وَإنِّي انطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإنَّا أتَيْنا عَلى رَجُلٍ مُضْطَجعٍ، وإذا آخَرُ قائمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإذا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ[١]، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَا[٢]، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فلا يَرجِعُ إلَيْهِ حتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَما كانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ ما فَعَلَ المَرَّةَ الأولى! قال: قلتُ لهما: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا هذانِ؟ قالا لي: انطَلِقْ انطَلِقْ، فانطَلَقْنَا، فَأتَيْنَا على رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لقَفَاه وإذَا آخَرُ قائمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَديدٍ[٣]، وإذا هُوَ يَأْتي أحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ، فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إلى قَفَاهُ[٤]، وَمَنْخِرَهُ إلى قَفاهُ، وَعيْنَهُ إلى قَفَاهُ، ثمَّ يَتَحَوَّلُ إلى الجانِبِ الآخَرِ، فَيَفعَلُ بهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالجَانِبِ الأوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذلكَ الجانِبِ حتَّى يَصِحَّ ذلكَ الجانِبُ كما كانَ، ثمَّ يَعُودُ عليْهِ، فَيَفْعَلُ مِثْلَ ما فَعَلَ المَرَّةَ الأُولى قال: قلتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! ما هذانِ؟ قالا لي: انطَلِقْ انطَلِقْ، فَانطَلَقْنَا، فَأتَيْنَا عَلى مِثْلِ التَّنُّورِ ـ فَأَحْسِبُ أنَّهُ قال ـ: فإذا فيهِ لَغَطٌ، وَأصْوَاتٌ، فَاطَّلَعْنَا فيهِ فإذا فيه رِجالٌ ونِساءٌ عُرَاةٌ، وَإذا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أسْفَلَ مِنهُمْ، فإذا أتَاهُمْ ذلكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا[٥]، قلتُ: ما هؤلاءِ؟ قالا لي: انطَلِقْ انطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا فأتينا على نَهرٍ ـ حَسِبْتُ أنَّهُ كانَ يَقُولُ: أحْمَرُ مِثْلُ الدَّمِ ـ وإذا في النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإذا عَلى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَد جَمَعَ عِنْدَهُ حِجارَةً كَثِيرَةً، وإذا ذلكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ ما يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتي ذلكَ الذي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجارَةَ، فَيَفْغَرُ لهُ فاهُ[٦]، فَيُلْقِمُهُ حَجَراً، فَيَنْطَلِقُ فَيَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلَيهِ، كُلَّما رَجعَ إلَيهِ، فَغَرَ لهُ فاهُ، فَألْقَمَهُ حَجَراً! قلت لهما: ما هذانِ؟ قالا لي: انطلِقْ انطلِقْ، فَانْطَلَقْنا، فَأتَيْنَا عَلى رَجُلٍ، كَرِيهِ المِرْآةِ[٧]، أوْ كأكرهِ ما أنتَ رَاءٍ رجلاً مَرْأىً، فإذا هو عِنده نَارٌ

---

(١) «فيثْلَغُ رأسه» أي يَشُقُّ الصخرُ رأسه فَيَشْدخه.

(٢) «فيَتَدَهْدَهُ الحجر» أي يتدحرج الحجر.

(٣) «بكَلُّوبٍ من حديد» الكَلُّوبُ: حديدة لها شِعَبٌ يُعلَّق فيها اللحم.

(٤) «فيُشَرْشِرُ شِدْقه» أي يقطع جانب فمه حتى يصل إلى رأسه.

(٥) «إذا أتاهم اللَّهبُ ضَوْضَوْا» أي رفعوا أصواتهم بالاستغاثة.

(٦) «فيَفْغَرُ له فَاهُ» أي يفتح له فمه فيلقي فيه حجراً كبيراً.

(٧) «كريه المرآة» أي كريه الصورة والمظهر كأقبح الخلق.

يَحشُها[١] وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قلتُ لهما: ما هذا؟ قالا لي: انطَلِقْ انطَلِقْ، فَانطَلَقْنَا فَأَتَينا على رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ[٢] فِيها مِنْ كلِّ نَوْرِ الرَّبيعِ، وإذا بيْنَ ظَهْرَي الرَّوْضةِ رَجلٌ طويلٌ لا أكادُ أرى رأسَهُ طُولاً في السَّماءِ، وإذا حَوْلَ الرجلِ مِنْ أكثرِ ولدانٍ رَأَيْتُهُمْ قطُّ، قُلتُ: ما هذا؟ وما هؤلاءِ؟ قالا لي: انطَلِقْ انطَلِقْ، فَانطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا إلى دَوْحَةٍ عظِيمَة، لم أرَ دَوْحَةً قطُّ أعظمَ مِنها، ولا أحْسَنَ! قالا لي: ارْقَ فيها، فَارتَقَيْنَا إلى مدِينةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ ولَبِنِ فضَّةٍ[٣]، فأَتَينا بابَ المَدينَة فَاسْتفتَحْنا، فَفُتِحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا، فتَلَقَّانَا رجالٌ شَطْرٌ مِن خَلْقِهِم كأحْسَنِ ما أَنت راءٍ! وشَطْرٌ مِنهم كأَقْبَحِ ما أَنتَ راءٍ! قالا لهم: اذهَبوا فقَعُوا في ذلكَ النَّهر، وإذا هُوَ نَهرٌ مُعتَرِضٌ يجري كأنَّ ماءَهُ المَحضُ في البَياضِ، فَذَهَبُوا فوقعُوا فيه، ثمَّ رَجعُوا إلينَا قد ذَهَب ذلك السّوءُ عَنهم، فَصَارُوا في أَحسَن صُورَة، قال: قالا لي: هذه جَنَّةُ عَدْنٍ، وهذاك مَنزِلُكَ، فَسَمَا بَصَرِي صُعُداً[٤]، فإذا قَصرٌ مِثلُ الرَّبَابَة البَيضَاءِ[٥]، قالا لي: هذاك مَنزلكَ؟ قلتُ لهما: بَارَكَ اللَّهُ فيكُما، فذراني فَأَدخلَه. قالا: أمَّا الآن فلا، وَأَنتَ دَاخلُهُ، قلت لهُمَا: فإنِّي رَأَيتُ مُنذُ اللَّيلةِ عَجَباً؟ فما هذا الذي رأَيتُ؟ قالا لي: أمَا إنَّا سَنخبرُكَ، أمَّا الرجُلُ الأوَّلُ الذي أَتيتَ عَليه، يُثلَغُ رأسُهُ بالحَجَرِ، فإنَّهُ الرَّجُلُ يأخُذُ القُرْآنَ فيَرْفُضُه، وينامُ عن الصَّلاةِ المكتُوبَةِ، وأمَّا الرَّجُلُ الذِي أتَيتَ عَلَيهِ يُشَرشَرُ شِدْقُهُ إلى قَفاهُ، ومَنخِرُه إلى قَفاهُ، وَعَيْنُه إلى قفاهُ، فإنه الرَّجُلُ يَغدُو مِنْ بَيْتِه، فَيكذِبُ الكَذْبَة تَبلُغُ الآفاقَ، وأمَّا الرِّجالُ وَالنِّساءُ العُراةُ الذين هُمْ في مِثلِ بِناءِ التَّنُّورِ، فإنَّهم الزُّناة

---

(١) «نَارٌ يَحشُها» أي نار يوقدها ويُشعلها ويدور حولها.

(٢) «رَوْضَةٌ مُعْتَمَّةٌ» أي حديقة كثيرة النبات والشجر، فيها من جميع أزهار الربيع، والدوحةُ: الشجرة الكبيرة، والنَّورُ: الزهرُ الأبيضُ الذي يخرج أولاً قبل ظهور الثَّمر، قال الشاعر:
قَد يَشِيبُ الفَتَى وَلَيسَ عَجِيباً أنْ يُرَى النَّوْرُ في القَضِيبِ الرَّطِيب.

(٣) «لَبِن ذهب ولبِنِ فضة» أي أحجار هذه المدينة، واحدةٌ من ذهب، وأخرى من فضة، وهذه جنة عَدْن التي قال الله عنها ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾.

(٤) «فَسَمَا بصري صُعُداً» أي ارتفع بصري إلى الأعلى ارتفاعاً كبيراً.

(٥) «قصرٌ مثلُ الرَّبَابة» أي قصر عظيم مثلُ السحابة البيضاء، وهذا الحديث رؤيا منامية، رآها النبي ﷺ في نومه، وقد فسَّرها له المَلَكان: جبريل، وميكائيل عليهما السلام، وقصَّها ﷺ على أصحابه.

والزواني، وأما الرجلُ الَّذي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ في النَّهرِ، وَيُلْقَمُ الحِجَارَةَ، فإنَّهُ آكِلُ الرِّبَا، وأَمَّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ المَرآةِ الذِي عندَ النَّارِ يَحشُّها ويسْعَى حَوْلَها، فَإِنَّهُ مالِكٌ خازن جَهَنَّمَ، وأما الرَّجُلُ الطَّويلُ الَّذي في الرَّوْضَةِ، فإنه إبراهِيم، وأما الولدانُ الذينَ حَوْله، فكلُّ مَوْلودٍ ماتَ على الفِطْرَةِ - وفي رواية البَرْقانِيِّ - وُلِدَ عَلى الفِطرَةِ، فقال بعض المسلمينَ: يا رسولَ اللَّهِ، وأولادُ المشرِكينَ؟ فقال رسولُ اللَّه ﷺ: وأولادُ المشركينَ، وأما القوْمُ الذينَ كانُوا شَطرٌ مِنهم حَسَنٌ، وشَطرٌ منهمْ قبيحٌ، فإنهمْ قوْمٌ خَلَطُوا عَملاً صَالحاً وآخَرَ سَيئاً، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وفي روايةٍ له: «رَأيتُ اللَّيلَةَ رجلين أَتَيَاني فأخْرَجاني إلى أَرْضٍ مُقدَّسَة» ثم ذكَره وَقال: «فانطَلقنَا إلى نَقبٍ مثلِ التَّنُورِ، أعْلاهُ ضَيِّقٌ وأَسْفَلُهُ واسعٌ، يَتَوَقَّدُ تَحتَهُ نَاراً، فإذا ارْتَفَعَت ارتَفعُوا حَتى كادُوا أن يَخْرُجوا، وإذا خَمَدَتْ، رَجَعوا فيها، وفيها رجالٌ ونساءٌ عراةٌ» وفيها: «حتى أَتَينَا على نَهرٍ من دَم - ولم يشكَّ - فيه رجُلٌ قائم على وسط النَّهر، وعلى شَطِّ النهر رجُلٌ، وبيْنَ يَدَيهِ حِجارةٌ، فأقبَلَ الرَّجُلُ الذي في النَّهرِ، فَإذا أَرادَ أَنْ يَخرُجَ، رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ في فيه، فَرَدَّهُ حَيْثُ كانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ جَعَلَ يَرْمِي في فيه بحَجَرٍ، فَيَرْجعُ كَمَا كَانَ» وَفيهَا: «فَصعِدَا بي الشَّجرَةَ، فَأَدْخَلاني دَاراً لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ منهَا، فيهَا رجَالٌ شُيُوخٌ وشَبَابٌ» وَفِيهَا: «الَّذي رَأَيتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يُحدِّثُ بِالْكَذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاق، فَيُصْنَعُ بِهِ ما رَأَيتَ إلى يَوْم القِيامةِ» وَفيها: «الَّذي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فنامَ عَنْهُ بِاللَّيْل، وَلَمْ يَعْمَلْ فيه بِالنَّهَارِ، فَيُفْعَلُ به إلى يَوْم القِيَامةِ، وَالدَّارُ الأُولى الَّتي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ المُؤمنينَ، وَأَمَّا هذه الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنا جِبْرِيلُ، وهذا مِيكَائيلُ، فارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعتُ رَأْسِي، فإذا فوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قالا: ذاكَ مَنزلُكَ، قلتُ: دَعاني أَدْخُلْ مَنزلي، قالا: إنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَم تَستَكمِلْهُ، فَلَو استَكْمَلْتَهُ، أَتَيتَ مَنزلَكَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

قوله: «يثْلَغ رَأسَهُ» أي: يَشدَخُهُ وَيَشُقُّهُ، قوله: «يَتَدَهْدَه» أي: يتدحرجُ، و«الكَلُّوبُ» بفتح الكاف، وضم اللام المشدّدة، وهو معروف، قوله: «فَيُشَرْشِرُ» أي: يُقَطِّعُ، قوله: «ضَوْضَوْا» أي: صاحوا، قوله: «فَيَفْغَرُ» أي: يفتحُ، قوله: «المرآةِ» أي: المنظَرِ، قوله: «يَحُشُّها» أي: يوقِدها، قوله:

« روْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ» أي: وافيةِ النَّبَات طَويلَته، قَولُهُ: « دَوْحَةٌ» هِيَ الشَّجَرَةُ الكَبيرةُ، قولُهُ: « المَحْضُ» وَهُوَ: اللَّبَنُ، قولُهُ: « فَسَمَا بَصَرِي» أي: ارْتَفَعَ، « وَصُعُداً» أَيْ: مُرْتَفِعاً، « وَالرَّبَابَةُ»: بفتح الراءِ: وهيَ السَّحَابَةُ.

❁ ❁ ❁

باب بَيان مَا يجوز من الكذب

اعْلَمْ أَنَّ الْكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ مُحَرَّماً، فَيَجُوزُ في بَعْض الأحْوَالِ بشُرُوطٍ قد أَوْضَحْتُهَا في كتَاب: الأذْكَارِ، وَمُخْتَصَرُ ذلك: أَنَّ الكلامَ وسيلةٌ إلى المقاصدِ، فَكُلُّ مَقْصُودٍ مَحْمُودٍ يُمْكِنُ تحصيلُهُ بغَيْر الكَذِبِ يَحْرُمُ الكَذِبُ فيه، وَإِنْ لَمْ يُمكِنْ تحصِيلُهُ إلَّا بالكَذِبِ، جاز الكَذِبُ، ثُمَّ إنْ كَانَ تحصِيلُ ذلك المقْصُودِ مُبَاحاً، كَانَ الكَذِبُ مُباحاً، وَإنْ كانَ وَاجِباً، كان الكذِبُ واجِباً. فإذا اخْتَفَى مُسْلمٌ مِن ظالِمٍ يريد قَتْلَه، أَوْ أَخْذَ مالِه، أوَ أَخْفَى مَالَه، وَسُئِل إنْسانٌ عنه، وَجَبَ الكَذِبُ بإخفائِه، وكذَا لو كانَ عِنْدَهُ وَدِيعَةٌ، وَأَرَادَ ظالِمٌ أَخْذَهَا، وَجَبَ الكَذِبُ بإخفائها. والأحْوطُ في هذا كُلِّه أَنْ يُوَرِّيَ، ومعْنَى التَّوْرِيَةِ: أَنْ يَقْصِدَ بعبَارتِهِ مَقْصُوداً صَحيحاً لَيْسَ هو كاذِباً بالنِّسْبةِ إلَيهِ، وإنْ كان كاذِباً في ظَاهِرِ اللَّفْظِ، وَبالنِّسْبَةِ إلى ما يَفْهَمُهُ المُخَاطَبُ، ولَوْ تَركَ التَّوْرِيَةَ وأَطْلَقَ عِبَارَةَ الكَذِبِ، فلَيْسَ بِحَرَامٍ في هذا الحالِ. وَاسْتَدَلَّ العُلَمَاءُ لِجَوازِ الكَذِبِ في هذا الحَالِ بحَديثِ أُمِّ كُلْثُوم رضيَ اللَّهُ عَنْها، أنَّها سمعت رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: « لَيسَ الكَذَّابُ الَّذي يُصلِحُ بيْنَ النَّاسِ[1]، فَيَنْمِي خَيْراً، أَو يقولُ خَيْراً» مُتَّفَقٌ عليه.

زاد مسلم في رواية: « قالتْ أُمُّ كُلْثُوم: وَلَم أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ في شَيءٍ مِمَّا يَقولُ النَّاسُ إلَّا في ثلاثٍ: تَعْني الحَرْبَ، وَالإصْلاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ[2]، وحَديثَ المَرْأَةِ زَوْجَها».

❁ ❁ ❁

---

(١) « ليس الكذّاب الذي يُصلح بين الناس» أي لا يُعدُّ عند اللهِ كذّاباً، من كان يسعى للإصلاح بين الناس، وإن تكلَّم غير الحقيقة، مثاله أن يقول: فلانٌ يحبُّك ويُثني عليك، مع أنه يبغضه ويتكلم عنه.

(٢) « حديث الرجلِ امرأته» أي أن يتكلم بما يُرضيها، وتتكلم بما يُرضيه، وإن كان كلٌّ منهما لم يكن صادقاً، فالرجل الذي يقول لزوجته: أنتِ أحبُّ النساء إليَّ، مع أنه يبغضها، لا =

باب الحث على التثبت فيما يقول ويحكيه

قَالَ اللَّهُ تَعَالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقالَ تَعَالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

١٥٤٥ ـ وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «كفى بالمرءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ ما سَمِعَ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٥٤٦ ـ وعنْ سَمُرَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حدّثَ عَنّي بِحَدِيثٍ[2] يُرَى أنَّهُ كذِبٌ، فَهُو أَحَدُ الكَاذِبِينَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٥٤٧ ـ وعنْ أَسماءَ رضيَ اللَّهُ عَنهَا، أنَّ امْرَأَة قالَتْ: يا رَسُولَ اللَّهِ إنَّ لي ضَرَّةً، فهل عَلَيَّ جُنَاحٌ إنْ تَشَبَّعْتُ مِن زوجِي غيْرَ الذي يُعطِيني[3]؟ فقال النبيُّ ﷺ: «المُتَشَبِّعُ بِمَا لم يُعطَ، كَلابِسِ ثَوْبَي زُورٍ»[4] مُتَّفَقٌ عليه.

«المُتَشَبِّعُ»: هوَ الذي يُظهِرُ الشِّبَعَ وَليسَ بشَبْعَانَ، ومعناه هُنا: أَنَّهُ يُظهِرُ أنه حَصَل له فَضِيلَةٌ وَلَيْسَتْ حَاصِلةً، «ولابِس ثَوبَيْ زورٍ» أَي: ذِي زُورٍ، وهو

= يعتبر كاذباً، والمرأةُ التي تقول لزوجها: ليس في الدنيا أحد أغلى عندي منك، مع أنها تكرهه، لا تُعَدُّ كاذبة، وإنما جاز هذا لاستدامة العِشْرة بينها.

(١) «كفى بالمرء كذباً» أي يكفيه كذباً أن يتحدث بكل ما يسمع، فإنه يسمع الحقَّ والباطل، والصدق والكذب، فإن حدَّث بكل ما سمع فقد كذب، لأنه نقل الكذب، والغرضُ الزجرُ عن التحدث بكل ما يبلغه من أخبار لم يتثبَّتْ من صحتها.

(٢) «حدَّث عني بحديث» أي من روى عني حديثاً يعتقد أنه كذبٌ، فهو أحدُ الكذّابَيْن، لأنه يروي الكذب على لساني، وهذا كما يُقال: الخالُ أحدُ الأَبَوَيْن، والقلمُ أحدُ اللسانَيْن، والغرضُ التحذير من رواية الأحاديث غير الثابتة عن الرسول ﷺ، والتي يُظن أنها مكذوبة.

(٣) «هل عليَّ جُناحٍ إن تَشَبَّعتُ غير الذي يعطيني»؟ الضَرَّةُ: امرأةُ الزوج، **والمعنى**: هل عليَّ إثمٌ، إن أظهرتُ أن زوجي يكرمني ويعطيني أكثر من الواقع؟ وذلك تفعله المرأةُ إظهاراً لرفعتها عند زوجها، لتغيظ به ضرتها.

(٤) «كلابس ثوبَيْ زور» أي قال ﷺ للمرأة السائلة: إنَّ من يَفعل ذلك، يكون صاحب زورٍ وكذب، وفي الحديث استعارة بديعة، فقد شبَّه المتحلّي بفضيلةٍ لم يُرزقها، بمن يلبس ثياب الزور، يُظهر أنها ثيابُه، وهي ثياب قد استعارها، كمن يذهب إلى الأعراس بملابس غيره، **والمراد من الحديث** تنفير المرأة عمَّا ذكرتْ، خوفاً من الفساد الذي يحدث بين زوجها وضرَّتها، إذْ إنَّ هذا يورث بينهما البغضاء، فيكون كالسحر الذي يُفرّق فيه الساحر بين المرء وزوجه، وفي هذا التشبيه النبويّ مَسْحةٌ من مَسَحات الإبداع والجمال.

الذي يُزَوِّرُ على النَّاس، بِأَن يَتَزَيَّا بِزِيِّ أَهْلِ الزُّهْدِ أو العِلم أَو الثرْوَة، لِيَغْتَرَّ بِهِ النَّاسُ، ولَيْسَ هوَ بِتِلْكَ الصِّفَةِ. وَقِيلَ غيرُ ذلك واللَّهُ أعلم.

۞ ۞ ۞

بابٌ في بَيان غلظ تحريم شهادة الزور

قَالَ اللَّهُ تَعَالى: ﴿ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج: ٣٠].

وقالَ تَعَالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقالَ تَعَالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

وقالَ تَعَالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر ١٤].

وقالَ تَعَالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ [الفرقان: ٧٢].

١٥٤٨ ـ وعنْ أبي بَكْرَةَ رضيَ اللَّهُ عَنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلا أُنَبِّئُكُم بِأكْبَرِ الكَبائِرِ؟ قُلْنَا: بَلى يا رسولَ اللَّهِ، قَالَ: الإشْرَاكُ بِاللَّه، وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ ـ وكانَ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ[١] ـ فقال: أَلا وقَوْلُ الزُّورِ!، فما زالَ يُكَرِّرُهَا حتى قلنا: لَيْتَهُ سَكَتَ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

باب تحريم لَعْن إنسان بعَينه أو دابة

١٥٤٩ ـ عنْ أَبي زَيْدٍ «ثابتِ بْنِ الضحَّاكِ» الأنصاريِّ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وهو من أهْلِ بَيْعَةِ الرِّضوانِ ـ قال: قَالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن حَلَفَ عَلى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإسْلامِ[٣] كاذِباً مُتَعَمِّداً، فَهُوَ كمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ

---

(١) «كان متكئاً فجلس» إنما جلس ﷺ بعد أن كان مضطجعاً، لينبِّه السامعين على عِظَم شهادة الزور، وأنها من أكبر الذنوب عند الله، وذلك لما في شهادة الزور من تضييع حقوق الناس، مع ما فيها من الكذب.

(٢) «ليتَهُ سكَتَ» أي ما زال ﷺ يكرِّر هذه الجملة «أَلا وشهادة الزور» مراراً، حتى قلنا ليته سكت، شفقةً عليه لما ظهر عليه من التأثر والشدة.

(٣) «حلف على يمينٍ بملة غير الإسلام» كأن يقول: أكون نصرانياً أو يهودياً إن فعلتُ ذلك، فإن كان متعمداً ذلك فهو كما قال إن فعله، وهذا أمر خطير يجري على ألسنة بعض الناس، بقصد المبالغة في الامتناع عن الشيء.

بِشَيءٍ[١]، عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِيما لا يَمْلِكُهُ[٢]، وَلَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ »[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

١٥٥٠ ـ وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: قال: «لا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّاناً » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٥٥١ ـ وعنْ أبي الدَّرْدَاءِ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ، وَلا شُهَدَاءَ يَوْمَ القِيَامَة »[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٥٥٢ ـ وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَلاعَنُوا بلَعْنَةِ اللَّه، وَلا بِغَضَبِهِ، وَلا بِالنَّارِ »[٥] رَوَاهُ أبو داودَ، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ.

١٥٥٣ ـ وعن ابنِ مسعودٍ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ المؤمِنُ بِالطَّعَّانِ[٦]، وَلا اللَّعَّانِ، وَلا الفَاحِشِ، وَلا البَذِيِّ » رَوَاهُ التِّرمِذيُّ وقالَ: حديثٌ حسنٌ.

١٥٥٤ ـ وعنْ أبي الدَّرْداءِ رَضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ العبْدَ إذا لَعَنَ شَيْئاً، صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إلى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوابُ السَّمَاءِ دُونَها، ثُمَّ

---

(١) «ومن قتل نفسه بشيء » أي بسكّين، أو مسّدس، أو خنق نفسه بواسطة الشنق، عُذِّب يوم القيامة بنفس ما فعل، ليكون الجزاء من جنس العمل.

(٢) «وليس على رجل نذر فيما لا يملكه » أي لا يجب عليه الوفاء بنذر شيء لا يملكه، كأن ينذر أنه يتصدَّق بالدار التي يسكنها وهي ليست ملكه.

(٣) «لَعْنُ المؤمن كقتله » اللَّعْنُ: معناه الطرد من رحمة اللّه، فمن لَعَن مؤمناً فكأنه سَفَك دَمَه، لأنه حكم عليه بالشقاء الأبديّ، بسبب حلول لعنة اللّه عليه.

(٤) «لا يكون اللّعانون شفعاء » يعني أن من يلعن الناسَ فهو فاسق، لا تُقبل شفاعته ولا شهادتُه، والمراد بالحديث أن اللعَّانين ليس لهم منزلة عند اللّه، حتى تُقبل شفاعتهم أو شهادتهم، كما قال تعالى عن الفساق الذين يَرمُونَ المحصنات ﴿**وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ**﴾.

(٥) «لا تلاعنوا بلعنة اللّه » أي لا يدعو أحدكم على أحدٍ باللعنة، ولا بسخط اللّه وغضبه، ولا بدخول نار الجحيم، لعظم شأن هذه الأمور.

(٦) «ليس المؤمن بالطعَّان » أي ليس بكامل الإيمان، من يقع في أعراض الناس بالذمّ والسبّ، فكل المسلم على المسلم حرامٌ: دمُه، ومالُه، وعِرْضُه، وكذلك ليس المسلم بالفاحش في مقاله، ولا البذيء السيء في فعله وكلامه.

تَهبِطُ إلى الأَرْضِ، فَتُغلَقُ أبوابُها دُونَها، ثُمَّ تَأْخُذُ يَميناً وشِمالاً، فإذا لَمْ تَجِدْ مَسَاغاً[(١)]، رَجَعَتْ إلى الذي لُعِنَ، فَإنْ كانَ أَهْلاً لِذلكَ، وَإلَّا رَجَعَتْ إلى قائِلِها» رَوَاهُ أبو داود.

١٥٥٥ ـ وعنْ عِمْرَانَ بْنِ الحُصَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامرَأَةٌ مِنَ الأنصَارِ عَلى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ، فَلَعَنَتْهَا، فَسمِعَ ذلكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقالَ: «خُذُوا ما عَلَيها وَدَعُوها، فَإنَّها مَلعُونَةٌ»[(٢)] قالَ عِمرَانُ: فَكأَنِّي أَرَاهَا الآنَ تمشي في النَّاسِ، ما يَعرِضُ لَها أَحَدٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٥٥٦ ـ وعن أبي بَرْزَةَ «نَضلَةَ بْنِ عُبَيْدِ الأسلَمِيِّ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «بينَما جَارِيَةٌ عَلى نَاقَةٍ عَلَيها بَعضُ مَتَاعِ القَوْمِ، إذْ بَصُرَتْ بالنَّبيِّ ﷺ، وَتَضايَقَ بِهِمُ الجَبَلُ، فقالتْ: حَلْ، اللَّهُمَّ العَنْهَا!! فقالَ النَّبيُّ ﷺ: لا تُصَاحِبْنا نَاقَةٌ عَلَيها لَعْنَةٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله: «حَلْ» بفتح الحاءِ المُهْمَلَةِ، وَإسكانِ اللَّامِ، وَهيَ كَلِمَةٌ لِزَجْرِ الإبلِ.

واعلَمْ أَنَّ هذا الحديثَ قَد يُسْتَشْكَلُ مَعْنَاهُ، وَلا إشْكالَ فيه، بَلِ المُرَادُ النَّهيُ أَنْ تُصاحِبَهُمْ تِلكَ النَّاقَةُ، وَلَيْسَ فيه نَهيٌ عَن بَيْعِهَا وَذَبْحِهَا وَرُكُوبِها في غَيْرِ صُحْبَةِ النبيِّ ﷺ، بَلْ كُلُّ ذلكَ وَما سِوَاهُ منَ التَّصرُّفاتِ جائِزٌ لا مَنْعَ مِنْهُ، إلَّا مِنْ مُصاحَبَتِهِ ﷺ بها، لأنَّ هذِهِ التصرُّفاتِ كُلَّهَا كانَتْ جائزَةً فَمُنِعَ بَعْضٌ مِنْها، فَبَقِيَ البَاقِي عَلى ما كانَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

۞ ۞ ۞

باب جواز لَعْن أصحاب المعَاصي غير المعيّنين

قالَ اللَّهُ تَعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

وقالَ تَعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

---

(١) «إن لم تجد مساغاً» أي إن لم تجد اللعنةُ طريقاً ومدخلاً إلى الذي لُعِن، عادت إلى قائلها، فكان هو الشخص الملعون، كما في حديث «من قال لأخيه المؤمن: يا كافرُ، فقد باء بها أحدهما» أي رجعت على قائلها إن لم يكن أخوه كافراً.

(٢) «دعوها فإنها ملعونة» أي اتركوها ولا تركبوها فإنها ملعونة، فإذا مُنعت الناقةُ من مصاحبة النبي ﷺ في غزوته، فالإنسان الملعون من باب أولى، والغرضُ من الحديث التحذير من لعن إنسان أو حيوان، لخطر الأمر في التلفظ باللعن.

وَثَبَتَ في الصَّحيحِ أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ»[١] وَأَنَّهُ قالَ: «لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا، وَأَنَّهُ لَعَنَ المُصَوِّرِينَ» وَأَنَّهُ قال: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ» أيْ: حُدُودَهَا، وَأَنَّهُ قال: «لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسرِقُ البَيْضَةَ»[٢] وَأَنَّهُ قال: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ» وأَنَّهُ قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثاً أَوْ آوَى محدِثاً، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» وأَنَّهُ قالَ: «اللَّهُمَّ العَنْ رِعْلاً، وَذَكوانَ، وَعُصَيَّةَ عَصَوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ» وَهذِهِ ثَلاثُ قَبَائِلَ مِنَ العَرَبِ. وأَنَّهُ قالَ: «لَعَنَ اللَّهُ اليَهودَ اتخذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِم مَسَاجِدَ» وَأَنَّهُ «لَعَنَ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجالِ بِالنِّسَاءِ، والمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ».

وَجَميعُ هذِهِ الألفَاظِ في الصحيحِ، بَعْضُهَا في صحِيحَي البخاري ومسلم، وَبَعْضُها في أَحَدِهِمَا، وَإِنَّمَا قَصَدْتُ الاخْتِصَارَ بِالإشَارَةِ إليهَا، وَسأذكرُ مُعظَمَهَا في أبوابها مِنْ هذا الكِتَابِ، إن شاءَ اللَّه تعالى.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم سَبّ المسلم بغير حقّ

قَالَ اللَّهُ تَعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

١٥٥٧ ـ وعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسوقٌ[٣]، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «لَعَنَ اللَّهُ الواصِلةَ والمُستوصِلة» الواصلةُ: التي تقصُّ شعرها وتعطيه لامرأةٍ أخرى، والمستوصلة التي تطلب من يعطيها الشعر، فالمعطيةُ والآخذة ملعونتان، والتحريم إن كان من آدمية، أمّا إذا وصلته بشعر من المعز أو الصوف، لتتزين به لزوجها فلا حرمة فيه، وما يسمى في زماننا «الباروكة» هو شعر مصطنع أعمى للأجنبيّات الكافرات، لا يجوز للمسلمة أن تفعله، لما فيه من الغشّ والخداع، لا سيّما إذا أرادت بذلك إظهار جمالها أمام الناس.

(٢) «لعن الله السارق يسرق البيضة» الغرضُ من الحديث التنفير من السرقة، والتنبيه على أن قليل السرقة قبيح مثل كثيرها، والمراد من البيضة «بيضة الدجاجة» لا الخوزة التي تُلبس في الحرب، كما قاله البعضُ.

(٣) «سباب المسلم فسوق» أي سبُّ المسلم كبيرة تُخرج صاحبها عن حدّ العدالة، وقتاله كفرٌ، والغرضُ من الحديث التنبيه على حرمة المسلم، وأن سبّه وقتله في الإثم والتحريم كبير عند اللّه.

١٥٥٨ ـ وعَنْ أبي ذَرٍّ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: « لا يرمي رَجُلٌ رَجُلاً بالفِسْقِ أَوِ الكُفْرِ، إلا ارتَدَّت عليْهِ، إنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كذلكَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٥٥٩ ـ وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « المُتَسَابَّانِ مَا قَالا، فَعَلى البَادِي مِنْهُما[١]، حتَّى يَعْتدِيَ المَظْلُومُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٥٦٠ ـ وعنهُ قالَ: « أُتِيَ النَّبيُّ ﷺ بِرجُلٍ قَدْ شَرِب قالَ: اضرِبُوهُ، قالَ أَبو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّاربُ بِيدِهِ، والضَّارِبُ بِنَعْلِه، والضَّارِبُ بثوبِهِ، فَلَمَّا انصَرَفَ، قالَ بَعضُ القَوم: أَخزاكَ اللَّهُ[٢]، قالَ: لا تَقُولُوا هذا، لا تُعِينُوا عليْهِ الشَّيْطَانَ»[٣] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٥٦١ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يقُولُ: « مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنى، يُقامُ عليْهِ الحَدُّ يَومَ القِيَامَةِ، إلَّا أَنْ يَكُونَ كما قالَ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم
سَبِّ الأموات بغيرِ حَقٍّ وَمَصْلحةٍ شرعيّة

وَهُوَ التَّحْذِيرُ مِنَ الإقْتِداءِ بهِ في بِدْعَتِهِ، وَفِسْقِهِ، وَنَحْوِ ذلكَ.

وَفيه الآيَةُ وَالأحاديثُ السَّابقَة في البابِ قبلَهُ.

١٥٦٢ ـ وعن عائِشةَ رضِيَ اللَّهُ عَنها قالَتْ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لا تَسُبُّوا الأمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَد أَفضَوا إلى ما قَدَّمُوا»[٤] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

---

(١) « المتسابّان ما قالا فعلى البادئ منهما» أي الرجلان الذي يسبُّ كلٌّ منهم الآخر، الإثم فيه على البادئ، إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار، فيؤذي الظالم بأكثر مما قاله.

(٢) « أخزاك اللَّهُ» أي أهانك الله وأذلّك، من الخزي بمعنى الهوان.

(٣) « لا تعينوا عليه الشيطان» أي لا تكونوا أعواناً للشيطان عليه، ووجهُ عونهم الشيطان بهذا القول، أن الشيطان يريد إذلاله بالمعصية، فإذا دَعَوْا عليه، فكأنهم قد حقّقوا مقصود الشيطان، وفي رواية أبي داود زيادة « ولكنْ قولوا: اللهمَّ اغفر له، اللهم ارحمه».

(٤) « أَفضَوْا إلى ما قدّموا» النهي عن سبِّ الأموات لأنه يؤذي الأحياء من أقاربهم، وقد علّل ﷺ المنع بأنهم قد وصلوا إلى ما قدّموا من العمل، خيراً كان أو شراً، إذ لا فائدة في =

بابٌ في النّهي عَن الإيذاء

قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨]

١٥٦٣ ـ وعنْ عبدِ اللَّهِ بن عَمرِو بْنِ العاصِ رضيَ اللَّهُ عَنهُمَا قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ[١]، وَالمهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهى اللَّهُ عنه»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

١٥٦٤ ـ وعنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ[٣] عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ، فلتَأْتِه مَنِيَّتُهُ، وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلى النَّاسِ الذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتى إليْه»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَهُوَ بَعْضُ حَدِيثٍ طويلٍ سَبَقَ في بَابِ طَاعةِ وُلاةِ الأُمُورِ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النّهي عَن التباغض والتقاطع والتدابر

قالَ اللَّهُ تَعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقالَ تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقالَ تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩].

= سبُهم، هذا إذا لم يكن لهم بدعة، يتمسك بها بعضُ الجهلاء، فيتحدث الواحد عن مفاسدهم ليحذرهم الناسُ.

(١) «المسلم من سلم المسلمون» هذا تعريف بديع موجز للمسلم الصادق في دعوى الإسلام، أي المسلم الصادق في إسلامه، من حفظ اللَّه المسلمين من عدوانه، وشرِّ لسانه.

(٢) «والمهاجرُ من هَجَر ما نهى اللَّهُ عنه» أي والمهاجر الذي يحبُّ ثواب الهجرة، من ترك ما حرَّمه اللَّه تعالى من الذنوب، خوفاً من اللَّه وامتثالاً لأمره وفيه رواية لمسلم: «والمؤمنُ مَنْ أَمِنَهُ الناسُ عَلَى دِمائِهِمْ وأَمْوالِهِم»، والمراد بالحديث هنا: الكاملُ في الإسلام والإيمان.

(٣) «من أحبَّ أن يزحزح عن النار» أي من أحبَّ أن يسعد بإبعاده عن النار، وإدخاله الجنة، فليثبت على الإيمان، حتى يأتيه الموتُ وهو مؤمن، فيفوز برضوان اللَّه تعالى.

(٤) «وليأتِ بما يحبُّ أن يُؤتى إليه» أي يعاملُ الناسَ بما يحبُّ أن يعاملوه به من البِشر، وحسن العِشرة، وكفِّ الأذى، وبذلِ الندى.

١٥٦٥ ـ وعنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «لا تَبَاغَضُوا، وَلا تحَاسَدُوا[١]، وَلا تَدابَرُوا، وَلا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إخواناً، وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاه فَوقَ ثلاثٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٥٦٦ ـ وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبوابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الاثنَيْنِ، وَيَوْمَ الخَميسِ، فَيُغفَرُ لِكُلِّ عَبدٍ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيئاً، إلَّا رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أخِيهِ شَحْنَاءُ[٢] فيقالُ: أنظِرُوا هذَيْنِ حَتَّى يَصطَلِحَا! أَنظِرُوا هذَيْنِ حَتَّى يَصطَلِحَا!»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي روايةٍ له: «تُعْرَضُ الأعمالُ في كُلِّ يومِ خَميسٍ وَاثنَيْنِ» وَذَكَرَ نَحوَهُ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم الحسَد وَهُو تمنّي زوالِ النِّعمةِ عنْ صاحِبها سَواءٌ كَانَتْ نِعْمَةَ دِينٍ أو دُنْيا

قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٤] [النساء: ٥٤].

وفيهِ حَديثُ أَنَسٍ السَّابقُ في البَاب قَبْلَهُ.

١٥٦٧ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «إيَّاكُمْ وَالحَسَدَ، فَإِنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ[٥]، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ، أَوْ قَالَ: العُشْبَ» رَوَاهُ أبو داود.

۞ ۞ ۞

---

(١) «لا تَبَاغضُوا ولا تَحَاسدوا» لا تفعلوا ما يؤدي إلى البغض، ولا يَحْسُدْ بعضكم بعضاً، وتقدَّم الحديث مع شرحه رقم (٢٣٦) باب حرمات المسلمين.

(٢) «كانت بينه وبين أخيه شحناء» أي عداوة وبغضاء.

(٣) «انظِروا هذين حتى يصطلحا» أي أخِّروا هذين المتخاصمين حتى يصطلحا، والمراد أن المغفرة الإلهية، تنال كل مؤمنٍ لا يشرك بالله، إلا المتباغضين.

(٤) ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ..﴾ الآية نزلت في اليهود، حسدوا النبيَّ ﷺ على نعمة النبوة والقرآن، لأنه بُعث من العرب ولم يبعث من بني إسرائيل.

(٥) «الحسدُ يأكل الحسنات» فيه استعارة بديعة، شبَّه الحسدَ بذئب جائع، يفترس المواشي =

بابٌ في النّهي عَن التجسُّس والتسمُّع لكلام من يكره استماعه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

وقالَ تعَالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

١٥٦٨ ـ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «إيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلا تَحَسَّسُوا، وَلا تَجَسَّسُوا وَلا تَنَافَسُوا، وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إخْوَاناً[1] كَمَا أمَرَكُم، المُسْلِمُ أَخو المُسْلِمِ: لا يَظْلِمُهُ، وَلا يَخْذُلُهُ ولا يَحْقِرُهُ، التَّقوَى ههُنَا، التَّقْوَى ههنا ـ وَيُشِيرُ إلى صَدْرِه ـ بِحسْبِ امرىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسلِمَ، كُلُّ المُسلِمِ عَلى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَعِرْضُهُ، وَمَالُهُ، إنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إلى أَجْسَادِكُمْ، وَلا إلى صُوَرِكُمْ، وَلكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُم وأَعْمالِكُمْ».

وفي روايةٍ: «لا تَحَاسَدُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَجَسَّسُوا، وَلا تَحَسَّسُوا، وَلا تَنَاجَشُوا وكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إخْوَاناً».

وفي روايةٍ: «لا تَقَاطَعُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَلا تَبَاغَضُوا وَلا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إخْوَاناً».

وفي روايةٍ: «لا تَهَاجَرُوا وَلا يَبِعْ بَعْضُكُم عَلى بَيعِ بَعْضٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ بكلِّ هذه الروايات، وروى البخاريُّ أكثَرَها.

١٥٦٩ ـ وعَنْ مُعَاوِيةَ رضِيَ اللَّهُ عَنهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إنَّكَ إنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ المُسْلِمينَ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفسِدَهُم» حديثٌ صحيحٌ. رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

= والأنعام، وحذف المشبَّه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الأكل، على طريق الاستعارة المكنية.

(١) «كونوا عباد اللَّه إخواناً» أي متحابين، يحبُّ كلٌّ لصاحبه ما يحبُّه لنفسه، والحديث تقدم مع شرحه في باب حرمات المسلمين رقم (٢٣٥).

١٥٧٠ ـ وَعَنِ ابْنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنه أُتِيَ بِرَجُلٍ، فَقِيلَ لَهُ: هذا فُلانٌ تَقْطُرُ لِحيَتُهُ خَمراً، فقالَ: إنَّا قَدْ نُهِينَا عَنِ التَّجَسُّسِ، وَلكِنْ إن يَظهَرْ لَنا شَيْءٌ، نَأْخُذْ بِهِ» حَديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ، رَوَاهُ أبو داود بإسْنادٍ عَلى شَرْطِ البخاريّ ومسلم.

❁ ❁ ❁

بابٌ في النّهي عَنْ سُوء الظنّ بالمُسلمين من غير ضرورة

قَالَ اللَّهُ تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

١٥٧١ ـ وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللَّهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكذَبُ الحَدِيثِ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁ ❁ ❁

بابٌ في تحريم احتقار المسلمين

قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وقالَ تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

١٥٧٢ ـ وعنْ أبي هُرَيْرَة رضيَ اللَّهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أن يَحقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وقد سبق قريباً بطوله.

١٥٧٣ ـ وعَنِ ابْنِ مسعُودٍ رضيَ اللَّهُ عَنهُ، عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ[1]، فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَناً، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، فقال: إنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَمَعْنَى «بطر الحَقّ»: دَفْعه، «وَغَمْطُهم»: احْتِقارُهُمْ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُهُ أَوْضَحَ مِنْ هذا في بابِ الكِبرِ.

---

(١) «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» تقدّم مع شرحه في باب الكبر (٦١١).

١٥٧٤ ـ وعن جُنْدُبِ بْنِ عبدِ اللَّهِ رضيَ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلانٍ، فقالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذا الَّذي يَتَأَلَّى عَلَيَّ[١] أَنْ لا أَغفِرَ لفُلانٍ! إنِّي قد غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النّهي عن إظهار الشماتة بالمسلم

قالَ اللَّهُ تَعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

١٥٧٥ ـ وعنْ وَاثِلةَ بْنِ الأسْقَعِ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ[٢]، فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيَكَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال حديثٌ حسنٌ.

وفي البابِ حديثُ أبي هريرةَ السابقُ في باب التَّجَسُّسِ: «كُلُّ المُسْلِمِ عَلى المُسْلِمِ حَرَامٌ» الحديثَ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم الطّعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع

قالَ اللَّهُ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

١٥٧٦ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اثْنَتَانِ في النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ[٣]: الطَّعْنُ في النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلى المَيِّتِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

(١) «من ذا الذي يتألّى» أي من هو يحلف على الله ألّا يغفر للرجل ذنبه؟ وفي الحديث تحذير من احتقار أحد من المسلمين، وإن كان من الرّعاع، ولو كثرت ذنوبه!!

(٢) «لا تظهر الشماتة لأخيك» شأنُ المؤمن الفرحُ لفرح أخيه المسلم، والألمُ بما يتألم منه، والشماتةُ وهي الفرحُ بمصيبته، يتنافى مع خُلُق المسلم.

(٣) «اثنتان في الناس هما كفر» لا يراد بالكفر هنا الخروجُ عن دين الإسلام، إنما هو للتغليظ =

بابٌ في النّهي عَن الغشّ والخِداع

قَالَ اللّهُ تعَالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

١٥٧٧ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ، فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا، فَلَيْسَ مِنَّا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي رِوَايَةٍ لَهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ مَرَّ عَلى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ: مَا هذا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللّهِ: قَالَ: أَفَلا جَعَلْتَه فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ! مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

١٥٧٨ ـ وَعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «لا تَنَاجَشُوا» مُتَّفَقٌ عليه.

١٥٧٩ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَى عَنِ النَّجْشِ»[1] مُتَّفَقٌ عليه.

١٥٨٠ ـ وَعَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ أَنَّهُ يُخْدَعُ في البُيُوعِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «مَنْ بَايَعْتَ، فَقُلْ لا خِلابَةَ»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

«الخِلابَةُ» هي: الخدِيعَةُ.

١٥٨١ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امْرِىءٍ، أَوْ مَمْلُوكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا»[3] رَوَاهُ أبو داود.

«خَبَّب» أَيْ: أَفسَدَهُ وَخَدَعَهُ.

۞ ۞ ۞

= والزجر، كأنه يقول: الطعنُ في الأنساب، والنياحةُ على الميت من أعمال الكفار، وأخلاق الجاهلية، وقد يوصلُ إلى الكفر إن استحلّه، وهذا مثل قوله ﷺ: «من غشّنا فليس منّا» أي ليس كامل الإيمان، وليس معناه انسلاخه عن الإسلام.

(١) «نهى عن النَّجْش» النَّجْشُ: الزيادةُ في ثمن السلعة ولا يريد شراءها، ليغرَّ ويخدع غيره، فيوقعه في شرائها بالثمن المرتفع.

(٢) «لا خِلَابَةَ» أي لا خديعة ولا غشّ في البيع، فإذا ظهر أنه خدعه، فله الخيار في ردّ المبيع.

(٣) «من خبَّب زوجة امرئ أو مملوكه» أي أفسد زوجةَ رجل أو عبده، بالإيقاع بينهما بالشقاق والبغضاء، فليس على هدينا وشريعتنا.

بابٌ في تحريم الغَدر

قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ ﴾ [المائدة: ١].

وَقالَ تَعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

١٥٨٢ ـ وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «أرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيه، كانَ مُنَافِقاً خالِصاً، وَمَنْ كانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إذا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإذا خَاصَمَ فَجَرَ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٥٨٣ ـ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَأَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالُوا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِكُلِّ غادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ: هذِهِ غَدْرَةُ فُلانٍ» متَّفقٌ عَلَيْهِ.

١٥٨٤ ـ وَعَنْ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِه يَوْمَ القِيَامَةِ[١]، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِه، أَلَا وَلا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْراً مِنْ أَمِيرِ عامَّة» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٥٨٥ ـ وعنْ أبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ تعالى: ثَلاثَةٌ أنا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ[٢]: رَجُلٌ أَعْطَى بي ثُمَّ غَدَرَ[٣]، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرّاً فَأَكَلَ ثمَنَهُ[٤]، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً، فَاسْتَوْفى مِنْهُ، وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ»[٥] رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

❁ ❁ ❁

---

(١) «لكل غادر لواء» أي كلّ خائن لدينه، وأمته، له لواءٌ يوم القيامة، زيادة في فضيحته ليُشهَّر على رؤوس الأشهاد، ومعنى «استه» أي دُبُره، هذا اللواء يسمى «لواءَ الغدر» وأيُّ خزيٍ أعظم من هذا؟ وأعظمُ الغدر غدرُ السلطان لرعيته، ورئيس الدولة لأمته.

(٢) «ثلاثة أنا خصمهم» أي ثلاثة أصناف من الناس، أنا خصيمهم يوم القيامة، وأنا أنتقم منهم.

(٣) «أعطى بي ثم غدر» أي نقضَ العهد الذي عاهد عليه، وغدر بالناس.

(٤) «باع حراً وأكل ثمنه» أي اعتدى على إنسان حر، فباعه على أنه عبدٌ له مملوك، وأكل ثمنه، فلهذا عظمت جريمتُه، لأن استعباده جريمة وخيانة.

(٥) «استأجر أجيراً ولم يعطه أجره» أي أكَلَ حقَّ الأجير، وإنما كان اللّهُ خصمَ هؤلاء الثلاثة، لأنهم ارتكبوا أشنع الجرائم وأقبحها، فالإنسان له كرامة، خلقه اللّه حراً، فالعدوان عليه عدوان على كرامته، ومثله أكلُ الأجير الضعيف، عدوان على ماله، والمال شقيق الروح.

باب النّهي عن المَنّ بالعَطية ونحوها

قَالَ اللّهُ تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾[البقرة. ٢٦٤].

وقال تَعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾ [البقرة: ٢٦٢].

١٥٨٦ ـ وعنْ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنِ النَّبيّ ﷺ: قَالَ: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلا يَنْظُرُ إلَيْهِمْ[١]، وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلهُمْ عَذابٌ أليمٌ، قالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. قالَ أبو ذرٍّ: خابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: المُسْبِلُ[٢]، وَالمَنَّانُ[٣]، وَالمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكَاذِبِ»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي روايةٍ له: «المسْبِل إزارَهُ» يَعْني: المسْبِلُ إزارَهُ وَثَوْبَهُ أسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ للخُيَلاءِ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في النهي عن الافتخار والبغي

قَالَ اللّهُ تَعَالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وقالَ تَعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الشورى: ٤٢].

١٥٨٧ ـ وعَنْ عِياضِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ تَعَالى أَوْحَى إليَّ أَنْ تَواضَعُوا[٥] حَتَّى لا يَبْغِيَ أحَدٌ على أحَدٍ، ولا يَفْخَرَ أَحدٌ على أحَدٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «ولا ينظر إليهم ولا يُزكّيهم» أي لا ينظر إليهم نظر رحمته، ولا يطهّرهم من أوزارهم.

(٢) «المسبلُ» هو الذي يُطيل ثوبه أسفلَ الكعبين، للخيلاء والكبر.

(٣) «والمنّان» الذي يمنُّ على الفقير الذي أحسنَ إليه، فيجعله كسيرَ النفس، يعتصر الألمُ قلبَه، قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ والأَذَى﴾.

(٤) «والمنفقُ سِلْعتَه بالحَلِفِ الكاذِبِ» أي يحلف بالله كاذباً ليروِّج بضاعته، فهذا قد استهان بعظمة الله وجلاله، من أجل شيء حقير من عَرَض الدنيا.

(٥) «أوحَى إليّ أن تَوَاضَعُوا» أي أمرني بالتواضع، وكلّفني أن آمركم أن تتواضعوا، حتى لا يفتخر بعضكم على بعض.

قالَ أهلُ اللغةِ: البَغي: التَّعدِّي وَالاسْتِطالَةُ.

١٥٨٨ ـ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إذا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ»[1] رَوَاهُ مُسلم.

الرِّوَايَةُ المَشْهُورَةُ: «أهْلَكُهُمْ» بِرَفعِ الكَافِ، ورُوِيَ بِنَصْبِها.

وَهذَا النَّهْيُ لِمَنْ قَالَ ذلكَ عُجْباً بِنَفْسِهِ، وَتَصَاغُراً للنَّاسِ، وَارْتِفاعاً عَلَيْهِمْ، فَهذَا هُوَ الحَرَامُ، وَأمَّا مَنْ قالَهُ لِمَا يَرى في النَّاسِ مِنْ نَقْصٍ في أمْرِ دِينِهِم، وَقَالَهُ تَحَزُّناً عَلَيْهِمْ، وَعَلى الدِّينِ، فلا بَأسَ بهِ، هكَذَا فَسَّرَهُ العُلَمَاءُ وَفصَّلوهُ، وَمِمنْ قَالَهُ مِنَ الأئمَّةِ الأعْلامِ: «مالكُ بْنُ أنَسٍ»، وَ«الخَطَّابيُّ»، و«الحُمَيْدِيُّ» وآخرون، وقد أوْضَحْته في كِتَابِ «الأذْكَارِ».

۞ ۞ ۞

بابُ في تحريم الهجران
بين المسلمين فوق ثلاثة أيام إلا لبدعة في المهجور
أو تظاهرٍ بفسقٍ أو نحو ذلك

قَالَ اللَّهُ تَعَالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقَالَ تَعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

١٥٨٩ ـ وَعَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لا تَقَاطَعُوا، وَلا تَدابَرُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، ولا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إخْواناً، وَلا يَحِلُّ لمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخَاهُ فَوقَ ثَلاثٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٥٩٠ ـ وَعَنْ أبي أيُّوب رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «لا يَحِلُّ لمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخَاهُ فَوقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، يَلتَقِيَانِ، فَيُعرِضُ هذا، ويعرِضُ هذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بالسَّلامِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٥٩١ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:

---

(١) «من قال هلك الناسُ فهو أهلكُهم» يعني من قال إعجاباً بنفسه، وازدراءً لغيره: «هَلَكَ الناسُ» أي فسدوا وفسقوا، فهو أشدُّهم هلاكاً، لرضاه عن نفسه، واحتقاره للبشر، وتفضيل نفسه عليهم.

«تُعْرَضُ الأعْمَالُ في كُلِّ اثنيْنِ وَخَميسٍ، فَيَغفِرُ اللَّهُ لِكُلِّ امْرِىءٍ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً، إلّا امْرءاً كَانَتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ أخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيَقُولُ: اتْرُكُوا هذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٥٩٢ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ[1] في جَزيرَةِ العَرَبِ، وَلٰكِنْ في التَّحْرِيشِ بَيْنَهم» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«التَّحْرِيشُ» الإفسَادُ وتغييرُ قُلُوبِهم وَتَقَاطُعُهُم.

١٥٩٣ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لا يَحِلُّ لمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخَاهُ فَوقَ ثَلاثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثلاثٍ، فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ» رَوَاهُ أبو دَاود بإسْنَادٍ عَلى شَرْطِ البُخَارِي ومُسلم.

١٥٩٤ ـ وعَنْ أبي خِرَاشٍ «حَدْرَدِ بْنِ أبي حَدْرَدٍ الأسْلمي» ـ يُقَالُ السُّلمِي ـ الصَّحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، أنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ هَجَرَ أخَاهُ سَنَةً، فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ» رَوَاهُ أبو داود بإسناد صحيح.

١٥٩٥ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لا يَحِلُّ لمُؤمِنٍ أنْ يَهْجُرَ مُؤمِناً فَوْقَ ثلاثٍ[2]، فَإنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلاثٌ، فَلْيَلْقَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإنْ رَدَّ عَلَيهِ السَّلامَ، فَقَدِ اشْتَرَكَا في الأجْرِ، وَإنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، فَقَدْ بَاءَ بالإثْمِ، وَخَرَجَ المُسَلِّمُ مِن الهِجْرَةِ» رَوَاهُ أبو داود بإسناد حسن.

قال أبو داود: إذا كانَتِ الهِجْرَةُ لِلّهِ تَعَالى، فَلَيْسَ مِنْ هذَا في شَيْءٍ.

---

(١) «أيِسَ أن يعبده المصلُّون» هذا إخبار من الصادق الأمين ﷺ بأن الشيطان لا يستطيع صرف المسلمين عن الإيمان إلى الكفر، فهو قد يئس من تكفيرهم، ولكنه يسعى لإيقاع الخصومات والشحناء والفتن بينهم، وهذا الحديث من معجزات النبوة حيث وقع مثل ما أخبر عنه ﷺ وفي الحديث الآخر «إني واللّهِ ما أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم من الدنيا أن تَنَافَسُوها ...» الحديث، رواه البخاري.

(٢) «لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمناً» هذا توجيه نبوي كريم، فيه بيانُ تحريم هجر المؤمن، فوق ثلاثة أيام، لأن ذلك مما يتنافى مع أخوَّة الإيمان «إنما المؤمنون إخوةٌ» وهذا التحريم إن كان من أجل الدنيا، أمّا إن كان هجرة من أجل بدعةٍ ارتكبها، أو معصية جاهر بها، فلا يدخل فيه، وممّا يدل على حرمة الهجر، رواية «كسفكِ دمه» أي هجرانُه لمدة سنة كسفكِ دمهِ في الحرمة.

بابٌ في النّهي عَن تناجي اثنينِ دُونَ الثالث بغير إذنه إلاّ لحاجةٍ وهو أن يتحدثا سراً بحيث لا يسمعهما وفي معناه ما إذا تحدثا بلسان لا يفهمه

قَالَ اللّهُ تَعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [المجادلة: ١٠].

١٥٩٦ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِي اللّهُ عَنهُما، أنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «إذا كَانُوا ثَلاثَةً، فَلا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ» مُتَّفَقٌ عليه.

ورَوَاهُ أبو داود وَزَادَ: قَالَ أبُو صَالِحٍ: «قُلْتُ لابْنِ عُمَرَ: فأرْبعَةً؟ قَالَ: لا يَضُرُّكَ» ورَوَاهُ مالك في «المُوطأ» عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: «كُنْتُ أنَا وَابْنُ عُمَرَ، عِنْدَ دَارِ خَالِدِ بْنِ عُقبَةَ الَّتي في السُّوقِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أنْ يُنَاجِيَهُ، وَلَيْسَ مَعَ ابْنِ عُمَرَ أحَدٌ غَيْرِي، فَدَعَا ابْنُ عُمَرَ رَجُلاً آخَرَ، حَتَّى كُنَّا أرْبَعَةً، فقالَ لي وَللرَّجُلِ الثَّالِثِ الَّذي دَعَا: اسْتَأخِرَا شَيْئاً، فَإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «لا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ وَاحِدٍ».

١٥٩٧ ـ وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ، أنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «إذا كُنتُمْ ثَلاثَةً، فَلا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بالنَّاسِ، مِنْ أجْلِ أنَّ ذلكَ يُحزِنُهُ»(١) مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النّهي عن تعذيب العَبْد والدّابة والمرأة والولد بغير سبب شرعي أو زائد على قدر الأدب

قَالَ اللّهُ تَعَالى: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

---

(١) «لا يتناجَى اثنانِ دون الآخرِ من أجل أن ذلك يُحْزِنه» التناجي: هو الحديث سراً بين اثنين، فإذا كانوا ثلاثة، وتحدّث اثنان بينهما سراً، فقد يظن الثالث أنهما يتآمران عليه، أو يتحدثان في شأنه بما يضره، فلهذا حرم الحديث بينهما سراً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيطَانِ لِيَحْزُنَ الذِينَ آمَنُوا﴾.

١٥٩٨ ـ وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ في هِرَّةٍ[(١)] سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا، إذْ حَبَسَتْهَا، وَلا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ» مُتَّفَقٌ عليه.

«خَشَاشُ الأَرْضِ»: هَوَامُّها وَحَشَرَاتُهَا.

١٥٩٩ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنَّهُ مَرَّ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ نَصَبُوا طَيْراً وَهُمْ يَرْمُونَهُ[(٢)]، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ، كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ[(٣)]، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هذا؟ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هذا، إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئاً فِيهِ الرُّوحُ غَرَضاً»[(٤)] مُتَّفَقٌ عليهِ.

«الْغَرَضُ» هُوَ: الهَدَفُ، وَالشَّيْءُ الَّذي يُرْمَى إلَيْهِ.

١٦٠٠ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ»[(٥)] مُتَّفَقٌ عليه. وَمَعْنَاهُ: تُحْبَسَ للْقَتْلِ.

١٦٠١ ـ وَعَنْ أبي عَلِيٍّ «سُوَيْدِ بْنِ مُقَرِّنٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُني سَابعَ سَبْعَةٍ مِنْ بَني مُقَرِّنٍ، مَالَنَا خَادِمٌ إلَّا وَاحِدَةٌ، لَطَمَهَا أَصْغَرُنَا فَأمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أنْ نُعْتِقَهَا»[(٦)] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي رِوَايةٍ: «سَابعَ إخْوَةٍ لي».

---

(١) «عُذِّبت امرأةٌ في هرة» هذه المرأة من بني إسرائيل، سجنت هرةً في مكان، ومنعت عنها الطعام والشراب حتى ماتت، فأدخلها اللَّه نار الجحيم، وهذا يدل على أن إيذاء الحيوان وتعذيبه حرام، والرحمةُ مطلوبة لكل ذي روح، من إنسانٍ أو حيوان، ومن لا يرحم لا يُرحم.

(٢) «نصبوا طيراً يرمونه» أي جعلوه هدفاً لرمي سهامهم، يتبارون في رميه لإصابة الهدف.

(٣) «جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة» أي جعلوا له كل السهام التي تخطئ الرمي.

(٤) «لعن رسول اللَّه ﷺ من اتخذ الروح غرضاً» أي هدفاً لما فيه من تعذيب الحيوان، والحديث يشير إلى أنه من الكبائر.

(٥) «نهى ﷺ أن تُصبر البهائم» أي أن تُحبس البهائم ثم تُرمى بشيء لتموتَ، فتصبحَ هدفاً بقصد التسلية، كما يفعل أهل إسبانيا في الثيران.

(٦) «لطمها أصغرنا فأمرنا ﷺ أن نعتقها» أي ضربها أصغرنا ببطن كفه، فأمرهم الرسول ﷺ بإعتاقها، ليكون ذلك كفارة لضربها، مع أنهم كانوا بحاجة ماسة لها لخدمتهم، وكانوا سبعة أشخاص من الصحابة، وفي الحديث تغليظُ تعذيب المملوك والاعتداء عليه، ولهذا أوصى القرآن بالإحسان إليهم ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

١٦٠٢ ـ وعَنْ أبي مَسْعُودِ البَدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ أضْرِبُ غُلاماً لي بالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتاً مِنْ خَلفِي «اعْلَمْ أبَا مَسْعُودٍ» فَلَمْ أفْهَم الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، فلَمَّا دَنَا مِنِّي إذا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فإذا هُوَ يَقُولُ: «اعلَمْ أبَا مَسْعُودٍ أنَّ اللَّهَ أقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلى هذا الْغُلامِ» فَقُلْتُ: لا أضْرِبُ مَمْلُوكاً بَعْدَهُ أبَداً».

وفي روَايَةٍ: «فسَقَطَ السَّوْطُ مِنْ يَدِي مِنْ هَيْبَتِهِ»

وَفي رِوَايَةٍ: «فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ حرٌّ لِوجْهِ اللَّهِ تعالى، فَقَالَ: أمَا لَوْ لمْ تَفْعَلْ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ[١]، أوْ لَمسَّتْكَ النَّارُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ بهذِهِ الرِّوَاياتِ.

١٦٠٣ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ ضَرَبَ غُلاماً له حَدّاً لم يَأتِهِ، أو لَطَمَهُ، فإنَّ كَفَّارَتَهُ أن يُعْتِقَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٦٠٤ ـ وعَنْ هِشَام بْنِ حَكِيم بْنِ حِزَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أنَّهُ مَرَّ بالشَّام عَلى أُنَاسٍ مِنَ الأنبَاطِ، وَقدْ أُقِيمُوا في الشَّمْسِ، وَصُبَّ عَلى رُؤُوسِهِم الزَّيْتُ! فقَالَ: مَا هذَا؟ قِيلَ: يُعَذَّبُونَ في الخَرَاجِ».

وفي رِوَايَةٍ: «حُبِسُوا في الجِزيَةِ». فَقَالَ هِشَامٌ: أشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «إنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ[٢] في الدُّنْيَا، فَدَخَلَ عَلى الأمِيرِ، فَحَدَّثَهُ، فَأمَرَ بِهم فَخُلُّوا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«الأنبَاطُ»: الفَلَّاحُونَ مِنَ العَجَمِ.

١٦٠٥ ـ وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما قَالَ: «رَأى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِمَاراً مَوْسُومَ الوجْهِ، فأنْكَرَ ذلكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لا أسِمُهُ[٣] إلا أقْصَى شَيءٍ مِنَ الوجْهِ، وَأمَرَ بِحِمَارِهِ، فَكُوِيَ في جَاعِرَتَيْهِ، فهوَ أوَّلُ مَنْ كوَى الجَاعِرَتَيْنِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «لو لم تفعل للفحتك النارُ» هذا الصحابي «أبو مسعود البدري» كان يضرب عبده بالسوط، لأنه أساء العمل، فناداه الرسول ﷺ وذكَّره بأن اللَّهَ أقدرُ على الانتقام منه على هذا العبد، فلما رأى الرسولَ ﷺ سقط السوطُ من يده، إجلالاً للرسول وهيبةً منه، فلذلك قال يا رسول اللَّه: هو حرٌّ لوجه اللَّه، فقال له ﷺ: لو لم تعتقه لأحرقتك النار لتعذيبك له، ففي الحديث الرفقُ بالمماليك إذا لم يُذنبوا، أمَّا إذا أساءوا فقد رخَّص رسولُ اللَّه ﷺ بتأديبهم بقدر إثمهم.

(٢) «إن اللَّه يعذِّب الذين يعذِّبون الناس» العدوان على كرامة الإنسان كبيرة، فمن عذَّب أحداً في الدنيا، عذَّبه اللَّه في الآخرة، جزاءً وفاقاً.

(٣) «واللَّه لا أَسِمُهُ» القائل هو ابن عباس، قال ذلك، ثم وسم حماره في وركيه حول الدُّبُر.

«الجَاعِرَتَانِ»: نَاحِيَتا الوَرِكَيْنِ حَوْلَ الدُّبُر. قوله: «فقال» يعني ابن عباس.

١٦٠٦ ـ وَعن جابر رضي اللّه عنه، «أنَّ النَّبيَّ ﷺ: مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قد وُسِمَ في وَجْهِه، فَقَالَ: لَعَنَ اللّهُ الَّذي وَسَمَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي رواية لمسلم أيضاً: «نَهَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَن الضَّرْبِ في الوجهِ، وَعَن الوسْمِ في الوجهِ»[١].

۞ ۞ ۞

باب في تحريم التعذيب بالنار في كل حيوان حتى النملة ونحوها

١٦٠٧ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ في بَعْثٍ فَقَالَ: إن وَجَدْتُم فُلاناً وَفُلاناً ـ لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيش سَمَّاهُمَا ـ فأحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ! ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ حينَ أرَدْنَا الخُرُوجَ: إنِّي كُنْتُ أمَرْتُكُمْ أنْ تُحْرِقُوا فُلاناً وَفُلاناً، وَإنَّ النَّارَ لا يُعَذِّبُ بِهَا إلا اللّهُ[٢]، فَإنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فاقْتُلُوهُمَا» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٦٠٨ ـ وعنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ في سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لحَاجَتِهِ، فَرَأيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ[٣]، فَأخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَت الحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَعْرِشُ، فَجاءَ النَّبيُّ ﷺ فَقَالَ: مَنْ فَجَعَ هذِهِ بِوَلَدِها؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إلَيْهَا، وَرَأى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا، فَقَالَ: مَنْ حَرَّقَ هذِهِ؟ قُلْنَا: نَحْنُ، قالَ: إنَّه

---

(١) «نهى الرسولُ ﷺ عن الضَّرْبِ في الوجه، والوَسْم في الوجه» الوسمُ معناه الكيُّ في الوجه، ليكون كعلامة للحيوان، وإنما نهى ﷺ عن الضرب على الوجه للتأديب، سواءً كان الضرب للخادم، أو الولد، لأن الوجه يجمع محاسن الجسد، والضرب قد يشوّه الوجه، ويترك فيه علامة ظاهرة من العيب، لذلك مُنع الضرب عليه، ووسمُ العبد أو الدابة في الوجه، أقبحُ وأشنع، لذلك كان من الواجب اجتنابه.

(٢) «لا يعذّبُ بالنار إلّا اللّه» كان ﷺ قد أمر بعض أصحابه بأن يُحرقوا شخصين من العُتاة الفجار بالنار، ثم استدرك ﷺ فنهاهم أن يحرقوهما بالنار وأمرهم بقتلهما، لأن اللّه أوحى له أن النّارَ، لا يُعذّب بها إلّا ربُّ النار، وفي هذا البيان تشريع حرمة حرق أحدٍ بالنار، إنساناً أو حيواناً، أو كلّ ذي روح كالضفدع، والنملة، والقملة.

(٣) «رأينا حُمَّرة معها فرخان» أي حمامةً لها ولدان، أو طائراً صغيراً يشبه البلبل، فلما أخذوا فرخيها، جاءت ترفرف بجناحيها، كأنها تشكو أمرها إلى الرسول ﷺ، فقال ﷺ لأصحابه: من فَجع هذه بولديها؟ ردُّوهما عليها!! فردُّوهما عليها، وفيه الإشارة إلى وجوب الرحمة لكل مخلوق له نفسٌ وروح، كالهرة، والطير، والكلب، وأمثال ذلك من الحيوانات.

لا يَنْبَغِي أنْ يُعَذِّب بالنَّارِ إلّا ربُّ النَّارِ »[(١)] رَوَاهُ أبو داود بإسناد صحيح.

قوله: « قَرْيَةُ نَمْلٍ » مَعْنَاهُ: مَوْضِعُ النَّمْلِ مَعَ النَّمْلِ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم مطل الغني بحقٍّ طلبه صَاحبه

قَــالَ اللَّهُ تَعَــالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

وقَالَ تَعَالى: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

١٦٠٩ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ[(٢)]، وَإذا أُتبِعَ أحَدُكُم عَلى مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ »[(٣)] مُتَّفَقٌ عليه.

مَعْنَى « أُتبِعَ »: أُحِيلَ.

۞ ۞ ۞

باب كراهة عودة الإنسان في هِبَةٍ لم يُسلّمها إلى الموهوب له، وفي هبة وهبها لولده وسلمها أو لم يسلمها، وكراهة شرائه شيئاً تصدق به من الذي تصدق عليه، أو أخرجه عن زكاة أو كفارة ونحوها، ولا بأس بشرائه من شخص آخر قد انتقل إليه

١٦١٠ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « الَّذِي يَعُودُ في هِبَتِهِ، كَالكَلْبِ يَرجعُ في قَيْئِهِ »[(٤)] مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) « رأى قرية نمل حرّقناها » أي إن النمل قد آذاهم، فحرّقوا بيوت النمل، فقال لهم ﷺ: لا يحلُّ لأحد أن يُحرّق بالنار إلّا ربُّ النار.

(٢) « مطلُ الغنيِّ ظلم » أي تأخيرُ دفع الحقِّ من الغنيِّ القادر، ظلم يستوجب العقوبة، وهو يشبه الغصب، لأنه عدوانٌ على حقوق الناس.

(٣) « وإذا أُتبع على مليءٍ فليتبع » أي إذا أُحيل أحدكم على غنيٍّ فليقبل، لأن الغرض وصولُ الحقِّ إلى صاحبه وهو الدائن، سواءٌ وصله من المستدين الأصلي، أم من المحال عليه.

(٤) « العائد في هبته كالكلب يرجع في قيئه » هذا تمثيل عجيب، للتنفير من عودة الإنسان إلى هبته، وقع التشبيه فيه من وجهين:

الأول: تشبيه الراجع بالكلب، وهو منتهى الشناعة والقبح.

الثاني: تشبيه المرجوع فيه وهو « الهبة » بالقيء، وكلٌّ منهما شنيع وقبيح.

وفي روايةٍ: «مَثَل الَّذي يَرجعُ في صَدَقَتِهِ، كَمَثَلِ الكَلْبِ يَقيءُ، ثمَّ يَعُودُ في قَيْئِهِ فَيَأكُلُهُ»

وفي روايةٍ: «العَائِدُ في هِبَتِهِ كالعَائِدِ في قَيْئِهِ».

١٦١١ ـ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «حَمَلْتُ عَلى فَرسٍ في سَبِيلِ اللَّهِ[١] فَأضَاعَهُ الَّذي كَانَ عِندَه، فَأرَدتُ أنْ أشتَرِيَهُ، وَظَنَنْتُ أنَّهُ يَبيعُهُ بِرُخْصٍ، فَسَألتُ النَّبيَّ ﷺ فَقَالَ: لا تَشْتَرِهِ وَلا تَعُدْ في صَدَقَتِكَ، وإن أعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ، فَإنَّ العَائِدَ في صَدَقَتِهِ كَالْعَائِدِ في قَيْئِهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

قوله: «حَمَلْتُ عَلى فَرَسٍ في سَبِيلِ اللَّهِ» مَعْنَاهُ: تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلى بَعْضِ المُجَاهِدِينَ.

۞۞۞

باب تأكيد تحريم مَال اليتيم

قَالَ اللَّهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

١٦١٢ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ[٢] قَالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُن؟ قال: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بِالحَقِّ، وأكْلُ الرِّبَا، وَأكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقذفُ المُحْصَنَاتِ المُؤمِناتِ الغَافِلاتِ» مُتَّفَقٌ عليه.

«المُوبِقاتُ»: المُهلِكَاتُ.

---

(١) «حملتُ على فَرَس في سبيل اللّه» معنى الحديث أي وهبتُ فرسي لرجلٍ، يجاهد عليه في سبيل اللّه، فلم يقم بالعناية به، وإكرامه بالطعام، فأردت أن أشتريه منه، فنهاه ﷺ عن ذلك، ولو باعه بأخسّ الأثمان، ومثَّل له بالكلب الذي يتقيأ، ثم يعود إلى أكل القيء الذي خرج منه.

(٢) «اجتنبوا السبع الموبقات» أي احذروا هذه الكبائر المهلكة، التي تدمّر دين الإنسان، وتوقعه في المهالك والمعاطب، وعدَّ ﷺ منها «أكلَ مال اليتيم» لأنه لعجزه وضعفه، يحتاج إلى عونٍ ومساعدة، لا إلى من يسلب ماله، ويذيقه غُصص اليُتم والحرمان.

بابٌ في تغليظ تحريم الرّبا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ إلى قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥ ـ ٢٧٨].

وَأَمَّا الأحَادِيثُ فَكَثِيرةٌ في الصَّحِيحِ مَشْهُورَةٌ، مِنها حَدِيثُ أبي هُريرَة السَّابقُ في الْبَابِ قَبْلَهُ.

١٦١٣ ـ وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ. «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ»(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

زاد الترمِذي وغيره: «وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَهُ».

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم الرّياء

قَالَ اللَّهُ تَعَالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وقَالَ تَعَالى: ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

---

(١) «لعن رسول اللَّه ﷺ آكلَ الربا وموكله» اللعنُ معناه: الطردُ من رحمة اللَّه، ولا يكون ذلك إلّا للذنب العَظيم والخطير، فآكل الربا ملعون وهو الذي يأخذ الربا، وموكلَه ملعونٌ أيضاً، وهو الذي يعطي الربا، ثم ينبغي أن نعلم أن جريمة الربا، من أخطر الجرائم الدينية والاجتماعية، فاللَّه جلَّ وعلَا لم يعلن الحرب على الزاني، ولا على السارق، ولا على قاطع الطريق، مع شناعة جريمة هؤلاء، وإنما أعلن الحرب على المرابي بقوله سبحانه: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّه وَرَسُولِهِ﴾ أي فإن لم تتركوا الربا، فأيقنوا وكونوا على علم ويقين، بحرب اللَّه ورسوله لكم!! فأيُّ مسلم يسمع مثل هذا الوعيد ثم يتعامل بالربا؟ ولم تقتصر اللعنة على الآخذ أو المعطي للربا، وإنما شملت الكاتب الذي كتب العقد، والشاهد الذي شهد عليه، فجعلهم جميعاً في قائمة الملعونين، روى مسلم في صحيحه عن جابر قال: «لعن رسول اللَّه ﷺ آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء» أي في اللعنة والأسى.

وقالَ تعالى: ﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢].

١٦١٤ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالى: أنَا أغْنى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي[١]، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٦١٥ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقْضى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ[٣]، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأنْ يُقالَ: جَرِيءٌ، فقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ، لِيُقَالَ: هو قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأعْطَاهُ مِنْ أصْنَافِ المَالِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فيهَا؟ قَالَ: ما تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنْفَقَ فيها إلَّا أنْفَقْتُ فيهَا لَكَ. ! قَالَ: كَذَبْتَ، ولكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هو جَوَادٌ، فَقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلى وَجْهِه ثُمَّ أُلْقِيَ في النَّار» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«جَرِيءٌ» أيْ: شُجَاعٌ حَاذِقٌ.

١٦١٦ ـ وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أنَّ نَاساً قَالُوا لَهُ: إنَّا نَدْخُلُ على سَلاطِينِنَا، فَنَقُولُ لهُمْ بخِلافِ ما نَتَكَلَّمُ، إذا خَرَجْنَا منْ عنْدِهِمْ؟ قالَ ابْنُ عُمَرَ

---

(١) «عمل عملاً أشرك فيه معي غيري» مثل أن يتصدَّق أمام الأمراء يقصد به ثناء الناس عليه بأنه محسن وكريم، أو يفعل الخير للمباهاة.

(٢) «تركته وشركه» أي تركتُ هذا العمل للشريك، وأبطلتُ ثواب عمله، فليأخذ أجره ممن أشركه معي، وهذا الرياء يُسمى «الشرك الخفي».

(٣) «أول الناس يقضى يوم القيامة» هؤلاء الأصناف الثلاثة الذين عدَّهم رسول الله ﷺ وهم «شهيد، وعالم، ومحسن» هم أول من تُسعَّر بهم نار جهنم، لأن عملهم لم يكن للَّه، إنما كان للرياء والشهرة، وهم المراءون بأعمالهم، وليس معنى الحديث أنهم مُخلَّدون في نار جهنم، وإنما يستمر عذابهم، فترة مقدَّرة في علم اللَّه، ثم يدخلون الجنة إذا كانوا مؤمنين بعد أن يُطهَّروا من قبيح أفعالهم.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كنَّا نَعُدُّ هذا نِفَاقاً على عَهْد رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٦١٧ ـ وعنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ[1]، وَمَنْ يُرَائي يُرَائي اللَّهُ به» مُتَّفَقٌ عليه.

ورَوَاهُ مُسْلِمٌ أيضاً مِن رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ، «سَمَّعَ» بتَشْدِيدِ المِيمِ، وَمَعْنَاهُ: أَظْهَرَ عَمَلَهُ للنَّاسِ رِيَاءً، «سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ» أيْ: فَضَحَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَعْنى: «مَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ» أيْ: مَنْ أَظْهَرَ للنَّاسِ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، لِيَعْظُمَ عِنْدَهُمْ «رَاءَى اللَّهُ بِهِ» أيْ: أَظْهَرَ سريرَتَهُ عَلى رُؤوسِ الخلائقِ.

١٦١٨ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول اللّه ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[2]، لا يَتَعَلَّمُهُ إلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يَعْني: رِيحَهَا. رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

والأحاديثُ في الباب كثيرةٌ مشهورةٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في ما يتوهم أنّه رياء وَليسَ هو رياء

١٦١٩ ـ عَنْ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قِيلَ لِرسُولِ اللَّهِ ﷺ: أرَأيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخَيْرِ، وَيَحْمَدُه النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قال: تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤمِنِ»[3] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «مِن سمَّع سمَّع اللّه به» أي من أحبَّ أن يُظهر عمله الصالح للناس، ليثنوا عليه، فضحه اللّه تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق، ومثله من راءىٰ في عمله أي أظهر عمله للناس وغرضه ثناء الناس عليه، كشف اللّه سريرته للناس، وفضحه يوم القيامة.

(٢) «علماً مما يُبتغي به وجه اللّه» العلم عبادة للّه، وقربة من أعظم القربات، فمن تعلَّم العلم الشرعيَّ لينال به متاع الدنيا وحُطامها العاجِل، لم يجد رائحة الجنة، لأنه قَصَر طلبه على الحقير الفاني من الدنيا.

(٣) «تلك عاجلُ بشرى المؤمن» أي هذه علامةُ قبول عمله، وهي البشرى العاجلة للمؤمن، الذي أخلص عمله للّه، فأطلق اللّهُ ألسنةَ الخلق بالثناء عليه، قال تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فثناء الناس لا يُنقص من أجر المؤمن عند اللّه.

بابٌ في تحريم النّظر إلى المرأة الأجنبيّة والأمرد الحسن لغير حاجة شرعية

قَالَ اللَّهُ تَعَالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠].

وقَالَ تَعَالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقَالَ تَعَالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

وقَالَ تَعَالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٤].

١٦٢٠ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «كُتِبَ عَلى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنى[1]، مُدْرِكٌ ذلكَ لا مَحَالَةَ، الْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِناهُمَا الاسْتِمَاعُ، واللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَى، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذلكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لَفْظُ مسلم، وروايةُ الْبُخَارِيِّ مُخْتَصَرَةٌ.

١٦٢١ ـ وَعَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ في الطُّرُقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَالَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ، نَتَحَدَّثُ فيهَا!! فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: غَضُّ البَصَرِ، وكَفُّ الأَذَى، ورَدُّ السَّلامِ، والأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، والنَّهيُ عَنِ المُنْكَرِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٢٢ ـ وَعَنْ أَبي طَلْحَةَ «زَيْدِ بْنِ سَهْلٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا قُعُوداً بالأَفنِيَةِ نَتَحَدَّثُ فيها، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ علَينا، فقالَ: مَا لَكُمْ وَلِمَجَالِسِ الصُّعُدَاتِ[2]!! اجتنِبُوا مجَالسَ الصُّعُداتِ، فَقُلْنَا: إنَّمَا قَعَدنَا لغَيْرِ ما بَأس، قَعَدْنَا

---

(١) «كُتِبَ على ابنِ آدمَ نصيبُه من الزنى» الزنى فاحشةٌ قبيحةٌ حرَّمه اللَّه تعالى بقوله: ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾ وهو قسمان: «قسمٌ حقيقي» وهو وطءُ الرجل امرأةً من غير عقدٍ شرعي بينهما، وهذا فيه الحدُّ، وهو الذي عبَّر عنه الرسول ﷺ: «**ويُصدِّق ذلكَ الفَرْجُ**» وقسمٌ آخر مجازيٌ، وهو العينُ تزني وزناها النظر إلى ما حرَّم اللَّه، وكذلك اليدُ، واللسانُ، والرجلُ، كلُّ واحدٍ يلحقه من الزنى ما يناسبه، وهو «زنى مجازي» ليس فيه حدٌّ، وإنما يجرُّ إلى الزنى ويقود إليه، كما يُقال: «والأذنُ تعشق قبل العين أحياناً».

(٢) «ما لكم ولمجالس الصُّعُدات»؟ أي ما الذي يحملكم على الجلوس في الطرقات؟ سميت =

نَتَذَاكَرُ، ونَتَحَدَّثُ. قالَ: إمَّا لا، فَأَدُّوا حَقَّهَا[(١)]: غَضُّ البَصَرِ، وَرَدُّ السَّلام، وحُسْنُ الكَلام » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

« الصُّعُداتُ » بضَمِّ الصَّادِ والعَيْنِ، أي: الطُّرقَاتُ.

١٦٢٣ ـ وَعَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الفَجْأةِ[(٢)]، فَقَالَ: اصْرِفْ بَصَرَكَ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٦٢٤ ـ وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: « كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ مَيْمُونَةُ، فَأَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكتُوم ـ وذلكَ بَعْدَ أنْ أُمِرْنَا بالحِجَابِ ـ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: احتَجِبَا مِنْهُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ هُوَ أعْمَى، لا يُبْصِرُنَا، ولا يَعْرِفُنَا؟ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: أفَعَمْيَاوَانِ أنْتُما؟ أَلَسْتُمَا تُبصِرَانِهِ!؟ » رَوَاهُ أبو داود والتِّرمِذِيُّ وقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

١٦٢٥ ـ وَعَنْ أبي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إلى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا المَرْأةُ إلى عَوْرَةِ المَرْأةِ، وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إلى الرَّجُلِ، في ثَوْبٍ واحِدٍ[(٣)]، وَلَا تُفْضِي المَرْأةُ إلى المَرْأةِ في الثَّوْبِ الوَاحِدِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم الخلوة بالأجنبيّة

قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

١٦٢٦ ـ وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

≠ « صُعُدات » لأن الناس يصعدون بيوتهم ويخرجون لحوائجهم من الطُّرق، فيراهم الجالسون، والجلوسُ في الطرق يؤدي إلى النظر لعورات الناس.

(١) « إمَّا لا فأدُّوا حقها » أي إن كان لا بدَّ من الجلوس في الطرقات، لبعض المصالح والحاجات، فأعطوا الطريق حقَّه، من غضِّ البصر، وحسن الكلام.

(٢) « نظر الفَجأة » أي النظر البغتة الذي لا يتقصَّدُه الإنسان، فهذا ليس فيه إثم، وينبغي أن يصرف عنه بصره، وقد جاء في بعض الروايات « **فإنما لك الأولى وعليك الثانية** » أي النظرة الأولى ليس فيها إثم لأنها غير مقصودة، والنظرة بعدها فيها الإثم.

(٣) « **ولا يُفضِي الرجلُ إلى الرجلِ في ثوب واحد** » أي لا يضطجع الرجل مع الرجل، متجرِّدين تحت ثوب واحد، ولا المرأة مع المرأة، بحيث تصل بَشرةُ إحداهما إلى بَشَرة الأخرى، خوف ظهور فاحشة بينهما.

« إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاء! فَقَال رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ: أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ[1]؟ قالَ: الْحَمْوُ المَوْتُ» مُتَّفَقٌ عليه.

«الْحَمْوُ» قَرِيبُ الزَّوْجِ، كَأَخِيهِ، وابْنِ أَخِيهِ، وَابْنِ عَمِّهِ.

١٦٢٧ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُم بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٢٨ ـ وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ المُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ، كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ[2]، مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ، يَخْلُفُ رَجُلاً مِنَ المُجَاهِدِينَ في أَهْلِهِ، فَيَخُونُهُ فِيهِمْ، إِلَّا وَقَفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شَاءَ، حَتَّى يَرْضَى، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا ظَنُّكُمْ؟» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم تشبّه الرّجال بالنّساء وتشبه النساء بالرجال في لباسٍ وحركة وغير ذلك

١٦٢٩ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالمُتَرَجِّلاتِ مِنَ النِّساء»[3]

---

(١) «أفرأيت الحمو»؟ أي ما هو حكم الحَمْو؟ وهو قريب الزوج، كأخيه، وابن أخيه، وابن عمه؟ فقال ﷺ: الحَمْوُ: الموتُ، أي إن الخوفَ منه أكثر، والفتنةُ أشدُّ وأعظم، لخلوته بالمرأة من غير نكير، ومن هنا يأتي الخطر، بخلاف الأجنبي.

(٢) «حرمةُ نساء المجاهدين كحرمة أمهاتهم» يعني أن التعرض لزوجات المجاهدين حرام، كحرمة أم الرجل عليه، فلا يجوز التعرُّض لهنَّ بوجهٍ من وجوه الخيانة والريب، فمن اعتدى على حرمتهن، فكأنه اعتدى على أمه، وهذه من أعظم الجرائم عند الله تعالى.

(٣) «لعن المخنَّثين من الرجال والمترجلات من النساء» المراد من المخنَّثين: الرجال الذين يتشبَّهون بالنساء في حركاتهم، وكلماتهم، وأزيائهم، فهؤلاء ملعونون على لسان رسول الله ﷺ، لأنهم آثروا صفات الأنوثة على صفات الرجولة، وأصلُ التخنُّث: التكسرُ في المشي، ثم أُطلق على كلِّ متشبِّه من الجنسين بالآخر، ويدلُّ عليه رواية البخاري «لعن رسولُ الله ﷺ المتشبِّهين من الرجالِ بالنساء، والمتشبِّهاتِ من النساء بالرجال» ومثله حديث أبي داود «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسةَ الرجل» والحكمة في لعن هؤلاء، خروجُهم عن الصفة التي خصَّ الله بها كلاً من الرجل والمرأة من الرجولة، والأنوثة، كما أن فيه التغيير للفطرة ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾.

وفي رواية: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بالرِّجَالِ» رَوَاهُ البُخاري.

١٦٣٠ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ المَرْأةِ، وَالمَرْأةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ» رَوَاهُ أبو داود بإسناد صحيح.

١٦٣١ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أهْلِ[١] النَّارِ لَمْ أرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأذْنَابِ الْبَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِساءٌ كاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ[٢]، مُمِيلاَتٌ، مَائِلاَتٌ[٣]، رُؤوسُهُنَّ كَأسْنِمَةِ الْبُخْتِ المَائِلَةِ[٤]، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وإنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

معنى «كاسِيَات» أيْ: مِنْ نعْمَةِ اللَّهِ. «عَارِيَاتٌ» مِنْ شُكْرِهَا. وَقِيلَ:

---

(١) «صنفان من أهل النار لم أرهما» هذا من معجزاته ﷺ فقد أخبر عن جماعةٍ من الناس لم يكونا في زمانه، وقد ظهرا في هذا العصر والزمان، وهم زبانيةُ الزعماء الظُّلّام، والكاسيات العاريات من النساء.

(٢) «كاسيات عاريات» ظاهر الكلام فيه تعارض، لأن معنى «كاسيات» أي لابسات الثياب، ومعنى «عاريات» أي ليس على أجسادهنّ ما يسترها من الثياب، وقد كان المحدِّثون يأوِّلون الحديث بتأويلات عديدة، منها قولهم: كاسيات في الدنيا، عاريات في الآخرة، وقولِ بعضهم: كاسيات من الثياب، عاريات من رحمة الله تعالى، وقول بعضهم: تستر بعض جسدها، وتكشف بعضه، إظهاراً للجمال وجلباً للفتنة، وقد ظهرت في زماننا معجزة خاتم الأنبياء ﷺ في تحقق ما أخبر عنه الصادق المصدوق، عليه أفضل الصلاة والتسليم، حيث اخترع «تلامذةُ إبليس» ملابس رقيقة شفَّافة، كأنها مصنوعة من خيوط العنكبوت، لا تستر عورة ولا جسداً، وإنما تُجسِّد وتُجسِّم عورة المرأة، وتزيد في الفتنة والإغراء، حتى تجعل من الدميمة كأنها ملكةُ جمال، ملابس في غاية الخفة والرّقة، تحقّق غرض إبليس اللعين الذي يسعى لتعرية النساء بالكامل، لتحصل الفتنة بانكشاف العورات، كما أخبر تعالى عنه بقوله: **﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾** وبهذا ظهرت المعجزة النبوية.

(٣) «مُمِيلَات مَائِلَات» أي مائلات في مشيتهن، بتغنُّج وتكسُّر، مميلات لقلوب الرجال نحوهن، لإغرائهم بمغازلتهن واقتراف الفاحشة معهن، وهذا الذي نلمسه ونشاهده بأعيننا في هذا العصر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٤) «رؤوسهنّ كأسنمة البخت» أي يضخِّمن شعورهن ويكبّرنها، حتى تكون عالية مرتفعة، كسَنَم الجمل الذي يكون وسط ظهره، بارزاً مرتفعاً، وقد ظهر هذا باختراع ما يسمى بـ«الباروكة» تضعها الفتاة على رأسها، ليضخم شكلها، وتعظم فتنتها، وكلُّ هذا قد تحقَّق في هذا الزمان، كما أخبر عنه الرسول الكريم ﷺ، وهو من أنباء الغيب، ومن أصدق معجزات النبوة.

مَعناهُ: تَسْتُرُ بَعْضَ بَدَنِهَا، وَتَكْشِفُ بَعْضَهُ إظْهَاراً لِجَمالِها وَنَحْوِهِ. وَقِيلَ: تَلْبَسُ ثَوْباً رَقِيقاً يَصِفُ لَوْنَ بَدَنِهَا. وَمَعْنَى «مَائِلاتٌ» قِيلَ: عَنْ طَاعَةِ اللّهِ تعالى وَمَا يَلْزَمُهُنَّ حِفْظُهُ، «مُمِيلاتٌ»: أيْ: يُعَلِّمْنَ غَيْرَهُنَّ فِعْلَهُنَّ المَذْمُومَ، وقِيلَ: «مَائِلاتٌ» يَمْشِينَ مُتَبَخْتِرَاتٍ، «مُمِيلَاتٍ» لأكْتَافِهِنَّ، وَقِيلَ: «مَائِلَاتٌ» يَمْتَشِطْنَ المِشْطَةَ المَيْلأَ: وَهِيَ مِشْطَةُ الْبَغَايَا، و «مُمِيلَاتٌ»: يُمَشِّطْنَ غَيْرَهُنَّ تِلْكَ المِشْطَةَ. «رُؤوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ» أيْ: يُكَبِّرْنَهَا وَيُعَظِّمْنَهَا بِلَفِّ عِمَامَةٍ أوْ عِصابَةٍ أوْ نَحْوِه.

❁ ❁ ❁

بابٌ في النّهي
عن التشبّه بالشّيطان والكفّار

١٦٣٢ ـ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: «لَا تَأْكُلُوا بالشِّمَالِ، فَإنَّ الشَّيْطَانَ يَأكُلُ وَيشرَبُ بِشِمالِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٦٣٣ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَأكُلَنَّ أحَدُكُمْ بِشِمالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإنَّ الشَّيْطَانَ يَأكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٦٣٤ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ الْيَهُودَ والنَّصارَى لا يَصْبِغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

المُرَادُ: خِضَابُ شَعْرِ اللِّحْيَةِ وَالرَّأسِ الأبْيَضِ، بِصُفْرَةٍ أو حُمْرَةٍ، وَأمَّا السَّوادُ، فَمَنْهِيٌّ عَنْهُ، كَمَا سَنَذْكُرُ في الْبَابِ بَعْدَهُ، إن شاءَ اللّهُ تعالى.

❁ ❁ ❁

بابٌ في نَهي الرّجل
والمرأة عن خضاب شعرهما بسَواد

١٦٣٥ ـ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: «أُتِيَ بِأبِي قُحَافَةَ وَالِدِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللّهُ عَنهُمَا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَرَأسُه وَلِحْيَتُهُ كالثَّغَامَةِ[1] بَيَاضاً،

---

(١) «كالثَّغَامَة» هو نَبْتٌ شديد البياض يشبه الثلج.

فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: غَيِّرُوا هذا، وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ »[(١)] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النّهي عن القزع وهو حلق بعض الرأس دون بعض، وإباحة حلق كله للرجل دون المرأة

١٦٣٦ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ عَنِ القَزَعِ »[(٢)] مُتَّفَق عليه.

١٦٣٧ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأى رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ صَبِيّاً قَدْ حُلِقَ بَعْضُ شَعْرِ رَأسِهِ، وَتُرِكَ بَعْضُهُ، فَنَهَاهُمْ عَنْ ذلكَ، وَقَالَ: احلِقُوهُ كُلَّهُ، أو اتْرُكُوهُ كُلَّهُ » رَوَاهُ أبُو داود بإسنادٍ صحيحٍ عَلى شَرْطِ البُخَارِي وَمُسْلِم.

١٦٣٨ ـ وَعَنْ «عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ جَعْفَرٍ» رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ ثَلَاثاً[(٣)]، ثُمَّ أتَاهُمْ فَقَالَ: «لا تَبْكُوا عَلَى أخِي بَعْدَ الْيَوْمِ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي بَنِي أخِي، فَجِيءَ بِنَا كَأنَّا أفْرُخٌ[(٤)] فقَالَ: ادْعُوا لِيَ

---

(١) «واجتنبوا السوادَ » هذا النص واضح وصريح، في حرمة صبغ شعر الرأس واللحية بالسواد، لأن فيه غشّاً وخِداعاً للمرأة، حيث تظن أنه شاب، ويكون قد بلغ من الكبر عتيّاً!! إلّا وقتَ الحرب لإظهار الفتوّة والشباب!! فخضاب الشعر واللحية يجوز بكل صبغ غير السواد، ، للعلة التي ذكرناها، لا سيما من الرجل الكبير إذا كان خاطباً «ومن غشّ فليس منّا».

(٢) «نهى ﷺ عن القَزَع » القَزَعُ: حلقُ بعض الرأس، وتركُ البعض، تشبيهاً بقَزَع السحاب، حيث يكون متفرّقاً غير متكامل، وهذه الحلاقة اشتهرت «بالحلاقة الإنكليزية» وقد سارع إليها المفتونون بالتقليد الأعمى من الشُبان، ومثلُها من يحلق وسط رأسه ويترك الأطراف، أو يترك شعر وسط الرأس ويحلق الباقي، وأما حلقُه كلُه فمباحٌ، وكذلك تركُه كلُه، ويدلُ عليه قولُه ﷺ: «احلقوه كلَه، أو اتركوه كلَه » رواه أبو داود، والحكمة من النهي عن القَزَع أنه تشويهٌ للخلقة، وهو زيُّ اليهود اللعناء.

(٣) «أمْهَلَ آلَ جعفرَ ثلاثاً » أي تركهم يبكون على «جعفر بن أبي طالب» ثلاثة أيام.

(٤) «جيء بنا كأننا أفرخ » الفَرْخُ: ولدُ الطائر، والتشبيه بذلك لما اعتراهم من الحُزن والألم على فقده، فلما رأى رسولُ اللّٰه ﷺ رؤوسهم متناثرة الشعر، مبعثرة، أمر الحلّاق أن يحلق رؤوسهم، ليكون كالتفاؤل بإنجلاء الكرب، وزوال الحزن.

الحَلَّاقَ، فَأَمَرَهُ، فَحَلَقَ رُؤوسَنَا» رَوَاهُ أَبو داود بإسنادٍ صحيحٍ عَلى شَرْطِ البُخَارِيِّ ومُسْلِمٍ.

١٦٣٩ ـ وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَحْلِقَ المَرْأَةُ رَأسَهَا»[١] رَوَاهُ النَّسَائي.

❁ ❁ ❁

بابٌ في تحريم وَصل الشعْر وَالوشم والوَشـر وهو تحديد الأسنان

قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ الآية [النساء: ١١٧ ـ ١١٩].

١٦٤٠ ـ وَعَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبيَّ ﷺ **فَقَالَتْ: يَا** رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَتِي أَصَابَتْهَا الْحَصْبَةُ، فَتَمَرَّقَ شَعْرُهَا[٢]، وَإِنِّي زَوَّجْتُهَا، أَفَأَصِلُ فِيهِ[٣]؟ فَقَال: لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَة وَالمَوْصُولَةَ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ: «الْوَاصِلَةَ، وَالمُسْتَوْصِلَةَ»[٤]، قَوْلُهَا: «فَتَمَرَّقَ» أي: انْتَثَرَ وَسَقَطَ، وَ«الْوَاصِلَةُ»: الَّتي تَصِلُ شَعْرَهَا، أو شَعْرَ غيرها بشَعْرٍ آخَرَ، «وَالمَوْصُولَةُ»: الَّتي يُوصَلُ شَعْرُهَا. «وَالمُسْتَوْصِلَةُ»: الَّتي تَسْأَلُ مَنْ يَفْعَلُ ذلكَ لهَا، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نَحْوُهُ، مُتَّفَقٌ عليهِ.

---

(١) «نهى رسول اللَّه ﷺ أن تحلق المرأة رأسها» أي تحلق شعرَ رأسها بالكلية، لما فيه من المُثلة، فإن جمال المرأة بشعرها، وإذا حلقته، أصبحت قبيحة المنظر، وربما طلّقها زوجها إذا رآها صلعاء، قرعاء، وكانت السيدة عائشة إذا أرادت الحلف تقول: لا والذي زيَّنَ الرجالَ باللِّحى، والنساءَ بالشعور.

(٢) «أصابتها الحَصْبَةُ فتمرَّق شعرها» أي تناثَرَ شعرُها وتساقط بسبب مرضها بالحَصْبة، وهو داءٌ يظهر على الجلد، يتساقط منه الشعر.

(٣) «أفأصلُ فيه»؟ أي أفتأذن لي أن أصل شعرها بشعر امرأة أخرى؟ لأنني أريد أن أزوِّجها، فقال لها الرسول الكريم: «لعن اللَّه الواصلة..».

(٤) «لعنَ اللَّهُ الواصلة والمستوصلة» أي ملعونة، الواصلة التي تعطي شعرها، وملعونة المستوصلة التي تأخذ من شعر غيرها، لتجمَّل به نفسها، **وسببُ ورود الحديث** أن جاريةً من الأنصار تزوَّجت، وأنها مرضت فتمعَّط شعرُها ـ أي تناثَرَ وتمزَّق ـ فأرادوا أن يوصلوها، فسألوا النبي ﷺ فقال: «لعنَ اللَّهُ الواصلةَ والمستوصلة» رواه البخاري.

١٦٤١ ـ وَعَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ «أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَامَ حَجَّ عَلَى المِنْبَرِ، وَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعْرٍ[1]، كَانَتْ في يَدِ حَرَسِيٍّ فَقَالَ: يَا أَهْلَ المَدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟! سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هذِهِ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هذِهِ نِسَاؤُهُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٤٢ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ» مُتَّفَقٌ عليهِ.

١٦٤٣ ـ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ!! فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ في ذلِكَ، فَقَالَ: وَمَا لي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ في كِتَابِ اللَّهِ؟! قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾» [الحشر: ٧] مُتَّفَقٌ عليه.

«الْمُتَفَلِّجَةُ»: هي الَّتي تَبْرُدُ مِنْ أَسْنَانِهَا لِيَتَبَاعَدَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ قَلِيلاً، وَتُحَسِّنُهَا وَهُوَ الْوَشْرُ، «وَالنَّامِصَةُ»: هِيَ الَّتي تَأْخُذُ مِنْ شَعْرِ حَاجِبِ غَيْرِهَا، وَتُرَقِّقُهُ لِيَصِيرَ حَسَناً، «وَالْمُتَنَمِّصَةُ»: الَّتي تَأْمُرُ مَنْ يَفْعَلُ بِهَا ذلِكَ.

❁ ❁ ❁

بابُ في النّهي عن نتف الشيب من اللحية والرأس وغيرهما وعن نتف الأمرد شعر لحيته عند أول طلوعه

١٦٤٤ ـ وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ، فإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2] حديث

---

(١) «تناول معاوية قُصَّةً من شعر» أي تناول خصلة من شعر مقدمة الرأس، كانت في يد حَرَسِيٍّ أي غلام للأمير، وقال أين علماؤكم؟ وفي الحديث اعتناء الخلفاء وسائر ولاة الأمور، بإنكار المنكر وإزالته، وهذا هو المفروض فيهم، وأكثر ولاة هذا الزمان على خلاف ذلك، يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) «لا تنتفوا الشيبَ فإنه نور المسلم» إنما كان نوراً له، لأنه حافَظَ على طاعة اللّه في شبابه، وشاب على الاستقامة والإسلام، فكان نوراً له يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**﴾ وفي الحديث «ما من مسلم يشيب شيبةً في الإسلام، إلا كانت له نوراً يوم القيامة» رواه الترمذي.

حسن، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، والتِّرمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ بأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ. قَالَ التِّرمِذِيُّ: هُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

١٦٤٥ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في كراهة الاستِنجاء باليَمين ومسّ الفرج باليمين من غير عذر

١٦٤٦ ـ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ،

---

(١) «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا» أي ابتدع أمراً حادثاً، ليس له أصلٌ من أمور الشريعة، ويتعارض مع تعاليم الإسلام، فهو مردود عليه، وقد ارتكب محدثُه إثماً عظيماً عند الله، لأنه ابتداعٌ في دين الله.. وليس معنى قوله: «ليس عليه أمرنا» أن الرسول ﷺ لم يفعله ولا أصحابه الكرام، ولا السلف الصالح، فإن أشياء كثيرة استُحدثت ولم تكن في زمن النبي ﷺ، وهي غير منكرة، كبناء المدارس، وإحداث جمعيات خيرية لجمع التبرعات، والأذان والصلاة بواسطة المكبِّر «الميكرفون»، وعقد مؤتمرات علمية أسبوعية، تلقى فيها المواعظ والنصائح الدينية، ، وبدء الاجتماعات بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، وإنشاء صناديق مالية، لتزويج الشباب، وتحصينهم من الفساد، والدعوة للقاءات سنوية لكبار رجالات الإسلام كرابطة العالم الإسلامي، أو رابطة الشباب المسلم، وكالمجلس الأعلى للقضاء، وبناء المعاهد والجامعات، لتدريس شتَّى الفنون والمعارف، وتوحيد أوقات الصيام والأعياد الدينية في البلاد الإسلامية، وكثير وكثير من أمثال هذه الأمور المستحدثة، مما لم تكن في زمن النبي ﷺ ولم يفعلها أصحابه، ولا السلف الصالح، ولكنَّها لا تتعارض مع تعاليم الإسلام، وأهدافه السامية، ومن هنا ندرك معنى قوله ﷺ: «ليس عليه أمرنا» أي لا يتفق مع شريعتنا وهدينا، ويتنافى مع أصول الإسلام، وليس لها سند من كتاب أو سُنَّة، وبذلك نكون قد عرفنا معنى «البدعة» بمعناها الشرعي الصحيح، وقيَّدناها بالضوابط الشرعية، التي التبست على مفاهيم بعض المسلمين، حيث يقول البعض منكراً على الآخر، وراميًا له بالزيغ والضلال، هذا شيء لم يفعله الرسول ﷺ، ولا أصحابه، فهو بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار، وبذلك يفتحون أبواب جهنم، ليقذفوا بها المسلمين، دون فهمٍ ولا إدراك لمعنى البدعة المنكرة والمحرَّمة!!

ويؤيد ما ذهبنا إليه قولُ النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ» أي اخترع شيئاً محدثاً، لا يتفق مع الشريعة الغراء، فهو مردود عليه، وقوله ﷺ: «من سنَّ سنة حسنة.. ومن سنَّ سنة سيئة» فَفرَّق بينهما بالحسن، والقبح.

فَلَا يَأْخُذَنَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَسْتَنْجِ بِيَمِينِهِ[(١)]، وَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وَفِي الْبَابِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في كراهة المشي في نعلٍ واحدةٍ أو خفّ واحد لغير عذر، وكراهة لبس النعل والخف قائماً لغير عذر

١٦٤٧ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَمْشِ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، لِيَنْعَلْهُمَا جَمِيعاً، أَوْ لِيَخْلَعْهُمَا جَمِيعاً»[(٢)]

وفي روايةٍ «أَوْ لِيُحْفِهِمَا جَمِيعاً» مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٤٨ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ نَعْلِ أَحَدِكُمْ[(٣)]، فَلَا يَمْشِ فِي الأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٦٤٩ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى أَنْ يَنْتَعِلَ الرَّجُلُ قَائماً»[(٤)] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «ولا يستنج بيمينه» الأمور المستقذرة تستعمل فيها اليد اليسرى، كالاستنجاء، والتمخُّط، والتبول، وأمّا اليمنى فتكون للأمور الطيبة، كالأكل، والشرب، والكتابة، ونحو ذلك.. والحكمة منها أنه يأكل باليمنى، فلو استنجى بها، لتذكّر عند الأكل ما لامسته يده من النجاسة، فتتقزّز نفسه، ويتنغّص عليه طعامه، رُوي عن عائشة أنها قالت: «كانت يد النبي ﷺ اليمنى، لطهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه، وما كان من أذى» رواه أبو داود وهو حديث صحيح.

(٢) «لِيَنْعَلْهما جميعاً أو لِيَخلَعْهما جميعاً» هذه الآداب الاجتماعية، لأن لبس نعلٍ واحدة فيه تشويهٌ للإنسان، ومخالفة للوقار، والناسُ يضحكون عليه إذا رأوا في إحدى رجليه نعلاً، والأخرى حافية، ثم إن المتنعلة تكون أعلى من الأخرى، فيعسُر عليه المشيُ.

(٣) «إذا انقطع شسعُ» أي انقطع أحد سيور النعل، فَلْيَخْلَعْهُما جميعاً حتى يصلح الأخرى، لئلا يمشي في نعلٍ واحدة، وهو مما نُهي عنه المسلم.

(٤) «نهى أن ينتعل قائماً» هذا إذا احتاج إلى الاستعانة باليد، لأنه عندئذٍ ينحني ليلبس حذاءه، فيصبح على هيئة قبيحة، لأن مقعده يصبح على وجوه الناس.

بابٌ في النّهي عن ترك النّار في البيت عند النوم ونحوه سواء كانت في سراج أو غيره

١٦٥٠ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَتْرُكُوا النَّارَ في بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ»[١] مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٥١ ـ وَعَنْ أبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «احْتَرَقَ بَيْتٌ بِالمَدِينَةِ عَلى أهْلِهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا حُدِّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَأْنِهِمْ قَالَ: إنَّ هذِهِ النَّارَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإذَا نِمْتُمْ، فَأطْفِئُوهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٦٥٢ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «غَطُّوا الإنَاءَ[٢]، وَأوْكِئُوا السِّقَاءَ[٣]، وَأغْلِقُوا البَابَ، وَأطْفِئُوا السِّرَاجَ، فَإنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحِلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَاباً، وَلَا يَكْشِفُ إنَاءً، فَإنْ لَمْ يَجِدْ أحَدُكُمْ إلَّا أنْ يَعْرُضَ عَلى إنَائِهِ عُوداً، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ، فَلْيَفْعَلْ، فَإنَّ الفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ[٤] عَلى أهْلِ البَيْتِ بَيْتَهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«الفُوَيْسِقَةُ»: الفَأرَةُ، و «تُضْرِمُ»: تُحْرِقُ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النّهي عن التكلف وهو فعلُ وقول ما لا مصلحة فيه بمشقة

قَالَ اللَّهُ تَعَالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

١٦٥٣ ـ وَعَنْ عُمَرَ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ» رَوَاهُ البُخَارِي.

١٦٥٤ ـ وعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: «دَخَلْنَا عَلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ

---

(١) «لا تتركوا النار حين تنامون» أي لا تتركوها مشتعلة دون إخماد، حين تريدون النوم، لئلا يحدث في المنزل حريق، وسببُ هذا الحديث، أنه احترق بيت في المدينة المنورة بالليل، فقال ﷺ: «إن هذه النار عدوٌّ لكم، فإذا نمتم فأطفئوها» رواه البخاري.

(٢) «غطوا الإناء» يعني إناء الطعام، صوناً له من الحشرات والمؤذيات.

(٣) «وأوكئوا السّقاء» أي اربطوا فم السقاء والقُربة بخيط ونحوه، لئلا يقع فيه ما يؤذي.

(٤) «فإن الفُويسقة» أي فإن الفأرة تُشعل الحريق في المنزل، بأن تجرَّ الفتيلة إلى أساس المتاع، فتضرمه ناراً، وهذا تعليل منه ﷺ لإطفاء السراج

عَنْهُ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَلِمَ شَيْئاً فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ، فَلْيَقُل: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لا يَعْلَمُ: اللَّهُ أَعْلَمُ.[1] قَالَ اللَّهُ تعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[2] [ص: ٨٦] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم النياحة على الميّت ولطم الخد وشقّ الجيب ونتف الشعر وحلقه، والدعاء بالويل والثبور

١٦٥٥ ـ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «المَيِّتُ يُعَذَّبُ في قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْه»[3]

وفي روايَةٍ: «مَا نِيحَ عَلَيْهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٥٦ ـ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»[4] مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «فإن من العلم أن يقول: اللَّه أعلم» أي لا يُفتي بغير علم، فإن ذلك دمار لدين الإنسان، وليس من العيب أن يقول لما لا يعلم: اللَّهُ أعلم.

(٢) ﴿**وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾ أي لستُ ممن يتصنَّع ويتكلَّف ما ليس له به علم، فكلُّ من قال شيئاً من تلقاء نفسه، فقد تكلَّف له، **والغرضُ من الآية**: بيان أن النبي ﷺ مبلِّغ للرسالة، ولا يقول شيئاً من تلقاء نفسه، إلاّ ما يوحيه اللَّه إليه، ودينُ اللَّه واضح وصريح، لا يحتاج إلى معرفة صحته البحثُ العميق، والتكلُّف الشاقُّ.

(٣) «الميتُ يُعذَّبُ بما نِيحَ عليه» أي يُعذَّب في قبره بسبب النوح عليه، وهو رفعُ الصوت بالصياح والعويل، كالمعترض على القدر، والمعلن سخطه على حكم اللَّه ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ وهذا الحديث ـ كما يقول جمهور العلماء ـ محمولٌ على من أوصى بالنَّوح عليه، لأنَّ النياحة كانت بسبب وصيَّته لهم بالنوح، أمَّا إذا لم يكن له وصية ولا أمر، فلا يُعذَّب بذلك، لقوله تعالى: ﴿**ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى**﴾ وقد كان أهل الجاهلية، ينوحون على الميت بما هو محرَّم شرعاً كقولهم: يا ميتِّم الوِلْدان، ومرمِّل النسوان، ويستأجرون نساء للنوح على الميت، وكلُّ هذا من وساوس الشيطان، وكيد النسوان.

(٤) «ليس منا من ضرب الخدود وشقَّ الجيوب» أي ليس بمسلم صادق الإيمان، ولا من أهل هدينا وسنتنا، من لَطَم خَدَّه، وشقَّ ثوبه، وتلفَّظ بألفاظ أهل الجاهلية، كقولهم: يا غوثنا، ويا كهفنا، إلى من تركْتَنا؟ وكما ينوح بعض النصارى على موتاهم فيقولون: يا موتُ من أين جئته؟ في عمره الطويل ما نَضَح مسلماً! وكأنهم يعتبرون نصيحة المسلم جريمة من أكبر الكبائر، في دينهم.

١٦٥٧ ـ وَعَنْ أبي بُرْدَةَ قَالَ: «وَجِعَ أبُو مُوسَى، فَغُشِيَ عَلَيْه، وَرَأسُهُ في حِجْرِ امْرَأةٍ مِنْ أهْلِهِ، فَأقْبَلَتْ تَصِيحُ بِرَنَّةٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئاً، فَلَمَّا أفَاقَ، قَالَ: أنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَرِيءٌ مِنَ الصَّالِقَةِ، وَالحَالِقَةِ، وَالشَّاقَّةِ»[١] متّفقٌ عليه.

«الصَّالِقَةُ»: الَّتي تَرْفَعُ صَوْتَهَا بالنِّيَاحَةِ والنَّدْبِ، «والحَالِقَةُ»: التي تَحْلِقُ رَأسَهَا عِنْدَ المُصِيبَةِ، «والشَّاقَّةُ»: الَّتي تَشُقُّ ثَوْبَهَا.

١٦٥٨ ـ وَعَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ، فَإنَّهُ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٥٩ ـ وَعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ نُسَيْبَةَ ـ بِضَمِّ النُّونِ وَفَتْحِها ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «أخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ البَيْعَة أنْ لَا نَنُوحَ» متَّفَقٌ عليْه.

١٦٦٠ ـ وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أُغْمِيَ عَلَى «عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ تَبْكِي، وَتَقُولُ: وَاجَبَلَاهُ، وَاكَذَا، وَاكَذَا[٢]: تُعَدِّدُ عَلَيْهِ. فَقَالَ حِينَ أفَاقَ: مَا قُلْتِ شَيْئاً إلَّا قِيلَ لِي: أنْتَ كَذلِكَ؟!» رَوَاهُ البُخَارِي.

١٦٦١ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «اشْتَكَى «سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَكْوَى، فأتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، وَجَدَهُ في غَشْيَةٍ[٣] فَقَالَ: أقَضَى[٤]؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) «برئ رسولُ الله من الصَّالقة، والحالقة، والشاقة» أي رسول الله ﷺ تبرأ من «الصالقة» وهي النائحة التي ترفع صوتها بالنياحة والندب، من الصَّلْق وهو الصوتُ الشديد، ومن «الحالقة» وهي التي تحلق شعر رأسها، إظهاراً لشدة الحزن، و «الشاقة» وهي التي تشقُّ ثيابها عند المصيبة، وذلك لما في هذه الأعمال من السخط والتضجر من القضاء الإلهي، وهي سبب لإحباط الثواب، وحلول العقاب.

(٢) «واجبلاه!! وا كذا وا كذا!!» أي تقول أخت عبد بن رواحة: واجَبَلاه!! واسيِّداه!! تعدِّد شمائله على طريقة أهل الجاهلية، فهذا الندب، وهذا النوح من الكبائر، لذلك زجرها أخوها لمَّا أفاق من إغمائه.

(٣) «وَجَده في غَشْيَة» أي في حالة إغماء، لا يرى ولا يسمع.

(٤) «فقال أقَضَى»؟ أي هل مات سعدُ بن عبادة؟

ﷺ. فَلَمَّا رَأى الْقَوْمُ بُكَاءَ النَّبيِّ ﷺ بَكَوْا، قَالَ: ألا تَسْمَعُونَ؟ إنَّ اللَّهَ لا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ[١]، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، ولكِنْ يُعَذِّبُ بِهذَا ـ وَأَشَارَ إلى لِسَانِهِ ـ أَوْ يَرْحَمُ» متَّفقٌ عليه.

١٦٦٢ ـ وَعَنْ أبِي مَالِكٍ الأشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «النَّائِحَةُ إذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ[٢]، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٦٦٣ ـ وَعَنْ أسِيْدِ بْنِ أبِي أسِيْدٍ التَّابِعِيِّ، عَنِ امْرَأةٍ مِنَ المُبايعات قَالَتْ: «كَانَ فِيمَا أخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في المَعْرُوفِ الَّذِي أخَذَ عَلَيْنَا: أنْ لَا نَعْصِيَهُ فِيهِ: أنْ لَا نَخْمِشَ وَجْهاً، وَلَا نَدْعُوَ وَيْلاً، وَلَا نَشُقَّ جَيْباً[٣]، وأنْ لَا نَنْشُرَ شَعْراً»[٤] رَوَاهُ أبُو داوُد بإسْنَادٍ حَسَنٍ.

١٦٦٤ ـ وَعَنْ أبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ بَاكِيهِمْ، فَيَقُولُ: وَاجَبَلَاهُ، وَاسَيِّدَاهُ، أوَ نَحْوَ ذلِكَ إلا وُكِّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَلْهَزَانِهِ[٥]: أهكَذَا كُنْتَ؟!» رَوَاهُ التِّرْمِذِي وقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

«اللَّهْزُ»: الدَّفْعُ بِجَمْعِ الْيَدِ في الصَّدْرِ.

١٦٦٥ ـ وَعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «اثْنَتَانِ في النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ[٦]: الطَّعْنُ في النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلى المَيِّتِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «لا يُعذِّب بدمع العين» أي ليس في البكاء، ولا في حُزن القلب، حساب ولا عذاب، وإنما في اللسان تكون الرحمة أو العذاب، فيعذِّب الإنسان بالنياحة والندب، ويرحمه الله بالاسترجاع والتسليم.

(٢) «سِرْبَالٌ من قَطِران» أي ثوبٌ من زفتٍ أسودَ متين، شديد الحرارة.

(٣) «ولا نشقَّ جيباً» أي لا نشقَّ ثوباً، والجيبُ: فتحةُ الصدر من الثوب.

(٤) «ولا ننشُر شعراً» أي لا نطلق شعورَنا مع الصراخ والعويل.

(٥) «مَلَكان يَلْهزَانه» أي ينخسانه بأيديهما في صدره، ويقولان له: هل كنت هكذا؟ والغرضُ التحذير من نوح أهل الجاهلية.

(٦) «اثنتان هما بهم كفر» أي اثنتان من الخصال الذميمة، هما من أوصاف أهل الكفر، ومن عاداتهم وطرائقهم: الطعنُ في نسب الإنسان، والعويلُ على الميِّت، وهي ليست من أوصاف أهل الإيمان.

بابٌ في النّهي عن إتيان الكهّان والمنجمّين والعُرَّاف وأصحاب الرمل والطوارق بالحصى وبالشعير ونحو ذلك

١٦٦٦ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُنَاسٌ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ: لَيْسُوا بِشَيءٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَنَا أَحْيَاناً بِشَيءٍ، فَيَكُونُ حَقّاً؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا في أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مائَةَ كَذْبَةٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايَةٍ للبُخَارِيِّ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، أنَّها سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إنَّ المَلائِكَةَ تَنزِلُ في العَنَانِ (وهو السَّحَابُ) فَتَذْكُرُ الأمْرَ قُضِيَ في السَّمَاءِ، فَيَسْتَرِقُ الشَّيطَانُ السَّمْعَ، فَيَسْمَعُهُ، فَيُوحِيهِ إلى الْكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أنْفُسِهِمْ».

قولُهُ: «فَيَقُرُّهَا» هو بفتح الياء، وضم القاف والراء: أي: يُلْقِيهَا، «وَالْعَنَانُ» بفتح العين أي السَّحاب.

١٦٦٧ ـ وَعَنْ «صَفِيَّةَ بنْتِ أبي عُبَيْدٍ» عَنْ بَعْضِ أزْوَاجِ النَّبيِّ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أتَى عَرَّافاً فَسَألَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَصَدَّقَهُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أرْبَعِينَ يَوْماً» رَوَاهُ مُسْلِم.

١٦٦٨ ـ وعنْ «قَبِيصَةَ بْنِ المُخَارِقِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْعِيَافَةُ، وَالطِّيَرَةُ، والطَّرْقُ، مِنَ الجِبْتِ»[1] رَوَاهُ أبو دَاود بإسنادٍ حَسَن، وقالَ: الطَّرْقُ، هُوَ الزَّجْرُ، أيْ: زَجْرُ الطَّيْرِ، وهُوَ أنْ يَتَيَمَّنَ أوْ يَتَشَاءَمَ بِطَيَرَانِهِ، فَإنْ طَارَ إلى جهَةِ الْيَمِين، تَيَمَّنَ، وَإنْ طَارَ إلى جهةِ الْيَسَارِ

(١) «العِيَافةُ والطَّرْقُ من الجِبْتِ» أي الضربُ بالرمل، وزجرُ الطير ليطير يميناً أو شمالاً، ليتيمّن به أو يتشاءم، فيقدم على العمل أو يتركه، هو «من الجِبْت» أي من الضلال والشرك، إن اعتقد به، لأنه يَنْسِبُ إلى الكاهن، والضارب بالرمل، معرفةَ أمور الغيب، وهذا مما يتنافى مع عقيدة الإسلام الصافية ﴿قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

تَشَاءَمَ: قالَ أبو داود: «وَالْعِيَافَةُ»: الخَطُّ. قالَ الجَوْهَرِيُّ في «الصِّحَاح»: الجِبْتُ كَلِمَةٌ تَقَعُ عَلَى الصَّنَم وَالْكَاهِنِ، وَالسَّاحِرِ وَنَحْوِ ذلكَ.

١٦٦٩ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ عِلْماً مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ» رَوَاهُ أبو داود بإسناد صحيح.

١٦٧٠ ـ وَعَنْ «مُعَاوِيَةَ بْنِ الحَكَمِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إنِّي حَدِيثُ عهْدٍ بِجاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ تعالى بالإسْلام، وَإنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأْتُونَ الْكُهَّانَ(١)؟ قَالَ: فَلا تأْتِهِمْ، قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ(٢)؟ قالَ: ذلكَ شَيْءٌ يَجِدُونَه في صُدُورِهِمْ، فَلا يَصُدُّهُمْ(٣)، قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ(٤)؟ قَالَ: كَانَ نَبيٌّ مِنَ الأنبِيَاء يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ، فَذاكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٦٧١ ـ وَعَنْ أبي مَسْعُودٍ الْبَدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ، وَمَهْرِ الْبَغِيِّ وحُلْوَانِ الْكَاهِنِ»(٥) مُتَّفَقٌ عليه.

❁ ❁ ❁

---

(١) «يأتون الكهان» أي الذين يتكهَّنون ويدَّعون معرفة أمور الغيب.

(٢) «رجال يتطيَّرون» أي يتشاءمون بطيران الطير إلى جهة اليسار، كما يتشاءمون بسماع بعض الألفاظ، نحو هالكٌ، وتالفٌ، فيتركون العمل الذي عزموا عليه.

(٣) «ذلك شيء يجدونه في صدورهم» أي لا تأثير له، لأنه من الهواجس والوساوس النفسية، لا يُكلَّفون بدفعه عنهم، إنما يُكلَّفون أن لا يعملوا به، ولذلك قال: «فلا يصدُّهم» أي لا يمنعهم ذلك عن فعل ما عزموا عليه، فإن الفاعل للخير وضدّه، هو اللَّه سبحانه وحده، ولا أثر لغيره في شيء أصلاً، قال تعالى: **﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾** [يونس: ١٠٧].

(٤) «ومنَّا رجالٌ يَخُطُّون» الخطُّ: ضرب من الكهانة أيضاً، وهو أن يأتي إنسان، إلى شخص يدَّعي معرفة الخطِّ، ويعطيه مبلغاً من المال، على أن يطلعه على حظّه من النجاح أو الخيبة، فيخطُّ له في الأرض خطوطاً كثيرةً بالعجلة، على أرض رخوةٍ أو رمليَّة، ثم يرجع فيمحو منها على مَهلٍ خطَّين، خطَّين، وهو يقول: الرجلُ عيَّان أسرعْ بالبيان، كأنه يُكلِّم جنّياً، فإن بقي من الخطوط خطَّان فهما علامةُ النجاح، وإن بقي خطٌّ واحد فهو علامة الخيبة، وهذا ضحكٌ على عقول الناس، وسلب لأموالهم، وهو محرم في الشريعة الإسلامية الغرَّاء.

(٥) «نهى ﷺ عن ثمن الكلب، ومهر البغي» أي حرَّم ﷺ بيعَ الكلب وأكلَ ثمنه، لأنه نجسٌ فلا يصحُّ بيعُه، ولا اقتناؤه، إلّا كلبَ الصيد، أو الماشية، و«مهر البغي» أي ما تُعطى =

بابٌ في النّهي عن التطيّر

فيه الأحاديثُ السَّابِقَةُ في الباب قَبْلَه.

١٦٧٢ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «لا عَدْوَى(١) وَلا طِيَرَةَ(٢) وَيُعْجِبُني الْفَأْلُ(٣)، قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

= الزانيةُ على الزنى من أجر، فإنه كسبٌ خبيث لا يجوز أخذه، ولا التصدُّق به، قال الشاعر:

كمطعِمَةِ الأيتام من كَسْبِ فَرْجِهَا ... لكِ الوَيْلُ لا تَزْني ولا تَتَصَدَّقي

وأمّا «حُلوانُ الكاهن» فهو ما يُعطاه من مالٍ على كهانته، وزعمِه معرفةَ الأحداث والوقائع، وادعائه معرفة السارق، والشيء المسروق، ومكان الضالة ونحوها، وكلُّ ذلك كذبٌ وزور، وأكلٌ للسحت والحرام.

(١) «لا عدوىٰ» ليس في الحديث ما يدلُّ على نفي العدوى، وهي انتقال المرض والوباء من شخص لآخر، لأن النبي ﷺ أمر بالبعد عن ذوي الأمراض، والهرب من المجذوم، كما يهرب الإنسان من الأسد بقوله ﷺ: «فِرّ من المجذوم فرارَكَ من الأسد» وقوله ﷺ: «لا يَرِدَنَّ ممرضٌ على مُصِحٍّ» أي لا يدخل المريض على الصحيح ويخالطه، لئلا ينتقل إليه المرض، وإنما مراده ﷺ نفي اعتقاد أهل الجاهلية، أنه ينتقل المرض بطبيعته، دون تأثير لقضاء الله وقدره، فهم ينكرون إرادة مسبِّب الأسباب، وهو اللهُ جلّ وعلا، ويعتقدون بالسبب وحده، ولهذا ردَّ النبي ﷺ على الأعرابي الذي قال للرسول: «ما بالُ الجمل الأجرب، يدخل بين الإبل فيجربُها؟ ـ أي يصيبها بمرض الجرب ـ فقال له ﷺ: فمن أعدىٰ الأول؟» إذاً نفهم من لفظ «لا عدوى» أي لا تكون العدوى إلّا بإرادة الله وتأثيره، فهو سبحانه الخالق للخير والشر، والصحة والمرض، والكلُّ بتقديره جلَّ وعلا، فلا عدوى بذاتها، إنما بقضاءِ الله وإرادته، فالخير والشرُّ، والنعمةُ والبلاء، والصحة والمرض، جميع ذلك بقضاء من الله وقدر، قال تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**﴾، وقال سبحانه: ﴿**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾؟ أي قل لهؤلاء المنافقين: إن الحسنة والسيئة، والنعمة والنقمة، والنصر والهزيمة، والخير والشر، كلُّ ذلك من عند الله، وبحكمته وتدبيره، وهو وحده النافع الضار، فما لهؤلاء المنافقين لا يفهمون الكلام؟ فافهم مراد الحديث الشريف رعاك الله!!

(٢) «ولا طيرة» أي لا تشاؤم بشيء من الطير، إذا ذهبت يساراً أو يمنة، فالمقدِّر للأمور ربُّ العزة والجلال، لا الطيور السارحة في جو السماء.

(٣) «ويعجبني الفأل» أي تعجبني الكلمةُ الطيبةُ الصالحة، من أحد الناس، كسماع: يا فلاحُ، يا نجاحُ، يأوِّلها المؤمن لفلاح سعيه، ونجاح عمله، وهذا من باب قولهم: «تفاءَلوا بالخير تجدوه» فالتفاؤل بسماع الألفاظ اللطيفة الحسنة، ممّا لا يحرِّمه الإسلام، أما التشاؤم فهو المنهيُّ عنه، وهو المكروه والمحرَّم، ولهذا كان الرسول ﷺ لا يتطيَّر، كما في الحديث الآخر.

١٦٧٣ ـ وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «لا عَدْوَى، وَلا طِيَرَةَ، وَإنْ كَانَ الشُّؤمُ في شَيءٍ، فَفِي الدَّارِ، وَالمَرْأةِ، وَالفَرَسِ»[١] مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٧٤ ـ وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لا يَتَطَيَّرُ» رَوَاهُ أبُو داود بإسنادٍ صَحِيح

١٦٧٥ ـ وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أحْسَنُهَا الْفَألُ، وَلا تَرُدُّ مُسْلِماً[٢]، فإذا رَأى أحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُل: اللَّهُمَّ لا يَأتي بالحَسَنَاتِ إلَّا أنْتَ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إلَّا أنْتَ، ولَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلَّا بكَ» حَدِيثٌ صَحيحٌ رَوَاهُ أبو داوُد بإسنادٍ صحيحٍ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «إن كان الشؤم في شيء ففي الدار، والمرأة، والفرس» أي كان لا بدَّ من التشاؤم ـ وهو مجبولٌ عليه الإنسان ـ فيكون في الدار، إذا كانت ضيّقة، وبجواره جارُ السوء، فشؤمُ الدار ضيقُ أماكنها، وخبثُ جيرانها، وشؤمُ المرأة: سوءُ خُلُقها، وسلاطةُ لسانها، وشؤمُ الفرسِ: أن تكون جموحاً لا تنقاد بيسر، إن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها خلَّفتك وراء أصحابك، فلم تلحق بهم.

قال ابن العربي: لم يُرد ﷺ إضافة الشؤم إليها فعلاً، وإنما هو عبارة عن عادة البشر، في التشاؤم بهذه الثلاثة «الدار، والمرأة، والمركب» فإذا حصل له شيء من التشاؤم، فعليه المفارقة لها، صيانةً لاعتقاده عن التعلق بالباطل، وإراحة للقلب من عذابه بها اهـ.

(٢) «أحسنها الفألُ، ولا تردُّ مسلماً» أي ذُكر موضوعُ الطِّيرة عند رسول اللّه ﷺ فقال: «أحسنُها الفألُ»، أي: أن يتفاءل بسماع الكلام الطيب، لما فيه من حسن الظن باللّه تعالى، مثل أن يكون مريضاً فيسمع إنساناً يقول: يا سالمُ، فيستبشر بأنه سيسلم من مرضه، أو يكون قد أضاع شيئاً فيسمع قائلاً يقول: يا واجدُ، فيستبشر بعودة ضالته، إليه، ومعنى قوله: «ولا تردُّ مسلماً» أي شأن المسلم أن لا يرجع عمّا عزم عليه من السفر، أو الشراكة مع آخر، أو شراء البضاعة التي يرغب فيها، لعلمه أن لا تأثير لغير اللّه تعالى، بأمر من الأمور كما قال ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ، لم يضرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللّهُ عليك، رُفعت الأقلامُ، وجفَّت الصُّحُفُ»!!

أمّا علاجُ التطير، فقد أرشدنا إليه المربّي الأعظم ﷺ وهو أن يقول إذا رأى شيئاً يكرهه «اللهمّ لا يأتي بالحسنات إلّا أنت، ولا يدفع السيئات إلّا أنت، ولا حولَ ولا قوّة إلّا بك» رواه أبو داود.

بابٌ في تحريم تصوير الحيوان في بسَاط أو حجر أو ثوب أو درهم أو مخدَّة أو دينار أو وسادة وغير ذلك وتحريم اتخاذ الصورة في حائط وسقف وستر وعمامة وثوب ونحوهما والأمر بإتلاف الصور

١٦٧٦ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هذِهِ الصُّوَرَ، يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[1]، يُقَالُ لهُمْ: أحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٧٧ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَتْ: «قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ سَفرٍ وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لي بِقِرَام، فِيهِ تمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، أشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِينَ يُضَاهُونَ بخَلْقِ اللَّهِ!! قالَتْ: فَقَطَعْنَاهُ، فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أوْ وِسَادَتَيْنِ» مُتَّفَقٌ عليه.

«الْقِرَامُ»: السِّتْرُ، «وَالسَّهْوَةُ» بِفَتحِ السِّينِ المُهْمَلَةِ وَهِيَ: الصُّفَّةُ، وَقِيلَ: هِيَ الطَّاقُ النَّافِذُ في الحَائِطِ.

١٦٧٨ ـ وَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ في النَّار، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ، فَيُعَذِّبُهُ في جَهَنَّمَ» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «فَإنْ كُنتَ لا بُدَّ فَاعِلاً، فاصْنَعِ الشَّجَرَ، وَمَا لا رُوحَ فِيهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «يصنعون هذه الصور يُعذَّبون» أي يُصوِّرون صُوَرَ ذات الروح، من إنسان وحيوان، يُعذَّبون بها يوم القيامة، ويُقال لهم تعجيزاً وتوبيخاً: أحيوا ما خلقتم أي انفخوا في هذه الصورة الروح، ولا قدرة لهم على ذلك..

هذا حكمُ التصوير باليد، أما حكمُ التصوير بالآلة «التصوير الفوتوغرافي» فالظاهر ـ والله أعلم ـ أنه لا يدخل في التحريم، لأنه ليس فيه مشابهةٌ لخلق الله، وإنما هو حبسٌ للظلّ، ومثاله إذا وقف الإنسانُ أمام مرآةٍ، فإنه يرى صورته فيها، فلا يقال: إن هذه الصورة حرام، فآلة التصوير تُثبِتُ الصورة الحقيقية، التي خلقها الله، والطفل الصغير يستطيع أن يخرج الصورة بواسطة الآلة، بكبس الذرّ فيها، ويكاد يكون النصُّ صريحاً في عِلّةِ التحريم، ألَا وهو المشابهةُ لخلق الله للحديث القدسي: «ومن أظلمُ ممن ذَهَبَ يخلقُ كخلقي، فَلْيخلُقُوا ذرة ـ أي نملة ـ ولْيخلُقوا حبّة، أو شعيرة» رواه البخاري، وقولُه ﷺ: «أشدُّ الناس عذاباً الذين يُضَاهون ـ أي يشابهون ـ بخلقِ الله» وهذه العلّةُ غير موجودة في التصوير بالآلة المخترعة، أما التصويرُ باليد فهو المحرّم.

١٦٧٩ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً في الدُّنيا، كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فيها الرُّوحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٨٠ ـ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيامَةِ المُصَوِّرُونَ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٨١ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهُ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي! فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيراً» مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٨٢ ـ وَعَنْ أَبي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لا تَدْخُلُ المَلائِكَةُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ، وَلا صُورَةٌ»[1] مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٨٣ ـ وعنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: «وَعَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَرَاثَ عَلَيْهِ[2] حَتَّى اشْتَدَّ عَلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ فَلَقِيَهُ جِبْرِيلُ فَشَكَا إلَيْهِ، فَقَالَ: إنَّا لا نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ، وَلا صُورَةٌ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

«رَاثَ»: أَبْطَأَ.

١٦٨٤ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «وَاعَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ في سَاعَةٍ أَنْ يَأْتِيَهُ فِيها، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ ولم يَأْتِهِ،

---

(١) «لا تدخل الملائكةُ بيتاً فيه كلب ولا صورة» المراد بالملائكة «ملائكة الرحمة» فإن الملائكة الحفظة، لا يفارقون الإنسان أبداً إلَّا عند الخلاء، والحكمة من عدم دخول الملائكة للبيت الذي فيه الكلب، أن المؤمن لمَّا نُهي عن اقتناء الكلب، ثم خالف شرع اللَّه بإدخاله معه إلى البيت، عُوقب بتجنب الملائكة دخول منزله غضباً عليه، فحرم بركتها واستغفارها، ثم إن الملائكة مطهَّرون مقدَّسون، ينفرون من الرائحة الخبيثة، ويحبون الرائحة الطيبة، والكلابُ نجسة ورائحتها كريهة، فلذلك لا تدخل الملائكة تلك البيوت التي تُربَّى فيها الكلاب، أمَّا الأمريكيون والغربيون، الذين يربُّون الكلاب ويجعلونها كأبنائهم، فإنهم لا يعرفون طهارةً ولا نجاسة، ويعتنون بها كل العناية، لأن الجنس يألفه الجنسُ، فلا غرابة في سرورهم بتربيتها.

(٢) «فَرَاثَ عليه» أي تأخر وأبطأ نزول جبريل على رسول اللَّه ﷺ.

قَالَتْ: وَكَانَ بِيَدِهِ عَصاً، فَطَرَحَهَا مِنْ يَدِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: مَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلا رُسُلُهُ، ثُمَّ الْتَفَتَ، فَإِذا جِرْوُ كَلْبٍ[1] تحتَ سَرِيرِهِ، فَقَالَ: مَتَى دَخَلَ هذا الْكَلْبُ؟ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ بِهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَعَدْتَنِي، فَجَلَسْتُ لَكَ، وَلَمْ تَأْتِنِي!! فَقَالَ: مَنَعَنِي الْكَلْبُ الذي كَانَ في بَيْتِكَ، إنَّا لا نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ، وَلا صُورَةٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٦٨٥ ـ وَعَنْ أبي الْهَيَّاجِ «حَيَّانَ بْنِ حُصَيْنٍ» قَالَ: «قَالَ لي عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلى مَا بَعَثَني عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ أنْ لا تَدَعَ صُورَةً إلَّا طَمَسْتَهَا، ولا قَبْراً مُشْرِفاً إلَّا سَوَّيْتَهُ»[2] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم اتخاذ الكلب إلاّ لصَيد أو ماشية أو زرع

١٦٨٦ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا: قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنِ اقْتَنى كَلْباً إلَّا كَلْبَ صَيْدٍ، أوْ مَاشِيَةٍ، فَإنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روَايَةٍ: «قِيرَاطٌ».

١٦٨٧ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ أمْسَكَ كَلْباً، فَإنَّهُ يَنقُصُ مِنْ عَمَلِه كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ، إلَّا كَلْبَ حَرْثٍ، أوْ مَاشِيَةٍ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية لمسلم: «مَنْ اقْتَنى كَلْباً لَيْسَ بِكَلْب صَيْدٍ، وَلا مَاشِيَةٍ، وَلا أرْضٍ، فإنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أجْرِهِ قِيرَاطَانِ كُلَّ يَوْمٍ».

---

(١) «فإذا جِرْوُ كَلْبٍ» أي كلبٌ صغير، دخل البيت، وقبع تحت السرير، فلما أخرجه ﷺ، نزل عليه جبريل، وقال للرسول ﷺ: إنّا لا ندخل بيتاً فيه كلبٌ ولا صورة، فدلَّ هذا على خباثة الكلاب، وحرمة تربيتها، ولهذا فإنَّ من اقتنى كلباً، ينقص من أجره كلَّ يوم قيراط، لدنس الكلاب وقذارتها.

(٢) «قَبْراً مُشْرِفاً إلَّا سوَّيته» أي قبراً مرتفعاً إلا سوَّيته بالأرض.

بابٌ في كراهة تعليق الجرس في البَعيـر وغيره من الدواب، وكراهية استصحاب الكلب والجرس في السفر

١٦٨٨ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «لا تَصْحَبُ المَلائِكَةُ رفقَةً فِيهَا كَلْبٌ، أوْ جَرَسٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٦٨٩ ـ وَعَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «الجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ» رَوَاهُ أبو داوُدَ بإسْنادٍ صَحيحٍ عَلى شَرْطِ مُسْلِم.

❁ ❁ ❁

بابٌ في كراهة ركوب الجلاّلة وهي البعيـر أو الناقة التي تأكل العَذِرة فإن أكلت علفاً طاهراً فطاب لحمها زالت الكراهة

١٦٩٠ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الجَلّالَةِ في الإبِلِ[1]، أنْ يُرْكَبَ عَلَيْهَا» رَوَاهُ أبو داود بإسناد صحيح.

❁ ❁ ❁

بابٌ في النّهي عن البصاق في المسجد والأمر بإزالته منه إذا وجد فيه والأمر بتنزيه المسجد عن الأقذار

١٦٩١ ـ عَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «البُصَاقُ في المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا»[2] مُتَّفَقٌ عليه.

والمُرَادُ بِدَفْنِهَا إذا كَانَ المَسْجدُ تُرَاباً أوْ رَمْلاً ونحْوَهُ، فَيُوَارِيهَا تحتَ تُرَابِهِ،

---

(١) «نهى ﷺ عن الجَلّالَة» أي نهىٰ عن ركوب الناقة التي تأكل النَّجَس والقَذَر، لأنها تعرق وتخرج منها روائح كريهة.

(٢) «البُصَاق في المسجدِ خَطِيئةٌ» أي معصية وإثم، وكفارة هذا الذنب، أن يدفنها إذا كان المسجد على التراب أو الرمل، أمّا إذا كان مبلّطاً بالرخام، فلا بدّ من مسحها بثوبٍ أو غسلها، ودلكها بمداسٍ ونحوه يزيد في الوساخة والقذارة، ولا يذهب التلوُّث.

وقِيلَ: المُرَادُ بِدَفْنِهَا إخراجُهَا مِنَ المَسْجِدِ، أمَّا إذا كَانَ المَسْجِدُ مُبَلَّطاً أوْ مجَصَّصاً، فَدَلَكَهَا عَلَيْهِ بِمَدَاسِهِ أوْ بِغَيرِهِ، كَمَا يَفْعَلُهُ كثيرٌ مِنَ الجاهلين، فَلَيْسَ ذلكَ بِدَفْنٍ، بَلْ زِيَادَةٌ في الخَطِيئَةِ، وَتَكْثِيرٌ للقَذَرِ في المَسْجِدِ، وَعَلى مَنْ فَعَلَ ذلكَ، أنْ يَمْسَحَهُ بِثَوْبِهِ أوْ بِيَدِهِ أوْ غَيْرِهِ أوْ يَغْسِلَهُ.

١٦٩٢ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأى في جِدَارِ القِبْلَةِ مُخاطاً، أو بُزَاقاً، أوْ نُخَامَةً، فَحَكَّهُ»[1] مُتَّفَقٌ عليه.

١٦٩٣ ـ وَعَنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ هذِهِ المَسَاجِدَ لا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هذا البَوْلِ وَلا القَذَرِ[2]، إنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالى، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» أوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في كراهة الخصومة في المسجد ورفع الصوت فيه ونشد الضالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات

١٦٩٤ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً في المَسْجِد فَلْيَقُلْ: لارَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، فَإنَّ المَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لهذا» رَوَاهُ مُسْلِم.

---

(١) «رأى مُخاطاً أو نُخَامةً فحكَّه» لأن المساجد ينبغي أن تُطهَّر عن الأدناس والقذارات، قال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ والإنسانُ لا يرضى أن يُلَوِّث بيتَه بشيء من القذَر، فكيف ببيوت الله تعالى؟

(٢) «إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر» هذا الحديث له قصة، وهي أن أعرابياً دخل المسجد، فوقف في طرفٍ منه وبال على التراب، فَهَمَّ بعضُ الصحابة أن يضربوهُ فنهاهم ﷺ عن ذلك وقال لهم: أريقوا على بوله دلواً من ماء، فإنما بُعثتم ميسِّرين، ولم تُبعثوا معسِّرين، ثم دعا الرسول ﷺ الأعرابيَّ ونبَّهه إلى خطئه بقوله: «إن المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر . . .» الحديث، وفي تتمة القصة أن الأعرابي لمَّا خرج من المسجد قال: اللهمَّ ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً!! فقال الرسول ﷺ: «لقد ضيَّقتَ واسعاً يا أخا العرب»، ومن هذا الحديث يُؤخذ وجوبُ تنزيه المسجد عن البُصاق، والنخامة، وأوساخ البدن، وعن كل شيء نجس كالبول والدم.

١٦٩٥ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إذا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ في المَسْجِدِ، فَقُولُوا: لا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجارَتَكَ، وَإذا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ ضَالَّةً[١]، فَقُولُوا: لارَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٦٩٦ ـ وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَجُلاً نَشَدَ في المَسْجِدِ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إلَيَّ الجَمَلَ الأحْمَرَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لا وَجَدْتَ، إنَّما بُنِيَتِ المَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٦٩٧ ـ وَعَنْ «عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ» عَنْ أبيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عن الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ في المسْجِدِ، وَأَنْ تُنْشَدَ فيهِ ضَالَّةٌ، أَوْ يُنْشَدَ فيهِ شِعْرٌ» رَوَاهُ أَبُو دَاودَ، والتِّرمِذِيُّ وقال: حَديثٌ حسنٌ.

١٦٩٨ ـ وَعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزيد الصَّحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ في المَسْجِدِ، فَحَصَبَنِي رَجُلٌ[٢]، فَنَظَرْتُ فَإذا «عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: اذْهَبْ فَائتِني بِهذيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ فَقَالا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ، لأوْجَعْتُكُمَا[٣]، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا في مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»! رَوَاهُ البُخَارِي.

❁ ❁ ❁

---

(١) «من ينشد ضالة» أي يطلب من يدلُّه على شيء فَقَده، كقوله: من رأىٰ لي شاة فقدتُها، أو مالاً أضعتُه، وأمثال ذلك، فليقل له: لا ردَّها اللّه عليك، لأن المساجد ليست سوقاً للدعاء، ولا مكاناً للبيع والشراء، إنما هي إماكنُ ذكرٍ وعبادةٍ، ولهذا جاء في الرواية الثانية: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد، فقولوا: لا أربحَ اللّهُ تجارتك» وإنَّما يُغلَّظ له في الكلام توبيخاً وزجراً، لأن المساجد لم تُبن لهذا.

(٢) «فَحَصَبني رجلٌ» أي رماني بحصاةٍ صغيرة، وكان الرامي له هو أميرُ المؤمنين «عمر بن الخطاب» رضي اللّه عنه، رماه لأنه كان بعيداً عنه ليذكّره، ولم يرفع صوته في المسجد لدعائه، أدباً مع مسجد الرسول ﷺ، وقال له: ائتني بهذين الرجلين.

(٣) «لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما» أي لأوجعتكما ضرباً، وعلَّل ذلك بقوله: «ترفعان أصواتكما في مسجد رسول اللّه ﷺ ؟» فيؤخذ منه حرمة رفع الصوت في المسجد، لكونه مكاناً للصلاة، والذكر، والعلم، وله حرمةٌ وقدسية، ومن علامات الساعة «أن ترتفع الأصوات في المساجد» كما جاء في حديث طويل، رواه الترمذي.

بابٌ في نَهْيِ من أكل ثوماً أو بصَلاً أو كُرّاثاً أو غيره مما له رائحة كريهة عن دخول المسجد قبل زوال رائحته إلا لضرورة

١٦٩٩ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أكَلَ مِنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ ـ يَعْني الثُّومَ ـ فَلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لمسلم: «مَسَاجِدَنَا».

١٧٠٠ ـ وَعَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ أكَلَ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلا يَقْرَبَنَّا، وَلا يُصَلِّيَنَّ مَعَنا» مُتَّفَقٌ عليه.

١٧٠١ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ أكَلَ ثُوماً أوْ بَصَلاً، فَلْيَعْتَزِلْنَا، أوْ فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لِمُسْلِم: «مَنْ أكَلَ الْبَصَلَ، وَالثُّوم، والْكُرَّاث، فلا يَقْرَبَنَّ مسْجِدَنَا[1]، فإنَّ المَلائِكَةَ تَتَأذَّى مِمَّا يَتَأذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ».

١٧٠٢ ـ وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنَّهُ خَطَبَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فَقَالَ في خُطْبَتِهِ: ثُمَّ إنَّكُمْ أيُّهَا النَّاسُ تَأكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ، مَا أرَاهُمَا إلَّا خَبِيثَتَيْنِ: البَصَلَ، وَالثُّومَ!! لَقَدْ رَأيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إذا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ في المَسْجِدِ أمَرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ إلى الْبَقِيعِ، فَمَنْ أكَلَهُمَا، فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخاً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في كراهة الاحتباء يوم الجمعة والإمَام يخطبُ لأنه يجلب النوم فيفوت استماع الخطبة ويخاف انتقاض الوضوء

١٧٠٣ ـ عَنْ مُعَاذِ بْنِ أنسٍ الجُهَنيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهى عَنِ الحَبْوَةِ يَوْمَ

---

(١) «من أكل البصل والثوم والكُرّاث فلا يقربنّ مسجدنا» أي لا يدخل المسجد ولا يصلّ مع الجماعة، لأن ذلك يؤذي المسلمين برائحته الكريهة، وكذلك الملائكة تتأذى ممّا يتأذى منه بنو آدم، والمساجد معمورة بالملائكة الأبرار الأطهار، ولذلك تَمْنَعُ الروائح الكريهة حضور الملائكة.

الجُمُعَةِ، وَالإمَامُ يَخْطُبُ »[1] رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وَقَال: حَدِيثٌ حسَنٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في نَهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وأراد أن يضحي عن أخذ شيء من شعره أو أظفاره حتى يضحّيَ

١٧٠٤ ـ عن أمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: « مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ، فَإذا أهَلَّ هِلالُ ذِي الحِجَّة، فَلا يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْره، وَلا مِنْ أظْفَارِهِ شَيْئاً حَتى يُضَحّيَ »[2] رَوَاهُ مُسْلِم.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النَّهي عن الحلف بمخلوق كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والروح والرأس ونعمة السلطان وتُرْبة فلان والأمانة، وهي من أشدها نهياً

١٧٠٥ ـ عَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: « إنَّ اللَّهَ تَعَالى يَنْهَاكُمْ أنْ تَحْلِفُوا بآبَائِكُمْ[3]، فَمَنْ كَانَ حَالِفاً، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، أوْ لِيَصْمُتْ » مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) « نهى ﷺ عن الحَبْوة يوم الجمعة » الحِبْوة بمعنى الاحتباء، **قال في النهاية**: الاحتباءُ أن يضمَّ رجليه إلى بطنه، بيد أو بثوب، لأن ذلك يدعو إلى الارتخاء، ثم إلى النوم، فيفوِّت عليه الانتفاع بسماع الخُطبة، وتضييع الفائدة منها.

(٢) « فلا يأخذنَّ من شعره شيئاً حتى يضحّي » هذا على الندب، وليس على الوجوب، لحديث مسلم « كان ﷺ لا يحرم عليه شيءٌ أحلَّه اللَّه تعالى له، حتى ينحر الهَدْيَ » أي لا يحرم عليه شيءٌ قبلَ إحرامه من قصِّ الأظفار، وحَلْق الشعر، ولبس المخيط حتى يُحْرِم، والعلَّةُ في النهي هى أن تشمل المغفرة لجميع أجزاء البدن، وهذا كما قلنا على سبيل الاستحباب والندب، وما يزعمه بعضُ العامة من تحريم حلق الشعر، وقصِّ الأظافر، لمن أراد الأضحية فهو خطأ، لم يقل به أحد من الفقهاء.

(٣) « إن اللَّه ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم » الحلفُ: فيه معنى التعظيم والإجلال للمحلوف به، =

وفي روايةٍ في الصَّحيحِ «فَمَنْ كانَ حَالِفاً فلا يَحْلِفْ إلّا باللّهِ أوْ لِيَسْكُتْ».

١٧٠٦ ـ وَعَنْ «عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ سَمُرَةَ» رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «لا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي[1]، وَلا بِآبَائِكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«الطَّوَاغِي»: جَمْعُ طَاغِيَةٍ، وَهِيَ الأَصْنَامُ، وَمِنْهُ الحَدِيثُ: «هذِهِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ»: أيْ: صَنَمُهُم وَمَعْبُودُهُم.

وَرُوِيَ في غَيْرِ مُسْلِمٍ: «بِالطَّواغِيتِ» جَمْعُ طَاغُوتٍ، وَهُوَ الشَّيْطَانُ وَالصَّنَمُ.

١٧٠٧ ـ وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بالأمانَةِ[2]، فلَيْسَ مِنَّا»[3] حدِيثٌ صحيحٌ، رَوَاهُ أبُو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

١٧٠٨ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «مَنْ حَلَفَ، فَقالَ: إنِّي بَرِيءٌ مِنَ الإِسْلامِ[4]، فَإنْ كَانَ كَاذِباً، فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَإنْ كَانَ صَادِقاً، فَلَنْ يَرْجِعَ إلى الإِسْلَامِ سَالِماً» رَوَاهُ أبو داود.

١٧٠٩ ـ وَعَنِ ابْنِ عمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا، أنَّهُ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: «لَا وَالْكَعْبَةِ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: لا تَحْلِفْ بِغَيْرِ اللّهِ، فَإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللّه، فَقَدْ كَفَرَ، أوْ أشْرَكَ»[5] رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

= ولمَّا لم يكن هناك أجلّ ولا أعظم من اللّه، لذلك حَرُمَ الحَلِفُ بغير اللّه تعالى، لا بمحمد، ولا بالكعبة، ولا بالآباء، ولهذا قال الرسول ﷺ: «فلْيحلف باللّه أو ليصمت» أي يسكت.

(١) «لا تحلفوا بالطواغي» أي بالأصنام والأوثان، والعظماء والرؤساء، من لبسوا لباس الطواغيت من الجبابرة، والطاغوتُ: كلُّ من عُبِدَ من دون اللّه من شيطان، أو صنم، أو إنسان.

(٢) «من حلف بالأمانة» يُراد بالأمانة: الفرائضُ التي ائتمن اللّه عليها عباده، من حج، وصيام، وصلاة وغيرها، لأن الحلف لا يكون إلّا باللّهِ، أو بصفةٍ من صفاته كعزة اللّه، وجلال اللّه، والأمانةُ ليست من الصفات، والحلفُ بها يوهم مساواتها لأسماء اللّه وصفاته، فالمراد لا تحلفوا بالحج، والصوم، وسائر الفرائض الشرعية.

(٣) «فليس منا» أي من أهل سنتنا ولا من أهل طريقتنا.

(٤) «من حلف فقال: إني بريء من الإسلام» أي إن كنتُ قلت ذلك أو فعلتُ ذلك، فمثل هذا الكلام خطير وشنيع، أن يحلف الإنسان فيقول: إني بريء من الإسلام، فإن كان كاذباً في قوله، انسلخ عن الإسلام والعياذُ باللّه، وإن كان صادقاً أنه لم يقله فهو على خطر، لأنه تكلّم بكلام شنيع وقبيح، وعليه أن يأتي بالشهادتين، ويتوب من ذنبه.

(٥) «من حلف بغير اللّه فقد أشرك» قال العلماء: هذا محمول على التغليظ، وليس الحديثُ =

وفَسَّرَ بَعْضُ العُلَمَاءِ قَوْلَهُ: «كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» عَلَى التَّغْلِيظِ، كَمَا رُوِيَ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «الرِّيَاءُ شِرْكٌ».

۞ ۞ ۞

بابٌ في تغليظ اليَمين الكاذبة عمداً

١٧١٠ ـ عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِىءٍ مُسْلِم بَغيْرِ حَقِّهِ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] إلى آخِرِ الآيةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٧١١ ـ وَعَنْ أبي أُمَامَةَ «إيَاسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ» الحارِثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرىءٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ[١]، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وإنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإنْ كَانَ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٧١٢ ـ وعَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «الْكَبَائِرُ: الإشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ»[٣] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

= على ظاهره، لأن ذلك معصية، والمعصيةُ ولو كانت كبيرة، لا تُخرج صاحبها عن الإيمان لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّه لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وقد ورد في الحديث «الرياءُ شركٌ» والرياء يُذهب الأجر، ولكنْ لا ينسلخ فيه الإنسان عن الإسلام، إلا إذا اعتقد في المحلوف به من العظمة، مثل عظمة اللّه، فيكفر بذلك.

(١) «من اقتطع حقَّ مسلم بيمينه» أي أخذ مال مسلم بيمين فاجرة، مستحلاّ ذلك الفعل الظالم، أدخله اللّه نار جهنم، لأنه استهان بعظمة اللّه جلَّ وعلا، من أجل شيء من حطام الدنيا حقير.

(٢) «وإن كان قضيباً من أَرَاكٍ» أي وإن كان هذا المسلوب شيئاً حقيراً، لا قيمة له، كعود السِّواك الذي يُستاك به.

(٣) «اليمينُ الغموس» هي اليمين الكاذبة، التي يحلف فيها الإنسان وهو كاذب، ليقتطع بها مال امرئ مسلم، سميت «غموساً» لأنها تغمس صاحبها في نار جهنم، وهي كبيرة من أعظم الكبائر عند اللّه.

وفي روايةٍ له: «أنَّ أعرابياً جاءَ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ ما الكبائرُ؟ قالَ: الإشراكُ باللهِ، قالَ: ثُمَّ ماذا؟ قال: اليمينُ الغموسُ، قُلْتُ: وما اليمينُ الغموسُ؟ قالَ: الَّذي يقتطِعُ مالَ امرئٍ مُسلِمٍ، بيمينٍ هوَ فيها كاذبٌ».

۞ ۞ ۞

بابٌ في ندب مَن حلف على يَمين فرأى غيرها خيراً منها أن يفعل ذلك المحلوف عليه ثم يكفِّر عن يمينه

١٧١٣ ـ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَالَ لي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٧١٤ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَفْعَلِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٧١٥ ـ وَعَنْ أَبي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ ـ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ـ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، ثُمَّ أَرَى خَيْراً مِنْهَا، إِلَّا كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي، وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٧١٦ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْ يَلَجَّ أَحَدُكُمْ في يَمِينِهِ[1] في أَهْلِهِ، آثَمُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالى مِنْ أَنْ يُعْطِيَ كَفَّارَتَهُ الَّتِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

قولُهُ: «يَلَجَّ» بفتحِ اللامِ، وتَشْدِيدِ الجيمِ: أي يَتَمَادَى فِيهَا، وَلَا يُكَفِّرُ، وقولُهُ: «آثَمُ» وهو بالثاءِ المثلثةِ، أيْ: أَكْثَرُ إثماً.

۞ ۞ ۞

---

(١) «لأن يَلَجَّ أحدُكم في يمينه» أي يحلف ويتمادى في يمينه، فلا يكفِّر عنها لئلا يحنث، كقوله: واللهِ لا أُنفق على فلان قريبي الفقير، فإن تمسكه بيمينه أكثر إثماً عند الله من الحَنثِ فيه، والتكفير عن اليمين، لأن فيه عزماً على ترك فعل الخير.

بابٌ في العفو عن لغو اليمين وأنه لا كفارة فيه، وهو ما يجري على اللسان بغير قصد اليمين كقوله على العادة: لا واللَّه وبلى واللَّه، ونحو ذلك

قَالَ اللَّهُ تَعَالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

١٧١٧ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «قَالَتْ: أُنْزِلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] في قَوْلِ الرَّجُلِ: لا وَاللَّهِ، وَبَلى واللَّهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في كراهة الحلف في البَيْع وان كان صَادقاً

١٧١٨ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ للسِّلْعَةِ[1]، مَمْحَقَةٌ للكَسْبِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٧١٩ ـ عَنْ أَبي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الحلِفِ في الْبَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ للسِّلْعَة» أي الحلف في البيع يُنفق البضاعة، لأن الناس يصدِّقونه إذا حلف لهم، ولكنه يمحق بركتها ويزيله، والغرضُ تركُ الحلف فإنه إن كان صادقاً، فقد جعل اسم اللَّه تعالى غَرَضاً لنفاق متاعه، لكسبٍ تافه، وإن كان كاذباً فقد استهان بعظمة اللَّه وجلاله، واستحقَّ غضب اللَّه ولعنته، للكذب في يمينه.

بابٌ في كراهة أن يَسأل الإنسان بوَجْه الله غير الجنة، وكراهة منع من سأل باللَّه تعالى وتشفَّع به

١٧٢٠ ـ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إلَّا الجَنَّةُ» رَوَاهُ أبو داود.

١٧٢١ ـ وَعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ، فَأَعِيذُوهُ[١]، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ، فَأَعْطُوهُ[٢]، وَمَنْ دَعَاكُمْ، فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ[٣]، فَإِنَّ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ أَبُو داود، والنسائي بأسانيدِ الصحيحين.

❁ ❁ ❁

بابٌ في تحريم قول شاهِنشاه للسلطان وغيره لأن معناه ملك الملوك، ولا يوصف بذلك غير اللَّه سبحانه وتعالى

١٧٢٢ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٤]، رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاكِ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «من استعاذ باللَّه فأعيذوه» أي سألكم باللَّه أن تجيروه وتحموه، فأجيروه إجلالاً للَّه تبارك وتعالى.

(٢) «ومن سأل باللَّه فأعطوه» أي سأل متوسلاً لكم باللَّه، مقسماً به عليكم، مثل أن يقول: أسألك بوجه اللَّه أن تقضي لي حاجتي، أو تعطيني، فأعطوه إعظاماً لشأن الكبير المتعال، رب العزة والجلال.

قال العلماء: ينبغي إذا سُئل بوجه اللَّه، لأمرٍ ديني أو دنيوي، أن لا يردَّ السائل، بل يعطيه بطيب نفس، وانشراح صدر، لوجه اللَّه تعالى، وأمَّا السائل فلا يجوز له أن يُقحم اسم اللَّه في كل أمرٍ وطلب.

(٣) «ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه» أي من قدَّم إليكم إحساناً، فكافئوه على إحسانه، لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾؟ أي ليس جزاءُ من أحسن، إلا أن يُحْسَنَ إليه!! فإن لم نجد ما نكافئه عليه، فلْندع له بأن نقول: اللَّهم اجزه عنا خير الجزاء، وأمثال ذلك من الدعاء.

(٤) «إن أخنع اسم عند اللَّه» أي أذلُّ اسم، وأقبح اسم عند اللَّه تعالى، أن يسمي الإنسان نفسه =

قال سُفْيَانُ بن عُيَيْنَةَ «مَلِكُ الأمْلاكِ» مِثْلُ شَاهِنْشَاهِ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النّهي عَنْ مخاطبة الفاسِق والمبتدع ونحوهما بسيِّد ونحوه

١٧٢٣ ـ عن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ[1]، فَإِنَّهُ إنْ يَكُ سَيِّداً، فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في كراهة سَبّ الحمّى

١٧٢٤ ـ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَل على أُمِّ السَّائِبِ ـ أَوْ أُمِّ المُسَيَّبِ ـ فَقَالَ: «مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ ـ أَوْ يا أُمَّ المُسَيَّبِ ـ تُزَفْزِفِينَ[2]؟ قَالَتْ: الحُمَّى، لا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، فَقَالَ: لا تَسُبِّي الحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَني آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ»[3] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

= «مَلِكَ الملوك» لأن هذا الاسم، لا يصح أن يُسَمَّى به غير اللَّه تعالى، فهو الذي تخضع له الرقاب، وتذلُّ لعظمته الملوك.

(١) «لا تقولوا للمنافق سيِّد» أي لا تعظِّموا أهل الفسوق والفجور، فتُغضِبوا ربكم، لأنه إذا كان عاصياً للَّه، خارجاً عن طاعته، ورفعتم قدره، فقد عظَّمتم عدوَّه، وخرجتم من حزب الرحمن، إلى حزب الشيطان، قال تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يُوَادُّون مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وكأن الآية تقول: لا يحدث ولا يُتصوَّر أن يحبَّ مؤمنٌ من عادى اللَّهَ ورسوله، ولا يجتمع في قلب واحد حبُّ اللَّه وحبُّ أعدائه، كما لا يجتمع النور والظلام، فالمنافق يجب أن يُكره ويُعادى لقوله تعالى: ﴿لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾.

(٢) «ما لكِ تُزَفْزِفِينَ»؟ أي ما الذي يجعلك ترتعدين؟ هل أصابك مرض؟ قالت: نعم، جاءتني حمّى شديدة، لا بارك اللَّه فيها.

(٣) «كما يُذهِبُ الكيرُ خَبَثَ الحديد» أي إن الحمّى تُذهِبُ ذنوبَ الإنسان، كما يذهب صدأ الحديد، بالنار الحامية التي في الموقد، وقد دَلَّ الحديث على أن الأمراض والمصائب نعمة من اللَّه، يكفِّر اللَّه بها ذنوب بني آدم، وهذا كقوله ﷺ: «ما يصيب المسلمَ من نَصَب، ولا وَصَب، ولا هَمٌّ ولا حَزَن، حتى الشوكة يُشاكها، إلَّا كَفَّر اللَّهُ بها من خطاياه» رواه مسلم.

« تُزَفْزِفِينَ » أيْ: تَتَحَرَّكِينَ حركةً سَريعَةً، وَمَعْنَاهُ: تَرْتَعِدُ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النّهي عَن سَبّ الريح وبَيان مَا يقال عند هبوبها

١٧٢٥ ـ عَنْ أبي المُنْذِرِ «أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولوا: اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هذه الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، ونعوذ بك من شرّ هذه الريح، وشرّما فيها، وشر ما أمرت به» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وَقَالَ: حَديثٌ حسنٌ صحيح.

١٧٢٦ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ[١]، تأتي بالرحمة، وتَأْتي بالْعَذَابِ، فَإذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا، واسْتَعِيذُوا باللَّهِ مِنْ شَرِّهَا» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ حسنٍ.

وقوله ﷺ: « مِنْ رَوْحِ اللَّهِ» هو بفتح الراءِ: أَيْ: رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ.

١٧٢٧ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ إذا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ: « اللَّهُمَّ إنّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيها، وَشَرِّ ما أُرْسِلت بِهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في كراهة سَبّ الدّيك

١٧٢٨ ـ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لا تَسُبُّوا الدِّيكَ، فإنَّهُ يُوقِظُ للصَّلاةِ»[٢] رَوَاهُ أَبو داود بإسنادٍ صحيح.

۞ ۞ ۞

---

(١) « الريحُ من رَوْح اللّه» أي: من رحمته ولطفه بعباده، يرسلها رحمةً على قوم، وعذاباً على آخرين، فقد أهلك قوم عاد بالريح الصرصر العاتية، وهي تُسيِّر السفن في البحار، وتأتي بالأمطار، فلا تسبُّوا الريح فإنها مأمورة، واسألوا اللّه خيرها، وأن يقيكم شرّها.

(٢) « لا تسبوا الدِّيك فإنه يوقظ للصلاة» أي لا يحمل أحدَكم إيقاظُ الديك له بصوته على سبِّه، =

بابٌ في النّهي
عن قول الإنسان: مُطِرنا بنَوْءِ كذا

١٧٢٩ ـ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلّى بنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ، في إِثْرِ سَمَاءٍ كانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلى النَّاسِ، فَقَالَ: هَل تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤمِنٌ بي، وكافِرٌ! فأَمَّا مَنْ قالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذٰلِكَ مُؤمِنٌ بي كَافِرٌ بالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قالَ: مُطِرْنَا بِنَوءِ كَذا وَكَذا[1]، فَذٰلكَ كَافِرٌ بي مُؤمِنٌ بالْكَوْكَبِ» مُتَّفَقٌ عليه.

وَ «السَّماءُ» هُنَا: المَطَرُ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في تحريم قوله لمُسلم: يا كافر

١٧٣٠ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا[2]، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ» مُتَّفق عليه.

= إذا فوّتَ عليه لذيذ المنام، لأن ما يدعو إليه من الإيقاظ للصلاة، خيرٌ مما فاته من لذة النوم، فصوتُ الديك جميل، وصوت الحمار قبيح، وإذا صاح الديك فقد رأى مَلَكاً كما جاء في الحديث، فلا ينبغي سبُّه.

(١) «مُطِرْنَا بَنَوْء كذا» أي نزل المطر علينا بفضل البرج الفلاني، والكوكب الفلاني، فمثلُ هذا الاعتقاد كفرٌ بنعمة اللَّه عز وجل، فاللَّهُ سبحانه هو وحده الذي يُنزل الأمطارَ، ويخرج الأرزاق، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ ولا تأثير لغير اللَّه، في شيء من هذه الأشياء، في إنزال المطر وإخراج الثمر، وجلب الأرزاق للناس!

(٢) «فقد باء بها أحدهما» أمرُ تكفير المسلم عظيم، وخطير جداً، فمن رمى أخاه المسلم بالكفر، فإن كان قد ارتكب مكفِّراً، وقع الكلام في محلِّه فكان كافراً كما قال، وإن لم يكن كذلك، عادت على قائلها، فانسلخ عن الإسلام بهذه الكلمة، فليهنأ المكفِّرون لإخوانهم المسلمين بهذا الشرف السامي ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ بكلمةٍ واحدة يقذف بها أخاه بالكفر، صار الرامي كافراً، ومثلُه إذا قال له: يا عدوّ اللَّه ولم يكن كذلك، رجعت هذا الجملة على القائل.

١٧٣١ ـ وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذلكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

«حَارَ»: رَجَعَ.

❂ ❂ ❂

بابٌ في النّهي عن الفحش وبذاء اللّسان

١٧٣٢ ـ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ المُؤمِنُ بالطَّعَّانِ، وَلا اللَّعَّانِ، وَلا الْفَاحِشِ، وَلا الْبَذِيِّ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

١٧٣٣ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا كَانَ الْفُحْشُ في شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ[1]، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ في شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال حديثٌ حسن.

❂ ❂ ❂

بابٌ في كراهة التقعير في الكلام، والتشدُّق فيه وتكلف الفصاحة، واستعمال وَحشيّ اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوامّ ونحوهم

١٧٣٤ ـ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ[2] قَالهَا ثَلاثاً» رَوَاهُ مُسْلِم.

«المُتَنَطِّعُونَ»: المُبَالِغُونَ في الأُمُورِ.

١٧٣٥ ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ، الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ

---

(١) «ما كان الفُحْشُ في شيءٍ إلّا شَانَه» أي ما كان الكلام القبيحُ، في أمر من الأمور، إلّا أسقط مكانة قائله، وشوّه صورته، وعلى عكسه الكلامُ المهذّب، يرفع قدر صاحبه، ويُعلي مكانته، ولهذا قال «وما كان الحياءُ في شيءٍ إلا زانَه» وهي مقابلة لطيفة بين الحُسن والقُبح.

(٢) «هلك المتنطّعون» أي المتعمّقون المتشدّدون فيما لا ينبغي التشدُّد فيه، الخائضون فيما لا يَعْنيَهم، المبالغون في الأمور، كمن يقذف غيره بالضلال لأمرٍ يسيرٍ.

كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقَرَةُ »[١] رَوَاهُ أبو داودَ، والتِّرمِذِيُّ، وقال: حديثٌ حسن.

١٧٣٦ ـ وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إليَّ[٢]، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ، أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقاً، وَإنَّ أَبْغَضَكُمْ إليَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ، الثَّرْثَارُون، وَالمُتَشَدِّقُونَ، وَالمُتَفَيْهِقُونَ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حديثٌ حسن، وقد سبق شرحُهُ في باب حُسْنِ الخُلقِ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في كراهة قوله خبثت نفسي

١٧٣٧ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ خَبُثَتْ نَفسِي[٣]، وَلٰكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفسِي» مُتَّفَقٌ عليه.

قالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَى خَبُثَتْ غَثَتْ، وَهُوَ مَعْنَى «لَقِسَتْ» وَلٰكِنْ كَرِهَ لَفْظَ الخُبْثِ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في كراهة تسمية العنب كرْماً

١٧٣٨ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تُسَمُّوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ، فإنَّ الْكَرْمَ الْمُسْلِمُ» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظُ مسلمٍ.

وَفي رِوَايَةٍ: «فَإنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ».

وفي رواية للبخاري ومسلم، «يَقُولُونَ الْكَرْمُ، إنَّمَا الْكَرْمُ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ»[٤]

---

(١) «يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة» أي يتشدّقُ بلسانه، ويلفُّ الكلام لفّاً، كما تلفُّ البقرةُ الكلأ بلسانها لَفّاً، فهذا من المبغوضين عند الله.

(٢) «إن من أحبكم إليّ» تقدّم الحديث مع شرحه في باب حُسْن الخُلقِ رقم (٦٣٠).

(٣) «لا يقولن أحدكم خَبُثت نفسي» هذا اللفظ قبيح، لأن فيه معنى الهوان والبشاعة، **قال الخطابي**: علّمهم ﷺ الأدبَ في النطق، وأرشدهم إلى استعمالِ اللفظ الحسن، وهجران القول القبيح! ومعنى «لَقِسَتْ نفسي» أي أصابها ضعفٌ وفتور.

(٤) «الكَرْمُ قلبُ المؤمن» نهاهم ﷺ عن تسمية العنب بالكرم، لأن العرب كانوا يسمُّونها «كَرْماً» لأنهم يستخرجون منها الخمر، ويزعمون أن الخمر تحدث في قلوب شاربيها الكَرَم والجود، فنَهاهم ﷺ عن تسميتها بما تُمدح به، لتأكيد ذمِّها وتَقبيحها، وأرشدهم إلى أن قلب المؤمن أولى بهذا الاسم، لما فيه من نور الإيمان والهداية.

١٧٣٩ ـ وَعَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا تَقُولُوا: الْكَرْمُ، وَلٰكِنْ قُولُوا: الْعِنَبُ، وَالحَبَلَةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«الحَبَلَةُ» بفتح الحاءِ والباء، ويقال أيضاً بإسكان الباء.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النّهي عَن وَصف مَحاسن المرأة لرجل إلا أن يحتاج إلى ذلك لغرض شرعي كنكاحها ونحوه

١٧٤٠ ـ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تُبَاشِرِ المَرْأَةُ المرأةَ فَتَصِفَهَا لِزَوْجِهَا، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا»[١] مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في كراهة قول الإنسان اللّهم اغفر لي إن شِئت بل يجزم بالطلب

١٧٤١ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُم: اللَّهُمَّ اغفِرْ لي إنْ شِئتَ[٢]: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إنْ شِئتَ، لِيَعْزِم المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لا مُكْرِهَ لَهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لِمُسْلِم: «وَلٰكِنْ لِيَعْزِمْ، وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالى لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

١٧٤٢ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا دَعا

---

(١) «لا تباشِر المرأةُ المرأةَ» أي لا تلامس بَشَرَتَها ببَشَرتها عند النوم، لتعرف نعومة جسدها، وما فيها من المحاسن، فتصف ذلك لزوجها كأنه ينظر إليها، وهذا من باب سدّ الذرائع.
قال القاضي عياض: الحكمةُ من النهي خشية أن يُعجب الزوجُ بالوصف المذكور، فيفضي ذلك إلى تطليق الواصفة، أو إلى الافتتان بالموصوفة.

(٢) «لا يقل اللّهم اغفرْ لي إن شئتَ» أي لا يعلّق ذلك بالمشيئة، لأنه يوهم العجز من اللّه، أن يعطيه ما طلبه، واللّهُ منزّه عن العجز والضعف، ولهذا أمر ﷺ بالعزم «اللهم اغفر لي» «اللهم ارحمني» فإن اللّه «لا مُسْتَكْرِهَ له» أي ليس هناك من يُكْرِهُهُ على فعل ما يشاء، وعلى المؤمن أن يجتهد في الدعاء، على رجاء الإجابة، ولا يقنط من الرحمة، فإنه يدعو كريماً، لا يخيِّب أملَ من رجاه.

أَحَدُكُمْ، فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، وَلا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إنْ شِئْتَ فَأَعْطِني، فَإنَّهُ لا مُسْتَكْرِهَ لَهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

❁ ❁ ❁

بابٌ في كراهة قول: ما شاء الله وَشاء فلان

١٧٤٣ ـ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: «لا تَقُولوا: ما شاءَ اللَّهُ وشاءَ فُلانٌ، ولٰكِنْ قُولوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلانٌ» رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ صحيح.

❁ ❁ ❁

بابٌ في كراهة الحَديث بَعد العشاء الآخرة

والمرادُ بِهِ الحديثُ الذي يكونُ مُبَاحاً في غيْر هٰذا الوقت، وفِعلُه وتَركُهُ سواءٌ، فَأَمَّا الْحَدِيثُ الْمُحَرَّمُ أو المكْرُوهُ في غَيْرِ هٰذا الوَقْتِ، فَهُوَ في هٰذا الوَقْتِ أَشَدُّ تَحْرِيماً وَكَرَاهَة، وَأَمَّا الحَديثُ في الخَيْرِ كَمُذَاكَرَةِ العِلْم، وحِكاياتِ الصَّالِحِينَ، وَمَكَارِمِ الأَخْلاقِ، والحَدِيثُ مَعَ الضَّيْفِ، وَمَعَ طالِبِ حَاجَةٍ، وَنَحْو ذٰلكَ، فَلا كَرَاهَةَ فِيهِ، بل هُوَ مُسْتَحَبٌّ، وَكذا الحَدِيثُ لِعُذْرٍ وعارِضٍ لا كَرَاهَةَ فِيهِ، وقَدْ تَظَاهَرَتِ الأَحَاديثُ الصَّحيحةُ على كُلِّ مَا ذَكَرْتُهُ

١٧٤٤ ـ عَنْ أَبي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَكرَهُ النَّوْم قبْلَ العِشَاءِ، وَالحَدِيثَ بعْدَهَا»[1] مُتَّفَقٌ عليه.

١٧٤٥ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى العِشَاءَ في آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلمَّا سَلَّمَ، قَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هٰذِهِ[2]؟ فَإنَّ عَلى رَأْسِ مِائَةِ

---

(١) «كان ﷺ يكره الحديثَ بعد العشاء» أي يكره السَّهَر بعد صلاة العشاء، لأنها ربَّما ضيَّعت عليه فضلاً كبيراً من قيام الليل، أو فوَّتت عليه صلاة الفجر، إلا إذا كان هناك مصلحة، وأمِنَ من ضِياع صلاة الصبح، فلا كراهة في ذلك.

(٢) «أَرَأَيْتَكُمْ ليلَتَكُمْ هٰذِهِ» أي أخبروني عن هذه الليلة التي تعيشونها؟ هل تدرون ماذا سيحدث بعدها؟ وهذا السؤال هدفُه تنبيه الصحابة إلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة.

سَنَةٍ لا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلى ظَهْرِ الأَرْضِ اليَوْمَ أَحدٌ»[(١)] مُتَّفَقٌ عليه.

١٧٤٦ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّهمُ انْتَظَرُوا النَّبيَّ ﷺ، فَجاءَهُمْ قريباً مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ فَصَلَّى بِهِم ـ يعْني العِشاءَ ـ قَالَ: ثُمَّ خَطَبَنَا فَقَالَ: أَلا إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلُّوا، ثُمَّ رَقَدُوا، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَزالُوا في صَلاةٍ مَا انْتَظَرْتُمُ الصَّلاةَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم امتناع المرأة من فراش زَوْجها إذا دعاها ولم يكن لها عذر شرعي

١٧٤٧ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إلى فِرَاشِهِ[(٢)] فأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ» متَّفقٌ عليه.

وفي رواية: «حَتَّى تَرْجعَ».

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم صَوم المرأة تطوعاً وزوجها حاضر إلاّ بإذنه

١٧٤٨ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لا يَحِلُّ للمَرْأَةِ

---

(١) «لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض اليوم أحد» هذه من أمور الغيب، التي أخبر عنها الصادق المصدوق ﷺ وقد حدث كما أخبر، فقد توفي جميع الصحابةُ، وكان آخر من تُوفي منهم «عامرُ بنُ واثلةَ» مات سنة مائة وعشرة هجرية، وذلك نهايةُ رأس مائة سنة من مقالته ﷺ، ويظهر لي وجهٌ آخر في الحديث الشريف، وهو التنبيهُ على قصر عمر الإنسان، في هذه الدنيا، فمهما عمِّر فإنَّ نهايتَه الموتُ، حتى يقطعَ أملَه من الخلود فيها، ولنتصور بلدةً يقيم فيها عشرة ملايين نسمة، يصبحون تحت التراب كلهم بعد مائة سنة، أو مائة وخمسين سنة! فما قيمة هذه الحياة؟ وصدق اللَّه العظيم: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**﴾ اللهم اختم لنا على الإيمان، وأدخلنا دارَ الرضوان.!

(٢) «إذا دعا الرجل امرأته» الدعاءُ إلى الفراش: كنايةٌ عن الجماع، والكنايةُ عن الأمور التي يُستحيا منها مستحسنة، وهذا من آداب الإسلام، وإنما تلعنها الملائكة، لأنها فوَّتت على زوجها حقَّه من الاستمتاع الجنسي، وربما عرَّضته إلى مقارفة الفاحشة مع غيرها، ثم فيه حدوث العداوة والبغضاء بين الزوجين، وهذا مما يرضي الشيطانَ، ويغضب الرحمن.

أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ[١]، وَلا تَأْذَنَ في بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم رَفع المأموم رأسَهُ مِن الركوع أو السجود قبل الإمام

١٧٤٩ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ، إذا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الإمَامِ، أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ! أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في كراهة وضع اليد على الخاصِرة في الصّلاة

١٧٥٠ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أن رسول اللَّه ﷺ: نَهَىٰ عَنِ الخَصْرِ في الصَّلاةِ»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في كراهة الصّلاة بحضرة الطعام ونفسُه تتوق إليه، أو مع مدافعة الأخبثين وهما البول والغائط

١٧٥١ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

---

(١) «لا يحلُّ للمرأة أن تصوم وزوجُها شاهد» هذا في غير صوم رمضان والنذر، لأن صيامها تطوعاً، يفوّت حقَّه من التمتع بالنهار بزوجه، فقدَّم الشرعُ حقَّ الزوج على حقِّ اللَّه، لتدوم المودّة بين الزوجين.

(٢) «ولا تأذن في بيته إلَّا بإذنه» أي لا تأذن لأحد بالدخول إلى بيت زوجها، إلا برضاه، فقد يكره دخول بعض الناس بيته، لعداوة أو بغضاء، فيحصل بين الزوجين النزاعُ والخصام.

(٣) «إذا رفعَ رأسَه أن يجعل اللَّه رأسه رأس حمار» هذا الوعيد لمن رفع رأسه من الركوع قبل الإمام، وهو يقتضي التحريم، لشدة ما جاء في تصويره بالحمار، من الوعيد الشديد، والواجب متابعةُ الإمام في الركوع والسجود، والقعود والقيام، لا مخالفته في أركان الصلاة، والصلاةُ تعوِّدنا النظام، والفوضى يحاربها الإسلام.

(٤) «نَهى ﷺ عن الخَصْرِ في الصَّلاة» أي نهى أن يضع المصلِّي يديه على خاصرتيه، لأن ذلك =

« لا صَلاةَ بحَضْرَةِ طَعَامٍ[١]، وَلا وهُوَ يُدَافِعُهُ الأخْبَثَانِ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞۞۞

بابٌ في النّهي عن رَفع البَصَر إلى السّماء في الصّلاة

١٧٥٢ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إلى السَّمَاءِ في صَلاتِهِمْ[٣]؟ فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ في ذٰلك حَتَّى قَالَ: لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذٰلكَ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

۞۞۞

بابٌ في كراهة الالتفات في الصّلاة لغير عذر

١٧٥٣ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: « سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الالْتِفَاتِ في الصَّلاةِ؟ فَقَالَ: هُوَ اخْتِلاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاةِ الْعَبْدِ» رَوَاهُ البُخاري.

١٧٥٤ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إيَّاكَ وَالالْتِفَاتَ في الصَّلاةِ، فَإنَّ الالْتِفَاتَ في الصَّلاة هَلَكَةٌ، فَإنْ كَانَ لا بُدَّ، فَفي التَّطَوُّعِ، لا في الْفَرِيضَةِ» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صَحيحٌ.

۞۞۞

= ينافي الخضوع والخشوع، ثم هو فعل اليهود المغضوب عليهم، وفعلُ المتكبرين.

(١) « لا صلاةَ بحضرةِ الطعام» أي لا ينبغي أن يصلي الإنسان، والطعامُ حاضر بين يديه، أو هو جائع، فيشغله ذلك عن الخشوع في الصلاة، ويبقى قلبه معلقاً بلذيذ الطعام والشراب، فيفوته الأجر العظيم.

(٢) « ولا وهو يدافعُه الأخبثان» أي البولُ والغائط لما في ذلك من التشويش عليه، بحيث لا يدري كم صلّى؟ ولا ماذا قرأ؟ وهكذا حكم كل ما يشغل ذهن الإنسان في الصلاة.

(٣) « ما بَالُ أقوام يرفعَون أبصارَهم إلى السّماء» رفعُ البصر إلى الأعلى وهو في الصلاة، مكروهٌ كراهةً شديدةً، لأنه ينافي الخشوع، ويجعل المصلّي كأنه معرضٌ عند اللّه، مع أنه في صلاته يناجي ربه، ولهذا جاء الوعيد الشديد عليه بقوله ﷺ: « لينتهنَّ عن ذلك أو لتخطفنَّ أبصارُهم» ، ومثلُه الالتفاتُ في الصلاة مذمومٌ، لقوله ﷺ: « هو اختلاسٌ يختلسه الشيطان من صلاة العبد» أي كأنه سرقة يسرقها الشيطان من العبد، ليضيِّع عليه أجر الصلاة الكامل.

بابٌ في النّهي عن الصّلاة إلى القبور

١٧٥٥ ـ عَنْ أَبي مَرْثَدٍ «كَنَّازِ بْنِ الحُصَيْنِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لا تُصَلُّوا إلى القُبُورِ[١]، وَلا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم المرور بَينَ يَدَي المصلي

١٧٥٦ ـ عَنْ أَبي الجُهَيْم «عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ الصِّمَّةِ» الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ المَارُّ بَيْنَ يَدَيِ المُصَلِّي مَاذا عَلَيْهِ[٢] لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ، خَيْراً لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ»[٣]

قَالَ الرَّاوِي: لا أَدْرِي قَالَ أَرْبَعِينَ يَوْماً، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْراً، أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً! مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في كراهة شروُع المأمُوم في نافلة بعد شروع المؤذِّن في إقامة الصلاة سواء كانت النافلة سُنةَ تلك الصلاةِ أو غيرَها

١٧٥٧ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إذا أُقِيمَتِ الصَّلاةُ، فَلا صَلاةَ إلَّا المَكْتُوبَةُ»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «لا تصلُّوا إلى القبور» تحرمُ الصلاة إلى القبور، لما فيها من شبهة العبادة لها، **قال الشافعي رحمه الله:** وأكره أن يُعظَّم مخلوقٌ، حتى يُجعَل قبرُه مسجداً، مخافةَ الفتنة عليه وعلى الناس، والمراد «بالجلوس عليها» القعودُ فوق القبر، لما فيه من إهانة الميت، وعدمُ مراعاة حرمته، وفي الحديث «لأن يجلس أحدُكم على جمرةٍ، فتحرقَ ثيابَه، فتخلُصَ إلى جِلْده، خيرٌ له من أن يجلسَ على قبر» رواه مسلم.

(٢) «لو يعلم المارُّ بين يديْ المصلِّي ماذا عليه»؟ أي ماذا عليه من الذنب والإثم؟ لأنه حال بينه وبين القِبْلة، التي أُمِرَ بالتوجُّه إليها، ويشغل الإنسان عن صلاته.

(٣) «لكان أن يقف أربعين خيراً له» أي يقف أربعين سنة في انتظاره، حتى يفرغ من الصلاة، خيراً له من أن يمرَّ بين يديه، وهذا محمولٌ على المبالغة في التحذير، من المرور بين يديْ المصلِّي، أما الشكُّ فجاء من الراوي، والراجح أن المراد به «أربعين سنة» للرواية الأخرى عند البزار «أربعين خريفاً» والمراد بالخريف السنة.

(٤) «إذا أقيمت الصلاةُ فلا صلاةَ إلا المكتوبة» أي لا ينبغي أن يصلِّي الإنسان أيَّ صلاة، سواءٌ =

بابٌ في كراهة تخصيص يَوم الجمعَة بصيام أو ليلته بصلاة

١٧٥٨ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لا تَخُصُّوا لَيْلَةَ الجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالي، وَلا تَخُصُّوا يَوْمَ الجُمُعَةِ بِصِيَامٍ[1] مِنْ بَيْنِ الأيَّامِ، إلَّا أنْ يَكُونَ في صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٧٥٩ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لا يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، إلَّا يَوْماً قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٧٦٠ ـ وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَّادٍ قَالَ: «سَأَلْتُ جَابِراً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَهَى النَّبيُّ ﷺ عَنْ صَوْمِ يوم الجُمُعَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٧٦١ ـ وَعَنْ أُمِّ المُؤْمِنِين «جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الحَارِثِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ وَهيَ صَائِمَةٌ، فَقَالَ: أَصُمْتِ أَمْسِ؟ قَالَتْ: لا، قَالَ: تُرِيدِينَ أنْ تَصُومِي غَداً؟ قَالَتْ: لا، قَالَ: فَأَفْطِرِي» رَوَاهُ البُخاري.

❁ ❁ ❁

= كانت تطوعاً، أو سُنَّةً، أو تحيَّةَ مسجد، إذا أقيمت الصلاةُ المفروضة، والحكمةُ في النهي: أن يتفرَّغ للفريضة من أوّلها، فيشرع فيها عقب شروع إمامه، حتى لا يفوته الأجر العظيم، بالدخول مع الإمام من أول الصلاة، ولمَّا كانت الفريضةُ أعظم وأهمَّ من السُّنَّة، لذلك لا يُترك الأعظمُ، من أجل الأصغر الأقل، هذا إذا لم يكن قد شرع في صلاة السُّنَّة والنافلة، أمَّا إذا شرع فيها، فلا يجوز له أن يقطعها بل يعجِّل فيها، اللهمَّ إلا إذا خشي أن تفوته الصلاةُ مع الجماعة، ومن الخطأ ما يفعله بعض المصلِّين، من قطع الصلاة حتى ولو كان قد قارب على الانتهاء منها، فإن ذلك ممنوع ومحرَّم، لقوله تعالى: **﴿وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾** فالشروع يُلزم الإنسان بالإكمال، لكنْ يتعجَّل في النافلة، ليدرك معه الركعة الأولى، والله أعلم.

(١) «لا تخصوا يوم الجمعة بصيام» وردَ النهيُ عن تخصيصها بالصيام، تحذيراً عن موافقة اليهود والنصارى، لأن اليهود يخصُّون يوم السبت، والنصارى يخصُّون يوم الأحد بالتعظيم، فنُهينا عن ذلك حتى لا نتشبَّه بهم، فيما هو أفضل الأيام عندنا وهو الجمعة، ولهذا لو صام يوماً قبله، أو يوماً بعده ارتفع المحظور، لأن النهي إنما ورد عن تخصيص ذلك اليوم بالصوم، لئلا يتشبَّه المؤمنُ بأهل الكتاب.

بابٌ في تحريم الوصَال في الصّوم وهو أن يصوم يومين أو أكثر، ولا يأكل ولا يشرب بينهما

١٧٦٢ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الوِصَالِ»[١] مُتَّفَقٌ عليه.

١٧٦٣ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الوِصَالِ، قَالُوا: إنَّكَ تُوَاصِلُ؟ قَالَ: إنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى» مُتَّفَقٌ عليه، وهٰذا لَفْظُ البُخاري.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم الجلوس على قبر

١٧٦٤ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لأنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلى جَمْرَةٍ، فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إلى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلى قَبْرٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

بابٌ في النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه

١٧٦٥ ـ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ القَبْرُ[٢]، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

---

(١) «نهى ﷺ عن الوصال» وهو أن يصوم يوماً، ثم يُتبعُه بصيام يوم آخر، من غير أن يأكل ويشرب، وهذا الوصالُ حرام على الأمة، جائز للرسول ﷺ، لأن عدم الأكل والشرب، يومين متتاليين يُضعف بدنَ الإنسان، واللّه تعالى يريد بنا اليُسر، ولا يريد بنا العسر، أما الرسول ﷺ فله خصوصية، تجعله يقوى على الصوم دون شعور بالضعف والملَل، لأنه كما جاء في رواية مسلم «إني أبيتُ عند ربي يطعمني ويسقيني» ولا يراد به حقيقةُ الطعام والشراب كما ذهب إليه البعضُ، بل جعلُ القوة والقدرة فيه على الصيام، كأنه أكل وشرب، ولو كان حقيقةً يُطعم ويُسقى، لانتفىٰ معنى الوصال، واللّه أعلم.

(٢) «نهى ﷺ أن يُجصَّص القبرُ» أي يُبيَّضَ بالكلس وهو الجِبْسُ، أو أن يُبنى عليه مثلُ القُبة، =

بابٌ في تغليظ تحريم إباق العبد من سيّده

١٧٦٦ ـ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عبدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٧٦٧ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ: « إذا أَبَقَ الْعَبْدُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفي رِوَايَةٍ: « فَقَدْ كَفَرَ »[1].

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم الشفاعة في الحدوُد

قَالَ اللَّهُ تَعَالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ ﴾ [النور: ٢].

١٧٦٨ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا « أَنَّ قُرَيْشاً أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ[2] الَّتي سَرَقَتْ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِىءُ عَلَيْهِ إلَّا «أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ» حِبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ

= لأنه ليس مسكناً للإنسان، يستمتع به، حتى تُنفق عليه الأموال الطائلة، فهذا من الترف والإسراف، المنهي عنه، وهو تبذيرٌ للمال، وما يفعله بعضُ الأغنياء بقبور أقاربهم، من البناء عليها الرخام وغيره، حماقة وسفه، وقد قال بعض الشعراء:

أرَى أهْلَ الـقُـصُـور إذا أُمِيتُوا ... بَنَوْا فَوْقَ المَقَابِرِ بالصُّخُور

أبَوْا إلا مُبَاهَاةً وفَخْراً ... عَلَى الفُقَراءِ حَتَّى في القُبُورِ

(١) « إذا أبَقَ العبدُ فقد كَفَر » أي كفر نعمة سيّده فاستحقّ العقاب، ولا يراد به حقيقةُ الكفر، وهذا من باب « من غشَّ فليس منّا » أي عملُه ليس من عمل المسلمين، وإنما هو من عمل الكفرة الجاهلين.

(٢) « أهمَّهم شأنُ المرأةِ المخزومية » هي امرأةٌ من أشراف قريش، من قبيلة بني مخزوم، واسمها « فاطمة بنت عبد الأسد » سرقت، فخشي قومُها من الفضيحة، فقالوا: من يشفع لها عند رسول اللّه ﷺ؟ فتوسَّلوا إلى « أسامة بن زيد » المحبوب والمقرَّب عند الرسول ﷺ، فغضب ﷺ من هذه الوساطة وقال منكراً عليه: أتشفع في حدٍّ من حدود اللّه يا أسامة؟ ثم بيَّن ﷺ سبب هلاك الأمم، ألا وهو ترك الشريف وإقامة الحد على الضعيف، ثم قطع يدها، وقال قولته العظيمة، التي بقيت على مدى الأجيال مناراً للحقّ والعدالة: « واللّهِ لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمد سرقتْ لقطعتُ يدَها » وحاشاها رضي اللّه عنها أن تسرق، ولكنه النموذج الأكمل لعدالة الإسلام، التي لا تفرّق بين قوي وضعيف، وشريفٍ ووضيع!!

اللَّهِ ﷺ: أَتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعالى؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إذا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإذا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رِوَايَةٍ «فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدودِ اللَّهِ!؟ قَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لي يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ المَرْأَةِ، فَقُطِعَتْ يَدُهَا».

۞ ۞ ۞

بابٌ في النّهي عن التغوّط في طريق الناس وظلّهم وموارد الماء ونحوها

قَالَ اللَّهُ تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

١٧٦٩ ـ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا اللَّاعِنَيْنِ[١] قَالُوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى في طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ في ظِلِّهِمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النهي عَن البَول ونحوه في الماء الراكد

١٧٧٠ ـ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى أَنْ يُبَالَ في المَاءِ الرَّاكِدِ»[٢] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «اتقوا اللّاعنَيْن» أي تجنَّبوا السببَ المؤدّي إلى اللّاعنَيْن، وهما: التغوُّطُ في طريق الناس، والتغوُّطَ في مكان ظِلّهم، لأن من فَعَل ذلك يلعنه الناسُ، وبوجهٍ خاص إذا كان الإنسان سائراً في الطريق، فوطئت قدمُه على النجاسة، أو كان مسافراً وأراد الجلوس تحت ظل شجرة، فتلوَّث ثوبه أو رحله، سارع إلى لعن فاعله.

(٢) «نهى ﷺ أن يُبال في الماء الراكد» أي غير الجاري كالحوض، والنَّبع، والماء القليل، والحرمةُ في الغائط أشدُّ وأفحش.

بابٌ في كراهة تفضيل الوَالد بَعض أولاده على بعض في الهبَة

١٧٧١ ـ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا « أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إنِّي نَحَلْتُ ابْني هٰذا غُلاماً[١] كَانَ لي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هٰذا؟ فَقَالَ: لا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَأَرْجِعْهُ».

وفي رِوَايَةٍ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَفَعَلْتَ هٰذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟ قَالَ: لا، قَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا في أَولادِكُمْ» فَرَجَعَ أَبي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ.

وفي رِوَايَةٍ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هٰذا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هٰذا؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَلا تُشْهِدْني إذاً فَإنِّي لا أَشْهَدُ عَلى جَورٍ».

وفي رِوَايَةٍ « لا تُشْهِدْني عَلى جَوْرٍ».

وفي روايةٍ: « أَشْهِدْ عَلى هٰذا غَيْري، ثُمَّ قَالَ: أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إلَيْكَ في الْبِرِّ سَوَاءً؟ قَالَ: بَلى، قَالَ: فَلا إذاً» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم إحدَاد المرأة على مَيت فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام

١٧٧٢ ـ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: « دَخَلْتُ عَلى «أُمِّ حَبِيبَةَ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَ أَبُوها «أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةُ خَلُوقٍ[٢] أَوْ غَيْرِهِ، فَدَهَنَتْ مِنْهُ جَارِيَةً،

---

(١) « نحلتُ ابني غلاماً» أي وهبتُه وأعطيتُه غلاماً، وفي رواية أخرى: وهبتُه حديقةً أي بستاناً، وأراد بذلك أن يُشْهِد الرسول ﷺ على هذه الهبة، فسأله ﷺ: هل أعطيتَ كلَّ أولادك مثل ما أعطيت هذا؟ قال: لا، قال: اذهب فإني لا أشهد على جَوْر أي ظلم، فدلَّ على حرمة التفرقة بين الأولاد في العطاء، لأنه يولِّد بينهم العداوة والبغضاء، وأَمَره باسترجاع ما وهبه، وعلَّل ذلك بقوله: « أيسُرك أن يكونُوا إليكَ في البِرِّ سواءً»؟ أي كلُّهم يحبُّك، وكلُّهم يُطيعك؟ قال: نعم!! قال: فلا تخصَّ بعضهم بعطية دون بعض، فإن ذلك ظلمٌ وحيف!!

(٢) « بطيبٍ فيه صُفرةُ خَلُوق» أي طيب تتطيَّبُ به، فيه بعض لون الصفرة.

ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضَيْها[١] ثُمَّ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا لي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ[٢]، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَلى المِنْبَرِ: «لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، أَنْ تُحِدَّ عَلى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، إِلَّا عَلى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً» قَالَتْ زَيْنَبُ: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلى «زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حِينَ تُوُفِّيَ أَخُوهَا، فَدَعَتْ بِطِيبٍ، فَمَسَّتْ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَتْ: أَمَا وَاللَّهِ مَا لي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ عَلى المِنْبَرِ: لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاثٍ، إِلَّا عَلى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم بيع الحاضر للبَادي وتلقي الرّكبان والبيع على بيع أخيه والخِطبة على خِطبته إلا أن يأذن أو يرد

١٧٧٣ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ[٣]، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ أَو أَبَاه» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «ثم مَسَّتْ بِعَارِضَيْها» أي دهنت من ذلك الطيب أطرافَ وجهها ويديها.

(٢) «مالي بالطِّيب من حاجة» أي ليست نفسي مشتاقةَ إلى الطِّيب، ولكنْ امتثالاً لأمر الرسول ﷺ تطيَّبتُ، لأني سمعته يقول: «لا يحل لامرأة أن تحدَّ على ميِّت فوق ثلاث ليال، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً» ومعنى الإحداد: ترك الزينة والتطيب حزناً على الميِّت، وإنَّما كانت المدة طويلة بالنسبة للزوج، لعظيم حقِّه على زوجته، بسبب الرباط الوثيق «رباط الزوجية» وطول العِشْرة بينهما في مودة ووئام، ولحكمةٍ أخرى هي «معرفة براءة رحم المرأة» قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾ أي وعشرة أيام.

(٣) «نهى ﷺ أن يبيع حاضر لبادٍ» أي يبيع المقيمُ في المدينة، للأعرابي القادم من البادية، وذلك بأن يقدم الأعرابي بمتاعٍ يريد بيعَه بسعر يومه، فيقول له الحاضر: دعه عندي لأبيعه لكَ بثمنٍ أعلى من هذا الثمن، بالتدريج، فيحرم لما فيه من الإضرار بالمسلمين، ولو لم يتعرَّضْ له لباعه بسعر يومه، وهذا الذي يُسمَّى بـ«السِّمسار» أي الدلَّال، أمَّا إذا باعه له بسعر يومه، دون استغلال للظروف، فلا حرمة فيه.

١٧٧٤ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لا تَتَلَقَّوُا السِّلَعَ حَتَّى يُهْبَطَ بهَا إلى الأَسْوَاقِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٧٧٥ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لا تَتَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ[١]، وَلا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ» فَقالَ لَهُ طَاووسُ: «مَا مَعْنَى لا يَبعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ؟ قال: لا يَكُونُ لَهُ سِمْسَاراً» مُتَّفَقٌ عليه.

١٧٧٦ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلا تَنَاجَشُوا وَلا يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلا يَخْطُبُ على خِطْبَةِ أخِيهِ[٢]، وَلا تَسْألُ المَرْأةُ طَلاقَ أُخْتِهَا، لِتَكْفَأَ مَا فِي إنَائِهَا»[٣].

وفي رِوَايَةٍ قَالَ: «نَهى: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ التَّلَقِّي وَأنْ يَبْتَاعَ المُهَاجِرُ للأَعْرَابيِّ، وأنْ تَشْتَرِطَ المَرْأةُ طَلاقَ أُخْتِهَا، وَأنْ يَسْتَامَ الرَّجُلُ عَلى سَوْمِ أخِيهِ، وَنَهى عَنِ النَّجْشِ والتَّصْرِيَةِ»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

١٧٧٧ ـ وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلا يَخْطُبْ عَلى خِطْبَةِ أخِيهِ، إلَّا أنْ يَأذَنَ لَهُ» مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لَفْظُ مسلم.

١٧٧٨ ـ وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «المُؤْمِنُ أخُو المُؤْمِنِ، فَلَا يَحِلُّ لِمُؤمِنٍ أنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أخِيهِ، وَلَا يَخْطُبَ عَلى خِطْبَةِ أخِيهِ حَتَّى يَذَرَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «لا تتلقوا الرُّكْبَانَ» أي القادمين من البوادي، وذلك بأن يتلقى الشخصُ، القادمَ، من البادية بمتاع للبيع، فيشتريه منه، قبل أن يعلم معرفةَ سعر البلد، فيكون قد خَدَعه بالسعر، فاشتراه منه برُخص، وهذا إضرار بالقادم، كما أن الأول إضرار بأهل البلد.

(٢) «ولا يخطب على خِطْبة أخيه» أي لا يُقدم على خِطْبة امرأةٍ مخطوبة، قد تقدَّم لها خاطب، لأن ذلك يفسد الودَّ بين المسلمين.

(٣) «ولا تسأل طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها» أي لا تسأل واحدة طلاق امرأةٍ أخرى حتى تتزوج به، والمراد بالأخت أي في الأنوثة لا في النسب، والتعبير بقوله: «لتكفأ ما في إنائها» ورد بطريق الاستعارة البديعة، فكأنها تطلب الطلاق، لتُفرغ ما كان من حظ وفضل لضرَّتها لنفسها، كمن يصبُّ من إناء غيره في إنائه، فتصبح النفقة، والمعروف، وحسن المعاشرة، كلُّها لها، وما أبدعه من تشبيه رائع، بطريق الاستعارة البديعة!!

(٤) «التصرية» هي ترك حلب الدابة حتى يجتمع اللبن في ضرعها، فيتوهم من يرغب شرائها أنها كثيرة اللبن.

بابٌ في النّهي عن إضاعة المال في غير وجوهه التي أذن الشرع فيها

١٧٧٩ ـ عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّهَ تَعَالى يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثاً، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثاً، فَيَرْضَى لَكُمْ أنْ تَعْبُدوه، وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً، وَلا تَفرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ[١]، وَكَثْرَةَ السُّؤالِ[٢]، وَإضَاعَةَ المَالِ»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وتقدَّم شرحه.

١٧٨٠ ـ وَعَنْ وَرَّادٍ كَاتِبِ المُغِيرَةِ قَالَ: أمْلَى عَلَيَّ «المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ» في كِتَابٍ إلى مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: «لَا إلهَ إلَّا اللَّه وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَه المُلْكُ وَلَه الْحَمْد، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَع ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»[٤] وَكَتَبَ إلَيْهِ أنَّه «كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَإضَاعَةِ المَالِ، وَكَثْرَةِ السُّؤالِ، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقُوقِ الأمَّهَاتِ، وَوَأدِ الْبَنَاتِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ» مُتَّفَقٌ عليه، وسبقَ شرحه.

❁ ❁ ❁

---

(١) «يكره لكم قيل وقال» أي كثرة الكلام والخوض فيما لا يُفيد ولا يعني، كما وَرَد «من حُسْنِ إسلام المرءِ تركُه ما لا يَعْنيه».

(٢) «وكثرة السؤال» أي ويكره لكم كثرة الأسئلة، عما لا تحتاجون إليه، على وجه الجدل والتعنُّت، كما فعل بنو إسرائيل، قال اللَّه تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ فقد وصل بهم السَّفه والتعنت إلى أن طلبوا من نبيهم رؤية اللَّه عزَّ وجلَّ فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾!

(٣) «وإضاعة المال» أي صرفه وإنفاقه في أمور تافهة، كتصوير كل ما يراه في طريقه، وإنفاقه المال على اللهو واللعب، وشراء النساء لأدوات التجميل، وكل ما يتعلق بما يسمى بـ«الموضة» وغير ذلك من سُبُل التبذير، فيما يضرُّ ولا ينفع، وقد حذَّر تعالى من تبذير المال، بقوله سبحانه ﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾.

(٤) «ولا ينفع ذا الجدِّ» أي لا ينفع صاحبَ الحَظِّ والغنى عندك غناه ولا مالُه، وكما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

بابٌ في النّهي عن الإشارة
إلى مُسلم بسلاح ونحوه، سواء كان جاداً أو مازحاً
والنهي عن تعاطي السيف مسلولاً

١٧٨١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُشِرْ أَحَدُكُمْ إِلى أَخِيهِ بالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ» متَّفقٌ عليه.

وفي رِوَايَةٍ لِمُسْلِم قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ[١] ﷺ: «مَنْ أَشَارَ إِلى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَنْزِعَ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ».

قَوْلُهُ ﷺ: «يَنْزِعَ» وَمَعْنَاهُ بِالمهْمَلَةِ يَرْمِي، وبالمُعَجمَةِ أَيْضاً يَرْمِي وَيُفْسِدُ، وَأَصْلُ النَّزْعِ: الطَّعْنُ وَالْفَسَادُ.

١٧٨٢ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُتَعَاطَى السَّيْفُ مَسْلُولاً»[٢] رَوَاهُ أَبُو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في كراهة الخروج
من المسجد بعد الأذان إلا لعذر حتى يصلِّي المكتوبة

١٧٨٣ ـ عَنْ أَبِي الشَّعْثاءِ قال: «كُنَّا قُعُوداً مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي المَسْجِدِ، فَأَذَّنَ المؤذِّنُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ المَسْجِدِ يَمْشِي، فَأَتْبَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ بَصَرَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ المَسْجِدِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَمَّا هذا فقدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «أبو القاسم» يريد به النبيّ ﷺ، فإن القاسم هو أحد أبناء النبي ﷺ.

(٢) «نهى ﷺ أن يُتعاطى السيفُ مسلولاً» أي أن يناول الرجلُ السيفَ لأخيه المسلم وهو مسلول، لما في ذلك من الإرعاب له، مع ما يُخشى من حصول ضررٍ منه، وفي معنى السيف السكّين، والأدبُ في تناولها أن يمسك النصل المحدود في يده، ويناوله من جهة المقبض.

(٣) «أمّا هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ» أي لأنه خرج من المسجد بعد الأذان، قبل أن يصلي الصلاة المفروضة، وهذه معصية لأمر الرسول ﷺ.

بابٌ في كراهة ردّ الريحان لغيـر عُذر

١٧٨٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ، فَلَا يَرُدَّهُ[١]، فَإِنَّهُ خَفِيفُ المَحْمَلِ، طَيِّبُ الرِّيحِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٧٨٥ ـ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لا يَرُدُّ الطِّيبَ » رَوَاهُ البُخاري.

❁ ❁ ❁

بابٌ في كراهة المدح
في الوجه لمن خيف عليه مفسدةٌ من إعجاب ونحوه
وجوازه لمن أُمِنَ ذلك في حقه

١٧٨٦ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى الأشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يُثْني عَلَى رَجُلٍ، وَيُطْرِيهِ في المِدْحَةِ[٢]، فَقَالَ: أَهْلَكْتُمْ، أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ » مُتَّفَقٌ عليهِ. و«الإطْرَاءُ»: المُبَالَغَةُ في المَدْحِ.

١٧٨٧ ـ وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنَّ رَجُلاً ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِي ﷺ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْراً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَيْحَكَ! قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ[٣] ـ يَقُولُهُ مِرَاراً ـ إنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحاً لا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا،[٤] إنْ كَانَ

---

(١) « من عُرِض عليه ريحانٌ فلا يردُه» أي إذا أُهدي إليه شيء من الطِّيب فلا يردُه، لأنه لا مؤنة لحمله، ولا منّة للخلق في قبوله، لجريان عادتهم بذلك، ولهذا يقول العامة: هديةُ الطِّيب لا تُردُّ، لأنه النبيّ ﷺ «كان لا يردُ الطِّيب» رواه البخاري، وفي حديث الترمذي عن ابن عمر مرفوعاً: «ثلاث لا تُردُّ: الوسائدُ، والدُّهنُ ـ أي الطِّيبُ ـ واللَّبَنُ» أي الحليبُ.

(٢) «يُثني على رجل ويُطريه» أي يمدحه ويُبالغ في مدحه والثناء عليه، فخاف ﷺ على الممدوح.

(٣) «قطعَت عُنُق صاحبك» أي أهلكتم صاحبكم بهذا المديح والثناء، وقطعُ الظهر كناية عن الهلاك والدمار، وذلك لما يُخشى على الممدوح من العُجب بنفسه، ودخول الكِبْر إليه والخيلاء، وبخاصةٍ مع ضعاف النفوس، فإذا سمع أحدهم ذلك الثناء والمديح، يظن أنه أصبح أكرم من «حاتم الطائي» وأشجع من «عنترة»!!

(٤) «إن كان أحدكم مادحاً فليقل: أحسبُه كذا» أي أظنّه كما قلتُ لكم في مديحي، ولا أزكّي على اللّه أحداً، وفي هذا إشارة بديعة إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢] وفي هذا =

يَرى أنَّهُ كَذلِكَ، وَحَسِيبُهُ اللَّهُ، وَلَا يُزَكَّى عَلى اللَّهِ أَحَدٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٧٨٨ ـ وَعَنْ «هَمَّامِ بْنِ الحَارِثِ» عَنِ المِقْدَادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنَّ رَجُلاً جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَمِدَ المِقْدَادُ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَجَعَلَ يَحْثُو في وَجْهِهِ الحَصْبَاءَ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: إذَا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا في وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

فَهٰذِهِ الأحَادِيثُ في النَّهْي، وَجَاءَ في الإبَاحَةِ أحَادِيثُ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ.

قَالَ العُلَمَاءُ: وَطَرِيقُ الجَمْعِ بَيْنَ الأحَادِيثِ أنْ يَقَالَ: إنْ كَانَ المَمْدُوحُ عِنْدَهُ كَمَالُ إيمَانٍ وَيَقِينٍ، وَرِيَاضَةُ نَفْسٍ، وَمَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِحَيْثُ لا يَفْتَتِنُ، وَلا يَغْتَرُّ بِذلِكَ، وَلَا تَلْعَبُ بِهِ نَفْسُهُ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ وَلَا مَكْرُوهٍ، وَإنْ خِيفَ عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ هذِهِ الأُمُورِ، كُرِهَ مَدْحُهُ في وَجْهِهِ، كَرَاهَةً شَدِيدَةً، وَعَلَى هذَا التَّفْصِيلِ، تُنَزَّلُ الأحادِيثُ المُخْتَلِفَةُ في ذلِكَ، وَمِمَّا جَاءَ في الإبَاحَةِ قَوْلُهُ ﷺ لأبي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أرْجُو أنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» أيْ: مِنَ الَّذِينَ يُدْعَوْنَ مِنْ جَمِيعِ أبْوابِ الْجَنَّةِ لِدُخُولِهَا، وفي الحَدِيثِ الآخرِ: «لَسْتَ مِنْهُمْ»، أيْ: لَسْتَ مِنَ الَّذِينَ يُسْبِلُونَ أُزُرَهُمْ خُيَلَاءَ. وَقَالَ ﷺ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا رَآكَ الشَّيْطَانُ سَالِكاً فَجّاً إلا

= الحديث توجيه نَبَوِيٌّ كريم، إلى عدم المغالاة لإنسان، بالثناء والإطراء عليه، فنحن لا نعلم من حاله إلا الظاهر، والله تعالى يعلم الحقائق، وبواطن الأمور.

(١) «إذا رأيتم المدَّاحين فاحثُوا في وجوههم التراب» حَمَله البعضُ على حقيقته، وهو أن ينثر في وجهه التراب، وفعله بعضُ السلف، والراجح أن المعنى على المجاز، أي أظهروا لهم الرضى بما سمعتم، ولا تعطوهم شيئاً على المديح، حتى يشعروا بأنهم كانوا منافقين بهذا المديح والثناء.

تنبيه: وردت أحاديث صحيحة، في الإباحة في المديح والثناء على من يُعلم عنه الخيرُ، منها قوله ﷺ لأبي بكر الصدِّيق «إني لأرجو أن تكون ممن يدخل من أبواب الجنة الثمانية» وقوله: «إن الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه» وقوله له: «إيه يا ابنَ الخطاب، ما رآك الشيطانُ سالكاً فجًا، إلا سلك فجاً غير فجِّك» وقوله ﷺ: «إذا مُدح المؤمنُ في وجهه، ربا الإيمانُ في قلبه» وغيرها كثير، والجمع بين النهي والجواز أن يُقال: إذا كان الممدوحُ عنده كمالُ إيمانٍ ويقين، بحيثُ لا ينخدع ولا يفتتن بالمديح، لثباته وقوة إيمانه ويقينه، فلا حرج في امتداحه، وإن خيف عليه شيءٌ من الفتنة والاغترار، والإعجاب بالنفس، فالمديح له حرام، والله أعلم.

سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ» وَالأحَادِيثُ في الإبَاحَةِ كَثِيرَةٌ، وَقَدْ ذَكَرْتُ جُمْلَةً مِنْ أطْرَافِهَا في كِتَابِ: «الأذْكارِ».

❁ ❁ ❁

بابٌ في كراهة الخروج من بلد وقع فيها البلاء فِراراً منه وكراهة القدوم عليه

قَالَ: تَعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

وقَالَ تَعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

١٧٨٩ ـ وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، أنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «خَرَجَ إلى الشَّامِ، حَتَّى إذا كَانَ بِسَرْغَ[1]، لَقِيَهُ أُمَراءُ الأجْنَادِ[2] «أبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ وَأصْحَابُهُ» فَأخْبَرُوهُ أنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بالشَّامِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ لِي عُمَرُ: ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأوَّلِينَ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأخْبَرَهُمْ أنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: خَرَجْتَ لأمْرٍ، وَلَا نَرَى أنْ تَرْجِعَ عَنْهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نَرَى أنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هذا الْوَبَاءِ!! فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِيَ الأنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ المهاجِرِينَ، واخْتَلَفُوا كاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِيَ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ[3]، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلَانِ[4]، فَقَالُوا: نَرَى أنْ تَرْجِعَ

---

(١) «حتى إذا كان بسَرْغَ» قرية قريبة من تبوك في طريق الشام.

(٢) «لقيه أمراءُ الأجناد» الأجنادُ: مدنُ أهل الشام الخمس، وهي: «فلسطين، والأردن، ودمشق، وحمص، وقِنّسرين» يرأسهم ويتقدمهم «أبو عبيدة بن الجراح» وأخبروه أن الطاعون قد فشا بين أهل الشام.

(٣) «مشيخة قريش من مهاجرة الفتح» أي كبار الشيوخ من المهاجرين، الذين أسلموا قبل فتح مكة، وهؤلاء السابقون إلى الإسلام، وقد كانوا على جانب عظيم من الفقه والفهم.

(٤) «فلم يختلف عليه منهم رجلان» أي استشارهم في أمر العودة، فاتفقوا جميعاً على ضرورة العودة، وقالوا لعمر: نرى أن ترجع بالناس، ولا تعرّضهم لمرض الطاعون الفتّاك، عملاً بالاحتياط لقوله تعالى ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

بالنَّاسِ، وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هذا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في النَّاسِ: إنِّي مُصْبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ[١]، فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَفِرَاراً مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ[٢]! وكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلَافَهُ، نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إلى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إبِلٌ، فَهَبَطَتْ وَادِياً لَهُ عُدْوَتَانِ، إحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ، والأخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ «عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ مُتَغَيِّباً في بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إنَّ عِنْدِي مِنْ هذَا عِلْماً، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإذا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْهُ**» فَحَمِدَ اللَّهِ تعَالَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وانْصَرَفَ» متفقٌ عليه.

«الْعُدْوَةُ»: جَانِبُ الْوادِي.

---

(١) «إني مُصبح على ظهر» أي راجع صباح غدٍ إلى المدينة المنورة، فاستعدُّوا للرجوع، ولا يتخلَّف منكم أحد.

(٢) «لو غيرُك قالها يا أبا عُبيدة» أي لو قال هذه الكلمة غيرُك لم أتعجَّبْ منه، وإنما أعجبُ منك لفضلك وعلمك؟ كيف تقول ذلك!! ثم ضرب له مثلاً بديعاً فقال له: لو كان لك إبلٌ، وهبطتَ وادياً له جانبان: طرفٌ فيه كلأٌ ومرعى، وطرفٌ آخر ليس فيه زرعٌ ولا خِصب، أين ترعى الإبل؟ أليس ترعاها في الأرض المخصبة؟ وهذا يكون بقدر اللّه، كما أن ذاك يكون بقَدَر اللّه!! ومقصود سيدنا عمر وجوب الاحتياط، وتجنب المهالك، فاللّه تعالى يقول: ﴿وَلاَ تُلقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ وكأنه يشير إلى أن الناس رعية، يجب أن أحتاط لهم، ولا أقدم بهم على البلاء والوباء، فهل أكون مخطئاً في هذا؟ ثم جاء «عبد الرحمن بن عوف» وكان غائباً فقال لعمر: إنَّ عندي نصًّا صريحاً عن رسول اللّه ﷺ يؤيِّد ما رأيتَه، لا يحتاج معه إلى اجتهاد!! سمعت الرسول ﷺ يقول: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم فيها، فلا تخرجوا فراراً منه» فحمد عمرُ اللّهَ عزَّ وجل، على موافقة اجتهاده، واجتهاد الصحابة لما جاء عن الرسول ﷺ ورجع إلى المدينة.

أقول: وهذا الحديث الشريف من بدائع «الطبّ النبوي» وهو قاعدة أصيلة فيما يسمى في عصرنا «بالحَجْر الصحّي» وهي منعُ الخروج من البلد، الذي انتشر فيه الوباء المعدي «كالطاعون، والحمّى الشوكية، والكوليرا» لئلا ينقل المريضُ إلى السليم العدوى، ومنعُ الدخول إلى البلد المصاب بالوباء، لئلا يعرّض الإنسانُ نفسَه للخطر والمرض، وصلواتُ ربي وسلامُه على من بعثه اللّه رحمة للعالمين، فكان طبيباً للأجساد والأرواح!

١٧٩٠ ـ وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الطَّاعُونَ بِأَرْضٍ، فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ فِيهَا، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في التغليظ في تحريم السّحر

قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ الآية [البقرة: ١٠٢].

١٧٩١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ[١]! قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّٰهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللّٰهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللّٰهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ» مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النّهي عن المسافرة بالمصحف إلى بلاد الكفار إذا خِيفَ وقوعُه بأيدي العدو

١٧٩٢ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ أَنْ يُسَافَرَ بِالْقُرْآنِ إلى أَرْضِ الْعَدُوِّ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

۞ ۞ ۞

(١) «اجتنبوا السبع الموبقات» يعني المهلكات، وتقدم الحديث مع شرحه في باب تحريم أموال اليتامى رقم (١٦١٢).

(٢) «نهى ﷺ أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو» الحكمة منه هو خشية أن يُهينوا القرآن، إذا وقع في أيديهم أو يمزّقوه، فإن أُمن ذلك زالت الحرمة، كحال المسلمين اليوم، الذين يعيشون في البلدان الأوروبية والأميركية، يحملون معهم إسلامهم وقرآنهم.!.

بابٌ في تحريم استعمال إناء الذّهب وإناء الفضّة في الأكل والشرب والطهارة وسائر وجوه الاستعمال

١٧٩٣ ـ عَن أُمّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنها، أنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قالَ: «الّذِي يَشْرَبُ في آنِيَةِ الْفِضَّةِ[١] إنّمَا يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ لمُسلم: «إنَّ الّذِي يَأكُلُ أوْ يَشْرَبُ في آنيةِ الْفِضّةِ والذَّهبِ، إنما يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ».

١٧٩٤ ـ وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ قالَ: «إنَّ النّبيَّ ﷺ نَهَانَا عَنِ الحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالشُّرْبِ في آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضّةِ، وقال: هُنَّ لهُمْ في الدُّنْيا، وَهِي لَكُمْ في الآخِرَةِ» مُتّفَقٌ عليه.

وفي روايةٍ في الصَّحِيحَيْنِ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ: «سَمِعْتُ رسُولَ اللّهِ ﷺ يقولُ: لا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ، وَلا الدِّيبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا في آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضّةِ، وَلا تَأكُلُوا في صِحَافِهَا»[٣].

١٧٩٥ ـ وَعَنْ أنسِ بْنِ سِيْرِينَ قَالَ: «كنتُ مَعَ أنَسِ بْنِ مالكٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ عِنْدَ نَفَرٍ مِنَ المَجُوسِ، فَجِيءَ بفَالُوذَجٍ عَلى إنَاءٍ مِنْ فِضّة، فَلَمْ يَأكُلْهُ، فَقِيلَ

---

(١) «الذي يشرب في آنية الفضة» الأكلُ والشرب بآنية الذهب والفضة حرام، لا يجوز لا للرجال ولا للنساء، لما في ذلك من مظاهر الترف والخيلاء، وقد وضّح ﷺ العلة من ذلك بقوله: «هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة» أي هذا التنعم بأواني الذهب والفضة، للكفار في الدنيا، ولكم يا معشر المسلمين في الآخرة، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أي وأقداح من ذهب، وقال سبحانه: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

(٢) «إنّما يجرجر في بطنه نار جهنم» أي من شرب في أواني الذهب أو الفضة، فكأنما يقذف في بطنه حميماً من نار جهنم، وهذا على التشبيه والتمثيل، والجرجرةُ: الصوتُ الذي يكون عند تجرّع المشروب متابعاً، يسمع له صوتٌ غريب، وكأنه بأكله وشربه يدحرج النار في بطنه.

(٣) دلّ الحديث على تحريم الأكل والشرب، بأواني الذهب والفضة، كما يحرم استعمالها أيضاً، لحديث أنس أنه جيء له بالفالوذج ـ نوع من الحلوى اللذيذ ـ على إناءٍ من فضة، فأبى أن يأكل منه، كما يحرم استعمالُ الساعة الذهبية، أو الخاتم الذهبي، والكتابة بالقلم إذا كان من ذهب، وغير ذلك من أنواع الاستعمال الشخصي.

لَهُ: حَوِّلْهُ، فَحَوَّلَهُ عَلى إناءٍ مِنْ خَلَنجٍ، وَجِيءَ بِهِ فأكَلَهُ». رَوَاهُ البيهقي بإسْنادٍ حسَنٍ، «الخَلَنْجُ»: الجَفْنَةُ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في تحريم لبس الرّجل ثوباً مزعفراً

١٧٩٦ ـ عنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «نَهى النَّبيُّ ﷺ أنْ يَتَزَعْفرَ الرَّجُلُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٧٩٧ ـ وَعَنْ عبدِ اللَّهِ بن عَمْرو بْنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: «رَأى النَّبيُّ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَينِ، فقَالَ: أمُّكَ أمَرَتْكَ بهذا؟ قلتُ: أغْسِلُهُمَا؟ قال: بَلْ احْرِقْهُمَا».

وفي روايةٍ، فقالَ: «إنَّ هذا منْ ثِيَابِ الكُفَّارِ فَلا تَلْبَسْهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

۞ ۞ ۞

بابٌ في النّهي عن صَمت يَوم إلى اللّيل

١٧٩٨ ـ عَنْ عَليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لا يُتْمَ بَعْدَ احتِلامٍ[1]، وَلا صُمَاتَ يَوْمٍ إلى اللَّيْلِ»[2] رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ حسنٍ.

قالَ الخطَّابي في تفسِيرِ هذا الحديثِ: كَانَ مِنْ نُسُكِ الجَاهِلِيَّةِ الصُّمَاتُ، فَنُهوا في الإسْلامِ عَنْ ذلكَ، وأمِرُوا بِالذِّكْرِ، وَالحَدِيثِ بِالخَيْرِ.

١٧٩٩ ـ وعَنْ قِيسِ بْنِ أبي حازِمٍ قالَ: «دَخَلَ أبُو بكرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلى امْرأةٍ مِنْ أحْمَسَ، يُقَالُ لهَا: زَيْنَبُ، فَرَآهَا لا تَتَكَلَّمُ، فقالَ: مَا لَها لا تَتَكَلَّمُ؟ فقالُوا: حَجَّتْ مُصْمِتَةً، فقالَ لهَا: تَكَلَّمِي فَإنَّ هذا لا يَحِلُّ، هذا منْ عَمَلِ الجَاهِلِيَّةِ، فَتَكَلَّمَتْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «لا يُتْمَ بعدَ احتلام» أي لا يبقى الطفلُ يتيماً بعد سنّ البلوغ، بل يرتفع عنه اسم اليتيم وأحكامه، والبلوغُ يكون بالاحتلام، أو ببلوغ سن الخامسة عشرة، ولولا هذا القيدُ لأصبح الناس كلهم يتامى.

(٢) «ولا صُمَاتَ يوم إلى اللَّيلِ» كان هذا من نُسك الجاهلية، أن يمسك الإنسان عن الكلام طيلة اليوم، وقد كانوا ينذرون ألّا يتكلموا يوماً أو يومين أو أكثر، فنهى عن ذلك الإسلام، وأمروا بالصوم عن الطعام لا عن الكلام، أمّا الصَّمتُ عن الشرّ فمطلوب ومرغوب.

بابٌ في تحريم انتِساب الإنسان إلى غير أبيه وتولِّيه إلى غير مَواليه

١٨٠٠ ـ عَنْ سَعْدِ بْنِ أبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنِ ادَّعَى إلى غَيْرِ أبِيهِ[١] وَهُوَ يَعْلَمُ أنَّهُ غَيْرُ أبِيهِ، فالجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٠١ ـ وعنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لا تَرْغَبُوا عَنْ آبائِكُمْ[٢]، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أبيهِ، فَهُوَ كُفْرٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٠٢ ـ وَعَنْ يزيدَ بْنِ شريكِ بْنِ طارِقٍ قالَ: رَأيْتُ عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلى المِنْبَرِ يَخْطُبُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «لا وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ نَقْرَؤهُ إلَّا كِتَابَ اللَّهِ، وَمَا في هذِهِ الصَّحِيفَةِ[٣]، فَنَشَرَهَا فَإذَا فِيهَا أسْنَانُ الإبِلِ، وَأشْيَاءُ مِنَ الجرَاحَاتِ، وَفيهَا: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ، فَمَنْ أحْدَثَ فيهَا حَدَثاً، أوْ آوَى مُحْدِثاً، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أجْمَعِينَ، لا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ القِيامَةِ صَرْفاً وَلا عَدْلاً[٤]، ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا

---

(١) «من ادَّعَى إلى غيرِ أبيه» أي انتسب إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة محرَّمٌ عليه دخولها، لأنه إفسادٌ للنسب، الذي هو أحد الكلّيات الخمس «الدين، النَّفس، العرض، المال، النسب» التي قرّرتها جميع الأديان السماوية.

(٢) «لا ترغبوا عن آبائكم» أي لا يحتقر الإنسانُ نسبَه، ويرغَب عن الانتساب إلى أبيه، إذا أصبح الولد مديرَ جامعة، أو وزيراً، وأبوه فقير، أو في مهنة طبّاخ أو نجّار، فيرغب عن الانتساب إلى أبيه، للمقام الرفيع الذي وصل إليه، فإن مثل هذا خروج عن تعاليم الإسلام، وكفرانٌ لحقّ من كان سبباً في وجوده، وهو الأبُ الضعيف المسكين، وقيل: إنه كفرٌ بالله إن استحل مثل هذا العمل.

(٣) «قولُ علي: واللهِ ما عندنا من كتاب نقرؤه إلّا كتاب الله، وما في هذه الصحيفة» في هذا القول الواضح، عن أمير المؤمنين «علي بن أبي طالب» من آل بيت النبوة، تكذيب صريحٌ للرافضة، الذين يزعمون أنه ﷺ خصَّ علياً عن سائر الناس بعلوم، ولم يطّلع عليها صحابة رسول الله!! ويقولون هناك صندوق كبير، فيه صحيفة طولها ثمانون ذراعاً، فيها أحاديث وأخبار خصَّ بها النبي ﷺ علياً دون سائر الصحابة، وهذه فريةٌ ما فيها مِرْية، يبطلها إمام آل بيت النبوة «علي رضي الله عنه» ويقول صراحةً على المنبر: ما عندنا إلا كتاب الله، وهذه الصحيفة، ثم نشرها على رؤوس الأشهاد، فيها أشياء تتعلق بالزكاة، وبالجراحات ـ القصاص ـ وفيها بيان حَرَم المدينة المنورة، وحكم من انتسب إلى غير أبيه، هذا كل ما في الصحيفة.

(٤) «لا يقبل اللهُ منه صرفاً ولا عدلاً» أي لا يقبل الله منه توبةً ولا فدية.

أدْنَاهُمْ، فَمَنْ أخْفَرَ مُسْلِماً، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أجْمَعِينَ، لا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفاً وَلَا عَدْلاً، وَمَنِ ادَّعَى إلى غَيْرِ أبيهِ، أو انْتَمَى إلى غَيْرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ والمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أجْمَعِينَ، لا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفاً وَلا عَدْلاً» مُتَّفَقٌ عليه.

«ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ» أيْ: عَهْدُهُمْ وَأمَانَتُهُمْ. «وَأخْفَرَهُ»: نَقَضَ عَهْدَهُ، «وَالصَّرْفُ»: التَّوْبَةُ، «وَالْعَدْلُ»: الْفِدَاءُ.

١٨٠٣ ـ وَعَنْ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّهُ سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُهُ إلَّا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا[١]، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ[٢]، وَمَنْ دَعا رَجُلاً بِالْكُفْرِ، أوْ قالَ: عَدُوَّ اللَّهِ، وَلَيْسَ كذلكَ إلَّا حَارَ عَلَيْهِ»[٣] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وهذَا لَفْظُ روايةِ مُسْلِمٍ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في التحذير من ارتكاب ما نهى اللَّه عزّ وجلّ أو رسُوله ﷺ عنه

قالَ اللَّهُ تَعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقالَ تَعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال تَعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢].

وقالَ تَعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

١٨٠٤ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إنَّ اللَّهَ تَعالى يَغَارُ[٤]، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أنْ يَأتيَ المَرْءُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «من ادَّعى ما ليس له فليس منا» أي ليس على هدينا وطريقنا، وليس صادق الإيمان.
(٢) «وَلْيَتَبوَّأ مقعده من النار» أي فليحجز له مكاناً في نار جهنم.
(٣) «ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلّا حار عليه» أي من رمى مؤمناً بالكفر، وقال له: يا عدوَّ الله ولم يكن كذلك، إلا رجعت على قائلها.
(٤) «إن الله يغار» أي يغضب ولا يرضى أن تُنتهك محارمه، وقد وضَّح ﷺ معنى الغيرة =

بابٌ في ما يقوله ويفعله مَنِ ارتكبَ منهيًّا عنه

قَالَ اللَّهُ تَعَالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٦].

وقَالَ تَعَالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

وقال تَعَالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

١٨٠٥ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ في حَلِفِهِ: باللَّات وَالعُزَّى[1]، فَلْيَقُلْ: «لا إلهَ إلَّا اللَّه» وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ فَلْيَتَصَدَّق» مُتَّفَقٌ عليه.

❁ ❁ ❁

= بقوله: «وغَيْرةُ اللَّهِ أن يأتي المرءُ ما حرّم اللَّه عليه» أي يفعل ما حرّمه اللَّه عليه من المنكرات.

(١) «من حلف باللات والعزى» أي حلف بغير اللَّه من الأوثان والأصنام، فلْيجدِّد إيمانه بقوله: «لا إله إلا اللَّه» ليكون كفارة لما جرى على لسانه.

كتاب المنثورات والمُلَح[١]

بابٌ في أحاديث الدجال وأشراط الساعة وغيره

١٨٠٦ ـ عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قالَ: «ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ، وَرَفَّعَ[٢]، حَتَّى ظَنَنَّاه في طَائفةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إلَيْهِ، عَرَفَ ذلكَ فِينَا، فقالَ: مَا شَأنُكُمْ؟ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَالَ الْغَدَاةَ، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاه في طَائِفَةِ النَّخْلِ!! فقالَ: غَيْرُ الدَّجَّالِ أخْوَفني عَلَيْكُمْ[٣]، إنْ يَخْرجْ وأنَا فِيكُمْ، فَأنَا حَجِيجُه[٤] دونَكُم، وَإنْ يَخْرجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ[٥]، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلى كُلِّ مُسْلِمٍ[٦] إنَّه شَابٌ قَطَطٌ[٧]، عَيْنُهُ طَافِيَةٌ[٨]، كأنِّي أُشَبِّهُه بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ

---

(١) أي الأحاديث المتنوعة، التي لا تتقيد بباب خاص، كخروج الدجال، ونزول عيسى من السماء في آخر الزمان، وبعض القصص الغريبة والمُلَح أي الأخبار والأحاديث المستحسنة التي يحبُّ أن يسمعها الإنسان.

(٢) «ذَكَرَ الدَّجَال فخفَّضَ فيه ورفَّعَ» أي ذكر ﷺ خبر الدجال، وما يكون من فتنته العظيمة، فحقَّر شأنه، وفخَّم من أمر فتنته للبشر، ليحذره المسلمون، ويعرفوا خطره.

(٣) «غيرُ الدجال أخوفني عليكم» أي لا أخاف عليكم من فتنة الدجال، بل هناك من الفتن ما هو أخطر وأكبر!! أمَّا فتنة الدجال، فاللَّهُ يحفظكم من شرِّه، وأنا لا أخاف عليكم منه، وسأبيِّن لكم بعض أوصافه.

(٤) «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجُه» أي إن خرج الدجالُ، وأنا حيٌّ بينكم، فلا تخافوا منه فأنا محاجُه، وقاطعُ حجته، ومدافع عنكم.

(٥) «فامرؤٌ حجيجُ نفسِه» أي كلُّ إنسان يُحاجُّ ويدافع عن نفسه، بما أخبرتكم من صفاته، فإنه أعورُ العين، ولو كان إلهاً كما يزعم، لأذهب عن نفسه العيب والشَّيْن.

(٦) «واللَّه خليفتي على كل مسلم» أي أن يحفظه من الفتنة والزيغ.

(٧) «شابٌ قَطَط» أي شديد جعودة الشعر.

(٨) «عينُه طافية» أي ذهب نورها وبرزت إلى الأمام بمعنى أنه أعور.

قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَه مِنكُمْ، فَلْيَقْرَأ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ(١)، إنّه خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ(٢)، فَعَاثَ يَمِيناً وَعاثَ شِمَالاً(٣)، يَا عِبَادَ اللَّهِ فاثْبُتُوا(٤)!! قُلْنَا: يا رَسولَ اللَّهِ وَمَا لُبْثُه في الأرْضِ(٥)؟ قالَ: أرْبَعُونَ يَوْماً: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كجُمُعَةٍ(٦)، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كأيَّامِكُمْ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ، فذلكَ الْيَوْمُ الذي كَسَنَةٍ، أتَكْفِينا فِيهِ صَلاةُ يَوْمٍ؟ قال: لا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إسْرَاعُهُ في الأرْضِ؟ قالَ: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ(٧)، فَيَأتي عَلى الْقَوْمِ، فَيَدْعُوهُم(٨)، فَيُؤمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأمُرُ السَّماءَ فَتُمْطِرُ(٩)، وَالأرْضَ فَتُنْبِتُ،

---

(١) «فواتح سورة الكهف» أي ليقرأ عليه الآيات العشر، من أول سورة الكهف ﴿الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ..﴾ الآيات، فإنها تدفع عنه فتنته.

(٢) «خارج خلَّةً بين الشام والعراق» أي يخرج من مكان بين الشام والعراق، ورُوي «ومَحَلُّه» أي محلُّ خروجه، وهو الذي رجَّحه صاحب نهاية الغريب وفسَّره بالطريق بينهما.

(٣) «فعاث يميناً وعاث شمالاً» أي فأفسد في البلاد، ذات اليمين والشمال، فهو لا يكتفي بإفساد ما يدخله من البلاد، بل يبعث سراياه يميناً وشمالاً، فلا يأمن من شرّه مؤمنٌ ولا كافر.

(٤) «يا عبادَ اللَّه فاثبتوا» أي أوصيكم يا عباد اللَّه أن تثبتوا على الإيمان، ولا تحيدوا عنه، بسبب ما ترون من عظيم فتنته، فإنه يقول للسماء: أمطري فتمطر، ويقول للأرض أخرجي نباتك، فتخرجه، ويقتل إنساناً ثم يحييه، ففتنته عظيمة، وشرُّه كبير وجسيم.

(٥) «ما لبثُه في الأرض»؟ أي ما هي مدة مكث الدجّال في الأرض؟

(٦) «أربعون يوماً، يومٌ كسَنَة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة» قال المحدِّثون: هذا الحديث على ظاهره وحقيقته، أن الدجال يمكث في الأرض مدة أربعين يوماً، الأيام الثلاثة الأولى طويلة جداً، يومٌ بمقدار سنة، ويوم بمقدار شهر، ويوم بمقدار جمعة، وبقية أيامه كالأيام المعتادة، فالأيامُ الأولى الثلاث تطول بمشيئة اللَّه، ليُفسح له المجال بالفساد والإفساد، ولا يبقى بلدٌ إلّا يدخله، إلّا «مكة» و«المدينة» فإنّ عليهما ملائكة يحرسونهما كما في رواية مسلم، وذهب البعضُ إلى تأويل الحديث، فقال: إن اليوم لا يزاد فيه أصلاً، وإنما هو كناية عن شدة أهواله وفتنته، وقد ردَّ القرطبي، وابن الجوزي هذا القول، وأنه لو كان كذلك، لما قال ﷺ: «وسائرُ أيامه كأيامكم» ولا قال: «فاقدروا له قدره» مما يدلُّ دلالة واضحة على طول الأيام حقيقة، واللَّه سبحانه هو المتصرِّف في الكون، والمسيِّر لدورة الفَلَك.

(٧) «كالغيث استدبرته الريحُ» أي كالمطر هبَّت عليه الريح العاصفة.

(٨) «يأتي على القوم فيدعوهم» أي يدعوهم إلى الإيمان بأنه ربهم، ويريهم بعضَ الخوارق، فيؤمنون به ويتبعونه!! وهذا تفصيلٌ للفتنة.

(٩) «فيأمر السماء فتمطر» أي يأمر السماء بالمطر، وليس فيها سحاب، فتمطر عليهم مطراً مدراراً في الحال، ويأمر الأرض وهي قاحلة جرداء، أن تخرج نباتها، فتخرجه وافياً زاهياً بأسرع الزمن، فترجع عليهم سارحتهم أي أنعامهم مملوءة الضروع من كثرة الشبع، وتدرُّ لهم اللَّبن.

فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْولَ مَا كَانَتْ ذُرىً، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعاً[١]، وأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأتي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ[٢]، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ[٣]، لَيسَ بأَيْديهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالخَرِبَةِ فَيقُولُ لَهَا: أَخْرِجي كُنُوزَكِ[٤]، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُها كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئاً شَبَاباً، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جزلَتَيْنِ[٥] رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يدعُوهُ، فَيُقْبِلُ، وَيَتَهلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَما هُوَ كذلكَ إذْ بَعَثَ اللّٰه تعَالى المَسيحَ ابْنَ مَرْيم ﷺ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَة الْبَيْضَاءِ، شَرْقيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ[٦]، وَاضعاً كَفَّيْهِ على أجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إذا طَأْطَأَ رَأسهُ، قَطَرَ، وَإذا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ[٧]، فَلا يَحِلُّ

---

(١) «أطول ما كانت ذُرَى وأسبَغه ضروعاً» أي ترجع الإبل والأنعام أملأها ضروعاً باللبن، وأعلاها طولاً من السِّمن.

(٢) «ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردُّون عليه قوله» أي يكذِّبونه ولا يقبلون دعوته، ويثبتون على التوحيد والإيمان، فيصبحون «ممحلين» أي مجدِبين لا زرع عندهم ولا ضَرْع، بانقطاع المطر، ويُبس الأرض والكلأ، وهذا من المحنة التي تلحق أهل الإيمان، وفيها الفتنةُ لضعاف الناس.

(٣) «فيصبحون ممحلين» أي لا زرع عندهم ولا نبات ولا ماء.

(٤) «ويمرُّ بالخَرِبة فيقول لها: أخرجي كنوزك» أي يمرُّ على الموضع الخَرِب، والمحلة التي تهدَّم عمرانُها فيقول لها: أَخرجي ما في باطنك من الكنوز، فتخرج الكنوز حالاً «كيعاسيب النحل» أي أمثال ذكور النحل تطير بطيران مَلِكَتها، وتتبعها حيثما طارت، وهو تشبيه بديع لسرعة خروج الكنوز من الأرض.

(٥) «يضربه بالسيف فيقطعه جَزْلتين» أي يدعو الدجال شاباً مؤمناً، فيقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: أنت المسيحُ الدجال الذي حذَّرنا منه رسول اللّٰه ﷺ!! فيضربه بالسيف فيشقُّه نصفين، ويجعله قطعتين ثم يُحييه، ويقول له: أتؤمن بي؟ فيقول الشابُّ: ما ازددتُ فيكَ إلا يقيناً، أنت المسيحُ الدجالُ، فيريد أن يقتله فلا يمكِّنه اللّٰه منه، كما جاء في الرواية الأخرى، وهذه من أعظم فتنته، وهي إحياء الميِّت.

(٦) «ينزل بين مهرودتين» أي ينزل عيسى عليه السلام من السماء، بثياب مصبوغة، تحمله الملائكةُ على أجنحتها، حتى ينزل شرقيَّ مدينة دمشق عند المنارة «المأذنة» وهذا نصٌّ صريح على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان.

(٧) «تحدَّر منه جُمان كاللؤلؤ» أي إذا رفع نبيُّ اللّٰه عيسى رأسه، تساقط منه الماء، كحبَّات من الفضة، من الصفاء والحُسن، سُمِّي الماءُ جُماناً لَشَبهه بحبات اللؤلؤ المضيء، فيدرك عيسى الدجَّالَ فيقتله «بباب لُدّ» أي ببلدة قريبة من بيت المقدس، ثم يأتي القوم المؤمنين، الذين لم يُفتَنُوا بدعوة الدجَّال، وبقوا ثابتين على الإيمان، فيمسح عن وجوههم تكريماً لهم، ويخبرهم بدرجاتهم في الجنة لثباتهم على الإيمان.

لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ﷺ قَوْماً قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُم بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ، فَبَيْنَما هُوَ كذلك إِذْ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالى إِلى عِيسَى ﷺ إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَاداً لِي لا يَدان لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ[1]، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلى الطُّورِ[2]، وَيَبْعَثُ اللَّهُ «يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ» وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فيقولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهذِهِ مَرَّةً ماءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ[3]، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ، خَيْراً من مائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلى اللَّهِ تعَالى، فَيُرْسِلُ اللَّهُ تَعَالى عَلَيْهِمُ النَّغَفَ في رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِلى الأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ في الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ، إِلَّا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ ونَتَنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى ﷺ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إِلى اللَّهِ تعَالى، فَيُرْسِلُ اللَّهُ تَعَالى طَيْراً كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَطَراً، لا يُكِنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ،

(١) «أخرجتُ عباداً لا يَدَانِ لأحد بقِتالهم» أي لا طاقة لأحدٍ بقتالهم، لشدة بأسهم، وقوة بطشهم، وهم «يأجوج ومأجوج».

(٢) «فحرِّزْ عبادي إلى الطور» أي ادفع بهم إلى جبل الطور، ليتحرزوا من شرّ هؤلاء الطغاة المفسدين، ثم يخرج القوم من قبيلة «يأجوج ومأجوج» فلا يمرون على ماء إلا شربوه، ولا على زرع إلا حصدوه وأكلوه.

(٣) «ويُحصر نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابه» أي يُحصرون في الجبل، فلا يستطيعون النزول إلى الأرض، خوفاً من هؤلاء الهَمَج، ويدعو نبيُّ الله عيسى عليه السلام ويتضرَّع معه المؤمنون لله، أن يُهلك هذه القبائل المتوحشة، ليتخلصوا من شرِّهم، فيرسل الله عليهم دوداً أمثال النمل يأخذهم في رقابهم، فيموتون دفعةً واحدة، بدعاء السيد المسيح عليه السلام، ثم يرسل الله طيوراً ضخمة، تحمل أجسامهم فتطرحها في البحر، ويرسل الله مطراً غزيراً، يطهِّر الأرض ويغسلها من دنسهم، وتكثر بعدها الخيراتُ والزروعُ والثمار، وبعد ذلك الزمن المبارك، يرسل الله ريحاً طيبة ليِّنة، تقبض أرواح المؤمنين، ويبقى شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة، هذه خلاصة «قصة الدجال»، وخروج يأجوج ومأجوج، قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ الآيات.

فَيَغسِلُ الأرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كالزَّلَقَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأرْضِ: أنْبِتي ثَمَرَتَكِ، وَدِرِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمِئِذٍ تَأكُلُ الْعِصابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ في الرِّسْلِ، حَتَّى إنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإبِلِ، لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، واللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَم لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كذلِكَ، إذْ بَعثَ اللَّهُ تَعَالَى رِيحاً طَيِّبَةً، فَتَأخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤمِنٍ، وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٠٧ ـ وَعَنْ «رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ» قَالَ: «انْطَلَقْتُ مَعَ أبي مَسْعُودٍ الأنْصَارِيِّ إلى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمْ، فَقَالَ لَهُ أبُو مسعودٍ: حَدِّثْني مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في الدَّجَّالِ قَالَ: «إنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ، وَإنَّ مَعَهُ ماءً وَنَاراً[1]، فأمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً، فَنَارٌ تُحْرِقُ، وَأمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَاراً، فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقَعْ في الَّذي يَرَاهُ نَاراً، فَإنَّهُ ماءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ» فَقَالَ أبُو مَسْعُودٍ: وَأنَا قَدْ سَمِعْتُهُ» متَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٨٠٨ ـ وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو بْنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّال في أمَّتي فَيَمْكُثُ أرْبَعِينَ ـ لا أدْرِي أرْبَعِينَ يَوْماً أرْبَعَينَ شَهْراً، أوْ أرْبَعِينَ عَاماً ـ فَيَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ[2]، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ،

---

(١) «الدجالُ يخرج ومعه ماءٌ ونار» هذا طرف من فتنة الدجال الكبرى، فإنه يظهرُ للناس بوجوهٍ عديدة، وأشكالٍ غريبة، زاعماً أنه الربُّ «ربُّ العالمين» يُري الناسَ كأنَّ معه جنةً وناراً، فمن آمن به أدخله الجنة، ومن لم يؤمن به أدخله النار، هكذا يُخيِّل للناس الأمر بصورة عكسية، فأمَّا جنته فنارٌ تُحرق، وأمَّا نارُه فسرورٌ ونعيم، ولهذا أوصى ﷺ من رأى ذلك منه، أن يقتحم النار التي هي في الواقع جنةٌ ونعيم، ويهرب من الجنة التي هي نار وجحيم... **قال الحافظ بن حجر**: هذا من فتنته التي امتحنَ اللَّهُ بها عبادَه، ليحقَّ الحقَّ ويُبطلَ الباطل، فإمَّا أن يكون الدجال ساحراً، فيُخيِّل الشيءَ بصورة عكسية، وإمَّا أن يجعلَ اللَّهُ أرضَ الجنة، التي سخَّرها للدجال ناراً، وباطن النار جنةً، ويحتمل أن يكون ذلك من جملة المحنة والفتنة، فيرى الناظر ذلك من دهشته، فيظنها جنة وبالعكس، والأول أصح.

(٢) «يبعث اللَّه عيسى فيطلبه فيهلكه» هذا نصٌّ صريح على أن «عيسى عليه السلام»، ينزل من السماء، عند خروج الدجال، ويكون قتل الدجال على يد عيسى عليه السلام، ويمكث في =

عزَّ وَجَلَّ، رِيحاً بارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلا يَبْقَى عَلى وَجْهِ الأرْضِ أحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أوْ إيمانٍ، إلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أنَّ أحَدَكُمْ دَخَلَ في كَبِدِ جَبَلٍ[١]، لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ، فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ في خِفَّةِ الطَّيْرِ، وَأحْلامِ السِّبَاعِ، لا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً، وَلا يُنْكِرُونَ مُنْكَراً، فَيَتَمَثَّلُ لهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: ألا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأمُرُنَا؟ فَيَأمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأوْثَانِ، وَهُمْ في ذلكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ في الصُّورِ، فَلا يَسْمَعُهُ أحَدٌ إلَّا أصْغَى لِيتاً وَرَفَعَ لِيتاً[٢]، وَأوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إبله[٣]، فَيُصْعَقُ، ويُصْعَقُ النَّاسُ حوله[٤]، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أوْ قالَ: يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَراً كَأنَّهُ الطَّلُّ[٥] أوِ الظِّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إلى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: أخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ[٦]، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ ألْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وتِسْعِينَ، فذلكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الوِلْدانَ شِيباً، وذلكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»[٧] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«اللِّيتُ» صَفْحَةُ العُنُقِ، وَمَعْنَاهُ: يَضَعُ صَفْحَةَ عُنُقِهِ وَيَرْفَعُ صَفْحَتهُ الأُخْرَى.

= الأرض بعد نزوله أربعين سنة، إماماً عادلاً، وحَكَماً مقسطاً، وتكثر في زمانه الخيرات، وتفيضُ البركات، وتصبح المودةُ بين قلوب المؤمنين، ليس بين اثنين منهم عداوة، ثم بعد موت عيسى، يرجع الناس إلى الكفر والضلال، وهم شرار الناس وعليهم تقوم الساعةُ، كما جاء في الحديث الصحيح: «لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: اللّه اللّه».

(١) «دخل في كبد جبل» أي دخل في جوف الجبل واختبأ به.

(٢) «أصغى ليتاً ورفع ليتاً» أي أمال صفحة عُنُقه، ورفع صفحته الأخرى، من هول ما يسمع، واللِّيتُ بكسر اللام: صفحةُ العنق.

(٣) «يَلُوطُ حَوْضَ إبله» أي يُصلح حوض الإبل بالطين أي يُلَيِّسه.

(٤) «فَيُصْعقُ ويُصْعقُ الناسُ حوله» أي يقع ميتاً ويموت الناسُ حوله.

(٥) «مطراً كأنه الطَّلُّ» أي يُنزل اللّه مطراً كمنيِّ الرجال على الأرض، فتنبتُ منه أجسادُ الناس، ويُساقون إلى أرض المحشر.

(٦) «أخرجوا بَعْثَ النار» أي أخرجوا المجرمين المستحقِّين لعذاب جهنم، وافصلوهم عن المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿وامْتَازُوا الْيَوْمَ أيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾.

(٧) «وذلك يومُ يكشف عن ساق» أي تكشف القيامة عن شدائدها وأهوالها، ويتمنى الكفار الفجار، أن يعودوا إلى الدنيا ليعبدوا ربهم، ويصلحوا أعمالهم.

١٨٠٩ ـ وَعَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إلّا سَيَطَؤهُ الدَّجَالُ[١]، إلّا «مَكَّةَ» وَ«المَدِينَةَ» وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أنْقابِهَا، إلّا عَلَيْهِ المَلائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهُمَا، فَيَنْزِلُ بالسَّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ المَدِينَةُ ثَلاثَ رَجَفَاتٍ، يُخْرِجُ اللَّهُ مِنْهَا كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨١٠ ـ وَعنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَتْبَعُ الدَّجَالَ مِنْ يَهُودِ أصْبَهَانَ، سَبْعُونَ ألْفاً عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨١١ ـ وَعنْ أمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنها، أنَّها سَمِعَتِ النبيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيَنْفِرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ في الجِبَالِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨١٢ ـ وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ ﷺ يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ، أمْرٌ أكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨١٣ ـ وَعَنْ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَه رَجُلٌ منَ المُؤمِنينَ، فَيَتَلَقَّاهُ المَسَالِحُ: «مَسَالِحُ الدَّجَّالِ»[٢]، فَيَقُولُونَ له: إلى أيْنَ تَعمِدُ؟ فَيَقُول: أعْمِدُ إلى هذا الَّذي خَرَجَ، فيقولُونَ له: أوَ مَا تُؤمِن بِرَبِّنَا؟ فيقول: ما بِرَبِّنَا خَفَاءٌ[٣]، فيقولُونَ: اقْتُلُوه، فيقُول بَعْضهُمْ لبَعْضٍ: ألَيْسَ قَدْ نَهاكُمْ رَبُّكُمْ أنْ تَقْتُلُوا أحَداً دونَه، فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إلى الدَّجَّالِ، فَإذا رآه المُؤمِنُ قالَ: يَا أيُّها النَّاسُ إنَّ هذا الدَّجَّالُ الذي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَأمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ[٤]، فَيقولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ، فَيُوسَعُ

---

(١) «إلّا سيطؤه الدجال» أي لا يبقى بلدٌ من البُلْدان، إلا سيدخُله الدجال، ويتبعه فيها خلق كثير، إلّا مكة والمدينة فإن عليها حَرَساً من الملائكة، يطردونه عن دخولهما، كرامةً من اللّه عزّ وجلّ للحرمين الشريفين، وأما بقية البلاد فيدخلها الدجال، وينشر فيها أكبر جريمةٍ وفساد، ألا وهي «ادعاؤه الربوبية»، ويتبعه من يهود أصبهان فقط «سبعون ألفاً» في رواية مسلم.

(٢) «فتتلقّاه مسالح الدجال» أي تتلقاه طلائعُ جند الدجال، فيقولون له أين تقصد؟ فيجيبهم أقصد إلى هذا الذي يزعم الربوبية.

(٣) «ما بربنا خفاء» أي إن أوصاف الرب الجليل، ظاهرة لا خفاء فيها، والدجّال منظره يدلُّ على كذبه، حيث إنه أعور.

(٤) «فيأمر به الدجّال فيشبّح» أي يُمدُّ على بطنه، ثم يُضرب ضرباً شديداً، حتى يؤمن بالدجال أنه ربٌّ وإله، فيصبر المؤمن على العذاب، وهو يكرّر قوله: أنت المسيحُ الدجال الذي حذّرنا منه رسولُ اللّه ﷺ، فيأمر به الدجال أن يُنشر بالمنشار، فيُنشر حتى يصبح قطعتين، =

ظَهْرُهُ وَبطْنُهُ ضَرْباً، فيقولُ: أوَ مَا تُؤمِنُ بي؟ فَيقُولُ: أنْتَ المَسِيحُ الْكَذَّابُ! فَيُؤمَرُ بِهِ، فَيُوْشَرُ بالمِنْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَقَ بَيْنَ رِجلَيْهِ، ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يقولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوي قَائماً، ثُمَّ يقولُ لَهُ: أتؤمِنُ بي؟ فيقولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إلَّا بَصِيرَةً!! ثُمَّ يَقُولُ: يَا أيُّهَا النَّاسُ إنَّهُ لا يَفْعَلُ بَعْدِي بأحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَيأخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إلى تَرْقُوَتِهِ نُحَاساً، فَلا يَسْتَطِيعُ إلَيْهِ سَبيلاً، فَيَأخُذ بيَدَيْهِ وَرجلَيْه فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسَبُ النَّاسُ أنَّما قَذَفَهُ إلى النَّار، وَإنَّمَا أُلْقِيَ في الجَنَّةِ، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هذا أعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمينَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وروى البخاريُّ بَعْضَهُ بمَعْنَاهُ.

«المَسَالِحُ»: هُمُ الخُفَرَاءُ وَالطَّلائِعُ.

١٨١٤ ـ وعَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «ما سَأَلَ أَحَدٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ، أكْثَرَ ممَّا سألْتُهُ، وَإنَّهُ قالَ لي: مَا يَضُرُّكَ؟ قلتُ: إنَّهُمْ يَقُولُونَ: إنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ، وَنَهْرَ مَاءٍ، قالَ: هُوَ أهْوَنُ عَلى اللَّهِ مِنْ ذلِكَ»[1] مُتَّفَقٌ عليه.

١٨١٥ ـ وعَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ

= ثم يقول له: كن حياً فيحيا بإذن الله، فيعرض عليه أن يؤمن به بأنه ربٌّ، فيقول المؤمن: لم أزددْ إلّا يقيناً بأنك الدجال، فيأخذه ليذبحه فلا يُمكَّن منه، فيأخذه فيلقي به في النار، التي يصوَّر للناس أنها نارٌ، وهي في الحقيقة جنة، لأن هذا التخييل إنما هو من شعوذته ودجله، وهذا المؤمن أرفع الشهداء درجة عند الله، لأنه جهر بالحق عند الظالم الفاجر الكافر، كما وضّحه ﷺ.

وهذا المؤمن من أهل المدينة المنورة، كما جاء في صحيح البخاري، ولفظُه «يأتي الدجّالُ وهو محرّمٌ عليه أن يدخل نِقاب ـ أي طُرُق وسُكَك ـ المدينة، فيدخل بعضَ السِّباخ ـ أي الأراضي الرملية التي لا تُنبتُ الزرع لملوحتها ـ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذٍ رجل، هو خيرُ الناس فيقول له: أشهدُ أنك الدجّال الذي حدّثنا رسول الله ﷺ حديثه!! فيقول الدجّال: أرأيتم إن قتلتُ هذا، ثم أحييتُه، هل تشكّون في الأمر؟ ـ يعني أمر ربوبيّته ـ فيقولون: لا، فيقتله ثم يُحييه، فيقول المؤمن: والله ما كنت فيك أشدَّ بصيرةً من اليوم، فيريد الدجال أن يقتله فلا يُسلّط عليه».

(١) «هو أهونُ على الله من ذلك» أي الدجّالُ أهونُ على الله تعالى، من أن يجعل ما يُظهره على يديه من الخوارق، مضلّاً للمؤمنين، ومشكّكاً لقلوب المؤمنين، وليس معناه ليس معه جبال من خبز ولحمٍ، ونهر من ماء، للأحاديث التي وردت بأن معه الطعام والأنهار.

إلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ[١]، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجلَّ لَيْسَ بأعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨١٦ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ألا أُحَدِّثكُمْ عنِ الدَّجالِ، مَا حَدَّثَ بهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ! إنَّهُ أعْوَرُ، وَإنَّهُ يَجيءُ معَهُ بِمثالِ الجَنَّةِ والنّار، فالَّتي يَقُولُ إنَّهَا الجَنَّةُ هِيَ النّارُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨١٧ ـ وعَن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهما «أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ الدَّجّالَ بَيْنَ ظَهْرَاني النّاسِ، فَقَالَ: إنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأعْوَرَ، أَلا إنَّ المَسِيحَ الدَّجّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافِيَةٌ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨١٨ ـ وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «لا تَقُومُ السّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ[٢]، حَتَّى يَخْتَبِىءَ اليَهودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الحَجَرِ

---

(١) «ما من نبي إلّا أنذر أمته الأعور الكذاب» يعني الدجّال، وذلك لشدة فتنته الكبرى على البشر، حتى تضافرت جهود جميع الأنبياء، على تحذير أممهم من فتنته، وقد نبَّه ﷺ أمته على علامة ظاهرة قاطعة، تشير إلى كذبه وهي «أنه أعور العين اليمنى، كأن عينه عِنَبةٌ طافية ـ أي مارقةٌ إلى الأمام ـ مكتوبٌ بين عينيه: كافرٌ، يقرؤُها كلُّ مؤمنٍ ومؤمنة» الحديث. وهذه العلامة تكفي كلَّ عاقل، أنه كاذب في دعوى الربوبية، فإن الربَّ جلَّ وعلا متصفٌ بكل صفات الكمال، منزّه عن النقص، فكيف يكون الدجال ربًّا، وهو أعور العين، ظاهر فيه ذلك كل الظهور؟

(٢) «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود» هذا من أعلام النبوة، فقد أخبر ﷺ عن إحدى علامات الساعة الكبرى، وهو القتال الذي يحصل بين المسلمين واليهود، وقد بدت طلائعه، بتدفق اليهود من أقطار العالم، واجتماع هذه الشرذمة الطاغية الباغية من الصهاينة في أرض فلسطين، وما كان يدور بخُلْد إنسان أن تحصل هذه المعركة بين المسلمين واليهود، لأنهم مشتَّتون في أنحاء المعمورة، فكيف يقاتلهم المسلمون وهم في «روسيا، وأمريكا، وانجلترا، وفرنسا، وألمانيا» وشتى أنحاء العالم؟ ولكنهم الآن تجمَّعوا في فلسطين، ليذبحوا على أيدي المسلمين إن شاء الله، وتتحقق معجزة الرسول ﷺ بحدوث «المعركةُ الفاصلةُ» التي ينتصر فيها المسلمون على اليهود، وكرامة من الله للمؤمنين، يُنطق اللّه الشجر والحجر، فيتكلم ويقول: يا مسلمُ، يا عبد الله، هذا يهودي ورائي، تعال فاقتله، إلا شجر الغرقد ـ وهو شجر كثير الشوك ـ لا ينطق، ولا يدلُّ على اليهود، لأنه من شجرهم خبيث مثلهم، ولا بد أن تقع هذه المعركة، لأنها إحدى علامات الساعة الكبرى، وهي خبر قاطع صادق ممن لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾!!

وَالشَّجر، فَيَقُولُ الحَجَرُ والشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ هذا يَهودِيٌّ خَلْفِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إلَّا الغَرْقَدَ فإنَّهُ مِنْ شَجَر اليَهُودِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨١٩ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «والذِي نَفْسي بِيَدِهِ لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِالقَبْرِ، فَيَتَمَرَّغَ عَلَيْهِ[١]، ويقولُ: يَا لَيْتَني مَكَانَ صَاحِبِ هذا القَبْرِ، وَلَيس بِهِ الدِّيْنُ، ما بِهِ إلَّا البَلاءُ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٢٠ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، يُقْتَتَلُ عَلَيهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مائَةٍ تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ، فَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَنْ أَكُونَ أنَا أَنْجُو».

وفي روايةٍ: «يُوشِكُ أَنْ يَحْسِرَ الفُرَاتُ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ[٣]، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيئاً» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٢١ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَتْرُكُونَ المَدِينَةَ عَلى خَيْرِ مَا كَانَتْ، لا يَغْشَاهَا إلَّا العَوَافِي[٤] ـ يُرِيدُ: عَوَافِيَ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ ـ وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ المَدِينَةَ يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا فَيَجِدَانِهَا وُحُوشاً، حَتَّى إذا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ خَرَّا عَلى وُجُوهِهِمَا» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٢٢ ـ وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَكُونُ خَلِيفَةٌ مِنْ خُلَفَائِكُمْ في آخِرِ الزَّمَان يَحْثُو المَالَ وَلا يَعُدُّهُ»[٥] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «يمرُّ الرجل بالقبر فيتمرَّغ عليه» أي يتقلَّبُ عليه من شدة ما أصابه من البلاء، ويقول: يا ليتني كنتُ مكانه!!

(٢) «وليس بِهِ الدِّينُ، ما بِهِ إلا البَلاء» أي ليس سببُ تمنِّيه الموت، لأمر ديني يخشى عليه، إنما لكثرة تتابع المحن والشدائد الدنيوية عليه، من الظلم، والبغي، وتسلُّط زبانية الحُكَّام على البشر، وانعدام الأمن والاستقرار في البلاد، وغير ذلك من ألوان البلاء.

(٣) «يوشك أن يَحسر الفرات عن كنزٍ من ذهب» هذا أيضاً من علامات الساعة الكبرى، وهو أن ينكشف نهرُ الفرات عن كنوز ثمينة من الذهب ـ وفي بعض الروايات ـ عن جبل من ذهب، فيقتتل عليه الناس، ويكثر بسبب ذلك الهَرْجُ والمَرْجُ، وقد حذَّر ﷺ أمَّته عن الانخراط مع الطامعين، في الحصول على الكنز الثمين، لأن المسلم قد يُقتل بسببه، والقتلى يكونون كثرةً كثيرة، بحيث لا ينجو من مائة إلَّا واحد، فمن اجتنب هذه الفتنة، سلم في نفسه، وسلم منه غيره.

(٤) «لا يغشاها إلا العوافي» أي لا يقصدها إلا السباع والطيور.

(٥) «يحثو المال ولا يعدُّه» أي من كثرة المال ووفرته، يعطيه للناس بلا عدٍّ ولا حساب.

١٨٢٣ ـ وَعَنْ أبي مُوسَى الأشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلى النَّاس زَمَانٌ، يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ[١]، فَلا يَجدُ أَحداً يَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرأَةً، يَلُذْنَ بِهِ، مِنْ قِلَّةِ الرِّجالِ، وَكَثْرَةِ النِّساءِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٢٤ ـ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَاراً[٢]، فَوَجَدَ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ في عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فقالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ، إنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأرْضَ، وَلَم أشْتَرِ الذَّهَبَ، وقالَ الَّذي لَهُ الأرْضُ: إنَّما بعْتُكَ الأرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إلى رَجُلٍ، فقالَ الَّذي تَحاكَمَا إلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قالَ أَحَدُهُمَا: لي غُلامٌ، وقالَ الآخرُ: لي جَارِيَةٌ، قالَ: أَنْكِحَا الغُلامَ الجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وتَصَدَّقَا» مُتَّفَقٌ عليه.

---

(١) «يطوف الرجل بالصدقة فلا يجد أحداً يأخذها» وذلك لكثرة المال وفَيَضانه، وإخراج الأرض كنوزها، حتى لا يجد من يقبل المال، وقد ظهرت أولى بوادر هذا الثراء الفاحش، بتدفق البترول، وامتلاك البعض لآلاف الملايين، بعد أن كانوا فقراء معدَمين، وانتشار المباني الضخمة «ناطحات السحاب» في الجزيرة العربية، بعد أن كان أصحابها يعيشون في أمثال «العُشش» من أشجار النخيل، وأصبحوا يمتلكون من المال، ما لا يخطر على البال، وكلُّ ذلك من أشراط الساعة كما قال الصادق المصدوق عن بعض علاماتها «وأن ترى الحُفاةَ العُراة، رُعاة الشاء ـ أي رعاة الغنم ـ يتطاولون في البنيان»!! أفلا يزيد إيمان الإنسان، بما يراه بعينيه من صدق هذا الرسول الكريم ﷺ فيما أخبر عنه، وهو يشاهد هذه الأبراج!؟

(٢) «اشترى رجل عقاراً فوجد فيه جرة فيها ذهب» هذا الحديث وأمثاله، يدلنا على أنه لا يخلو زمن من الأزمان، عن وجود أمناء شرفاء، يستمسكون بدين الله، فالرجل الذي اشترى حديقةً من رجلٍ آخر، وأثناء حفر مكانٍ فيها، وجد جرة مملوءةً بالذهب ـ وهو شيء كبير يسيل له لُعابُ كثير من الناس ـ شعر بأن هذا الذهب ليس حقَّه، فحمله وأراد أن يردّه إلى البائع، وقال له: خذ ذهبك فإنما اشتريتُ منك الأرض، ولم أشتر منك الذهب!! ولكنّ البائع كان عنده من صدق الشعور بالأمانة الدينية، أن البيع قد خرج من ملكه، وأصبح ملكاً للمشتري، فلا يحقُّ له أن يستردَّ شيئاً من المبيع، حتى ولو أنَّ فيها كنزاً ثميناً من الذهب، فقال لصاحبه: هذا مالُك، وهذا حظُّك، فأنا بعتك الحديقة ولم أدر ما فيها، فالحديقة وما فيها هي لك! وهذه والله منتهى الأمانة والوفاء، أن يصدر من كل واحد منهما، ما يدلُّ على الالتزام والرضى بموجب العقد الشرعي ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ وكانت نهاية هذه القصة العجيبة، أن يتصالحا على أن يُزوِّج البائع ابنته لغلام المشتري، وينفقا من هذا الذهب على العروسين، وكان حلّاً أرضى الطرفين.

١٨٢٥ ـ وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كانَتِ امْرَأتَان مَعَهُمَا ابناهُمَا، جَاءَ الذِّئبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إحْدَاهُمَا، فقالتْ لصَاحِبَتِهَا: إنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ، وقالت الأُخرَى: إنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ، فَتَحَاكَمَا إلى دَاوُدَ ﷺ فَقَضَى بِهِ للْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلى سُلَيْمَان بن داودَ ﷺ، فأَخْبَرَتَاهُ، فقالَ: ائتُوني بالسِّكين أشُقُّهُ بَيْنَهُمَا[1]، فقالت الصُّغرَى: لا تَفعَلْ ـ رَحِمَكَ اللَّه ـ هُوَ ابنُهَا، فَقَضَى بِهِ للصُّغْرَى» مُتّفَقٌ عليه.

١٨٢٦ ـ وعَنْ مِرْدَاسٍ الأسلميّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الأوَّلُ فالأوَّلُ، وَتَبْقَى حُثَالَةٌ كَحُثَالَةِ الشَّعِيرِ، أَوْ التَّمْرِ[2]، لا يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بَالَةً»[3] رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

١٨٢٧ ـ وعَنْ «رِفاعَةَ بْنِ رَافِعٍ» الزُّرَقِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «جاءَ جِبْرِيلُ إلى النَّبيِّ ﷺ قالَ: مَا تَعُدُّونَ أهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قالَ: مِنْ أفْضَلِ المُسْلِمِينَ، أو

---

(١) «ائتوني بالسكِّين أشقه بينهما» استخرج سيدنا سليمان عليه السلام بأحد وجوه «الحيلة الوهمية» التي عرضها على المرأتين، وهي قوله: «ائتوني بالسكِّين أشقُّ الغلام بينهما نصفين» على أن الغلام هو للصغرى، لأنها سارعت إلى الإنكار عليه، وقالت: «لا تفعل ذلك يرحمك اللّه، هو ابنُها» وأمّا الكبرى فسكتت، فعرف أن الغلام للصغرى، فحكم به لها، ومعلومٌ أن سليمان لم يكن ليقسم الغلام بينهما، لأنه يموت بشقِّه بينهما نصفين، ولكنَّها الحيلة الذكية لمعرفة صاحبة الولد.

ودلت هذه القصة، على أن الفطنة والفهم، موهبةٌ من اللّه تعالى، لا تتعلّق بكبَر سِنّ ولا بصِغَره، فداود عليه السلام حكم بالاجتهاد بحسب الظاهر، أن المرأة الكبرى هي والدةُ الطفل، لأنها تحمل وتلد، بينما الصغرى لا تحمل في الغالب، فلذلك حكم به للكبرى، وأما سليمان عليه السلام، فسلك طريق الحيلة لمعرفة الوالدة الحقيقية للطفل، ودلَّ سكوتُ الكبرى على أن الولد ليس لها، ولو كان لها، لسارعت في الإنكار كما فعلت الصغرى!

(٢) «وتبقى حُثَالةٌ كحُثَالة الشعير أو التمر» أي يموت الصالحون تِباعاً، ويبقى شرارُ الناس وأراذلُهم، وهم الحُثالة، أي: الرديء والقبيح من كل شيء، الذي يشبه الرديء من الشعير أو التمر.

(٣) «لا يباليهم اللّه بالة» أي لا يكترث اللّه بهم، فلا يقيم لهم وزناً، ولا يرفع لهم قدراً، والحديث فيه إخبار عن انقراض أهل الخير، في آخر الزمان، حتى لا يبقى إلّا أهلُ الشرِّ والفجور، ويكون سيد القوم أرذلهم، وكما قال الشاعر:

لا يَصْلُحُ النَّاسُ فوضَى لا سَرَاة لهم ... ولا سَرَاةَ إذا جُهَّالُهم سَادُوا

كَلِمَةَ نَحْوَهَا، قالَ: وكذلكَ مَن شَهِد بَدْراً مِنَ المَلائِكَةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٨٢٨ ـ وعَنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالى بِقَوْمٍ عَذَاباً، أَصَابَ العَذَابُ مَنْ كانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلى أَعْمَالِهِمْ»[(١)] مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٢٩ ـ وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كانَ جِذْعٌ يَقُومُ إلَيْهِ النَّبيُّ ﷺ - يَعْني في الخُطْبَة ـ فلما وُضِعَ المِنْبَرُ، سَمِعْنَا لِلْجذْعِ مثْلَ صَوْتِ العِشَار[(٢)] حَتَّى نَزَلَ النَّبيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَده عَلَيْهِ فَسَكَنَ».

وفي روايةٍ: «فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجمُعَة قَعَد النَّبيُّ ﷺ على المِنبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ أنْ تَنْشَقَّ».

وفي روايةٍ: «فَصَاحَتْ صيَاحَ الصَّبيِّ، فَنَزَلَ النبيُّ ﷺ، حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إلَيْهِ، فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبيِّ، الَّذي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قالَ: بَكَتْ عَلى مَا كَانَتْ تسمَعُ مِنَ الذِّكْرِ» رَوَاهُ البخاري.

١٨٣٠ ـ وَعَنْ أبي ثَعْلَبَةَ الخُشَنيِّ «جُرثُوم بْنِ نَاشِرٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قالَ: «إن اللَّهَ تَعَالى فَرَضَ فَرائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا[(٣)]، وَحَدَّ حُدُوداً فَلا تَعْتَدُوهَا[(٤)]، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ[(٥)]، فَلا تَبْحَثُوا عَنها» حديثٌ حسن، رَوَاهُ الدَّارَقُطْني وَغَيْرُهُ.

---

(١) «ثم بُعثوا على أعمالهم» إذا نزل العذاب بقوم، من زلزالٍ، وغَرَق، وحَرْق، وأمثال ذلك من الأعاصير والفيضانات، أصاب القوم جميعاً، مؤمنهم وكافرهم، وبرّهم وفاجرهم، ثم يُبعثون يوم القيامة على نياتهم وأعمالهم، فالمؤمن في الجنة، والكافر في الجحيم.

(٢) «سمعنا للجِذْعِ مِثْلَ صَوْتِ العِشَار» هذا جذعٌ من النخيل كان يخطب عليه ﷺ، فلما صُنع له المنبر، حنَّ له الجِذعُ، حنين الناقة إلى ولدها، وسمع الصحابة أنينَها وحنينها، وكان هذا من المعجزات الساطعات، فإذا كان الجذع قد حنَّ إلى رسول اللّه ﷺ فكيف لا تحنُّ له قلوبُ المؤمنين!!

(٣) «إن اللّه فرض فرائض فلا تُضيِّعوها» أي كلَّف عباده المؤمنين بتكاليف شرعية، كالصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، فلا تُضيِّعوا أوامر اللّه، بالتساهل في أدائها، أو تركها بالكليّة.

(٤) «وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها» أي شرع عقوبات لمن انتهك محارم اللّه، كحدِّ الزنى، وحد السرقة، وحدِّ القذف، فلا تجاوزوا هذه الحدود، وحدودُ اللّه هي: أحكامه، وأوامره، ونواهيه.

(٥) «وسكتَ عن أشياء رحمةً لكم» أي سكت عن أمور، فلم يُبيِّن حكمها أهي حلال أم حرام؟ رحمةً بالعباد، فلا تبحثوا عنها، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَلَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾**.

١٨٣١ ــ وَعنْ عَبْدِ اللَّهِ بن أبي أوْفى رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قالَ: «غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ نَأْكُلُ الجَرَادَ».

وفي روايةٍ: «نَأْكُلُ مَعَهُ الجَرَادَ» مُتَّفَقٌ عيه.

١٨٣٢ ــ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لا يُلْدَغُ المُؤمِنُ من جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»[١] مُتَّفقٌ عليهِ.

١٨٣٣ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالفَلَاةِ، يَمْنَعُهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ[٢]، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلاً سِلْعَةً، بَعْدَ العَصْرِ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ لأَخَذَهَا بِكَذَا وكَذَا، فَصَدَّقَهُ، وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذلِكَ[٣]، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَاماً لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا[٤]، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ» متَّفقٌ عليهِ.

١٨٣٤ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْماً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ قَالُوا: أَرْبَعُون شَهراً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، وَيَبْلَى كُلُّ شَيءٍ مِنَ الإنْسَانِ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ[٥]، فيهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ، ثُمَّ يُنَزِّلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ» متَّفقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) «لا يُلْدغُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين» هذا تمثيلٌ بديع، جرى مجرى الأمثال التي عرفها الناسُ، وتناقلوها بينهم، أي لا ينبغي للمؤمن أن يكون مغفَّلاً سَاذَجاً، يُخْدعُ مرةً بعد أخرى، بل يجب أن يكون حَذِراً فَطِناً، إذا وقع في ورطةٍ، أو خدعه أحد، لا يعود للوقوع فيها مرة أخرى، والمغفَّل من لُدغ مراراً.

(٢) «يمنعه من ابن السبيل» أي معه ماء فاضل عن حاجته، يمنعه للمسافر المحتاج إلى الماء، في أرضٍ خاوية ليس فيها ماء.

(٣) «فحلفَ باللَّه لأخذها بكذا وهو على غير ذلك» أي حلف باللَّه يميناً فاجرة أنه اشتراها بكذا وكذا، ليخدع المشتري، وهو كاذب في قوله.

(٤) «بايع إماماً لا يبايعه إلّا لدنيا» أي أعطى الإمام البيعة على السمع والطاعة، من أجل المغنم الدنيوي، فإن نال مبتغاه استمرَّ على طاعته، وإلّا انتقض عليه وشقَّ عصا الطاعة، وإنما كان عقابه شديداً، لما فيه من تسبُّب في إثارة الفتنة.

(٥) «إلّا عَجْبَ الذَّنَبِ» أي كلُّ شيء يبلى في الإنسان بعد موته، إلّا العظم الدقيق في أسفل =

١٨٣٥ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ في مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ[١]؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ، فَكَرِهَ ما قالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَه، قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعةِ؟ قال: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ! قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُها؟ قَالَ: إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[٢] رَوَاهُ البُخاري.

١٨٣٦ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُصَلُّونَ لَكُمْ[٣]، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ [ولهم]، وَإِنْ أَخْطَؤُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ» رَوَاهُ البُخاريُّ.

١٨٣٧ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠] قَالَ: خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاس يَأتونَ بِهِمْ في السَّلاسِلِ[٤] في أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا في الإِسْلَامِ.

= الصُّلب، هو الذي يبقى منه، ليعاد تركيبُ الخلق عليه، ثم يُنْزِلُ اللَّهُ مطراً من السماء، فينبتُ الخلقُ كما يخرج النباتُ من الأرض، وكأن هذا المطر المدرار، يُلقّح عَجْب الذَّنَب، فينبتُ منه البشر، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ، ثُمَّ رَزَقَكُمْ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ..﴾ [الروم ٤٠] وبين النفختين أربعون سنة، كما في صحيح مسلم.

(١) «متى الساعة»؟ أي متى تكون نهاية الدنيا، ومجيءُ القيامة، وموتُ جميع البشر؟

(٢) «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظرِ السَّاعةَ» أي أُسندت أمورُ الناس إلى غير من هو أهلٌ لها، فانتظر خراب الدنيا، ومجيء الساعة، مثل أن يُسند إلى الجاهل أمور الفُتيا، وأن تكون الإدراتُ والوزارات بأيدي السُّفلة والجهلة، ومثلُ أن يُؤتمن الخائنُ ويُخوّن الأمين، قال الشعر:

لا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لا سَرَاةَ لهم ولا سَـرَاةَ إذا جُـهَّـالُـهـم سَـادُوا

«لا سَرَاةَ» أي لا قادة ولا أمراء صلحاء يسوسونهم، ويديرون شؤونهم.

(٣) «يُصَلُّون لكم فإن أصابوا فلكم» الضمير يعود على الأئمة الذين يحكمون المسلمين، فإن أصابوا في صلاتهم وجه الحقّ، كان لكم ولهم الأجر، وإن أخطأوا لعدم معرفتهم أمور الدين، كان لكم الأجرُ، وعليهم الوزرُ، وكأنه ﷺ يوصي بعدم الخروج عن الطاعة، ما دام الحكام مسلمين، وهم ملتزمون بتطبيق شريعة الله، وإلّا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

(٤) «خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل» هذا تفسير من أبي هريرة للآية الكريمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وهو حديث موقوف عليه، والمعنى: أنتم خيرُ الأمم، وأنفعُ الناس للناس، تجاهدون لإعلاء كلمة الله، فيقع في أيديكم أسرى، تضعون في أيديهم السلاسل، ثم يُسلمون بعد ذلك، فيكون أسركم لهم سبباً لسعادتهم ودخولهم في دين الإسلام، ويؤيد هذا المعنى حديث البخاري «عجب ربك من قوم يدخلون الجنة في =

١٨٣٨ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَوْمٍ، يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ في السَّلاسِلِ» رَوَاهُما البُخاري.

معناهُ: يُؤْسَرُونَ وَيُقَيَّدُونَ، ثُمَّ يُسْلِمُونَ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ.

١٨٣٩ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَحَبُّ البِلَادِ إلى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا[١]، وَأَبْغَضُ البِلَادِ إلى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا»[٢] رَوَاهُ مُسلم.

١٨٤٠ ـ وَعَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ قَولِهِ قَالَ: «لَا تَكُونَنَّ[٣] إنِ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصُبُ رَايَتَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ هكذا.

وَرَوَاهُ البَرْقَانِيُّ في صحيحه عَنْ سَلْمَانَ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَكُنْ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السّوق، وَلا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فِيهَا بَاضَ الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ»[٤].

١٨٤١ ـ وَعَنْ «عَاصِمِ الأَحْوَلِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ، قَالَ: ولَكَ، قَالَ عَاصِمٌ: فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفَرَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ وَلَكَ، ثُمَّ تَلَا هذِهِ الآيَةَ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمّد: ١٩] رَوَاهُ مُسلم.

= السلاسل» أي بسبب السلاسل، يُؤسرون ويُربطون بالسلاسل، ثم يُسْلمون فيدخلون الجنة، فالأسرُ الذي هو نقمة، يصبح سبباً للنعمة، ألَا وهو «دخولُ الجنة».

(١) «أحبُّ البلادِ إلى اللهِ مَساجِدُهَا» البلادُ يُراد بها الأراضي والأماكن، سواءً كانت عامرةً أو خالية، أي أحبُّ الأماكن والبقاع إلى اللهِ مساجدُها، لأنها أماكنُ عبادة، وذكر، وطاعة، وتلاوةٍ للذكر الحكيم ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ﴾ وهي منارات للعلم والهدى.

(٢) «وأبغضُ البلادِ إلى اللهِ أسواقُها» أي أخسُّ البقاع والأماكن عند الله الأسواق، لأن فيها يحدث الخِدَاعُ، والكذبُ، والغشُّ، وإخلافُ الوعدِ، وقلّةُ ذكر الله، وبها يرفعُ الشيطانُ رايتَه، وفي الحديث الشريف «يا معشرَ التُّجّار، إن التُّجّارَ يُحشرون يوم القيامة فُجّاراً، إلّا من اتقى اللهَ وَبرَّ وصَدَق».

(٣) «لا تكوننَّ» حديث موقوف على سلمان، ولهذا قال «من قوله».

(٤) «فيها باضَ الشيطانُ وفَرّخ» هذه كناية لطيفة عن تلاعب الشيطان بالناس، فإنَّ الأسواق محلُّ المعاصي، والنظر إلى المحرَّمات، وفيها الغشُّ، والخداعُ، والأيمانُ الكاذبة، والأقوالُ والأفعالُ المنكرة، وهذه الأمورُ محبوبةٌ عند الشيطان، ولذلك كانت أبغض الأماكن عند الله، وما أكثر ما يجري من المنكرات فيها!!

١٨٤٢ ـ وَعَنْ أَبي مَسْعُودٍ الأَنْصارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى[١] إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[٢] رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

١٨٤٣ ـ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ في الدِّمَاءِ»[٣] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٨٤٤ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُلِقَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ[٤]، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٤٥ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ خُلُقُ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ القُرْآنَ» رَوَاهُ مُسْلِم في جُمْلَةِ حَدِيثٍ طَوِيلٍ.

١٨٤٦ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ

---

(١) «أدرك الناس من كلام النبوة الأولى» أي وصل إليهم من كلام الأنبياء السابقين، ممَّا هو من بدائع الأقوال والأمثال النبوية.

(٢) «إذا لم تستح فاصنع ما شئتَ» أي إذا نُزع منك الحياءُ، فافعل ما شئتَ من القبائح!! وهذا ليس لإباحة ما يفعل، وإنما هو مساقٌ للوعيد والتهديد، كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وقد جرى هذا القولُ البديعُ مجرى الأمثال، فيقال: إذا لم تستح فاصنع ما تشاء، قال الشاعر:

فَلَا واللَّهِ ما في العَيْشِ خَيْرٌ ... ولا الدُّنْيَا إذا ذَهَبَ الحَيَاءُ
يَعِيشُ المرءُ ما اسْتَحْيَا بِخَيرٍ ... ويَبْقَى العُودُ مَا بَقِيَ اللِّحَاءُ

وقال آخر:

لا تَلُومَنَّ في السَّفَاهَةِ أَعْمَى ... فَمكَانُ الحَيَاءِ مِنْهُ خَرَابُ

(٣) «أول ما يُقضَى يومَ القيامة في الدماء» أي أوَّل ما يُفصل به، بين المتخاصمين يوم القيامة، أمرُ الدماء، يعني «القتل» ذلك لأنه أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك، وقد جاء في الحديث الصحيح «لَزَوالُ الدنيا أهْوَنُ عندَ الله من قتلِ مسلم بغير حقّ» وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾ والذنبُ يعظُم بحسب عظيم المفسدة، وقتلُ الإنسان هدمٌ للبنية التي خلقها الله.

(٤) «وخُلِقَ الجانُّ من مَارِجٍ من نار» أي خُلقت الجنُّ من لهبٍ خالصٍ من النار، اختلط بعضُه ببعض، أحمرَ وأصفرَ وأخضر، والنصُّ صريح في أن إبليس لم يكن من الملائكة، لأن الملائكة خُلقت من نور، كما جاء في أول الحديث، وإبليسُ يقول بصريح العبارة ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ والنار غير النور، فكيف يكون من الملائكة؟

لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ المَوْتَ[١]! قَالَ: لَيْسَ كَذلِكَ[٢]، وَلكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَرِضْوانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذابِ اللَّهِ وسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٤٧ ـ وَعَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ «صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَكِفاً، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ لأَنْقَلِبَ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَلَمَا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ ﷺ: عَلَى رِسْلِكُمَا[٣] إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ[٤]! فَقَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ[٥]، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ في قُلُوبِكُمَا شَراً، أَوْ قَالَ: شَيْئاً» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٤٨ ـ وَعَنْ أَبِي الفَضْلِ «العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَلَزِمْتُ أَنَا وأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ، فَلَمَّا الْتَقَى المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ، وَلَّى المُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ[٦]، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الكُفَّارِ، وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكُفُّهَا إرادة أَنْ

---

(١) «كُلّنا نكره الموتَ» تريد عائشة أنَّ جميع الخلق يكرهون الموت بحسب الطبع، فكيف تقول: من أحبَّ لقاء اللّه، أحبَّ اللّه لقاءه؟

(٢) «ليس كذلك» أي ليس الأمرُ كما ظننت!! ولكنَّ المؤمن إذا دنت وفاتُه، بشرّته الملائكةُ برحمة اللّه ورضوانه، فأحبَّ لقاء اللّه، فأحبَّ اللّه لقاءه، وليس أمر الكافر كذلك، قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾.

(٣) «على رِسْلِكُما إنها صَفِيَّةُ» أي على مَهْلٍ منكما في المشي، إنها «صفيّة» زوجتي أتحدث معها!!

(٤) «فقالا سبحان اللّه» أي يا سبحان اللّه، وهل نظنُّ بك سوءً يا رسول اللّه؟.

(٥) «فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» أي يجري في الإنسان مجرى العروق في الدم بوسوسته، وقد خشيتُ أن يلقي في قلوبكما شراً.

(٦) «ولّى المسلمون مدبرين» أي انهزموا أمام المشركين، وذلك حين اغترَّ المسلمون بكثرتهم فقالوا: لن نُغْلَبَ اليوم من قلة، وذلك في حنين، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً..﴾.

لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيْ عَبَّاسُ: نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ[١]، قَالَ العَبَّاسُ وَكَانَ رَجُلاً صَيِّتاً: فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ، فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ، حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي، عَطْفَةُ البَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا[٢]، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ، فَاقْتَتَلُوا هُمْ وَالكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنْصَارِ، يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ، كَالمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ فَقَالَ: هٰذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ[٣]، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصَيَاتٍ، فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا القِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ[٤]، فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِراً»[٥] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«الوَطِيسُ»: التَّنُّورُ، وَمَعْنَاهُ: اشْتَدَّتِ الحَرْبُ، وَقَوْلُهُ: «حَدَّهُمْ» أي: بَأْسَهُمْ.

١٨٤٩ ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ[٦] لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً[٧]، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ المُؤْمِنِينَ، بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ

---

(١) «نادِ أصحابَ السَّمُرة» أي نادِ لي أصحابَ بيعة الرضوان.

(٢) «لكأنَّ عَطفَتهم عَطفَةَ البقر على أولادها» شبّههم في سرعة رجعتهم واجتماعهم حول رسول اللّه ﷺ بالبقرة تحنو على أولادها.

(٣) «حميَ الوطيسُ» أي اشتدت الحربُ، واستعَرَ القتالُ، وهذه العبارةُ من فصيح الكلام وبديعه، لم تُسمع من أحدٍ قبله ﷺ وأصلُ الوطيسُ: التنُّورُ، كما قال علماء اللغة، فكنّى عن الحرب بالوطيس.

(٤) «رماهم بحصياته» في هذا معجزة لرسول اللّه ﷺ إذ ليس في القوة البشرية، إيصال قبضة من تراب وحصى إلى وجوه جميع الكفار ولكنها قدرة اللّه ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾.

(٥) «حَدَّهُم كَليلاً وأمرَهم مدبراً» يعني قوَّتُهم ضعيفة، حتى انهزموا وولَّوا الأدبار.

(٦) «إن اللّه طيب» أي مقدَّس منزَّه عن النقائص والعيوب.

(٧) «لا يقبل إلا طيباً» أي لا ينبغي التقرب إليه إلا بالحلال.

الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ[١]، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ[٢]، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ[٣]، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذٰلِكَ!؟» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٥٠ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ[٤]، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«الْعَائِلُ»: الْفَقِيرُ.

١٨٥١ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيْحَانُ، وَجَيْحَانُ وَالْفُرَاتُ، وَالنِّيلُ، كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ»[٥] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٥٢ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الأَحَد، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ ﷺ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فِي آخِرِ الْخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلى اللَّيْلِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٥٣ ـ وَعَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ «خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ، تِسْعَةُ أَسْيَافٍ[٦]، فَمَا بَقِيَ فِي

---

(١) «أشعث أغبر» أي متفرِّقُ شعر الرأس، مغبرُّ الوجه والثياب.

(٢) «يمدُّ يديه إلى السماء» أي يدعو ربَّه متضرِّعاً خاشعاً ذليلاً.

(٣) «وغُذِيَ بالحرام» أي المطعمُ، والمشربُ، والملبسُ، كلُّ ذلك من المال الحرام، فمن أين يُستجاب لدعائه!؟

(٤) «شيخ زان» إنما خُصَّ هؤلاء الثلاثة بسخط الله، لأن المعصية وقعت لا لحاجة، فالرجل المسنُّ ضعفت شهوتُه عن الحلال فكيف بالحرام؟ والملكُ له عزةٌ وسطوة، ولا يخاف من أحد، فلماذا يكذب؟ والفقير المحتاج علامَ يتكبَّر؟ وهو بحاجة إلى من يُعينه ويُسعفه؟

(٥) «سيحان والفراتُ والنيل من أنهار الجنة» ليس معناه أنها تنبع من الجنة، وإنما المعنى أن هذه الأنهار من محض الفضل الإلهي على عباده، فكأنها نبعت عليهم من الجنة، لأن أنهار الجنة تجري في غير أخاديد، وتنبع من أماكن لا يعلمها إلا الله.

(٦) «انقطعت في يدي تسعةُ أسياف» يقول خالد بن الوليد: لقد تكسرت معي تسعة سيوف في غزوة مؤتة، وهذا يدل على شجاعة خالد،، وقوة الضرب والقتال، ولهذا سماه الرسول ﷺ (سيف الله المسلول).

يَدِي إلا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ»[١] رَوَاهُ البُخَارِي.

١٨٥٤ ـ وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ، فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ[٢]، وإِنْ حَكَمَ وَاجْتَهَدَ، فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٨٥٥ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ»[٣] مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٥٦ ـ وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ، صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَالمُخْتَارُ جَوَازُ الصَّوْمِ عَمَّنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ لِهٰذَا الْحَدِيثِ، وَالمُرَادُ بِالْوَلِيِّ: الْقَرِيبُ، وَارِثاً كَانَ أَوْ غَيْرَ وَارِثٍ.

١٨٥٧ ـ وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الطُّفَيْلِ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حُدِّثَتْ أَنَّ «عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا: «وَاللَّهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ، أَوْ لأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا، قَالَتْ: أَهُوَ قَالَ هٰذَا؟ قَالُوا: نعَمْ، قَالَتْ: هُوَ لِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ، أَنْ لا أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبداً[٤]، فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا حِينَ طَالَتِ الْهِجْرَةُ، فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ لَا أُشَفِّعُ فِيهِ أَبَداً، وَلَا أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي، فَلَمَّا طَالَ ذٰلِكَ عَلَى «ابْنِ الزُّبَيْرِ» كَلَّمَ «المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ» وَ«عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ الأَسْوَدِ» بْنِ عَبْد يَغُوثَ، وَقَالَ لَهُمَا:

---

(١) «صفيحة يمانية» أي بقي سيف يماني على تلك الصفة أقاتل به.

(٢) «إذا اجتهد فأصاب فله أجران» أي إذا كان الحاكم من أهل الاجتهاد، ثم اجتهد فأصاب كان له أجران، لأنه بذل جهده لمعرفة الحق، أما إذا لم يكن من أهل الاجتهاد فإنه يأثم، والحديث يدل على أن الاجتهاد في الأحكام التي لم يرد فيها نصٌّ مطلوب، وأن المجتهد يُؤجر ولو أخطأ في اجتهاده.

(٣) «الحمَّى من فيح جهنم» هذا على التمثيل، أي كأنها نفحة من نفحات جهنم، في قوة لهبها، فرشُّوا عليها الماء البارد.

(٤) «للّه عليَّ نذر أن لا أكلِّم ابن الزبير» نذرت عائشة رضي اللّه عنها أن لا تكلّم ابن أختها «عبد اللّه بن الزبير» وهذا النذر لا يجب الوفاء به، لأنه ليس نذر طاعة، ويمكنها الاستمرارُ به، أو الحنثُ والإتيان بكفارة يمين، أما سببُ هذا النذر، فهو ما بلغها عنه من قوله: «لأحجرنَّ عليها» لأنها كانت تعطي بسماحةٍ وكرمٍ زائدٍ، ورأى ابنُ الزبير أن هذا من التبذير.

أَنْشُدُكُمَا اللَّهَ لَمَا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَإِنَّهَا لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي، فَأَقْبَلَ بِهِ المِسْوَرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ، حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالَا: السَّلَامُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَنَدْخُلُ؟ قَالَتْ عَائِشَةُ: ادْخُلُوا. قَالُوا: كُلُّنَا؟ قَالَتْ: نَعَم ادْخُلُوا كُلُّكُمْ، وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَلَمَّا دَخَلُوا، دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحِجَابَ، فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي، وَطَفِقَ المِسْوَرُ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ يُنَاشِدَانِهَا، إِلَّا كَلَّمَتْهُ وَقَبِلَتْ مِنْهُ، وَيَقُولَانِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَن يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنَ التَّذْكِرَةِ، وَالتَّحْرِيجِ، طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا وَتَبْكِي، وَتَقُولُ: إِنِّي نَذَرْتُ وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ، فَلَمْ يَزَالَا بِهَا حَتَّى كَلَّمَتِ ابْنَ الزُّبَيْرِ، وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذٰلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً[(١)]، وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذٰلِكَ فَتَبْكِي، حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا» رَوَاهُ الْبُخَارِي.

١٨٥٨ ـ وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى قَتْلَى أُحُدٍ، فَصَلَّى عَلَيْهِمْ بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ[(٢)]، كَالمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ[(٣)]، ثُمَّ طَلَعَ إلى المِنْبَرِ، فَقَالَ: إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ[(٤)]، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ[(٥)]، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ[(٦)]، وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هٰذَا، أَلَا وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى

---

(١) «وأعتقت في نَذْرها أربعينَ رَقَبَةً» وهذا من مزيد ورعها، وإلا فتكفي رقبة واحدة.

(٢) «خرج إلى قتلى أحد فصلّى عليهم» أي دعا لهم بالرحمة، ولا يُراد به الصلاة على الميت، لأن الشهداء لا يُصلّى عليهم، لأن ذنوبهم مغفورة.

(٣) «كالمودِّع للأحياء والأموات» هذا كان عند شعوره ﷺ بدنوِّ الأجل، فقال في حجة الوداع وهو يخاطب أصحابه: «اسمعوا مني فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا» ودعا لشهداء أحد، فكأنه ودَّع الأحياء والأموات.

(٤) «إني بين أيديكم فرَطٌ» أي سابق لكم إلى الآخرة، لأهيِّء لكم المنزل عند الحوض، والفَرَط: الشخصُ الذي يتقدم القوم لتهيئة مصالحهم، ويشبه الواردَ الذي يتقدم إخوانه ليدلهم على الماء.

(٥) «وأنا شهيد عليكم» أي أشهد عليكم يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾.

(٦) «وإنَّ موعدكم الحوضُ» أي مكان لقائي بكم هو الحوضُ الذي وعدني الله به، وهو غير نهر الكوثر الذي أعطيه ﷺ.

عَلَيْكُمْ أَنْ تُشرِكُوا، وَلٰكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا[١] أَنْ تَنَافَسُوهَا قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ، نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رِوَايَةٍ: «وَلٰكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» قَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ.

وَفي رِوَايَةٍ قَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ - أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ - وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، ولكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

وَالمُرَادُ بِالصَّلاةِ عَلى قَتْلَى أُحُدٍ: الدُّعَاءُ لَهُمْ، لَا الصَّلاةُ المعْرُوفةُ.

١٨٥٩ - وَعَنْ أَبِي زَيْدٍ «عَمْرِو بْنِ أَخْطَبَ» الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ[٢]، وَصَعِدَ المِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ حَتَّى حَضَرَتِ العَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ المِنبر حتى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا»[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٦٠ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ

---

(١) «لا أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا» أي لا أخاف عليكم من الإشراك بالله، لأن الإيمان إذا خالطت بشاشتُه القلوبَ، لا يخرج من قلب المؤمن، وإنما أخشى عليكم من الدنيا أن تتسابقوا نحوها، وتقتتلوا من أجلها، فتهلكوا بسبب ذلك، وهذا الحديث ردٌّ على من يقذف المسلمين بالشرك والكفر، لأبسط الأمور، ويرميهم بالشرك من غير حجة ولا برهان، وفيه النهيُ عن التكالب على الدنيا، فإنه سبب للهلاك الديني والدنيويّ.

(٢) «صلّى بنا الرسول ﷺ الفجر» صلّى الرسول ﷺ بأصحابه الفجر، ثم قام خطيباً فيهم حتى دخل وقتُ الظهر، فنزل عن المنبر وصلّى بهم الظهر، ورجع إلى المنبر فخطب بهم حتى العصر، وهكذا استمر يخطب في أصحابه طيلة النهار، حتى غربت الشمس، وذلك قبل وفاته ﷺ.

(٣) «فأخبرنا بما كان وما هو كائن» أي أخبرهم ﷺ بما حدث للأمم السابقة، وبما سيكون إلى قيام الساعة، من الأخبار، والفتن، والأحداث التي تقع في المستقبل، وهذا من معجزاته ﷺ حيث أخبرهم عن أشياء غيبيّة، ولهذا قال الراوي: «فأعلمُنا أحفظُنا» أي أعلمُ الناس بهذه الأحداث والوقائع، أكثرُنا حفظاً لها، وكلُّ ما أخبر عنه الرسول ﷺ من المغيّبات، إنما هو بإيحاء الله له بها، وليس من تلقاء نفسه قال تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ**﴾.

يُطيعَ اللَّه فَلْيُطعْهُ، ومَن نَذَرَ أنْ يَعْصِيَ اللَّهَ، فَلَا يَعْصِهِ»[١] رَوَاهُ البُخاري.

١٨٦١ ـ وَعَنْ أمِّ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أمَرَهَا بِقَتْلِ الأوْزَاغِ، وَقَالَ: كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إبْرَاهيمَ»[٢] متَّفقٌ عَلَيْهِ.

١٨٦٢ ـ وَعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً في أوَّلِ ضَرْبَةٍ، فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا في الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ، فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً دُونَ الأولَى، وَإنْ قَتَلَهَا في الضَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ، فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً».

وفي رِوَايَةٍ: «مَنْ قَتَلَ وَزَغاً في أوَّلِ ضَرْبَةٍ، كُتِبَ لَهُ مائةُ حَسَنَةٍ، وَفي الثَّانِيَةِ دُونَ ذلِكَ، وَفي الثَّالِثَةِ دُونَ ذلِكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَالَ أهْلُ اللُّغَةِ: الْوَزَغُ: الْعِظَامُ مِنْ سَامِّ أبْرَصَ.

١٨٦٣ ـ وَعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لأتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَته، فَوَضَعَهَا في يَدِ سَارِقٍ[٣]، فأصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ، تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ على سارق؟ لأتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَها في يَدِ زَانِيَةٍ، فَأصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ، تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانيَةٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ!؟ لأتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ

(١) «ومن نذر أن يعصيَ اللَّه فلا يعصه» النذر يجب الوفاء به إذا كان فيه طاعة للَّه، أمّا في المعصية فلا ينعقد النذر، ولا يجب الوفاء به، كمن ينذر إذا ردَّ اللَّه ولده الغائب سالماً، أن يقيم له حفلة راقصة، يجتمع فيها الفنّانون والفنّانات، والرقّاصون والرقّاصات، وهكذا حكم كل نذر فيه للَّه معصية.

(٢) «أمر بقتل الأوزاغ» جمع وزغة وتُسمّى «سامّ أبْرَصَ» وذلك لما تنفسه من ضرر في الطعام، وبوجه خاص على الملح، ثم لمعنى آخر، وهو إظهار العداوة لسيدنا إبراهيم «خليل الرحمن»، فحين أُلقي في النار، جعلت تنفخ في النار ليزيد لهبها، وهذا وإن لم يكن له تأثير، يدلُّ على خبثٍ وعداوة لأبي الأنبياء ﷺ.

(٣) «وَضَعَ الصَّدَقَةَ في يد سارق» هذا الحديث فيه إشارة إلى أن اللَّه تعالى يجازي الإنسان على نيّته، لا على عمله فحسب، فهذا الرجل عزم على الصدقة على الفقراء والمساكين، فخرج بالليل فتصدَّق، فوقعت في يد سارق، وفي اليوم الثاني في يد زانية، وفي اليوم الثالث في يد غني، فقَبِلَ اللَّه صدقته، وإن لم تقع في محلّها، فرأى في منامه، كأن رجلاً يبشّره ويقول له: إن اللَّه قد قبل صدقتك، أمّا السارق فلعله أن يكفّ عن السرقة بهذه الصدقة، وأما الزانية فلعلّها تعفُّ عن الزنى بصدقتك، وأمّا الغنيُّ فلعلّه يستحي ويترك البخل، وينفق في سبيل اللَّه، وتكون هذه الصدقة درساً يعتبر بها البشر.

بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا في يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ، وَعَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ! فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَعْتَبِرَ، فَيُنْفِقَ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بلفظِهِ، وَمُسْلِمٌ بِمَعْنَاهُ.

١٨٦٤ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في دَعْوَةٍ[١]، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً[٢] وَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٣]، هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ[٤]، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ[٥]، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الغَمِّ وَالْكَرْبِ[٦]، مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلا تَرَوْنَ إلى مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ إلى مَا بَلَغَكُمْ؟ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ، فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ، أَلا تَشْفَعُ لَنَا إلى رَبِّكَ؟ أَلا تَرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ، وَمَا بَلَغَنَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ غَضَباً، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ

---

(١) «كنا مع رسول الله في دعوة» أي في دعوة بعض أصحابه إلى الطعام.
(٢) «فنَهَسَ منها نَهْسَةً» أخذ من الذراع بأطراف أسنانه.
(٣) «أنا سيد الناس» أي سيد الخلق على الإطلاق يوم القيامة، يقوله تحدثاً بنعمة الله عليه.
(٤) «يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد» أي في أرضٍ واحدة مستوية هي أرض المحشر.
(٥) «فيبصرهم الناظر» أي يرى كلُّ إنسان جميع أهل المحشر، ويسمع كلامهم.
(٦) «فيبلغ الناسَ من الغمّ والكرب» أي تأخذهم أهوال يوم القيامة وشدائدها، فيبحثون عمن يشفع لهم، فيأتون آدم، ثم نوحاً، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، وكلُّهم يعتذر عن الشفاعة، حتى يأتون سيد الرسل محمداً خاتمَ النبيّين ﷺ يطلبون منه أن يشفع لهم ليتخلّصوا من هول الموقف، فيقول: أَنا لَهَا، أَنا لها!! فيذهب ويسجد تحت العرش، ويلهمه الله دعاءً لا يعرفه الآن، ثم يأتيه النداء، من خالق الأرض والسماء: يا محمد ارفع رأسك، واسأل تعط ما تطلبه، واشفع تُشفَّع، وهذا هو مقام الشفاعة العظمى لخاتم الأنبياء والمرسلين، وهو المقام المحمود الذي أشارت إليه الآية الكريمة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ سمي المقام المحمود لأنه يحمده عليه جميع أهل المحشر، المؤمنون والكفار، والملائكة الأبرار.

الشَّجَرَةِ، فَعَصَيْتُ، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غَيْرِي، اذْهَبُوا إلى نُوحٍ!! فَيَأْتُونَ نُوحاً فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْداً شَكُوراً، ألا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ ألا تَرى إلى ما بَلَغَنَا؟ ألا تَشْفَعُ لَنَا إلى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ، دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غَيْرِي، اذْهَبُوا إلى إِبْرَاهِيمَ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، ألا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لهم: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاثَ كَذَبَاتٍ[1]، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى. فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْت رَسُولُ اللَّهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ[2]، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، ألا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أومَرْ بِقَتْلِهَا[3]، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى. فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْت رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ في المَهْدِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، ألا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مثله، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ـ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً ـ، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إلى غَيْرِي، اذْهَبُوا إلى مُحَمَّدٍ ﷺ».

---

(١) قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وقوله في سارة «أختي»، والحق أنها ليست معاصي: أي سأسقم، «وفعَله كبيرهم» إن كانت الأصنام تنطق، «وأختي»: أي في الإسلام، لكنها لمّا كانت بصورة الكذب، سماها كذباً وعدَّها ذنباً، أشفق منه على نفسه وذلك لأن من كان أعرف بالله تعالى، وأقرب منه منزلة كان أعظم خطراً وأشد خشية، وعلى هذا سائر ما أضيف إلى الأنبياء من الخطأ، فإن ظاهره غير مراد، وله وجه من التأويل صحيح، فلا يدخل أبداً في باب الكذب.

(٢) أي عدا نبينا ﷺ فقد كلمه الله ليلة المعراج مباشرةً، وفرض عليه الصلوات الخمس.

(٣) هو القبطي خباز فرعون، ولما قتل موسى ذلك القبطي الكافر، قال هذا من عمل الشيطان، ثم إن موسى عليه السلام من كمال معرفته بعظمة ربه عزّ وجلّ، فإنه أشفق من قتْله ذلك، مع أن الله أخبره أنه غفر له.

وفي روايةٍ: «فَيَأتُوني فَيقولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أنتَ رَسُولُ اللّهِ، وَخاتَمُ الأنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفرَ اللّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إلَى رَبِّكَ، ألا ترى إلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأنْطَلِقُ، فَآتي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عليْهِ، شَيْئاً لَم يَفْتَحْهُ عَلَى أحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارفَع رَأسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأرفَعُ رَأسِي، فَأَقُولُ أمَّتِي يَا رَبِّ، أمَّتِي يَا رَبِّ، أمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ، مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، مِنَ الْبَابِ الأيْمَنِ مِنْ أبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُركَاءُ النَّاسِ، فِيمَا سِوَى ذلِكَ مِنَ الأبْوابِ، ثُمَّ قالَ: وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، إنَّ ما بَيْنَ الْمِصراعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٦٥ ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «جَاءَ إبْرَاهِيمُ ﷺ بِأمِّ إسْمَاعِيلَ[١]، وَبِابْنِهَا إسْمَاعِيلَ، وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهَا عِنْدَ الْبَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ في أعْلَى الْمَسْجِدِ[٢] وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أحَدٌ[٣] وَلَيْسَ بِها مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَاكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَاباً فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقاً[٤]، فَتَبِعَتْهُ أمُّ إسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إبْرَاهِيمُ أيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بهذَا الْوَادِي؟ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ أنِيسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذلِكَ مِرَاراً، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إلَيْهَا[٥]، قَالَتْ لَهُ: آللّهُ أمَرَكَ بهذَا[٦]؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: إذاً لَا يُضيِّعُنا[٧]!! ثُمَّ رَجَعَتْ،

---

(١) اسمها «هاجر» القبطية وهبها «لسارة» ملك مصر الذي أراد سارة بالسُّوء فمنعه اللّه منها.

(٢) «وضعها عند دوحة» أي ترك سيدنا إبراهيم «هاجر» مع ولدها «إسماعيل» تحت شجرة، قريباً من مكان زمزم.

(٣) «وليس بمكة أحد» أي لم يكن بمكة ساكن، وليس فيها بنيان.

(٤) «ثم قفّى إبراهيم منطلقاً» أي أراد الرجوع إلى أرض فلسطين، ومضى في طريقه بعد أن ترك «هاجر» و «إسماعيل» في ذلك المكان القفر.

(٥) «جعل لا يلتفت إليها» مخافة أن تصدّه عن تنفيذ أمر اللّه تعالى.

(٦) «آللّه أمرك بهذا» أي هل تركُكَ لنا في هذا الوادي بأمرٍ من اللّه؟

(٧) «قال نعم، قالت إذاً لا يضيّعنا» أي لا يُضيّعنا اللّه!! اللّهُ أكرمُ، إنه الإيمانُ الذي يصنع العجائب، فكيف يترك إبراهيم أهله وولده، في صحراء ليس فيها ماء، وفي مكان ليس به أنيس ولا ساكن؟ ثم كيف تقابله «هاجر» بالرضئ والاطمئنان، حين أيقنت أن هذا الفعل كان بأمرٍ من اللّه تعالى؟ ولكنّه الإيمانُ ليس غير، الإيمانُ الذي هو أثبتُ وأرسخ من الجبال، لهذه الأسرة الكريمة،

فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ حَتَّى إذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهؤلاءِ الدَّعَوَاتِ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧] وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ، وَتَشْرَبُ مِنْ ذلِكَ الْمَاءِ، حَتَّى إذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ[(١)]، عَطِشَتْ، وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى[(٢)]، أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَداً؟ فَلَمْ تَرَ أَحَداً، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إذا بَلَغَتِ الْوَادِيَ، رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الْوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ، فَقَامَتْ عَلَيْهَا، فَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَداً؟ فَلَم تَرَ أَحَداً، فَفَعَلَتْ ذلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَذلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا» فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتاً، فَقَالَتْ: صَهْ ـ تُرِيدُ نَفْسَهَا ـ ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيْضاً فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ، فإذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ[(٣)] وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا وَجَعَلَتْ تَغْرُفُ الْمَاءَ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرُفُ»[(٤)]

من منّا يملك مثل هذه العقيدة؟ ومثل هذا الصبر والتسليم لأمر اللّه جلّ وعلا!؟ وهنا يظهر لنا قدر هذه الكلمة: اذهب فلن يُضَيِّعَنا اللّه.

(١) «نَفِدَ ما في السّقاء» أي انتهى الماء الذي كان في القربة، وعطشت وعطش ولدها، ذهبت تبحث له عن ماء.

(٢) «جعلَتْ تنظر إليه يتلوّى» أي يكاد ولدها إسماعيل يموت من العطش، فصعدت جبل الصفا، لعلها تجد من ينقذها وولدها من الهلاك من شدة العطش، فلم تر أحداً، فهبطت في الوادي وهي «تهروِل» تسرع السير، حتى صعدت على جبل المروة ونظرت فلم تر أحداً، فصارت تهرول بينهما سبع مرات، قال ﷺ: «فذلك سَعْي الناسُ بينهما» وفي المرة السابعة سمعت صوتاً، فقالت: أغثنا إن كان عندك غواث ـ أي ما ينقذنا من الموت ـ فرأت جبريل بصورة رجل ضرب برجله الأرض، فنبع منها ماء زمزم، وقال لها: إن للّهِ هٰاهنا بيتاً يبنيه هذا الغلام وأبوه!! ثم غاب المَلَك عنها، هذه خلاصة قصة أبي الأنبياء إبراهيم وولده إسماعيل وزوجه هاجر، وإنها لدرسٌ بليغ في الإيمان، والاستسلام لأمر اللّه جلّ وعلا.

(٣) أي تجعله مثل الحوض، وقولها «صَهْ» يعني: اسكتي تخاطب بذلك نفسها.

(٤) أي ينبع نبعاً شديداً، وهي تغرف منه وتجمع خشية أن يذهب الماء في الأرض.

وفي روايةٍ: «بِقَدرِ مَا تَغرِفُ». **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ**: «رَحِمَ اللَّهُ أمَّ إسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أوْ قَالَ - لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيناً مَعِيناً»[١] قَالَ: فَشَرِبَتْ، وَأرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ[٢] فَإنَّ هٰهُنا بَيْتاً لِلَّهِ يَبْنِيهِ هذَا الغُلَامُ وَأبُوهُ، وَإنَّ اللَّهَ لا يُضَيِّعُ أهْلَهُ، وَكَانَ البَيْتُ مُرْتَفِعاً مِنَ الأرْضِ كَالرَّابِيَةِ[٣] تَأتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِه، فَكَانَتْ كَذلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُم، أوْ أهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُم، مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءَ، فَنَزَلُوا في أسْفَلِ مَكَّةَ، فَرَأوْا طَائِراً عَائِفاً[٤] فقَالُوا: إنَّ هذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلى مَاءٍ لَعَهْدُنَا بهذا الوادي وَمَا فِيهِ ماءٌ، فَأرْسَلُوا جَرِيّاً أوْ جَرِيَّيْنِ[٥]، فَإذا هُمْ بالماءِ، فَرَجَعُوا، فَأخْبَرُوهُمْ، فَأقْبَلُوا وَأمُّ إسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ، فَقَالُوا: أتَأذَنِينَ لَنَا أنْ نَنزلَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، ولكِنْ لا حَقَّ لَكُم في المَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ. **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ**: «فَألفَى ذلكَ أمَّ إسمَاعِيلَ، وَهِيَ تُحِبُّ الأُنْسَ» فَنَزَلُوا، فَأرْسَلُوا إلى أهْلِيهِمْ فَنَزلُوا مَعَهُمْ، حَتَّى إذا كَانُوا بِهَا أهْلَ أبياتٍ، وَشَبَّ الغُلَامُ وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنهُمْ، وأنفَسَهُم[٦] وأعجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أدْرَكَ، زَوَّجُوهُ امرَأةً منهُمْ، وَمَاتَتْ أمُّ إسمَاعِيلَ، فَجَاءَ إبْرَاهِيمُ بَعْدَ ما تَزَوَّجَ إسمَاعِيلُ يُطالِعُ تَرِكَتَهُ[٧] فَلَم يَجِدْ إسْمَاعِيلَ، فَسَألَ امْرَأتَهُ عَنهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا.

وفي رِوَايَةٍ: يَصِيدُ لَنَا، ثُمَّ سَألهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ في ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، وَشَكَتْ إلَيْهِ، قَالَ: فَإذا جَاءَ زَوْجُكِ، اقْرَئي عَلَيْهِ السَّلامَ، وَقُولي لَهُ: يُغيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ[٨]، فَلَمَّا جَاءَ إسمَاعيلُ كَأنَّهُ آنَسَ شَيْئاً فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذا وَكَذَا، فَسَألَنَا عَنْكَ، فَأخْبَرْتُهُ، فَسَألَني: كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأخْبَرْتُهُ أنَّا في جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ:

---

(١) أي ظاهراً جارياً على وجه الأرض.
(٢) أي الهلاك والضياع.
(٣) المنطقة المرتفعة من الأرض.
(٤) يدور حول الماء، تشير الطيور بوجود ماء في المنطقة.
(٥) «فأرسلوا جريًا» أي بعثوا رسولاً يبحث لهم عن الماء أو رسولين.
(٦) أي كثرت رغبتهم فيه.
(٧) «يطالع تركته» يتفقد ما تركه من أهله وولده.
(٨) «عَتَبَة البابِ» كناية عن طلاق زوجته.

نَعَمْ، أَمَرني أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكَ أَبي، وقَدْ أَمَرَني أَنْ أُفَارِقَكِ، الْحَقِي بأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إبْرَاهيمُ ما شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ، فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلى امْرَأَتِهِ، فَسَأَلَ عَنْهُ، قَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغي لَنَا، قالَ: كَيْفَ أَنْتُم؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ. فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ وَأَثْنَتْ عَلى اللَّهِ تَعَالى، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَت: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ: المَاءُ، قالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لهُمْ في اللَّحْمِ وَالمَاءِ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ: وَلَمْ يَكُنْ لهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لهُمْ دَعَا لهُمْ فِيهِ، قَالَ: فَهُمَا لا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بغَيْرِ مَكَّةَ إلَّا لَمْ يُوافِقَاهُ».

وفي روايةٍ «فَجاءَ فَقالَ: أَيْنَ إسْمَاعِيلُ؟ فَقالَتِ امْرَأَتُهُ: ذَهَبَ يَصِيدُ، فَقَالَتِ امْرَأَتُهُ: ألا تَنْزِلُ، فَتَطْعَمَ وَتَشْرَبَ؟ قَالَ: وَمَا طَعَامُكم وَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: طَعَامُنَا اللَّحْمُ، وَشَرَابُنَا المَاءُ. قالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لهُمْ في طَعَامِهِمْ وَشَرابهِمْ، قَالَ: فقالَ أَبُو القَاسِم[١] ﷺ: بَرَكَةُ دَعْوةِ إبْرَاهيمَ ﷺ قَالَ: فَإذا جَاءَ زَوْجُكِ، فاقْرئي عَلَيْهِ السَّلامَ، وَمُرِيهِ يُثَبِّتْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إسْمَاعِيلُ، قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ منْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَني عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَني كَيْفَ عَيْشُنا؟ فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَأْمُرُكَ أن تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكَ أبي، وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ، أَمَرَني أَنْ أُمْسِكَكِ، ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذلكَ، وَإسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلاً لَهُ تَحتَ دَوْحَةٍ[٢] قريباً مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رآهُ قَامَ إلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ، وَالْوَلَدُ بِالْوَالدِ، قَالَ يَا إسْمَاعِيلُ إنَّ اللَّه أَمَرَني بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: وَتُعِينُني؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإنَّ اللَّه أَمَرَني أَنْ أَبْنِيَ بَيْتاً هٰهنَا، وأشَارَ إلى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ[٣] عَلى ما حَوْلَهَا، فَعِنْدَ ذلكَ رَفَعَ الْقَوَاعِدَ[٤] مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إسْمَاعِيلُ يَأْتي بِالحِجَارَةِ، وَإبْرَاهِيمُ يَبْني حَتَّى إذا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ، جَاءَ بِهذَا الحَجَرِ[٥] فَوضَعَهُ

---

(١) كنية النبي ﷺ يريد أن النبي ﷺ قال: إن هذه بركةُ دعوةِ إبراهيم عليه السلام.

(٢) شجرة كبيرة.

(٣) تلٌ من الرمل مرتفع فيه بعضُ الحجارة.

(٤) الأساس، يعني أنه بدأ ببناء أساس الكعبة المشرّفة مع ولده إسماعيل.

(٥) يعني المقام «مقام إبراهيم» عليه السلام.

لَهُ، فقامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإسماعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولانِ: رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إنَّك أنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ».

وفي روايةٍ: «إنَّ إبْرَاهِيمَ خَرَجَ بِإسْمَاعِيلَ وَأمْ إسْمَاعِيلَ، مَعَهُمْ شَنَّةٌ[١] فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَتْ أمُّ إسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ، فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلى صَبِيِّهَا، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ إبْرَاهِيمُ إلى أهْلِهِ، فاتَّبَعَتْهُ أمُّ إسْمَاعِيلَ حَتَّى لمَّا بَلغُوا كَداءَ، نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِه: يَا إبْرَاهِيمُ إلى مَنْ تَتْرُكُنَا؟ قَالَ: إلى اللَّهِ، قَالَتْ: رَضِيتُ باللَّهِ، فَرَجَعَتْ، وَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ، وَيَدِرُّ لَبَنُها عَلى صَبِيِّهَا، حَتَّى لمَّا فَنِيَ الماءُ، قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ، فَنَظَرْتُ[٢]، لَعَلِّي أحِسُّ أحَداً، قَالَ: فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتْ الصَّفا، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ هَلْ تُحِسُّ أحداً، فَلَمْ تُحِسَّ أحَداً؟ فَلَمَّا بَلَغَتِ الْوَادي سَعَتْ، وَأتَتِ المَرْوَةَ، وَفَعَلَتْ ذلكَ أشْوَاطاً[٣]، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ ما فَعَلَ الصَّبيُّ، فَذَهَبَتْ وَنَظَرَتْ، فَإذا هُوَ عَلى حَالِهِ، كأنَّهُ يَنْشَغُ لِلمَوْتِ، فَلَم تُقِرَّهَا نَفْسُهَا[٤]، فَقَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ، فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أحَداً فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفا، فَنَظَرَتْ ونَظَرَتْ، فَلَمْ تُحِسَّ أحَداً، حَتَّى أتمَّتْ سَبْعاً، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ، فَنَظَرتُ مَا فَعَلَ، فَإذا هِيَ بِصَوْتٍ، فقَالَتْ: أغِثْ إنْ كان عِنْدكَ خَيْرٌ، فَإذا جِبْرِيلُ ﷺ فَقَالَ بِعَقِبهِ هكَذَا، وغمزَ بعَقِبه على الأرْضِ[٥]، فانْبَثَقَ المَاءُ فَدَهِشَتْ أمُّ إسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَتْ تَحْفِنُ»[٦]

وذَكَرَ الحَدِيثَ بِطُولِهِ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بهذِهِ الرواياتِ كلها.

«الدَّوْحَةُ»: الشَّجَرَةُ الْكَبيرَةُ. «قَفَّى» أيْ: وَلَّى «وَالجَرِيُّ»: الرَّسُول «وَألفى» معناه: وَجَدَ «يَنْشَغُ» أيْ: يَشْهقُ.

---

(١) سقاء من جلدٍ يوضع فيه الماء.
(٢) تأملت وكرَّرت النظر لعلَّها ترى من يُسعفها بالماء.
(٣) أي ثلاثاً أو سبعاً كما هو الأظهر لرواية الصحيح «حتى أتمت سبعاً».
(٤) أي لم تتركها نفسُها أن تقرَّ لما رأت من حاله وهو يكاد يفارق الحياة.
(٥) ضرب برجله الأرضَ فنبع الماءُ.
(٦) تملأ كفيها بالماء وتجمعه في إناء.

١٨٦٦ ـ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ[١]، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ»[٢] مُتَّفَقٌ عليه.

* * *

(١) «الكمأةُ من المنّ» أي ممّا منّ اللّهُ به على بني إسرائيل، ومِمّا منّ اللّه به على عباده المؤمنين، فهي تخرج من الأرض من غير زراعة.

(٢) «وماؤها شفاء للعين» أي يُعصر من مائها في العين، وهو علاج لها ودواء، وهذا الأمر نؤمن به ونصدّقه، لأنه كلام من لا ينطق عن الهوى.

كتابُ الاسْتِغفار

قَالَ اللّهُ تَعَالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩].

وقَالَ تَعَالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٦].

وقَالَ تَعَالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [النصر: ٣].

وقالَ تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى ﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٥ ـ ١٧].

وقال تَعَالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

وقالَ تَعَالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وقالَ تَعَالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

والآيات في الباب كثيرة مَعْلُومة.

١٨٦٧ ـ وَعَن الأغَرِّ المُزَنيِّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «إنَّهُ لَيُغَانُ على قَلْبي[1]، وَإني لأَستَغْفِرُ اللّه في الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» رَوَاهُ مُسْلِم.

١٨٦٨ ـ وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «واللّهِ إنّي لأَسْتَغْفِرُ اللّه، وأتُوبُ إلَيْهِ في الْيَوْمِ، أكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «إنه ليُغَان على قلبي» أي يغطّي على قلبي، فيلحقه بعضُ الفتور عن ذكر اللّه تعالى، فأستغفر اللّه في اليوم مائةَ مرة، وهذا من كماله ﷺ وشدة خشيته للّه تعالى، وليس الاستغفار عن ذنب فعله، فالنبي ﷺ معصوم عند الذنوب والمعاصي.

١٨٦٩ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللَّهُ تَعالى بِكُمْ، وَلجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّه تَعالى فَيغْفِرُ لهُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٧٠ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ في المَجْلِسِ الْوَاحِدِ مائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لي، وَتُبْ عَليَّ إنَّكَ أنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» رَوَاهُ أبو داود، والتِّرمِذِيُّ وقال: حديث صحيح.

١٨٧١ ـ وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ[1]، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخرَجاً[2]، وَمنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ» رَوَاهُ أبو داود.

١٨٧٢ ـ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ قالَ: أسْتَغْفِرُ اللَّه الذي لا إلهَ إلَّا هُوَ، الحَيَّ الْقَيُّومَ وَأتُوبُ إلَيْهِ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ» رَوَاهُ أبو داود والتِّرمِذِيُّ والحَاكِمُ، وَقالَ: حدِيثٌ صحيحٌ على شَرْطِ البُخَارِيِّ وَمُسْلِم.

١٨٧٣ ـ وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الاسْتِغْفارِ[3] أنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: «اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي، لا إلهَ إلَّا أنتَ خَلَقْتَني وَأنَا عَبْدُكَ، وَأنَا عَلى عَهْدِكَ وَوعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ[4]، أبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأبُوءُ بذَنْبي، فاغفِرْ لي، فَإنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ» مَنْ قَالَها مِنَ النَّهارِ مُوقِناً بهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِي، فَهُوَ مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَها مِنَ اللَّيْلِ، وَهُوَ مُوقِنٌ بها، فَمَاتَ قَبْلَ أنْ يُصْبحَ، فَهُوَ مِنْ أهْل الجَنَّةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. «أبُوءُ» أقِرُّ وَأعْترِفُ.

---

(١) «من لَزِمَ الاستغفارَ» أي أكثر من الاستغفار في الصباح والمساء.

(٢) «جعل اللَّهُ له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل همٍّ فرجاً» أي فرَّج اللَّه كربته، وأذهب عنه الهمَّ، ورزَقه اللَّه من حيث لا يعلم، ولا يخطر على باله.

(٣) «سيد الاستغفار» أي رئيس الاستغفار وأفضله وأكثره أجراً وثواباً.

(٤) «أعوذ بك من شرِّ ما صنعت» أي أستجير بجلالك وعظمتك من شرِّ ما صنعته من الذنوب والآثام، ومعنى أَبُوءُ: أي أعترف وأقرُّ بما جنيتُه على نفسي من الأخطاء.

١٨٧٤ ـ وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إذا انْصَرَفَ مِنْ صَلاتِهِ، استَغْفَرَ اللَّه ثَلاثاً وقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، تَبَارَكْتَ يا ذَا الجَلالِ والإكْرَام» قيلَ للأوزاعِيِّ وهُوَ أَحَدُ رُوَاتِهِ: «كَيْفَ الاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: يَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّه، أَسْتَغْفِرُ اللَّه» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٧٥ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ مَوْتِهِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّه، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٧٦ ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قالَ اللَّهُ تَعَالى: يَا ابْنَ آدمَ إِنَّكَ ما دَعَوْتَني وَرَجَوْتَني[١] غَفَرْتُ لَكَ عَلى ما كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِي[٢]، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّماءِ[٣]، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَني، غَفَرْتُ لَكَ وَلا أُبَالي، يَا ابْن آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَني بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطايَا[٤]، ثُمَّ لَقِيتَني لا تُشْرِكُ بي شَيْئاً، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِها مَغْفِرَةً» رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وقالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

«عَنانَ السَّمَاءِ» هُوَ: السَّحَابُ، وَقِيلَ: هُوَ مَا عَنَّ لَكَ مِنها، أيْ ظَهَرَ، وَ «قُرَابُ الأرْضِ» وهُوَ ما يُقَارِبُ ملأها.

١٨٧٧ ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، وَأَكْثِرْنَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، قالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: مَالَنَا أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ[٥]، مَا رَأَيْتُ مِنْ

---

(١) «إنك ما دعوتني ورجوتني» أي دعوتني لمغفرة ذنوبك، وعقدت أمَلَك عليَّ.

(٢) «ولا أبالي» أي أغفر لك كل ذنب، ولا أكترث بكثرة الذنوب.

(٣) «بلغتْ ذنوبُك عَنان السماء» أي وصلت من كثرتها إلى أعلى السماء، غفرتُها لك إذا تُبْتَ منها، ولا يستعظمني شيء.

(٤) «أتيتني بقراب الأرضِ خطايا» أي جئتني بملء الأرض ذنوباً، وأنت لا تشرك معي أحداً، لأتيتك بملئها مغفرة، فلا تستعظم ذنوبك، فرحمتي أوسع من كل ذنب ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال الشاعر:

تَعَاظَمَني ذَنْبي فَلَمَّا قَرَنْتُه بِعَفْوِكَ رَبِّي كان عَفْوُك أَعْظَمَا

(٥) «تكثرنَ اللعن وتكفرن العشير» أي تكثرن في كلامكنَّ من اللعن، فلانةٌ اللّهُ يلعنها، وفلانٌ لعنه اللّه، وتجحدن نعمة الزوج وفضله، وجاء في بعض روايات البخاري «لو أحسنتَ إلى إحداهنَّ الدهرَ، ثم رأتْ منكَ شيئاً، قالت: ما رأيتُ منك خيراً قطُّ».

نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ، أغلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ[1]!! قالَتْ: ما نُقْصَانُ الْعَقْلِ والدِّينِ؟ قالَ: شَهَادَةُ امْرَأتَيْنِ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ، وَتَمْكُثُ الأيَّامَ لا تُصَلِّي» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

❁ ❁ ❁

بابٌ في بَيان مَا أعدّ الله للمؤمنين في الجنة

قَالَ اللَّهُ تَعَالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الحجر: ٤٥ ـ ٤٨].

وَقَالَ تَعَالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٨ ـ ٧٣].

وقَالَ تَعَالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٧].

وَقَالَ تَعَالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ[2] وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ[3] ﴿٢٦﴾

---

(١) «أغلبَ لذي لبٍّ منكنّ» أي أغلب للرجل العاقل الحازم منكن، وذلك لعظم فتنتهنّ، وقوة كيدهنّ، فالرجل يُغلَب أمامَ كيدهن، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

(٢) ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ الرحيقُ المختوم: الخمر الصافي الخالص، أي يسقون في الجنة، من خمر بيضاء صافية، لم تكدِّرها الأيدي، قد خُتم على تلك الزجاجات، فلا يفكُّها إلّا أربابُها، ممزوجة بمسك.

(٣) ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ أي وفي مثل هذا النعيم، فليتسابق المتسابقون، وليرغب الراغبون في نيل تلك المراتب الرفيعة.

وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المطففين: ٢٢ ـ ٢٨].

والآياتُ في البابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ.

١٨٧٨ ـ وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « يَأكُلُ أهْلُ الجَنَّةِ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلا يَتَغَوَّطُونَ[١]، وَلا يَمْتَخِطُونَ، وَلا يَبُولُونَ، وَلكِنْ طَعَامُهُمْ ذلكَ جُشَاءٌ كَرشْحِ المِسْكِ[٢]، يُلهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ »[٣] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٧٩ ـ وَعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « قَالَ اللَّهُ تَعَالى: أعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنٌ رَأتْ، ولا أذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَؤوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ » [السجدة: ١٧] مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٨٠ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: « أوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ[٤] عَلى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ[٥] في

---

(١) « ولا يتغوطون ولا يتمخطون » أي ليس في الجنة بول ولا غائط، ولا مخاط ولا شيء من القذر، لأن الجنة طاهرة مطهَّرة هي ومن فيها، قال تعالى: ﴿ وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾.

(٢) « جُشَاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ » أي يخرج منهم جُشاء رائحته كرائحة المسك، هذه هي فضلات الطعام، والتجشُّؤ: تنفس المعدة من غير رائحة كريهة، والجنة طاهرة طيبة لا يكون فيها شيء من النجس والقذر، حُكي أن يهودياً جاء إلى بعض شيوخ المسلمين، وقال له: أنتم تعتقدون أن من يدخل الجنة، يأكل ويشرب، ويستمتع بجميع المآكل والمشارب، وتعلمون أن من يأكل ويشرب، يبول ويتغوّط، فكيف يكون ذلك؟ هل في الجنة مراحيض أو دورات مياه؟ فأجابه الشيخ بقوله: ما أحمقك وأجهلك!! الطفلُ في بطن أمه هل يبقى بغير غذاء؟ أم أنه يأكل ويشرب، وهل تظنُّ أنه يبول ويتغوط؟ لو حدث منه ذلك، لمات في نجاسته، فأخرسه وأسكته.

(٣) « يُلْهَمون التسبيح كما يُلْهمون النَّفَس » أي يُسبِّحون اللّه ويكبِّرونه، بدون كُلفة ولا مشقة، كما يتنفَّس الإنسان من غير جهد، لأن الجنة دار تشريف، لا دار تكليف، لا صلاة فيها ولا صيام، وإنما هو التلذذ بذكر اللّه دون عناء.

(٤) « أولُ زُمْرةٍ يدخلون الجنة » أي جماعة يكرمهم الربُّ جلَّ وعلا بدخول الجنة، يكونون على صورة القمر ليلة البدر.

(٥) « ثم الذين يلونهم على أشدِّ كوكبٍ دُرِّي » أي ثم من يدخل بعدهم، يكونون على أشدِّ كوكب لامع، إضاءةً وإشراقاً.

السَّمَاءِ إضَاءَةً، لا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ[١]، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ[٢] - عُودُ الطِّيبِ - أَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِيْنُ، عَلى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ[٣]، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِراعًا في السَّمَاءِ»[٤] مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ وَمُسْلِم: «آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ[٥]، يُرَى مُخُّ سُوقِهِما مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ[٦]، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلا تَبَاغُضَ[٧]، قُلُوبُهُمْ قَلْبُ وَاحِدٍ[٨]، يُسَبِّحُونَ اللَّه بُكْرَةً وَعَشِيّاً»[٩]

قَوْلُهُ: «عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِد» رَوَاهُ بَعْضُهُمْ بِفَتْحِ الخَاءِ وَإِسْكَانِ اللَّامِ، وَبَعْضُهُمْ بِضَمِّهِما، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ.

---

(١) «لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون» أي لا تخرج منهم تلك القذارات التي تكون في الدنيا، من التبوُّل، والتغوُّط، والتمخُّطِ، وأمثال ذلك من القذرات كالحيض، والنفاس.

(٢) «ومجامرهم الألُوّة» جمع مجمرة وهي المبخرة، أي يتطيَّبون بالألُوّة وهي عود الطيب الذي يَتَبَخَّرُ به أهلُ الجنة، وقد يُقال: أيُّ حاجة لهم إلى البخور وريحهم أطيب من المِسْك؟ والجواب أن نعيم أهل الجنة من أكل وشرب وكسوة، ليس عن حاجة، إنما هو لمجرد التلذذ.

(٣) «على خلْق رجلٍ واحد» أي في صورة أجمل إنسان، ليس فيهم قصير ولا طويل، ولا قبيح ولا ذميم، بل جميعهم في أبدع وأجمل صورة.

(٤) «على صورة أبيهم آدم» أي على هيئته في الجمال والطول، وطولُه ستون ذراعاً، وإنما كانت أجسامهم طويلة، لأن الجنة واسعة كبيرة، تحتاج إلى ما يناسبها.

(٥) «لكل واحد منهما زوجتان» أي أقلُّ ما لكل رجلٍ من أهل الجنة زوجتان، عدا الحور العين، ويؤيده حديث «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة، فيها أهلون يطوف عليهم، لا يرى بعضهم بعضاً» رواه البخاري ومسلم.

(٦) «يُرى مُخُّ سوقهما من وراء اللحم» أي من شدة الصفاء والحسن، والغرضُ بيان جمال محاسن نساء الجنة، وأنهن في غاية الجمال والصفاء، وفي رواية الترمذي «وإن المرأة ليُرى بياضُ ساقها من وراء سبعين حُلّة» اللهم لا تحرمنا هذا النعيم.

(٧) «لا اختلاف بينهم ولا تباغض» أي لا تحاسد بينهم ولا تباغض، لأنهم قبل دخول الجنة، يُطهَّرون من هذه الأخلاق الذميمة، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.

(٨) «قلوبهم قلب واحد» هذا من التشبيه البليغ، أي قلوبهم كقلب رجل واحدٍ في الطِّيب والصلاح، حُذفت منه أداة التشبيه ووجه الشَّبه فأصبح بليغاً، كقولهم: أنتَ بَدْر، أنت قمرٌ، أي كالبدر في الحسن والجمال.

(٩) «يسبحون الله بكرة وعشياً» هذا التسبيحُ ليس عن تكليف وإلزام، لأنه لا تكليف في =

١٨٨١ ـ وَعَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى ﷺ رَبَّهُ، مَا أدْنَى أهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً[١]؟ قَالَ: هُوَ رَجُل يَجيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّة، فَيَقُولُ: أيْ رَبِّ كَيْفَ؟ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أتَرْضَى أنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذٰلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، ومِثْلُهُ فَيَقُولُ فِي الخَامِسَة: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أمْثَالِهِ، وَلَكَ ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قالَ: رَبِّ فأعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قالَ: أولٰئِكَ الَّذِينَ أرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ» رَوَاهُ مُسْلم.

١٨٨٢ ـ وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «إنِّي لأعْلَمُ آخِرَ أهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنهَا، وَآخِرَ أهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ!! رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْواً، فَيَقُولُ اللَّهُ عزَّ وَجلَّ لَهُ: اذْهَبْ فادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إلَيْهِ أنَّهَا ملأى، فَيَرْجعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأى؟ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إلَيْهِ أنَّهَا مَلأى، فَيَرْجعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأى! فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أمْثَالِها[٢]، أوْ إنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أمْثَالِ الدُّنْيا، فَيَقُولُ: أتَسْخَرُ بِي ـ أوْ تَضْحكُ بِي ـ وَأنْتَ المَلِكُ؟ قَالَ: فَلَقَدْ رَأيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ[٣]، فَكَانَ يَقُولُ: ذلِكَ أدْنَى أهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً» مُتَّفَقٌ عليه.

= الآخرة، وإنما هو عن تلذُّذ وإلهام، كما يتلذَّذ الإنسان بإدخال النَّفَس إلى صدره، وقد تقدم حديث «يُلهمون التسبيحَ كما يُلهمون النَّفَس» رواه مسلم.

(١) «أدنى أهلِ الجنة منزلة» أي أقلُّ أهل الجنة نعيماً يوم القيامة، من يعطيه اللّه قدر أعظم مَلِك من ملوك الدنيا خمسين مرة.

(٢) «لك قدر الدنيا وعشرة أمثالها» هذا النعيم العظيم، الذي لا يكاد يُتصور، إذا كان لآخر من يخرج من النار ويدخل الجنة، فكيف بالسابقين المقرَّبين؟ إن نعيمهم وجزاءهم أعظم وأضخم من أن يُتصور، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعلَمُ نَفسٌ مَا أُخفِيَ لَهُم مِن قُرَّةِ أَعيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾.

(٣) «ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه» النواجذ: هي الأنيابُ التي بعد الأسنان، والمراد أنه ﷺ ضحك ضحكاً شديداً من مجادلة العبد لربه، حين قال له: أتسخر بي وأنت الملِك؟ فربُّ =

١٨٨٣ ـ وَعَنْ أبي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إنَّ لِلْمُؤمِنِ في الْجَنَّةِ لَخَيمَةً مِنْ لُؤلُؤةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا في السَّمَاءِ سِتُّونَ ميلاً، لِلْمُؤمِنِ فيهَا أهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِم المُؤمِنُ، فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً» متَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«المِيلُ»: سِتَّة آلافِ ذِرَاعٍ.

١٨٨٤ ـ وَعَنْ أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ في الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ، مِائَةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُها» متفَقٌ عليه.

وَرَوَيَاهُ في الصَّحِيحَيْنِ أيْضاً مِنْ رِوَايَةِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «يَسِيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّهَا مائَةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُهَا».

١٨٨٥ ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ أهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ، الْغَابِرَ في الأفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أو المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ ما بَيْنَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الأنْبِيَاءِ لا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٨٦ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَقَابُ قَوْسٍ في الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أوْ تَغْرُبُ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٨٧ ـ وَعَنْ أنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إنَّ في الْجَنَّةِ سُوقاً يأتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ[1]، فَتَحْثُو في وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ،

= العزة والجلال يقول له: اذهب فادخل الجنة، ويأتي العبدُ الجنة فيخيَّل له كأنها ملأى، وليس فيها موضع قَدَم واحد، فيرجع إلى ربه فيقول له: يا رب وجدتها ملأى!! فيقول له المولى جلّ وعلا: اذهب فادخلِ الجنة، وهكذا ثلاث مرات وهو يذهب ويعود، ويُخيل إليه أنها مملوءة، وحين يقول الله له: إن لك قدر الدنيا وعشرة أمثالها، كأن الرجل يظن أن الله يسخر منه أو يضحك عليه، فلهذا السبب ضحك ﷺ ضحكاً شديداً، حتى بدت أنيابه، فكان يقول: ذلك أدنى أهل الجنة منزلةً يوم القيامة!

(١) «تهبُّ ريح الشمال فتحثو» أي تهبُّ ريحُ الجنة على أهل الجنة،فتنثر على وجوههم وملابسهم ما تحمله من مِسْك الجنة، فيزدادون حسناً وجمالاً، وهذا جزء يسير مما يُكرم الله به أهلَ الجنة من الجزاء والنعيم، قال تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**﴾.

فَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَرْجِعُونَ إلى أهْلِيهِمْ، وَقَد ازْدَادُوا حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أهْلُوهُمْ: وَاللّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ حُسْناً وَجَمَالاً! فَيَقُولُونَ: وَأنْتُمْ وَاللّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً!» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٨٨ ــ وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ قَالَ: «إنَّ أهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الْغُرَفَ في الْجَنَّةِ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ في السَّمَاءِ» مُتَّفَقٌ عليه.

١٨٨٩ ــ وَعَنْهُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: «شَهِدْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَجْلِساً، وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ في آخِرِ حَدِيثِهِ: فِيهَا ما لَا عَيْنٌ رَأتْ، وَلَا أذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ثُمَّ قَرَأ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] إلى قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾» [السجدة: ١٧] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٨٩٠ ــ وَعَنْ أبِي سَعِيدٍ وأبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «إذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُنَادِي مُنَادٍ: إنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا، فَلَا تَمُوتُوا أَبَداً[1]، وَإنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا[2]، فَلَا تَسْقَمُوا أَبَداً، وَإنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَداً، وَإنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا، فَلَا تَبْأَسُوا أَبَداً»[3] رَوَاهُ مُسْلِم.

١٨٩١ ــ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «إنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ لَهُ: فَإنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٨٩٢ ــ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُول اللّهَ ﷺ قَال:

---

(١) «أن تَحيوا فلا تموتوا أبداً» أي لكم الحياة والخلود الدائم في الجنة، فلا موت بعد البعث، لأن الموت يُذبح يوم القيامة، ويقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة خلود فلا موت، كما ورد ذلك في الحديث الصحيح.

(٢) «أن تصحوا فلا تسقموا أبداً» أي لا يصيبكم في الجنة مرضٌ ولا ألم، لأن الجنّة دار السرور والحبور، قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

(٣) «وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً» أي لكم في الجنة النعيم الأبديُّ الخالد، دون بُؤس ولا ضرر، قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

« إنَّ اللَّه عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ لأهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ[١]، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ[٢]، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ[٣]؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى يَا رَبَّنَا، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا ما لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ[٤]!؟ فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذٰلِكَ[٥]؟ فَيَقُولُونَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذٰلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي[٦]، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٨٩٣ ـ وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَاناً، كَمَا تَرَوْنَ هٰذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٨٩٤ ـ وَعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ[٧]،

---

(١) « لبيك وسعديك» أي نجيبك إجابة بعد إجابة، ونَسْعَدُ بك سعادة بعد سعادة، وهما مثنَّيان لإرادة الكثرة والعدد، كقوله تعالى: ﴿**فَارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ**﴾ أي مرات بعد مرات، لا مجرد المثنّى.

(٢) « والخير في يديك» أي الخير كلُّه من عندك، ومن فضلك علينا، وسكت عن الشرِّ، مع أن الكلَّ من عند الله، تنبيهاً للأدب في خطاب رب العزة والجلال، قال تعالى: ﴿**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾؟

(٣) « يا أهل الجنة هل رضيتم» أي هل رضيتم بهذا الجزاء والنعيم الذي أعطيتكم إيَّاه؟ أم تطلبون المزيد؟

(٤) « وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك»؟ أي كيف لا نرضى وقد أكرمتنا بما لم تكرم به أحداً من الخلق؟ والحديث يشير إلى قوله تعالى: ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾.

(٥) « ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك»؟ أي أنفسَ وأشرف وأعلى مما أعطيتموه.

(٦) « أُحلُّ عليكم رضواني» أي أنزل عليكم رضواني الدائم، فلا أسخط عليكم بعده أبداً، قال تعالى: ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ أي أكبر من كل النعيم.

(٧) « فيكشف الحجابَ» أي فيكشف ربُّ العِزة والجلال، رداء الكبرياء عن وجهه، فلا يبقى أحد من أهل الجنة، إلّا ويرى اللّه تعالى بعينيْ بصره، وهذا الحديث دليل قاطع، لمذهب أهل السنة والجماعة في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، خلافاً للمعتزلة الذين أنكروا الرؤية، واعتقدوا استحالتها، وهم محجوجون بالكتاب الساطع والحكم النبوي القاطع، قال تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ وقوله ﷺ: « إنكم سترون ربكم عياناً كما =

فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس: ٩، ١٠].

الْحَمْدُ للّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عبدك ورسولك، النبي الأمي وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وأزواجه وذريته كَمَا صَلَّيْتَ على إبْرَاهِيمَ وَعَلى آلِ إبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النبي الأمي، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وأزواجه وذريته، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ في العالمين، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

قَالَ المُؤلِّف رحمه اللّه تعالى: « فَرَغْتُ مِنْهُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ (١٤) رَابعَ عَشَرَ رَمَضَانَ، سَنَةَ (٦٧٠) هـ سَبْعِينَ وَسِتِّمَائَةٍ بدمشق».

❁ ❁ ❁

= ترون القمر ليلة البدر، لا تضارون في رؤيته» اللهم متعنا بالنظر لوجهك الكريم يا أرحم الراحمين، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الجليل، خادم الكتاب والسنة «الشيخ محمد علي الصابوني» كان الفراغ من شرح هذا الكتاب «رياض الصالحين» في اليوم الأول من غرة شهر جمادى الآخرة سنة ١٤٢٢ من هجرة سيد المرسلين، في مكة المكرمة، بلدِ الله الحرام، والحمد لله في البدء والختام، وصلى الله وسلّم على سيدنا محمد خير الأنام، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خادم الكتاب والسُّنّة

الشيخ محمد علي الصابوني

الفهرس العام

- فهرس الأحاديث الشريفة
- فهرس المحتويات

فهرس الأحاديث الشريفة

حرف الثاء

حرف الجيم

الحرف الحاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

فهرس المحتويات

مؤلفات
خادم الكتاب والسنة
الشيخ محمد علي الصابوني

١ ـ صفوة التفاسير	ثلاث مجلدات
٢ ـ المواريث في الشريعة الإسلامية	مجلد واحد
٣ ـ من كنوز السنة	مجلد واحد
٤ ـ روائع البيان في تفسير آيات الأحكام	مجلدان
٥ ـ قبس من نور القرآن الكريم	ثمانية مجلدات
٦ ـ السنة النبوية قسم من الوحي الإلهي المُنزّل	غلاف
٧ ـ موسوعة الفقه الشرعي الميسر (سلسلة التفقه في الدين)	ثمانية مجلدات
٨ ـ الزواج الإسلامي المبكر سعادة وحصانة	مجلد واحد
٩ ـ التفسير الواضح الميسر	مجلد واحد
١٠ ـ الهدي النبوي الصحيح في صلاة التراويح	غلاف
١١ ـ إيجاز البيان في سور القرآن	مجلد واحد
١٢ ـ موقف الشريعة الغرّاء من نكاح المتعة	غلاف
١٣ ـ حركة الأرض ودورانها حقيقة علمية أثبتها القرآن	غلاف
١٤ ـ التبيان في علوم القرآن	مجلد واحد
١٥ ـ عقيدة أهل السنة في ميزان الشرع	غلاف
١٦ ـ النبوة والأنبياء	مجلد واحد
١٧ ـ رسالة الصلاة	غلاف
١٨ ـ المهدي وأشراط الساعة	غلاف
١٩ ـ المقتطف من عيون الشعر	غلاف
٢٠ ـ كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول صفوة التفاسير	غلاف
٢١ ـ درة التفاسير (على هامش المصحف)	مجلد واحد
٢٢ ـ جريمة الربا أخطر الجرائم الدينية والاجتماعية	غلاف
٢٣ ـ التبصير بما في رسائل بكر أبو زيد من التزوير	غلاف

٢٤ - شرح رياض الصالحين .... مجلد واحد

٢٥ - شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ .... غلاف

٢٦ - رسالة في حكم التصوير .... غلاف

٢٧ - معاني القرآن (للنحاس) .... ستة مجلدات دراسة وتحقيق

٢٨ - المقتطف من عيون التفاسير (للمنصوري) .... خمسة مجلدات دراسة وتحقيق

٢٩ - مختصر تفسير ابن كثير .... ثلاثة مجلدات اختصار وتحقيق

٣٠ - مختصر تفسير الطبري .... مجلدان اختصار وتحقيق

٣١ - تنوير الأذهان من تفسير روح البيان (للبروسوي) .... أربعة مجلدات دراسة وتحقيق

٣٢ - المنتقى المختار من كتاب الأذكار (للنووي) .... مجلد واحد دراسة وتحقيق

٣٣ - فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (للأنصاري) .... مجلد واحد دراسة وتحقيق

٣٤ - تفسير الدعوات المباركات (للأيديني) .... غلاف دراسة وتحقيق

٣٥ - نكاح المتعة في الإسلام حرام (للحامد) .... غلاف دراسة وتحقيق

مکتبۃ البشریٰ

طبع شدہ

رنگین مجلد

- تفسیر عثمانی (۲ جلد)
- خطبات الاحکام لجمعات العام
- الحزب الاعظم (مہینے کی ترتیب پر مکمل)
- الحزب الاعظم (ہفتے کی ترتیب پر مکمل)
- لسان القرآن (اول، دوم، سوم)
- خصائل نبوی شرح شمائل ترمذی
- بہشتی زیور (تین حصے)
- معلم الحجاج
- فضائل حج
- تعلیم الاسلام (مکمل)
- حصن حصین

رنگین کارڈ کور

- حیاۃ المسلمین
- تعلیم الدین
- خیر الاصول فی حدیث الرسول
- الحجامہ (پچھنا لگانا) (جدید ایڈیشن)
- الحزب الاعظم (مہینے کی ترتیب پر) (جیبی)
- الحزب الاعظم (ہفتے کی ترتیب پر) (جیبی)
- عربی زبان کا آسان قاعدہ
- فارسی زبان کا آسان قاعدہ
- علم الصرف (اولین، آخرین)
- تسہیل المبتدی
- جوامع الکلم مع چہل ادعیہ مسنونہ
- عربی کا معلم (اول، دوم، سوم، چہارم)
- عربی صفوۃ المصادر
- صرف میر
- تیسیر الابواب
- نام حق
- آداب المعاشرت
- زاد السعید
- جزاء الاعمال
- روضۃ الادب
- آسان اصول فقہ
- معین الفلسفہ
- معین الاصول
- تیسیر المنطق
- تاریخ اسلام
- بہشتی گوہر
- فوائد مکیہ
- علم النحو
- جمال القرآن
- نحو میر
- تعلیم العقائد
- سیر الصحابیات

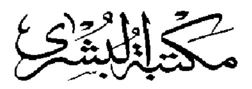
- فصول اکبری
- میزان و منشعب
- نماز مدلل
- نورانی قاعدہ (چھوٹا/ بڑا)
- بغدادی قاعدہ (چھوٹا/ بڑا)
- رحمانی قاعدہ (چھوٹا/ بڑا)
- تیسیر المبتدی
- منزل
- الانتباہات المفیدۃ
- سیرت سید الکونین ﷺ
- رسول اللہ ﷺ کی نصیحتیں
- حیلے اور بہانے
- کریما
- پند نامہ
- پنج سورۃ
- سورۃ یٰس
- عم پارہ درسی
- آسان نماز
- نماز حنفی
- مسنون دعائیں
- خلفائے راشدین
- امت مسلمہ کی مائیں
- فضائل امت محمدیہ
- علیکم بسنتی
- اکرام المسلمین مع حقوق العباد کی فکر کیجیے

کارڈ کور / مجلد

- اکرام مسلم
- مفتاح لسان القرآن (اول، دوم، سوم)
- فضائل اعمال
- منتخب احادیث

زیر طبع

- علامات قیامت
- حیاۃ الصحابہ
- جواہر الحدیث
- بہشتی زیور (مکمل و مدلل)
- تبلیغ دین
- اسلامی سیاست مع تکملہ
- کلید جدید عربی کا معلم (حصہ اول تا چہارم)
- فضائل درود شریف
- فضائل صدقات
- آئینہ نماز
- فضائل علم
- النبی الخاتم ﷺ
- بیان القرآن (مکمل)
- مکمل قرآن حافظی ۱۵ سطری



المطبوعة

ملونة مجلدة

الصحيح لمسلم	(۷ مجلدات)
الموطأ للإمام محمد	(مجلدين)
الموطأ للإمام مالك	(۳ مجلدات)
الهداية	(۸ مجلدات)
مشكاة المصابيح	(٤مجلدات)
تفسير الجلالين	(۳مجلدات)
مختصر المعاني	(مجلدين)
نور الأنوار	(مجلدين)
كنز الدقائق	(۳مجلدات)
التبيان في علوم القرآن	تفسير البيضاوي
المسند للإمام الأعظم	الحسامي
الهدية السعيدية	شرح العقائد
أصول الشاشي	القطبي
تيسير مصطلح الحديث	نفحة العرب
شرح التهذيب	مختصر القدوري
تعريب علم الصيغة	نور الإيضاح
البلاغة الواضحة	ديوان الحماسة
ديوان المتنبي	المقامات الحريرية
النحو الواضح (الإبتدائية، الثانوية)	آثار السنن
رياض الصالحين (مجلدة غير ملونة)	شرح نخبة الفكر

ملونة كرتون مقوي

شرح عقود رسم المفتي	السراجي
متن العقيدة الطحاوية	الفوز الكبير
المرقاة	تلخيص المفتاح
زاد الطالبين	دروس البلاغة
عوامل النحو	الكافية
هداية النحو	تعليم المتعلم
إيساغوجي	مبادئ الأصول
شرح مائة عامل	مبادئ الفلسفة
المعلقات السبع	هداية الحكمة

هداية النحو (مع الخلاصة والتمارين)

متن الكافي مع مختصر الشافي

ستطبع قريبا بعون الله تعالى

ملونة مجلدة/ كرتون مقوي

الصحيح للبخاري	الجامع للترمذي
شرح الجامي	التسهيل الضروري

Books in English

Tafsir-e-Uthmani (Vol. 1, 2, 3)
Lisaan-ul-Quran (Vol. 1, 2, 3)
Key Lisaan-ul-Quran (Vol. 1, 2, 3)
Al-Hizb-ul-Azam (Large) (H. Binding)
Al-Hizb-ul-Azam (Small) (Card Cover)
Secret of Salah

Other Languages

Riyad Us Saliheen (Spanish) (H. Binding)
Fazail-e-Aamal (German)

To be published Shortly Insha Allah

Al-Hizb-ul-Azam (French) (Coloured)